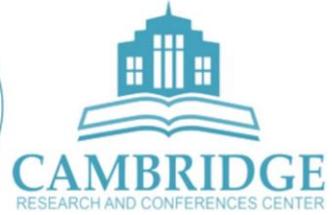


تظهر
2022

العدد ١٣



مجلة كامبريدج للبحوث العلمية

مجلة علمية محكمة تصدر عن
مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات في مملكة البحرين

CJSP

ISSN-2536-0027

رئيس مجلس الإدارة والمشرف العام

الدكتورة حفصة محمد الغريب

اللجنة العليا

أ.د. محمد أبو زياد الأمير

أ.د. دينا المولى

أ.د. عبد الملك الدناني

أ.د. حسن فضاله موسى التميمي

نائب رئيس التحرير

أ.م.د. عباس يوسف جابر

مجلة كامبريدج

مجلة علمية محكمة

تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات

ISSN-2536-0027

www.camb-magazine.com

اللجان العلمية

ت	الاسم	مكان العمل	البلد
1.	أ.د ألفت إبراهيم جاد الرب	جامعة الأزهر الشريف	مصر
2.	أ.د جهان عيسى أبو راشد العمران	جامعة البحرين	البحرين
3.	أ.د رقية أحمد العاني	الجامعة العراقية	العراق
4.	أ.د هلا العريس	الجامعة اللبنانية	لبنان
5.	أ.د. رشيد حميد زغير	جامعة البلدة	الجزائر
6.	أ.د. هاشمية حمد جعفر	جامعة الكوفة	العراق
7.	أ.د رامز عمار	كلية العلوم السياسية	لبنان
8.	أ.د فائزة عباس حميدي	أستاذة علم الدلالة في الجامعة المستنصرية	العراق
9.	أ.د رائف غنيمات	الكلية الجامعية العربية للتكنولوجيا	الأردن
10.	د عايد الظفيري	المعهد الأسترالي العربي للشؤون الاستراتيجية	أستراليا
11.	أ.د وفاء عمر السبيعي	جامعة الملك فيصل	السعودية
12.	د. هدى دياب أحمد الصالح	جامعة أم درمان الإسلامية	السودان
13.	د. فواز موفق ذنون	جامعة الموصل	العراق
14.	أ.د سلمى عبد الرزاق عبد لايد الشبلاوي	جامعة كربلاء	العراق
15.	د. ترتيل تركي الدرويش	جامعة بيروت العربية	لبنان
16.	أ.د حازم جري الشمري	وزارة التعليم العالي والبحث العلمي	العراق
17.	أ.د عامر فياض	وزارة التعليم العالي والبحث العلمي	العراق
18.	أ.م.د محمد هاني فرحات	الجامعة الاسلامية - بيروت	لبنان
19.	د. أحمد دلول	مركز ابن العربي للبحوث	فلسطين
20.	أ.م.د مسار عربي جاسم	جامعة القادسية	العراق

شروط النشر في المجلة:

1. أن يكون البحث أكاديمياً، وتتوافر فيه شروط البحث العلمي المعتمد على الأصول العلمية والمنهجية المتعارف عليها في كتابة البحوث الأكاديمية.
2. أن يكون مطبوعاً على الحاسوب بنظام (office Word) على قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد، وتزود هيئة التحرير بثلاث نسخ ورقية.
3. أن لا تزيد صفحات البحث عن 25 صفحة، مطبوعة بحجم الخط 14، ونوع الخط Simplified Arabic للغة العربية وخط Times News Roman للانكليزية.
4. يكتب الاسم ومكان العمل باللغتين العربية والانكليزية.
5. يكتب ملخص للبحث باللغتين العربية والانكليزية، وتدرج الكلمات المفتاحية بعد كل ملخص.
6. يدخل البحث نظام كشف الاستدلال الإلكتروني على وفق برنامج (Turnitin).
7. يُفضل أن تكون الجداول والأشكال مدرجة في أماكنها الصحيحة، وأن تشمل العناوين والبيانات الإيضاحية الضرورية، ويُراعى ألا تتجاوز أبعاد الأشكال والجداول حجم الصفحة (11) سم.
8. أن يكون البحث ملتزماً بدقة التوثيق، وحسن استعمال المصادر والمراجع، وتثبيت هوامش البحث ومراجعته في نهاية البحث .
9. ألا يكون البحث قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي جهة أخرى.
10. تحتفظ المجلة بحقوقها في إخراج البحث وإبراز عناوينه بما يتناسب وأسلوبها في النشر .
11. ترسل البحوث على الايميل: KKrz55@yahoo.com.
12. يلتزم الباحث بدفع أجور النشر المحددة .
13. يدفع الباحث دولاراً واحداً عن كل صفحة إضافية تزيد عن 25 صفحة.
14. لا يجوز الاعتراض على التقويم، ولا يجوز المطالبة بكشف اسم المقوم.
15. لا تلتزم المجلة بنشر البحوث التي تخل بشرط من هذه الشروط.

في هذا العدد

8	بقلم رئيس التحرير	كلمة العدد
46-10	م.د. أحمد صباح عارف العاني الجامعة العراقية/ كلية العلوم الاسلامية/ قسم العقيدة والفكر الاسلامي	منهج الحوار الإسلامي في التعامل مع الآخر
59-47	م.م. -حسين عبدالله سدخان م.م. عمر موفق المناع جامعة الامام جعفر الصادق (ع) - ذي قار	الدين العام واثاره على بعض مؤشرات التنمية الاقتصادية في العراق للمدة (2005 – 2019)
75-60	م. د. مؤيد عبدالله فرحان ديوان الوقف السني/دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية	الوسوسة وسبل علاجها في التصور الاسلامي دراسة عقديّة
99-76	م. د. عمر رحيم حسين دائرة التعليم الديني والدراسات الاسلامية	آيات الغسق في القرآن الكريم دراسة تحليلية
127-100	م . د أحمد فائق جواد العاني دائرة التعلم الديني والدراسات الاسلامية	من أحاديث البغض في السنن الأربعة دراسة تحليلية
145-128	1-م.م انفال حيدر عبد الرضا / 2-م.م سيف علي مهدي / 3-م.م رسل عامر ياسين كلية الكوت الجامعة /قسم علوم القرآن والتربية الاسلامية	الوحي في القرآن الكريم واراء المستشرقين فيه
164-146	أ.د سهيلة طه محمد البياتي/استاذ اللغة والنحو جامعة تكريت/كلية التربية للعلوم الإنسانية	الألفاظ المستدركة على الدكتوراة عائشة بنت الشاطيء في مسائل ابن الأرزق دراسة دلالية
178-165	م.د. عهود ثعبان يوسف الأسدي/ كلية التربية للعلوم الإنسانية /جامعة كربلاء/قسم اللغة العربية	سيمائية المكان في رواية ابني اليهودي
194-179	م.د. أيسر فاهم وناس/م.م محسن علاوي سالم وزارة التربية/ المديرية العامة لتربية بابل	اشكالية الجدل ما بين المُصنِّمِ والمُصنِّمِ في الفكر والتفكير والفكرة- دراسة تحليلية
214-195	م. خلود عبد الكريم خلف جهة العمل / الجامعة المستنصرية	الدولة العميقة في العراق ما بعد 2003م
	حسين علاء محسن/ م.م محمد غضنفر هادي /	الاحكام الجنائية الصادرة في الجرائم المخلة

249-215	م.م محمد احمد شطب	بالشرف والامانة وعلاقتها بالرابطة الوظيفية (دراسة مقارنة)
264-250	م.م. اوس طارق عبود/ م. د. كرار ماهر كاظم م.م. موج ماجد جابر/ قسم القانون / كلية الكوت الجامعة	الضمانات المقدمة الى المشتري في عقد البيع
275 -265	د.علي حسن هويدي كلية الحكمة الجامعة/ قسم القانون	العراق واستراتيجية التمكن الأقليمي
289 -276	م.م. حازم عبدعون دلي/م.م. ايسر رزاق طلاع علي كاظم عصواد	سيادة القضاء في تطبيق مبادئ القانون الدولي الخاص
354 -290	م.د علاء عبد كطافه/العراق/ مديرية تربية ذي قار دكتوراه علوم سياسية/ سياسة دولية	دور الاصلاح الاقتصادي في مكانة إيران اقليميا
381 -355	د. مهدي صالح لفترة/جامعة ذي قار/ كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم التاريخ	موقف المؤرخون من المختار الثقفي
409 -382	م.م. اعمار سمير مسير جواد جامعة الامام جعفر الصادق (ع) فرع ذي قار	تطبيق النظام المحاسبي اللامركزي في المؤسسات التربوية/ دراسة لاراء عينة من العاملين في تربية ذي قار
422 -410	الباحث : مرتضى صافي نعيمه/الباحثة : نهاد بجلول كاظم مديرية تربية ذي قار	الموقف العربي من حرب الالغاء 1990
442 -423	الباحثة وجدان كارون فريح التميمي الاستاذ الدكتورة طيبة خلف عبد الله الحسين جامعة البصرة / كلية الآداب/ قسم التاريخ	السيطرة الروسية على آسيا الوسطى والموقف الإيراني منها
464 -443	م. د . نعيمة لطيف عبد الله جامعة البصرة / كلية الآداب	معاهدة سيفر ونتائجها وانعكاساتها على البلدان العربية مصر ، العراق ، الاردن ، سوريا ، فلسطين أمودجاً
481 -465	م.د. سينا علي محمود /جامعة الفراهيدي م.م. هند ياسين جاسم/ جامعة الفراهيدي	هجرة الكفاءات وأثارها السياسية والاقتصادية (العراق أمودجاً)
500-482	أ.م. د حسن عبدالمنعم عبد المحسن مركز دراسات البصرة والخليج العربي	القيم الاجتماعية في النص المسرحي الكويتي
530 -501	أ.م.د. حسن عبود علي النخيلة	تجربة القناع في النص المسرحي

	جامعة البصرة - كلية الفنون الجميلة	مأساة بائع الدبس الفقير (انموذجاً)
540 – 531	أحمد علي كاظم السعيد كلية الفنون الجميلة / جامعة القادسية	الاغتراب في رسوم علي طالب
592 – 571	المدرس الدكتور صلاح نعمه عبد العالي جامعة البصرة كلية الفنون الجميلة	الغيرية وتمثلتها في النص المسرحي العراقي المعاصر - نماذج مختارة
613 – 593	د. عادل علاوي النعيمي كلية السلام الجامعة	خطاب كاسنزاني معاصر
634 – 614	أ.م.د. ميثم حاتم وائل احمد خالد جامعة الأديان والمذاهب / كلية الإعلام والعلاقات	صورة المرأة العربية في إعلانات القنوات الفضائية العربية قناة MBC DRAMA انموذجاً
655 – 636	أ.م. خالد ابراهيم احمد الجامعة العراقية كلية التربية / الطارمية	مسائل من علم الوضع بحثها الاصوليون

كلمة العدد

هذا عدد جديد من مجلة كامبريدج يحمل رقم ١٣ سيدخل المكتبة العربية للعلوم والمعارف حيث يضم بين دفتيه بحوث علمية رصينة من مختلف البلدان... بحوث متنوعة تعكس التطور العلمي وترسخ مفهوم البحث وفق التطورات الجديدة.. اذ شهدت مجلتنا مجلة كامبريدج تعاوننا ملموسا من مختلف الجامعات وبالخصوص جامعتي الازهر الشريف والجامعة الاسلامية في لبنان فضلا عن الجامعات العراقية. وهنا لابد لنا من تقديم عبارات الشكر والامتنان لكل من وقف ودعم هذا الانجاز العلمي الذي تكفل بالحصول على معامل التأثير العربي تقديرا لجهود اللجان العلمية ولجان التقييم في مجلتنا الغراء. تلك المجلة التي تضع خدماتها امام كل الباحثين العرب من اجل تحقيق رسالتها السامية نحو بلوغ الاهداف التي من اجلها تأسست وحافظت على هوية افتتاحها. اتمنى للجميع دوام التألق والله الموفق وبه نستعين...

رئيسة مجلس الادارة



معمدة في الترقيات العلمية حسب كتاب وزارة التعليم العالي والبحث
العلمي / دائرة البحث والتطوير الرقم ب ت ٤ / ١١١٧٦ في ٢٧ / ١١ / ٢٠١٩

منهج الحوار الإسلامي في التعامل مع الآخر

م.د. أحمد صباح عارف العاني

الجامعة العراقية/ كلية العلوم الاسلامية

قسم العقيدة والفكر الاسلامي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أنبياء الله أجمعين، عليهم وعلى نبينا أسمى الصلاة وأتم التسليم، وبعد:

فقد خلق الله آدم عليه السلام، وندبه وذريته من بعده إلى عمارة الأرض بمنهج الله: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ (البقرة: 30)، ودعاهم تبارك وتعالى إلى التمسك بهديه الذي أرسل به أنبياءه: ﴿فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (البقرة: 38).

وشاء الله بحكمته البالغة أن يختلف البشر في اتباعهم لأنبياء الله ورسوله، فمنهم شقي وسعيد، وأرسل الله الأنبياء يقيمون حجته على خلقه، يدعونهم إلى دين الله الذي ارتضاه لخلقهم ديناً ليكونوا من السعداء، ويحذرونهم من عصيان أمره حتى لا يكونوا من الأشقياء، ولكن إرسالهم لن يمنع تحقق ما قد سبق في علم الله، فإن أكثر الناس لا يؤمنون ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾ (يوسف: 103).

وأمام هذه السنة الكونية فإن المسلم مطالب بدعوة الآخرين إلى الحق الذي شرح الله به صدره، وهو على يقين بأن هداية الله قد لا تكتب لكثيرين ممن يدعوهم، فلا يمنعه ذلك من بلاغهم: ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾ (الشورى: 48).

وحين يعرض الناس عن دعوة الله ولا يؤمنون بها، فإن المسلم لا يتوقف عن التفاعل مع الآخرين اجتماعياً وحضارياً، رائده في ذلك كتاب ربه، وأسوته نبيه ﷺ، إذ القرآن أمر بالإحسان إلى الوالدين والجار، ولو كانوا على غير دين الإسلام، كما حث على البر وحسن العشرة مع الذين لم يتصدوا لمقاتلة المسلمين والاعتداء عليهم، كما كانت حياته ﷺ نبراساً في التسامح وحسن التعايش مع الآخرين، ممن اختاروا إلههم من العقائد والأديان.

واليوم وقد أصبح العالم قرية صغيرة تتلاقح فيها الثقافات عبر وسائل الإعلام المختلفة، تزداد الحاجة إلى الحوار، وإلى ضرورة تأصيله من الناحية الشرعية، والمسلمون حين يمارسونه هم بأسمى الحاجة إلى معرفة مسوغاته الشرعية وآدابه ومحظوراته.

وإسهاماً منا في هذا الباب نضع بين يدي القارئ الكريم هذا الجهد المتواضع ، والذي نرجو أن يعالج بموضوعية علمية هذه المسألة الشائكة، التي كثر الجدل حولها بين مؤيد مندفع ومعارض متشكك.

وحين نتحدث عن الحوار فإننا لا نقصد بحال من الأحوال الحوار الذي يقوم على وحدة الأديان والتلفيق بينها وصهرها في دين عالمي جديد قائم على الجمع بين المتناقضات، الكفر والإيمان، التوحيد والوثنية، فتلك الدعوة دسيسة تسترت بالحوار ينأى المسلم بنفسه عنها ، كما سنبينه في حينه.

وقد قسمت بحثي هذا الى : مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة وعلى هذا المنوال المقدمة :

المبحث الاول: مفهوم الحوار.

المبحث الثاني: مشروعية الحوار.

المبحث الثالث: قواعد الحوار واصله.

المبحث الرابع: الاسس المنهجية للحوار.

المبحث الخامس: ادب الحوار.

الخاتمة :

والله نسال أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الاول: مفهوم الحوار والفاظ ذات صلة:

١- الحوار لغة : أصله من الحور، وهو الرجوع عن الشيء إلى الشيء.

يقول ابن منظور: " الحور: هو الرجوع عن الشيء إلى الشيء .. والمحاورة: المجاورة، والتحاور التجاوب، والمحاورة: مراجعة المنطق، والكلام في المخاطبة "١.

وقال الراغب الأصفهاني: "المحاورة والحوار: المرادة في الكلام، ومنه التحاور"٢.

وهذه المعاني اللغوية وردت في سياق الآيات الكريمة التي ورد فيها مادة (حور).

قال تعالى: ﴿إنه ظن أن لن يحور﴾ (الانشقاق: ١٤). قال القرطبي : "أي لن يرجع حياً مبعوثاً.. فالحور في كلام العرب الرجوع".

وقال تعالى: ﴿فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً﴾ (الكهف ٣٤). قال

القرطبي: " أي يراجعه في الكلام ويجاوبه، والمحاورة: المجاورة. والتحاور التجاوب"٣.

وقال تعالى: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما﴾ (المجادلة: ١)، قال في الجلالين: "تراجعكما" أي في الكلام.

ورود هذا المعنى أيضاً في غير ما حديث نبوي، من ذلك أن النبي ﷺ كان يستعيز من : ((الْحَوْرُ بَعْدَ الْكَوْرِ)).^٥ قال القرطبي : "يعني من الرجوع إلى النقصان بعد الزيادة".^٦ وقال ﷺ : ((من دعا رجلاً بالكفر أو قال: عدو الله. وليس كذلك، إلا حار عليه))^٧ قال النووي: " رجع عليه ".^٨

ومما سبق تبين أن الحوار في معناه اللغوي هو مراجعة الكلام وتداوله، وهو ما يكون عادة بين شخصين أو بالأحرى بين طرفين أو أكثر.

الحوار اصطلاحاً: لم تبعد تعريفات أهل الاصطلاح للحوار عن المعاني اللغوية السابقة، فقد أكدتها وأضافت إليها بعض المعاني والقيم الأخلاقية التي ينبغي توفرها في الحوار. ومن هذه التعريفات تعريف الدكتور صالح بن حميد، إذ اعتبر الحوار: " مناقشة بين طرفين أو أطراف، يُقصد بها تصحيح كلام، وإظهار حجّة، وإثبات حق، ودفع شبهة، وردُّ الفاسد من القول والرأي ".^٩

وعرفه بسام داود عجك بأنه: "محادثة بين شخصين أو فريقين ، حول موضوع محدد ، لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة ، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر، بعيداً عن الخصومة أو التعصب، بطريقة تعتمد على العلم والعقل ، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة، ولو ظهرت على يد الطرف الآخر".^{١٠}

وهكذا فالمحاورة هي تجاذب الكلام بين المختلفين، وما أضافه العلماء في تعريفه من شروط إنما هي ضوابط أخلاقية يفترض توفرها في الحوار ليكون مثمراً ومجدياً.

٢ - الجدل لغة: من جدَلَ الحبل إذا قتلته، قال ابن منظور: "الجدل: اللد في الخصومة والقدرة عليها.. ويقال: جادلت الرجل فجدلته جدلاً، أي: غلبته. ورجل جدل، إذا كان أقوى في الخصام. وجادله أي: خصمه مجادلة وجدالاً".^{١١} وعن معنى الجدل عند أهل الاصطلاح يقول ابن منظور: "الجدل مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة".^{١٢}

وعرفه الجرجاني بأنه: "القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات، والغرض منه إلزام الخصم، وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان"، كما عرفه أنه: "دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة".^{١٣}

وأما الجويني فيرى أن الجدل: "إظهار المتنازعين مقتضى نظرتهم على التدافع والتنافي بالعبارة أو ما يقوم مقامها من الإشارة والدلالة".^{١٤}

وفي المعجم الوسيط: "طريقة في المناقشة والاستدلال، وهو عند مناطق المسلمين قياس مؤلف من مشهورات أو مسلمات".^{١٥}

وقد ورد إطلاق (الجدل) في نصوص القرآن والسنة على نوعين متباينين:

الأول: الجدل المذموم، وهو الذي يدور في طلب المغالبة لا الحق، أو الذي فيه نوع من الخصومة واللد، ومنه قول الله تعالى: ﴿وقالوا آلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون﴾ (الزخرف: ٥٨)، ومثله قول الله تعالى في ذم جدال الكافرين: ﴿ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد﴾ (غافر: ٤)، وقوله تعالى: ﴿وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق﴾ (غافر: ٥)، وقوله تعالى: ﴿لا جدال في الحج﴾ (البقرة: ١٩٧) قال ابن منظور: "قالوا: معناه لا ينبغي للرجل أن يجادل أخاه، فيخرجه إلى ما لا ينبغي".^{١٦}

وفي الحديث: ((ما ضلَّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل)).^{١٧} والمراد بذلك كله الجدل على الباطل وطلب المغالبة به، لا الجدل بحثاً عن الحق وفي طلبه، فإن ذلك اللون من ألوان الجدل محمود. والثاني: الجدل المحمود، وهو الذي يكون في طلب الحق بالأسلوب الحسن بعيداً عن الخصومة، ومنه قوله عز وجل: ﴿وجادلهم بالتتي هي أحسن﴾ (النحل: ١٢٥). وهو بهذا المعنى مرادف للحوار، قال تعالى واصفاً حديث المرأة إلى النبي ﷺ بالحوار والجدال، فقال: ﴿قد سمع الله قول التي تجادل في زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير﴾ (المجادلة: ١). قال ابن كثير: "وهو يحاوره، أي: يجادله".^{١٨}

وهكذا فالجدال صورة من صور الحوار، وقد أمر بها الله ورسوله، وتجنباً لما قد يكتنفه من اللد في الخصومة فإنهما أمرا بالمجادلة بالتتي هي أحسن، بعيداً عن ضروب الجدل المذموم الذي يفضي إلى الشقاق.

٣ - المناظرة لغة "من النظير، أو من النظر بالبصيرة" كما عند الجرجاني، وقال ابن منظور: "والمنظر والمنظرة: ما نظرت إليه فأعجبك أو ساءك ... النظر: الفكر في الشيء تقدره وتقيسه منك".^{١٩}

أما في الاصطلاح فقد عرفها الجرجاني: "النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشينين إظهاراً للصواب".^{٢٠}

وعرفها ابن منظور: "أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معاً كيف تأتيانه".^{٢١} وقال الزبيدي: "والمناظرة المباحثة والمباراة في النظر واستحضار كل ما يراه ببصيرته".^{٢٢}

قال محمد الأمين الشنقيطي في تعريف المناظرة: "المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق".^{٢٣}

فالمناظرة تفيد النظر والتفكر في الأمور والبحث عن الحق عن طريق المحاوره مع الآخرين.

وحوار المناظرة يكون بين شخصين أو فريقين حول موضوع معين، بغية الوصول إلى تبيان الحق وكشف الباطل، مع توفر الرغبة الصادقة في ظهور الحق والاتصاح له.

المطلب الثاني : حتمية الخلاف

إن التعدد في المخلوقات وتنوعها سنة الله في الكون وناموسه الثابت، فكل شيء في هذا الخلق طبيعته وخصائصه وصفاته التي تقارب غيره أحياناً، وتتأفر عنها في أحيان أخرى، وهكذا فطبيعة الوجود في الكون أساسها التنوع والتعدد.

والإنسانية خلقها الله وفق هذه السنة الكونية، فاختلف البشر إلى أجناس مختلفة وطبائع شتى، وكل من تجاهل وتجاوز أو رفض هذه السنة الماضية لله في خلقه، فقد ناقض الفطرة وأنكر المحسوس.

وقد جاء في القرآن الكريم ذكر بعض صور الاختلاف بين البشر، كاختلاف الألوان واللغات، وهما فرع عن اختلاف الأجناس والقوميات: ﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ﴾ (الروم: ٢٢).

وقد أكدت الآيات أن اختلاف البشر في شرائعهم هو أيضاً واقع بمشيئة الله تعالى ومرتبطة بحكمته، يقول الله: ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً ﴾ (المائدة: ٤٨).

قال ابن كثير: "هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان باعتبار ما بعث الله به رسوله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام المتفقة في التوحيد".^{٢٤} وقال تعالى: ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ﴾ إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴿ (هود: ١١٨ - ١١٩).

قال ابن حزم: "وقد نص تعالى على أن الاختلاف ليس من عنده، ومعنى ذلك أنه تعالى لم يرض به، وإنما أرادته تعالى إرادة كون، كما أراد الكفر وسائر المعاصي".^{٢٥}

قال القرطبي: "﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ﴾ قال سعيد بن جبیر: على ملة الإسلام وحدها.. ﴿ ولا يزالون مختلفين ﴾ أي: ١ على أديان شتى قاله مجاهد وقتادة".^{٢٦}

وقال ابن كثير: "﴿ ولا يزالون مختلفين ﴾ إلا من رحم ربك ﴿ أي: ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات ملهم ونحلهم ومذاهبهم وأرائهم .. قال الحسن البصري:

الناس مختلفون على أديان شتى إلا من رحم ربك، فمن رحم ربك غير مختلف".^{٢٧}

ويقول الفخر الرازي: " والمراد اختلاف الناس في الأديان والأخلاق والأفعال".^{٢٨}

بل يرى الحسن البصري ومقاتل وعطاء وغيرهم من المفسرين أن الله خلق الناس ليختلفوا، وذلك لقوله: ﴿ ولا يزالون مختلفين ﴾ إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾ (هود: ١١٨ - ١١٩).

وذهب آخرون من المفسرين ومنهم ابن عباس ومجاهد وقتادة إلى أن اسم الإشارة يعود إلى الرحمة، أي: خلقهم ليرحمهم.

وذهب ابن جرير الطبري وابن كثير وغيرهما إلى عود الإشارة إلى الإثنين معاً، أي: خلقهم ليختلفوا، وليرحم من سلك الصراط المستقيم.^{٢٩}

يقول ابن سعدي: " يخبر الله تعالى أنه لو شاء لجعل الناس أمة واحدة على الدين الإسلامي، فإن مشيئته غير قاصرة، ولا يمتنع عليه شيء، ولكنه اقتضت حكمته أن لا يزالوا مختلفين، مخالفين للصراط المستقيم، متبعين للسبيل الموصلة إلى النار..".

وعن قوله سبحانه: ﴿ ولذلك خلقهم ﴾ قال: "أي اقتضت حكمته، أنه خلقهم ليكون منهم السعداء [و]الأشقياء، والمتفوقون والمختلفون، والفريق الذي هدى الله، والفريق الذي حقت عليهم الضلالة، ليتبين للعباد عدله وحكمته، وليظهر ما كمن في الطباع البشرية من الخير والشر..".^{٣٠}

وفي معنى الآية يقول محمد رشيد رضا: " (لو شاء ربك) أيها الرسول الحريص على إيمان قومه الأسف على إعراض أكثرهم عن إجابة دعوته واتباع هدايته ﴿ لجعل الناس أمة واحدة ﴾ على دين واحد بمقتضى الغريزة والفطرة، لا رأي لهم فيه ولا اختيار، وإذا لما كانوا هم هذا النوع من الخلق المسمى البشر وبنوع الإنسان، بل كانوا في حياتهم الاجتماعية كالنحل أو كالنمل، وفي حياتهم الروحية كالملائكة مطورين على اعتقاد الحقّ وطاعة الله عز وجل، فلا يقع بينهم اختلاف. ولكنه خلقهم بمقتضى حكمته كاسبين للعلم لا ملهمين. وعاملين بالاختيار".^{٣١}

ولما كان الاختلاف والتعدد آية من آيات الله، فإن الذي يسعى لإلغاء هذا التعدد كلية، فإنما يروم محالاً ويطلب ممتنعاً، لذا كان لابد من الاعتراف بالاختلاف.

والاعتراف بوقوع هذا الخلاف لا يعني إقرار هذه الاختلافات ولا تسويغ الاختلاف فيها، لكنه يفرض على أهل الحق أن يتصدوا لهداية من قدروا على هدايته من المختلفين عنهم، مع يقينهم بالعجز عن إنقاذ الكثيرين ممن اختار العمياء، قال تعالى: ﴿ أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً ﴾ (الرعد: ٣١).

قال القرطبي: " والمعنى على هذا: أفلم يعلم الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً أن يشاهدوا الآيات ".^{٣٢}

وعليه فإن هداية الجميع من المحال، فإن أكثر الناس لا يعلمون الحق، وأكثرهم لا يؤمنون به إن علموا به، وواجب الدعاة الدأب في دعوتهم وطلب أسباب هدايتهم، أي بذل الجهد في إزالة الخلاف ورفعاه.

فإن أعرض من أعرض عن الإسلام فاتما أمر الله المسلمين بإبلاغ رسالاته في الدنيا، والله يتولى حساب المعرضين في الآخرة، قال الله مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿فإن تولوا فاتما عليك البلاغ﴾ (النحل: ٨٢).

قال القرطبي: " فإن تولوا أي أعرضوا عن النظر والاستدلال والإيمان؛ فاتما عليك البلاغ، أي ليس عليك إلا التبليغ، وأما الهداية فإلينا"^{٣٣}.
وقال تعالى: ﴿فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فاتما عليك البلاغ والله بصير بالعباد﴾ (آل عمران: ٢٠).

قال الطبري: " وإن أدبروا معرضين عما تدعوهم إليه من الإسلام وإخلاص التوحيد لله رب العالمين، فاتما أنت رسول مبلغ، وليس عليك غير إبلاغ الرسالة إلى من أرسلتك إليه من خلقي وأداء ما كلفتك من طاعتي، ﴿والله بصير بالعباد﴾ يعني بذلك: والله ذو علم بمن يقبل من عباده ما أرسلتك به إليه، فيطيعك بالإسلام، وبمن يتولى منهم عنه معرضاً فيرد عليك ما أرسلتك به إليه، فيعصيك بإبائه الإسلام"^{٣٤}.

قال الشوكاني في سياق شرحه لقول الله تعالى: ﴿فاتما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾ (الرعد: ٤٠): " أي: فليس عليك إلا تبليغ أحكام الرسالة، ولا يلزمك حصول الإجابة منهم، لما بلّغته إليهم، ﴿وعلينا الحساب﴾ أي: محاسبتهم بأعمالهم ومجازاتهم عليها، وليس ذلك عليك.

وهذا تسلية من الله سبحانه لرسوله ﷺ، وإخبار له أنه قد فعل ما أمره الله به، وليس عليه غيره، وأن من لم يجب دعوته ويصدق نبوته، فالله سبحانه محاسبه على ما اجترم واجترأ عليه من ذلك"^{٣٥}.

وقال تعالى: ﴿فذكر إنما أنت مذكر ﴿٢١﴾ لست عليهم بمسيطر﴾ (الغاشية: ٢١-٢٢).
قال الطبري: " يقول: لست عليهم بمسلط، ولا أنت بجبار تحملهم على ما تريد، يقول: كلهم إليّ، ودعمهم وحكمي فيهم..."^{٣٦}.

قال ابن كثير: " ﴿فإن أعرضوا﴾ يعني المشركين ﴿فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾ (الشورى: ٤٨) أي: ﴿لست عليهم بمسيطر﴾ (الغاشية: ٢٢)، وقال عز وجل: ﴿ليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء﴾ (البقرة: ٢٧٢)، وقال تعالى: ﴿فاتما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾ (الرعد: ٤٠)، وقال جل وعلا في آية الشورى: ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾ (الشورى: ٤٨) أي: إنما كلفناك أن تبلغهم رسالة الله إليهم"^{٣٧}.

فالإسلام - كما رأينا - يعترف بوجود الاختلاف وعدم إمكانية جمع الناس على دين واحد، ويطلب من الدعاة ورثة الأنبياء القيام بواجب البلاغ في الدنيا واستفراغ الوسع في الإرشاد والنصح للعالمين، ثم الله يتولى - بحكمه وعدله - يوم القيامة حساب المعاندين وجزاء المؤمنين.

المطلب الثالث : الحوار ضرورة حياتية:

وينضم إلى الأدلة الشرعية من الكتاب العزيز والسيرة النبوية ضرورة الحوار الواقعية والتمثلة في جملة من الأمور ؛ منها:

• ما يعيشه العالم اليوم من ثروة هائلة في وسائل الاتصالات، وتدفق المعلومات، اختفت فيها الحدود، وتعذر عندها الاعتزال، فلا مجال للهروب منها، بل لا بد من الحوار حولها، والعمل المشترك على توظيفها في خدمة الإنسانية ومواجهة تداعياتها السلبية.

• أن الحوار وسيلة حياة، تدرك قيمتها عند تصور حياة إنسان في سجن انفرادي لا يحاور أحدا ولا يحاوره أحد، ولا يخفى أن الإنسان مدني بالطبع.

أن الحوار من الوسائل الأساسية للحفاظ على الحضارات ونقلها عبر العصور. قال الشاعر: "الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم" ثانيا:

المبحث الثاني: مشروعية الحوار .

الحوار مع الآخر من الأمور التي تدعو إليها النصوص الشرعية، والضرورات الحياتية. ١- النصوص الشرعية:

لما بلغت البشرية نضجها العقلي، وحققت وعيها الروحي والذوقي جاء القرآن الكريم بتمثله العليا وقيمه الإنسانية التي تولي الحوار أهمية كبرى، تظهر في اتساع دائرة الحوار، وشموله لما لا يحصى من المسائل؛ فهناك: محاورات بين الخالق ﷻ وبين مخلوقاته من الرسل الكرام -عليهم السلام- والملائكة المقربين، والشيطان الرجيم... وتناولت هذه المحاورات العديد من القضايا مثل: القرآن الكريم، اليوم الآخر...

وهناك محاورات بين الرسل -عليهم السلام- وأقوامهم، أو بين الأخيار والأشرار... وهناك محاورات مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومع مشركي العرب.

وإذا خاطب القرآن هذه الفئات الموجودة يومها، فإنه يعني مخاطبة أية فئة جديدة توجد عبر التاريخ مهما تنوعت مقولاتها الفكرية ليبرهن على مقدرة العقل الإسلامي لمواجهة أي فكر مستجد.

ومن الآيات الصريحة في الدعوة إلى الحوار:

• قول الله ﷻ: **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۗ** **إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَاللَّهُنَّ وَاللَّهُمُ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** (العنكبوت: من الآية ٤٦) ولا شك أن محاوراة أهل الكتاب بالتي هي أحسن تعكس نتائج طيبة في التبادل الفكري، والتفاعل الاجتماعي والحضاري والإنساني.

فهذه الآية أعم من الأولى في المحاوراة، فهي تنظر إلى الإنسان من حيث هو إنسان نظرة التقدير والاحترام حتى ولو كان مشركا، أو وثنيا. ولعل ما ورد من ذكر أهل الكتاب في الآية السابقة إنما هو من باب التخصيص لأهل الكتاب وأتباع الأنبياء -عليهم السلام- بالتحلي بأفضل آداب الجدل وأحسنها عند كل لقاء معهم وحوار.

• وقوله ﷺ: وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ..البقرة: (111) أي هاتوا حججتكم وبينتكم التي تثبت صحة كلامكم.

• وقوله تعالى (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ { (سبأ: 24) هذه الآية تفتح أبواب الحوار مع المسلمين وغيرهم على مصراعيه، دون أن يعني ذلك أن القرآن قد اعترف بأن ما عند الآخر غير المسلم هو حق، أو أن دينهم مساو للدين الإسلامي³⁸.

وتمشيا مع المبادئ الإسلامية الداعية إلى الحرية الكاملة في تكوين القناعات ينضم إلى الآيات السابقة التي تدعو إلى الحوار وتبين آدابه ما كان بين رسول الله ﷺ وصحابته من محاورات ومساجلات فكرية، كما كانت بينه وبين قومه محاورات ترويهنا لنا كتب السنن والسير؛ فقد بعث المشركون عتبة بن ربيعة ليعرض على رسول الله ﷺ أمورا لعله يقبل بعضها، فقال له الرسول ﷺ: قل يا أبا الوليد، أسمع... حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال: أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم. قال: فاسمع مني. قال: أفعل. فقال: بسم الله الرحمن الرحيم. حم. تنزيل (1-5 فصلت) إلى السجدة فسجد، ثم قال: لقد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك³⁹.

المبحث الثالث: قواعد الحوار وأصوله .
للحوار في الفكر الإسلامي قواعد وأصول وأسس لا بد لأطراف الحوار على اختلاف أنواعه من الانطلاق منها والاعتماد عليها. ولعل من أبرز هذه القواعد والأصول مما يناسب مقامنا هذا ما يلي:
أولاً: إخلاص النية لله تعالى:

وحقيقة الإخلاص ألا يبتغي المحاور من حوارهِ مع الآخر إلا وجه الله تعالى وابتغاء مرضاته وطلب حسن مثوبته، وبيان الحق والذب عنه، ودلالة الناس إلى الهدى وتثبيتهم عليه. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "لا بد من حسن النية، فلو تكلم بحق لقصد العلو في الأرض أو الفساد كان بمنزلة الذي يقاتل حمية ورياء. وإن تكلم لأجل الله تعالى مخلصاً له الدين كان من المجاهدين في سبيل الله ومن ورثة الأنبياء خلفاء الرسل"⁽⁴⁰⁾.

وإن مما يقدح في الإخلاص وينافيه: الرياء والسمعة وطلب الشهرة والتعصب للرأي، والرغبة في العلو والانتصار.

وقد ضرب الأنبياء والرسل عليهم السلام أروع الأمثلة في إخلاص دعوتهم لله في حوارهم مع أقوامهم، فهذا نوح مثلاً يقول: {يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ} (٤١)، وهذا صالح يقول: {وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ} (٤٢). وهذا شعيب يقول: {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَنهَأَكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتِطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} (٤٣).

ثانياً: العلم:

يعد العلم من القواعد والمقومات الأساسية للحوار، ومن أهم أسباب نجاحه. وبدونه يصبح الحوار هدراً للوقت وضياعاً للجهد. والعلم المقصود هو العلم بموضوع الحوار ومسائله، والقدرة على النظر والموازنة والاستنباط والاستدلال والترجيح بين الأدلة المختلفة.

ولا يجوز الخوض في الحوار قبل استكمال أدواته العلمية والعقلية، وذلك لأن العلم هو الوسيلة الصحيحة للتفكير السليم؛ ومن ثم الوصول إلى الحق. ولذا ذم الله سبحانه الذين يجادلون في الله بغير علم، فقال جل وعلا: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ} (٤٤)، كما أنكر سبحانه على أهل الكتاب محاجتهم بدون علم، حيث يقول: {هَآأَنْتُمْ هُوَآءَ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (٤٥)، يقول القرطبي: " في الآية دليل على المنع من الجدل لمن لا علم له" (٤٦).

فلا يصلح أي إنسان للحوار حتى وإن كان صاحب حق، فإنه ربما حاور بهدف نصر الحق فيخذل الحق؛ لضعف علمه وبصيرته، وربما حاور بجهل فيقتنع بالباطل الذي مع خصمه، وربما احتج بحجج باطلة، مثلما يحدث في بعض المناظرات والمحاورات التي تعقد في الآونة الأخيرة، فلا يفتنع الناس بالحق الذي معه.

ومن هذا الباب جاء نهى السلف الصالح عن مناظرة المبتدعة؛ لنلا يناظرهم من ليس قادراً على إفحامهم وإظهار الحجة عليهم. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " وقد ينهون عن المجادلة والمناظرة إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة، فيخاف عليه أن يفسده ذلك المضل، كما ينهى الضعيف في المقاتلة أن يقاتل علجاً قوياً من علوج الكفار، فإن ذلك يضره ويضر المسلمين بلا منفعة" (٤٧).

فمن الخطأ بمكان أن يتصدى للدفاع عن الحق من لا يعرف الحق أو لا يجيد الدفاع عن الحق. كما أن الجاهل بالشيء ليس كفواً للعالم به. ومن لا يعلم لا يجوز أن يناظر من يعلم، وقد قرر هذه الحقيقة إبراهيم عليه السلام في محاجته لأبيه، حين قال {يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا} (٤٨). ومن غير المقبول أن

يقوم غير مختص ليعترض على مختص فيخطئه ويُغلّطه، والواجب على من لا يعلم أن يسأل ويتفهم، لا أن يعترض ويجادل بغير علم.
ثالثاً: الاعتراف بالآخر واحترامه:

إن المنطلق الصحيح في إجراء أي حوار مع الغير هو الاعتراف بهذا الغير واحترامه وقبوله كما هو؛ ومن ثم قبول الاختلاف معه.

فهذا الاختلاف في منظور الإسلام إنما هو من آيات الله سبحانه الدالة على مشيئته وقدرته وحكمته، حيث يقول تعالى لَمَنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتَلَفَ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ { (٤٩) }،،

إلا أن هذا الاختلاف ينبغي أن لا ينسي المختلفين أنهم من نفس واحدة هي آدم عليه السلام، يقول تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا { (٥٠) }، ويقول النبي ﷺ: " إنما أنتم ولد آدم" (٥١). كما ينبغي أن لا ينسيهم أن الله كرم الإنسان من حيث هو إنسان، وأن لا ينسيهم ما هم مطالبون به من تعارف وتعاون على الخير، يقول عز وجل: وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ {المائدة (٥٢)}،

ولكي يتحقق هذا التعاون والتعارف ورد الحث في القرآن الكريم على الاعتراف بالآخر واحترامه، يقول عز وجل: وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ

بآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٥٣)، ويقول عن أهل الكتاب: لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَّيْنَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ {٨٢} وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فأكتبنا مع الشاهدين {٨٣} (٥٤).

واحترام الطرف الآخر في الحوار يعني كذلك عدم السخرية منه والاستهزاء به والظعن فيه. يقول تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّغَابِ بِئْسَ الْأِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٥)، وهو موقف ينبغي التزامه حتى مع المخالف في الدين، امتثالاً لقوله عز وجل: وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ آمَةٍ عَلَيْهِمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٥٦) (٥٧).

رابعاً: التجرد لطلب الحق:

التجرد لطلب الحق منطلق أساس من منطلقات الحوار في الفكر الإسلامي، ويقصد به استهداف الحق والسعي الجاد إلى الوصول إلى الحقيقة بوصفها ضالة المؤمن، كما جاء في الحديث النبوي: " الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها"^(٥٨). ويقتضي ذلك من المحاور اجتناب التعصب لوجهة نظر مسبقة والتمسك بفكرة أو قناعة يرفض نقضها أو مخالفتها، فإن هذا التعصب يتنافى كلية مع طبيعة الحوار السليم التي تعني الانفتاح على الآخر وتبادل الأفكار وتداول الطروحات معه.

إن طبيعة الحوار المنشود تقتضي من طرفي الحوار الاستعداد التام للكشف عن الحقيقة والأخذ بها تبنياً وتطبيقاً عند ظهورها، ولقد أرشدنا القرآن الكريم إلى الأخذ بهذا المبدأ عندما وجه الله سبحانه رسوله ﷺ بأن يقول للمشركين في محاورته لهم قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين^(٥٩)، وفي هذا غاية الابتعاد عن التعصب لفكرة سابقة، وكمال الرغبة في البحث عن الحقيقة أنى كانت ومن أين صدرت^(٦٠).

وينبغي أن يكون المحاور في طلب الحق - كما يقول أبو حامد الغزالي:- " كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقه معيناً لا خصماً، ويشكره إذا عرفه الخطأ أو أظهر له الحق"^(٦١). وقد تمثل ذلك الإمام الشافعي رحمه الله في مناظراته، حيث نراه يقول: " ما ناظرت أحداً فأحببت أن يخطئ"^(٦٢)، ويقول أيضاً: " ما كلمت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان، وما كلمت أحداً قط إلا ولم أبال بين الله الحق على لساني أو لسانه"^(٦٣). ويعلق الحافظ ابن رجب الحنبلي على كلام الإمام الشافعي هذا بقوله: " وهذا يدل على أنه لم يكن له قصد إلا في ظهور الحق ولو كان على لسان غيره ممن يناظره أو يخالفه، ومن كانت هذه حاله فإنه لا يكره أن يرد عليه قوله"^(٦٤).
خامساً: تحديد موضوع الحوار وهدفه:

موضوع الحوار هو جوهر عملية الحوار ولبها، لذا لا بد من الاتفاق من قبل الأطراف المتحاورة على موضوع محدد أو قضية محددة يدور حولها الحوار والنقاش، فإن ذلك يُعدُّ عاملاً مهماً من عوامل نجاح هذا الحوار وجني ثمراته الطيبة. وافتقاد هذا التحديد يؤدي إلى بعثرة الأفكار المطروحة وضبابيتها وعدم وضوحها، ويحول الحوار إلى لجاج وجدل عقيم لا يجدي نفعاً ولا يحقق كسباً.

" وقد يختلف المتحاوران في مسائل عديدة وليس على مسألة واحدة، ثم يحدث الحوار بين الطرفين في مسائل الخلاف مجتمعة في آن واحد، فينتقل الحوار من مسألة إلى أخرى بدون أن يُنفق على المسألة الأولى، فيتشعب الحوار ويطول في أمور فرعية بعيدة عن موضوع المحاور، فيكون عائماً لا زمام له، ولا شك أن الاستمرار بهذه الطريقة يعتبر تبديداً للجهود وإضاعة للوقت، خاصة وأن بعض المتحاورين يلجأ إلى الهروب والمراوغة، فإذا وجد أن الطرف الآخر أظهر عليه الحجة فرَّ إلى جزئية أخرى وتشبث

بها، أو تعلق بمسائل جانبية طرحها الطرف الآخر بعيدة عن مجال الخلاف أو بمسائل ذات أثر محدود في القضية المتحاور عليها.

والمنهج العلمي في الحوار يقتضي تحديد نقاط الاختلاف بين المتحاورين بدقة، ثم ترتب في سلم المحاوراة الواحدة بعد الأخرى، يبدأ بالأهم فالمهم، فينتقل الحوار من الأصول إلى الفروع، ومن الكليات إلى الجزئيات بتناسق علمي مطرد، فليس من الصواب أن تناقش الفروع قبل الاتفاق على الأصول^(٦٥).

يقول الربيع بن سليمان المرادي صاحب الإمام الشافعي رحمهما الله: " كان الشافعي إذا ناظره إنسان في مسألة فغدا إلى غيرها يقول: نفرغ من هذه المسألة ثم نصير إلى ما تريد"^(٦٦).

سادساً: الاتفاق على أصول مرجعية للحوار:

من المؤكد أنه لا يستقيم أي حوار بين طرفين لا يستند إلى مرجعية واحدة معتمدة يكفل الاستناد إلى مسلماتها حسم الخلافات وضبط الحوار وتوجيهه الوجهة الصحيحة.

وإذا كانت أطراف الحوار تنتمي إلى الإسلام فينبغي اتخاذ النص الشرعي أصلاً مرجعياً معتمداً للحوار بين هذه الأطراف استجابة لأمر الله تعالى في قوله:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا^(٦٧)

فالرد إلى الكتاب والسنة النبوية الصحيحة هو الذي يدرأ النزاع ويقطع دابر الخصومة، فبهما يُعرف مراد الله ومراد رسوله ﷺ. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " فإذا

تنازع المسلمون في مسألة وجب رد ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول، فأي القولين دل عليه الكتاب والسنة وجب اتباعه"^(٦٨).

ويقول الإمام الشاطبي: " إن الخصمين إما أن يتفقا على أصل يرجعان إليه أم لا، فإن لم

يتفقا على شيء لم يقع بمناظرتهم فائدة بحال، وإذا كانت الدعوى لابد لها من دليل، وكان الدليل عند الخصم متنازعا فيه، فليس عنده بدليل، فصار الإتيان به عبثاً لا يفيد

فائدة ولا يحصل مقصوداً. ومقصود المناظرة: رد الخصم إلى الصواب بطريق يعرفه، لأن رده بغير ما يعرفه من باب تكليف ما لا يطاق، فلا بد من رجوعهما إلى دليل يعرفه

الخصم السائل معرفة الخصم المستدل. وعلى ذلك دل قوله تعالى(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)^(٦٩)، لأن الكتاب

والسنة لا خلاف فيهما عند أهل الإسلام، وهما الدليل والأصل المرجوع إليه في مسائل التنازع"^(٧٠).

وأما إذا كان أحد طرفي الحوار من غير المسلمين، فينبغي الاتفاق على مرجعية معتمدة ومعترف بها من قبل الطرفين، كالقواعد الدينية السماوية العامة، والأسس الحضارية

المشتركة، والقيم والمثل الإنسانية العليا، وقواعد العقل البشري السليم، والثوابت والمُسَلَّمات، ونحو ذلك من المرجعيات الكبرى المعتمدة لدى مختلف الأديان والفئات والأجناس البشرية التي يُعرف بها الحق من الباطل والراجح من المرجوح والفاضل من المفضول. وما لم تتوفر هذه الأصول المرجعية فإن الحوار سيسير في دائرة مغلقة تطول ولا تصل إلى نهاية.

سابعاً: الانطلاق في الحوار من نقاط الاتفاق:

ينبغي ألا يبدأ الحوار بنقاط أو جزئيات مختلف فيها بين الطرفين، بل بنقاط متفق عليها أو قواعد مسلمة أو بديهية، ثم يُتدرج منها إلى ما يشبهها أو يقاربها، ثم منها إلى مواضع الخلاف، فإن ذلك أدعى إلى تقريب الشُّقَّة، وأحرى إلى تحقيق الوفاق والتوصل إلى نتائج سليمة يرتضيها الطرفان.

وهذا هو منهج القرآن الكريم، فلقد حاول بشتى الوسائل الانطلاق في حوارهِ مع الآخر من أرضية مشتركة يتفقان عليها. ومن ذلك على سبيل المثال: قوله تعالى (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَعُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (٧١). يقول الشيخ محمد عبده في تفسيره لهذه الآية: " المعنى أننا نحن وإياكم على اعتقاد أن العالم من صنع إله واحد، والتصرف فيه لإله واحد، وهو خالقه ومدبره، وهو الذي يُعرفنا على السنة أنبيائه ما يرضيه من العمل وما لا يرضيه، فتعالوا بنا نتفق على إقامة هذه الأصول المتفق عليها ورفض الشبهات التي تعرض لها، حتى إذا سلمنا أن فيما جاءكم من نبي المسيح شيئاً فيه لفظ ابن الله خرجناه جميعاً على وجه لا ينقض الأصل الثابت العام الذي اتفق عليه الأنبياء، فإن سلمنا أن المسيح قال إنه ابن الله، قلنا هل فسر هذا القول بأنه إله يعبد؟، وهل دعا إلى عبادته وعبادة أمه؟، أم كان يدعو إلى عبادة الله وحده؟، لا شك أنكم متفقون معنا على أنه كان يدعو إلى عبادة الله وحده والإخلاص له بالتصريح الذي لا يقبل التأويل" (٧٢).

ثامناً: عدم التناقض:

والمقصود به سلامة دعوى المحاور ودليله من التعارض، وألا يكون بعض كلامه ينقض البعض الآخر، فإن كان كذلك كان كلامه ساقطاً بدهاء وفكرته لاغية، ذلك أن التناقض في الأفكار والتباين في طرحها يجعل تلك الأفكار متهافة لا يلتفت إليها، وبعيدة عن منطق الحق والموضوعية العلمية.

ومن أمثلة التناقض في الدعوى: ما حكاه القرآن الكريم على لسان كفار قريش في قولهم عن الآيات التي جاء بها النبي محمد ﷺ بأنها سحر مستمر، ففي قولهم هذا تعارض وتناقض واضح لا يستحق رداً ولا يحتاج مناقشة، فهو ساقط علمياً، لأن من شأن الأمور المستمرة أن لا تكون سحراً، أما أن يكون الشيء سحراً ومستمرًا معاً في وقت واحد

فذلك جمع بين متضادين لا يجتمعان. ومثل ذلك أيضاً وصف فرعون لموسى عليه السلام لما جاء بالحجج الدامغة والآيات الباهرة ، وهو وصف يتضمن أمرين متناقضين لا يجتمعان؛ هما السحر والجنون، لأن الشأن في الساحر العقل والذكاء والفتنة، أما المجنون فلا عقل معه البتة، وهذا من فرعون تهافت وتناقض بين^(٧٣).
تاسعاً: سلوك الطرق العلمية والتزامها:
ومن هذه الطرق:

١- تقديم الأدلة المثبتة أو المرجحة للدعوى.

٢- صحة تقديم النقل في الأمور المنقولة.

وفي هذين الطريقتين جاءت القاعدة الحوارية المشهورة: (إن كنت ناقلاً فالصحة، وإن كنت مدعياً فالدليل). وجاء في التنزيل قوله تعالى: (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)^(٧٤)، وقوله: مِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ^{(٧٥)(٧٦)}.

المبحث الرابع: الأسس المنهجية للتعامل مع الآخر :

للتعامل مع الآخر أسسه المنهجية التي تحكمه وتضبطه وهي :

الأساس الأول: تحديد مجال التعامل ونطاقه.

لا بد أن يكون مجال التعامل ونطاقه محددين واضحين، ليتسنى لكل من المتعاملين العمل في خطى واضحة بينه مستنيرة، ذلك أن عدم وضوح مجال التعامل ونطاقه من شأنه إضاعة الوقت دون طائل وتبديد الطاقة دون فائدة، وعلى العكس من ذلك كلما اتضح مجال التعامل ونطاقه وتحدد معالمه كان ذلك ادعى إلى استغلال الوقت والجهد لأن كلا المتعاملين يعلم مجال تعامله فيصرف جهده إليه ويعلم المواطن التي ليست محلاً لتعامله فلا يصرّف جهده إليها.

الأساس الثاني: تحديد آليات التعامل

يقصد بآليات التعامل: مجمل الإجراءات التنظيمية التي تساعد على بلوغ التعامل إلى مسعاه النهائي، وهذه الإجراءات والأدوات يجب أن تكون واضحة ومحددة من خلال الآتي: (٧٧)

١. ضرورة التأكد من صحة المعلومات الواردة في التعامل.
٢. ضرورة مناقشة القضايا الواردة في التعامل دون أن يكون في الذهن قرار مسبق أو حكم ثابت أو موقف صارم.
٣. ضرورة الاستئناس بذوي الخبرة والمختصين الذين لهم علاقة بموضوع التعامل.
٤. استخدام المناهج العلمية والمنطقية أثناء التعامل من خلال التفكير والتحليل والاستنباط، ليكون التعامل عقلياً ورشيداً.

٥. ترتيب عناصر التعامل خطوة خطوة، ابتداء بالمبادئ الجزئية وصولاً إلى الكليات والنتائج الكبرى، التي هي هدف التعامل وغاياته.

الأساس الثالث: استناد التعامل إلى معايير يؤمن بها المتعاملان، فإذا كان التعامل بين مؤمنين وملحدين كان المعيار هو العقل والحقائق العلمية المتفق على التسليم بها، وإذا كان بين مؤمنين بوجود الخالق أضيف هذا إلى تلك المعايير، وأضيف إليه أيضاً المحاكمة إلى حقائق دينية يؤمن بها كل من الفريقين، وإذا كان بين منتسبين إلى دين واحد كالإسلام مثلاً كانت المعايير مراجع دينهم الذي به يؤمنون^(٧٨).

الأساس الرابع: تحديد الغاية من التعامل لا بد من تحديد الغاية من التعامل، إذ بدون تحديد أهداف ومرامي التعامل لن يصل المتعاملون إلى غايات مرجوة، فتحديد القضايا والأهداف يشكل مدخلاً هاماً لا يحيد عنه طرف من الأطراف، لنلا يكون التعامل دائراً في حلقة مفرغة^(٧٩).

الأساس الخامس: العدل والموضوعية وهما ركيزتان أساسيتان في التعامل مع الآخر، "ففي ظل فقدان العدالة والموضوعية، وغياب المعايير والمقاييس المنضبطة تصبح النظرة الجائرة والأحكام المسبقة في المقياس في التعامل مع الآخر. فعلى سبيل المثال فإن الغرب مع بعض الاستثناء يتبنى مواقف معادية للنهوض الإسلامي، وألغى العدالة والإنصاف في سياساته، واحتلت الأحكام المسبقة القائمة على الاتهام، والتوجس، وعدم اتخاذ موافق عادلة تجاه قضاياها المختلفة^(٨٠)".

الأساس السادس: الاحترام المتبادل على المتعاملين أن يتقيدوا فيما بينهم بحسن الخطاب والتزام القول الحسن وتجنب الازدراء والتسفيه، ذلك أن احترام الآخرين من الأمور الإيجابية التي تسهم في إنجاح التعامل والارتفاع به إلى آفاق متقدمة. وهذه الآداب الإيجابية لها من الآثار الطيبة التي تسهم في بلورة معطيات وأسس ناجحة للتعامل يتسم بالانفتاح والقبول لدى كل الأطراف، وهذا الأسلوب أيضاً في اللين والقول الحسن يتجلى في التأدب والصبر والحلم والتودد والنصح والهدوء والرفق في غير علو ولا عناد ولا تعصب ولا تشدد ولا تنطع ولا تطاول ولا كبر وغيرها من الأساليب والطرق الحكيمة في آداب التعامل.

المبحث الخامس: ادب الحوار مع الآخر.

لن يجد المتأمل في آيات القرآن وهدى سيد الأنام كبير صعوبة في التوصل إلى آداب الحوار وأخلاقياته، فالقرآن أوضح بجلاء ما ينبغي على المسلم أن يتصف به وهو يحاور غير المسلمين، بينما كان هدى النبي ﷺ ترجمان ذلك ومصداقه. والآداب في هذا الباب كثيرة، منها:

١- قولوا للناس حسناً:

لما كان الحوار وسيلة من وسائل الدعوة والتعريف بالإسلام، توجب على الدعاة أن يتخلقوا حال دعوتهم بأخلاق الإسلام، ويجتنبوا السوء من القول، ويلتزموا الحسن منه، قال الله تعالى: ﴿وقولوا للناس حسناً﴾ (البقرة: ٨٣).

قال القرطبي: " وهذا كله حض على مكارم الأخلاق، فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس ليناً، ووجهه منبسطاً طلقاً مع البر والفاجر والسني والمبتدع مدهنة، أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضي مذهبه، لأن الله تعالى قال لموسى وهارون: ﴿فقولا له قولاً ليناً﴾ (طه: ٤٤)، فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون، والفاجر ليس بأخبث من فرعون، وقد أمرهما الله تعالى باللين معه.

وقال طلحة بن عمر: قلت لعطاء: إنك رجل يجتمع عندك ناس ذوو أهواء مختلفة، وأنا رجل في حدة، فأقول لهم بعض القول الغليظ. فقال: لا تفعل، يقول الله تعالى: ﴿وقولوا للناس حسناً﴾ فدخل في هذه الآية اليهود والنصارى ^{٨١}.

وقال الحسن: "لين القول من الأدب الحسن الجميل والخلق الكريم، وهو مما ارتضاه الله، وأحبه... قال عطاء بن أبي رباح: من لقيت من الناس فقل له حسناً من القول ^{٨٢}."

ويأمر الله عباده أن يقولوا التي هي أحسن: ﴿قل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم﴾ (الإسراء: ٥٣). قال القرطبي: "نزلت في عمر بن الخطاب، وذلك أن رجلاً من العرب شتمه وسبه، وهم بقتله، فكادت تثير فتنة، فأنزل الله تعالى فيه ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن﴾ ^{٨٣}."

قال الحسن: "هو أن يقول للكافر إذا تشطط: هداك الله، يرحمك الله.. وعلى هذا تكون الآية عامة في المؤمن والكافر، أي قل للجميع ^{٨٤}."

قال ابن كثير: "﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾، أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب.. فأمر تعالى بلين الجانب كما أمر به موسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون في قوله: ﴿فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى﴾ وقوله: ﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله﴾ (النحل: ١٢٥) الآية، أي قد علم الشقي ^{٨٥}."

ويلفت ابن تيمية النظر إلى أن الله قال: ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ (النحل : ١٢٥)، فطلب الجدل بالتي هي أحسن، "ولم يقل بالحسنة كما قال في الموعظة، لأن الجدل فيه مدافعة ومغاضبة، فيحتاج أن يكون بالتي هي أحسن، حتى يصلح ما فيه من الممانعة والمدافعة"^{٨٦}.

قال الشوكاني في تبيان معنى الحكمة: "أي بالمقالة المحكمة الصحيحة"، بينما فسّر الموعظة بأنها تلك "التي يستحسنها السامع، وتكون في نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع بها"^{٨٧}.

وإن من الحكمة والموعظة الحسنة أن لا نجبه من ندعوه بقولنا: يا كافر. في باب العيب واللمز، وإن كنا لا نشك في كفره يقول نظام الحنفي: "لو قال ليهودي أو مجوسي: يا كافر. يآثم إن شق عليه"^{٨٨}، وذلك الإثم يلحق صاحبه لهجره الحكمة في الدعوة والتي هي أحسن في البلاغ.

٢- مقابلة الإساءة بالإحسان:

لا ريب أن اختلاف العقائد يورث الضغائن، وقد يصدر من اللسان ما يسوء المسلم سماعه، سواء ما كان متعلقاً بمعتقده أم بشخصه، وهذه الإساءة فرع عن الكفر الذي يتلبس به المحاور، فماذا يكون موقف المحاور المسلم؟ هل يغلق باب الحوار ويوقف مسار الدعوة، أم يتغاضى عن خطأ الآخر سياسة وصوناً لمصلحة الدعوة؟

لا ريب أن الموقف يفرض التصرف الأمثل الذي يسلكه الداعية تجاه هذا العدوان، إذ قد أذن الشرع برد العدوان: ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولنن صبرتم لهُو خير للصابرين ﴾ (النحل: ١٢٦)، قال القرطبي: "أيها المؤمنون من ظلمكم واعتدى عليكم، فعاقبوه بمثل الذي نالكم به ظالمكم، ولنن صبرتم عن عقوبته، واحتسبتم عند الله ما نالكم به من الظلم، ووكلتم أمره إليه حتى يكون هو المتولي عقوبته ﴿لهُو خير للصابرين﴾ يقول: للصبر عن عقوبته بذلك خير لأهل الصبر احتساباً وابتغاء ثواب الله"^{٨٩}.

وفي الصبر على أخطاء المخالف يقول الله: ﴿ ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون ﴾ (المؤمنون: ٩٦).

قال الطبري: "وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها: أن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى، ولا تعصه في القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك"^{٩٠}. ويقول ابن كثير: "أمر تعالى بمصانعة شيطان الإنس ومداراته بإسداء الجميل إليه، ليرده طبعه عما هو فيه من الأذى"^{٩١}.

ونقل الطبري عن مجاهد في سياق تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ﴾ قوله: "إن قالوا شراً، فقولوا خيراً: ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ فانتصروا منهم".^{٩٢}

وقال تعالى مبيناً للمؤمنين ما سيتعرضون له من أذى المشركين، وأمرهم بالصبر والتقوى: ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً﴾ (آل عمران: ١٨٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فأمر سبحانه وتعالى بالصبر على أذى المشركين وأهل الكتاب مع التقوى وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ (المائدة: ٨)، فنهى أن يحمل المؤمنین بغضهم للكفار على ألا يعدلوا عليهم... فهذا موضع عظيم المنفعة في الدين والدنيا..".^{٩٣}

وفي آية أخرى أخبر الله بتكذب كثير من أهل الكتاب طريق الإيمان وإعراضهم عما تبين لهم من الحق، بل وصددهم عنه وحرصهم على إضلال المهتدين حسداً وبغياً، وفي مقابلة أمر الله بالعفو والصفح حتى يكون الجزاء في دار عدله: ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير﴾ (البقرة: ١٠٩). قال القرطبي: "والعفو ترك المؤاخذة بالذنب، والصفح إزالة أثره من النفس".^{٩٤}

وقد التزم ﷺ أمر ربه فصبر على أذى المشركين وأعرض عنه، ولم يقابل إساءتهم بالمثل، وصور ذلك في سيرته كثيرة.

منها ما صنعه النبي ﷺ مع اليهود الذين أتوا إليه يحاورونه، تقول عائشة رضي الله عنها: إن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: السام عليك، قال: ((و عليكم))، فقالت عائشة: السام عليكم، ولعنكم الله، وغضب عليكم، فقال رسول الله ﷺ: ((مهلاً يا عائشة، عليك بالرفق، وإياك والعنف أو الفحش)). قالت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: ((أولم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم، فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم في)).^{٩٥}

ومثل هذا الأدب صنعه النبي ﷺ حين قسم قسماً فقال رجل: إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله، يقول ابن مسعود: فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه، ثم قال: ((يرحم الله موسى، قد أؤذي بأكثر من هذا، فصبر)).^{٩٦}

ومن حسن المعاملة الإعراض ما أمكن عن المنازعة وأسبابها، ولو بالإعراض عن الإجابة، روى ابن مردويه وابن أبي حاتم بسندهما عن ابن عباس أن قريشاً دعوا رسول

الله ﷻ إلى أن يعطوه مالاً، فيكون أغنى رجل فيهم، ويزوجوه ما أراد من النساء، ويطأون عقبه أي يسودوه.

فقالوا: هذا لك عندنا يا محمد، وكفّ عن شتم آلهتنا، فلا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل فإننا نعرض عليك خصلة واحدة، وهي لك ولنا فيها صلاح، قال: ((ما هي؟)) قالوا تعبد آلهتنا سنة اللات والعزى، و نعبد إلهك سنة.

قال: ((حتى أنظر ما يأتي من ربي)) فجاءه الوحي من الله من اللوح المحفوظ: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ [الكافرون: ١] إلى آخرها "٩٧".
و قوله في هذا الحديث: ((حتى أنظر ما يأتي من ربي)) نوع من التلطف في الخروج من الموضوع.

قال ابن تيمية: "قد يقول هذا من يقصد به دفع الظالمين بالتى هي أحسن، ليجعل حجته أن الذي عليه طاعته قد منع من ذلك، فيؤخر الجواب حتى يستأمره، وإن كان هو يعلم أن هذا القول الذي قالوه لا سبيل إليه، وقد تخطب إلى الرجل ابنته فيقول: حتى أشاور أمها، وهو يريد أن لا يزوجه بذلك، و يعلم أن أمها لا تشير به، وكذلك قد يقول النائب: حتى أشاور السلطان" ٩٨. فالإعراض عن الجواب نوع من التلطف وأدب من آداب الدعوة والحوار.

٣- من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه:
لعل من الضروريات التي لا يحسن بأحد تجاوزها عدم خوض المرء فيما لا يملك عليه بينة ولا برهاناً، والرزية أن يهرف المرء بما لا يعرف، وأن يقول ما لا يعلم، وهذا الذي نعهه القرآن على أهل الكتاب، وهو ذم لكل من صنع صنيعهم، قال الله تعالى: ﴿لم تحتاجون فيما ليس لكم به علم﴾ (آل عمران: ٦٦)، قال القرطبي: "دليل على المنع من الجدل لمن لا علم له، والحظر على من لا تحقيق عنده.. قد ورد الأمر بالجدال لمن علم وأيقن، فقال تعالى: ﴿وجادلهم بالتى هي أحسن﴾" ٩٩.

وقال تعالى: ﴿إن الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم إن فى صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير﴾ (غافر: ٥٦).

وفي هذه الآيات تقرير من القرآن الكريم لأولئك الذين يخاصمون الأنبياء، ويلجئون إلى الحوار دون دليل ولا برهان، ولأنهم لا يملكون علماً ولا حجة، فإنهم يعالجون مسائلهم بالهوى والجدال بالباطل والتكذيب والاستكبار عن قبول الحق.

والنبي ﷺ - وهو أعلم الخلق - توقف في حوارهِ مع أهل نجران حتى أتاه علم الله في المسألة التي يحاور فيها، إذ لما جاءه راهبا نجران عرض عليهما الإسلام، فقال أحدهما:

إنا قد أسلمنا قبلك. فقال: ((كذبتما. إنه يمنعكما عن الإسلام ثلاثة: عبادتكم الصليب، وأكلكم الخنزير، وقولكم: لله ولد)).

قال [الحبر]: من أبو عيسى؟ وكان ﷺ لا يعجل حتى يأتي أمر ربه، فأنزل الله تعالى: ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ (آل عمران: 59) ((...)).

فالمشاركون في الحوار مدعوون لالتزام هذا الهدي النبوي، وعدم الخوض في قضايا الحوار المختلفة إلا ببينة من الله أو برهان من رسوله.

٤- ترك المجال للمحاور بذكر معتقده

ولما كان الحوار يدور بين طرفين أو جهتين، فإنه من الطبيعي أن يعرب كل طرف عن معتقده، وأن يذكر ما يجول في خاطره من تساؤلات، يبحث عن إجابة لها، وقد يقع المحاور غير المسلم بما لم يعتده المسلم من أدب واحترام لشعائر الإسلام، فقد يذكر اسم النبي ﷺ مجرداً، وقد يقول بأن القرآن من كلام محمد، أو أن المسيح هو الله، وغيرها مما يعتقده ويستنكره المسلم ويستقبحه، بل قد يرغب المحاور بممارسة طقوسه وعبادته، فهل يؤذن له بذلك طلباً لاستمرار الحوار وطمعاً في مصلحة غالبية؟

وفي الإجابة عنه نقول: وقع مثل هذا زمن النبي ﷺ، فقد قيل ﷺ من حبر يهودي أن يخاطبه باسمه مجرداً من النبوة، إذ هو مما لا يعتقده محاوره، قال ثوبان: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ، فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد. فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول: يا رسول الله؟ فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ: ((إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي...)).^{١٠١}

وحين حاور النبي ﷺ في مسجده بالمدينة وفد نصارى نجران الذي قدم على النبي ﷺ في خمسة عشر رجلاً بقيادة أسقفهم أبي الحارث؛ أن لهم النبي ﷺ أن يقيموا صلاتهم في أحد أركان مسجده.^{١٠٢}

قال ابن القيم: "وفيها جواز دخول أهل الكتاب مساجد المسلمين، وفيها تمكين أهل الكتاب من صلاتهم بحضور المسلمين وفي مساجدهم أيضاً إذا كان ذلك عارضاً، ولا يمكنون من اعتياد ذلك".^{١٠٣}

ويقول: "أما الآن فلا مصلحة للمسلمين في دخولهم مساجدهم والجلوس فيها، فإن دعت إلى ذلك مصلحة راجحة جاز دخولها بلا إذن".^{١٠٤}

ومن صور تسامح المسلمين في حوارهم مع أهل الكتاب تمكينهم من الإعراب عن عقائدهم ومحاورة المسلمين فيما يشكل عليهم فهمه من أمور الإسلام، ومن ذلك أن

المغيرة بن شعبة أتى أهل نجران "فقالوا: أستم تقرأون: ﴿يا أخت هارون﴾ (مريم: ٢٨)، وقد علمتم ما بين موسى وعيسى. قال المغيرة: فلم أدر ما أجيبهم. فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ فأخبرته. فقال: ((ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين قبلهم)).^{١٠٥}

يقول ابن تيمية: " وهذا السؤال الذي هو سؤال الطاعن في القرآن لما أورده أهل نجران الكفار على رسول الله ﷺ، ولم يجبههم عنه: أجاب عنه النبي ﷺ، ولم يقل لهم: ليس لكم عندي إلا السيف، ولا قال: قد نقضتم العهد إن كانوا قد عاهدوه، وقد عرف أن أهل نجران لم يرسل إليهم رسولاً إلا والجهاد مأمور به ".^{١٠٦}

وهكذا فالإفساح للمخالف في الإعراب عن دينه وممارسة شعائره لون فريد من ألوان التسامح الإسلامي، وهو أيضاً أدب آخر من آداب الحوار والجدال.

٥- المداراة وحسن التعامل:

ومن آداب الحوار حسن المعاملة مع المحاور، ومداراة المحاور الآخر وإكرامه وحسن استقباله، فعن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فلما رآه قال: ((بنس أخو العشيبة، وبنس ابن العشيبة)) فلما جلس تطلق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه.

فلما انطلق الرجل قالت له عائشة: يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا، ثم تطلقت في وجهه، وانبسطت إليه فقال رسول الله ﷺ: ((يا عائشة، متى عهدتني فحاشاً، إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شراً)).^{١٠٧}

وفي شرح الحديث ينقل ابن حجر عن القرطبي قوله: "في الحديث .. جواز مداراتهم اتقاء شراً ما لم يؤد ذلك إلى المداينة في دين الله تعالى ... والفرق بين المداراة والمداينة أن المداراة بذل الدنيا لصالح الدنيا أو الدين أو هما معاً، وهي مباحة، وربما استحبت، والمداينة ترك الدين لصالح الدنيا، والنبي ﷺ إنما بذل له من دنياه حسن عشرته والرفق في مكالمته ومع ذلك فلم يمدحه بقول، فلم يناقض قوله فيه فعله، فإن قوله فيه قول حق، وفعله معه حسن عشرة ...".

وعقب ابن حجر بقوله: " وهذا الحديث أصل في المداراة ".^{١٠٨}

ومن المداراة مناداة المحاورين غير المسلمين بما يليق بهم من ألقاب يستحقونها، وتحيتهم تحية مناسبة، كقوله ﷺ: ((بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم)).^{١٠٩}

قال ابن حجر: "قوله: ((عظيم الروم)) فيه عدول عن ذكره بالملك أو الإمرة، لأنه معزول بحكم الإسلام، لكنه لم يخله من إكرام لمصلحة التألف..".^{١١٠}

قال النووي: " ولم يقل: إلى هرقل فقط، بل أتى بنوع من الملاطفة فقال: ((عظيم الروم))، أي الذي يعظمونه ويقدمونه، وقد أمر الله تعالى بالآلة القول لمن يدعى إلى الإسلام، فقال تعالى: ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ (النحل: ١٢٥)، وقال تعالى: ﴿ فقولا له قولاً ليناً ﴾ (طه: ٤٤) وغير ذلك".^{١١١}

وأيضاً من المداراة للآخرين الفعل الحسن، كعيادة مريضهم، وإكرام وفداهم، تأسيساً بالنبي ﷺ في صنيعه مع عدي بن حاتم الطائي وعكرمة بن أبي جهل قبل إسلامهما.

قال عدي بن حاتم: "أتيت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد، فقال القوم: هذا عدي بن حاتم. وجئت بغير أمان ولا كتاب، فلما دُفعتُ إليه أخذ بيدي .. حتى أتى بي داره، فألقت له الوليدة وسادة، فجلس عليها".¹¹²

ولما قدم عكرمة بن أبي جهل على النبي ﷺ قال له: ((مرحباً بالراكب المهاجر))، وفي رواية الطبراني: فلما رآه النبي ﷺ قام إليه، فاعتنقه، وقال: ((مرحباً بالراكب المهاجر)).¹¹³

ومن قبل أحسن النبي ﷺ معاملة أبيه على طغيانه وكفره، يقول المغيرة بن شعبه: إن أول يوم عرفت فيه رسول الله ﷺ أنني كنت أمشي مع أبي جهل بمكة، فلقينا رسول الله ﷺ فقال له: ((يا أبا الحكم، هلم إلى الله وإلى رسوله وإلى كتابه، أدعوك إلى الله)).¹¹⁴ فداده ﷺ بأحب الأسماء إليه تألفاً لقلبه.

ومن المداراة وحسن التعامل مع الآخر صنيع مؤمن آل فرعون مع قومه، فقد كان يقول لهم مع كل نصيحة: «يا قوم» (غافر: 30، 32، 38، 39، 41). يتألفهم بذلك. قال القرطبي: "فقال: «يا قوم» ليكونوا أقرب إلى قبول وعظه".¹¹⁵ فالمحاور المسلم يتأدب بالرفق واللفظ والمداراة، إذ الرفق ما كان في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه.

٦- التنزل مع الخصم في الحوار:

قال تعالى: «وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين» (سبأ: ٢٤) قال القرطبي: "هذا على وجه الإنصاف في الحجة كما يقول القائل: أهدنا كاذب، وهو يعلم أنه صادق وأن صاحبه كاذب، والمعنى: ما نحن وأنتم على أمر واحد، بل على أمرين متضادين، وأحد الفريقين مهتد، وهو نحن، والآخر ضال، وهو أنتم".¹¹⁶

ونقل القرطبي قول بعض أهل العلم: "وقد علم أنه على هدى، وأنهم على ضلال مبين، ولكنه رفق بهم في الخطاب، فلم يقل: أنا على هدى، وأنتم على ضلال".¹¹⁷

ويعلمنا الله هذا الأدب في التعامل مع الآخرين، وهو يؤدب نبيه بقوله: «قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين» (الزخرف: ٨١)، قال القرطبي: "وقيل: المعنى: قل يا محمد: إن ثبت لله ولد فأنا أول من يعبد ولده، ولكن يستحيل أن يكون له ولد، وهو كما تقول لمن تناظره: إن ثبت ما قلت بالدليل، فأنا أول من يعتقد، وهذه مبالغة في الاستبعاد، أي لا سبيل إلى اعتقاده، وهذا ترقيق في الكلام كقوله: «وإنا أو إياكم لعلى

هدى أو في ضلال مبين﴾ (سبأ: ٢٤)، والمعنى على هذا: فأنا أول العابدين لذلك الولد، لأن تعظيم الولد تعظيم للوالد^{١١٨}.

قال الطبري: "لم يكن على وجه الشك، ولكن على وجه الإلطاف في الكلام وحسن الخطاب، كما قال جل ثناؤه: ﴿قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ (سبأ: ٢٤)، وقد علم أن الحق معه، وأن مخالفه في الضلال المبين".^{١١٩}

ومثله صنيع إبراهيم عليه السلام من قبل، حيث قال لقومه: ﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين﴾ فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لنن لم يهديني ربي لأكونن من القوم الضالين ﴿فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون﴾ (الأنعام: ٧٦-٧٨).

قال الرازي: "هذه المباحثة إنما جرت مع قومه لأجل أن يرشدهم إلى الإيمان والتوحيد، لا لأجل أن إبراهيم كان يطلب الدين والمعرفة لنفسه".

وقوله عليه السلام عن الشمس والقمر والكوكب: ﴿هذا ربي﴾ إنما نوع من التدرج في إبطال ربوبيتها.

وقد ذكر الرازي وجوهاً في توجيه قول إبراهيم عليه السلام منها "أنه ﷻ أراد أن يبطل قولهم بربوبية الكواكب، إلا أنه عليه السلام كان قد عرف من تقليدهم لأسلافهم وبُعد طباعهم عن قبول الدلائل؛ أنه لو صرح بالدعوة إلى الله تعالى لم يقبلوه ولم يلتفتوا إليه، فمال إلى طريق به يسترجعهم إلى استماع الحجة، وذلك بأن ذكر كلاماً يوهم كونه مساعداً لهم على مذهبهم بربوبية الكواكب، مع أن قلبه صلوات الله عليه كان مطمئناً بالإيمان، ومقصوده من ذلك أن يتمكن من ذكر الدليل على إبطاله وإفساده وأن يقبلوا قوله، وتمام التقرير أنه لما لم يجد إلى الدعوة طريقاً سوى هذا الطريق، وكان عليه السلام مأموراً بالدعوة إلى الله كان بمنزلة المكره على كلمة الكفر".^{١٢٠}

قال ابن القيم: "قاله على سبيل التقرير، لتقريع قومه أو على سبيل الاستدلال والترقي"^{١٢١}، وقال: "قيل: إنها على وجه إقامة الحجة على قومه، فتصور بصورة الموافق ليكون أدعى إلى القبول، ثم توسل بصورة الموافقة إلى إعلامهم بأنه لا يجوز أن يكون المعبود ناقصاً أفلاً"^{١٢٢}.

ودعا الله نبيه إلى تألف قلوب اليهود والنصارى ودعوتهم إلى الإسلام من خلال دعوتهم إلى محبب إليهم، إلى اتباع ملة إبراهيم الذي يؤمنون به، وهي في الحقيقة دعوة كل الأنبياء، فقال: ﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق

ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون ﴿ (البقرة: ١٣٥-١٣٦).

قال الطبري: "احتج الله لنبيه محمد ﷺ بأبلغ حجة وأوجزها وأكملها، وعلمها محمداً نبيه ﷺ فقال: يا محمد، قل للقاتلين لك من اليهود والنصارى ولأصحابك: ﴿كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا﴾ (البقرة: ١٣٥) : بل تعالوا فلنتبع ملة إبراهيم التي يجمع جميعنا على الشهادة لها؛ بأنها دين الله الذي ارتضاه واجتباها، وأمر به، فإن دينه كان الحنيفية المسلمة، وتدع سائر الملل التي نختلف فيها، فينكرها بعضنا، ويقر بها بعضنا، فإن ذلك على اختلافه لا سبيل لنا إلى الاجتماع عليه، كما لنا السبيل إلى الاجتماع على ملة إبراهيم".^{١٢٣}

ومن التنزل مع الآخر والرفق في مجادلته مخاطبته باصطلاحاته ولغته، يقول ابن تيمية: "وأما مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم ولغتهم فليس بمكروه، إذا احتيج إلى ذلك، وكانت المعاني صحيحة، كمخاطبة العجم من الروم والفرس والترک بلغتهم وعرفهم، فإن هذا جائزٌ حسنٌ للحاجة، وإنما كرهه الأئمة إذا لم يحتاجوا إليه".^{١٢٤}

وقال رحمه الله: "ولا ريب أن الألفاظ في المخاطبات تكون بحسب الحاجات كالسلاح في المحاربات، فإذا كان عدو المسلمين - في تحصنهم وتسليحهم - على صفة غير الصفة التي كانت عليها فارس والروم، كان جهادهم بحسب ما توجبه الشريعة التي مبناها على تحري ما هو لله أطوع وللعبد أنفع، وهو الأصلح في الدنيا والآخرة، وقد يكون الخبير بحروبهم أقدر على حربهم ممن ليس كذلك، لا لفضل قوته وشجاعته، ولكن لمجانسته لهم، كما يكون الأعجمي المتشبه بالعرب - وهم خيار العجم - أعلم بمخاطبة قومه الأعاجم من العربي".^{١٢٥}

ويقول: "كما نتنزل إلى اليهودي والنصراني في مناظرته، وإن كنا عالمين ببطلان ما يقوله اتباعاً لقوله تعالى: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ (النحل: ١٢٥) وقوله: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ (العنكبوت: ٤٦)، وإلا فعلنا ببطلان ما يعارضون به القرآن والرسول ويصدون به أهل الإيمان عن سواء السبيل، وإن جعلوه من المعقول بالبرهان أعظم من أن يبسط في هذا المكان".^{١٢٦}

وقال الشيخ ابن سعدي: "فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه الحق أو كان داعية إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلاً ونقلاً، ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدتها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود".^{١٢٧}

لكن هذا لا يعني موافقة الآخر على أصوله الباطلة قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والله تعالى لا يأمر المؤمنين أن يجادلوا بمقدمة يسلمها الخصم إن لم تكن علماً، فلو قدر أنه قال باطلاً، لم يأمر الله أن يحتج عليهم بالباطل، لكن هذا قد يفعل لبيان فساد قوله وبيان تناقضه، لا لبيان الدعوة إلى القول الحق ودعوة العباد إليه.."^{١٢٨}

٧- إنصاف المخالف بذكر محاسنه:

المسلم رائده الحق، والحكمة ضالته، فهو يأخذها ويقر بها بلا غضاضة، من أي طريق جاءت، فالرسول ﷺ قال لأبي هريرة عن الشيطان مصدر الشرور والآثام: ((صدقك، وهو كذوب، ذاك شيطان)).^{١٢٩}

وعلى هذا الأدب درج أصحاب النبي ﷺ فأقروا لمخالفهم ما عندهم من صور إيجابية، قال المستورد القرشي وهو عند عمرو بن العاص: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((تقوم الساعة والروم أكثر الناس)). فقال له عمرو: أبصر ما تقول! قال: أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ.

قال: لئن قلت ذلك، إن فيهم لخصالاً أربعاً: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ویتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك.^{١٣٠}

ولا غرو في ذلك الإقرار للمخالف بمزيتة، فقد أدبهم القرآن وصاغهم، حين دعاهم إلى التزام العدل مع المخالفين ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ (المائدة: ٢).

فقد قال تعالى مثبتاً بعض خصال الخير لأهل الكتاب: ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيلٌ ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ (آل عمران: ٧٥).

وكذا أتى النبي ﷺ على النجاشي بما فيه من خلال الخير، وهو يومئذ على الكفر، فقال لأصحابه: ((إن بالحبشة ملكاً لا يظلم عنده أحد، فلو خرجتم إليه حتى يجعل الله لكم فرجاً)).^{١٣١}

وفي درس بليغ آخر يقبل النبي ﷺ من يهودي نصيحته، ففي الحديث ترويه قتيلة بنت صيفي الجهنية قالت: أتى حبر من الأحبار رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، نعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون؟ قال: ((سبحان الله! وما ذاك؟)) قال: تقولون إذا حلفتكم: والكعبة.

قالت: فأمهل رسول الله ﷺ شيئاً ثم قال: ((إنه قد قال [أي حقاً]، فمن حلف فليحلف برب الكعبة)).^{١٣٢}

وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول: "أقبلوا الحق من كل من جاء به، وإن كان كافراً - أو قال فاجراً - واحذروا زيغة الحكيم، قالوا: كيف نعلم أن الكافر يقول كلمة الحق؟ قال: إن على الحق نوراً".^{١٣٣}

وكان ابن تيمية رحمه الله يقول: "ولكن الحق يقبل من كل من تكلم به".^{١٣٤} وهكذا فإن الحق راند المحاور المسلم، كائناً من كان قائله، ورفض الحق والاستكبار عن قبوله من الآخر مجاف لآداب الإسلام، الذي يوصي المؤمنين: ﴿ولا يجرمنكم شننان قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ (المائدة: ٢).

٨- حسن الاستماع للمحاور الآخر

من أهم الآداب التي لا ينفك عنها الحوار؛ حسن الاستماع للمحاور الآخر، إذ لا يمكن تحقيق المرجو من الحوار إذا كان من طرف واحد، بل لا يمكن تسميته حينذاك حواراً، ولا يخفى أن المحاور المسلم سيسمع من محاوره نصرة لدينه الباطل وكفراً بالمعتقد الحق الذي يدعو هو إليه، لكن سماعه لذلك ضروري ليُسمع الآخرين هدي الله.

وقد جلس النبي ﷺ إلى عتبة بن ربيعة يستمع إليه، وهو يعرض على النبي ﷺ خطاماً من الدنيا، ويطلب منه التخلي عن دعوته ودينه في مقابلها، يقول ابن هشام: "حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال: ((أقد فرغت يا أبا الوليد؟)) قال: نعم. قال: ((فاسمع مني)) قال: أفعل".^{١٣٥}

ومن هذا الأدب السامي استلهم عطاء بن أبي رباح خصلة من خصال الخلق الجم، فيقول: "إن الرجل ليحدثني بالحديث، فأنتصت له، كأني لم أسمع، وقد سمعته قبل أن يولد".^{١٣٦}

ولا ريب أن تخلق المحاور المسلم بهذه الآداب واجب شرعي، وهو أدعى إلى قبول دعوته وسماع حجته، فالدعوة إلى الإسلام بالحوار والجدال ينبغي أن تكون منضبطة بالوسائل والآداب الشرعية التي رأيناها في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

الخاتمة:

في ختام الحديث عن منهج الحوار الإسلامي في التعامل مع الآخر، فإن الباحث قد توصل إلى جملة من النتائج من أهمها:

- ١- الحوار أمر ضروري لإقامة علاقات طيبة مع الآخرين، لأن الإنسان لا يستغني عن أخيه الإنسان في معاملاته اليومية وحياته الشخصية.
- ٢- حث الشريعة الإسلامية على الحوار الهادف بين مختلف التوجهات وعلى جميع المستويات، مع حرصها على توفير المناخ المناسب لهذه الحوارات.
- ٣- أن يصدر الحوار من أناس على مستوى من العلم والذكاء، مع عرض للمسائل عرضاً موضوعياً وبأسلوب شيق ومهذب، ويتصفون بسلامة القلب من الغرور والتباهي والأناية، ولا يخالطها الهوى.

٤- حتى يحقق الحوار مقاصده لا بد أن يكون فعالاً، وذا مضمون هادف يثير اهتمام الجهة المخاطبة، ومن مستلزمات هذا الأمر معرفة رغبات المخاطبين وآمالهم وأهدافهم، مع توفر الحرية في إبداء الرأي.

٥- الحوار من أنجح الوسائل لتحقيق جملة من المقاصد الشرعية، مثل: التعارف، فالحوار يساعد على إيجاد مساحة من التفاهم مع الآخر، يستطيع المسلم وغير المسلم التعامل من خلالها ضمن قدر مشترك من القيم الإنسانية النبيلة.

- التعاون، فالحوار يحقق دعوة الإسلام التعاونية التي لا تنحصر في نطاق الأمة التي كونها، بل تكون على نحو من السعة والشمول بحيث يسع "الحياة الإنسانية" بأكملها، دون تخصيص جانب على جانب، ولا طرف على طرف،

- الحوار يسهم في إحقاق الحق، ويساعد على التعرف على الإسلام، وشمولية رسالته العالمية العظيمة.

٦- ليس من المقاصد الشرعية للحوار أن تتوحد الأديان في دين واحد، يختلط فيه الحق والباطل، لأن الحق يكشف زيف الباطل ويدحضه، لا يحقق أي حوار مقاصده وأهدافه المرجوة منه ما لم يكن قائماً على جملة من الأسس ومنضبطاً بجملة من الضوابط، مثل: التواضع، والمحاورة بالتي هي أحسن، والالتزام بالأسلوب الهادف.

المصادر والمراجع:

١ - سنن النسائي الكبرى، المؤلف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ - ١٩٩١، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن نعدد الأجزاء: ٦

لسان العرب للمؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، الناشر: دار صادر - بيروت نالطبعة الأولى، عدد الأجزاء: ١٥،

٢ - الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، المحقق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م

٣ - تفسير الجلالين، المؤلف: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجمال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة الأولى، عدد الأجزاء: ١

٣- سنن ابن ماجه، المؤلف: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، الناشر: دار الفكر - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، عدد الأجزاء: ٢، مع الكتاب: تعليق محمد فؤاد عبد الباقي

- ٤ - صحيح مسلم ،المؤلف : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، الناشر : دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة - بيروت ، الطبعة : عدد الأجزاء : ثمانية أجزاء في أربع مجلدات
- ٥ - المعجم الوسيط - المؤلف / إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار ، دار النشر : دار الدعوة ، تحقيق / مجمع اللغة العربية ، عدد الأجزاء / ٢
- ٦ - التعريفات ، المؤلف : علي بن محمد بن علي الجرجاني الناشر : دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ ، تحقيق : إبراهيم الأبياري
- ٧ - سنن الترمذي ، المؤلف : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، عدد الأجزاء : ٥
- ٨ - تفسير القرآن العظيم للمؤلف : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [٧٠٠ - ٧٧٤ هـ] ، الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة : الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ، عدد الأجزاء : ٨
- ٩ - تاج العروس من جواهر القاموس ، المؤلف : محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقب بمرتضى ، الزبيدي ، تحقيق مجموعة من المحققين ناشر دار الهداية ، عدد الأجزاء / ٤٠
- ١٠ - آداب البحث والمناظرة للشنقيطي ، لفضيلة الشيخ : محمد الأمين بن المختار الشنقيطي
- ١١ - الإحكام في أصول الأحكام ، المؤلف : علي بن محمد الأمدي أبو الحسن ، الناشر : دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ ، تحقيق : د. سيد الجميلي ، عدد الأجزاء : ٤
- ١٢ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، المؤلف : عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي ، المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م ، عدد الأجزاء : ١
- ١٣ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، المؤلف : محمد بن علي الشوكاني ، عدد الأجزاء : ٥
- ١٤ - السيرة النبوية لابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد ، سنة الولادة / سنة الوفاة ٢١٣ ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، الناشر دار الجيل ، سنة النشر ١٤١١ ، مكان النشر بيروت

- ١٥ - مجموع الفتاوى ، المؤلف : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحرائي (المتوفى : ٧٢٨هـ)، المحقق : أنور الباز - عامر الجزار ، الناشر : دار الوفاء ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م ، مصدر الكتاب : موقع الإسلام
- ١٦ - مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المؤلف : أحمد بن حنبل ، المحقق : شعيب الأرنؤوط وآخرون ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الثانية ١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م ، عدد الأجزاء : ٥٠ (٥٠+٥٠ فهرس).
- ١٧ - إحياء علوم الدين ، المؤلف : محمد بن محمد الغزالي أبو حامد ، الناشر : دار المعرفة - بيروت ، عدد الأجزاء : ٤
- ١٨ - الموافقات ، المؤلف : إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى : ٧٩٠هـ) ، المحقق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، الناشر : دار ابن عفان ، الطبعة : الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م ، عدد الأجزاء : ٧
- ١٩ - أحكام أهل الذمة ، المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، الناشر : رمادى للنشر - دار ابن حزم - الدمام - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ - ١٩٩٧ ، تحقيق : يوسف أحمد البكري - شاکر توفيق العاروري ، عدد الأجزاء : ٣
- ٢٠ - زاد المعاد في هدي خير العباد ، المؤلف : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى : ٧٥١هـ) ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، الطبعة : السابعة والعشرون ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م ، عدد الأجزاء : ٥
- ٢١ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ، المؤلف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، الناشر : دار المعرفة - بيروت ، ١٣٧٩ ، تحقيق : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، عدد الأجزاء : ١٣
- ٢٢ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، الناشر : دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ - ١٩٧٣ ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، عدد الأجزاء : ٣
- ٢٣ - سير أعلام النبلاء ، مصدر الكتاب : موقع يعسوب
- ٢٤ - تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، لابن جماعة الشافعي
- ٢٥ - الحوار مجادلة جادة لا مدهانة ، مقالة .أ.د. جعفر شيخ إدريس مجلة البيان العدد ١٩٠ ، جمادى الآخرة ١٤٢٤ هـ ، ينظر الموقع
- <http://www.jaafaridris.com/Arabic/articles/hiwar.htm>

الهوامش

- ١ لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى (٢١٧/٤).
- ٢ مفردات ألفاظ القرآن: الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم ، دار النشر / دار القلم - دمشق (٢٦٢).
- ٣ الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، المحقق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م (٤٠٣/١٠).
- ٤ تفسير الجلالين - المحلي والسيوطي: المسمى تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي
وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث - القاهرة، الطبعة الأولى (٧٢٤/١).
- ٥ سنن النسائي الكبرى: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، ١٤١١ - ١٩٩١، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن باب (الاستعاذة من الحور بعد الكور) ٤/٥٩.
- ٦ الجامع لأحكام القرآن (٢٧٣/١٩).
- ٧ رواه مسلم ح (٦١).
- ٨ شرح النووي على صحيح مسلم (٥٠/٢).
- ٩ الحوار وآدابه (٢).
- ١٠ الحوار الإسلامي المسيحي (٢٠).
- ١١ لسان العرب (١٠٥/١١).
- ١٢ لسان العرب (١٠٥/١٢).
- ١٣ التعريفات (١٠٢).
- ١٤ الكافية في الجدل (١٩ - ٢١).
- ١٥ المعجم الوسيط (١١١/١).
- ١٦ لسان العرب (١٠٥/١١).
- ١٧ رواه الترمذي ح (٣٢٥٣)، وابن ماجه ح (٤٨)، وأحمد ح (٢١٦٦٠).
- ١٨ تفسير القرآن العظيم (٨٤/٣).
- ١٩ التعريفات (٢٩٨)، لسان العرب (٢١٧/٥).
- ٢٠ التعريفات (٢٩٨).
- ٢١ لسان العرب (٢١٧/٥).

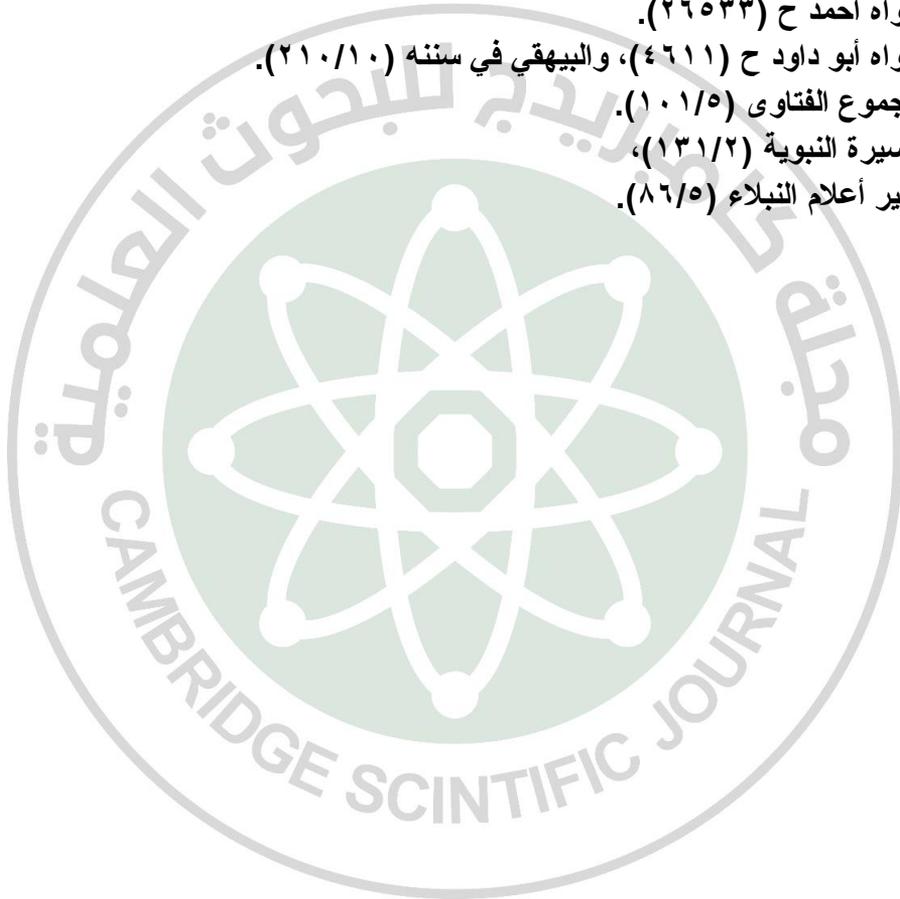
- ٢٢ تاج العروس (٥٧٥/٣).
- ٢٣ آداب البحث والمناظرة (٣/٢).
- ٢٤ تفسير القرآن العظيم (٦٧/٢).
- ٢٥ الإحكام في أصول الأحكام (٦٤/٢).
- ٢٦ الجامع لأحكام القرآن (١١٤/٩).
- ٢٧ تفسير القرآن العظيم (٤٦٦/٢).
- ٢٨ التفسير الكبير (٧٦/١٨).
- ٢٩ انظر : الجامع لأحكام القرآن (١١٤/٩).
- ٣٠ تيسير الكريم الرحمن (٣٩٦/٢).
- ٣١ تفسير المنار (١٩٣/١٢).
- ٣٢ الجامع لأحكام القرآن (٣٣٠/٩).
- ٣٣ الجامع لأحكام القرآن (١٦١/١٠).
- ٣٤ جامع البيان (٢١٥/٣).
- ٣٥ فتح القدير (٩٠/٣).
- ٣٦ جامع البيان (١٦٦/٣٠).
- ٣٧ تفسير القرآن العظيم (١٢١/٤).
- ٣٨ عجبك، بسام داود: الحوار الإسلامي المسيحي، المبادئ، التاريخ، الموضوعات، الأهداف/٤٢٤.
- ٣٩ ابن هشام: سيرة ابن هشام ٣١٣/١.
- (٤٠) مجموع الفتاوى، ج ٢٨ / ص ٢٣٥.
- (٤١) سورة هود، الآية ٥١.
- (٤٢) سورة الشعراء، الآية ١٠٩.
- (٤٣) سورة هود، الآية ٨٨.
- (٤٤) سورة الحج، الآية ٨. وسورة لقمان، الآية ٢٠.
- (٤٥) سورة آل عمران، الآية ٦٦.
- (٤٦) الجامع لأحكام القرآن، ج ٤ / ص ٧٠.
- (٤٧) درء تعارض العقل والنقل، ج ٧ / ص ١٧٣.
- (٤٨) سورة مريم، الآية ٤٣.
- (٤٩) سورة الروم، الآية ٢٢.
- (٥٠) سورة النساء، الآية ١.

- (٥١) رواه الإمام أحمد في المسند من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، الحديث رقم (١٧٣١٣)، ج ٢٨/ص ٥٤٨، وقال محققو المسند: "إسناده حسن".
- (٥٢) سورة المائدة، الآية ٢.
- (٥٣) سورة آل عمران، الآية ١٩٩.
- (٥٤) سورة المائدة، الآيتان ٨٢ - ٨٣.
- (٥٥) سورة الحجرات، الآية ١١.
- (٥٦) سورة الأنعام، الآية ١٠٨.
- (٥٧) انظر: الحوار من منظور إسلامي - للدكتور عباس الجراري، ص ٣٤ - ٣٦.
- (٥٨) رواه الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب (العلم)، الباب (١٩)، الحديث رقم (٢٦٩٢)، ج ٥/ص ٥١، وقال: "حديث غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه".
- (٥٩) سورة سبأ، الآية ٢٤.
- (٦٠) انظر: الحوار من منظور إسلامي - للدكتور عباس الجراري، ص ٥٣ - ٥٤.
- (٦١) إحياء علوم الدين، ج ١/ص ٤٤.
- (٦٢) آداب الشافعي ومناقبه - للرازي، ص ٩١. والفقيه والمتفقه - للخطيب البغدادي، ج ٢/ص ٢٦.
- (٦٣) الفقيه والمتفقه، ج ٢/ص ٢٦.
- (٦٤) الفرق بين النصيحة والتعيير، ص ٣١.
- (٦٥) الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية - لأحمد الصويان، ص ٦٤ بتصرف يسير.
- (٦٦) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم - لبدر الدين بن جماعة، ص ٤٠.
- (٦٧) سورة النساء، الآية ٥٩.
- (٦٨) مجموع الفتاوى، ج ٢٠/ص ١٢.
- (٦٩) سورة النساء، الآية ٥٩.
- (٧٠) الموافقات في أصول الشريعة، ج ٤/ص ٣٣٥.
- (٧١) سورة آل عمران، الآية ٦٤.
- (٧٢) تفسير المنار - لمحمد رشيد رضا، ج ٣/ص ٣٢٦.

- (٧٣) انظر: الحوار الذات والآخر - للدكتور عبد الستار الهيتي، ص ٥٩ - ٦٠.
- (٧٤) سورة البقرة، الآية ١١١.
- (٧٥) سورة الأنبياء، الآية ٢٤.
- (٧٦) انظر: أصول الحوار وآدابه في الإسلام - للدكتور صالح بن حميد، وهي دراسة موجزة منشورة على موقع مكتبة صيد الفوائد الإسلامية بتاريخ ١٢/٨/١٤٢٤هـ، ص ٤.
- (٧٧) الهيتي، الحوار، ص ٦٨- ص ٦٩.
- (٧٨) إدريس، جعفر شيخ، الحوار مجادلة جادة لا مداهنة، مقال في مجلة البيان، السنة الثامنة عشرة، العدد: ١٩٠، جماد الآخرة، ١٤٢٤هـ، أغسطس، ٢٠٠٣، تصدر عن المنتدى الإسلامي، ص ٤٥.
- (٧٩) العليان، حوار الحضارات، ص ٨٣.
- (٨٠) العليان، حوار الحضارات، ص ٨٧ نقلاً عن مقال رأي في جدلية التفاهم الثقافي السياسي بين الإسلام والغرب لرضا علوي، مجلة العالم، العدد: ٤٨٤، ١٩٩٣، ص ٣٢.
- ٨١ الجامع لأحكام القرآن (١٦/٢).
- ٨٢ جامع البيان (٣٩٢/١).
- ٨٣ الجامع لأحكام القرآن (٢٧٦/١٠).
- ٨٤ الجامع لأحكام القرآن (٢٧٧/١٠).
- ٨٥ تفسير القرآن العظيم (٥٩٢/٢).
- ٨٦ الرد على المنطقيين (٤٦٨).
- ٨٧ فتح القدير (٢٠٣/٣).
- ٨٨ الفتاوى الهندية (٣٤٨/٥).
- ٨٩ الجامع لأحكام القرآن (١٩٥/١٤).
- ٩٠ جامع البيان (١٩٤/١٤).
- ٩١ تفسير القرآن العظيم (١٤/١).
- ٩٢ جامع البيان (١/٢١).
- ٩٣ الاستقامة (٣٨/١).
- ٩٤ الجامع لأحكام القرآن (٧١/٢).
- ٩٥ رواه البخاري ح (٦٤٠١).
- ٩٦ رواه البخاري ح (٣٤٠٥)، ومسلم ح (١٠٦٢).
- ٩٧ انظره: الدر المنثور (٢٤٥/٧).

- ٩٨ مجموع الفتاوى (٤٥٥/١٦).
- ٩٩ الجامع لأحكام القرآن (١٠٨/٤).
- ١٠٠ رواه الطبري في تفسيره (١٦٣/٣)، و أبو نعيم في دلائل النبوة (٢٥٨/٢).
- ١٠١ رواه مسلم ح (٣٥١).
- ١٠٢ ذكره ابن هشام في سيرته (٥١١/١)، ونقل مثله ابن القيم في زاد المعاد عن أبي أمامة (٦٣٠/٣-٦٣١)، وانظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٥/٤).
- ١٠٣ زاد المعاد (٦٣٨/٣).
- ١٠٤ أحكام أهل الذمة (٤٠٨/١).
- ١٠٥ رواه مسلم ح (٢١٣٥).
- ١٠٦ الجواب الصحيح (٢٢٦/١-٢٢٧).
- ١٠٧ رواه البخاري ح (٦٠٣٢).
- ١٠٨ فتح الباري (٤٥٤/١٠).
- ١٠٩ رواه البخاري ح (٧)، ومسلم ح (١٧٧٣).
- ١١٠ فتح الباري (٣٨/١).
- ١١١ شرح النووي على صحيح مسلم (١٠٨/١٢).
- ١١٢ رواه الترمذي ح (٢٩٥٤).
- ١١٣ رواه الترمذي ح (٢٧٣٥)، الحاشية في المسند تدرج ح (٥٠٥٩)، والطبراني في الكبير ح (١٠٢١).
- ١١٤ رواه ابن أبي شيبة في المصنف ح (٣٥٨٢٩)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢٦٧/٢).
- ١١٥ الجامع لأحكام القرآن (٣١٠/١٥).
- ١١٦ المصدر نفسه: (٢٨٩/١٤).
- ١١٧ المصدر نفسه: (١٤/٢).
- ١١٨ المصدر نفسه: (١١٩/١٦).
- ١١٩ جامع البيان (١٠٣/٢٥).
- ١٢٠ التفسير الكبير (٤٠،٤١/١٣).
- ١٢١ دقائق التفسير (١١٢/٢).
- ١٢٢ مدارج السالكين (٦١/٣).
- ١٢٣ جامع البيان (٥٦٤/١).
- ١٢٤ درء تعارض العقل والنقل (٤٣/١).

- ١٢٥ مجموع الفتاوى (١٠٧/٤).
- ١٢٦ درء تعارض العقل والنقل (١٨٨/١).
- ١٢٧ تيسير الكريم الرحمن (٩٣/٣).
- ١٢٨ الرد على المنطقيين (٤٦٨).
- ١٢٩ رواه البخاري ح (٣٢٧٥).
- ١٣٠ رواه مسلم ح (٢٨٩٨).
- ١٣١ رواه ابن إسحاق في سيرته، انظر فتح الباري (١٨٨/٧).
- ١٣٢ رواه أحمد ح (٢٦٥٣٣).
- ١٣٣ رواه أبو داود ح (٤٦١١)، والبيهقي في سننه (٢١٠/١٠).
- ١٣٤ مجموع الفتاوى (١٠١/٥).
- ١٣٥ السيرة النبوية (١٣١/٢).
- ١٣٦ سير أعلام النبلاء (٨٦/٥).



الدين العام واثاره على بعض مؤشرات التنمية الاقتصادية في العراق للمدة (2005 – 2019)

م.م.-حسين عبدالله سدخان

husein.abdullah@sadiq.edu.iq

جامعة الامام جعفر الصادق (ع)- فرع ذي قار

م.م. عمر موفق المناع

omer.mowafaq@sadiq.edu.iq

جامعة الامام جعفر الصادق (ع)- فرع ذي قار

المستخلص .

يعد الدين العام احد المتغيرات التي تنجم جراء السياسة المالية والتي تنعكس اثارها على مؤشرات التنمية الاقتصادية في البلدان المختلفة نظرا لحصول العجز في موازنتها العامة جراء زيادة النفقات العامة على الايرادات العامة وقت برزت ظاهره الدين العام في العراق بأبعاد مختلفة عانى من هذا الاقتصاد العراقي منذ ثمانينات القرن الماضي وازدادت بعد عام (2003) نظرا لاتباع سياسات اقتصاديه اثر سلبا في وضعه الاقتصادي وبالأخص في متغيرات الاقتصادي ثم ادى ذلك كله الى تراكم اجمال المديونية العامة منها وانخفاض ايراداته من العملات الأجنبية ، وقد جاء هذا البحث لمناقشه الجانب المفاهيم للدين العام وتأصيله النظري فضلا عن اهم خصائص مؤشرات التنمية الاقتصادية في العراق خلال المدة (2005-2019) وقت توصل البحث الى حصول بعض التقلبات في مسار الدين العام وارتباطها بالتغيرات في مسار مؤشرات التنمية الاقتصادية في العراق خلال المده نفسها.

extract

The public debt is one of the variables that result from the fiscal policy, whose effects are reflected on the indicators of economic development in different countries due to the deficit in their public budget as a result of the increase in public expenditures on public revenues at a time when the phenomenon of public debt in Iraq emerged in various dimensions, which has suffered from this Iraqi economy

since the eighties of the century The past and increased after the year (2003) due to the adoption of economic policies that negatively affected its economic situation, especially in the economic variables, and then all of this led to the accumulation of the total public debt from it and the decrease in its revenues from foreign currencies. Characteristics of the indicators of economic development in Iraq during the period (2005-2019) when the research found that there were some fluctuations in the path of public debt and their relationship to changes in the path of economic development indicators in Iraq during the same period.

المقدمة :-

يمثل الدين العام (السيادي) مجموع ما تقتضيه المؤسسات العامة من الدول او المؤسسات الدولية او المحلية والتي تستهدف تمويل العجز الخاص بالموازنة نتيجة عجز الموارد المالية المحلية عن تغطيه الانفاق العام ويعد الدين العام مصدر من مصادر الضغط على الاقتصاد وعلى موارد المتاحة، فعلا الرغم من وجود اثر ايجابي يتمثل بالقدرة على زياده الطلب الكلي في الاجل القصير وفقا لرؤيه العديد من الاقتصاديين يمكن للحكومة العمل على زياده الانفاق العام بما تستفيد منه ولكن بعد فتره يصبح هذا التأثير عكسي ويلاحظ من الوضع الاقتصادي في العراق ارتفاع قيمه الدين العام التي وصلت الى 111 مليار دولار وبنسبه 76.03% من الناتج المحلي الاجمالي في نهاية عام 2016 ويعود السبب في ذلك لزياد قيمه الدين العام الى الزيادة المستمرة في عجز الموازنة اذا وصلت قيمه العجز الى 20.73 مليار دولار وبنسبه 14.12% من الناتج المحلي الاجمالي عام 2016 ويعود سبب ذلك بالأساس الى انخفاض الإيرادات العامة والتي تعتمد بشكل اساسي على الإيرادات النفطية والتي انخفضت بدورها بسبب انخفاض اسعار النفط في الاسواق العالمية وايضا الزيادة

المستمرة في النفقات العامة التي زادت بمعدلات اكبر من معدل نمو الإيرادات العامة والتي ادت الى المزيد من الاقتراض ومن ثم زياده الدين العام الامر الذي المديونية العامة تهدد الاقتصاد العراقي

اولا : مشكلة الدراسة :-

أتجه العراق نحو سياسة الاقتراض من اجل توفير إيرادات اضافيه التمويل عمليه النمو الاقتصادي و لمواجهة عجز الموازنة المزمع والملاحظة ان حجم الدين العام بصوره واضحه خلال فتره الدراسة من 2005 الى 2019 وقد بلغت تراكم الديون العامة سنه 2000 حوالي 3333 مليون دينار وارتفع حتى سجل حوالي 555 مليون دينار عام 2015 و تميزت هذه الفترة بكثرة الازمات المالية والاقتصادية التي تعرض لها العراق. تنحصر مشكله الدراسة في استمرار الدين العام العراقي عند مستويات مرتفعة الامر الذي يدفع الى دراسة هذه الظاهرة وبيان اسبابها والاثار المترتبة عنها وهل حققت الاهداف المرجوة منها وخاصة على مؤشرات التنمية الاقتصادية خلال فتره الدراسة.

ثانيا :- اهمية الدراسة :-

ان ظاهرة الدين العام قد حظيت باهتمام متزايد وعلى جميع المستويات العلمية والنظرية وفي مختلف الاقتصاديات المتطورة والنامية لتأثيرها المباشر على الاستقرار السياسي والاقتصادي للدولة من ناحية وعلى مستوى المعيشة للأفراد المجتمع ومستقبل الاجيال الحالية والقادمة من ناحية اخرى.

وان تزايد حجم الدين العام واعضاء خدمته سنه بعد اخرى سوف يؤدي الى اقتطاع المزيد من الموارد المالية المتوفرة لمواجهة خدمه الدين العام واعضائه بدلا من استعمالها في تمويل التنمية الاقتصادية.

ثالثا :- فرضية الدراسة :-

يقوم البحث على فرضية "وجود علاقة تكامل طويلة الأجل بين الدين العام الحكومي وبعض مؤشرات التنمية الاقتصادية".

رابعا :- هدف الدراسة :-

تتلخص اهداف الدراسة بالنقاط الاتية :-

1- التعرف بمفهوم الدين العام وبعض مؤشرات التنمية الاقتصادية .

2- دراسة وتحليل الدين العام على بعض متغيرات الاقتصاد العراقي خلال الفترة

(2005-2019).

خامسا :- حدود البحث :-

1- الحدود الزمانية :- يتحدد البعد الزمني للبحث (2019-2005).

2- الحدود المكانية :- تتحد الحدود المكانية للبحث بدراسة الاقتصاد العراقي .

الاطار النظري

اولا :- مفهوم الدين العام

اختلفت الآراء والافكار في اعطاء تعريف موحد للدين العام حسب الزاوية التي ينظر اليها المؤلف او الكاتب لذلك كان من الصعوبة اعطاء تعريف شامل او محدد وسوف نقوم بتوضيح مفهوم الدين العام وعلى وفق الاتي :-

1- الرصيد الاجمالي الخاص بالالتزامات الحكومية التعاقدية المباشرة محددة الاجل اتجاه الاخرين ، اي مقدار الديون الحكومية الواردة بالإحصاءات المالية الحكومية والتي تمثل كلا من الحكومة المركزية بما فيها الادارات المالية والهيئات الخدمية (المعطي، 2016:115).

2- يقصد بالدين العام عبارة عن المبلغ الذي تلتزم به احدى الوحدات العامة في الدولة للغير نتيجة قيامها بالاقتراض لسد العجز الموجود في الموازنة مع القيام بالتعهد برد المبلغ مع الفوائد المترتبة عليه خلال مدة متفق عليها بين الطرفين (حريتي، 2006: 27-30).

3- يوضح مقدار الانفاق العام الذي يتم تمويله بواسطة الاقتراض بدلا من الضرائب (Christabell,2013:46).

4- مقدار الاقتراض الذي تقوم به الجهات العامة في الدولة من الغير للقيام بتمويل اعمالها نتيجة وجود عجز في مواردها الذاتية عن الوفاء بما تتطلبه هذه الاعمال من نفقات (محمد، 2003 : 1).

5- اما وفق قانون الادارة المالية والدين العام المعدل فقد عرف في العراق بانه كل ديون الحكومة التي يتطلب دفعها او دفع فوائدها و اصولها من المقترض الى المقرض في تواريخ او تاريخ محددة في المستقبل حسب نوع الاتفاق بين الطرفين (قانون الادارة المالية والدين العام رقم 95 لسنة 2004 ، 2011 : 1)

ويأخذ الدين العام نوعان هما :-

1- الدين الخارجي :

ينشئ الدين الخارجي نتيجة العجز في الموارد المحلية فهو دين لا يعدو ان يكون سوى مسألة محاسبية في اطار قيام العلاقات الاقتصادية الدولية بسبب حاله عدم التكافؤ في اقتصاديات الطرفين كل من الدائن والمدين فضلا عن عدم كفاءه اداره الدين اساء الى اوضاع الاقراض الاجنبي وسمعت بعض البلدان المدينة (ثويني، 2006:139) .

2- الدين الداخلي :

يمثل هذا النوع القرض الذي تقوم به الحكومة بعقد داخل حدودها الإقليمية ، ويكون الاكتاب بين المواطنين المقيمين (طبيعيين او مغويين) على ارض الدولة دون مراعاة لجنسيتهم وبين الحكومة ، ويمتاز هذا النوع بانه مبلغ القرض بالعملية المحلية (دردوري & الاخضر، 2018:128).

ثانياً : - الناتج المحلي الاجمالي GPD

يتحقق النمو الاقتصادي عن طريق زيادة قدرة البلد على انتاج البضائع والخدمات، وكلما كان معدل نمو الاقتصاد الوطني أكبر من معدل نمو السكان كلما كان أفضل، لان ذلك يؤدي إلى رفع مستوى المعيشة (صخري ، 2005:12). ومن هذا المنطلق يعرف الناتج المحلي الاجمالي على وفق المفاهيم التالية :-

1- يقيس الناتج المحلي الإجمالي القيمة النقدية للسلع والخدمات النهائية - أي تلك التي اشتراها المستخدم النهائي - المنتجة في بلد ما في فترة زمنية معينة (على سبيل المثال ربع أو سنة) (Callen,2012:14).

2- عبارة عن القيمة السوقية (Value Market) لكل السلع والخدمات النهائية التي ينتجها المجتمع أو الاقتصاد المحلي خلال فترة زمنية معينة (مجد ، 2018:29)

ويعد هذا المؤشر من أهم المؤشرات المستخدمة في التحليل الاقتصادي ، اذ يقيس كفاءة الاداء الاقتصادي للبلد وتطور مستوى الدخل الذي يمكن أن يعبر عن مستوى الرفاه الاقتصادي لأفراد المجتمع كما أن النمو الاقتصادي يعد من المتغيرات المهمة التي تؤدي إلى خفض البطالة في الاقتصاد الوطني ورفع المستوى المعاشي للأفراد ، لأن زيادة مستوى الناتج يتطلب توفر المزيد من عوامل الانتاج فضلاً عن تحقيق معدل مرتفع في الناتج يتطلب توفر عدد كبير من الايدي العاملة مما يؤدي إلى زيادة مستوى التشغيل وخفض البطالة (عبيد ، 2017 : 282) .

وتوجد ثلاثة طرق لحساب الناتج المحلي الإجمالي ، وهي طريقة الانتاج وتحتوي على مسارين للتقدير الأول القيمة المضافة ، والثاني القيمة النهائية ، وطريقة الدخل ، وطريقة الأنفاق وفي الاخير تعطي هذه الطرق الثلاث النتيجة نفسها تماماً ، لكن تختلف في طريقة تقدير الناتج المحلي الإجمالي ، فتقدير الانتاج تقدير القيمة النقدية لما يتم انتاجه ، وتقدير الدخل هو تقدير دخول عواند أصحاب عوامل الانتاج ، وتقدير الأنفاق هو تقدير انفاق من حصل على الدخل من عناصر الانتاج (السلطان ، والبكر ، 2016 : 9).

ثالثاً : الانفاق العام

تعرف النفقات العامة بأنها المبالغ النقدية التي تعمل على انفاقها الدولة من مصادرها بهدف اشباع الحاجات العامة (رجب، 2001: 153)، وتشمل النفقة العامة على ثلاث اركان رئيسية وهي صدور النفقة عن جهة او شخص عام والشكل النقدي للنفقة العامة وان يكون الهدف من النفقة العامة هو اشباع الحاجات العامة (عبيد، 2015 : 42).
رابعا : الصادرات

تعد الصادرات الجانب الإيجابي من ميزان التجارة، لما يتعلق الأمر بسعر الصرف، وتؤثر تأثيرا كبيرا في رصيد ميزان المدفوعات، وبذلك "ينتقل هذا الأثر من خلال أثر تذبذب حصيلة الصادرات في العملات الأجنبية المتاحة للدولة ، وذلك بالنظر إلى أن تيارات دخول رؤوس الأموال وعوائدها، وخروجها تؤثر في ميزان المدفوعات. فحين يفوق تيار خروج الأموال للاستثمار في الخارج في فترة ما، تيار دخول عوائد الاستثمار بالخارج، فإن هذا يشكل ضغطا عليه" (الجبوري ، 2012 : 229).

الإطار العملي

اولا : توصيف وصياغة النموذج القياسي المستخدم

تعتبر عملية توصيف النموذج القياسي من اهم واصعب النماذج اذا من خلال هذه العملية ترسم الطريق للعلاقة المدروسة بين المتغيرات الخاصة بالدراسة ، وتتضمن مرحلة التوصيف المراحل الآتية :

• متغيرات النموذج

تقسم هذه المتغيرات الى متغيرات مستقلة وفي بحثنا تم استخدام متغير الدين العام (DI) كمتغير مستقل ، اما المتغيرات التابعة فتم استخدام بعض مؤشرات التنمية الاقتصادية ومتمثلة بالناتج المحلي الاجمالي (GDP) والانفاق العام (pub) ، والصادرات (exp).

ثانيا : تأصيل العلاقة بين الدين العام وبعض مؤشرات التنمية الاقتصادية

اولاً : تحليل استقراريه قيم السلاسل الزمنية للمصارف عينة الدراسة

تم ادخال قيم السلاسل الزمنية للمصارف عينة البحث لتحليل اختبار جذر الوحدة بعد توصيف المتغيرات حسب الآتي:

١- اختبار جذر الوحدة الاستقرارية (Unit Root Test or Stationary test): تتميز معظم السلاسل الزمنية للمتغيرات الاقتصادية بعدم الاستقرار وتستخدم لتحديد ما إذا كانت السلسلة الزمنية مستقرة أو غير مستقرة، فمن خلالها يمكن معرفة الخصائص الإحصائية للسلاسل الزمنية محل الدراسة من حيث درجة تكاملها، ذلك وفق نموذج ديكي - فولر الموسع .

المطلب الاول : تحليل استقراريه الدين العام ومؤشرات التنمية الاقتصادية

جدول (1) استقرارية متغيرات البحث
Augmented Dickey-Fuller test statistic

Augmented Dickey-Fuller test for statistic							
Variables	estimated value	Critical value			Prob	Level	1St difference
		%1	%5	%10			
DI	-2.164578	-2.792154	-1.977738	-1.602074	0.0349		*
GDP	-3.645329	-2.771926	-1.974028	-1.602922	0.0017	*	
pub	-3.468446	-2.754993	-1.970978	-1.603693	0.0022		*
exp	-2.355963	-2.754993	-1.970978	-1.603693	0.0230		*

نتائج الاختبار بالاعتماد على برنامج E-Views10

يتبين من خلال الجدول (2) والذي يبين استقراريه السلاسل الزمنية للمتغيرات قيد الدراسة باستعمال اختبار (ديكي فولر المطور) اذ كانت النتائج كالآتي:

أ: نلاحظ ان DI والتي تمثل الدين العام، بأن السلسلة الزمنية غير مستقرة عند المستوى، وبعد اخذ الفرق الاول، نلاحظ استقراريه السلسلة الزمنية بدون قطع واتجاه .

ب-بالنسبة الى (GDP) والذي يمثل الناتج المحلي الاجمالي، نلاحظ ان السلسلة الزمنية المستقرة عند المستوى بدون قاطع واتجاه زمني .

ج- اما المتغير pub والذي يمثل الانفاق العام وبعد اخذ السلسلة الزمنية لوحظ بان المتغير يستقر في الفرق الاول بدون قاطع واتجاه زمني.

د- اما المتغير exp والذي يمثل الصادرات وبعد اخذ السلسلة الزمنية لوحظ بان المتغير يستقر عند الفرق الاول بدون قاطع واتجاه زمني

القرار: امكانية تطبيق نموذج (ARDL) على المتغيرات الدراسة .

ثانيا : تحليل العلاقة بين الدين العام وبعض مؤشرات التنمية الاقتصادية

1- تحديد درجة الابطاء

من اجل تحديد فترات الابطاء المثلى المتغيرات المستقلة والمتمثلة بالدين العام كدالة في المتغيرات التابعة مؤشرات التنمية الاقتصادية , وكانت النتائج كالآتي:

Dependent Variable: PUB

Method: ARDL

Date: 03/10/22 Time: 21:57

Sample (adjusted): 2006S2 2019S2

Included observations: 27 after adjustments

Maximum dependent lags: 3 (Automatic selection)
 Model selection method: Akaike info criterion (AIC)
 Dynamic regressors (3 lags, automatic): GDP EX DI
 Fixed regressors: C
 Number of models evaluated: 192
 Selected Model: ARDL(2, 2, 1, 3)

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.*
PUB(-1)	0.331699	0.174435	1.901563	0.0766
PUB(-2)	-0.538435	0.156825	-3.433346	0.0037
GDP	0.000230	9.99E-05	2.298927	0.0363
GDP(-1)	2.83E-05	0.000108	0.262717	0.7963
GDP(-2)	0.000435	0.000106	4.106121	0.0009
EX	0.291540	0.102402	2.847006	0.0122
EX(-1)	-0.178211	0.116177	-1.533966	0.1459
DI	-0.000683	0.000200	-3.420375	0.0038
DI(-1)	-2.64E-05	0.000232	-0.113723	0.9110
DI(-2)	-0.000638	0.000228	-2.797787	0.0135
DI(-3)	0.000234	0.000212	1.105380	0.2864
C	60197.96	16474.48	3.654014	0.0024
R-squared	0.941903	Mean dependent var		79374.32
Adjusted R-squared	0.899298	S.D. dependent var		23486.26
S.E. of regression	7453.019	Akaike info criterion		20.97173
Sum squared resid	8.33E+08	Schwarz criterion		21.54766
Log likelihood	-271.1183	Hannan-Quinn criter.		21.14298
F-statistic	22.10803	Durbin-Watson stat		2.115855
Prob(F-statistic)	0.000000			

*Note: p-values and any subsequent tests do not account for model selection.

بناءً على النتائج اعلاه يجري تحديد أنموذج الانحدار الذاتي لكل متغير ولمدة أبطاء (lag=3)، لأنه الأنموذج الأمثل وفق المعايير (AIC). كذلك تشير الاختبارات الإحصائية للأنموذج المقدر الى أن القوة التفسيرية المعامل التحديد للنموذجيين وهي (94% ، 89%) على التوالي وبالتالي معنوية الأنموذج ككل ، فضلا عن ذلك قيمة اختبار (الجودة الأنموذج) كانت معنوية (Prob=0.000)، اما ما يتعلق بقيمة (D. W - statistic) فقد بلغت (2.115855) وعليه عدم وجود مشكلة ارتباط ذاتي .

2- اختبار علاقة التكامل المشترك باستعمال اختبار الحدود (Boud Test) بالاعتماد على نتائج الجداول السابقة للاختبار الأولى لنموذج الانحدار الذاتي للإبطاء الموزع (ARDL) نستخرج اختبار الحدود للمتغيرات أو التكامل المشترك للسلاسل الزمنية من مقارنة النتائج مع (I0) (I1) فإذا كانت قيمة F المحتسبة أكبر (I1) نحكم

على أن هناك تكاملاً مشتركاً بين السلسلتين ، وإذا كانت قيمة F المحتسبة أصغر من (I_0) فيدل على عدم وجود تكامل مشترك، و إذا وقعت قيمة F المحتسبة بين الحدين دل ذلك على وضع مربك وحسب الجدول أدناه:

F-Bounds Test		Null Hypothesis: No levels relationship		
Test Statistic	Value	Signif.	I(0)	I(1)
Asymptotic: n=1000				
F-statistic	6.374560	10%	2.37	3.2
k	3	5%	2.79	3.67
		2.5%	3.15	4.08
		1%	3.65	4.66

من الجدول اعلاه يوضح نتائج اختبار الحدود و كالاتي:
ان العلاقة بين (الدين العام) و متغيرات التنمية الاقتصادية (الناتج المحلي الاجمالي الانفاق العام والصادرات) نلاحظ أن قيمة (F- statistic) المحتسبة بلغت (6.374560) وهي أكبر من القيمة العظمى (I1) البالغة و عند كافة المستويات معنويات لذا ترفض الفرضية العدم ، و نقبل الفرضية البديلة الدالة على وجود علاقة تكامل مشترك بين المتغيرات.

3- تقدير أنموذج تصحيح الخطأ والعلاقة القصيرة و الطويلة الأجل على وفق أنموذج (ARDL) .

وتأتي هذه الخطوة بعد التكامل المشترك من أجل تحديد منهجية تصحيح الخطأ من الأجل القصير إلى الأجل الطويل, اي هل هناك تصحيح من الأجل القصير إلى الأجل الطويل وتعد هذه الخطوة خطوة مهمة في اختبارات (ARDL), ويعتمد هذا الاختبار على معلمة تصحيح الخطأ $(coitEq(-1))$ يجب أن تكون سالبة ومعنوية أي إن الانحرافات في الأجل القصير تصحح في الأجل الطويل وسيتم تحليل العلاقة بين الدين العام و مؤشرات التنمية الاقتصادية للنموذج وكالاتي :

ARDL Error Correction Regression
Dependent Variable: D(PUB)
Selected Model: ARDL(2, 2, 1, 3)
Case 2: Restricted Constant and No Trend
Date: 03/10/22 Time: 22:13
Sample: 2005S1 2019S2
Included observations: 27

Case 2: Restricted Constant and No Trend

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
D(PUB(-1))	0.538435	0.137264	3.922623	0.0014
D(GDP)	0.000230	7.41E-05	3.098235	0.0073
D(GDP(-1))	-0.000435	9.04E-05	-4.813805	0.0002
D(EX)	0.291540	0.084323	3.457436	0.0035
D(DI)	-0.000683	0.000151	-4.527908	0.0004
D(DI(-1))	0.000404	0.000140	2.882950	0.0114
D(DI(-2))	-0.000234	0.000144	-1.625348	0.1249
CoitEq(-1)*	-1.206736	0.189920	-6.353913	0.0000
R-squared	0.845282	Mean dependent var		3040.956
Adjusted R-squared	0.788280	S.D. dependent var		14391.98
S.E. of regression	6622.182	Akaike info criterion		20.67543
Sum squared resid	8.33E+08	Schwarz criterion		21.05938
Log likelihood	-271.1183	Hannan-Quinn criter.		20.78960
Durbin-Watson stat	2.115855			

* p-value incompatible with t-Bounds distribution.

من نتائج الجدول اعلاه يشير معامل تصحيح الخطأ **CoitEq(-1)** إلى أن سرعة تصحيح الخطأ **(-1.206736)** , وبالنظر لمعنوية حسب **Prob** نجد بأنه معنوي فقد بلغت **(0.0000)**، أي إن هناك تصحيح من الأجل القصير إلى الأجل الطويل.

1- اختبارات التشخيص

اختبارات التشخيص النماذج المقدره , إذ تبين أن النتائج تكشف عن مدى صحتها وعدم وجود أي مشكلات قياسية، والتي تؤثر بشكل سلبي على دقة النماذج، أي أن النتائج المقدره متحيزة، و يمكن أن نستخرج النتائج الاتية

Breusch-Godfrey Serial Correlation LM Test:

F-statistic	0.936137	Prob. F(5,10)	0.4978
Obs*R-squared	8.608486	Prob. Chi-Square(5)	0.1257

Test Equation:

Dependent Variable: RESID

Method: ARDL

Date: 03/10/22 Time: 22:22

Sample: 2006S2 2019S2

Included observations: 27

Presample missing value lagged residuals set to zero.

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
PUB(-1)	0.125940	0.443655	0.283870	0.7823
PUB(-2)	0.270768	0.265786	1.018743	0.3323
GDP	-5.14E-05	0.000126	-0.408130	0.6918
GDP(-1)	2.73E-05	0.000152	0.179543	0.8611
GDP(-2)	-0.000173	0.000190	-0.909682	0.3844
EX	-0.057817	0.113092	-0.511241	0.6203
EX(-1)	-0.013851	0.142781	-0.097010	0.9246
DI	2.42E-05	0.000206	0.117549	0.9088
DI(-1)	4.07E-05	0.000347	0.117461	0.9088
DI(-2)	0.000221	0.000290	0.762277	0.4635
DI(-3)	-2.04E-05	0.000300	-0.068073	0.9471
C	-14669.94	38430.20	-0.381730	0.7106
RESID(-1)	-0.341681	0.528825	-0.646114	0.5328
RESID(-2)	-0.854375	0.450410	-1.896883	0.0871
RESID(-3)	-0.154531	0.513978	-0.300657	0.7698
RESID(-4)	-0.270730	0.480609	-0.563306	0.5856
RESID(-5)	0.067313	0.391738	0.171832	0.8670
R-squared	0.568833	Mean dependent var		3.05E-11
Adjusted R-squared	-0.771035	S.D. dependent var		5660.975
S.E. of regression	7533.638	Akaike info criterion		20.95815
Sum squared resid	5.68E+08	Schwarz criterion		21.77405
Log likelihood	-265.9350	Hannan-Quinn criter.		21.20076
F-statistic	0.292543	Durbin-Watson stat		1.996803
Prob(F-statistic)	0.985891			

نلاحظ من الجدول اعلاه عدم وجود مشكله ارتباط ذاتي تسلسلي بين البواقي فقد بلغت الاحتمالية (0.8670) وهي اكبر من (0.05), وكذلك الانموذج لا يعاني من مشكلة عدم ثبات المتباين إذ بلغ معامل التحديد (0.568833) وهي اكبر من (0.05).
الاستنتاجات

توصلت الدراسة ازدياد مشكلة الدين العام بعد عام 2015 نتيجة انخفاض اسعار النفط وزيادة النفقات العسكرية وكذلك توصلت الدراسة الى وجود علاقة قصيرة الاجل الى الاجل الطويل أي انه المتغير المستقل يفسر المتغيرات التابعة بسبب معنوية المعلمات الاحصائية .

التوصيات

ضرورة الاهتمام بموضوع الدين العام واثاره السلبية على المستوى الاقتصادي والاجتماعي طويل الاجل مما يسبب مشاكل الى الاجيال القادمة وكذلك العمل على استخدام

مبالغ الدين العام في المجالات الاستثمارية والمشاريع الانتاجية بهدف زيادة الايرادات على المستوى الطويل .

المصادر

- 1- المعطي ، علاء ابراهيم عبد (2016)، اذونات وسندات الخزانة العامة دراسة مقارنة - دار الفكر والقانون للنشر والتوزيع ، المنصور ، مصر .
- 2- حريتي ، فضيلية (2006-2005)، مشاكل الديون الخارجية وثرها على التنمية الاقتصادية في الدول النامية ، اطروحة دكتوراه ، الجزائر .
- 3- محمد، عد الحليم عمر (2003) ، الدين العام المفاهيم - المؤشرات - الاثار بالتطبيق على حالة مصر ندوة "ادارة الدين العام " ، 21ديسمبر .
- 4- قانون الادارة المالية والدين العام رقم 95 لسنة 2004 ، 2011 .
- 5- ثويني ، فلاح حسن (2006) ، مشكلة المديونية الخارجية الاسباب والاثار ، المجلة العراقية للعلوم الاقتصادية ، المجلد 3 ، العدد 10 ، 2006.
- 6- دردوري ، لحسن ، والاخضر ، لقلبي (2018)، اساسيات المالية العامة ، دار حميثرا للنشر والترجمة .
- 7- صخري ، عمر (2005)، التحليل الاقتصادي الكلي، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الخامسة.
- 8- محمد ، ايمان عبدالسلام (2018) ، أثر الإنفاق العام في نمو الناتج المحلي الإجمالي ، جامعة بلاد الشام ، كلية الشريعة والقانون ، الجمهورية العربية السورية .
- 9- عبيد، باسم خميس (2017)، تقدير اثر الدين العام الداخلي على الاساس النقدي في الاقتصاد العراقي للمدة (2006-2015)، مجلة جامعة الانبار للعلوم الاقتصادية والادارية، جامعة الانبار، المجلد9، العدد19.
- 10- السلطان، مهند بن عبد الملك، والبكر، احمد بن بكر (2016)، مفهوم الناتج المحلي الاجمالي دراسة وصفية، ادارة الابحاث الاقتصادية، مؤسسة النقد العربي السعودي، الرياض.
- 11- رجب، معين (2001) "اقتصاديات المالية العامة"، جمعية الاقتصاديين الفلسطينيين، غزة، ط4.

12- عبيد ، عزيز محمد عبدالله (2015) "اثر الدين العام على الانفاق الحكومي دراسة تطبيقية على الدين العام للسلطة الفلسطينية للفترة 1997-2013" ، الجامعة الاسلامية - غزة ، كلية التجارة .

13- الجبوري ، جميلة (2012) ، ميزان المدفوعات الجزائري في ظل انضمام الجزائر الى المنظمة العالمية للتجارة ، مجلة الباحث ، 11(11).

14- Christabell, M.(2013). THE RELATIONSHIP BETWEEN PUBLIC DEBT AND ECONOMIC GROWTH IN KENYA, International Journal of Social Sciences and Project Planning Management, 1 (1) , 01-21.

15- Callen, T. (2012). Gross domestic product: An economy's all. *International Monetary Fund: Washington, DC, USA.*



الوسوسة وسبل علاجها في التصور الاسلامي دراسة عقدية

م. د. مؤيد عبدالله فرحان

ديوان الوقف السني

دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية

الملخص

ويتلخص هذا البحث بما قاله الامام الغزالي رحمه الله: الشيطان يأتي ابن آدم من قبل المعاصي فإن امتنع أتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة فإن أبي أمره بالتحرج والشدّة حتى يحرم ما ليس بحرام فإن أبي شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرجّه عن العلم فإن أبي خفف عليه أعمال البر حتى يراه الناس صابراً عفيفاً فتميل قلوبهم إليه فيعجب نفسه وبه يهلكه وعند ذلك يشتد إحاحه فإنها آخر درجة ويعلم أنه لو جاوزها أفلت منه إلى الجنة.⁽¹⁾

Summary

This research is summarized by what Imam Al-Ghazali, may God have mercy on him, said: Satan comes to the son of Adam through disobedience. He has to do righteous deeds until people see him patient and chaste, so their hearts incline to him, and he admires himself and destroys him.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فالشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد الحق والوعد بالخير والأمر بالمعروف ذلك، وهو الوعد بالشر والأمر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر فالوسوسة في مقابلة الإلهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان وإليه الإشارة بقوله تعالى: (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)² فإن الموجودات كلها متقابلة

مزدوجة إلا الله تعالى- فإنه فرد لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للأزواج كلها فالقلب متجاذب بين الشيطان والملك³.

وقد قال ﷺ (لِابْنِ آدَمَ لَمَتَانِ: لَمَةٌ مِنَ الْمَلِكِ، وَلَمَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَأَمَّا لَمَةُ الْمَلِكِ فَايْعَادٌ بِالْخَيْرِ، وَتَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ، وَتَطْيِيبٌ بِالنَّفْسِ، وَأَمَّا لَمَةُ الشَّيْطَانِ، فَايْعَادٌ بِالشَّرِّ، وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ، وَتَخْبِثٌ بِالنَّفْسِ)⁴.

فإن موضوع الوسوسة من المواضيع المهمة التي ذكرها اهل العلم رحمهم الله - في كثير من مصنفاتهم ؛ لأنها لها صلة بالإنسان وخاصة اذا كان الشيطان يجري معه مع سريان الدم ، والامر الاله كونه خفي وانما يدخل للإنسان وخاصة العبد المسلم من المنافذ التي سوف نعرضها في مجال البحث ، ولأهمية الموضوع تناولنا بحث بعنوان :

(الوسوسة في العبادات وسبل علاجها في التصور الاسلامي) فكانت خطة البحث على مبحثين : المبحث الاول : معنى الوسوسة وفيه :

المطلب الاول: الوسوسة لغة واصطلاحا

المطلب الثاني : الآيات الكريمة الواردة في الوسوسة ووجه الاستدلال

المطلب الثالث : اصناف الوسوسة

المطلب الرابع : الفرق بين الوسوسة الشيطانية والقهرية .

المبحث الثاني : الوسوسة منافذها وعلاجها وتناولت فيه:

المطلب الاول : معنى (نفذ) و (نفذ)

المطلب الثاني : منافذ الشيطان في الوسوسة

المطلب الثالث : علاج الوسوسة

وانتهى البحث بخاتمة عرضت فيها اهم النتائج المستخلصة من البحث ، ومن ثم قائمة بالمصادر التي تناولتها بالبحث .

ختاما : فان اصبحت فذلك فضل الله تعالى-علي ، وان اخطأت فمن نفسي ، ومن الشيطان الرحيم ، واخيرا اساله تعالى- ان ينال رضاه سبحانه والحمد لله رب العالمين.

المبحث الاول : معنى الوسوسة

ذكرت الوسوسة في مواطن عدة في القرآن الكريم ، وذلك بقول الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ (3) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (4) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (5) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (6)⁵

وسنة رسول الله ﷺ- وبهذا سأتناول معنى الوسوسة في المعنى اللغوي والاصطلاحي ان شاء الله.

المطلب الاول : معنى الوسوسة .

اولا: لغة: ذكر اهل العلم من اللغويين بان معنى الوسواس : " وسوس: الوسوسة: حديث النفس. والوسواس: الصوت الخفي من ريح تَهَزُّ قصباً ونحوه، وبه يُشَبَّه صوت الحلي، قال الأعشى:

تسمع للحلي وسواسا إذا انصرفت ... كما استعان بريح عَشْرِقٍ رَجُلٍ

وتقول: وسوس إليّ، ووسوس في صدري، وفلان موسوس، أي: غلبت عليه الوسوسة. والوسواس: اسم الشيطان، في قوله تعالى⁶: (مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ)⁷ وقد بين الزجاج رحمه الله- تأويل هذه الآية الكريمة بقوله:" والتأويل عندي: (فَلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ، الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ الَّذِي هُوَ مِنَ الْجِنِّ) وَالنَّاسِ مَعُطُوفٌ عَلَى الْوَسْوَاسِ، الْمَعْنَى: مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ، وَمِنْ شَرِّ النَّاسِ. ⁸ فتبين ان " إبليس يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ خَسَنَ، وَقِيلَ: إِنَّ لَهُ رَأْسًا كَرَأْسِ الْحَيَّةِ يَجْتُمُّ عَلَى الْقَلْبِ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ الْعَبْدُ تَنَحَّى وَخَسَنَ، وَإِذَا تَرَكَ ذَكَرَ اللَّهُ رَجَعَ إِلَى الْقَلْبِ يُوسْوِسُ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْهُ"⁹.

ثانيا: الوسوسة اصطلاحاً .

وردت تعاريف كثيرة اصطلاحيه بينت معنى الوسوسة في المعنى الاصطلاحي وكان من اهمها:-

- 1- الوسوسة: هو " القَوْلُ الْخَفِيُّ لِقَصْدِ الْإِضْلَالِ مِنْ وَسْوَسٍ إِلَيْهِ وَوَسْوَسَ لَهُ، أَيْ فَعَلَ الْوَسْوَسَةَ لِأَجْلِهِ، وَهِيَ حَدِيثُ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ بِمَا لَا نَفْعَ"¹⁰.
- 2- عرفها الامام الغزالي رحمه الله: " عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والأمر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر"¹¹.
- 3- وعرفت بانها:" تردد الشيء في النفس من غير أن يطمئن إليه ويستقر عنده"¹².

وعلى ما يبدو ان الوسوسة التي نحن بصدها هي القول الخفي بما لا نفع فيه ومفاد القول : " يُقَالُ لَمَّا يَقَعُ فِي النَّفْسِ مِنْ عَمَلِ الشَّرِّ، وَمَا لَا خَيْرَ فِيهِ وَسْوَاسٌ وَلَمَّا يَقَعُ مِنْ عَمَلِ الْخَيْرِ إِلْهَامٌ، وَلَمَّا يَقَعُ مِنَ الْخَوْفِ إِيْجَاسٌ، وَلَمَّا يَقَعُ مِنْ تَقْدِيرِ نَيْلِ الْخَيْرِ أَمَلٌ، وَلَمَّا يَقَعُ مِنْ تَقْدِيرِ لَا عَلَى إِنْسَانٍ وَلَا لَهُ خَاطِرٌ"¹³.

المطلب الثاني: الآيات الواردة في الوسوسة ووجه الدلالة.

جاء في القرآن الكريم آيات تدل على وسوسة الشيطان للإنسان واغوانه وابعاده عن ما امره الله تعالى - وما جاء في القرآن الكريم دلالة على ذلك :

- 1- ما جاء في سورة الاعراف وما تدل على التشكيك لابني ادم في ايمانه وعدله عن الحق . قال تعالى: (فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِيهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ)¹⁴

ومفاد هذه الآية الكريمة ان الشيطان ابدى عداوته لابن ادم من لحظة طرد الله تعالى - له ؛ بسبب عدم اطاعة امر الله تعالى- بالسجود لسيدنا ادم عليه السلام- فقام بأبداء الوسوسة لبني ادم بالتشكيك وغيرها من الوسواس الشيطانية بدليل قول اهل العلم: اراد ان يضلهم بالتشكيك بأمر الدين وغيره" لأَقْعَدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ يعني : لأَقْعَدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، وهو دين الإسلام فأصدَّ الناس عن ذلك. ثُمَّ أَدْعُوهُمْ إِلَيْهَا وَمَنْ خَلَفَهُمُ الْآخِرَةُ أَشْكَكْهُمْ فِيهَا وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ قَالَ الْحَقُّ: أَشْكَكْهُمْ فِيهِ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ قَالَ: الْبَاطِلُ أَخْفَفَهُ عَلَيْهِمْ وَأَرْغَبَهُمْ فِيهِ. فَازَيْنَ لَهُمُ التَّكْذِيبَ بِالْبَعْثِ بِأَنَّهُ لَا جَنَّةَ وَلَا نَارَ، وَمَنْ خَلَفَهُمْ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَازَيْنَهَا فِي أَعْيُنِهِمْ وَأَرْغَبَهُمْ فِيهَا، فَلَا يَعْطُونَ حَقًّا عَنْ أَيْمَانِهِمْ أَي: مِنْ قَبْلِ دِينِهِمْ فَإِنْ كَانُوا عَلَى الضَّلَالَةِ زَيَّنَتْهَا لَهُمْ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى شَبَّهَتْهُ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَشْكُوا فِيهِ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ مِنْ قَبْلِ اللَّذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ"¹⁵.

2- وجاءت في سورة طه الوسوسة بمعنى النصيحة ظاهرها، ولكن يراد بها السوء والعصيان قال تعالى:(فَوَسَّوسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى)¹⁶ فجاءت هنا الوسوسة بمعنى النصيحة بأعلى مراتبها وهو الخلود والملك وهو بذلك "أنهى إلى آدم وسوسته وأبلغ، فتعديته بإلى باعتبار تضمينه معنى الإنهاء والإبلاغ، على شجرة من أكل منها .. خلد، ولم يمت أصلاً، سواء كان على حاله أو بأن يكون ملكاً، فأضافها إلى {الْخُلْدِ} وهو الخلود؛ لأنها سببه بزعمه أي فألقى النصيحة إلى آدم، وقال له: هل أدلك على شجرة إن أكلت منها .. خلدت ولم تمت، وملكت ملكاً لا ينقضي ولا يفنى. فكانت هذه الوسوسة ممزوجة بنصيحة ؛ لتكون ابغ للاستماع والطاعة"¹⁷.

3- ما جاءت في سورة ق ما يتحدث به الانسان في مفكرته وتستعمل لغير الخير قال تعالى:(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسَّوسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)¹⁸ وهذا ما دل عليه اهل العلم بقولهم: "وَتُوسَّوسُ مَعْنَاهُ: تَتَحَدَّثُ فِي فِكْرَتِهَا، وَاسْمِي صَوْتِ الْحَلِيِّ وَسَوَاسِ الْخَفَائِهِ، وَالْوَسْوَسَةُ إِنَّمَا تَسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ الْخَيْرِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ عِبَارَةٌ عَنْ قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ، وَكُونَ الْعَبْدِ فِي قَبْضَةِ الْقُدْرَةِ، وَالْعِلْمُ قَدْ أَحْيَيْتُ بِهِ، فَالْقُرْبُ هُوَ بِالْقُدْرَةِ وَالسُّلْطَانِ، إِذْ لَا يَنْحَجِبُ عَنْ عِلْمِ اللَّهِ بَاطِنٌ وَلَا ظَاهِرٌ، وَكُلُّ قَرِيبٍ مِنَ الْأَجْرَامِ فَبَيْنَهُ وَبَيْنَ قَلْبِ الْإِنْسَانِ حَجَبٌ"¹⁹.

4- وردة لفظة الوسوسة كذلك في سورة الناس وبينت بان الله تعالى - امر الاستعاذة من وسوسة الانسان والجن وقدم الاستعاذة من الانسان قبل الجان ؛ لان خطر

وسوستهم اعظم من الجان بدليل قوله تعالى: (مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ)²⁰ .

قال الامام الرازي رحمه الله- تعقيبا على هذه السورة الكريمة " السَّبَبُ فِي تَكْرِيرِ لَفْظِ النَّاسِ أَنَّهُ إِنَّمَا تَكَرَّرَتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ، لِأَنَّ عَطْفَ الْبَيَانِ يَحْتَاجُ إِلَى مَزِيدِ الْإِظْهَارِ، وَلِأَنَّ هَذَا التَّكْرِيرَ يَفْتَضِي مَزِيدَ شَرَفِ النَّاسِ، لِأَنَّهُ سُبْحَاتَهُ كَأَنَّهُ عَرَفَ ذَاتَهُ بِكَوْنِهِ رَبًّا لِلنَّاسِ، مَلِكًا لِلنَّاسِ، إِلَهًا لِلنَّاسِ. وَلَوْلَا أَنَّ النَّاسَ أَشْرَ مَخْلُوقَاتِهِ وَإِلَّا لَمَا حَتَمَ كِتَابَهُ بِتَعْرِيفِ ذَاتِهِ بِكَوْنِهِ رَبًّا وَمَلِكًا وَإِلَهًا لَهُمْ"²¹.

تبيين من القراءة المتواضعة في القران الكريم- ان الوسوسة يأتي بها ابليس ولكن بتلبس متنوع حسب حاجة النفس البشرية وما يتأثرون به على ما قرره اهل العلم التي بينها في وجه الاستدلال للآيات القرآنية الكريمة والله اعلم .
المطلب الثالث : اصناف الوسوسة:

لقد اهتم اهل العلم رحمهم الله تعالى - وخاصة اهل الرقائق والآداب بجانب النفس البشرية وخاصة حالت الانسان وما يلقيه من وسوسة الشيطان ، وقد جمع الامام الغزالي رحمه الله - هذه الاصناف في مصنفه الاحياء وعقد لها كتابا سماه شرح عجائب القلب ، بيان معنى النفس والروح والقلب ، وبين فيها اصناف الوسوسة وكانت كالآتي:

اولا: صنف مدخله تلبس الحق والتصدي لمثل هكذا وسواس هو نسبة ايمان العبد بالكتاب والسنة بدليل قول الامام الغزالي بقوله:- " فان الشيطان قد يلبس بالحق فيقول للإنسان تترك التنعم باللذات فإن العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر ألمه عظيم فعند هذا إذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال لنفسه الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار أشد منه ولا بد من أحدهما فإذا ذكر العبد وعد الله تعالى ووعدته وجدد إيمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب إذ لا يستطيع أن يقول له النار أيسر من الصبر على المعاصي ولا يمكنه أن يقول المعصية لا تفضي إلى النار فإن إيمانه بكتاب الله عز وجل يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس إليه بالعجب بعمله فيقول أي عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبده كما تعبده فما أعظم مكانك عند الله تعالى فيتذكر العبد حينئذ أن معرفته وقلبه وأعضائه التي بها عمله وعلمه كل ذلك من خلق الله تعالى فمن أين يعجب به فيخنس الشيطان إذ لا يمكنه أن يقول ليس هذا من الله فإن المعرفة والإيمان يدفعه فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين المستبصرين بنور الإيمان والمعرفة"²².

ثانيا: صنف يوسوس بهيجان الشهوة وهذه تحتاج الى المعاندة للشيطان الا وهي المجاهدة وقد بينها الامام الغزالي رحمه الله- بقوله: " أن يكون وسواسه بتحريك الشهوة وهيجانها وهذا ينقسم إلى ما يعلم العبد يقيناً أنه معصية وإلى ما يظنه بغالب الظن فإن علمه يقيناً خنس الشيطان عن تهيج يؤثر في تحريك الشهوة ولم يخنس عن التهيج وإن

كان مذنوناً فربما يبقى مؤثراً بحيث يحتاج إلى مجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبية" ²³.

ثالثاً: وهذا الصنف هو ما تجتاح الانسان من الخواطر، وقد فصل هذا الصنف الامام الغزالي رحمه الله بقوله: " وسوسة بمجرد الخواطر وتذكر الأحوال الغالبة والتفكر في غير الصلاة مثلاً فإذا أقبل على الذكر تصور أن يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود فيتعاقب الذكر والوسوسة ويتصور أن يتساوقا جميعاً حتى يكون الفهم مشتتاً على فهم معنى القراءة وعلى تلك الخواطر كأنهما في موضعين من القلب وبعيد جداً أن يندفع هذا الخنس بالكلية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالاً" ²⁴.

ومن هذه الأقوال المباركة تبين ان الانسان لا يستطيع ان يتخلص من الوسوسة بأمد بعيد " وبالجملة فالخلاص من الشيطان في لحظة أو ساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه عمرا طويلا بعيد جداً ومحال في الوجود ولو تخلص أحد من وساوس الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله ﷺ فقد روي (كُنْتُ أَنْظِرُ إِلَى عِلْمِهَا، وَأَنَا فِي الصَّلَاةِ فَأَخَافُ أَنْ تَفْتَنَنِي) ²⁵ ²⁶.

المطلب الرابع: الفرق بين الوسواس القهري والشيطاني.

تطرقنا في بداية البحث عن الوسواس الذي يصيب الانسان من خلال اندفاعه الى اعمال تبعده عن الله تعالى - وعند القراءة لبعض الباحثين ، وجدنا ان هناك وسواس قهري لا يمكن دفعه بسهولة وهذا الذي سنتطرق اليه في هذا المطلب ان شاء الله - وقبل الشروع بالفرق نبين منى القهري لتكتمل الفائدة:

اولاً: القهري لغة: هو بمعنى الغلبة " قَهْرَهُ قَهْرًا: غلبه. وأقهرته: وجدته مقهوراً. وقهره: غلبه. وقهر اللحم أيضاً، إذا أخذته النار وسال ماؤه. ويقال: أخذت فلاناً قهراً بالضم، أي اضطرراً" ²⁷ فتبين ان هذه الوسوسة هي تأتي بغير رضا الانسان عنها ولكنها مضطر ومغلوب عليها وهي التي تكون حالها حال الامراض النفسية التي قد تصيب الانسان.

ثانياً: اما الفارق بين الوسواس القهري وبين وسواس الشيطان ، فهناك عدة فروق يجب ايضاحها؛ لكي تكتمل الفائدة:

1- وسواس الشيطان دانما ما تدعو الى ما تشتهيهِ النفس وتتمناه وتحبه، من النظر المحرم ، او فعل المحرمات مثل الزنا ومقدماته ، والسرقه ، والظلم ، والغيبة والنميمة وغيرها مما تعرض لسخط الله تعالى- على العبد فهو يستطيع ان يدعها ويمتنع عنها عن طريق الاستقامة والتقرب الى الله عز وجل - وملازمة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ - وملازمة الصالحين ²⁸.

2- اما الوسواس القهري الاضطرارية فهي مرض يصيب الانسان مثل كل الامراض التي له اسبابه المتهينة والمرسبة وهي:

أ- اما افكار وخواطر" وسواسية لا يريد لها المصاب ولا يرضى عنها . بل ويرفضها ويحاول منعها ومقاومتها ، ويعرف تماما انها لا معنى لها وانها غير حقيقية ، ولكنه مجبور مدفوع على التفكير فيها . " ففي هذه الحالة القلقية المزعجة تتكرر : "

اسئلته للعلماء والائمة والاطباء . واخفاء تلك الافكار والخواطر عن اهله واصدقائه ؛ حتى يسلم من سخريتهم او عدم اعترافهم انها مرض مثل كل الامراض او عدم احساس الناس بانه يتألم او يعانى"²⁹.

ب- ومنها الافعال القهرية وهذه تشترك بها " احوال الدين والدنيا مثل تكرار الصلاة او الوضوء او جزء منها ؛ بسبب الاحساس بان الماء لم يصل الى عضو من اعضاء الوضوء او انه نسي ركعة او سجدة في الصلاة وغيرها ، فتكون محاولة الانسان الموسوس هنا للتوقف عن هذه الافعال تسبب له القلق الشديد والشك ، ولا يجد الانسان مفرا من تكرارها بل والشعور بانه اسير تلك الطقوس"³⁰. هذه ابرز المفارقات بين الامرين ، ولكن اتضح بعد القراءة لهذا الموضوع :

1- ان الوسوسة القهرية تكون في حياة العبد واحواله الدنيوية وهو الاضطراب في الحياة اليومية الاجتماعية والمهنية تحت هذا الاطار.

2- فهي لا يترتب عليها اثم من حيث الثواب والعقاب ؛ لانه مضطر عليها ويجاهد بنفسه لدفعها عنه .

3- وهي تحتاج الى عرضه الى الطبيب النفسي ؛ ليساعده بالتوجيه والدواء الناجع عند تشخيصه بانه احد الامراض التي تصيب الانسان . اما اذا لم يصل الانسان الى حد الاضطراب فانه يكتفي من الاستعانة " بالعلاج المعرفي السلوكي ، او افادة غيرك من المرضى"³¹.

4- اما وسواس الشيطان فانه يترتب عليه سخط الله تعالى- وعقوبته في كل ما نهى الله عنه من الكبائر والصغائر ويمكن ان يتجاوزها العبد ويدفع بها ؛ عن طريق المجاهدة والتقرب الى الله تعالى- بالصلاة وقراءة القران والدعاء وغيرها من المنجيات ومصاحبة اطباء القلوب الصادقين"³².

المبحث الثاني: الوسوسة منافذها وعلاجها

قال النبي - ﷺ: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ ». قَالُوا: وَإِيَّاكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمْتُ فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ»³³ وقد وصف الله عز وجل الشيطان بأعظم صفاته، وأشدها خطراً، وأقواها تأثيراً، وأعمها فساداً، وهي الوسوسة التي هي مبادئ الإرادة.³⁴ وفي هذا المبحث سأتناول فيه:

المطلب الاول : معنى (منفذ) و (منفذ)

اولاً: منافذ : " النُّونُ وَالْفَاءُ وَالذَّالُ: أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَضَاءٍ فِي أَمْرٍ وَغَيْرِهِ. وَنَفَذَ السَّهْمَ الرَّمِيَّةَ نَفَادًا. وَأَنْفَذْتُهُ أَنَا. وَهُوَ نَافِذٌ: مَاضٍ فِي أَمْرِهِ." وهناك كلمة: (نَفَذَ) النون وَالْفَاءُ وَالذَّالُ: أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى انْقِطَاعِ شَيْءٍ وَفَنَائِهِ. وَنَفَذَ الشَّيْءُ يَنْفُذُ نَفَادًا."³⁵ ومن بيان هذان التعريفان يتضح ان مفهوم نَفَذَ هو امضاء الامر، ولكن يمكن ايقافه بطرق

المعالجة الشرعية كما في الوسوسة. اما (نفذ) يدل على الانتهاء وذاهب الى الفناء ولا رجعة فيه والله اعلم.

المطلب الثاني : منافذ الشيطان في الوسوسة.

فقد ذكر اهل العلم منافذ لوسوسة الشيطان التي يستطيع منها ان يدخل الى نفس الانسان من وسوسته اليه وكان من اهمها:

1- الحسد من شياطين الإنس والجن، لكن شياطين الجن ينفردون بالوسوسة في القلب؛ فالحاسد والساحر يؤذيان المحسود والمسحور بلا عمل منه، بل هو أذى من أمر خارج عنه والوسواس إنما يؤذي العبد من داخل بواسطة مساكنته له وقبوله منه واليهود أسحر الناس وأحسدهم³⁶ بدليل قوله تعالى عنهم: (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ)³⁷.

2- التفكير في ذات الله تعالى- وصفاته وخاصة للعوام الذين لم يمارسوا العلم على الرغم من أن العباد نهوا أن يتفكروا في ذات الله، وفي حقيقة صفاته وكيفيةها، وأمروا أن يفكروا في مخلوقات الله الدالة على قدرته، إلا أننا نجد الشيطان يوسوس لبعضهم ويورد عليهم أسئلة تضيق منها صدورهم ويخرجون منها. مصداقاً لما تنبأ به رسول الله ﷺ عندما حدث ذلك لبعض أصحابه. فقد صح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَا أَيُّ الشَّيْطَانِ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا، مَنْ خَلَقَ كَذَا، حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبِّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيُنْتِهِ)"³⁸.

فإن العلم باستغناء الله تعالى عن كل ما يوسوسه الشيطان " أمر ضروري لا يحتاج للاحتجاج والمناظرة فإن وقع شيء من ذلك فهو من وسوسة الشيطان وهي غير متناهية فمهما عورض بحجة يجد مسلماً آخر من المغالطة والاسترسال فيضيع الوقت إن سلم من فتنته فلا تدبير في دفعه أقوى من الإلجاء إلى الله تعالى- بالاستعاذة به."³⁹ بدليل قوله تعالى: (وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)⁴⁰. فإبليس إنما يقوى منافذ تليسه على قدر قوة الجهل، وما يراه من المشاهدات المحسوسة العظيمة الخلق وقد افتن فيما فتن به العوام وإنما وقعت هذه المحنة لغلبة الحس، بمعنى صفات الله عز وجل فيحملونها على مقتضى الحس فيعتقدون التشبيه وهو أنه ما رأى شيئاً إلا مفعولاً⁴¹.

3- اطلاقهم أنفسهم في المعاصي بمعنى من يقول الرب كريم والعفو واسع والرجاء من الدين فيسمون تمنيمهم واغترارهم رجاء وهذا الذي أهلك عامة المذنبين قَالَ الْأَصْمَعِيُّ كُنْتُ مَعَ أَبِي نَوَاسٍ بِمَكَّةَ فَإِذَا أَنَا بِغُلَامٍ أَمْرَدٍ يَسْتَلِمُ الْحَجْرَ الْأَسْوَدَ فَقَالَ لِي أَبُو نَوَاسٍ وَاللَّهِ لَا أُبْرَحُ حَتَّى أَقْبِلَهُ عِنْدَ الْحَجْرِ الْأَسْوَدِ فَقُلْتُ وَيْلَكَ أَتَى اللَّهَ عِزَّ وَجَلَّ فَإِنَّكَ بَيْدٌ حَرَامٌ وَعِنْدَ بَيْتِهِ الْحَرَامُ فَقَالَ مَا مِنْهُ بَدٌّ ثُمَّ دَنَا مِنَ الْحَجْرِ فَجَاءَ الْغُلَامُ يَسْتَلِمُهُ فَبَادَرَ أَبُو نَوَاسٍ فَوَضَعَ خَدَّهُ عَلَى خَدِّ الْغُلَامِ فَقَبَلَهُ وَأَنَا أَنْظُرُ فَقُلْتُ وَيْلَكَ أَفِي حَرَمِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ فَقَالَ دَعِ ذَا عَنكَ فَإِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ ثُمَّ أَشَدُّ يَقُولُ: وَعَاشِقَانِ التَّفِّ خِدَاهُمَا ... عِنْدَ اسْتِلَامِ الْحَجْرِ الْأَسْوَدِ

فاشتغفيا من غير أن يأتئما ... كأنما كانا على موعدا⁴²

فهذه الجراءة بتطمين النفس بان رحمة الله اوسع هي بحد ذاتها منفذ لوساوس الشيطان المضرة للعبد ؛ لأنه نظر فيها إلى الرحمة ونسي شدة العقاب بانتهاك تلك الحرمة⁴³.

4- في العبادات، كالطهارة والصلاة وغيرهما من المجالات التي استحوذ بها الشيطان على بعض بني آدم الوسوسة في الطهارة والصلاة ونحوهما، فهذا من أوسع المجالات ولوجاً للشيطان في نفوس الضعفاء ممن لم يجد لهم مدخلاً غيره. قال ابن الجوزي تحت باب: ذكر تلبس إبليس على العباد في العبادات: " اعلم أن الباب الأعظم الذي يدخل منه إبليس على الناس هو الجهل، فهو يدخل منه على الجهال بأمان، وأما العالم فلا يدخل عليه إلا مسارقة، وقد لبس إبليس على كثير من المتعبدین بقلة علمهم ؛ لأن جمهورهم يشتغل بالتعب ولم يحكم العلم،"⁴⁴ ومن امثلة نوافذ الشيطان للوسوسة بهذا الجانب :

- أنه يأمرهم بطول المكث في الخلاء.
- ومنهم من يلبس عليه بكثرة استعمال الماء.. وربما أطال الوضوء ففات وقت الصلاة، أو فات أوله وهو فضيلة، أو فاتته الجماعة⁴⁵
- ومن التنبهات المهمة التي تغيب على كثير من الناس وسواس الماء في الوضوء فقد وردت أحاديث كثيرة تنهى وتحذر منه :

قال الرسول ﷺ : (للوضوء شيطان يقال له الولهان ، فاتقوا وسواس الماء)⁴⁶ .

5- ومن منافذ المهمة أيضا الشبع من الطعام وإن كان حلالاً صافياً فإن الشبع يقوي الشهوات والشهوات أسلحة الشيطان ، فانه تنتج عنه خصال مذمومة ذكرها الامام الغزالي رحمه الله- " أولها أن يذهب خوف الله من قلبه الثاني أن يذهب رحمة الخلق من قلبه لأنه يظن أنهم كلهم شباع والثالث أنه يتقل عن الطاعة والرابع أنه إذا سمع كلام الحكمة لا يجد له رقة والخامس أنه إذا تكلم بالموعظة والحكمة لا يقع في قلوب الناس والسادس أن يهيج فيه الأمراض"⁴⁷.

6- ومن منافذ الشيطان المهمة هو التعصب للمذاهب والقبائل والأهواء والأشخاص، والحد على الخصوم، والنظر إليهم بعين الازدراء والاستخفاف والاحتقار⁴⁸.

7- سوء الظن بالمسلمين، فيغريه الشيطان بغيبته فيهلك، ويقصر في القيام بحقه، أو يتوانى في إكرامه، فإن المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان إلى القلب وليس للآدمي صفة مذمومة إلا وهي سلاح يتنفذ منه الشيطان اليه⁴⁹.

فان هذه المنافذ التي ذكرناه هي من أبرز الوسوسات التي يدخل اليها الشيطان للإنسان ، لكونها مخفية والشيطان يترصد في مستنقع الظلمات.

المطلب الثالث : علاج الوسوسة.

فالغناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب وفي مرضها فوت حياة باقية أولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب إذ لا يخلو قلب من القلوب عن أسقام لو أهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد إلى تأنيق في معرفة علمها وأسبابها ثم إلى تشمير في علاجها وإصلاحها فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا)⁵⁰، وإهمالها هو المراد بقوله تعالى: (وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)⁵¹ ⁵² وقد بين القرآن الكريم والسنة المطهرة واهل العلم العارفين بكثير من علاجات لهذا الداء فكان من أهمها:

- 1- ان يفقه الانسان ان هناك اله عظيم خالق كل شئ ، وان الشيطان خلق خلقه الله تعالى- وانه سبحانه امرنا بمجاهدته قال تعالى:(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)⁵³ فهنا دلالة واضحة على الذين "جاهدوا أنفسهم في هواها وشهواتها وأمانيتها حقيقة ابتغاء مرضات الله وطلب الهداية والدين وسبيله (لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)⁵⁴ وهذا الذي الطفه بهم سبحانه بنتيجة المجاهدة بان زين ظواهرهم " بالمجاهدات حسنت سرانهم بالمشاهدات. الذين شغلوا ظواهرهم بالوظائف أوصلنا إلى سرانهم اللطائف. الذين قاسوا فينا التعب من حيث الصلوات جازيناهم بالطرب من حيث المواصلات. ويقال الجهاد فيه: أولا بترك المحرمات، ثم بترك الشبهات، وحفظ الحواس لله، وبعد الأنفاس مع الله⁵⁵.
- 2- ان يكثر العبد من الاستعاذة بالله تعالى- من شر النفس وشر الشيطان وهذه من الادوية المعالج للوسوسة لما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة قال تعالى: (وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)⁵⁶ وصح عن النبي ﷺ- في مداومته على الاذكار في المساء والصباح على الدعاء بقوله: (اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِكُهُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَه، وَأَنْ أَقْتَرَفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا أَوْ أَجْرَهُ إِلَى مُسْلِمٍ)⁵⁷ ؛ لكي يحرز الانسان بها نفسه وكونها مركبه، وموضع شره، ومحل طاعته، ولذلك فهو ملازم لها⁵⁸.
- 3- قراءة القرآن الكريم بتدبر آياته العظيمة ، لان قرأته دواء وشفاء لكل داء ، فأمر الله العبد أن يطرد مادة الداء، ويخلي منه القلب. والقرآن مادة الهدى والعلم والخير والرحمة في القلب ⁵⁹ قال تعالى: (وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا)⁶⁰ فقراته للقران فيه منافع منها الشفاء والرحمة.
- 4- ذكر الله تعالى – وملازمته لجميع الاذكار التي توحد الله تعالى- وتنزهه من كل نقص ، وتبعث بالقلب الطمأنينة وابعاد القلق عنه قال تعالى : (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)⁶¹ وخاصة كلمة التوحيد لا اله الا الله " أنفع علاج في دفع الوسوسة الإقبال على ذكر الله تعالى والإكثار منه⁶².
- 5- الاخلاص بالدعاء الى الله عز وجل- والتضرع اليه ، ليكون على يقين بان الدعاء هو المخلص للإنسان من كل بلية ، وهذا دواء الانبياء والصالحين عند النوازل وقضاء

الحاجات قال تعالى : (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ)⁶³.

6- الادعية النبوية الخاصة لكل داء ، فكان النبي ﷺ - يعطي الدواء العام والخاص لكل حالة يسأل عنها ، فمثلا سورة الاخلاص والعمودتين كان يعطيها دواء عام ملازم للعبد في الصباح والمساء ، ومنها مايكون خاص وهو كثير مبسوط في الكتب النبوية الشريفة ، فمثلا عن البراء بن عازب، أَنَّ رَجُلًا اسْتَكَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَحْشَةَ فَقَالَ: (قُلْ: سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ، رَبِّ الْمَلَائِكَةِ، وَالرُّوحِ، جَلَّتِ السَّمَاوَاتُ، وَالْأَرْضُ بِالْعِزَّةِ، وَالْجَبْرُوتِ)، فَقَالَهَا الرَّجُلُ فَأَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ الْوَحْشَةَ)⁶⁴.

7- التوكل على الله تعالى - والثقة به سبحانه متى اعتمد القلب "على الله، وتوكل عليه، ولم يستسلم للأوهام ولا ملكته الخيالات السيئة، ووثق بالله وطمع في فضله، اندفعت عنه بذلك الهموم والغموم، وزالت عنه كثير من الأسقام القلبية والبدنية، وحصل للقلب من القوة والانشراح والسرور ما لا يمكن التعبير عنه، والمعافى من عافاه الله ووقفه لجهاد نفسه لتحصيل الأسباب النافعة الموقية للقلب، الدافعة لقلقه، قال تعالى: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)⁶⁵ أي كافيهِ جميع ما يهمة من أمر دينه ودنياه"⁶⁶.

8- الشكوى إلى أهل العلم والدين الصادقين، وطلب النصح والمشورة منهم، فإن نصائحهم وآراءهم من عظم المُثَبِّتَاتِ في المصائب. فيسمع المسلم من أهل العلم والقدوة . ما يسليه ويخفف عنه آلام الوسوسة التي يبتلى بها الانسان المسلم فقد شكى الصحابة ﷺ ما كانوا يلقون ويجدون العلاج بالمشاورة⁶⁷ . فاعلم أن مثال النفس في" علاجها كالبدن في علاجه، فكما أن البدن لا يخلق كاملاً، وإنما يكمل بالتربية والغذاء، كذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال، وإنما تكمل بالتركية وتهذيب الأخلاق، والتغذية بالعلم"⁶⁸ .

هذه من جل العلاجات التي تناولناها عن طريق الكتاب والسنة واقوال اهل العلم فيها فإذا " لزم هذا قبله في اليقين الراسخ والعمل النافع، ولزم ذلك كل عضو منه وكل جارحة وكل مفصل وعرق وعصب وشعر وبشر، وكذلك يتيقن أن الله تعالى قائم على ذلك عالم به، أحاط به علماً لا تعزب عنه عازية، وأنه خلقه فأحسن خلقه، وصوره فأحسن صورته، وثبت جميع ذلك في قلبه، وصح به عزمه وأكمل عقله فلا تكون منه خطرة ولا لحظة ولا وسوسة"⁶⁹ ان شاء الله .

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتبلغ المكرمات ان شاء الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله الطيبين الطاهرين ومن تبعهم الى يوم الدين ، ففي نهاية هذا البحث المبارك وعند القراءة المتواضعة تولدت لدى الباحث نتائج ممكن ادراجها في نقاط وكان من اهم ما توصل اليه البحث:

- 1- بين هذا البحث بان الوسوسة من الشيطان ، يتبعها هو وجنوده ؛ للإغواء بني دم وغرضها الحقد والحسد وهو منفذ من منافذة الخبيثة.
- 2- تناول البحث منافذ الوسوسة سواء كانت في الاعتقاد اوفي العبادة ، ببيانها واعطاء الدواء الناتج من القران الكريم ، والسنة المطهرة واقوال اهل العلم الصادقين العالمين العاملين .
- 3- انماز البحث بأن هناك وسوسة قهرية واخرى شيطانية، فالقهرية هي التي اضطر عليها الانسان وقد تكون في جوانبه الاجتماعية والعملية ، وهي مرض نفسي يصيب الانسان ويمكن علاجه روحيا وصحيا ولا يترتب عليه ثواب ولا عقاب . اما وسوسة الشيطان فأنها تبعده وتسخط الله تعالى - عليه مثل وسوسة الغيبة والنظر الى المحرمات وغيرها وهي ما يترتب عليها من الثواب والعقاب.
- 4- اوضح البحث ان اهم علاج هو العلم الموصل الى الحقيقة ، وان ابليس اغلب منافذه اطفاء هذا النور.
- 5- بين البحث ان لا يتمادى الانسان بالحرام على ان رحمة الله تعالى- واسعة ، وهو من اشد المنافذ التي يوسوس الشيطان بها للإنسان المسلم بتأمينه من عقاب الله تعالى .
- 6- لا بد للعبد المسلم ان يعلم ان معركة الشيطان باقية الى قيام الساعة ، اما ان يجاهده ويفوز برضى الرحمن ، واما ان يطيعه وينال غضب الجبار قال تعالى(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- 1- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: 505هـ) ، دار المعرفة - بيروت .
- 2- الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ) دار الكتب العربي ، بيروت 1404هـ - 1984م.
- 3- الأعلام ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي الزركلي الدمشقي (ت: 1396هـ)، دار العلم للملايين، ط15، 2002 م
- 4- إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت 751) ، تحقيق: محمد شمس ، تخريج: مصطفى بن ايتم ، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، ط1، 1432 هـ.

- 5- بحر العلوم ، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، تحقيق: د.محمود مطرجي، دار الفكر - بيروت.
- 6- تأويلات أهل السنة ، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: 333هـ) تحقيق: د. مجدي باسلوم ، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان ط1، 1426 هـ - 2005 م
- 7- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي الشافعي، إشراف ومراجعة: د هاشم محمد، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان ط1، 1421 هـ - 2001 م
- 8- تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين ، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: 373هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط3، 1421 هـ .
- 9- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (ت: 370هـ) تحقيق: محمد عوض ، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 2001م
- 10- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه المسمى: صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة ، ترقيم محمد فؤاد، ط1، 1422هـ.
- 11- ذم الموسوسين ، ابن قدامة المقدسي (ت 620 هـ) تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، الفاروق الحديثة - مكتبة التوعية الإسلامية ، ط1 1407 هـ.
- 12- الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: 465هـ)، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة
- 13- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن القيم الجوزية، تحقيق : شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت - الكويت، ط1، 1407، 14هـ - 1986م.
- 14- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي السجستاني (ت: 275هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية، صيدا - بيروت⁷⁰
- 15- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت: 275هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- 16- سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، (ت: 279 هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت ، سنة النشر : 1998 م.

- 17- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: 170هـ) تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال
- 18- الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل، عبد القادر بن موسى بن عبد الله الحسني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني (ت: 561 هـ) ،تحقيق: صلاح بن عويضة ،دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، ط1، 1417 هـ - 1997 م.
- 19-فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ،رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، أشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت، 1379.
- 20- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد محمد بن علي الحارثي، أبو طالب المكي (ت: 386هـ)تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط2، 1426هـ - 2005م.
- 21- الكليات ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ، تحقيق : عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت - 1419هـ - 1998م.
- 22- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري ، دار صادر - بيروت، ط1 بدون تأريخ.
- 23- لطائف الإشارات ، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: 465هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة العامة للكتاب مصر، ط3.
- 24-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت: 542هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1 - 1422 هـ
- 25-مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: 666هـ) ،تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط5، 1420هـ / 1999م.
- 26- مُخْتَصَرُ مِنْهَاجِ الْقَاصِدِينَ، نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (ت: 689هـ) ،قدم له: الأستاذ محمد أحمد دهمان، مكتبة دار البيان، دمشق، 1398 هـ - 1978 م.
- 27-المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ) تحقيق: محمد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت

- 28-معالم التنزيل في تفسير القرآن ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت : 510هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1 ، 1420 هـ
- 29-معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
- 30- مفاتيح الغيب ، الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد التميمي الرازي الشافعي ، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1421هـ - 2000م.
- 31-موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، بيت الأفكار الدولية.
- 32-الوسواس القهري، د محمد شريف سالم، تقديم احمد فريد ، وهدى سلامة ، دار العقيدة ، القاهرة - ط5، 2008. 12
- 33- وفيات الأعيان و انباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ،(ت: 681هـ)، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة

1 - احياء علوم الدين : الامام الغزالي: 45/3

2 سورة الذاريات:49

3 احياء علوم الدين ، للغزالي:27/3

4 الزهد، لابن المبارك:503، رقم 1435، باب ذكر الله عز وجل

5 - سورة الناس / 604 .

6 سورة الناس: 4.

7 العين للخليل: 335/7

8 تهذيب اللغة للأزهري : 266/10، وينظر: مقاييس اللغة لابن فارس: 76/6، ومختار الصحاح للرازي: 339/1

9 لسان العرب لابن منظور: 71/6

10 الكليات للكفوي : 941.

11 احياء علوم الدين ، للغزالي: 27/3 .

12 فتح الباري ، لابن حجر: 161/5 .

13 الكليات ، للكفوي: 941-942.

14 سورة الاعراف : 20 .

15 بحر العلوم للسمرقندي: 506/1 ، وينظر: لطائف الاشارات للفشيري: 523/1، ومعالم التنزيل للبغوي : 183/2 .

16 سورة طه: 120

17 حدائق الروح والريحان للهروي : 451/17

18 سورة ق: 16

19 المحرر الوجيز لابن عطية: 159/5

20 سورة الناس : 4-6

21 مفاتيح الغيب للرازي:32/377

22 احياء علوم الدين، للغزالي:3/44

23 احياء علوم الدين ، للغزالي: 3/44

24 المصدر السابق نفسه

25 صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب اذا صلى في ثوب له اعلام ، رقم:(373) : 84/1

26 احياء علوم الدين ، للغزالي : 3/44

27 تهذيب اللغة ، للازهري:5/257، وينظر: لسان العرب ، لابن منظور:5/120

28 ينظر: الوسواس القهري: لشريف: 23

- 29 الوسواس القهري، لشريف: 23 ، وينظر: منهاج القاصدين ، لابن قدامة:243، وتلبيس ابليس، لابن الجوزي:124، و اغتة اليفان ، لابن القيم:1/251
- 30 ينظر : المصادر السابقة انفسها
- 31 الوسواس القهري، لشريف: 23
- 32 ينظر: قوت القلوب ، لابي طالب المكي: 200/1، وتنبية العاقلين ، للسمرقندي:598/1، هذه اخلاقنا، للخازن دار:261
- 33 صحيح مسلم ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس،2167/4، رقم2814
- 34 موسوعة فقه القلوب ، للتوحيدي 1362/2
- 35 مقاييس اللغة ، لابن فارس : 458/5
- 36 ينظر: احياء علوم الدين ، للغزالي: 32/3، وموسوعة فقه القلوب، للتوحيدي: 3167/4
- 37 سورة البقرة:109
- 38 صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق، باب صفة ابليس وجنوده :123/4، رقم 3276
- 39 فتح الباري، لابن حجر: 273/13
- 40 سورة الاعراف: 200.
- 41 ينظر: تلبيس ابليس ، لابن الجوزي: 343.
- 42 ديوان ابو نواس ، المكتبة الشاملة الكترونيًا: 40/1، وتلبيس ابليس، لابن الجوزي:346.
- 43 ينظر: تلبس ابليس ، لابن الجوزي: 346- 347.
- 44 تلبيس ابليس، لابن الجوزي:122، وينظر: ذم الموسوسين ، لابن قدامة: 20، وزاد المعاد ، لابن القيم :1/ 185، موسوعة الدين النصيحة ، للشحود:207/5.
- 45 ينظر المصادر السابقة انفسها.
- 46 سنن الترمذي: ابواب الطهارة ، باب كراهية الاسراف: 112/1، رقم 57، والمستدرک على الصحيحين ، للحاكم، ابواب الطهارة، حديث السيدة عائشة رضي الله عنها: 267/1، رقم 578
- 47 احياء علوم الدين ، للغزالي: 33/3.
- 48 ينظر: احياء علوم الدين ، للغزالي : 36/3 ، و موسوعة فقه القلوب، 1361/2
- 49 المصدر السابق نفسه
- 50 سورة الشمس : 9
- 51 سورة الشمس: 10
- 52 احياء علوم الدين، للغزالي:
- 53 سورة العنكبوت : 69
- 54 تأويلات اهل السنة ، للماتريدي: 246/8
- 55 لطائف الاشارات ، للتشيربي 106/3 ، وينظر: حقائق الروح والريحان،للامري:48/22
- 56 سورة فصلت: 36
- 57 سنن ابي داود: ابواب النوم ، باب ماذا يقول اذا اصبح ، 403/7، رقم5067، وقال عنه محققوه حديث صحيح
- 58 ينظر: موسوعة فقه القلوب ، للتوحيدي:1416/2
- 59 ينظر: احياء علوم الدين ، للغزالي:23/3وما بعدها.
- 60 سورة الاسراء : 82.
- 61 سورة الرعد : 28.
- 62 الاذكار المنتخبة من كلام سيد المرسلين، للنووي: 102.
- 63 سورة النمل : 62.
- 64 المعجم الكبير، للطبراني: باب النبأ ، براء بن عازب رضي الله عنه ، 24/2، رقم 1171
- 65 سورة الطلاق: 3
- 66 دليل الواعظ، لشحاته:656/2
- 67 ينظر: المصدر السابق نفسه
- 68 مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة:154
- 69 الغنية لطالبي الحق، للجيلاني:310/2

آيات الغسق في القرآن الكريم - دراسة تحليلية

م. د. عمر رحيم حسين

بحث مقدم الى دائرة التعليم الديني والدراسات الاسلامية

الملخص

يهدف البحث تناول مفردة الغسق ومشتقاتها وما لها من معاني متعددة في القرآن الكريم, وتفسير هذه الالفاظ بحسب مواضعها في القرآن الكريم, وذلك لمعرفة معنى هذه المفردة في القرآن الكريم وما يشتق من تلك المفردة من الفاظ أخرى, وقام الباحث بدراسة هذه المفردة وفق المنهج التحليلي والذي يتيح تصور تفصيلي لجوانب الآيات التي تناولت مفردة الغسق عن طريق تتبع اجزائها والمقارنة بين تلك المعاني, واختلاف العلماء فيها للوصول الى فهم اعرق لمعاني الكتاب العزيز, والخروج بمعنى عام يفسر المراد من الآية بحسب تلك الخطوات, وقد خرج الباحث بعدة نتائج تبين أن لفظة الغسق لها عدة دلالات تختلف باختلاف اشتقاقها, وقد استخدم القرآن تلك الاشتقاقات في مواضع مختلفة من القرآن الكريم, منها التغيير المناخي واهميته في الاستدلال على اوقات الصلاة, والتنوع في اساليب التعبير عن العذاب, او التحذير من شر الغاسق على الناس.

Summary

The research aims to address the term dusk and its derivatives and its multiple meanings in the Holy Qur'an, and to explain these terms according to their positions in the Holy Qur'an, in order to know the meaning of this term in the Holy Qur'an and what is derived from that term from other words. It provides a detailed visualization of the aspects of the verses that dealt with the term dusk by tracing its parts and comparing those meanings, and the differences of scholars in them to reach a deeper understanding of the meanings of the Holy Book, and to come up with a general meaning that explains the meaning of the verse according to those steps. The researcher came out with several results showing that the word dusk has

several connotations that differ according to its derivation, and the Qur'an has used these derivations in different places in the Holy Qur'an, including climate change and its importance in inferring the times of prayer, and the diversity in methods of expressing torment, or warning against the evil of the dusk. on people.

الحمد لله رب العالمين, وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فإن خير ما بذلت فيه الجهود, واشتغل به العلماء تعلماً ودراسةً وتفسيراً واستنباطاً, كتاب الله العزيز الذي: {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} (1), وقد تكفل الله بحفظه كما قال الله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (2), ويسر دراسته كما قال تعالى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ} (3), فأمر الناس بقراءته وتدبر معانيه فقال تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} (4), فهو كتاب هداية ودستور أمة, قال تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} (5), ولما كان علم التفسير أجل العلوم وأشرفها تعرضت الى دراسة هذا العلم ملتماً به التقرب إلى الله العلي الكبير, كي اغرف من معينه الذي لا ينضب, لعلي أقدم بهذه الدراسة خدمة لهذا الكتاب العظيم, وقد جاء البحث مقسماً على مقدمة ومبحثين وخاتمة:

أما المبحث الاول ففيه بيان عنوان البحث, وقد جاء على ثلاث مطالب:

المطلب الاول: تعريف الآيات لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف الغسق لغةً واصطلاحاً والالفاظ ذات الصلة.

المطلب الثالث: التعريف بالدراسة التحليلية.

اما المبحث الثاني القسم التحليلي فجاء مقسماً على ثلاث مطالب:

المطلب الاول: الغسق في موضع الصلاة

المطلب الثاني: معنى الغساق في موضع العذاب

المطلب الثالث: معنى الغاسق في موضوع التعوذ .

هذا وأسأل الله التوفيق والسداد فيما قدمت, إنه نعم المولى ونعم النصير.

أهمية البحث:

إن عظمة القرآن ودقة معانيه وبراعة أسلوبه تدفع الباحثين الى الطمع في كشف اسراره والوقوف على دقائقه واستنباط معانيه, ومن هذا المنطلق كانت الدراسات القرآنية محط انظار الباحثين ومبتغاهم في كل عصر, وقد أعتنى الباحثون بالدراسة التحليلية للآيات القرآنية لما فيها من اهمية بالغة, اذ من شأنها الاحاطة بكل جوانب الآية, والوقوف على معانيها, واستنباط أحكامها, ومعرفة مقاصدها, إن دراسة لفظة الغسق تتيح لنا معرفة استعمال القرآن لهذه اللفظة وما لها من دلالات ومفاهيم, وتعين على تفسير الآيات التي جاءت فيها هذه اللفظة وفهمها بصورة أدق وأوسع.

مشكلة البحث:

تناول مفردة الغسق ومشتقاتها وما لها من معاني متعددة في القرآن الكريم, وتفسير هذه الالفاظ بحسب مواضعها وفق المنهج التحليلي.

أهداف البحث:

1. التشرف بدراسة ما له صلة بكتاب الله تعالى.
2. الوقوف على مفردة الغسق وما يشتق من تلك المفردة من الفاظ أخرى, والمقارنة بين تلك المعاني, واختلاف العلماء فيها .
3. الوصول الى اهم النتائج في تحليل آيات الغسق , والتوصيات من قبل الباحث .

المبحث الاول

التعريف بمصطلحات البحث

المطلب الاول

التعريف بالآية

لغة: جمع آية، وآية: أَيْةٌ على وزن أَعْيَةٍ، خَفَّتْ ومدت فأصبحت آيةً، والآيةُ العلامة؛ لانقطاع الكلام الذي قبلها وبعدها، والآية: الجماعة، يقال: خرج القوم بأيّتهم اي بجماعتهم، فهي جماعة وطائفة من القرآن، والآية الأمر العجيب يقال فلان آية من الآيات, أي: أمره عجيب⁽⁶⁾, والآية العبرة كقوله تعالى: { إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ }⁽⁷⁾, أي: عبرة⁽⁸⁾, والناظر الى معنى الآية في اللغة يجده مراداً من المعنى الاصطلاحي، فالآية علامة على صدق النبوة، وهي جماعة من الحروف, وهي امرٌ عجيب في نسقه, معجز في ذاته⁽⁹⁾.

الآية في الاصطلاح: طائفة من جمل القرآن, مندرجة في سورة, لها بداية ونهاية⁽¹⁰⁾

المطلب الثاني

تعريف الغسق في اللغة والالفاظ ذات الصلة

أولاً: تعريف العسق في اللغة:

العسق ثلاثي صحيح مصدر من عَسَقَ يَغْسِقُ غَسُوقاً وَغَسَقاً وَغَسَقَاناً (11)، ويجيء على عَسَقٍ وَأَعْسَقٍ وهي بمعنى واحد(12)، والعَسَقُ أصل تتصرف منه عدة اشتقاقات ومعان؛ لأنَّ لفظ العسق من الاضداد وهي:

1. العَسَقُ: الليل إذا غاب الشفق(13)، وقيل: اشتداد ظلمته، وقيل: أول ظلمته(14).
2. غَسَقاً وَغَسَقَاناً: انصباب الماء، يقال: غسقت عينه إذا أدمعت، وغَسَقَ اللبن غَسَقاً انصب من الضرع، وغَسَقَت السماء انصببت، ويقال: غَسَقَ الجرح غَسَقاً وَغَسَقَاناً، أي: سال منه ماء أصفر(15).
3. العَاسِقُ: القمر إذا كسف فذهب ضوءه فاسود وأظلم، أو الشمس إذا كسفت، أو هو الثريا إذا سقط(16).
4. العَاسِقُ: الاسود من الحيات(17).

وسياتي تفصيل ذلك في موضعه.

ثانياً: الالفاظ ذات الصلة

انقسمت الالفاظ ذات الصلة بلفظة العسق الى معنيين هما:

أولاً: فما جاء بمعنى الانصباب(18):

1. دَمَعَت: الدمع ماء العين يقال: دَمَعَت تَدْمَعُ دَمْعاً إذا فاض ماء العين(19).
2. انهَجَمَت: هَجَمَ يَهْجِمُ هَجُوماً إذا انتهى إليه بغتة، وانهَجَمَت عينه: إذا دَمَعَت(20).
3. هَمَّت: هَمَّت تَهْمِي هَمِيّاً، يقال: هَمَّت عينه تَهْمِي إذا سالت(21).
4. رَفَرَقَت: رَفَقَ يَرْفُقُ رَفَقَةً فَهُوَ رَفِيقٌ وَرَفَاقٌ، يقال: تَرَفَرَقَت عَيْنُهُ: إذا دَمَعَت(22).

ثانياً: وما جاء بمعنى أظلم(23):

1. غَبَسَ: غَبَسَ الليل وأغبس أي: أظلم(24).
2. غَبِشَ وَأَغْبِشَ: الغَبِشُ: شدة الظلمة(25).
3. غَسِيَ الليلُ يَغْسِي، وَغَسَا يَغْسُو، وَأَغْسَى، إذا أظلم(26).
4. غَطِشَ الليل إذا أظلم، وليل غاطش، والغطاش ظلمة الليل(27).
5. العَسَقُ: من عَسِقَ به يَعْسِقُ عَسَقاً، أي: لَزِقَ به وَلَزِمَهُ وأولَعَ به، والعَسَقُ الظلمة كالعَسَقِ(28).

المطلب الثالث

التعريف بالدراسة التحليلية

يعد التفسير التحليلي منهج من مناهج التفسير المتعددة والتي أوصلها بعض الباحثين الى أربع أنواع وهي: التفسير الموضوعي، والتفسير الاجمالي، والمقارن، والتفسير التحليلي(29)، ومهما تعدد طرق التفسير وأساليبه إلا أن التفسير التحليلي لا يستغنى عنه المفسر بحال من الاحوال في الطرق الاخرى، حيث جمعت هذه الطريقة

جميع الخطوات المطلوبة في التفسير، وتتبع اجزاء الآية بالتفصيل، وقد سار أغلب المفسرون قديماً حديثاً على هذا النوع من أنواع التفسير، وسنبين في هذا المطلب تعريف التفسير التحليلي.

أولاً: التحليل في اللغة

جاء في كتب اللغة: "حَلَّتْ الْعُقْدَةُ أُلْحُهَا حَلًّا إِذَا فَتَحَتْهَا فَانْحَلَّتْ"⁽³⁰⁾. ولم ترد لفظة التحليل بالمعنى المراد منها هنا في كتب اللغة إلا ما ذكرت، إلا أن اللغويين المعاصرين ذكروا أن معنى حلل هو: من تحلل الشيء إذا تفسّخت اجزائه وانفصلت عناصره بعضها عن بعض، يقال: حلل الدم، وحلل نفسية فلان إذا درسها وكشف عن خباياها⁽³¹⁾، وهذا المعنى أقرب الى التفسير التحليلي، إذ المفسر يقوم بتجزئة النص ودراسته دراسة تفصيلية على ما سيأتي بيانه.

ثانياً: التحليل في الاصطلاح

بما أن مصطلح التفسير التحليلي أو كما يسميه البعض التفسير التجزيئي⁽³²⁾ يعد من الاصطلاحات المعاصرة، فقد حاول المتأخرون وضع تعريف عام لهذا المنهج، وهو: "أن يعمد المفسر الى تفسير الآيات حسب ترتيبها في السورة، ويذكر ما فيها من معانٍ وأقوال وإعراب وبلاغة وأحكام وغيرها مما يعتني به المفسر"⁽³³⁾، وهذا المعنى سار عليه أغلب الباحثين في مجال التفسير، وإن اختلفت عباراتهم⁽³⁴⁾.

المبحث الثاني

القسم التحليلي

المطلب الاول

العسق في موضع الصلاة

قال تعالى: {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا}⁽³⁵⁾.

تحليل الكلمات

1. دلوك: الدلوك مصدر ذلك يدلوك دُلُوكًا، وهو: زوال الشيء عن الشيء برفق، يقال: ذلك السُنْدَلُ حتى انفَرَكَ القشر عن الحب، ودلُكْتُ الشمسَ زَالَت، والدلوك: وقت زوال الشمس وقت الظهر وعند الغروب، يقال: دلُكْتُ الشمسَ زالت، ودلكت الشمس غربت⁽³⁶⁾.
2. غَسَقٌ: غَسَقٌ يَعْسِقُ غُسُوقًا: الشيء إذا غاب، يقال: غَسَقَتْ عينه إذا اظلمت، وكل شيء إسودَّ فقد غَسَقَ وغاب، والغَسَقُ يدل على الظلمة، وهو بهذا المعنى فيه عدة أقوال عند اللغويين، فقيل: هو أول ظلمته، أو دخول أول الليل، وقيل: ظلمته، وقيل: هو بين العشاءين، وقيل: غياب الشفق الاحمر، وأعسق المؤذن: أحر المغرب الى ظلمة الليل⁽³⁷⁾.

3. مشهوداً: مصدر من شَهِدَ بِشَهْدٍ شُهِدَ شُهِوداً، والشُّهُود: الحُضُور، يقال: رجل شَاهِدٌ، أي: حَاضِرٌ، والمُشْهَادَةُ: المُعَايَنَةُ⁽³⁸⁾.
الإعراب

1. جملة- أقم الصلاة- جملة استئنافية لا محل لها من الاعراب.
2. لدلوك: الجار والمجرور متعلق بأقم، واللام هنا لها ثلاث معانٍ، الأول: أن تكون بمعنى بعد، أي: بعد دلوك الشمس؛ لأن العلم بالوقت بعد الدلوك، فلا تقام الصلاة إلا بعد دلوك الشمس⁽³⁹⁾، أو تكون تعليلية، فيكون المعنى: لأجل دلوكها، ولا تعرب مفعول لأجله؛ لأن فاعل القيام هو المخاطب، وفاعل لدلوك هو الشمس، وزمن الإقامة متأخر عن زمن الدلوك، ففقد شرط الاتحاد، فوجب جره بلام التعليل، أو لابتداء الغاية⁽⁴⁰⁾، الشمس: مضاف إليه مجرور بالكسرة.
3. الى غسق: جملة الى غسق الليل، حال من الصلاة، أي: ممدودة، ويجوز أن تتعلق بأقم، فيكون المعنى: انتهاء غاية الإقامة.
4. وقرآن الفجر: قرآن معطوف على الصلاة، أي: وأقم الصلاة، وعبر عن الصلاة بالقراءة؛ لأن القراءة أحد أركانها، أو هي نصب على الإغراء، أي: الزمه، والاول اولى؛ لأنه لم يسمع إضمار أسماء الأفعال وهي عاملة، وجملة -إن قرآن الفجر- تعليلية لا محل لها من الإعراب⁽⁴¹⁾.

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

بعد أن ذكر الإلهيات والمعاد والنبوات، وذكر استغزاز المشركين للنبي عليه الصلاة والسلام لكي يخرجوه من الأرض، وأن الله عاصمه من كيدهم وناصره، بقوله تعالى: {وَإِنْ كَانُوا لَيْسَتْ فَرْوَنَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا} (42)، ذكر العبادات، فأمر نبيه عليه الصلاة والسلام بالصلاة وقراءة القرآن شكراً على نعمة الحفظ والنصرة بقوله تعالى: {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا} (43)، ونظير ذلك قوله تعالى: {وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ أَنْكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ} (44).

ثانياً: مناسبة الآية لما بعدها:

لما أمر الله سبحانه تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بالصلاة، وبين ما فيها من الأسرار، وعلم نبيه الدعاء بحسن المدخل والمخرج، نبه بعدها على أن القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين، وحجة وخسارة على الكافرين فقال: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} (45).

البلاغة

وردت في الآية عدة امور بلاغية منها:

1. المجاز: قوله تعالى: أقم, مجاز عن المواظبة والادامة(46).
2. اللفظ المشترك: قوله تعالى: {لِدُلُوكِ}, فقد جمع ثلاث معاني: فورد بمعنى زوال الشمس وقت الظهيرة, وورد بمعنى: ميل الشمس وقت العصر, وورد بمعنى غروبها, فصار اللفظ مشتركاً في المعاني الثلاثة, فأعطت اللفظة توسع في المعنى لا تعطيه لفظة أخرى(47).
3. الاغراء: قوله تعالى: { وَفُرْآنَ الْفَجْرِ } : أي: عليك بقرآن الفجر, أو: الزم قرآن الفجر(48).
4. المجاز المرسل: { وَفُرْآنَ الْفَجْرِ } : أطلق الجزء وأراد به الكل, أي: قراءة الفجر, والمراد بها الصلاة؛ لأن العلاقة جزئية(49), وفيه فائدة, وهي: أن الصلاة لا تكون الا بالقراءة, فسميت الصلاة قرآناً(50).
5. الإظهار في مقام الإضمار: قوله تعالى: { إِنَّ فُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا } (51), أظهر بقوله: { إِنَّ فُرْآنَ الْفَجْرِ } بعد قوله تعالى: { وَفُرْآنَ الْفَجْرِ }, ولم يقل أنه, وذلك لمزيد الاهتمام والعناية(52).
6. الاستطراد: قوله تعالى: { وَفُرْآنَ الْفَجْرِ }, حيث خرج من ذكر الليل في قوله تعالى: { أقم الصلاة لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى عَسَقِ اللَّيْلِ } , إلى ذكر { فُرْآنَ الْفَجْرِ }, ثم عاد الى الكلام عن الليل في قوله: { وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا } (53). المعنى العام

بعد حادثة الإسراء والمعراج والتي فرضت فيها الصلوات الخمس على أمة سيدنا محمد ﷺ بين الله سبحانه هنا أوقات تلك الصلاة في قوله تعالى: { أقم الصلاة لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى عَسَقِ اللَّيْلِ وَفُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ فُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا } (54), وما كان من تحمل النبي ﷺ من أذى المشركين وأهل الكتاب, بين الله سبحانه لنبيه الكريم السبل التي تعينه تحمل الأذى والشدائد, فأرشده للتوجه الى الصلاة والاستعانة بها؛ لتقوى صلته بربه, وثقته بخالقه, فلا يشتغل قبله بهم(55), ونظير ذلك قوله تعالى في سورة البقرة: { وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ } (56), ثم بين عز وجل ثمرة هذه العبادة العظيمة وثمر الصبر الجميل بقوله تعالى: { وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا } (57), ومن المعلوم من الاصطلاح القرآني أن الخطاب وإن كان ظاهره أمر للنبي ﷺ, إلا أن الآية عامة يدخل فيها عموم الأمة(58), وفي قوله: أقم, مجاز عن المواظبة والمداومة, أي: داوم على الصلوات المفروضة والتزم بأوقاتها التي حددت لك, وقوله تعالى: لدلوك, أي: عند دلوك الشمس فهي تعليليه, أو بعد دلوك, أي: بعد العلم بدخول وقت الصلاة, وقد ذهب بعض المفسرين في قوله تعالى: -لدلوك الشمس- الى ان الله سبحانه اراد به زوال الشمس عند الظهيرة, وذهب بعضهم الى ان وقت الدلوك هو زوال الشمس الى الغروب(59), إلا أن أغلب أهل التفسير ذهبوا الى أن المقصود بهذه الآيات الصلوات الخمس, وأن الدلوك هو أوقات الزوال الثلاثة, وهي: وقت الظهر والعصر والمغرب(60), وهو ما رجحه ابن عطية(61) في تفسيره, وذكر أن اللغة تؤيده, إذ

أن لفظة الدلوك في اللغة هي الميل, فيدخل فيه الاوقات الثلاثة التي يقع فيها ميل للشمس⁽⁶²⁾, ثم أشار الى وقت العشاء بقوله: {إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ}, والغسق في اللغة هو عتمة الليل كما مر, وأشار الى وقت الفجر بقوله تعالى: وقران الفجر, أي: صلاة الفجر, وأطلق القراءة على الصلاة من باب إطلاق الجزء على الكل؛ ليبين أن الصلاة لا تصح إلا بقراءة, أو أنها على الإغراء, إشارة الى أهمية قراءة القرآن في هذا الوقت, وأن هذه القراءة مشهودة من الملائكة؛ لقوله ﷺ "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار, ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر" (63).

أهم ما ترشد اليه الآية

أرشدت الآيات الى أمور منها:

1. دلت الآية على إقامة الصلوات الخمس وإدامتها والمحافظة عليها.
2. المحافظة على اوقات الصلوات الخمس التي ذكرت في الآية وفصلتها السنة النبوية.
3. دلت الآية على الاهتمام بقراءة القرآن وخصوصا في صلاة الفجر؛ لما فيها من فضل عظيم, حتى سميت الصلاة بالقرآن.
4. الحث على الإطالة بقراءة القرآن؛ كون هذه القراءة مشهودة من قبل الملائكة⁽⁶⁴⁾.

المطلب الثاني

معنى الغساق في موضع العذاب

الآية الاولى

قال تعالى: {هَذَا فَلْيَذُقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ} (65)

تحليل الكلمات

1. حَمِيمٌ: الحَمِيمُ الماء الحَارُّ, يقال: أَحْمُوا لَنَا الماءَ, أي: أسخنوا, وكل ما سُخِّنَ فقد حُمِمَ, والحَمِيمُ: الماء البَارِدُ, فهو من الاضداد⁽⁶⁶⁾.
 2. غَسَّاقٌ: مصدر من غَسَقَ, وهو الماء المنتن, وغَسَقَ الجرح إذا سال منه ماء أصفر, وذكر أهل اللغة أن الغَسَّاق هو الشديد البارد يحرق كإحراق الحميم, وقيل: هو ما تقطر من جلود أهل النار من قيح ونحوه⁽⁶⁷⁾.
- الاعراب

1. هذا: مبتدأ, وقيل: خبر لمبتدأ محذوف تقديره العذاب هذا.
2. فليذوقوه: الفاء اعتراضية, واللام لام الامر, يذوق: فعل مضارع مجزوم بلام الامر, والجملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب, وقيل: الجملة في محل رفع خبر المبتدأ, مثل قولك زيد اضربه, ولكن النحاة ضعفوا هذا الوجه, وقالوا: إن الفاء ليست في معنى الجواب كما في قوله تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا} (68).

3. حميم وغساق: خبران للمبتدأ مرفوعان بالمبتدأ إذا قلنا أن جملة فليذوقوه اعتراضية، وإذا أعربت جملة فليذوقوه خبر للمبتدأ فتعرب حميم وغساق بدل من هذا، وقيل: حميم خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو غساق معطوف عليه، وقيل: حميم خبر ثان، ومنهم من أعرب هذا في موضع نصب على تقدير فليذوقوا هذا، ثم استأنف فقال: حميم وغساق. (69)

القرئات

وغساق: قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وخلف مشددة، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر مخففة، فإن كانت مخففة فهي على معنى سائل شديد البرودة قاتل ببرده ومنتنه، وأن كانت مشددة يكون المعنى سيال، أي: ما يسيل من صديد أهل النار. (70).

المناسبة

1. مناسبة الآية لما قبلها:

لما انتهى سبحانه من ذكر الأنبياء بين عاقبة صبرهم وأعمالهم ومناقبهم، ذكر حال الناس في الآخرة، فذكر أن عاقبة المتقين الحسنى، وهي جنات عدن، قال تعالى: {هَذَا نُكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ} (71)، ثم ناسب أن يذكر عاقبة من ضل عن هدي الأنبياء واتبع هواه، فبين أن مصيرهم إلى النار فقال تعالى: {هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ * جَهَنَّمَ يَصْنَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ * هَذَا فليذوقوه حميم وغساق} (72).

2. مناسبة الآية لما بعدها:

لما ابتداء تعالى بذكر حال الكفار من تشكيكهم برسالة النبي ﷺ ودعوته إلى توحيد الله سبحانه بقوله تعالى: {أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ} (73)، ثم ذكر حال الانبياء وعاقبة المؤمنين وكذلك عاقبة الكافرين، عاد إلى تقرير الوجدانية ونفي الشريك وإثبات النبوة ومهمة النبي ﷺ إلا وهي الإنذار، ولما كان من عادة الكفار أن يقولوا عند انذار النبي لهم: عجل هذا لنا أن كنت صادقاً، كان الجواب بقوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} (74).

المعنى العام

سورة صاد من الصور المكية التي اهتمت بإثبات الجانب العقدي في موضوعاتها، ومن تلك الموضوعات هو إثبات الآخرة، والتي تمثل أهم العوائق التي كانت تقف أمام مشركي قريش، فعدم إيمانهم بالبعث يعني عدم إيمانهم بالحساب من باب أولى، لذا تعرضت الآيات إلى إثبات البعث والجزاء، فذكرت مشهد من مشاهد يوم القيامة، وهو: الجنة ونعيمها والنار وعذابها، سيراً على المنهج القرآني في ترغيب المؤمنين وترهيب الكافرين (75)، قال تعالى: {هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ * جَهَنَّمَ يَصْنَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ * هَذَا

فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ⁽⁷⁶⁾، وقوله تعالى هذا على تقدير: الامر هذا، أو: هذا حميم وعساق فليذوقوه، أو على الوقوف على هذا، فيكون المعنى: جهنم يصلونها فبنس المهاد، هذا، وعلى جميع الوجوه هو من باب التنكيل بهم وبمآلهم، ثم بين تعالى أن للطاغين المفرطين بالشر- وهم الكفار على قول أغلب المفسرين⁽⁷⁷⁾- شر نهاية، وهي أحقر ما يؤول اليه بني آدم جهنم، فهي كالمسكن لهم، خالدين فيها، يباشرون ويقاسون حرها وعذابها، ثم عاد وذكر بأنه بس المستقر، وبنس ما افترشوا تحتهم، وهي نار جهنم، ثم ذكر تعالى بعد ذلك طعام أهل النار فقال: {هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ}⁽⁷⁸⁾، أي: هذا العذاب فليذوقوه، منه حميم، ومنه عساق⁽⁷⁹⁾، والحميم: الماء شديد البرودة، أو: شديد الحرارة، وفي كلا الحالين هو عذاب لهم، كما في قوله تعالى: {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا* إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا}⁽⁸⁰⁾، فلا طعام لهم، بل يبدل بالحميم والعساق، ثم ذكر تعالى نوعاً آخر من العذاب، وهو: العساق، وفي معنى العساق ذهب المفسرون وأهل اللغة الى أنه السائل، يكون شديد الحرارة، فهو كالصديد المنتن، يخرج منهم، أو سائل يحترقون فيه، وقيل: هو البارد، ولهذا يقال لليل غاسق؛ لأنه أبرد من النهار، وعلى هذا القول يكون عذابهم بالماء الشديد البرودة، فالحميم يحرق بحره والعساق يحرق ببرده، وعلى كلا التفسيرين هو عذاب لهم، ثم ذكر سبحانه أن للطاغين أجناس أخرى من أنواع العذاب يذوقونها، وسبب هذا التنوع في العذاب جاء بحسب افعالهم، فالجزاء من جنس العمل، قال تعالى: {وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا}⁽⁸¹⁾.

أهم ما ترشد اليه الآية

ذكرت الآية عدت إرشادات تفهم من خلال السياق، وهي:

1. الترهيب من عذاب الله سبحانه وتعالى.
2. التحقير من المسكن المعد لهم في الآخرة.
3. الاعتبار بحال ومآل أهل النار وما يكون عليهم من أنواع العذاب كالعساق وغيره.
4. التذكير بأن الآخرة هي دار الجزاء، ودار القرار، وأن الله يثبت عمل المؤمنين ويجزيهم بأحسن ما عملوا، وأنه سبحانه يمحق عمل الكافرين المفرطين بالطغيان ويبدله عذاب من جنس عملهم⁽⁸²⁾.

الآية الثانية

قال تعالى: {إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا}⁽⁸³⁾.

تحليل الكلمات

1. الحَمِيمُ: تقدم في صفحة: 15.

2. عَسَاقًا: تقدم في صفحة: 15.

الإعراب

إلا حميماً وغساقاً: إلا أداة حصر, وحميماً بدل من شراباً, وقيل: بدل من برداً, إذا جعل معنى برداً من البرودة⁽⁸⁴⁾, وغساقاً عطف على حميماً⁽⁸⁵⁾, وقيل: إلا أداة استثناء, وحميماً استثناء منقطع, فيكون المعنى: " لا يذوقون فيها برداً وروحاً بنفس عنهم حرّ النار, ولا شراباً يسكن من عطشهم, ولكن يذوقون فيها حميماً وغساقاً"⁽⁸⁶⁾, وقيل: استثناء متصل من شراباً⁽⁸⁷⁾.

القرارات

غساقاً: قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وخلف مشددة, وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر مخففة, فإن كانت مخففة فهي على معنى سائل شديد البرودة قاتل ببرده ومنتنه, وأن كانت مشددة يكون المعنى سيال, أي: ما يسيل من صديد أهل النار⁽⁸⁸⁾.

المناسبة

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر سبحانه أحوال الكون وتسخيره للبشر مما يدل على غاية قدرته وعظيم سلطانه ذكرهم بذلك النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون يوم الفصل الذي يحاسب فيه العاصون, قال تعالى: {إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَاتًا} ⁽⁸⁹⁾ ثم ذكر جهنم دار مقامهم, وأنهم في حال لبثهم لا يذوقون فيها الماء الذي به اعتدال الحياة, بل يبدلهم حميماً وغساقاً فقال: {إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا* لِلطَّاغِينَ مَابًا* لَأَبْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا* لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا* إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا} ⁽⁹⁰⁾.

ثانياً: مناسبة الآية لما بعدها:

لما ذكر عاقبة الطاغين وحالهم في جهنم وأنهم في الدنيا مكذبون لآيات الله منكرين للبعث والجزاء, ناسب أن يذكر حال المنقذين وما لهم من نعيم في الآخرة, رداً بذلك على تكذيبهم لآيات الله, قال تعالى: {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا* حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا* وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا* وَكَأْسًا دِهَاقًا* لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لُعْوًا وَلَا كِدَابًا* جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا} ⁽⁹¹⁾.

المعنى العام

سورة عمّ مكية, وسياقها سياق السور المكية, والتي لامست جوانب العقيدة, ومن أهم تلك الجوانب البعث والجزاء, وقد قدمت السورة بافتتاح غير معهود, إذ ابتدأت السورة بسؤال يثير الاستعظام والاستهوال للحقيقة التي يختلفون عليها, وهي النبأ العظيم, قال تعالى: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ* عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ* الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ} ⁽⁹²⁾, وبعد أن لفت القرآن انتباه الكفار, واستثار عقولهم الى حقيقة لا يمكن انكارها, وهي: النبأ العظيم, عاد ليلفت انتباههم الى التفكير في مخلوقات الله التي هي دلائل على الخالق, ودلائل على

عظمة هذا الخالق فقال: {أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا* وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا* وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا* وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا* وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا* وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا* وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا* وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا* وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً نَّجَاجًا* نُخْرِجُ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا* وَجَنَاتٍ أَلْفَافًا}[النبا:16] (93) ثم عاد القرآن ليبين لهم امر النبا العظيم الذي تحيروا في امره ليقول لهم ما هو, وكيف يكون, فقال تعالى: {إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَاتًا}(94) ومن أهم مشاهد هذا اليوم الجنة والنار وما فيهما من نعيم وعذاب, إذ هي العاقبة لما يقدمه الناس, فذكر مشهد العذاب, وما يلقاه الطاغين في جهنم: قال تعالى: {إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا* لِلطَّاغِينَ مَابًا* لَا يُبْثِنُ فِيهَا أَحْقَابًا* لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا* إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا* جَزَاءً وَفَاقًا}(95) ذكر تعالى أن جهنم تترصد بالكافرين المتجاوزين الحد في الطغيان, وأنهم لا يثبن فيها أحقاباً متجددة طويلة, ثم بين سبحانه أن هذا المقام الطويل ليس فيه ملذات العيش ونيعمه, فلا يذوقون فيه برداً ولا شراباً, واختلف المفسرون في معنى برداً, فذكر الماوردي (96) فيها ثلاثة أقوال: برودة الهواء أو الماء, وقيل: الراحة, وقيل: النوم, وأما الشراب في الآية فيراد به أنه لا شراب لهم إلا الحميم والغساق, أو يراد به الري, على معنى أنهم لا يرتون فيها ابداً (97), وأما قوله تعالى: {إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا} , فأما الحميم ففيه أقوال عدة: فقيل: إنه الماء الحار المغلي, (98) وقيل: هو دموعهم تتجمع في حياض في النار فيسقون منه, وقيل: هو نوع من أنواع الشراب, والاكثرون على الاول (99), وأما الغساق ففيه وجهان: فعلى قراءة التشديد هو ما يسيل من عيون أهل النار وجلودهم من قيح وصدید وغيرها من القاذورات, وعلى قراءة التخفيف هو السائل البارد الذي لا يطاق, أو المنتن, فعن رسول الله ﷺ: " لو أن دلوا من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا" (100) ثم عقب سبحانه وتعالى عن هذا المصير الذي ناله هؤلاء فقال: {جَزَاءً وَفَاقًا} (101), أي هذا الجزاء والمصير من جنس أعمالهم موافقا لما قدموه, وهو التكبذب بالبعث والقرآن, وقد دل عليه التعليل الذي بعده, وهو قوله تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا* وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا}(102).

أهم ما ترشد اليه الآية

1. حذرت الآية من التكبذب بالبعث والقرآن الكريم.
2. نبهت الآية الى أنواع العذاب الذي يلقاه الطاغين من حميم وغساق, من باب الترهيب, إذ أن لفظه الغساق لها عدة معاني, واختيار هذه اللفظة التي لها دلالات كثيرة, منها: تصوير هول العذاب وشدته, فتنوع الكافر وتحذره من الاستمرار في الطغيان, لعله يذكر او يخشى.

المطلب الثالث

معنى الغساق في موضوع التعود

قال تعالى: {وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ} (103).

تحليلي الكلمات

1. غَاسِقٍ: الغَاسِقُ الليل، إذا وَقَبَ، أي: عمَّ ظلامه، ويقال لليل: غَاسِقٌ؛ لأنه أبرد من النهار، ويقال للرجل: غَسَقَتْ عَيْنُهُ إذا انصبَّ دمعها، أو أَظْلَمَتْ، والغَاسِقُ: القَمَرُ إذا كَسَفَ، ودخل في ساهوره وهي شَقَّةُ القمر، والغَاسِقُ: الثَّرِيَا (104).
2. وَقَبَ: وَقَبَ الشَّيْءُ يَقْبُ وَقَبًا: إذا دخل أو نزل، يقال للليل إذا دخل: وَقَبَ، وَقَبَ الظلام: دَخَلَ على الناس، وَوَقَبَتِ السَّمْسُ: إذا غَابَت (105).

الإعراب

1. ومن شر غاسق: الجملة معطوفة على ما قبلها وهي قوله تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} (106)، والمعنى: تعوذ من شر غاسق.
2. إذا: ظرف محض، وجملة وقب في محل جر على الظرفية (107).

المناسبة

لما قرر سبحانه وتعالى أصول التوحيد في سورة الاخلاص أمر الله سبحانه وتعالى عباده من التعوذ من شر ما خلق، ثم أتبعه بالتعوذ من شر الغاسق إذا وقب (108).

المعنى العام

أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بالتعوذ والالتجاء اليه والاعتصام به من كل شر في قوله تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ* مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ} (109)، ثم لما عمم الله سبحانه التعوذ من كل شر خصص سبحانه وتعالى بعض الشرور بالذكر لزيادة الحاجة الى التعوذ منها لكثرة وقوعها (110) فقال تعالى: {وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ} (111)، ومن تلك الشرور هو الغاسق، وقد اختلف المفسرون في معنى الغاسق على أقوال (112)، منها أن الغاسق هو الشمس إذا غربت، وقيل: هو الليل إذا أظلم ودخل في أوله، وسمي الليل بالغاسق لأنه أبرد من النهار كما تقدم، وأما سبب تعوذ النبي ﷺ من الليل؛ لأن في الليل شرور مادية ومعنوية، منها: في الليل تخرج السباع والضواري من مكانها، ويهجم السارق وقطاع الطرق، ويقل في هذا الوقت الغوث؛ لقلة خروج الناس، أو لنومهم عادة في هذا الوقت، ثم إن في الليل يكثر انتشار الجن والشياطين، فيحصل لهم نوع استيلاء، وكذلك كثرة المعاصي والفواحش والخيانة وغيرها (113)، وقيل معنى الغاسق هو الثريا أو وقوع الثريا، أما سبب التعوذ منه هو أن الاسقام والطواعين كانت تكثر عند وقوعها، ولهذا القول حديث عن النبي ﷺ قال: " ومن شر غاسق إذا وقب، قال: النجم الغاسق " (114)، وهذا الحديث أورده الطبري في تفسير (115)، وكذلك ابن كثير في تفسيره وعلق عليه بأن الحديث لا يصح رفعه الى النبي ﷺ (116)، وقيل أن معنى الغاسق هو القمر، للحديث الذي ترويه السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: " أخذ رسول الله ﷺ بيدي، فنظر إلى القمر،

فقال: " يا عائشة تعوذني بالله من شر غاسق إذا وقب، هذا غاسق إذا وقب" (117), وأما معنى قوله تعالى: {إِذَا وَقَبُ} فبحسب ما قبلها, فإن كانت الغاسق الشمس أو الثريا فوقب بمعنى أفل, وإذا كان الغسق بمعنى الليل فسكن أو دخل, وإذا كان بمعنى القمر فوقب بمعنى إسودَّ ودخل في الكسوف, ومن خلال ما تقدم من الاقوال في معنى الآية يتبين أن الله سبحانه أمر نبيه أن يتعوذ من الغاسق إذا وقب سواءً كان نجماً أو قمراً أو ليلاً أو غيره, والآية تعم ذلك كله, لأنها أمور قد تقترن الشرور بها؛ لذا شرعت الاستعاذة في هذه الاوقات, والآية وإن وردت فيها أحاديث تدل على أن معنى الغاسق هو القمر كما في حديث السيدة عائشة رضي الله عنها, إلا أن الحديث لم يشر الى الآية بوجه الخصوص, كما أن الله سبحانه نكر لفظ الغسق؛ وفيه دلالة على حمل معنى الآية على التوسع, وهذا ما ذهب اليه الطبري في تفسيره (118), والله اعلم.

أهم ما ترشد اليه الآية

1. تشريع الادعية التي تحصن المسلم من شرور الدنيا, والامر بالعمل بها.
 2. أرشدت الآية الى الاستعاذة من الاوقات التي يحصل فيها تغيرات فلكية قد يقترن بها الشر, وذلك بقراءة المعوذات.
- الخاتمة

بعد هذه المسيرة المباركة لا بد من أن نبين أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث وهي:

- أن لفظة الغسق لها عدة دلالات تختلف باختلاف اشتقاقها, وقد استخدم القرآن تلك الاشتقاق في مواضع مختلفة من القرآن الكريم.
- أهتم القرآن الكريم بالتغيرات المناخية, واستخدمها في الإشارة الى أوقات الصلاة, ومنها الغسق, والذي كان دلالة على أحد اوقات الصلاة.
- التنوع في أساليب القرآن الكريم في التعبير عن أنواع العذاب الذي يناله المجرمون, ومن تلك الاساليب استعمال لفظة الغساق, والتي دلت اللغة على أن لها أكثر من استعمال, كالماء الحار, أو النتن الذي يسيل من جلود أهل النار, وغيرها من معاني الغساق والتي أوردها المفسرون في كتبهم.
- أن القرآن الكريم حذر من بعض الاوقات التي يقترن بها بعض الشرور, ونبه الى هذا الجانب الذي قد يلحق الضرر بالناس, ومنها الغاسق إذا وقب.
- هذا ما وفقتي الله في التوصل إليه من النتائج, وهو جهد المقلّ فإن أصبتُ فذلك من فضل الله تعالى عليّ , وإن أخطأت فمن نفسي. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.
- الباحث
- بعد القرآن الكريم:

- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي, طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية برقم 5 / 951 وتاريخ 1406/8/5, الطبعة: الأولى 1407هـ-1986م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ), دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ), دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ), ت: محمد باسل عيون السود, دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان, الطبعة: الأولى، 1419هـ-1998م.
- إعراب القرآن الكريم: قاسم حميدان دعاس, دار المنير - دار الفارابي, دمشق, 1425هـ.
- إعراب القرآن وبيانه : محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت: 1403هـ), دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية ، دار اليمامة - دمشق - بيروت ، دار ابن كثير - دمشق - بيروت, الطبعة : الرابعة ، 1415 هـ.
- إعراب القرآن: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت: 338هـ) , منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت, الطبعة: الأولى، 1421هـ.
- الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: 1396هـ), دار العلم للملايين, الطبعة: الخامسة عشر - 2002 م.
- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أنير الدين الأندلسي (ت: 745هـ), ت: صدقي محمد جميل, دار الفكر - بيروت, الطبعة: 1420هـ.
- البرهان في علوم القرآن: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله, ت: محمد أبو الفضل إبراهيم, دار المعرفة - بيروت، 1391.
- البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني الدمشقي (ت: 1425هـ), دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت, الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1996م.
- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت: 1205هـ), ت: مجموعة من المحققين, دار الهداية.
- التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت: 616هـ), ت: علي محمد البجاوي, عيسى البابي الحلبي وشركاه.

- التحرير والتنوير المسمى: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ), دار التونسية للنشر - تونس, 1984هـ.
- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ), ت: سامي بن محمد سلامة, دار طيبة للنشر والتوزيع, الطبعة: الثانية 1420هـ-1999م.
- تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ), شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر, الطبعة: الأولى, 1365هـ - 1946م.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د وهبة بن مصطفى الزحيلي, دار الفكر المعاصر- دمشق, الطبعة: الثانية, 1418هـ.
- التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: صلاح عبد الفتاح الخالدي, دار النفائس للنشر والتوزيع- الاردن, الطبعة: الثالثة, 1433هـ-2012م.
- التفسير الوسيط للزحيلي: د وهبة بن مصطفى الزحيلي, دار الفكر - دمشق, الطبعة: الأولى - 1422.
- تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي, أبو منصور (ت: 370هـ) ت: محمد عوض مرعب, دار إحياء التراث العربي - بيروت, الطبعة: الأولى, 2001م.
- جامع البيان في تفسير القرآن: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعي (ت: 905هـ), دار الكتب العلمية - بيروت, الطبعة: الأولى, 1424هـ-2004م.
- جامع الدروس العربية: مصطفى بن محمد سليم الغلابيني (ت: 1364هـ), المكتبة العصرية, صيدا - بيروت, الطبعة: الثامنة والعشرون, 1414 هـ - 1993م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي, ت: محمد زهير بن ناصر الناصر, دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فواد عبد الباقي), الطبعة: الأولى, 1422هـ.
- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ), ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش, دار الكتب المصرية - القاهرة, الطبعة: الثانية, 1384هـ - 1964م.
- الجدول في إعراب القرآن الكريم: محمود بن عبد الرحيم صافي (ت: 1376هـ), دار الرشيد, دمشق - مؤسسة الإيمان, بيروت, الطبعة: الرابعة, 1418هـ.
- الجرائيم: ينسب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ), ت: محمد جاسم الحميدي, وزارة الثقافة, دمشق.

- جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: 321هـ), ت: رمزي منير بعلبكي, دار العلم للملايين - بيروت, ط1, 1987م.
- الحجة في القراءات السبع: الحسين بن أحمد بن خالويه, أبو عبد الله (ت: 370هـ), ت: د. عبد العال سالم مكرم, دار الشروق - بيروت, الطبعة: الرابعة, 1401 هـ.
- دراسات في علوم القرآن: محمد بكر إسماعيل (ت: 1426هـ), دار المنار, ط2, 1419هـ-1999م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (ت: 1270هـ), ت: علي عبد الباري عطية, دار الكتب العلمية - بيروت, الطبعة: الأولى, 1415هـ.
- الزاهر في معاني كلمات الناس: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار, أبو بكر الأنباري (ت: 328هـ), ت: د. حاتم صالح الضامن, مؤسسة الرسالة - بيروت, ط1, 1412 هـ-1992.
- السبعة في القراءات: أحمد بن موسى بن العباس التميمي, أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت: 324هـ), ت: شوقي ضيف, دار المعارف - مصر, الطبعة: الثانية, 1400هـ.
- السنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني, النسائي (ت: 303هـ), ت: حسن عبد المنعم شلبي, مؤسسة الرسالة - بيروت, الطبعة: الأولى, 1421هـ-2001م.
- شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح: خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري, زين الدين المصري, (ت: 905هـ), دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان, الطبعة: الأولى 1421هـ-2000م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393هـ), ت: أحمد عبد الغفور عطار, دار العلم للملايين - بيروت, الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م.
- صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني, دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة, الطبعة: الأولى, 1417 هـ - 1997م.
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم, الحسيني العلوي الطالباني الملقب بالمؤيد بالله (ت: 745هـ), المكتبة العنصرية - بيروت, الطبعة: الأولى, 1423هـ.
- العظمة: أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني (ت: 369هـ), رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري, دار العاصمة - الرياض, الطبعة: الأولى, 1408م

- العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: 170هـ), ت: د مهدي المخزومي, د إبراهيم السامرائي, دار ومكتبة الهلال.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: 850هـ), ت: الشيخ زكريا عميرات, دار الكتب العلمية - بيروت, الطبعة: الأولى - 1416هـ.
- فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: 1250هـ), دار ابن كثير, دار الكلم الطيب - دمشق, بيروت, الطبعة: الأولى - 1414هـ.
- فقه اللغة وسر العربية: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت: 429هـ), ت: عبد الرزاق المهدي, إحياء التراث العربي, الطبعة الأولى 1422هـ - 2002م.
- في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: 1385هـ), دار الشروق - بيروت- القاهرة, الطبعة: السابعة عشر, 1412هـ.
- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي, ت: عبد الرزاق المهدي, دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي, أبو إسحاق (ت: 427هـ), ت: الإمام أبي محمد بن عاشور, دار إحياء التراث العربي, بيروت - لبنان, الطبعة: الأولى 1422هـ - 2002م.
- لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن (ت: 741), دار الفكر - بيروت- لبنان, 1399 هـ - 1979م.
- لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي, أبو الفضل, جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: 711هـ), دار صادر - بيروت, ط3- 1414 هـ.
- ما جاء على فعلت وأفعلت بمعنى واحد: موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن, أبو منصور ابن الجواليقي (ت: 540هـ), ت: ماجد الذهبي, دار الفكر - دمشق.
- مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم, دار القلم, الطبعة: الرابعة 1426هـ - 2005م.
- محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: 1332هـ), ت: محمد باسل عيون السود, دار الكتب العلمية - بيروت, الطبعة: الأولى - 1418هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي, دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان, الطبعة: الأولى, 1413هـ - 1993م.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل, ت : شعيب الأرنؤوط وآخرون, مؤسسة الرسالة, الطبعة : الثانية 1420هـ , 1999م.
- مشكل إعراب القرآن: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمَوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت: 437هـ), ت: د. حاتم صالح الضامن, مؤسسة الرسالة - بيروت, الطبعة: الثانية, 1405هـ.
- مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور: عادل بن محمد أبو العلاء, الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة, 1425هـ.
- معاني القرآن للأخفش: أبو الحسن المجاشعي بالولاء, البلخي ثم البصري, المعروف بالأخفش الأوسط (ت: 215هـ), ت: الدكتورة هدى محمود قراعة, مكتبة الخانجي, القاهرة, الطبعة: الأولى, 1411 هـ - 1990م.
- معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل, أبو إسحاق الزجاج (ت: 311هـ), عالم الكتب - بيروت, الطبعة الأولى, 1408 هـ - 1988م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: 1424هـ) , عالم الكتب, الطبعة: الأولى, 1429 هـ - 2008 م.
- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة: (إبراهيم مصطفى, أحمد الزيات, حامد عبد القادر, محمد النجار), دار الدعوة.
- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي, أبو الحسين (ت: 395هـ) ت: عبد السلام محمد هارون, الناشر: دار الفكر.
- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: 606هـ), الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت, الطبعة: الثالثة - 1420هـ.
- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: 502هـ), ت: صفوان عدنان الداودي, دار القلم, الدار الشامية - دمشق بيروت, الطبعة: الأولى - 1412 هـ.
- مقالات في علوم القرآن: مساعد بن سليمان الطيار, دار المحدث للنشر والتوزيع, ط: 1, 1425 هـ.
- النشر في القراءات العشر: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري, محمد بن محمد بن يوسف (ت: 833 هـ), ت: علي محمد الضباع (ت: 1380 هـ), المطبعة التجارية الكبرى.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: 885هـ), دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - 1415هـ - 1995م.

- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ), ت: عبد الحميد هندواوي, المكتبة التوفيقية - مصر.
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ), ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1415 هـ - 1994م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: 681هـ), ت: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، 1994م.

- (1) سورة: فصلت آية: 42.
- (2) سورة: الحجر آية: 9.
- (3) سورة: القمر آية: 17.
- (4) سورة: ص آية: 29.
- (5) سورة: الإسراء آية: 9.
- (6) ينظر: مقاييس اللغة: 168/1، والزاهر في معاني كلمات الناس: 76/1.
- (7) سورة: البقرة: من الآية: 248 .
- (8) ينظر: لسان العرب: 61/14، مادة أيا.
- (9) ينظر: دراسات في علوم القرآن - محمد بكر إسماعيل: 52.
- (10) ينظر: البرهان في علوم القرآن: 266/1.
- (11) ينظر: العين: 4 / 353، وجمهرة اللغة: 3/1274.
- (12) ينظر: كتاب ما جاء على فعلت وأفعلت بمعنى واحد لأبي منصور الجواليقي: 57.
- (13) ينظر: تهذيب اللغة: 30/8.
- (14) ينظر: لسان العرب: 10 / 288، والمفردات في غريب القرآن: 606، وفقه اللغة وسر العربية: 37.
- (15) ينظر: تهذيب اللغة: 30/8، ولسان العرب: 10 / 288.
- (16) ينظر: لسان العرب: 10/289، وتاج العروس: 26/251.
- (17) ينظر: تاج العروس: 26/251.
- (18) ينظر: الجرائيم: 1/174.
- (19) ينظر: العين: 2 / 63، مادة دمع، وتهذيب اللغة: 2 / 153، مادة دمع.
- (20) ينظر: تهذيب اللغة: 6/45، مادة: هجم، ولسان العرب: 12/601، مادة: هجم.
- (21) ينظر: تهذيب اللغة: 6/246، مادة: همي.
- (22) ينظر: لسان العرب: 10/121-124، مادة: رَقَّ.
- (23) ينظر: ما جاء على فعلت وأفعلت بمعنى واحد: 57.

- (24) ينظر: العين: 379/4, مادة: غبس.
- (25) ينظر: المصدر السابق: 361/4, مادة: غيش.
- (26) ينظر: جمهرة اللغة: 846/2, ولسان العرب: 125 /15, مادة: غسا.
- (27) ينظر: تهذيب اللغة: 40/8, ولسان العرب: 324 /6, مادة: غسا.
- (28) ينظر: لسان العرب: 2944/4.
- (29) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي : 52.
- (30) العين: 27/3, وينظر:
- (31) ينظر: المعجم الوسيط 1/ 194, ومعجم اللغة العربية المعاصرة: 549/1.
- (32) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: 47-48.
- (33) مقالات في علوم القرآن: 239.
- (34) ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: 862/3, التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: 31.
- (35) سورة: الاسراء: اية: 78.
- (36) ينظر: العين: 329/5, وتهذيب اللغة: 69/10, ومقاييس اللغة: 297/2.
- (37) ينظر: تهذيب اللغة: 31/8, ومقاييس اللغة: 425/4, ولسان العرب: 384/4.
- (38) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: 494/2.
- (39) وتسمى لام الوقت ولام التاريخ, ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: 454/2, وإعراب القرآن وبيانه: 491/5, وجامع الدروس العربية: 186/3.
- (40) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: 376/4, شرح التصريح على التوضيح: 513/1, وإعراب القرآن وبيانه: 486/5.
- (41) ينظر: معانى القرآن للأخفش: 426/2, والتبيان في إعراب القرآن: 830/2, وإعراب القرآن وبيانه: 486/5.
- (42) سورة: الاسراء آية: 76.
- (43) سورة: الاسراء آية: 78.
- (44) سورة : الحجر اية: 97, وينظر: التفسير الكبير: 382/21, ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 415/4, ومحاسن التأويل 6 /483.
- (45) سورة: الاسراء آية: 82, وينظر: التفسير الكبير: 389/21, ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 418/4.
- (46) ينظر: التحرير والتنوير: 182/15.
- (47) ينظر: المصدر السابق: 183/15.
- (48) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: 122/6, وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 189/5.
- (49) ينظر, وصفوة التفاسير: 160/2.

- (50) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 256-255/3, والتفسير الوسيط للواحي: 121/3, وتفسير القرطبي: 344/10, وفتح القدير للشوكاني: 298/3.
- (51) سورة: الاسراء من اية: 78.
- (52) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 189/5, والجدول في إعراب القرآن: 355/16. والبلاغة العربية: 100/2.
- (53) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: 9/3.
- (54) سورة: الاسراء, اية: 78.
- (55) ينظر: التفسير الوسيط للزحيلي: 1377/2.
- (56) سورة: البقرة: آية: 45.
- (57) سورة: الاسراء, اية: 79, وينظر: التحرير والتنوير: 182/15, والتفسير الوسيط للزحيلي: 1377/2 - 1378.
- (58) ينظر: التحرير والتنوير: 181/15.
- (59) ينظر: جامع البيان: 512/17.
- (60) ينظر: التحرير والتنوير: 182/15.
- (61) ابن عطية: (عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، ابو محمد: مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة، عارف بالأحكام والحديث، له شعر، ولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملمثين، وتوفي بلورقة، له: -المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) الأعلام للزركلي: 282/3.
- (62) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 477/3. وتفسير الخازن: 173/4.
- (63) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 478/3, والحديث أخرجه البخاري في صحيحه باب قول الله تعالى: ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾: (سورة: المعارج, اية: 4) برقم: (7429): 126/9.
- (64) ينظر: التفسير المنير للزحيلي: 151/15.
- (65) سورة: ص: آية: 57.
- (66) ينظر: العين: 33/3, والمحكم والمحيط الأعظم: 552/2, ولسان العرب: 153/12-154.
- (67) ينظر: تهذيب اللغة: 30/8, ولسان العرب: 289/10.
- (68) سورة: المائدة آية: 38.
- (69) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 338/4, وإعراب القرآن للنحاس: 469/3, والتنبيان في إعراب القرآن: 1105/2.
- (70) ينظر: السبعة في القراءات: 555, والحجة في القراءات السبع: 306, والنشر في القراءات العشر: 361/2, والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 510/4.
- (71) سورة: ص آية: 49.

- (72) سورة: ص آية: 55-56, وينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 396/6, ومصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور: 92.
- (73) سورة: ص آية: 5.
- (74) سورة: ص آية: 65, وينظر: التفسير الكبير: 406/26, ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 400/6.
- (75) ينظر: التفسير الكبير: 403/26, وينظر: في ظلال القرآن: 3005/5.
- (76) سورة: ص آية: 55-56.
- (77) ينظر: غرائب القرآن و رغائب الفرقان: 604/5.
- (78) سورة: ص آية: 55-56.
- (79) ينظر: غرائب القرآن و رغائب الفرقان: 605/5.
- (80) سورة: النبأ آية: 24-25.
- (81) سورة: ص آية: 58, وينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 510/4, وما بعدها, والتفسير الكبير: 403/26, وما بعدها و غرائب القرآن و رغائب الفرقان: 605/5.
- (82) ينظر: التفسير المنير للرحلي: 230/13.
- (83) سورة: النبأ آية: 25.
- (84) ينظر: مشكل إعراب القرآن لمكي: 796/2.
- (85) ينظر: إعراب القرآن الكريم: 415/3, إعراب القرآن وبيانه: 356/10.
- (86) الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل: 689/4.
- (87) ينظر: البحر المحيط في التفسير: 387/10, وإعراب القرآن وبيانه: 357/10.
- (88) ينظر: السبعة في القراءات: 668, والحجة في القراءات السبع: 306 و361, والنشر في القراءات العشر: 361/2 و397, والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 510/4.
- (89) سورة: النبأ آية: 17.
- (90) سورة: النبأ آية: 21-26, وينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 302/8, وتفسير المراغي 11/30.
- (91) سورة: النبأ آية: 31-35, وينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 301/8.
- (92) سورة: النبأ آية: 1-3.
- (93) سورة: النبأ آية: 6-16, وينظر: في ظلال القرآن: 3802/6.
- (94) سورة: النبأ آية: 17.
- (95) سورة: النبأ آية: 21-26, وينظر: في ظلال القرآن: 3807/6.

- (96) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، المعروف بالمواردي، الفقيه الشافعي؛ كان من وجوه الفقهاء الشافعية ومن كبارهم، من كتبه "الحاوي" و "النكت والعيون" و "أدب الدين والدنيا" و "الأحكام السلطانية"، (ت 450) وفيات الأعيان: 282/3.
- (97) ينظر: النكت والعيون: 187/6، والتفسير الكبير: 16/31.
- (98) ينظر: التفسير الكبير: 17/31.
- (99) ينظر: النكت والعيون: 187/6، والتفسير الكبير: 16/31، والتحرير والتنوير: 37/30.
- (100) الحديث أخرجه الامام احمد في مسنده، وقال عنه الشيخ شعيب الارنؤوط: (حديث حسن لغيره) برقم: 11230 /2.
- (101) سورة: النبا آية: 26.
- (102) سورة: النبا آية: 27-28، وينظر: التحرير والتنوير: 38/30.
- (103) سورة: الناس: آية: 3.
- (104) ينظر: العين: 353/4، وتهذيب اللغة: 31/8، وأساس البلاغة: 702/1، ولسان العرب: 289/10.
- (105) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: 234/1، ومقاييس اللغة: 131/6.
- (106) سورة: الفلق: آية: 1.
- (107) ينظر: إعراب القرآن وبيانه: 623/10، وإعراب القرآن الكريم للدعاس: 476/3.
- (108) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 603/8.
- (109) سورة: الفلق آية: 1-2.
- (110) ينظر: روح المعاني: 520/15.
- (111) سورة: الفلق آية: 3.
- (112) ينظر: جامع البيان: 704/24.
- (113) ينظر: النكت والعيون: 375/6، والتفسير الكبير: 374/32، ومحاسن التأويل: 575/9.
- (114) لم اجد هذا الاثر في كتب الحديث الا في كتاب العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني: 1218/4.
- (115) ينظر: جامع البيان: 703/24.
- (116) ينظر: تفسير القرآن العظيم: 536/8.
- (117) الحديث أخرجه الامام احمد في مسنده وقال عنه الشيخ شعيب اسناده حسن برقم: (25711): 468 /42، والترمذي بلفظ اخر، وقال عنه: (هذا حديث حسن صحيح) برقم: (3366): 452/5، والنسائي في السنن الكبرى: برقم: (10064) : 122/9.
- (118) ينظر: جامع البيان: 704 /24.

من أحاديث البغض في السنن الأربعة دراسة تحليلية

م . د أحمد فائق جواد العاني

دائرة التعلم الديني والدراسات الاسلامية

الملخص

يهدف هذا البحث الى دراسة نماذج من أحاديث البغض ، وبيان أنواعه ، والتحذير منه خطره كصفة ذميمة ، وهذه الدراسة محدودة في أحاديث مختارة لها علاقة بالموضوع ، سلك الباحث فيها منهج التتبع للأحاديث من المصادر السنن الأربعة ، لإعطاء صورة شاملة عن الموضوع وجزئياته ، ثم دراسة تلك الأحاديث وبيان درجتها ، والافادة بما صح منها قبولاً ورداً .

واتضح أن البغض على نوعين : ممدوح ومذموم ، فالممدوح منه : هو الحب في الله والبغض في الله ، بل هو من أوثق عرى الايمان ، والمذموم منه هي الصفة التي تحمل على الشحناء والفرقة ؛ لأنها مدعاة الى التنافر والتناحر والتفرقة بين المسلمين .
الكلمات المفتاحية : أحاديث ، بغض ، كراهية ، السنن الأربعة .

Summary

This research aims to study examples of hate speech, explain its types, and warn of its danger as a reprehensible trait. The study is limited to selected hadiths related to the topic.

The researcher took the approach of following the hadiths from the four Sunan sources, to give a comprehensive picture of the subject and its parts, then study those hadiths and indicate their degree, and benefit from what is authentic from them, acceptance and response.

And it became clear that hatred is of two types: praised and blameworthy, so the praised one is love for God and hatred for God, rather it is one of the strongest bonds of faith.

What is blameworthy is the adjective that bears animosity and disunity. Because it is a cause for disharmony, animosity and division among Muslims.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وأفضلُ الصَّلَاةِ وأتمُّ التسليمِ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فإنَّ الله تعالى قد جعل سنَّة نبيِّه ﷺ وحيأً غير متلَوٍ ، تبيِّن ما أشكل من كتاب الله العزيز ، وتوضِّح مبهمه ، وتفصِّل مجمله ، ولقد اهتمَّ بها العلماء العاملون ، فتعلَّموها ، وعمِلوا بما ، ونشروها ، كيف لا ؟ وهي المصدر الثاني من مصادر شرعنا الحنيف ، أمرنا بالتمسك بها ، والعمل بمقتضاها ، فكانت سبباً لسلامة الأمة من الضلال قال ﷺ ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ)) (1) .

الهدف من البحث :

أولاً : الوقوف على نماذج من موضوع البغض ، وبيان أنه على نوعين : ممدوح ومذموم ، فالممدوح منه : فهو الحب في الله والبغض فيه ، بل هو من أوثق عرى الايمان ، والمذموم منه بأنه الصفة التي تحمل على الشحناء والفرقة .

ثانياً : حدود البحث

هذا البحث محصور في حدود اختيار نماذج منه لإعطاء صورة شاملة عنه بما ورد في السنن الأربعة ، وهو بحث حديثي في مجال التحذير من صفة ذميمة ، وبيان الأحكام والفوائد المتعلقة به .

ثالثاً : الإشكالية :

1. أصبح البغض المذموم ظاهرة واسعة كصفة ذميمة سلبية ينتج عنها التحامل

على الافتراء عند الخصومة ، فتفتك بالمجتمع ، وتهدد تماسكه ولحمته ، وتعين على نشر الإشاعات المغرضة التي تؤدي الى التناحر والفرقة .

2. ما ينشر ويذاع من كلام يحمل على بغض الصحابة رضي الله عنهم والظعن

فيهم والتحامل عليهم ، وتذكير هؤلاء بمكانة الصحابة وأن حبههم في قلوب

المؤمنين يعود الى صميم معتقد أيمانهم ، عسى أن يكون هذا البحث ذكرى

يعلمهم يهتدون .

رابعاً : الفرضية : ويمكن صياغة الفرضية وفقاً للأسئلة الآتية .

1. ما هي أهم المشكلات التي تحمل على تفكيك أLCمة المجتمع المسلم ، وتفرق بين أبنائه وهل أن صفة البغض منها ، ويمكن علاجها ؟.
2. كيف دعا النبي p أمته إلى نبذ تلك الصفة الذميمة ، وكيف عالجها ، وهل أن ديننا مبني على الاخوة والتسامح والتعايش السلمي.
3. ما هي صفة البغض المحمود .

وللإجابة على هذه الأسئلة وغيرها ، آثرت دراسة نماذج من تلك الأحاديث في بحث ليتحقق الغرض منه في -دراسة تحليلية- تجمع ما بين السند والمتن معاً ثم الإفادة بما صحّ من تلك الأحاديث قبولاً ورداً مستوفياً الذكر لأهم الأحكام المستفادة منها ووفقاً للخطة الآتية :

خطة البحث

واقترضت خطة البحث أن تكون مقسمة إلى تمهيد ومبحثين وخاتمة ، أما التمهيد فخصصته لبيان عنوان البحث .

وأما المبحث الأول : فخصصته لبيان البغض بين المدح والذم .

وأما المبحث الثاني : فخصص لبيان أبغض العباد وأبغض الحلال الى الله تعالى ، وتضمن ثلاثة مطالب .

وأما المبحث الثاني : فخصص للتحذير من بغض الصحابة رضي الله عنهم .
واشتمل على مطلبين .

وأما الخاتمة : فتضمنت أهم النتائج والتوصيات ، ثم ذكرُ ثبت المصادر والمراجع .
منهج البحث

ولقد كان منهجي في دراسة أحاديث هذا البحث منهجاً تحليلياً ؛ فبعد تصنيف الأحاديث وترتيبها ضمن موضوعاتها في كل مبحث بحسب درجتها بدءاً بتقديم الصحيح ، ثم الحسن ثم الحديث الضعيف الذي يجبر ، قمت بتخريجها من السنن الأربعة التي أخرجتها مسندةً الى النبي p ، فإن كان للحديث أكثر من طريق ، أختار أصحها سنداً ، وأتمها لفظاً ومنتأ مما يدخل ضمن نطاق البحث ، وقمت بدراسة رجال إسناد الحديث ، وبيان درجته ، بالاستعانة بأحكام المتقدمين ، والاستئناس بأقوال المتأخرين ، للوصول الى النتيجة المطلوبة ، واعتمدت على كتابي تقريب التهذيب لابن حجر ، زالكاشف للذهبي ، في بيان رتبة الراوي ، واستعنت بكتاب تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ المزي لبيان اتصال السند ، الا ان كثر الخلاف في الراوي الواحد ، فأتوسع بالرجوع الى مصادر أخرى لأسباب تقتضي ذلك.

وإن كان ما ترجّح في الحديث كونه معلاً ، ذكرت ما يقوّيه من شواهد ومتابعات تخصّه ثم بيان ما رقى إليه من درجة حينئذٍ .
 وبيّنت مفردات الالفاظ الغريبة ، بالاعتماد على كتب غريب الحديث وكتب اللغة ، واستعنت أحياناً بشروح السنّة ، إن تعذّر وجود المفردة في كتب الغريب .
 واكتفيت بذكر ما يستفاد من عموم الأحاديث من فوائد مستنبطة وأحكام فقهية ، وفوائد حديثية ذكرها أهل الشأن مما فتح الله عليهم لفهم الحديث .
 وأخيراً وليس آخيراً ، فقد استعنت على تحقيق ذلك بالرجوع الى أهم المصادر الحديثية ، والفقهية ولم تبعد عني كتب اللغة وبعض المراجع لإغناء البحث وتوثيقه ، فإن أصبّت فمن فضل الله ومنته وان قصرت فهذا من شأن البشر ، ورحم الله من سدد خطاي ، ودلّني الى ما فيه الحق والصواب .
 وختاماً : أسأل الله تعالى التوفيق لمراضيه ، وأن يتممّ بفضلّه بما ابتدأت فيه ، إنّه سميع مجيب .

الباحث

التمهيد

في تعريف عنوان البحث

أولاً : تعريف الحديث لغة واصطلاحاً :

الحديث في اللغة : ضد القديم وقد استعمل في قليل الخبر وكثيره ؛ لأنه يحدث شيئاً فشيئاً وجمع حديث أحاديث⁽²⁾ .

والحديث في الاصطلاح : ما أضيف إلى النبي μ من قول له أو فعلٍ أو تقريرٍ أو صفة خلقية ، أو خلقية ، وهو أعمّ من السنّة⁽³⁾ .

ثانياً : تعريف البغض لغة واصطلاحاً :

البغض في اللغة : قال ابن فارس⁽⁴⁾ : الباء والعين والضاد أصل واحد، وهو يدل على خلاف الحب ، يقال: أبغض يبغض إِبْغاضاً⁽⁵⁾ ، أي : كرهه كرهاً شديداً⁽⁶⁾ ، والبغضاء

والبُغْضة: أشدُّ البغض، والتبغيض، والتبغاض، والتبغض ضدَّ التَّحبيب والتحابب والتَّحْبِب⁽⁷⁾ ، قال تعالى : ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبُغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾⁽⁸⁾ .

يعني ظهرت العداوة ، وخصّ تعالى الأفواه في الآية دون الألسنة إشارة إلى تشدقهم وثرثرتهم في أقوالهم هذه فهم فوق المتستر الذي تبدو البغضاء في عينيه⁽⁹⁾ .

والبغض في الاصطلاح : هو النفرة عن الشيء لمعنى فيه مستقبح، وترادفه الكراهة⁽¹⁰⁾ .

وقيل: هو نفرة الطبع عن المؤلم المتعب، فإذا قوي يسمّى مقتاً⁽¹¹⁾.
والفرق بين البغض والكراهة: أنّ ما يتسع في البغض لا يتسع في الكراهية، يقال أبغض إكرام زيد ونفعه، ولا يقال أكره ذلك بهذا المعنى، وكذا الكراهة لا تستعمل بما يستعمل به البغض، يقال: أكره هذا الطعام ولا يقال أبغضه⁽¹²⁾.
ثالثاً: مصطلح السنن الأربعة

السنن: جمع سنّة، وهي في اللغة: السيرة حسنة كانت أو قبيحة، وقيل: الطريقة المحمودة المستقيمة، وهي مأخوذة من السنن وهو الطريق⁽¹³⁾.
وكتب السنن نوعٌ من المصنّفات في الحديث⁽¹⁴⁾، عرّفت بأنها: الكتب المرتبة على الأبواب الفقهيّة من الإيمان والطهارة والصلاة والزكاة إلى آخرها، وليس فيها شيءٌ من الموقوف⁽¹⁵⁾.

ومصطلح السنن الأربعة، قد اشتهر من بين كُتُب السنن وهي: سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني⁽¹⁶⁾، وسنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة⁽¹⁷⁾.

والسنن الصغرى: وهو المعروف بالمجتبى: للإمام النسائي⁽¹⁸⁾، ثم ضمّ إليها سنن ابن ماجه⁽¹⁹⁾، فصار مصطلح: (السنن الأربعة)⁽²⁰⁾ دالاً على هذه الكتب⁽²¹⁾.

المبحث الأول: البغض بين المدح والذم

المطلب الأول: ما ورد في فضل البغض في الله.

قال الإمام النسائي رحمه الله:

أخبرنا إسحاق بن إبراهيم، قال: أنبأنا جرير، عن منصور، عن طلق بن حبيب، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: ((ثلاث من كنّ فيه وجد بهنّ حلاوة الإيمان وطعمه: أن يكون الله عز وجل ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب في الله، وأن يبغض في الله، وأن توقد نار عظيمة فيقع فيها أحب إليه من أن يشرك بالله شيئاً))⁽²²⁾.
رجال السند

1. إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي أبو محمد بن راهويه المروزي (ثقة حافظ مجتهد) قرين أحمد بن حنبل ، روى عن : جرير بن عبد الحميد ، وروى عنه النسائي، وأبو داود⁽²³⁾ ، (من العاشرة) مات سنة (238 هـ) وله اثنتان وسبعون سنة⁽²⁴⁾.

2. جرير بن عبد الحميد بن قُرط ، الضبي الكوفي نزيل الري وقاضيه (ثقة صحيح الكتاب قيل كان في آخر عمره يهم من حفظه) ، روى عن المنصور بن المعتمر ،

وروى عنه إسحاق بن إبراهيم⁽²⁵⁾ ، (من الثامنة) ، مات سنة (188هـ) ، وله إحدى وسبعون سنة⁽²⁶⁾ .

3. منصور بن المعتمر بن عبد الله السلمي أبو عتاب الكوفي (ثقة ثبت وكان لا يدلس من طبقة الأعمش) روى عن طلق بن حبيب ، وروى عنه جرير بن عبد الحميد⁽²⁷⁾ (من الخامسة) ، مات سنة (132هـ)⁽²⁸⁾ .

4. طلق بن حبيب العنزي ، بصري (صدوق عابد رمي بالإرجاء) ، روى عن أنس بن مالك ، وروى عنه طلق منصور بن المعتمر :⁽²⁹⁾ ، (من الثالثة) مات بعد (90هـ)⁽³⁰⁾ .

5. أنس بن مالك : بن النضر ، بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن ، الصحابي الجليل ، أبو حمزة الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله ﷺ ، وأحد المكثرين من الرواية عنه ، مات سنة (90هـ) ، وقيل (91هـ)⁽³¹⁾ .

درجة اسناد الحديث

صحيح ، رجال السند ثقات ، سوى طلق بن حبيب قال عنه ابن حجر : صدوق .
ووثقه العجلي⁽³²⁾ . وأبو زرعة⁽³³⁾ ، وابن سعد⁽³⁴⁾ ، وابن حبان⁽³⁵⁾ ،

المفردات الغربية

(حلاوة الايمان) : هو الاستلذاذ بالطاعات وتحمل المشقات فيما يرضى الله تعالى، ورسوله ﷺ وإيثار ذلك على عرض الدنيا، رغبة في نعيم الآخرة، الذي لا يبديد ولا يفنى.⁽³⁶⁾
ما يستفاد من الحديث

دلّ الحديث أن من كانت فيه خصلة من الخصال الثلاث أذاقه الله حلاوة الايمان.

فعبّر عن حلاوة الإيمان لما يجده المؤمن المحقق في إيمانه، المطمئن قلبه به، من انشراح صدره، وتنويره بمعرفة الله تعالى، ومعرفة رسوله ﷺ ، ومعرفة منة الله تعالى أن أنعم عليه بالإسلام، ونظّمه في سلك أمة محمد ﷺ خير الأنام، وحبّب إليه الإيمان والمؤمنين، وبغض إليه الكفر والكافرين، وأنجاه من قبيح أفعالهم، وركاكة أحوالهم.⁽³⁷⁾

وذكر من تلك الخصال ﷺ : (أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما) : أي : من نفس وأهل ومال وكل شيء ، ومحبة العبد ربه بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك محبة رسوله ﷺ باتباع أوامره واجتناب عما نهى عنه⁽³⁸⁾ ، وهذا يدل على التحلي بأنواع الفضائل من التعظيم لأمر الله، بكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ثم الشفقة على خلق الله بإخلاص محبته، ثم التخلي عن الرذائل بکراهة الكفر وسائر النقائص⁽³⁹⁾ .

ومن تلك الخصال : (أن يحب في الله وأن يبغض في الله) ، والمراد بالمحبة : مواظبة القلب على ما يرضي الرب، فيحب ما أحب ويكره ما كره⁽⁴⁰⁾ ، فيحب غير الله لأجل الله

وفيه ، لا لغرض دنيوي ، وكذا البغض لا يكون الا لله ، والمحبة والبغض هنا شيء واحد للزوم بينهما عادة ، فيكون الله هو المحبوب اليه بالكلية ، فلا وجود لنفسه وحظوظها أصلاً ، ولا ترجيح لنفسه على غيرها ، ولا يرجح أحداً على أحد إلا بقدر قربه منه سبحانه وتعالى⁽⁴¹⁾.

وإنما خصّ هذه الثلاث بهذا المعنى؛ لأنها لا توجد إلا بمن نور قلبه بأنوار الإيمان واليقين، وانكشفت له محاسن تلك الأمور، التي أوجبت له تلك المحبة⁽⁴²⁾.
المطلب الثاني : ما ورد في النهي عن البغض المذموم
قال الامام ابو داود :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَجُلْ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ)⁽⁴³⁾.
رجال السند

1. عبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبي الحارثي أبو عبد الرحمن البصري أصله من المدينة وسكنها مدة ثقة عابد روى عنه : أبو داود ، وروى عن مالك بن أنس⁽⁴⁴⁾ ، (من صغار التاسعة) مات في سنة (221هـ) بمكة⁽⁴⁵⁾.
2. مالك بن أنس بن مالك الأصبحي أبو عبد الله المدني الفقيه إمام دار الهجرة رأس المتقين وكبير المتثبتين ، روى عنه : عبد الله بن مسلمة ، وروى عن محمد بن شهاب الزهري⁽⁴⁶⁾ ، (من السابعة) مات سنة (179هـ)⁽⁴⁷⁾.
3. محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري أبو بكر الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإتقانه ، روى عنه : مالك بن أنس ، وروى عن : أنس بن مالك⁽⁴⁸⁾ ، (وهو من رؤوس الطبقة الرابعة) مات سنة (125هـ) ، وقيل : (124هـ)⁽⁴⁹⁾.

4. أنس بن مالك: أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد، الأنصاري الخزرجي النجاري خادم رسول الله ﷺ كان يتسمى به، ويفتخر بذلك مات سنة (91 هـ) وقيل غير ذلك⁽⁵⁰⁾.

درجة اسناد الحديث

صحيح ، فرجاله موثقون ، وسنده متصل ، فيكون صحيحاً ، والله أعلم .
قال الشيخ شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح⁽⁵¹⁾.

مفردات الالفاظ الغريبة

(لا تباغضوا) : أي لا تتعاطوا أسباب البغض ؛ لأنّ الحب والبغض معانٍ قلبية لا قدرة للإنسان على اكتسابها (52).

(تحاسدوا) : يقال تحاسدا، أي حسد كل منهما الآخر ، والحسد : تمنى زوال النعمة إلى الحاسد (53).

(تدابروا) : التدابر المعادة (54) يقال: دابرت الرجل عاديته (55)، والمراد : لا يعطى كل واحد أخاه دبره وقفاه فيعرض عنه ويهجره ، وهو بمعنى لا تقاطعوا ؛ لأن المتقاطعين يولي كل واحد صاحبه دبره (56).

ما يستفاد من الحديث

دلّ الحديث على النهي عن التباغض وأسبابه من الأهواء المضلة الموجبة للتخالف بين المسلمين (57) ؛ لأنّ البغض هو كراهة المرء أو صفاته (58) ، فندب إلى رياضة النفس على التحاب ، فالمحبة والبغضة لا يكاد المرء يغلب فيهما نفسه (59).

وفي الحديث فوائد أخرى منها : النهي عن التحاسد : وهو تمنى زوال نعمة الغير ؛ إذ ينافي هذا العمل الذميمة خلق المؤمن ، الذي يحب لغيره ما يحب لنفسه (60).

وفيه أيضاً الأمر بالأخوة ؛ لأنها تقوي أواصر المحبة ، وتمحي الفوارق البغيضة ، والمعنى : كونوا إخواناً في الدين ، كإخوان النسب في شفقتهم ، ورحمتهم ، وتعاونهم ، وتناصحهم ، ومواساة بعضهم لبعض (61).

وفيه : النهي عن هجر المسلم لأخيه المسلم فوق ليال ثلاث ، وإنما جاز الهجر فيما دون الثلاث ، لما جُبل عليه الآدمي من الغضب، فسومح بذلك القدر ليرجع ويزول ذلك العارض (62).

المبحث الثاني : ما ورد في أبغض العباد ، وأبغض الاعمال الى الله تعالى.

المطلب الاول : بغض الله للبليغ من الرجال

قال الامام ابو داود رحمه الله :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ الْبَاهِلِيُّ وَكَانَ يَنْزِلُ الْعَوْقَةَ، حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ عُمَرَ، عَنْ بَشْرِ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبْغِضُ الْبَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ تَخَلَّلَ الْبَاقِرَةَ بِلِسَانِهَا)) (63).

رجال السند

1. محمد بن سنان الباهلي أبو بكر البصري العوفي (ثقة ثبت) ، (من كبار العاشرة) روى عنه : أبو داود ، وروى عن نافع بن عمر⁽⁶⁴⁾ ، مات سنة (223 هـ)⁽⁶⁵⁾.
2. نافع بن عمر بن عبد الله بن جميل الجمحي المكي (ثقة ثبت) ، روى عنه : محمد بن سنان ، وروى عن : بشر بن عاصم⁽⁶⁶⁾ ، (من كبار السابعة) مات سنة (169 هـ)⁽⁶⁷⁾.
3. بشر بن عاصم بن سفيان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث الثقفي الطائفي (ثقة) ، روى عنه : نافع بن عمر ، وروى عن أبيه عاصم بن سفيان⁽⁶⁸⁾ ، (من السادسة) مات سنة (124 هـ)⁽⁶⁹⁾.
4. عاصم بن سفيان بن عبد الله الثقفي (صدوق)⁽⁷⁰⁾ ، روى عنه : ابنه بشر ، وروى عن : عبد الله بن عمرو بن العاص ، (من الثالثة)⁽⁷¹⁾.
5. عبد الله بن عمرو بن العاص : بن وائل بن هاشم بن سعيد ، بن سهم بن كعب بن لؤي القرشي السهمي ، كنيته أبو محمد عند الأكثر ، صحابي جليل ، توفي سنة (69 هـ)⁽⁷²⁾.

درجة اسناد الحديث

اسناد حسن ، رجاله ثقات ، سوى عاصم بن سفيان ، صدوق . قال : أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وفي الباب عن سعد⁽⁷³⁾.
المفردات الغريبة

(البليغ) : الذي يبالغ في بلاغة الكلام وفصاحته⁽⁷⁴⁾.

يتخلل : هو الذي يتشقق في الكلام ويفخم به لسانه ، ويفقه كما تلف البقرة الكلاً بلسانها⁽⁷⁵⁾.

(الباقرة) : جماعة البقرة كأنه أدخل التاء فيها على أنه واحد من الجنس كالبقرة من البقر، واستعمالها مع التاء قليل⁽⁷⁶⁾.
ما يستفاد من الحديث

دلّ الحديث على بغض الله للبليغ من الرجال ، وهو الفصيح المتكلف في كلامه ، يكثر من الكلام ويتشقق على الناس به ، استعلاء واقتداراً على تصغير عظيم ، أو تعظيم حقير⁽⁷⁷⁾. والمراد بالبغض هنا خذلانه أو ذكره بأرذل الأوصاف⁽⁷⁸⁾.

واستثنى من ذلك من كانت بلاغته خَلقية من غير تكلف ، فهي موهبة من الله له استخدمها في اظهار الحق ، فإنّ ذلك غير مبعوض⁽⁷⁹⁾.

ثانياً : بغض الله للبيّاع الخَلَف، والفقير المختال، والشيخ الزّاني، والإمام الجائر
قال الامام النسائي رحمه الله :

أَخْبَرَنَا أَبُو دَاوُدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَارِمٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَادٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، عَنْ سَعِيدِ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((أَرْبَعَةٌ يَبْغُضُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْبَيَّاعُ الْخَلَّافُ، وَالْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ، وَالشَّيْخُ الرَّائِي، وَالْإِمَامُ الْجَانِرُ)) (80).

رجال السند .

1. أبو داود : سليمان بن سيف بن يحيى بن درهم الطائي مولاهم أبو داود الحراني (ثقة حافظ) روى عنه : النسائي ، وروى عن محمد بن الفضل الدوسي (81). (من الحادية عشرة) مات سنة (272هـ) (82).
2. عارم : محمد بن الفضل السدوسي أبو النعمان البصري لقبه عارم (ثقة ثبت تغير في آخر عمره) روى عنه أبو داود سليمان بن سيف ، وروى عن : حماد بن زيد (83). (من صغار التاسعة) مات سنة (223هـ) وقيل : (224هـ) (84).
3. حماد بن زيد : بن درهم الأزدي الجهضمي أبو إسماعيل البصري (ثقة ثبت فقيه قيل إنه كان ضريراً ولعله طراً عليه ؛ فقد صح أنه كان يكتب ، روى عنه : محمد بن الفضل الدوسي ، وروى عن : عبيد الله بن عمر (85). ، (من كبار الثامنة) مات سنة (179هـ) وقيل: (177هـ) ، وله إحدى وثمانون سنة (86).
4. عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العمري المدني أبو عثمان (ثقة ثبت) " وروى عنه : حماد بن زيد ، وروى عن : سعيد المقبري (87) ، (من الخامسة) مات سنة (147هـ) (88).
5. سعيد المقبري : هو سعيد بن أبي سعيد كيسان المقبري أبو سعد المدني (ثقة) تغير قبل موته بأربع سنين ، روى عنه : عبيد الله بن عمر ، وروى عن أبي هريرة ر (89) ، (من الثالثة) مات في حدود (123هـ) وقيل قبلها وقيل بعدها (90).
6. أبو هريرة : عبد الرحمن بن صخر الدوسي صحابي الجليل ، ، اشتهر بكنيته ، واختلف في اسمه واسم أبيه كثيراً ، والصواب أنه عبد الرحمن بن صخر ، وروى عنه : سعيد المقبري ، وروى عن : النبي ﷺ (الكثير الطيب) (91). (مات سنة 57هـ) (92).

درجة إسناد الحديث

اسناد صحيح ، رجاله ثقات واسناده متصل ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (93). ، وقال الامام الذهبي : أخرجه النسائي، واسناده صحيح (94). ، وقال الامام العراقي : وللنسائي من حديث أبي هريرة .. وإسناده جيد (95).

المفردات الغربية

(البياع الحلاف) : صيغتا مبالغة ، والمراد : الرجل الكثير البيع الكثير الحلف(96).
 (المختال) : المتكبر، وقيل: هو الصِّلْفُ المتباهي الجَهُول الذي يَأْتَفُ من ذوي قرابته إذا كانوا فقراء، ومن جيرانه إذا كانوا كذلك، ولا يُحسن عِشْرَتَهُم(97).
 (الجائر) : الظالم(98).

ما يستفاد من الحديث

دلّ الحديث على بغض الله لأصناف من الناس ، قال المناوي(99) : يبغضهم أي : يعذبهم ويحلهم دار الهوان(100). ، فبدأ بالبياع الحلاف : وهو الذي يحلف كثيراً على سلعته كاذباً ، وعبر عن وصفه بصيغة المبالغة ، فأفاد أنه أكثر من تجارته فاعتاد على هذا الامر ، لينفق سلعته عن طريق الأيمان فيكون متهاوناً بتلك الأيمان مغرراً بمن يشتري منه(101). ، والأولى عدم تقييد البيع بالحلف ؛ لأن كثرة الحلف مذموم ، وإن كان صادقاً فيها(102).
 ودلّ الحديث على بيان بغض الله للفقير المختال ؛ لأنه قد تكبر فأعجب بنفسه فاستحق البغض ، وخص ذكر الفقير مع حرمة ذلك على الغني أيضاً ؛ لأن هذا الوصف أقبح في حق الفقير ؛ ولأن الفقر يقتضي الذلة والمسكنة وليس التكبر والاعجاب(103).

ودلّ الحديث على بغض الله للشيوخ الزاني: وخصه بالبغض ؛ لأنه أصرّ على معصية الزنا مع طعنه في السن ، فكان أقبح فعلاً من الشاب الذي تواجدت معه مظنة الشهوة الداعية الى التفكير في الأمر أكثر من غيره ، مع حرمة ذلك الفعل عليهما معاً(104).

وأفاد الحديث أيضاً ، أنّ من جملة من يبغضهم الله : الامام الجائر ، وهو الظالم في حكمه المائل الى الباطل ؛ وخصه بالذكر لاقتداره وبسط يديه في الامصار ، فهو قادر على إقامة العدل وفرض المعاملة الحسنة إرضاءً لله تعالى(105).

المطلب الثاني : من أبغض الأعمال الى الله تعالى الطلاق

قال الامام ابو داود رحمه الله :

حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ عُبَيْدٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ، عَنْ مُعْرِفِ بْنِ وَاصِلٍ، عَنْ مُحَارِبِ بْنِ دِثَارٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((أَبْغَضُ الْحَلَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الطَّلَاقُ))(106).

رجال السند

1. كثير بن عبيد بن نمير المذحجي أبو الحسن الحمصي الحذاء المقرئ (ثقة) روى عن محمد بن خالد ، وروى عنه أبو داود(107) ، (من العاشرة) مات في حدود (250هـ)(108).

2. محمد بن خالد بن محمد الوهبي الحمصي أخو أحمد (صدوق) روى عن : معرف بن واصل ، وروى عنه كثير بن عبيد⁽¹⁰⁹⁾ (من التاسعة) مات قبل سنة (190هـ) ⁽¹¹⁰⁾.
 3. مُعَرِّف بن واصل السعدي الكوفي (ثقة) روى عن محارب بن دثار ، وروى عنه محمد بن خالد⁽¹¹¹⁾ ، (من السادسة) مات سنة (158هـ) ⁽¹¹²⁾.
 4. مُحَارِب بن دثَّار ، السدوسي الكوفي القاضي (ثقة إمام زاهد) روى عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وروى عنه : معرف بن واصل⁽¹¹³⁾ ، (من الرابعة) مات سنة (116هـ) ⁽¹¹⁴⁾.
 5. ابن عمر : هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى ، القرشي العدوي صحابي جليل ، روى عن النبي ﷺ ، وعن بلال مؤذن رسول الله ﷺ ورافع بن خديج وروى عنه موسى بن طلحة بن عبيد الله ، وميمون بن مهران ، ونافع مولاة ، (مات سنة 73هـ وقيل 74هـ) ⁽¹¹⁵⁾.
- درجة إسناد الحديث
- اختلف في ارسال هذا الاسناد ووصله ، قال ابن مفلح : رجاله ثقات وقد اختلف في إسناده⁽¹¹⁶⁾.
- ورجح ابن التركماني وصله فقال : يقتضى ترجيح الوصل ؛ لأنه زيادة وقد جاء من وجوه⁽¹¹⁷⁾.
- وذهب الإمام الحاكم الى تصحيحه فقال : هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وعقب الذهبي : تصحيح الحاكم للحديث على شرط مسلم⁽¹¹⁸⁾.
- الخلاصة : أن الحديث مرسل وهو من أنواع الضعيف وهو المحفوظ عند الأئمة كأبي حاتم والدارقطني⁽¹¹⁹⁾ ، ولكن مع إرساله احتج به الإمام (أحمد ، وأبو حنيفة ، والشافعي) إن لم يكون في الباب ما يخالفه⁽¹²⁰⁾.
- من فقه الحديث
- إن من الأعمال التي يبغضها الله تعالى الطلاق ، قال أهل العلم : وسمي حلالاً أي : مع الكراهة ، وينصرف معنى الكراهة في الطلاق الى السبب الجالب له ، من سوء العشرة ، وقلة الموافقة بين الزوجين ، أو غير ذلك من الاسباب الموجبة له ، لا الى ذاته فقد أباحه الله⁽¹²¹⁾ فيقال: الطلاق حلال لذاته، والأبغضية لما يترتب عليه من انجرار إلى معصية ، أو تفكك الاسرة⁽¹²²⁾.

وذهب القرافي⁽¹²³⁾ : بأنه فسر جواز الاقدام على الطلاق ليشمل الاحكام الشرعية من وجوبه والندب اليه وكراهيته وابطاحته بحسب ما تقتضي مصلحة الزوجين ، فيحمل فعله إذا لم يوجد هناك حاجة لطلاقها، بل طلقها بدون سبب⁽¹²⁴⁾.

وعليه يحمل بأن البغضة تقتضي رجحان الترك، والرجحان مع التساوي محال عندهم⁽¹²⁵⁾.

وقيل أنّ بغض الله للشيء لا يدل على تحريمه لكونه وصفه بالحل على إثبات بغضه له فدلّ على جواز اجتماع الأمرين بغضه تعالى للشيء ، وكونه حلالاً وأنه لا تنافي بينهما وأحب الأشياء إلى الشيطان التفريق بين الزوجين⁽¹²⁶⁾.

ومن فقه الحديث أيضاً ما قاله الطيبي⁽¹²⁷⁾ : بأن من الحلال ما هو مشروع وهو مبعوض عند الله ، كإداء الصلاة المفروضة في البيوت من دون عذر ، أو الصلاة في أرض مغصوبة أو بيع في يوم الجمعة وقت النداء⁽¹²⁸⁾.

المبحث الثالث : التحذير من بغض الصحابة رضي الله عنهم أجمعين قال الامام الترمذي رحمه الله :

حَدَّثَنَا بُنْدَارٌ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ أَوْ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْأَنْصَارِ: ((لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يَبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، مَنْ أَحَبَّهُمْ فَأَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَأَبْغَضَهُ اللَّهُ)) فَقُلْتُ لَهُ: أَأَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنَ الْبَرَاءِ؟ فَقَالَ: إِيَّايَ حَدَّثَ⁽¹²⁹⁾.

رجال السند

1. محمد بن بشار بن عثمان العبدي البصري أبو بكر بُنْدَارٍ (ثقة) روى عن : محمد بن جعفر ، وروى عنه الامام الترمذي⁽¹³⁰⁾ ، (من العاشرة) مات سنة (252هـ) وله بضع وثمانون سنة⁽¹³¹⁾.

2. محمد بن جعفر الهذلي البصري المعروف بغندر (ثقة صحيح الكتاب إلا أن فيه غفلة) روى عن : شعبة بن الحجاج ، وروى عنه محمد بن بشار⁽¹³²⁾ ، (من التاسعة) مات سنة (193هـ وقيل 194هـ)⁽¹³³⁾.

3. شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي مولا هم أبو بسطام الواسطي ثم البصري ، (ثقة حافظ متقن كان الثوري يقول هو أمير المؤمنين في الحديث ، وهو أول من فتش بالعراق عن الرجال وذبح عن السنة وكان عابداً) روى عن : عدي بن ثابت ، وروى عنه : محمد بن جعفر⁽¹³⁴⁾ ، (من السابعة) مات سنة (160هـ)⁽¹³⁵⁾.

4. عدي بن ثابت الأنصاري الكوفي (ثقة رمي بالتشيع) روى عن : البراء بن عازب ، وروى عنه شعبة بن الحجاج (136)، (من الرابعة) مات سنة 116هـ (137).

5. البراء بن عازب : بن حارث بن عدي بن جشم بن مجدعة ، بن حارثة ابن الحارث بن الخزرج الأنصاري الحارثي الخزرجي، يكنى أبا عمارة، وقيل أبا الطفيل ، صحابي جليل ، روى عن النبي p ، وروى عنه : عدي بن ثابت (138) ، توفي سنة (72هـ) (139).

درجة اسناد الحديث

صحيح :

رجاله ثقات ، واسناده متصل ، وهو متفق على إخراجهم في الصحيحين (140).
قال الامام ابو عيسى : هذا حديث صحيح (141).

ما يستفاد من الحديث

دلّ الحديث على فضل الصحابة ومنهم الانصار رضي الله عنهم ، فجعل بغضهم علامة للنفاق ، ذاك أنّ من عرف الانصار ومكانتهم ، ومبادرتهم الى نصره دين الله ، وقتالهم دونه ، وذبحهم عن نصره النبي p والدفاع عنه حبهم ضرورة ؛ من حيث صحة إيمانه ، ومن حبه للإسلام وأهله ، فيكون تعظيمه لهم بقدر عظم الاسلام في قلبه ، أما من كان منافقاً في سريره أبغضهم ؛ لأنه غير مسرور بما كان منهم ، ولا محباً بما اظهروا من الايمان ونصره (142).

وإنّ على المسلم وجوب محبة أصحاب رسول الله p جميعاً صغيرهم وكبيرهم وتعظيمهم وتوقيرهم وتكريمهم والاحتجاج بإجماعهم والافتداء بهم، والأخذ بآثارهم، وحرمة بغض أحد منهم ؛ لما شرفهم الله به من صحبة رسوله p ، والجهد معه لنصرة دين الإسلام ، وصبرهم على أذى المشركين والمنافقين والهجرة عن أوطانهم وأموالهم وتقديم حب الله ورسوله p على ذلك كله، وقد دلّت النصوص الكثيرة وتظاهرت على وجوب حب الصحابة رضي الله عنهم جميعاً، وقد فهم أهل السنة والجماعة ما دلّت عليه النصوص في هذا واعتقدوا ما تضمنته مما يجب لهم من المحبة على وجه العموم رضي الله عنهم وأرضاهم (143).

وحسب كل من يحب صحابة رسول الله p ويوقرهم ما ورد في فضلهم في قول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (144) ، فهذه الآية دليل على

وجوب محبة الصحابة لأنه جعل لمن بعدهم حظاً في الفيء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم، وأن من سبهم أو واحداً منهم أو اعتقد فيه شراً أنه لا حق له في الفيء، روي ذلك عن مالك وغيره، قال الامام مالك: (من كان يبغض أحداً من أصحاب محمد μ أو كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في فيء المسلمين، ثم قرأ الآية) (145) .
ومما يؤسف له - في زماننا هذا - خوض الجهلة وتجروء السفهاء على في قنوات التلفاز ، من القذح واللعن والوقية في الصحابة رضي الله عنهم ، وما جرى بينهم في الحروب ، وقد تناسى هؤلاء نهي النبي μ عن سبهم، وأن الله غفر لهم، وأخبر بالرضا عنهم، وهو الذي نعتقه ديناً ونرضاه مذهباً؛ بالسكوت عما شجر بينهم، والترضي عنهم، وموالاتهم، ومحبتهم كلهم، رضوان الله عليهم أجمعين.

الخاتمة

1. إنَّ البغض لغة نقيض المحبة ، وفي الاصطلاح : هو النَّفْرة عن الشَّيء لمعنى فيه مستقبح، وترادفه الكراهة ، وقيل : هو نفور النَّفس عن الشَّيء الذي يرغب عنه.
2. إنَّ من البغض ما هو ممدوح ، وهو أن يبغض المؤمن ما يبغضه الله ، وأن يحب ما يحبه الله ، وذلك أوثق عرى الايمان .
3. حذرت الأحاديث من صفة البغض الذميمة ؛ لأنها مدعاة الى التنافر ، والتناحر ، والتفرقة بين المسلمين ، ودعت إلى الأمر بالأخوة ؛ لأنها تقوي أواصر المحبة ، وتمحي الفوارق البغيضة ، فإنَّ المسلمين قد جعلهم الله إخوة،، والإخوة يتحابون بينهم ولا يتباغضون ، ومن تلبس بهذه الصفة ، أصبح بهذا الوصف مبغوضاً عند الله وعند النَّاس.
4. ورد في الأحاديث أن الله يبغض أصنافاً من الناس لا لذاتهم ، بل لوصف سيء فيهم ، فمن الذين يبغضهم الله : الرجل الذي يتكلف ويبالغ في بلاغة الكلام وفصاحته ، واستثنى من ذلك من كانت بلاغته خَلقية من غير تكلف ، فهي موهبة من الله له يستخدمها في إظهار الحق.
5. وممن يبغضهم الله البياع الحلاف ؛ وهو الذي يحلف كثيراً على سلعته كاذباً متهاوناً بأيمانه ، وكذا بغض الله للفقير المختال ؛ لأنه قد تكبر فأعجب بنفسه فاستحق بغض الله له ، وبغض الله للشيخ الزاني: وخصه بالبغض ؛ لأنه أصر على معصية الزنا مع طعنه في السن ، وكذا الامام الجائر وهو الظالم في حكمه المائل الى الباطل ؛ وخصه بالذكر لاقتداره وبسط يديه.
6. حذرت الأحاديث من بغض الصحابة ، والطعن فيهم ، وجعل μ محبتهم علامة للإيمان ، وبغضهم علامة للنفاق .

7. إن درجة الأحاديث التي تناولتها بالدراسة صحيحة الاسناد والمتن ، أو ما كانت اسنادها حسناً ، سوى حديثاً واحداً فهو ضعيف ، للاختلاف في إرسال اسناده ووصله ، وهو حديث : (أبغض الحلال الى الله الطلاق) واحتج به الائمة الثلاثة (احمد ، وأبو حنيفة ، والشافعي) وقالوا إن لم يكون في الباب ما يخالفه .

التوصيات

أوصي في هذا المقام ببيان أهمية مثل هذه الموضوعات التي ترد في الحديث النبوي ، وما كان على شاكلتها - والإفادة بما صح منها ، وبيان ما يستنبط منها من أحكام وفوائد. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم :

1. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد العشرة المبشرة : أبو العباس شهاب الدين بن ابي بكر البوصيري ت 840هـ- تحقيق دار المشكاة للبحث العلمي ، دار النشر الرياض ط 1 ، 1420 هـ ، 1999م .

2. إحياء علوم الدين : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، دار المعرفة - بيروت.

3. الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي ، تحقيق سالم محمد عطا-محمد علي معوض ، دار الكتب العلمية ، نشر سنة 2000م ، بيروت لبنان .

4. الاستيعاب في معرفة الأصحاب : يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ، تحقيق علي محمد البجاوي ، نشر ، دار الجيل ، سنة النشر 1412هـ ، مكان النشر بيروت.

5. الإصابة في تمييز الصحابة : أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط 1 ، - 1415 هـ.

6. الأعلام : خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي نشر: دار العلم للملايين ، ط 15 ، 2002 م.

7. إكمال المعلم بفوائد شرح صحيح مسلم : للإمام الحافظ : ابي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ، ت(544هـ) تحقيق د. يحيى اسماعيل ، دار الوفاء ط 3-1426هـ-2005م .

8. تاريخ الثقات : أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي ، نشر : دار الباز ، ط 1405هـ-1984م.

9. تاريخ مولد العلماء ووفياتهم : أبو سليمان محمد بن عبد الله بن أحمد بن ربيعة بن سليمان بن خالد بن عبد الرحمن بن زبير الربيعي ، تحقيق : د. عبد الله أحمد سليمان الحمد نشر: دار العاصمة - الرياض ، ط1 1410هـ.
10. التبيان في تخريج وتبويب أحاديث بلوغ المرام : خالد بن ضيف الله الشلاحي ، نشر: دار الرسالة العالمية ، ط1 ، 1433 هـ - 2012 م.
11. تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي : أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت .
12. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، مكتبة الرياض الحديثة.
13. تذكرة الحفاظ وتبصرة الأيقاظ: يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن ابن عبد الهادي الصالحي، جمال الدين، ابن المبرد الحنبلي ، عناية: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب ، نشر : دار النوادر، سوريا ، ط1 ، 1432 هـ - 2011 م.
14. تفسير القرآن العظيم : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، نشر ، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت ، ط1 ، 1419 هـ .
15. تقريب التهذيب : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، تحقيق محمد عوامة ، نشر دار الرشيد ، سنة النشر 1406 - 1986م ، مكان النشر سوريا.
16. التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير : أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، نشر : دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1419هـ- 1989م.
17. التنوير شرح الجامع الصغير : محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير ، تحقيق : د. محمد إسحاق محمد إبراهيم ، نشر : مكتبة دار السلام، الرياض ، ط1 ، 1432 هـ - 2011 م.
18. تهذيب الكمال في أسماء الرجال: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبى المزى ، تحقيق : د. بشار عواد معروف ، نشر : مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط1 ، 1400 - 1980 م .

19. تهذيب اللغة : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى ، تحقيق محمد عوض مرعب ، نشر دار إحياء التراث العربى ، 2001م ، مكان النشر بيروت.
20. التوشيح شرح الجامع الصحيح : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، تحقيق : رضوان جامع رضوان ، نشر: مكتبة الرشد - الرياض ، ط1 ، 1419 هـ - 1998 م.
21. التيسير بشرح الجامع الصغير : زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري ، نشر : مكتبة الإمام الشافعي - الرياض ، ط3 ، 1408هـ - 1988م.
22. الثقات : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، تحقيق السيد شرف الدين أحمد ، نشر دار الفكر ، سنة النشر 1395هـ ، 1975م .
23. الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، تحقيق : هشام سمير البخاري ، نشر : دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية : 1423 هـ/ 2003 م.
24. الجرح والتعديل : أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم ، نشر : طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط1 ، 1271 هـ - 1952 م.
25. الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم : محمد بن فتوح الحميدي ، تحقيق د. علي حسين البواب ، نشر دار ابن حزم ، سنة النشر 1423 هـ - 2002م ، مكان النشر لبنان/ بيروت .
26. الجوهر النقي على سنن البيهقي : علاء الدين علي بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى المارديني، أبو الحسن، الشهير بابن التركماني (المتوفى: 750هـ) ، نشر: دار الفكر، للطباعة والنشر ، بيروت لبنان .
27. حاشية السندي على سنن ابن ماجه : المسمى (كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه)، محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي ، نشر : دار الجيل بيروت، بدون طبعة ، (موافق لطبعة دار الفكر، ط2) ، دار النشر: دار الوطن للنشر، الرياض.

28. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين : محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي ، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ، ط4 ، 1425 هـ - 2004 م.
29. الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب المالكي : إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (المتوفى: 799هـ) ، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدى أبو النور ، نشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.
30. ذخيرة العقبي في شرح المجتبى : محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي التلوي ، ط1 نشر: دار المعراج الدولية للنشر(ج 1 - 5) - دار آل بروم للنشر والتوزيع (ج 6 - 40) راجعه: الشيخ عبد القادر الأرنؤوط ، وعني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون ، نشر: مكتبة دار البيان، دمشق - الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف - المملكة العربية السعودية عام النشر: 1410 هـ - 1990 م.
31. الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة : للإمام محمد بن جعفر الكنانى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2، 1400هـ.
32. السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير: المؤلف: الشيخ علي بن الشيخ أحمد بن الشيخ نور الدين بن محمد بن الشيخ إبراهيم الشهير بالعزيزي ، أعده : فريق رابطة النساخ برعاية (مركز النخب العلمية).
33. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير : شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، نشر: مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة
34. سنن ابن ماجه : أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق ، شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله ، نشر : دار الرسالة العالمية ، ط1 ، 1430 هـ - 2009 م.
35. سنن أبي داود : أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي ، نشر: دار الرسالة العالمية ، ط1، 1430 هـ - 2009 م.
36. سنن الترمذي : محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرون ، نشر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر ، ط2 ، 1395 هـ - 1975 م.

37. شرح النووي على صحيح مسلم : المسمى بالمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج : أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، نشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت ، 1392هـ.
38. شرح تنقيح الفصول : أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، ناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة ، ط1 ، 1393 هـ - 1973 م.
39. شرح صحيح البخاري لابن بطلال : ابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ، تحقيق: أبو تميم ياسر بن ابراهيم ، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض ، ط2، 1423هـ - 2003م.
40. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم : نشوان بن سعيد الحميري اليمني ، تحقيق : د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإيراني - د يوسف محمد عبد الله ، نشر : دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية) ، ط1 ، 1420 هـ - 1999 م.
41. صحيح ابن حبان المسمى : الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان : محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُسْتِي ، الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط1 ، 1408 هـ - 1988 م.
42. الطبقات الكبرى : أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، نشر : دار الكتب العلمية - بيروت ، ط1 ، 1410 هـ - 1990 م .
43. طبقات المفسرين للداودي : محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداودي المالكي ، نشر : دار الكتب العلمية - بيروت .
44. عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم : ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية ، ط3 ، 1421هـ ، 2000 م .
45. العلل الواردة في الأحاديث النبوية : علي بن عمر بن أحمد بن مهدي أبو الحسن الدارقطني البغدادي ، تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله السلفي ، نشر دار طيبة ، سنة النشر 1405 - 1985 ، مكان النشر الرياض.

46. العلل ومعرفة الرجال : أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني : تحقيق وصي الله بن محمد عباس ، نشر المكتب الإسلامي ، دار الخاني ، سنة النشر 1408 - 1988 ، مكان النشر بيروت ، الرياض.
47. عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: المسمى تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته : محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي ، نشر : دار الكتب العلمية - بيروت ، ط 2 ، 1415 هـ.
48. الفائق في غريب الحديث والأثر : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ، تحقيق : علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط 2 ، نشر: دار المعرفة - لبنان
49. فتح الباري شرح صحيح البخاري : زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب ، دار ابن الجوزي - السعودية / الدمام - 1422 هـ ، ط 2 ، تحقيق : أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد .
50. فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي : شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي ، تحقيق : علي حسين علي ، نشر مكتبة السنة - مصر ، ط 1 ، 1424 هـ / 2003 م .
51. الفروق اللغوية : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ، تحقيق : محمد إبراهيم سلي ، نشر : دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.
52. فيض القدير شرح الجامع الصغير : زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري ، نشر ، المكتبة التجارية الكبرى - مصر ط 1 ، 1356 هـ .
53. القاموس المحيط : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ط 8 ، 1426 هـ - 2005 م .
54. القبس في شرح موطأ مالك بن أنس : القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي ، تحقيق : الدكتور محمد عبد الله ولد كريم ، نشر : دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، 1992 م

55. قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر : أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، الهجراني الحضرمي الشافعي ، نشر : دار المنهاج - جدة ، ط1 ، 1428 هـ - 2008
56. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، تحقيق : محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب ، نشر : دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، جدة ، ط1 ، 1413 هـ - 1992 م.
57. الكبانر : شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، نشر: دار الندوة الجديدة - بيروت.
58. الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم : المسمّى: الكوكب الوهاج والرّوض البهّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (جمع وتأليف: محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهزري الشافعي، نزيل مكة المكرمة والمجاور بها، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور هاشم محمد علي مهدي، المستشار برابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة، دار المنهاج - دار طوق النجاة، ط1، 1430 هـ - 2009 م.
59. لسان العرب : محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي ، نشر : دار صادر - بيروت ط3 ، 1414 هـ.
60. المبدع في شرح المقنع : إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين - نشر : دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، ط1 ، 1418 هـ - 1997 م.
61. مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار : جمال الدين، محمد ظاهر بن علي الصديقي الهندي الفتني الكجراتي ، نشر : مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ط1 ، 1387 هـ - 1967 م.
62. المداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي : أحمد بن محمد بن الصديق بن أحمد، أبو الفيض العُمّاري الحسني الأزهري ، نشر ، دار الكتبي، القاهرة - جمهورية مصر العربية ، ط1 ، 1996 م .
63. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري ، دار الفكر، ط1، بيروت- لبنان، 1422 هـ- 2002 م.
64. المستدرک على الصحيحين : الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، نشر: دار المعرفة - بيروت ، بإشراف: د. يوسف المرعشلي. مسند الامام أحمد بن

- حنبل : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون ، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، نشر : مؤسسة الرسالة ، ط1 ، 1421 هـ - 2001 م.
65. مشارق الأنوار على صحاح الآثار : القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي ، دار النشر : المكتبة العتيقة ودار التراث .
66. معالم السنن: وهو شرح سنن أبي داود لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي ، المطبعة العلمية، حلب، ط1، 1351هـ-1932م.
67. معجم الكليات: لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - 1419هـ - 1998م.
68. معجم اللغة العربية المعاصرة : د أحمد مختار عبد الحميد عمر ، نشر، عالم الكتب ، ط1 ، 1429 هـ - 2008 م.
69. معجم مقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، نشر : دار الفكر ، 1399هـ - 1979م .
70. المُعْلم بفوائد مسلم : أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر النَّميمي المازري المالكي (المتوفى: 536هـ) ، تحقيق : فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر ، نشر : الدار التونسية للنشر ، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر ، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقق والدراسات بيت الحكمة ، الطبعة: الثانية، 1988 م، والجزء الثالث صدر بتاريخ 1991م.
71. المفهم لما اشكل تلخيص كتاب مسلم : أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي ، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال نشر : (دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت) ط1 ، 1417 هـ - 1996 م.
72. المُنْجَد في اللغة : علي بن الحسن الهنائي الأزدي ، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، دكتور ضاحي عبد الباقي ، نشر: عالم الكتب، القاهرة ، ط2 ، 1988 م.
73. منحة الباري بشرح صحيح البخاري : المسمى تحفة الباري ، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي المصري الشافعي ، اعتنى

- بتحقيقه والتعليق عليه: سليمان بن دريع العازمي ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية ، 1426 هـ - 2005 م .
74. ميزان الاعتدال في نقد الرجال : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، نشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ، ط1 ، 1382 هـ - 1963 م.
75. النكت على مقدمة ابن الصلاح : أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي ، تحقيق : د. زين العابدين بن محمد بلا فريج ، نشر : أضواء السلف - الرياض ، ط1 ، 1419 هـ - 1998 م.
76. النهاية في غريب الحديث والاثار : مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير ، نشر : المكتبة العلمية - بيروت، 1399 هـ - 1979 م ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.

- (1) أخرجه الحاكم من حديث عكرمة ، وقال : وقد احتج البخاري بأحاديث عكرمة ، واحتج مسلم بأبي أويس، وسائر رواته متفق عليهم ، وخلاصة الذهبي: احتج البخاري بعكرمة واحتج مسلم بأبي أويس وله أصل في الصحيح. ينظر: المستدرک على الصحيحين : أبو عبد الله الكم : 171/1 ، رقم (318).
- (2) فتح المغيبي بشرح الفية الحديث للعراقي : شمس الدين السخاوي : 10 .
- (3) ينظر، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، أبو بكر السيوطي : 1 / 29 .
- (4) أبو الحسين أحمد بن فارس الرازي اللغوي. كان إماما في علوم شتى، خصوصا اللغة؛ فإنه أتقنها، وألف كتاب «المجمل» فيها، جمع على اختصاره شيئا كثيرا، وله كتاب «حلية الفقهاء» مات سنة (1395 هـ) . ينظر: قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر ، أبو محمد الطيب بامخرمة : 273/3 .
- (5) مغايبس اللغة : أحمد بن فارس : 273/1 ، مادة (بغض) ، ولسان العرب : ابن منظور الافريقي : 1 / 288 ، مادة (بغض) .
- (6) معجم اللغة العربية المعاصرة : 228 . مادة : (بغض) .
- (7) القاموس المحيط : للفيروزآبادي : 637/1 . مادة (بغض) .
- (8) سورة آل عمران ، الآية رقم : 118 .
- (9) الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله بن فرج الانصاري : 180/4 .
- (10) ينظر، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين : محمد بن علي بن محمد بن علان : 22/3 .
- (11) الكليات ، أبو البقاء الكفوي : 398 .
- (12) الفروق اللغوية : أبو الهلال العسكري : 129 .
- (13) ينظر ، لسان العرب 225،226/13 .
- (14) ذكر الكتاني أمثلة كثيرة لكتب السنن. ينظر: الرسالة المستطرفة : محمد بن جعفر الكتاني : 32-37 .
- (15) الرسالة المستطرفة : 32. وظاهر عبارته أن الموقوفات لا توجد في كتب السنن، والواقع أن كتب السنن ليست خالية من الموقوفات، بل هي مشتملة على جملة منها.
- (16) أبو داود : سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو، الأزدي ، السجستاني. إمام العلم، إمام الأئمة في الحديث. أحد أصحاب كتب الحديث الستة المشهورة. (المتوفى: 275 هـ). ينظر، تذكرة الحفاظ وتبصرة الايقاظ : يوسف بن حسن ابن المبرد : 110 .
- (17) محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى. مصنف كتاب الجامع. حافظ، علم، إمام، بارع. (المتوفى: 279 هـ). ينظر، تقريب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني : 500 .
- (18) أبو عبد الرحمن : أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي الكبير (المتوفى: 303 هـ). ينظر ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، للحافظ الذهبي : للامام الذهبي : 195/1 .

- (19) أبو عبد الله : محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد. حافظ كبير ومحدث شهير، متفق على جلالته وإتقانه . (المتوفى: 273هـ). ينظر، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، للحافظ المزي: للحافظ المزي : 40/27
- (20) النكت على كتاب ابن الصلاح : بدر الدين بن محمد الزركشي : 487/1.
- (21) ممن استعمله: ابن عساکر؛ فقد ألف كتاباً سماه: أطراف السنن الأربعة، والمزّي في كتابه: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، وقله عبدالغني المقدسي صاحب كتاب الكمال، ثم من جاء بعدهم.
- (22) **تفريخ الحديث** : أخرجه النسائي في سنن (المجتبى) ، عن أنس بن مالك : في كتاب الايمان وشرائعه ، باب طعم الايمان : 94/8 رقم (4987).
- (23) ينظر، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، للحافظ المزي: للحافظ المزي : 373/2.
- (24) ينظر ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة : للحافظ الذهبي : 233/1 ، وتقريب التهذيب ، لابن حجر : 99
- (25) ينظر ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال: 541/4
- (26) ينظر ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة : 291/1 ، وتقريب التهذيب: 139.
- (27) ينظر، تهذيب الكمال في أسماء الرجال: 547/28.
- (28) ينظر ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: 297/2 ، وتقريب التهذيب: 547.
- (29) ينظر، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، للحافظ المزي: 452/13
- (30) ينظر ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، للحافظ الذهبي : 515/1 ، وتقريب التهذيب ، لابن حجر : 283
- (31) الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر 276/1.
- (32) تاريخ الثقات : للعجلي 237.
- (33) الجرح والتعديل ، لابن أبي حاتم : 491/4.
- (34) الطبقات الكبرى ، لابن سعد : 169/7 .
- (35) الثقات : لابن حبان 397/4.
- (36) شرح صحيح البخاري ، لابن بطلال : 66 /1 .
- (37) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، أبو العباس القرطبي : 210/7.
- (38) ينظر، فتح الباري لابن رجب : 50/1 ، السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير : الشيخ ابراهيم العريزي : 45/3.
- (39) منحة الباري بشرح صحيح البخاري ، زكريا الانصاري : 154/1.
- (40) اكمال المعلم بفوائد مسلم ، للقاضي عياض : 278/1.
- (41) ذخيرة العقبى في شرح المجتبى : محمد بن علي الاثيوبي : 172/37 ، والكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج : محمد الامين الهرري : 361/2.
- (42) المفهم لما اشكل تلخيص كتاب مسلم : 211 /1 - 212.
- (43) **تفريخ الحديث** : أخرجه الامام أبو داود في سننه : عن أنس بن مالك : كتاب أول كتاب الايمان ، 271/7 رقم (4910) ، وأخرجه أيضاً الترمذي عن أنس بن مالك : أبواب البر والصلة : باب ما جاء في الحسد 329/4 رقم (1935) ، وأخرجه أيضاً ابن ماجه في سننه : عن أبي بكر الصديق : أبواب الدعاء ، باب الدعاء بالعفو والعافية : 18/5 رقم (3849) .
- (44) ينظر، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، للحافظ المزي: 136/16.
- (45) ينظر ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، : للحافظ الذهبي : 598 ، وتقريب التهذيب ، لابن حجر : 323.
- (46) ينظر، تهذيب الكمال في أسماء الرجال : 103 /27 وما بعدها .
- (47) ينظر ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة : 234/2 ، وتقريب التهذيب : 516.
- (48) ينظر، تهذيب الكمال في أسماء الرجال : 421/26.
- (49) ينظر ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة : 217/2 ، وتقريب التهذيب: 506.
- (50) أسد الغاية في معرفة الصحابة ، لابن الاثير الجزري : 293 /1 .
- (51) سنن أبي داود بتحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط : 217/7 .
- (52) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، أبو العباس القرطبي : 531/6.
- (53) ينظر، الفائق في غريب الحديث والاثر : أبو القاسم الزمخشري : 46/3
- (54) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم : نشوان بن سعيد الحميري : 2027/4 .
- (55) المعلم بفوائد مسلم : ابو عبد الله المازري : 286/3.

- (56) ينظر، مشارق الأنوار على صحاح الآثار ، للقاضي عياض : 253/1.
- (57) ينظر، إكمال المعلم بفوائد مسلم : للقاضي عياض : 23/8 ، وشرح النووي على صحيح مسلم : 116/16.
- (58) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس : أبو بكر العربي : 1098.
- (59) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار ، لابن عبد البر : 289/8.
- (60) ينظر، السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشر النذير : الشيخ علي العزيزي ، 224/2.
- (61) ينظر ، التوشيح شرح الجامع الصحيح ، للسيوطي : 3667/8 ، وتحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذي ، أبو العلا المياركفوري : 55/6 .
- (62) التوشيح شرح الجامع الصحيح ، للسيوطي : 3672/8.
- (63) **تخريج الحديث** : أخرجه الامام أبو داود في سننه أبي داود عن عبد الله بن عمرو في : أول كتاب الادب ، باب في المتشدد في الكلام ، رقم (5005). وأخرجه أيضاً الامام الترمذي في سننه عن عبد الله بن عمرو في : أبواب الأدب عن رسول الله p ، باب ما جاء في الفصاحة والبيان : 141/5 ، رقم (2853).
- (64) ينظر ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، للحافظ المزي : 321/25 .
- (65) ينظر ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة : للإمام الذهبي 315/3 ، وتقريب التهذيب ، لابن حجر : 482.
- (66) ينظر ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال : 288/29.
- (67) ينظر ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة : 315/2 ، وتقريب التهذيب : 558 .
- (68) ينظر ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال : 131/4 .
- (69) ينظر ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة : 168/1 ، وتقريب التهذيب : 123 .
- (70) ينظر ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة : 519/1 ، وتقريب التهذيب : 285 .
- (71) ينظر ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال : 484/13 .
- (72) الاصابة في تمييز الصحابة : لابن حجر 165/4 .
- (73) ينظر ، سنن الترمذي : 438/4 .
- (74) ينظر ، تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد الأزهرى : 135/8 ، ولسان العرب ، لابن منظور : 420/8 .
- (75) النهاية في غريب الحديث والاثر ، لابن الاثير : 73/2 .
- (76) ينظر: مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار ، محمد بن طاهر الكجراتي : 104/2 ، وعون المعبود شرح سنن أبي داود ، العظيم آبادي : 237/13 .
- (77) ينظر فيض القدير ، عبد الرؤوف للمناوي : 359/2 .
- (78) ينظر ، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين : محمد علي بن علان : 552/8 .
- (79) ينظر، التيسير بشرح الجامع الصغير : عبد الرؤوف المناوي : 267/1 .
- (80) **تخريج الحديث** : أخرجه الامام النسائي في سننه : عن أبي هريرة r : في كتاب الزكاة ، باب رَدِّ السائل (الفقير المختال) : 86/5 ، رقم : (2576) .
- (81) ينظر، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، للحافظ المزي : 451/11 .
- (82) ينظر ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، : للحافظ الذهبي : 460/1 ، وتقريب التهذيب، لابن حجر : 252 .
- (83) ينظر ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال : 287/26 .
- (84) ينظر ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة : 210/2 ، وتقريب التهذيب : 502 .
- (85) ينظر، تهذيب الكمال في أسماء الرجال : 239/7 .
- (86) ينظر ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة : 349/1 ، وتقريب التهذيب : 178 .
- (87) ينظر، تهذيب الكمال في أسماء الرجال : 124/19 .
- (88) ينظر ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة : 685/1 ، وتقريب التهذيب : 373 .
- (89) ينظر، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، للحافظ المزي : 466/10 .
- (90) ينظر ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة : للإمام الذهبي 437/1 ، وتقريب التهذيب ، لابن حجر : 236 .
- (91) ينظر ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال : 64 / 35 .
- (92) ينظر ، الاصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر : 362/7 .
- (93) صحيح ابن حبان : 369/12 . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح .
- (94) الكباير : للإمام الذهبي 162 .

- (95) إحياء علوم الدين ، للامام الغزالي : 134/3 .
- (96) ذخيرة العقبي في شرح لمجتبى ، محمد بن علي الاثيوبي : 114/23 .
- (97) لسان العرب ، لابن منظور : 228/11 .
- (98) المُتَّجِد في اللغة ، علي بن الحسن الازدي : 159 .
- (99) محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري ، زين الدين: من كبار العلماء بالدين والفنون ، توفي سنة (1029هـ) . ينظر، الاعلام للزركلي ، خير الدين الزركلي : 204/6 .
- (100) التيسير بشرح الجامع الصغير : عبد الرؤوف المناوي : 140/1 .
- (101) ينظر، ذخيرة العقبي في شرح المجتبى : 114/23 .
- (102) السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير: علي بن الشيخ احمد العزيزي : 191/1 .
- (103) ينظر، التنوير شرح الجامع الصغير ، للامام الصنعاني : 272/2 .
- (104) ينظر، فيض القدير : عبد الرؤوف المناوي : 470/1 .
- (105) ينظر ، السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير : علي بن الشيخ احمد العزيزي : 191/1 .
- (106) **تخريج الحديث** : أخرجه الامام أبو داود من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، في أول كتاب الطلاق ، باب في كراهية الطلاق : 505/3 ، وأخرجه أيضاً : ابن ماجه في سننه ، عن ابن عمر : أبواب الطلاق ، باب (1) : 180/3 رقم (2018) .
- (107) ينظر، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، للحافظ المزي : 140/24 .
- (108) ينظر ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، : للحافظ الذهبي : 146/2 ، وتقريب التهذيب ، لابن حجر : 460 .
- (109) ينظر ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال: 145/25 .
- (110) ينظر ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة : 167/2 ، وتقريب التهذيب : 476 .
- (111) ينظر، تهذيب الكمال في أسماء الرجال: 260/28 .
- (112) ينظر ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: 279/2 ، وتقريب التهذيب : 540 .
- (113) ينظر، تهذيب الكمال في أسماء الرجال: 256/27 .
- (114) ينظر ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة : 243/2 ، تقريب التهذيب : 521 .
- (115) ينظر ، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم لابن زبر الربيعي : 192 ، وينظر، تهذيب الكمال في أسماء الرجال: 337/15 .
- (116) المبدع : إبراهيم بن محمد بن مفلح : 250/7 .
- (117) الجوهر النقي على سنن البيهقي ، علاء الدين المارديني : 323/7 .
- (118) المستدرک على الصحيحين ، للإمام الحاكم مع تعليقات الامام الذهبي : 214/2 رقم (2794) .
- (119) العلل الواردة في الأحاديث النبوية : للدار قطني : 225/13 ، والتلخيص الجبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: 1244/4 ، والمداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي : 78/1 .
- (120) ينظر، سنن أبي داود بتحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط : 504/3 رقم (2177) ورقم (2178) ، وينظر، التبيان في تخريج وتبويب أحاديث بلوغ المرام ، خالد بن ضيف الشلاحي : 133/10 .
- (121) ينظر، معالم السنن : للخطابي : 231 /3 .
- (122) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، علي القاري : 2137 /5 .
- (123) هو الامام : أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، أبو العباس، شهاب الدين الصنهاجي القرافي: من علماء المالكية نسبته إلى قبيلة صنهاجة (من برابرة المغرب) وإلى القرافة (المحلة المجاورة لقبير الإمام الشافعي) بالقاهرة ، وهو مصري المولد والمنشأ والوفاة وتوفي فيها سنة (684هـ) . ينظر، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، لابن فرحون : 236 /1 .
- (124) ذخيرة العقبي في شرح المجتبى ، محمد بن علي الاثيوبي : 318/28 .
- (125) شرح تنقيح الفصول : للامام القرافي 70/1 ، وذخيرة العقبي في شرح المجتبى: 66/1 .
- (126) فيض القدير ، عبد الرؤوف المناوي : 280/7 .
- (127) هو : الحسن بن محمد بن عبد الله، شرف الدين الطيبي: من علماء الحديث والتفسير والبيان. من أهل توريز، من عراق العجم ، كان شديد الردّ على المبتدعة، ملازماً لتعليم الطلبة والإنفاق على ذوي الحاجة منهم . توفي سنة (734هـ). ينظر، طبقات المفسرين للداوودي : 146/1 .
- (128) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : 2137 /5 .
- (129) **تخريج الحديث** : أخرجه الامام الترمذي : أبواب المناقب عن رسول الله p ، باب في فضل الأنصار وقريش : 712/5 رقم (3900) .
- (130) ينظر، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، للحافظ المزي : 511/24 .

- (131) ينظر ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، للحافظ الذهبي : 159/2 ، وتقريب التهذيب، لابن حجر : 469.
- (132) ينظر، تهذيب الكمال في أسماء الرجال: 5/25.
- (133) ينظر ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة : 162/2 ، وتقريب التهذيب: 472 .
- (134) ينظر ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال : 479/12.
- (135) ينظر ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: 485/1 ، وتقريب التهذيب : 266.
- (136) ينظر ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال: 522/19.
- (137) ينظر ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: 15/2 ، وتقريب التهذيب: 388.
- (138) ينظر ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، للحافظ المزي: 34/4.
- (139) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لابن عبد البر : 155/1 .
- (140) ينظر ، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم : محمد بن فتوح الحميدي : 528/1.
- (141) سنن الترمذي : 712/5 رقم (3900).
- (142) ينظر، اكمال المعلم شرح صحيح مسلم ، للقاضي عياض : 335/1.
- (143) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم : ناصر بن علي ، 757/2.
- (144) سورة الحشر : الآية رقم (10) .
- (145) ينظر: قول الامام مالك في أحكام القرآن لابن العربي : 1778/4 ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : 609/6.



الوحي في القرآن الكريم و آراء المستشرقين فيه

1-م.م انفال حيدر عبد الرضا 2-م.م سيف علي مهدي 3-م.م رسل عامر ياسين

كلية الكوت الجامعة

قسم علوم القرآن والتربية الاسلامية

Anfal haider abd

anfal.haider@alkutcollege.edu.iq

المقدمة

هذه دراسة تنظم جهود المستشرقين في الدراسات القرآنية المتنوعة وتتناول بالبحث الموضوعي عطاءهم الفكري ، وتشير إلى أبرز أعمالهم في هذا المجال.

وليس في استقراء هذا الأثر حبّ بالمستشرقين أو تعصبا لهم ، بقدر ما فيه من حب للقرآن الكريم وإعجاب بذيوعه وانتشاره ، حتى بحثه من لا يؤمن بإعجازه ، وصنّف فيه من لا يراه وحيا إلهيا.

لقد ظلّ القرآن الكريم مثار دهشة الغربيين من مستعربين ومستشرقين ، بما أحدثه من تغيير شامل في المجتمع العربي والإسلامي وما أضافه إلى الحضارات الإنسانية من زخم وحياء ، وما قدّمه للثقافة من تطوّر وتجديد.

فحدبوا على دراسته بمثابة ، وتتبعوا نصوصه بإمعان ، فرآه البعض مادّة للأبحاث الموضوعية فدرسه بهذا المنظور ، واشتد على البعض الآخر وقعه فأثار عنده الحقد الدفين ، ومن هذا وذاك طغت على السطح الأكاديمي دراسات الاستشراق القرآنية ، فاتسم بعضها بالموضوعية ، وبدا على قسم منها تبعات الهوى حيناً ، وروائح الاستعمار حيناً آخر ، وملامح التبشير بعض الأحيان ، فخلص لنا من كل أولئك مزيج عجيب يدعو إلى الحيرة ، وقد حاولنا في هذه الدراسة تصنيفه وتنقيته والوقوف فيه عند حدوده العلمية.

في هذه الدراسة الموجزة عرض ونقد وتحليل وفهرسة ، عني العرض بكشف أبرز البحوث القيّمة في موضوع الدراسات القرآنية ، وتكفل النقد بتهذيب وجهات النظر الضيقة والعودة بها إلى المناخ الطبيعي ، واقتصر التحليل على أفضل المعطيات العلمية للجهود الاستشرافية في دراسات القرآن ، وحاولت الفهرسة تصنيف أغلب الأبواب والموضوعات والدراسات والبحوث والمؤلفات والتحقيقات والتراجم والتعقيبات في الموضوع والإشارة إلى زمان ومكان طبعها ونشرها قدر الإمكان.

ولقد كانت الجهود مضمّنة احتجت معها إلى ترجمة بعض النصوص ، من الإنكليزية ، والاستعانة ببعض الأساتذة في الألمانية ، مضافا إلى عملية الإحصاء استيعابا واستقصاء ، لئلا يكون النقص في الحث كبيرا والهوة واسعة.

وكانت المراجع للموضوع ما كتب عن المستشرقين ، وما كتبه المستشرقون أنفسهم.

أما ما كتب عن المستشرقين فكان دليلا هاديا إلى اكتشاف المجهول ، واستقراء ترجمة الجهود ، وإضافة قائمة بمؤلفات لم يحصل عليها ولم يطلع على أسرارها. وأما ما كتبه المستشرقون في موضوع القرآن فكان مادة البحث الأولى التي اعتمدها في النصوص والتقييم والنقد.

ومن خلال هاتين الحصيلتين سلطت الأضواء على كوامن البحث في مصادره القيمة ومعالمه المتشعبة. وكان ذلك بفضل جمع ما تناثر هنا وهناك ولم شمله وشعته من صروف الشتات والتمزق ، فعاد مجتمعا في بحث ومتداول في كتاب.

المبحث الاول

معنى الوحي والاستشراق والصور التي جاء بها الوحي
 المعنى الشرعي (القرآني): (جاء لفظ الوحي وما تصرف منه في القرآن في ثمانية وسبعين موضعا، بالاستقراء نجد استعمال لفظ الوحي دلالة على الإعلام الخفي السريع. والوحي كاسم معناه: الكتاب، ومصدره) وَحِيَ (، وفعل) أَوْحَى (مصدره) إِيحَاء^[1] غير أن للوحي وجوهاً دلالية يتطلبها السياق في القرآن على نحو مخصوص.^[2]
 فالمقصود بالمعنى الاصطلاحي: النبوة المأخوذة من النبا بمعنى الخبر، وهو وصول خبر الله - تعالى - بطريق الوحي إلى من اختاره من عباده لتلقي ذلك.^[8]
 وذكر علماء التفسير سبعة أوجه للوحي في القرآن الكريم:

1- الإرسال: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ﴾ (النساء: 163) ﴿ وَأَوْحَى إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ ﴾ (الأنعام: 19).
 2- الإشارة: ﴿ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ (مريم: 11)، والبيان فيما قبلها: ﴿ قَالَ آتِيكَ الْأَنْكَلِمَ النَّاسِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ (آل عمران: 41)، والرمز الإشارة بالشفة والصوت الخفي، وعبر عن كل كلام كإشارة بالرمز^[3] فكان الكلام المستثنى من الحكم هو الوحي والرمز بمعنى الإشارة.

3- الإلهام: ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ (النحل: 68)، ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى ﴾ (القصص: 7) فهو "إيقاع شيء في القلب يطمئن له الصدر، ويخص به بعض أصفياته"^[4]، وهذا خاص بالبشر، أما البهائم فهو غريزة تجعلها تحس ما ينفعها وما يضرها، قال الرازي: "قوله ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ يقال: وحى وأوحى، وهو الإلهام، والمراد من الإلهام أنه - تعالى - قرّر في أنفسها هذه الأعمال العجيبة التي تعجز عنها العقلاء من البشر.^[5]

4- الأمر: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾ (الزلزلة: 4- 5)
 5- القول: والكلام المباشر: ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾ (النجم: 10)
 6- الإعلام: بالإلقاء في الروع وهو خاص بالأنبياء: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ (الشورى: 51)

7- الوسوسة: ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (الأنعام: 112)

"فالوحي من معانيه العامة أنه الإعلام الخفي السريع، الخاص بمن يُوجّه إليه، بحيث يخفى عن غيره، ومنه الإلهام الغريزي كالوحي إلى النحل، وإلهام الخواطر بما يلقيه الله في روع الإنسان السليم الفطرة كالوحي إلى أم موسى، ومنه وحي الناس لبعضهم البعض، ووحى الشياطين ويسمى بالسوسوسة.^[6]"

والرؤيا والحدس والإلهام والتحديث والفراسة: كلُّها صور للوحي، تتفاوت حسب وقوعها، غير أن النبوة خاصة بالوحي الخاص بأصْرُبه الثلاثة.

فمن اليسير أن نتعرّف على مفهوم الوحي بعد هذه المقدّمة، "فما هو إلا صلة بين الرب - سبحانه وتعالى - وبين من يصطفيه من خلقه لتحمل أمانة التبليغ عن الخالق إلى الخلق، وهذه الصلة أو تلك العلاقة يصحبها علمٌ ضروري بمصدرها، ويصاحبها ظواهرٌ نفسية وبدنية للمصطفى، ويتبعها آثارٌ توجيئية، يعنها المصطفى للناس حوله.^[7]"

وقد عبّر عن المفهوم ابن خلدون بقوله: "استغراق لقاء الملك الروحاني بإدراك الأنبياء المناسب لهم، الخارج عن مدارك البشر بالكلية، ثم ينتزل إلى المدارك البشرية، كل ذلك في لحظة واحدة، بل في أقرب من لمح البصر.^[8]"

وأكثر ما استعمل فيه صيغة الفعل ماضياً ومضارعاً في القرآن، وكلمة (الوحي) وردت في ستة مواضع، كلها في العهد المكي، وهذا يبيّن أثر هذه القضية، واعتبارها أساس ما يدور عليه العهد المكي، من صراع حول قضايا يتميّز بها هذا الدين الجديد، ومن ثمّ فإن للمعرفة طريقاً جديداً غير طريق الحسّ والعقل، فكان يتحدّث عن الوحي وإثباته طريقاً للمعرفة.^[9]

المطلب الاول

تعريف الوحي لغةً الوحي؛ لغة هو الإعلام والإخبار في خفاء بأن يلقى الأمر في النفس بشكل خفي، أو هو الكتابة، أو هو الإيماء والإشارة السريعة،^[1] وللوحي بالمعنى اللغوي عدة أنواع وهي كما يأتي:^[10]

- الإلهام الفطري: كالوحي لأم موسى - عليه السلام - حيث قال الله -تعالى-: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ).^[11]
- الإلهام الغريزي: كوحي الله -تعالى- إلى النحل حيث قال الله -تعالى-: (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ).^[12]
- الإشارة السريعة: كإيحاء زكريا - عليه السلام - حيث قال الله -تعالى-: (فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا).^[13]
- وسوسة الشيطان: حيث قال الله -تعالى-: (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ).^[14]
- أمر الله -تعالى- إلى الملائكة: حيث قال الله -تعالى-: (إِذْ يُوْحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتُنَبِّئُوا الَّذِينَ آمَنُوا).^[15]

تعريف الوحي اصطلاحاً

يقصد بالوحي في الإصطلاح الشرعي؛ بآته كلام الله -تعالى- الذي ينزله على أحد من أنبيائه وهذا في حال كان الوحي بمعنى الموحى، أما إن كان الوحي بمعنى الإيحاء فهو أن يُعلم الله -تعالى- أحد أنبياءه ويُطلعه على حكم شرعي أو نحو ذلك من القصص والأخبار التي تمّ ذكرها في القرآن الكريم أو السنة النبوية.^[16]

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الفرق بين المعنى اللغوي والإصطلاح للوحي كما الفرق بين العام والخاص، حيث أنّ الوحي لغة عام يشمل جميع أنواع الإعلام في الخفاء، أما الوحي اصطلاحاً خاص يقتصر على ما يُعلم به الله -تعالى- أحد أنبياءه.^[17]

صور الوحي

صور الوحي ثلاثة وقد ذكرها الله -تعالى- في قوله -تعالى-: (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْتُمَ اللَّهُ إِلَٰهًا وَحَيًّا أَوْ مِنْ وَّرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ)،^[19] وفيما يأتي بيان لكل صورة من الصور الثلاث بشيء من التفصيل.

الوحي المباشر الوحي المباشر وهو بمعنى الإلهام أو النفث في الروح والقلب، وهو يختلف عن الإلهام الفطري أو الغريزي بعدة أمور نبينها على النحو الآتي:^[18]

• أمرٌ خارجيٌّ ليس نابعاً من الذات.

• خاص بالأنبياء دون سواهم.

• معلوم المصدر جيداً وليس من وسوسة الشيطان.

كلم الله -تعالى- نبيه موسى -عليه السلام- من وراء حجاب وقد دلّ على ذلك قول الله -تعالى-: (فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ* فَلَمَّا آتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ* وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ).^[19]

الوحي عن طريق الرسول

ويُقصد بالرسول جبريل -عليه السلام-، وقد كان يأتي على حالتين:^[20]

أولهما: كان جبريل -عليه السلام- يأتي على صورة شخص معروف كما أتى على صورة الصحابي دحية الكلبي -رضي الله عنه-، أو على صورة شخص غير معروف.

ثانيهما: كان جبريل -عليه السلام- يأتي على الصورة التي خلقه الله -تعالى- عليها، وقد جاء إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بهذه الحالة مرتين؛ إحداهما في أيام الوحي الأولى، والأخرى في رحلة الإسراء والمعراج.

المطلب الثاني

أنواع الوحي

يخبر الله -عزّ وجل- مخلوقاته من أنبياء، ورسول، وملائكة، وبشر عاديين وغيرهم بما يريد من أوامر، وأحكام شرعية عن طريق الوحي، وللوحي عدّة أنواع، منها ما يأتي:

وحي الله إلى الأنبياء والرسول

أن يخبر الله -عزّ وجل- أنبياءه ورسله بما يريد عن طريق الوحي، والوحي للأنبياء له عدة طرق، منها ما يأتي: [21]

- تكليم الله للنبي من وراء حجاب وهي أن يكلم الله -عزّ وجل- نبيه بما يريد من وراء حجاب؛ كتكليم الله لموسى -عليه السلام .
- الإلقاء في الروح أو نفث روح القدس في روح النبي وذلك بأن يقذف الله -عزّ وجل- أو جبريل في قلب النبي ما يريد، مع تيقن النبي أن الذي ألقى من الله -عزّ وجل- الرؤيا الصادقة أن يرى الأنبياء الوحي عن طريق الرؤى في المنام مثل رؤية إبراهيم -عليه السلام- أنه يذبح ابنه اسماعيل -عليه السلام-. إلقاء الوحي عن طريق جبريل: ويعرف بالوحي الجليّ، ويأتي بثلاثة صور:
- أن يأتي بالهيئة التي خلقه الله عليها، ولم يره النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذه الحالة إلا مرتين.
- أن يأتي بصورة رجل، وغالبا ما يكون بصورة دحية الكلبي.
- أن يأتي بهيئة الملائكية، وفي هذه الحالة لا يرى ولكن يصاحبه صوت شديد كصوت دوي النحل أو الجرس.

وحي الله لغير الأنبياء

يوحي الله -عزّ وجل- للبشر غير الأنبياء عن طريق الرؤيا الصالحة، أو الإلهام؛ بأن يلقي الله في قلب المؤمن أمراً؛ كوحي الله -عزّ وجل- لأمّ موسى، قال -تعالى-: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَاِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ آلِقَابِيهِ فِي النَّيْمِ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ). [22]

وحي الله للملائكة

يوحي الله -تعالى- لملائكته بما يأمرهم بفعله؛ كوحيه للملائكة يوم بدر، قال -تعالى-: (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتُنَبِّئُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَالِفِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ). [4] أو يوحى الله -عزّ وجل- لجبريل -عليه السلام- بما يريد أن يوحى به لسيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- [23]

وحي الله لبعض مخلوقاته غير العاقلة

يوحي الله -عزّ وجل- لغير الإنسان، ويكون ذلك بالتسخير والهداية والقيام بعمل ما؛ كوحي الله -عزّ وجل- للنحل، قال -تعالى-: (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ) [24]

الوحي في الشريعة الإسلامية

معنى الوحي في اللغة والشرع

• الوحي لغة

يعرّف الوحي لغة بعدة معانٍ، فيُطلق على الإشارة، أو الإيماء، أو الكتابة، أو الكلام الخفي، ومنه يقال أوحى إليه: أي كلمه كلام يُخفيه، والوحي في الأصل: الخفاء والسرعة، ويقصد به الإعلام الخفي السريع.^[25]

• الوحي شرعاً هو إعلام الله -تعالى- الخفي لمن اصطفاه من عباده من أنبياء، وملائكة، وصالحين، وغيرهم بما يريد أن يعلمهم به ويطلعهم عليه من أحكام شرعية أو نحوها.^[26]

حال النبي عند نزول الوحي عليه

عند نزول الوحي على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- يتحوّل من حالته البشرية الخالصة إلى حالة أخرى يكون بها على استعداد تامّ لتلقي وسماع ما يأتي به الوحي، ويكون كمن أصابته الحمى، فيتصبّب من جبينه العرق، أو يشعر ببرود شديدة، وينقل جسده حتى إذا وضع فخذَه على فخذ إنسان آخر كاد أن يرضنها.^[27]

المبحث الثاني

اراء المستشرقين حول مفهوم الوحي وكيفية الرد عليهم

المطلب الاول

اراء المستشرقين حول الوحي

اولاً: مراتب الوحي ووسائله:

لقد حددت الآية (51) من سورة (الشورى) ضروب تكليم الله تعالى لأنبيائه وإن كان هذا الأمر لا يُعرف كنهه وحقيقته.

قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَائِيٍّ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ولقد تضمنت الآية الكريمة ثلاث

مراتب للوحي:

المرتبة الأولى: وهي المراد بقوله: ﴿أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا﴾ وهو نفثٌ ينفث في قلبه فيكون إلهاماً. فقد جاء في صحيح «ابن حبان» عن رسول الله أنه قال: «إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها» وهي حالة فيض إلهي يتعرض لها النبي حتى إذا ما فارقتَه كان قد وعى تماماً ما ألهم به.^[10]

المرتبة الثانية: وهي أن الذي يصل إليه الوحي لا بواسطة شخصٍ آخر ولكنه يسمع عين كلام الله. والسامع لا يبصر من يكلمه، وهو المقصود بقوله ﴿أَوْ مِنْ وَرَائِيٍّ حِجَابٍ﴾ كما حدث لموسى.^[28]

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ { النساء - 164}. والله سبحانه وتعالى فضل بعض الرسل على جميعهم بالتكليم في اليقظة من وراء حجاب دون وساطة ملك، لكن بكلام مسموع بالأذان معلوم بالقلب زانداً على الوحي المسموع من الملك عن الله تعالى. وهذا النوع

ثابت لموسى كما هو ثابت لنبينا محمد في ليلة الإسراء والمعراج. وسماع النبي من الله كما يقول «الغزالي» بخلق الله علماً ضرورياً يدرك به الرسول أموراً: أولها: أن المتكلم هو الله، وثانيها: أن ما سمعه هو كلام الله، وثالثها: مراد الله من كلامه [12]

المرتبة الثالثة: فهي تكون عن طريق الملك الذي يأتي النبي فينقل إليه كلام الله، أي «وصل إليه الوحي» بواسطة شخص آخر، وهو المراد بقوله تعالى ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآيَاتِهِ مَا يَشَاءُ﴾ والمعنى بالرسول ملك الوحي المعبر عنه بالروح الأمين وهو جبريل .

بناء على ذلك نستنتج أن للوحي ثلاثة أنواع، أي أن تكليم الله سبحانه وتعالى للبشر وقع على ثلاثة أنحاء:

الأول: بالإلقاء في القلب يقظةً أو مناماً، ويسمى وحيًا، وهو الذي يشمل الإلهام والرؤيا. الثاني: بإسماع الكلام الإلهي من غير أن يرى السامع من يكلمه كما حدث لموسى وكما كان للملائكة الذين كلمهم الله في قصة خلق آدم أي ﴿مِنَ وَرَائِي ۖ حِجَابٌ﴾. الثالث: بإرسال الملك ترى صورته المعينة ويسمع كلامه، كجبريل فيوحي للنبي ما أمر الله أن يوحي به إليه وهو المعنى بقوله ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآيَاتِهِ مَا يَشَاءُ﴾. ولقد عبر القرآن الكريم بالوحي عن وساوس الشيطان وتزيينه خواطر الشر للإنسان، فقال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْأَجْنَ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذُرَّهُمْ وَمَا يَقْتُرُونَ﴾ {الأنعام - 112} وغيرها من الصور. [29]

يتضح من هذه الأنواع أن الوحي حدث مفاجئ طرأ على النبي دون أن يتوقعه أو يتطلع إليه، كما زعمه بعض المستشرقين، حيث فاجأه الملك في غار حراء، وأخذ يعتصره بقوة حتى أجهده، فارتجف فؤاده، وخاف على نفسه، فانطلق إلى زوجه مرتاعاً، فلما سكنته سكن، ثم أخبرها الخبر وهو وجلّ، وأثناء نزول الوحي عليه كانت تعتريه أعراض إلزامية كاحمرار الوجه، وتتابع الأنفاس، وثقل في الجسم، وتفصد العرق في اليوم الشديد البرد. ومع كل ذلك ما كان يستطيع أن يدفع ذلك عن نفسه، مما يؤكد أن الوحي أمرٌ خارجيٌّ، خلافاً لما يتشبّه به كثير من المستشرقين، بأنه أمرٌ داخليٌّ. [30]

ثانياً: صور الوحي:

إن من يتلو الآيات التي تصور رسول الله ويتفحص ما أنبأنا به أصحابه الذين شهدوا آثار الوحي لدى تنزله عليه ليدل أن رسول الله إنسانٌ ضعيفٌ بين يدي الله يستمد منه العون ويصدع بما يؤمر به، ويعترف بعجزه المطلق عن تبديل حرف من كتاب الله. فهو مأمورٌ طائعٌ لا يملك من أمر الوحي شيئاً بل للوحي سيطرةٌ وهيمنةٌ يرى من يبحث في هذا الموضوع آثارهما عليه إبان تنزيل الوحي. قال «ابن سعد في طبقاته»: «نزل الملك على رسول الله بغار حراء يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ورسول الله ابن

أربعين وجبريل كان ينزل بالوحي. ووردت في السنة النبوية صور للوحي الإلهي أخبر عنها رسول الله منها:

1- الرؤيا الصادقة وكانت مبدأ وحيه وكان لا يري رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.^[31]
2- أنه عليه كان يتمثل له الملك رجلاً فيخاطبه حتى يسمع ما يقول وكان يراه الصحابة أحياناً، مثل حديث الإحسان عندما سأل جبريل الرسول عن الإيمان والإحسان، وجاءه في صورة أحد الصحابة وهو «دحية بن خليفة الكلبي».^[32]

3- أنه كان عليه الصلاة والسلام يأتيه الملك مثل صلصلة الجرس. فقد روى البخاري وغيره أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله أحياناً مثل صلصلة الجرس وهو أشد علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال أو أحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول. وهذا واضح في حديث الإسراء والمعراج حيث كلم الله رسوله بلا واسطة ملك.^[33]

4- أن يرى الملك بصورته التي خلق عليها، فيبلغه بالوحي وهذا وقع له مرتين: قالت عائشة رضي الله عنها: لم يره في صورته إلا مرتين، مرة عند سدره المنتهى ومرة في جباله ستمائة جناح قد سد الأفق.^[18]

ثالثاً: شبهات المستشرقين حول الوحي والرد عليها.

(أ) - منهجهم في البحث:

دأب كثير من المستشرقين في تحرير أبحاثهم عن الدراسات الإسلامية على ميزان غريب في ميدان البحث العلمي، يضعون في أذهانهم فكرة معينة ويسعون إلى تصيد الأدلة لإثباتها بحيث لا يهمهم صحة الدليل بمقدار ما يهمهم إمكان الاستفادة منه لدعم آرائهم الشخصية فيقومون بجمع المعلومات التي ليس لها علاقة بالموضوع، ويبنون عليها نظرية لا وجود إلا في نفوسهم وأذهانهم، كما فعلوا في موضوع الوحي.^[33]

يتصيد كل منهم حادثة فيبني عليها ويجودها ما أمكنه لتمكينها في النفوس مثل حادثة لقاء رسول الله لورقة بن نوفل، أو بحيري أو الحداد الرومي، ويزعمون أنه أخذ منهم أو تتلمذ عليهم. كما يعتمدون على الوهم المجرد لتفسير الأمور، فقد فسروا ظاهرة الوحي بحديث النفس وإلهاماتها تارة، وبالنبوءات الانفعالية تارة أخرى، وبالتنويم الذاتي أو التجربة الذهنية المرضية كالصرع الهستيرى.^[34]

وخلاصة موازين بحث المستشرقين حول الوحي:

- 1- تحكيم الهوى ونزعات العداة للإسلام والمسلمين، مع التعصب لما ينتمون إليه.
- 2- وضع الفكرة مقدماً ثم البحث عن أدلة تؤيدها مهما كانت ضعيفةً واهيةً.
- 3- تفسير النصوص والوقائع تفسيرات خاصةً.

4- تصيد الشبهات والإكثار من الفرضيات والاعتماد على الضعيف والشاذ من الأقوال.^[21]

(ب) مجمل آرائهم حول مفهوم الوحي:

- (1) - اتهام الرسول بالكذب وأنه افترى القرآن من عنده .
- (2) - أن الوحي حالة نفسية «الوحي النفسي» أي حديث النفس وإلهامها.

- (3)- أنه الانفعال العاطفي: النوبات الانفعالية
- (4)- أنه عبارة عن التجربة الذهنية.
- (5) - أنه من إملءات الكهنة والمنجمين.
- (6)- أنه حالة مَرَضِيَّة كالصرع الهيستري.
- (7) - الوحي عبارة عن الإشراق الذي تم فيه تحويل الأفكار بأكملها من شخصٍ لآخر.^[35]
- (ج) أهدافهم من إنكار الوحي:
- (أ) - الإيحاء بأن الإسلام ليس من عند الله، بل هو من أفكار النبي التي تشبعت بالأفكار اليهودية والنصرانية.
- (2) - محو الشخصية الإسلامية.
- (3)- محاولة إيجاد جذور للنصوص الدينية الإسلامية من النصوص النصرانية واليهودية.
- (4)- التشكيك في النصوص وصحتها واستعمال الخلافات الفكرية أداةً للتشكيك^[36]
- (د) تصنيف آراء المستشرقين حول الوحي:
- تعددت وتنوعت آراء المستشرقين حول الوحي، واختلفت نظرتهم حوله، فالذين يتشبثون بالماديات لا يرون إمكان الوحي، وبعض من يؤمن بوجود الله يبحث له عن مصادر استقى منها كلُّ نبيِّ معلوماته، ويرجعونها إلى تاريخ الأمم التي اتصل بها كلُّ نبيِّ، والبعض الآخر يثبتها للأنبياء السابقين وينفيه عن نبينا ، والهدف الأساسي من كل هذا هو إبطال الوحي ونفي الرسالة عن الرسول بدعوى تكذيب الرسول، والادعاء بأنه افتري القرآن من عنده.
- (هـ) بعض الأمثلة من افتراءات المستشرقين:
- أول نموذج هو قول بعض المستشرقين مثل «جولد زيهر» وغيره أن محمداً اتصل ب«بحيرى» الراهب فأملى عليه معلومات، ثم لما رجع إلى مكة تبناها وزعم أنها من عند الله، والرد عليه: أن لقاءه ذاك كان محدوداً وبحضور زعماء قريش وكان عمر النبي اثني عشر عاماً، فطبيعة اللقاء تنفي أن يكون قد حصل تعلُّمٌ لمجد من بحيرى، لأنه لقاء قصيرٌ عابرٌ لا يكفي للدرس والتحصيل، وسن النبي حينذاك صغيرة لا تؤهله للتلقي، ولا توجد رواية تذكر ذلك التعليم، ثم أن اللقاء حضره عددٌ من رجال القافلة، فلم يذكروا شيئاً من ذلك، وقد كانوا أحرص الناس على إحباطها بعد إعلانها وهل يعقل أن «بحيرى» كلم هذا الطفل بهذا الدين المتكامل الذي تعجز البشرية جمعاء أن تأتي بمثله.^[37]
- النموذج الثاني من شبهات المستشرقين حول الوحي هو قول نفر من المستشرقين أمثال «درمنغام» و«مونتغمري واط» وغيرها أن النبي تلقى ذلك الوحي عن طريق التعلم من ورقة بن نوفل. والرد على ذلك أنه لم يثبت تاريخياً أن ورقة كان يدعو إلى النصرانية، وأن جميع الروايات الصحيحة أكدت عدم اتصال الرسول بورقة إلا بعد مجيء الوحي إليه. كما يزعم «دبل» و«واط» بأن الوحي عبارة عن تجربة ذهنية فكرية أدرك منها ما أدرك نتيجة قدرته على التركيز على مستوى تجريدي لا يطيقه غيره، فكان يختار ساعات الليل لصفائها.^[38] كما أن هناك بعض المستشرقين أمثال «نولدكه» فسروا ظاهرة الوحي بأنها

حالة صرع كانت تصيب محمد، فيغيب عن الناس وعن حوله، ويظل ملقى بين الجبال لمدة طويلة يسمع له غطيظ كغطيظ النائم. وكذلك يقول المستشرق «أليوث سيرتجز» عن حياة محمد وتعاليمه أن محمد كان مصاباً بالصرع والهستيريا معاً.^[39] أيضاً يري «غوستاف فيل» في كتابه عن محمد أن ما كان ينتاب محمد ما يشبه الحمى، وما كان يسمعه من صوت كصلصلة الجرس ليس وحيّاً، وإنما هو نوبات صرع واضطرابات عصبية.^[28] ومن أخطر الافتراءات من جانب المستشرقين هو وصف الوحي بالظواهر النفسية وهو ما يسمى «الوحي النفسي» والسؤال هنا كيف صوروا الوحي النفسي؟ ومن أين استنبطوا ذلك التصور؟ قالوا أنهم استنبطوه من تاريخ محمد وحالته النفسية والعقلية، وحالة قومه ووطنه، وما تصوروا أنه استفادة من أسفاره وخلواته وتحديثه وتفكيره، من كل ذلك نبع الوحي النفسي. وبيان ذلك: أنهم يقولون أن عقل محمد الهيلولاني «العقل الباطن» قد أدرك بنوره الذاتي بطلان ما كان عليه قومه من عبادة الأصنام، وأن فطرته الذكية قد احتقرت ما كان يتناقشون فيه من جمع الأموال بالربا والقمار فتجلى له هذا الاعتقاد في الرؤى المنامية، ثم قوي حتى صار يتمثل له الملك يلقته الوحي في اليقظة.^[40]

كما انتهى بعض المستشرقين وزعيمهم في الوقت المعاصر «واط» إلى القول بأن الوحي كان نوعاً من التعبير الخيالي ولكنه مصحوبٌ بدون شكٍ برؤية عقلية أو خيالية لجبريل. وبناءً على ذلك يرون أن الوحي القرآني ليس شيئاً خارقاً عن الذات العمدية وإنما منها نبغ، لقد وصل المكر بهذا المستشرق وإلى الاعتماد على القرآن ليلقي بهذه الفرية ولكن هيهات. فاللقاء بين واضح والتلقي كان يتم بين ذاتين: ذات النبي «المتلقي» وذات جبريل الملقى بأمر الله، فهما ذاتان منفصلتان تمام الانفصال وآيات القرآن ووقائع السيرة النبوية تؤكدان على هذه الحقيقة، فالموحى به من خارج ذات محمد فضلاً عن أنه لم ينسب ما جاء به لنفسه وإنما أعلن أنه من خارج ذاته.^[30] كما أن هناك بعض المستشرقين أمثال «أهرنس» و«آرثر» و«نيوهفن»، يرون أن مصدر الوحي عند محمد هو اللاوعي الجماعي، أي أن موضوعات الوحي كانت موجودة في اللاوعي عند محمد وهي مستقاة من المحيط الجماعي الذي عاش فيه قبل البعثة، وما كان الملك جبريل إلا خيالاً أدى إلى حضور تلك الموضوعات إلى وعيه في الحالة التي يسميها الوحي. ومن المستشرقين الذين أغلق فكرهم التعصب والحدق «فيليب إيرلنجي» الذي يقول أكثر محمد اتصاله باليهود في مكة وأنه كان يسأل خادمة زيد وهو مملوك للمسيحيين عن الديانتين اليهودية والمسيحية ليأخذ منها، وكان حاذقاً فطناً أحد نكباء، وأدق فهماً من خادمه - ولقد كان محمد في المدينة تلميذاً لليهود وهم الذين كونوه، ثم بدأ جبريل يمدده ببعض الأساطير التي يعرضها اليهود والمسيحيون.^[41]

ورغم هذا التعصب الأعمى من جانب بعض المستشرقين حول ظاهرة الوحي إلا أننا نجد بعض المنصفين الذين دافعوا عن محمد وعن الوحي.

من هؤلاء المستشرقين المنصفين «إدوارد مونتييه» حيث يقول كان محمد نبياً صادقاً، كما كان أنبياء بني إسرائيل في القديم، كان مثلهم يوتى رؤيا ويوحى إليه.

المطلب الثاني

الرد على شبهات المستشرقين

الشبهة الأولى: هل كان عليه الصلاة والسلام مخادعا كذابا؟

د. إبراهيم عوض

ووجه الرسول عليه الصلاة والسلام من قبل كثير من الخلق من أول يوم دعا فيه علانية إلى الإسلام، ولا يزال حتى يومنا هذا يُواجه، بالتكذيب. وقد سجل القرآن في أكثر من موضع هذا الاتهام الذي رماه به مشركو قومه وردده النصارى واليهود. أما بالنسبة لخارج المحيط العربي فيقرر «شارل لودي» أن حكم الرومان عليه كان شديد القسوة، إذ اتهموه بأنه استولى على أموال خديجة وماشيتها، ولما افتضح أنه مصاب بالصرع أراد أن يواسيها، فزعم لها أن جبريل ينزل عليه بالوحي من السماء⁽⁴²⁾. وإذ غضضنا الآن البصر عن تهمة الصرع (لأننا سنعالجها مع غيرها من الاتهامات التي تشكك في صحته الجسدية أو النفسية والعقلية في فصل لاحق) تبقى أمامنا تهمة الكذب واضحة لا تحتمل لبساً. وليس الكتاب الرومانيون القدماء هم وحدهم من بين الغربيين الذين يرمون الرسول عليه الصلاة والسلام بهذه التهمة، فإن طائفة كبيرة من المستشرقين، نصاراهم ويهودهم وعقلانيتهم، يدعون أن القرآن هو اختراع محمدي نسبه «محمد» إلى الله⁽⁴³⁾، وإن دفع بعضهم عن رسولنا هذه التهمة، كما فعل الكاتب البريطاني «توماس كارلايل» حين ساق ما زعمه «براديه» من أن القرآن طائفة من الأخاديع لفقها «محمد» ليسوغ ما اقترفه لبلوغ مطامعه⁽⁴⁴⁾. وقد بنى «كارلايل» دفاعه على أساس أن الإسلام لو كان ديناً كاذباً لما استطاع أن يعيش طيلة هذه القرون تعتقه كل هذه الملايين⁽⁴⁵⁾، وكذلك على أساس أن محمداً لم يحاول، وهو في حرارة الشباب، أن يحدث ضجة جريا وراء الشهرة بل عاش مع زوجته عيشة هادئة⁽⁴⁶⁾، أما «ألفريد جيوم» فإنه ينفي الكذب والادعاء عن الرسول، إذ يطبق عليه المقياس الذي يقاس به صدق النبي عند بني إسرائيل، وهو يتلخص في القول الثائر الملتهب، والشعر⁽⁴⁷⁾، والإنشغال التام بالله والقضايا الأخلاقية، والشعور بأن ثمة ضغطاً يسوقه سوقاً لإعلان كلمة الله، فيجد أن هذه العلامات جميعها ظاهرة في حالة الرسول «محمد» عليه الصلاة والسلام. كما يرى في شكوكه عليه الصلاة والسلام في مصدر الوحي في أول الدعوة ومحاولته الانتحار دليلاً قوياً على صدقه، مقارنة إياه في هذا بالنبي أرميا. وبالمثل يؤكد «جب» أن محمداً كان مفتتعا تماماً بأنه مبعوث من لدن رب العالمين⁽⁴⁸⁾.

وإلى جانب هذين الرأيين المتقابلين ثمة رأي ثالث يفرق بين الدعوة في مكة والدعوة في المدينة: ففي المرحلة الأولى كان «محمد» مخلصاً صادقاً: يتضح صدقه وإخلاصه في تحمسه الشديد، وتحمله المشاق، وإقناعه الأغنياء من أتباعه بالتواضع للفقراء والجلوس معهم. . . إلخ. أما في الثانية فقد أعماه نجاحه لدرجة أنه أخذ يخترع الوحي تلو الوحي

لتحقيق شهواته وتسويغ انتهازيته. وهذا هو السبب، في نظر أصحاب هذا الرأي، في أن القرآن مليء بالمتناقضات والمزاعم الكاذبة⁽⁴⁹⁾.
والمقصود بالمزاعم الكاذبة هنا أن للرسول الحق في الاحتفاظ بأكثر من أربع زوجات، وأن «إبراهيم» هو الذي بنى الكعبة . . . إلخ. ومن أنصار هذا الرأي الكاتب الأمريكي الشهير «واشنطن إرفنج»، الذي يرد على من اتهموا النبي عليه الصلاة والسلام بالزيف بأن النصف الأول من دعوته يكذب هذه التهمة، إذ ما الذي كان يبتغيه؟ أهو المال؟ لقد كان مال خديجة بين يديه، وهو من جهته لم يكن حريصاً على الاستزادة منه. أهو الشرف إذن؟ لقد كان شريفاً في قومه، مُحترماً لذكائه وأمانته ومكانته أسرته، التي كان يبديها مقاليد الكعبة، فلم يغامر بفقدان هذا كله في وقت كان يصعب عليه فيه بناء ثروته من جديد، وهو الذي فقد ماله كما فقد أصدقائه ماله في سبيل الدعوة؟ ثم يمضي متسانلاً: لماذا يتحمل كل ألوان الاضطهاد إذن إذا كان نبياً زانفاً؟⁽⁵⁰⁾ أما في المدينة فقد تغير، في نظر الكاتب الأمريكي، هذا كله، إذ بعد أن كان كل همه عليه الصلاة والسلام أن يجد من يحميه إذا به يرى أتباعه يقدسونه ويرى حوله جموعاً بها رغبة إلى الحرب. عندئذ ثار طموحه الدنيوي وأصبح القرآن يسوغ له كل شيء، ووقع في كثير من المتناقضات. باختصار: زال عنه صدقه وإخلاصه⁽¹¹⁾.

هذه هي النظرية الأولى التي حاول وما زال يحاول غير المسلمين تفسير ظاهرة الوحي القرآني بها. ولقد رد القرآن هذه التهمة عن الرسول وبين الباعث عليها، وذلك في الآية 33 من سورة «الأنعام» إذ يقول: فإنهم لا يكذبونك، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون بيد أننا لن نلجأ هنا إلى مثل هذه الآية، وإلا كان هذا مصادرة منا على المطلوب، فإن علينا أولاً أن نتأكد بالدليل القاطع من أن القرآن ليس اختراعاً محمدياً، وإلا كان «محمد» هنا، وهو المتهم بالكذب والتلفيق، يشهد لنفسه، وهي شهادة بالطبع مردودة، بل سوف نلجأ في مناقشتنا لهذه النظرية إلى سيرة الرسول في مصادرها الأولى، متتبعين ملامح شخصيته عن كُتب، غير ملقين بالألأ، من أخبار حياته وأخلاقه، إلا لما لاح عليه نور الصدق بمنطق العقل المجرد. وسوف نحاول أن تكون الزوايا التي ننظر منها إلى شخصيته والموازين التي نقيس بها أعماله عليه الصلاة والسلام زوايا وموازين جديدة بقدر الإمكان حتى لا تتحول هذه الدراسة إلى مجرد مضغ لأراء من سبقونا من الكتاب والمفكرين، وإن لم نقصد بأي حال من الأحوال، في ذات الوقت، أن نغصمهم حقوقهم، فمن المؤكد أننا لولا هم ما كنا ببالغي شيء مما بلغناه في هذه الدراسة.
لقد اشتهر الرسول بين قومه بالصدق والأمانة حتى لقد لقبوه بالأمين، ولم أجد أحداً من المستشرقين شاح في هذا. والملاحظ أنه عليه الصلاة والسلام، حين أعلن دعوته لعشيرته الأقربين أول مرة، قد اعتمد على استفاضة هذه الشهرة فيهم فلم يشأ أن يفاجئهم بالدعوة إلى الدين الجديد قبل أن يحصل على اعترافهم الصريح بصدقه وأمانته، إذ سألهم وهو واقف فوق أحد المرتفعات المحيطة بمكة: "أرايتم لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلاً (يقصد: خيلاً مغيرة عليهم) أكنتم مصدقي؟" فردوا جميعاً في نفس واحد: «نعم»

عندئذ دعاهم إلى الإسلام. لكنهم، ولما تنفض ثوانٍ على إقرارهم بصدقه وأمانته، عادوا فسفهاوا جلمه وانفضوا عنه⁽⁵¹⁾. وقد كان «أبو بكر» نسابة يعظم ماضي كل إنسان في قريش وأسرته وأخلاقه، فلو كان يعرف أقل مغمز في شخصية الرسول ما دخل في الإسلام، فضلا عن أن يدخل فيه بدون ذرة من تردد⁽¹³⁾.

وقد بلغ من ثقتهم به أنهم كانوا يأتونونه على أموالهم وودائعهم حتى بعد البعثة واستحكام عداوتهم له. ولو كان المؤمن أحدًا آخر غير «محمد» لكان خليقا أن يحمل معه هذه الودائع ليلة الهجرة بعد أن وصلت هذه العداوة حد التآمر الخسيس على قتله. لكنه، وهو الصادق الأمين بحق، لم يستحل لنفسه منها دانقا، بل خلف وراءه ابن عمه وربيبه عليا، وكان لا يزال صبيا، فنام في فراشه تضليلا لهم حتى أصبح الصباح فغدا عليهم فسلم لكل منهم ما كان اتمن عليه «محمداً» عليه الصلاة والسلام⁽⁵²⁾. وهذه الأمانة وهذا الصدق في التعامل مع الناس لم يزيلاه لحظة واحدة طول حياته لا في مكة ولا في المدينة، على عكس ما يزعمه هؤلاء المستشرقون من أن تيار الأحداث بعد الهجرة قد جرفه بعيدا عما كان يحرص على الاستمسك به من مثالية في مطالع الدعوة. ولنترك «ابن هشام» يرو عن «ابن إسحاق» بأسلوبه البسيط التلقائي القصة التالية: «قال ابن إسحاق: وكان من حديث الأسود الراعي، فيما بلغني، أنه أتى رسول وهو محاصر لبعض حصون خيبر، ومعه غنم له كان فيها أجيرا لرجل من يهود، فقال: يا رسول الله، اعرض على الإسلام، فعرضه عليه، فأسلم.

وكان رسول الله لا يحقر أحدا أن يدعو إلى الإسلام ويعرضه عليه. فلما أسلم قال: يا رسول الله، إني كنت أجيرا لصاحب هذه الغنم، وهي أمانة عندي، فكيف أصنع بها؟ قال: اضرب في وجوهها، فإنها سترجع إلى ربها، أو كما قال، فقال الأسود: فأخذ حفنة من الحصى فرمى بها في وجوهها وقال: ارجعي إلى صاحبك، فوالله لا أصحابك أبدا. فخرجت مجتمعة كأن سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن، ثم تقدم إلى الحصن ليقاتل مع المسلمين فأصابه حجر فقتله . . . الخ»⁽⁵³⁾. والشاهد في هذا أن رسول الله لم يرد أن يلوث مسلم جديد إسلامه بمثل هذه الخيانة، مع العلم بأنه بعد انتصاره على يهود خيبر قد حاز من أموالهم وأرضيهم وماشيئهم أضعافا أضعافا هذا القطيع من الغنم. ولكن غنم الأموال في حرب شريفة شيء آخر لا تقبله أخلاق الصادقين المطبوعين على الأمانة والوفاء حتى مع ألد الأعداء.

وقد كان موقفه عليه الصلاة والسلام، حين نزل عليه الوحي أول مرة، دليلا من دلائل صدقه التي لا تقبل المماراة. لقد شك في مصدر هذا الوحي ورعب منه. وقصته حين عاد من الغار إلى بيته ليلا وهو يهتف: «دثروني. دثروني» أشهر من أن نحتاج إلى سوقها بالتفصيل⁽⁵⁴⁾. ووجه العبرة فيها، فيما نحن بصدده، أنه لو كان كاذبا في أمر جبريل والوحي لكانت له في ميدان الكذب مراغم واسعة يستطيع أن يصلح فيها ويجول كيفما شاء. لقد كان الأحرى به، لو كان مزيفا دجالا، أن يدعي أن جبريل، بدلا من أن يغطه

مرات ثلاثا حتى كادت روحه أن تزهق، قد أخذ بيده أخذا رفيقا حانيا، وسمر معه سمر الأصدقاء المتفاهمين بدلا من هذا الأمر الخاطف الجازم الذي لم يستطع أن يفهم كنهه ولا المقصود به: « اقرأ ». كذلك كان الأخرى به عندئذ أن يعود إلى بيته مبتسما منشراح الصدر. أليس يزعم أنه قد نزل عليه وحي من عند رب العالمين؟ إذن فقد اصطفاه هذا الرب خليلا ورسولا، وإذن فالنتيجة المنطقية لهذه الكذبة العريضة أن يشفعها بكذبة أخرى عريضة مثلها تبين كيف أن ربه تجلى له شخصا، وكلمه مشافهة، وربت علي كتفه. . . إلى آخر هذا الهراء الذي هو بالكاذبين الدجالين أقمن، وبصدوره عن عقولهم ونفوسهم الملتوية أشبه .

المصادر

- ↑فهد الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، صفحة 174. بتصرف.
1. محمد معبد (1426)، نحات من علوم القرآن (الطبعة 2)، القاهرة: دار السلام، صفحة 28. بتصرف.
 2. سورة القصص، آية: 7
 3. سورة النحل، آية: 68
 4. سورة مريم، آية: 11
 5. سورة الأنعام، آية: 121
 6. سورة الأنفال، آية: 12 ^ أ ب فهد الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، صفحة 177. بتصرف.
 7. سورة الشورى، آية: 51 ^ أ ب صالح المغامسي، الأيام النضرة في السيرة العطرة، صفحة 2-3. بتصرف. ^ أ ب محمد النبهان (1426)، المدخل إلى علوم القرآن الكريم (الطبعة 1)، حلب: دار عالم القرآن، صفحة 36. بتصرف.
 8. سورة القصص، آية: 29-31
 9. "أساس البلاغة"؛ للزمخشري، 101.
 10. "معجم ألفاظ العلم والمعرفة"؛ عادل زاير، ص 21.
 11. "المفردات"؛ للراغب، ص 530.
 12. "مناهل العرفان في علوم القرآن"؛ محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر العربي، القاهرة، ط(1)، 1995، ص 46.
 13. "مباحث في علوم القرآن"؛ مناع القطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(1)، 1995، ص 33.
 14. "التفسير الكبير"؛ الرازي، ج 14، ص 272.
 15. "تأويل مشكل القرآن"؛ عبد الله بن مسلم بن قتيبة؛ شرح وتحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط(2)، 1973، ص 373.
 16. "كبرى اليقينيات الكونية"؛ محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، ط(1)، 1997، ص 183.

17. "المفردات"؛ الراغب، ص209.
18. "تاج العروس"؛ الزبيدي. ج9، ص67.
19. "التفسير الكبير"؛ الرازي، ج10، ص73.
20. "الوحي المحمدي"؛ محمد رشيد رضا، دار الكتاب، الجزائر، ط(1)، 1989، ص44.
21. "الرسول والوحي"؛ محمد سيد أحمد المسير، دار ابن كثير، بيروت، ط(1)، 1987، ص237.
22. "المقدمة"؛ ابن خلدون، ص15.
23. "نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة"؛ راجح الكردي، ص706.
24. محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (1427)، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (الطبعة 8)، دمشق: دار القلم، صفحة 269-271، جزء 1. بتصرف.
25. سورة القصص، آية:7.
26. د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار (2008)، المحرر في علوم القرآن (الطبعة 2)، صفحة 68، جزء 1. بتصرف.
27. سورة الانفال، آية:12.
28. محمد رشيد بن علي رضا بن محمد (2005)، الوحي المحمدي (الطبعة 1)، بيروت: دار الكتب العلمية، صفحة 26. بتصرف.
29. سورة النحل، آية:68.
30. أبو لبابة بن الطاهر حسين ، السنة النبوية وحي من الله محفوظة كالقرآن الكريم، صفحة 12. بتصرف. ⁸ أ ب خليل بن إبراهيم ملا خاطر ، السنة النبوية وحي، صفحة 9-10. بتصرف.
31. محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (1427)، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (الطبعة 8)، دمشق: دار القلم، صفحة 270، جزء 1. بتصرف.
32. عمر بن إبراهيم رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره «دراسة ونقد» (الرياض: دار طيبة1413هـ - 1992م)، 1 / 381.
33. يعد ثيودور نولدكه من أبرز المستشرقين المتخصصين بالقرآن الكريم، حيث حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة كوتنكن الألمانية حول تاريخ القرآن عام 1856م، وترجم كتابه مؤخراً إلى اللغة العربية من قبل لجنة؛ لذا فإن أغلب المستشرقين الذين جاؤوا بعده قد اعتمدوا عليه.
34. لقد ترجم المستشرق ريجيس بلاشير القرآن الحكيم إلى اللغة الفرنسية.
35. أنيس صايغ، مادة الوحي، في بطرس عبد الملك وزملائه، قاموس الكتاب المقدس، (القاهرة: دار الثقافة، الطبعة السابعة، 1977م)، ص1020 - 1021.
36. المرجع نفسه، ص130.
37. إبراهيم والعيز، شكوك غوستاف لوبون في نبوة الرسول ﷺ قراءة نقدية في كتاب حضارة العرب، هوية بريس الإثنين 25 ماي / أيار 2015م.

38. المرجع نفسه.
39. توفي توماس كارليل عام 1881م.
40. الأبطال، ترجمة: محمد السباعي، ص 45 - 55.
41. قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران (وزارة الثقافة المصرية: مكتبة الاسرة، 2001م)، مج 7، ج 13، ص 26.
42. مونتغمري وات، محمد في مكة، ص 74 - 75.
43. يوسف درة الحداد، القرآن دعوة نصرانية، ص 98 - 99.
44. قصة الحضارة، مج 7، ج 13، ص 23.
45. محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم عرض تاريخي وتحليل مقارن (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1990م)، ص 133 - 134.
46. يعتقد بعض الكتاب بأن الراهب بحيرى ينتمي إلى العقيدة الأريوسية نسبةً الى الراهب أريوس الذي كان يعتقد في المسيح (عليه السلام) اعتقادا يختلف عن العقيدة الرسمية للكنيسة المسيحية، حيث كان لا يعترف بالهية المسيح أو بنوته لله العلي القدير.
47. رسالة بولس الى أهل غلاطية، الإصحاح 4: 21 - 31.
48. دفاع عن القرآن الكريم، ص 29.
49. في ظلال القرآن (القاهرة: دار الشروق، 1397هـ)، ج 4، ص 2195.

- 1 " التفسير الكبير"؛ الرازي، ج 14، ص 272.
- 2 تأويل مشكل القرآن"؛ عبد الله بن مسلم بن قتيبة؛ شرح وتحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط(2)، 1973، ص 373.
- 3 المفردات"؛ الراغب، ص 209.
- 4 تاج العروس"؛ الزبيدي. ج 9، ص 67.
- 5 التفسير الكبير"؛ الرازي، ج 10، ص 73.
- 6 الوحي المحمدي"؛ محمد رشيد رضا، دار الكتاب، الجزائر، ط(1)، 1989، ص 44.
- 7 المقدمة"؛ ابن خلدون، ص 15.
- 8 نفس المصدر، ص 15.
- 9 نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة"؛ راجح الكردي، ص 706.
- 10 عمر بن إبراهيم رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره «دراسة ونقد» (الرياض: دار طيبة 1413هـ - 1992م)، 1 / 381.
- 11 سورة القصص، آية: 7.
- 12 مونتغمري وات، محمد في مكة، ص 74 - 75.
- 13 سورة مريم، آية 11.
- 14 سورة الانعام، الآية 121.
- 15 الانفال آية 12.
- 16 كبرى اليقنيات الكونية"؛ محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، ط(1)، 1997، ص 183.
- 17 نفس المصدر.
- 18 التفسير الكبير"؛ الرازي، ج 10، ص 73.
- 19 الوحي المحمدي"؛ محمد رشيد رضا، دار الكتاب، الجزائر، ط(1)، 1989، ص 44.
- 20 تاج العروس"؛ الزبيدي. ج 9، ص 67.

- ²¹ محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (1427)، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (الطبعة 8)، دمشق: دار القلم، صفحة 271-269، جزء 1. بتصرّف.
- ²² سورة القصص، آية: 7
- ²³ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد (2005)، الوحي العجدي (الطبعة 1)، بيروت: دار الكتب العلمية، صفحة 26. بتصرّف.
- ²⁴ أبو لجابة بن الطاهر حسين ، السنة النبوية وحي من الله محفوظة كالقرآن الكريم، صفحة 12. بتصرّف. ²⁵ إبراهيم ملا خاطر ، السنة النبوية وحي، صفحة 9-10. بتصرّف.
- ²⁵ محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (1427)، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (الطبعة 8)، دمشق: دار القلم، صفحة 270، جزء 1. بتصرّف.
- ²⁶ نفس المصدر
- ²⁷ الأبطال، ترجمة: محمد السباعي، ص 45 - 55.
- ²⁸ مونتغمري وات، محمد في مكة، ص 74 - 75.
- ²⁹ محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم عرض تاريخي وتحليل مقارن (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1990م)، ص 133 - 134.
- ³⁰ يعتقد بعض الكتاب بأن الراهب بحيرى ينتمي إلى العقيدة الأريوسية نسبةً إلى الراهب أريوس الذي كان يعتقد في المسيح (عليه السلام) اعتقاداً يختلف عن العقيدة الرسمية للكنيسة المسيحية، حيث كان لا يعترف بالهية المسيح أو بنوته لله العليّ القدير.
- ³¹ رسالة بولس إلى أهل غلاطية، الإصحاح 4: 21 - 31.
- ³² دفاع عن القرآن الكريم، ص 29.
- ³³ في ظلال القرآن (القاهرة: دار الشروق، 1397هـ)، ج 4، ص 2195.
- ³⁴ عمر بن إبراهيم رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره «دراسة ونقد» (الرياض: دار طيبة 1413هـ - 1992م)، 1 / 381.
- ³⁵ بعد ثيودور نولدكه من أبرز المستشرقين المتخصصين بالقرآن الكريم، حيث حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة كوتنكن الألمانية حول تاريخ القرآن عام 1856م، وترجم كتابه مؤخراً إلى اللغة العربية من قبل لجنة؛ لذا فإن أغلب المستشرقين الذين جاؤوا بعده قد اعتمدوا عليه.
- ³⁶ لقد ترجم المستشرق ريجيس بلاشير القرآن الحكيم إلى اللغة الفرنسية.
- ³⁷ أنيس صايغ، مادة الوحي، في بطرس عبد الملك وزملانه، قاموس الكتاب المقدس، (القاهرة: دار الثقافة، الطبعة السابعة، 1977م)، ص 1020 - 1021.
- ³⁸ نفس المصدر
- ³⁹ أنيس صايغ، مادة الوحي، في بطرس عبد الملك وزملانه، قاموس الكتاب المقدس، (القاهرة: دار الثقافة، الطبعة السابعة، 1977م)، ص 1020 - 1021.
- ⁴⁰ نفس المصدر
- ⁴¹ أنيس صايغ، مادة الوحي، في بطرس عبد الملك وزملانه، قاموس الكتاب المقدس، (القاهرة: دار الثقافة، الطبعة السابعة، 1977م)، ص 1020 - 1021.
- ⁴² عمر بن إبراهيم رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره «دراسة ونقد» (الرياض: دار طيبة 1413هـ - 1992م)، 1 / 381.
- ⁴³ نفس المصدر
- ⁴⁴ نفس المصدر
- ⁴⁵ بعد ثيودور نولدكه من أبرز المستشرقين المتخصصين بالقرآن الكريم، حيث حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة كوتنكن الألمانية حول تاريخ القرآن عام 1856م، وترجم كتابه مؤخراً إلى اللغة العربية من قبل لجنة؛ لذا فإن أغلب المستشرقين الذين جاؤوا بعده قد اعتمدوا عليه.
- ⁴⁶ نفس المصدر

⁴⁷ نفس المصدر

4 لقد ترجم المستشرق ريجيس بلاشير القرآن الحكيم إلى اللغة الفرنسية. أنيس صايغ، مادة الوحي، في بطرس عبد الملك وزملانه، قاموس الكتاب المقدس، (القاهرة: دار الثقافة، الطبعة السابعة، 1977م)، ص 1020 - 1021.

⁴⁹ إبراهيم والعيز، شكوك غوستاف لوبون في نبوة الرسول ﷺ قراءة نقدية في كتاب حضارة العرب، هوية بريس الإثنين 25 ماي / أيار 2015م.

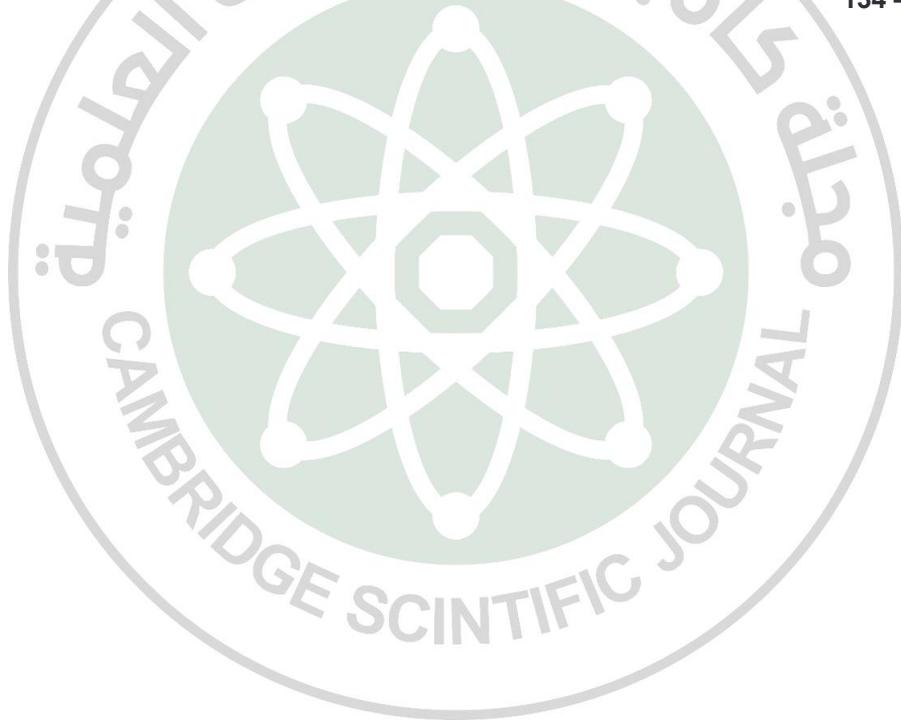
⁵⁰ قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران (وزارة الثقافة المصرية: مكتبة الاسرة، 2001م)، مج 7، ج 13، ص 26.

⁵¹ محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم عرض تاريخي وتحليل مقارن (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1990م)، ص 133 - 134

⁵² محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم عرض تاريخي وتحليل مقارن (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1990م)، ص 133 - 134

⁵³ محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم عرض تاريخي وتحليل مقارن (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1990م)، ص 133 - 134

⁵⁴ محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم عرض تاريخي وتحليل مقارن (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1990م)، ص 133 - 134



الألفاظ المستدركة على الدكتورة عائشة بنت الشاطيء في مسائل ابن الأرزق دراسة دلالية

أ.د سهيلة طه محمد البياتي

استاذ اللغة والنحو

جامعة تكريت/كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم اللغة العربية

الخلاصة

الحمد لله الذي علم القرآن خلق الأنسان علمه البيان ، والصلاة والسلام على أكرم مبعوث من نطق بالبيان سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . أما بعد:
فهذه دراسة بيانية دلالية لغوية لسؤالات نافع ابن الأرزق عنها ابن عباس (رض) عنه (ت68هـ) حاولت أن أوازن بين ماقاله ابن عباس (رض) بأقوال المفسرين الذين جاءوا بعده، وبالمعجمات العربية التي عنت ببيانه معاني الألفاظ مفردة ومتصلة لأبين جهوده في هذه الألفاظ .

فإن هذه الدراسة تكملة لدراسة الدكتورة عائشة بنت الشاطيء في كتابها (الأعجاز البياتي القرآني مع مسائل ابن الأرزق دراسة قرآنية لغوية بيانية) التي درست مجموعة كبيرة من الألفاظ التي وردت في مسائل ابن الأرزق بلغت (189) وهي في الأصل (250) لفظة ولم تدرس أكثر من (60) لفظة ربما لم تكن هذه الألفاظ منشورة في الكتب التي اعتمدت عليها وقد درست في هذا البحث(15)لفظة من الألفاظ المتبقية لأنها قيمة وذو دلالات كبيرة ورائعة ومتميزة في المعاني .

Abstract

Thanks to Allah who taught the Qur'an, the human being was taught the statement, and peace and prayers be upon the most generous envoy who uttered the statement, our master Muhammad, peace be upon him, his family and companions. After

This is a semantic linguistic study of Nafi Ibn al-Azraq's questions about ibn Abbas (Riz) about him (T68H) that I tried to balance what Ibn Abbas (Rad) said with the words of the interpreters who came after him, and the Arabic dictionaries that meant the meanings of the words alone and related to the evidence of his efforts in these words

This study complements the study of Dr. Aisha Bint al-Shati in her book (Qur'anic graphic miracles with Ibn al-Azraq issues, Qur'anic linguistic study) which studied a wide range of words in Ibn al-Azraq issues amounted to (189) and is originally (189) 250. A word that has not been studied more than (60) words that may not have been published in the books on which it was based and have studied in this research a word of the remaining words because it is valuable words and has great connotations and wonderful and distinct In meanings .

المقدمة

الحمد لله الذي علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان , والصلاة والسلام على أكرم مبعوث أعرب من نطق بالبيان سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أما بعد:-

فهذه دراسة بيانية دلالية لغوية لسؤالات نافع ابن الأزرق عنها ابن عباس (رضي الله عنه) (ت 68هـ) حاولت ان أوازن بين ما قاله ابن عباس (رضي الله عنه) بأقوال المفسرين الذين جاءوا بعده ؛ وبالمعجمات العربية التي عنت ببيانه معاني الألفاظ مفردة ومتصلة لأبين جهود ابن عباس (رضي الله عنه) في هذه الألفاظ.

وروي أن نافع بن أزرق قال بن عويمر؛ قم بنا الى هذا يجزئ على تفسير القرآن بما لا علم له به؛ وقصد بذلك ابن عباس (رضي الله عنه) فقاما إليه فقالا : « إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقة من كلام العرب قال الله تعالى « إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين» فقال بن عباس «سلاني عما بدا لكما تجدا علمه عندي حاضراً ان شاء الله تعالى. فكانت السؤالات التي رواها- مع أحوبتها السيوطي في كتابه «الاتقان في علوم القرآن».

اعتمد ابن عباس (رضي الله عنه) الشعر في تفسير القرآن الذي روي عنه قوله : إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن «الشعر ديوان العرب» وهذه المسائل في معاني ألفاظ غريب القرآن الذي سأله نافع ابن الأزرق ابن عباس (رضي الله عنه) أن يأتي بشواهد على ما يفسر من ألفاظ القرآن بأبيات من الشعر العربي الذي يوضح معنى اللفظة قبل الإسلام .

فإن هذه المسائل عظيمة القيمة والقدر وذلك من ناحيتين: التاريخية والعلمية:- لأنها أول ما يعرف من آثار التفسير اللغوي للقرآن , وفتح باب الاحتجاج لمعاني الألفاظ في القرآن الكريم من الشعر العربي.

فإن هذه الدراسة تكملة لدراسة الدكتورة عائشة بنت الشاطيء في كتابها «الأعجاز البياني القرآني مع مسائل ابن الأزرق دراسة قرآنية لغوية بيانية» التي درست مجموعة كبيرة من الألفاظ التي وردت في مسائل ابن الأزرق بلغت (189) لفظة وهي في الأصل

(250) لفظه ولم تدرس أكثر من ستين لفظه ربما لم تكن هذه الألفاظ منشورة في الكتب التي اعتمدت عليها.

في هذا البحث حاولت أن أدرس (15) لفظه من الألفاظ الباقية لأنها ألفاظ قيمة وذو دلالات كبيرة ورائعة و متميزة في المعاني، وله أثر كبير في التفسير اللغوي والبياني والدلالي، وأما الألفاظ المتبقية سوف أدرسها في بحوث أخرى.

يتكون البحث من مقدمة عن طبيعة البحث ثم ذكرت ألفاظاً من مسائل ابن الأزرق مع ما قاله ابن عباس (رضي الله عنه) ورجعت إلى المعجمات العربية وتفسير القرآن الكريم ومعانيه وذلك لتوضيح المعنى المراد من ذلك.

وقد رجعت إلى مصادر متنوعة ومتميزة في اغناء هذا البحث منها «السؤالات نافع ابن الأزرق» للدكتور إبراهيم السامرائي، و«الأعجاز البياني القرآني مع مسائل ابن الأزرق دراسة قرآنية وبيانية» للدكتورة عائشة عبدالرحمن بنت الشاطي، و«غريب القرآن في شعر العرب ومسائل ابن الأزرق لعبدالله بن عباس رضي الله عنه وعن أبيه» لابن عباس (رضي الله عنه) (ت68هـ). ومعجمات العربية «مقاييس اللغة لابن فارس (ت395هـ) و«الصحاح للجوهري (ت398هـ) ، و(لسان العرب لابن منظور) (ت711هـ). ومن التفاسير «الكشاف للزمخشري (ت538هـ) وتفسير الطبري (ت311هـ) و تفسير ابن كثير (ت 774 هـ).

الألفاظ المستدركة

1- أسفل السافلين:

قال ابن عباس: أخبرني عن قول الله عزوجل «أسفل السافلين» [التين: 6]: قال هكذا الكافر من الشباب إلى الكبر ومن الكبر إلى النار. قال: وهل تعرف العرف ذلك؟

قال نعم: أما سمعت علي بن أبي طالب (1)

فأضنحوا لدى دار الجحيم بمعزل عن السغب والعدوان في أسفل السفل (2)

ورد لفظه «أسفل السافلين» مرة واحدة في القرآن الكريم في سورة التين: 6. قال ابن فارس: «سفل» السين والفاء واللام أصل واحد وهو ما كان خلاف العلو، فالسفل الدار وغيرها (3).

وأما الجوهري فذهب إلى أن «أسفل سفل» السفل الأسافل يعني صغار الأبل (4). وأشار ابن منظور إلى معنى لفظه «سافلين» في قوله تعالى «أسفل السافلين بأنها تعني إلى الهرم» ثم بين معنى «رددناه» فقال: رددناه أسفل من سفل أسفل سافلين... فمن كفر وضل فهو المردود إلى أسفل سافلين (5) واستشهد بقوله تعالى «إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات» [العصر: 2-3] وقال جمعها «أسافل» وذكر شاهداً لأبي ذؤيب (6):

بأطيب من فيها إذا جئت طارقاً وأشهي إذا مت كلاب الأسافل.
وأراد «أسافل» الأودية يسكنها الرعاة.

وذهب الفراء في تفسير قوله تعالى «أسفل سافلين» أي إلى النار ثم استثنى فقال «الإلا الذين آمنوا» من الأنسان، لأن معنى الأنسان الكبير ثم ذكر قراءة عبدالله في قوله تعالى «أسفل سافلين» ولو كانت أسفل سافل: كان صواباً لأن لفظ الأنسان واحد، فقيل «سافلين» على الجمع لأن الأنسان في معنى الجمع.(7)

وأما الطبري فنقل قول ابن عباس رضي الله عنه بأنه يرد إلى أرذل العمر كبر حتى ذهب عقله. وهم نفر ردوا إلى أرذل العمر في عهد الرسول ﷺ فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم سفهت عقولهم، فأنزل الله عذرهم أن أجرهم الذي عملوا قبل أن تذهب عقولهم و أضاف الرمخشري في تفسير الآية بأنه كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمته تلك الخلقه الحسنه القديمة السويه أن رددنا أسفل من سفل خلقاً وتركيباً... هم أصحاب النار»(9) وقد تبين من معنى الآية أن الأنسان يرد إلى أرذل العمر حتى يذهب عقله ولكن الله عذرهم أن لهم أجرهم الذي عملوا قبل أن تذهب عقولهم، لأن لفظ الأنسان واحد فقال «سافلين» على الجمع وذلك لأن الأنسان في معنى الجمع.

2- الصاعقة :-

قال ابن عباس : أخبرني عن قول الله عزوجل : «فأخذتكم الصاعقة»[البقرة:55] قال الصاعقة العذاب وأصله الموت.

قال : وهل تعرف العرب ذلك .

وهو يقول : قال نعم , أما سمعت لبيد بن ربيعة(10).

قد كنت أخشى عليك الحتوف وقد كنت أمنك الصاعقة(11).

ورد لفظة «الصاعقة» في القرآن الكريم ثلاث مرات في [البقرة:55] و[النساء:53] و[الذاريات:44].

أشار ابن فارس إلى أن لفظة «صعق» [الصاد والعين والقاف أصل واحد على صلته وشدة صوت من ذلك الصعق وهو الصوت الشديد ومنه الصاعقة، وهي الوقع الشديد من الرعد ومنه قولهم صَعِقَ إذا مات كأنه أصابته صاعقة](12)

فذهب الجوهري إلى أن «الصاعقة» نار تسقط من السماء في رعدٍ شديدٍ , وتأتي بمعنى صيحة العذاب أيضاً(13).

وأما ابن منظور فأشار إلى أن «الصاعقة» النار التي يرسلها الله مع الرعد الشديد يقال: صَعِقَ الرجل وصُعِقَ واستشهد بحديث حسن : ينظر المصعوق ثلاثاً ما لم يخافوا عليه نشأ , هو المغني عليه أو الذي يموت فجأة لا يعجل وقته ثم ذكر معنى «الصاعقة» و «الصعقة» : الصيحة يغشى منها على من يسمعا أو يموت(14).

وأما الطبري فذهب في تأويلها فقال : اختلف أهل التأويل في صفة الصاعقة التي اخذتهم فقال بعضهم بما : حدثنا به الحسين بن يحيى قال : أخبرنا عبدالرزاق قال : معمر عن قتادة في قوله تعالى «فأخذتهم الصاعقة» قال ماتوا : ثم قال : سمعوا صوتاً «صعقوا» يقول : فماتوا, وقيل: النار (15).

وأشار الزمخشري في تفسير «الصاعقة» أي ما صعقتهم أي أماتهم . ثم ذكر بصيغة التضعيف قيل : نار وقعت من السماء فأحرقتهم , ثم أضاف أنه بمعنى «أرسل جنوداً أسمعوا بحسها فخرؤا صعقن ميتين يوماً وليلة وموسى عليه السلام لم تكن صعقته موتاً ولكن غشيه بدليل قوله تعالى «فلما افاق» والظاهر أنه أصابهم ما ينتظرون إليه لقوله تعالى «وأنتم تنظرون»(16).

وقد ظهر لي مما ذهب إليه المعجمات وتفسير القرآن الى أن الصاعقة مأخوذة من لفظة «صَعِق» التي تعني الصيحة, وقيل : نار وقعت من السماء فأحرقتهم.

3- سوم «مسومين»

قال : ابن عباس : أخبرني عن قول عزوجل « مسومين » [آل عمران : 129] قال : الملائكة عليهم عمانم بيض مسومة , فتلك سما الملائكة يا ابن أم الأزرق قال : فهل تعرف العرب ذلك؟

قال : نعم : أما سمعت الشاعر وهو يقول(17):

ولقد حميت الخيل تحمل شكتي جرداء صافية الأديم مسومة(18)

وقد ورد هذه اللفظة في القرآن الكريم مرة واحدة في [آل عمران : 125].

أشار ابن فارس الى أن «سوم» السين والواو والميم أصل يدل على طلب الشيء, يقال : سمعت الشيء, أسومه سوماً , ومنه السوم في الشراء والبيع واستدل بقوله تعالى «والخيل المسومة» [آل عمران:14] وهنا يعني المرسله وعليها ركابها وأصل ذلك كله واحد(19).

وأضاف الجوهري أن معنى لفظة «المسومين» تعني «المُعَمَّة» في قوله تعالى «مُسومين» [آل عمران : 125] وافق بذلك الأخفش في قوله: بأن يكون «معلمين» أو يكون «مُرسلين» من قولك : سَوَمَ فيها الخيل , أي أرسلها.(20) وأما ابن منظور فذهب إلى أن «الخيل المسومة» هي التي عليها السيما والمُسومة وهي تعني العلامة ثم استشهد بحديث : إنَّ لله فرساناً من أهل السماء مسومين , أي مُعَمِّين وبهذا وافق الجوهري في ذلك(21).

ومن المفسرين الزمخشري ذهب في تفسير لفظة «مُسومين» بفتح الواو وكسرهما بمعنى «مُعَمِّين» ثم نقل ما قاله الكلبي «مُعَمِّين» بعما ثم صفر مرخاة على أكتافهم(22) .

واختلف ابن كثير في تفسير الآية «المسومين» فقال : «فمن كسر فأراد أنهم سوموا خيلهم ومن فتحها أراد به أنفسهم , ثم ذكر «التسويم» الأعلام من السومة وهي العلامة . وبهذا وافق ابن منظور في تفسيرها (23).

4- صوع - صواع :-

قال يا ابن عباس : أخبرني عن قول الله عزوجل «صواع الملك» [يوسف:72]

قال الصواع : الكأس الذي يشرب به قال : وهل تعرف العرب ذلك؟

وهو يقول : قاله : نعم : أما سمعت الأعشى (24):-

له درمك في رأسه ومشارب وقد ر وطباخ وصاع وديسق(25)

الدرمك : هو التراب الناعم , والديسق : الخوان في الفضة وهو فارسي معرب.
ورد هذه اللفظة مرة واحدة في القرآن الكريم في سورة [يوسف : 72]
ذهب ابن فارس إلى أن «صوع» الصاد والواو والعين أصل صحيح , وله بابان أحدهما
يدلّ على تفرّق وتصدّع , والآخر : إناء والأول قولهم : تصوّعوا : إذا تفرّقوا قال ذو
الزّمة(26) :-

تُظَلُّ بِهَا الْأَجَالُ عَنِّي تَصَوُّعٌ

فأما الأثناء فالصاعُ والصواعُ الذي يشرب به, وقد يكون مكيال من المكايل صاعاً(27).
وأشار الجوهري إلى معنى «الصاع» الذي يكال به , والجمع أصوع – الصواع لغة في
الصاع ؛ ويقال : هو إناء يشرب فيه(28).

ولم يصف ابن منظور شيئاً على ما قاله ابن فارس والجوهري. وإنما قال : بأنّه الأثناء
الذي كان الملك يشرب منه ثم نقل ما قاله الحسن: الصواع والسقاية شيء واحد (29).
ومن المفسرين الزمخشري الذي ذهب في تفسير «صواع» بصيغة التضعيف قيل : كان
يسقي بها الملك ثم جعلت صاعاً يكال به. ثم وصف الأثناء بأنه مستطيل يشبه
الملوك(30).

وأما ابن كثير فذهب إلى أنها «السقاية» وهي إناء من فضة في قول الأكثرين , وقيل :
من ذهب . ثم نقل ما قاله ابن زيد : كان يشرب منه, ويكيل للناس به عزة الطعام إذ ذلك
قاله ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهما (31).

5- ثجاج :-

قال : ابن عباس : أخبرني عن قول الله عزوجل «ماءٌ ثجاجاً» [النبأ : 14]

قال : الثجيج الكثير الذي ينبت منه الزرع .

قال : وهل العرب تعرف ذلك :

وهو يقول : قال : نعم , أما سمعت أباذؤيب(32):-

سقى أم عمرو كلّ آخر ليلة حنّام سود ماوهنّ ثجيج(33)

وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة [النبأ : 14]

وقد أشار ابن فارس إلى هذه اللفظة «ثجّ» الثاء والجيم أصل واحد , وهو صب الشيء
يقال: ثجّ الماء إذا صبّه , وماءٌ ثجاجٌ أي صبّابٌ ثم استشهد بالآية المذكورة آنفاً ثم قال :
اكتظ الوادي بثجيج الماء إذا بلغ ضرير به...((34).

وذهب الجوهري إلى أن معنى «ثجاج» بقوله «ثججت الماء والدمّ إثحة ثجاً وسطر ثجاج
إذا انصبت جداً»(35).

و أمّا ابن منظور وافق ابن فارس ثم أضاف أن الثج سيلان وماء الهدى والاضاحي ثم قال
: ومطر مثج وثجاج وثجيج, وذكر قول أبي ذؤيب ثم فسره بقوله «معنى كلّ ليلة أبدأ
وثجيج الماء , صوت الصبابة , وماء ثجوج وثجاج مصبوب...»(36).

وقال الزمخشري في تفسير لفظة «ثجاج» أي رفع الصوت بالتلبية وصبّ دماء الهدى ,
وكان ابن عباس رضي الله عنه مثجاً يسيل غرباً يثج الكلام ثجاً في خطبته(37).

ومن المفسرين الطبري الذي ذهب إلى أن الثجاج : المنصب بقوة , وهو مقال من ثَجّ القاصر إذا «انصب , يقال : ثَجّ الماء , فهو فعل قاصر , وقد يسند الثَجّ إلى السحاب. ووصف الماء هنا بالثجاج للامتنان»(38).

وأشار القرطبي في تفسير «ماءً ثجاجاً» صياباً متتابعاً عن ابن عباس (رضي الله عنه) ومجاهد وغيرهما. ثم قال: الثجاج في الآية المنصب, ثم نقل ما قاله الزجاج: أي الصباب, وهو متعدد كأنه يثج نفسه أي يصب والماء الثجاج السائل ومطر ثجاج , شديد الانصباب جداً(39).

وقد تبين أن لفظة «ثجاج» تعني الصبابة بقوة عند العرب أما ابن عباس فسرها بأنها الكثير الذي ينبت منه الزرع لكن المعجمات والنفايسير القرآنية بأنها المنصبة بقوة ...

6- حسر - محصوراً

قال يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل «ملوماً محسوراً»[الأسراء:29] قال : مستحباً مستحلاً قد حسرت من المال فتقول: هلاً أيقنت.

قال : وهل تعرب العرب ذلك؟

قال نعم : أما سمعت الشاعر وهو يقول(40):-

مَا قَادَ مِنْ عَرَبٍ إِلَيَّ جَوَادِهِمْ إِلَّا تَرَكْتُ جَوَادِهِمْ مَحْسُوراً.(41)

ورد لفظة «محسوراً» مرة واحدة في القرآن الكريم في سورة (الاسراء:29).

أشار ابن فارس إلى تفسير «محسوراً» بقوله «الحاء والسين والراء أصل واحد, وهو من كشف الشيء يقال : (حسرت عن الذراع) أي كشفتها والحاسر : الذي لا درع عليه ولا مغفر ولم يذكر لفظة محسوراً.(42)

وأما ابن منظور فأشار إلى أصل اللفظة «حسر» قانلاً : حَسَرَ بصره تحسّر حسوراً أي كلّ وانقطع نظره من طول مدى , وما أشبه ذلك ظهر حسر ومحسوراً ثم استشهد بقول قيس بن طويل الهذلي يصف ناقته :-

إِنَّ الْعَسِيرَ بِهَا دَاءٌ مُخَامِرُهَا فَشَطَرُهَا نَظْرَ الْعَيْنِينَ مَحْسُوراً(43)

وذهب الفراء في تفسير هذا البيت بأنه يريد ينقلب صاعراً وهو حسيّرٌ قليلٌ كما تحسر الأبل إذا قورنت عن هزال وكلال واستشهد بقوله تعالى«ولاتبسطها كلّ البسط فتقعد ملوماً محسوراً»(44).

وفي موضع آخر فسّر لفظة «محسوراً» بقوله «تقول العرب للبعير : هو محسور إذا انقطع سيره وحسرت الدابة إذا سيرها حتى ينقطع سيرها . ومنه قوله تعالى «ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسيّر»[الملك : 4].(45)

ومن المفسرين الزمخشري فسّر اللفظة بقوله «أي منقطعاً بك لاشيء عندك من حسرة السفر إذا بلغ منه وحسرة بالمسألة.

وأما ابن كثير ففسّر قوله تعالى «فتقعد ملوماً محسوراً» بأنه جمع الحسيّر حسرى مثل «قتلى - وصرعى» وكان موافقاً للفراء . وقال القفال : المقصود تشبيهه حال من أنفق كل ماله ونفقاته بمن انقطع في سفره...)((47).

7- حَسَمَ : حُسُومًا

قال : يا ابن عباس : أخبرني عن قول الله عزوجل «حسوماً» [الحاقة:7].

قال : دائمة شديدة : محسومة بالبلاء.

قال : وهل تعرف العرب ذلك؟

وهو يقول : نعم : أما سمعت أمية بن ابي الصلت(48):-

وكم لحنًا بها من فرط عام وهذا الدهر مقتبل حسوم(49)

وقد ورد لفظة «حسوم» في القرآن الكريم مرة واحدة في [سورة الحاقة: 7].

ذهب ابن فارس إلى أنّ «حسم» الحاء والسين والميم أصل واحد وهو قطع الشيء عن

آخره «فالحسم»، القطع وسَمِيَ السبك حساماً ويقال : حساماً ويقال : حسامه حذّه أي ذلك

كان فهو من القطع . أما قوله تعالى «وثمانية أيام حسوماً» [الحاقة : 7] فيقال: هي

المتتابعة . والشؤم وأضاف بأنها حسمت الخير عن اهلها(50).

وكان الجوهري موافقاً لان فارس في معاني لفظة «حسوماً» بقوله «حسمته قطعه

فانحسم أي المتتابعة والشؤم»(51).

ومن المفسرين الزمخشري فقال في تفسير الآية «حسوماً» بمعنى حسمت كل خير

استأصلت كل بركة, أو متتابعة هبوب الرياح, ما خفنت ساعة حتى أتت عليهم تمثيلاً

تتابعها بتتابع فعل الحاسم...ثم قال:تحسم حسوماً ما يعني تستأصل استئصالاً أو يكون

صفة كقولك ذات حُسُومٍ...((52)

وأضاف ابن منظور أنّ لفظة «الحسوم» قيل : الأيام الحسوم الدائمة في الشر خاصة,

وقيل : هي المتوالية ثم نقل ما قاله القراء في معنى الحسوم بأنها التتابع إذا تتابع الشيء

فلم ينقطع أوله عن آخره قيل له حُسُومٌ... (53)

وذهب ابن كثير في تفسير لفظة «حسوم» بأنها تعني كوامل متتابعات مشتاتيم ثم نقل ما

قاله ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وغير واحد «حسوماً» متتابعات(54).

8- عَرَبًا أتراباً :

قال ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل «عرباً أتراباً» .

والأتراب المستويات قال : هن العاشقات لأزواجهن اللاتي خلون من الزعفران.

قال : وهل تعرف العرب ذلك .

وهو يقول قال : نعم أما سمعت نابغة بني ذبيان.(55)

عهدت بها سعدى , سعدى بجزيرة عروب تهادى في حوار فراند.(56)

ورد هذه اللفظة في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة [الواقعة : 37] .

وجاءت اللفظة عند ابن فارس بأنها المرأة العروب الضحالة الطيبة النفس , وهن العرب

قال تعالى, «فجعلناهن أبقاراً عَرَبًا أتراباً» [الواقعة 36] ثم نقل ما قاله اهل التفسير أي

المتحبيبات إلى أزواجهن.(57)

أشار الجوهري إلى أن اللفظة «العُروب» من النساء المتحبة إلى زوجها والجمع

عُربٌ ومنه قوله تعالى المذكور أنفاً.(58)

وأما ابن منظور فذهب الى أن لفظة «عُربٌ» تأتي بمعنى العربيه والعُروب كلتاها المرأة الضحالة ثم نقل ما قاله ابن الأثير بقوله : هي الحريصة على اللهو وقيل : العواشق.(59)

ومن المفسرين لألفاظ القرآن الفراء الذي ذهب في تفسير لفظة «عُرباً» فقال : كنت اسمعهم يودون «عُرباً أتراباً» بالتخفيف وهو مثل قولك الرُسل والكتب في لغة تميم وبكر بالتخفيف(60)

وأما الزمخشري فلم يصف شيئاً وإنما ذكر بأنها جمع «عُروب» وهي تعني المتحبة إلى زوجها الحسنه ووافق الفراء(61)

وأشار الطبري في تفسير لفظة «عُرباً» إلى انها اللاتي قبضن الدنيا عجائز رمصاً شمطاً , خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى(62)

وقد تبين من اقوال اللغويين بأن لفظة «عُرباً» جمع عُراب وهي تعني المتحبة إلى زوجها , وقيل : هن العاشقات لأزواجهن وهو اقرب إلى معنى اللفظة.

9- يمم «تيمم»
قال ابن عباس : أخبرني عن قول الله عزوجلّ «ولاتيمموا الخبيث منه» (البقرة : 267).

قال : لاتعمدوا إلى شرّ ثماركم وخرقتكم فتعطوه في الصدقة لو أعطيتم ذلك لم تقبلوا.
قال : فهل تعرف العرب ذلك؟

وهو يقول : قال نعم : أما سمعت الأعشى : (63)
يَمَّمْتُ راحلتي أمام محمدٍ أرجو فواضله وحسن نداء
وقال أيضاً :

تيممت قيساً وكم دونه من الأرض من مهمه ذي شزن(64)
ورد هذه اللفظة في القرآن الكريم ثلاث مرات في [البقرة : 267] , [النساء 43] و [المائدة : 6]

أشار ابن فارس الى أن لفظة «يمم» الياء والميم كلمة تدلّ على قصد الشيء وتعمد ومنه قوله تعالى , «فتيمموا صعيداً طيباً» [النساء : 43] ثم نقل ما قاله الخليل : يقال تيممت فلاناً بسهمي ورُمحي إذا قصدته دون من سواه وأنشد :-

يَمَّمْتُ الرمحَ شزراً ثم قلت له هذي البسالة لايعبُ الزحاليق .(65)
أما ابن منظور فذهب في تفسير الآية قائلًا أي لاتتفق في قرض خبيثاً فإتك لو أردت سراءه , لم تأخذه حتى تحط من ثمنه ... (66)

ومن المفسرين الزمخشري الذي قال ((و لاتقصد المال الردئ)) .(67)
وأضاف ابن كثير من المفسرين الذي ذكر قول ابن عباس رضي الله عنه : أمرهم من أطيب المال وأجوده وأنفسه , ونهاهم عن التصدي بردالة , المال ودينه وهو خبيثه فإن الله طيب لايقبل إلا طيباً ولهذا قال «ولاتيمموا» أي تقصدوا الخبيث منه تنفقون ولستم

بأخذه , أي : لو أعطيتموه ما أخذتموه , إلا أن تتغاضوا منه فالله أغنى عنه منكم , فلاتجعلوا الله ما تكرهون (68).

10- حُورٌ

قال ابن عباس أخبرني عن قول الله عزوجل «وَحُورٌ عِينٌ» [الواقعة: 22]
قال : الحوراء البيضاء المنعمة .

قال : وهل تعرف العرب ذلك؟

وهو يقول : قال نعم أما سمعت الأعمى :- (69)

وحُورٌ كأمثالِ الدّمي ومناسفٍ وماءٍ وريحانٍ وراحٍ يضع (70)
ورد هذه اللفظة في القرآن الكريم ثلاث مرات في سورة [الواقعة: 22] و[الدخان

:54] و [الطور : 20].

قال ابن فارس عن لفظة «حور» الحاء والواو والراء ثلاثة أصول : أحدها لون
والآخر الرجوع , والثالث : أن يدور الشيء دوراً». (71)

ثم فصل القول في لفظة «حور» فالأول : شدة بياض العين في شدة سوادها ثم نقل ما
قاله أبو عمرو : لحورٌ أن تسود العين كلها مثل الظباء والبقر... وإنما قيل للنساء حور
العيون , لأنهن شبهن بالظباء والبقر ... ثم نقل ما قاله الاصمعي : ما أدري ما الحور في
العين, ويقال: حورت الثياب أي ببيضتها». (72)

أشار ابن منظور إلى أن «حور» أن يشتد بياض العين وسواد سوادها وتستدير
حدقتها وترف جفونها وبيض ماحواليها. ثم نقل ما قاله الأزهري: لاتسمى حوراء حتى

تكون مع حور عينها بيض لون الجسد وأنشد للكميث: (73)

ودامتْ فدورك للساعين في المحل , غرغرة واحوراراً

وأراد بالاحورار بياض الأهالة والشهم , وقيل الحور أن تسود العين كلها مثل أعين
الظباء والبقر. (74)

وذهب الفراء في تفسير لفظة «حورعين» أن خفضها أصحاب عبد الله وهو وجه
العربية , وإن كان أكثر القراء على الرفع لأنهم هابوا ان يجعلوا الحور العين يطاق بهن ,
فرفعوا على قولك « ولهم حور عِين » أو عندهم حور عين ثم قال أنشد بعض العرب:-

(75)

إذا ما الغالنيات برزن يوماً وزججن الحواجب والعيون (76)

وقد اختلف القراء في قراءه قوله تعالى «حورعين» فقرأته عامة قراء الكوفة وبعض
المدنيين بالخفض إتباعاً لأعرابها إعراب ما قبلها من الفاكةة واللحم. وإن كان ذلك مما

لا يطاق به وقال احد الشعراء . (77)

تسمع للأحشاء منه لفظاً ولليدين جساءً وبرداً

والجساء غلظ , في اليد . و هي لاتسمع . (78)

وقد تبين من أقوال العلماء في تفسير «حورعين» بأنه شدة بياض العين وسوادها ,
وكان العرب تعرف ذلك قبل الاسلام.

11- زم 5 ر, [زمهريرا]

قال ابن عباس : أخبرني عن قول الله عزّوجل : «شَمَساً ولا زمهريرا» [الأنسان:13] قال : كذلك أهل الجنة لا يصيبهم هو الشمس فيؤذيهم ولا البرد. قال : وهل تعرف العرب ذلك؟

وهو يقول : قال نعم : أما سمعت الأعشى :- (79)

بدهره الخلق مثل الفنيق لم تر شمساً ولا زمهريرا (80)

ورد في القرآن الكريم لفظة «زمهريرا» مرة واحدة في سورة [الأنسان : 13] وأشار ابن فارس إلى أن لفظة «زمهريرا» البرد , ممكن أن يكون وضع وضعاً , وممكن أن يكون ممّا مضى ذكره من قولهم: ازمهرت الكواكب , وذلك إنّه إذا اشتد البرد زفرت إذا [و] أضاءت (81).

وذهب الجوهري إلى أن لفظة «الزمهريير» تعني شدة البرد ثم نقل قول الأعشى :-

(82)

من القاصرات سُجُوف الحِجَا [لم تر شمساً ولا زمهريرا]

ثم نقل ما قاله أبو زيد : زمهرت عيناه : احمرّت من الغضب , والمزمهر : الشديد الغضب. (83)

أما ابن منظور فذهب إلى أن «الزمهريير» هو الذي أعدّه الله عذاباً للكفار في الدار الآخرة , وقد ازاحت ازمهري اليوم ازمهرياً , وزمهري عيناه... (84) . وذهب الزمخشري في تفسير لفظة «زمهريرا» بأنها القمر ثم نقل ما قاله ثعلب في لغة طييء وانشد:-

وليلةً طلاقها قد المتكر قطعها والزمهريير مازهر

والمعنى : أنّ الجنة ضياءٌ فلا يحتاج فيها إلى شمس وقمر. (85)

ومن المفسرين البغوي أشار إلى أن «زمهريرا» بأنه البرد الشديد , وقال القائل يعني شمساً يؤذيهم حرها ولازمهريرا يؤذيهم برده لأنها يؤذيان في الدنيا وقيل معناه : أي صيفاً وشتاءً. (86)

12- جَبَر (جَبَار)

قال يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزّوجل [كلُّ جَبَار عنيد].

قال : الجَبَار , القتال , والعنيد الذي يعند عن حقّ الله .

قال : وهل تعرف العرب ذلك .

قال : أما سمعت الشاعر يقول : (87)

يصرُّ على الحنث لا تخفى شواكله ياربيح كلّ مصرّ القلب جَبَار (88)

ورد في القرآن الكريم لفظة «جَبَار» عشر مرات في الآيات الكريمات [المائدة : 22]

و[هود: 59] [إبراهيم: 15] و[مريم: 14] و[الشعراء: 13] و[القصص: 19] و[غافر: 35]

و[ق: 45] و[الحشر: 23].

وجاء عند ابن فارس أن لفظة «جَبَر» الجيم والباء والراء أصلٌ واحد , وهو جنس من العظمة والعلو والاستقامة , فالجَبَار الذي طال وفات اليد قال الشاعر :

فإنك إن أغضبتني غَضِبَ الحَصَى عليك وذو الجبورة المتفطرنى (89)

أما الجوهري فذهب الى لفظة «جَبَر» تعني الجبار الذي تقبل على الغضب تجبر الرجل وتكبر (90)

أشار ابن منظور إلى أن «الجبار» المتكبر الذي لا يرى لأحدٍ عليه حقاً : جَبَار بين الجبرية والجبووة والحبوت ... هو بمعنى الكبر وانشد الأحمر لمقلس:

فإنك إن عاديتني غَضِبَ الحَصَى عليك ذو الجبورة المتغطف.

ثم نقل عن اللحياني قوله «الجبار» المتكبر عن عبادة الله تعالى ومنه قوله تعالى «ولم يكن جباراً عصياً» [مریم: 14]. (91)

وأما الطبري ففسر الآية بقوله «هلك كل متكبر جازم من الأقرار بتوحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له، و«من الجبار» هو جبار بين الجبرية والجبورة والحبوت , وبنحو الذي قلنا ذلك. (92)

ومن المفسرين الزمخشري الذي ذهب إلى أن معناه فنصروا وظفروا و أفلحوا وخاب كل جبار عنيد . وهم قومهم . ثم ذكر بصيغة التضعيف قيل : واستفتح الكفار على الرسل ظناً منهم على الحق والرسل على الباطل (93).

13- شرق : الأشراق:-

قال ابن عباس : أخبرني عن قوله عز وجل «بالعشي والأشراق» [ص:18]

قال إذا أشرقت الشمس وحلت الصلاة .

قال : وهل تعرف العرب ذلك .

قال : نعم : أما سمعت الأعشى وهو يقول :- (94)

كَمْ يَنمُ لَيْلَةَ التَّمَامِ لَكِي يُصَوِّ بِحُ حَتَّى أَضَاءَ الأَشْرَاقِ (95)

ورد لفظة «الأشراق» في القرآن الكريم مره واحدة في سورة [ص:18]

أشار ابن فارس إلى لفظة «شرق» بقوله «الشين والقاف أصلٌ واحد يدل على إضاءة وفتح ومن ذلك شرقت الشمس , وأشرقت إذا طلعت وأضاءت والشروق طلوعها». (96)

وذهب الجوهري وابن منظور الى لفظة «شرق» بقوليهما « شرقت الشمس تشرق شروقاً وشرقاً . ثم نقلنا حديثاً لابن عباس رضي الله عنه «نهى عن الصلاة بعد الصبح حتى تشرق الشمس . ويقال : شرقت الشمس إذا طلعت وأشرقت إذا اضاءت. (97)

ومن المفسرين الطبري الذي ذهب إلى أن «الأشراق» ذلك بالعادة وقت الضحى كما حدثنا عنيزيد بن قتادة حتى تشرق الشمس و تضحى. (98)

وأضاف الزمخشري من المفسرين في تفسير لفظة «الأشراق» تعني وقت الأشراق وهو حين تشرق الشمس أي : تضيء وتصفو شعاعها وهو وقت الضحى ثم نقل حديثاً لرسول الله ﷺ : فدعا بوضوء فتوضأ فصلّى صلاة الضحى وقال يا أم هانئ هذه صلاة الأشراق» (99)

- وأما القرطبي من المفسرين ففسر الآية من أربع مسائل بقوله: (100)
- 1- الأشراق : أبيضاً من الشمس بعد طلوعها .
 - 2- إنّ الأشراق هو صلاة الضحى .
 - 3- الأشراق هو الضحى في الغداة بأزاء العصر في العشي , ولا ينبغي أن نصلى حتى تبيض الشمس .
 - 4- إنها الضحى لفضلها وهي أقصاها اثنتي عشرة ركعة.
- 14- رجس : رجس
- قال : ابن عباس : أخبرني عن قول الله عزوجل «رجسٌ وغضبٌ» [الأعراف:71].
- قال : الرجس «اللغنة والغضب : العذاب .
- قال وهل تعرف العرب ذلك .
- قال : نعم أما سمعت الشاعر وهو يقول:- (101)
- إذا سنّة كانت بنحدٍ محيطّةً فكان عليها رجسها وعذابها. (102)
- ورد لفظة «رجس» في القرآن الكريم في تسع آيات [المائدة : 90][الأنفال : 125- 145] [الأعراف : 71][التوبة : 95-125][يونس : 100][النجم : 30][الأحزاب : 33]
- وقد اشار ابن فارس إلى أنّ لفظة «رجس» بقوله «الراء والجيم والسين أصلٌ على اختلاط والرجس صوت الرعد وذلك لأنه يرتدد ...» ثم نقل ما حكاه ابن الاعرابي :
- هذا راجسٌ حسنٌ أي راعدٌ حسنٌ . ومن الباب : الرجس القدر . لآته لطح وخط « ولكنه لم يذكر المعنى الذي ذكره ابن عباس «اللغنة» وذكره «القدر» هو أقرب معنى لأنه يعني لطح فهو من الامور الدينية المنحطة التي تخرج من صاحبها من الأصل: (103)
- وأما الجوهرى فوافق ابن فارس في تفسير لفظة «رجس» ثم نقل ما قاله الفراء في قوله تعالى «ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون» [يونس : 100] فإنه بمعنى العقاب والغضب , والرجس بالفتح : الصوت الشديد من الرعد(104)
- وأضاف ابن منظور عدة معان للفظ «الرجس» منها بمعنى القدر والفعل القبيح المحرم والعذاب والشك وما استقدر من عمل ولم يذكر اللغنة والغضب. (105)
- ومن المفسرين الطبري وافق ابن عباس (رضي الله عنه) بقوله «إنّه قال:الرجس السخط» ثم ذكر قولاً آخر لعمر بن العلاء أنه قال«الرجز والرجس»بمعنى واحد إنّها مقلوبة السين زايًا. (106)
- ولم يتفق الرازي مع المفسرين في تفسير لفظة «الرجس» أنها العذاب وعزى ذلك إلى مسألتين بقوله. (107)
- الأولى : هي أن العذاب ماكان حاصلاً في ذلك الوقت.
- الثانية : أن الغضب هو العذاب اذا كان ذلك فلايحوز تكرير العذاب مرتين وإنما المقصود هو تخصيصهم بالعقائد المذمومة والصفات القبيحة التي تؤدي بهم إلى الخذلان لتماذيبهم بالكفر .

وقد تبين من السياق القرآني في تفسير لفظة «الرجس» بأنها العذاب والفعل القبيح والشك والسخط حسبما ذهب إليه المفسرين .

15- قَنْطَر : قِنْطَار

قال : ابن عباس : أخبرني عن قوله عزَّوجلَّ «القِنْطَارُ»

قال : أما قولنا أهل البيت فإمّا نقول : القنطار عشرة آلاف مثقال .

وأما بنو جَدِّ فإتَّهم يقولون : ملءٌ مَسْكِ نور ذهبٍ أو فضةٍ .

قال : وهل تُعرف العرب ذلك .

قال : نعم : أما سمعت عَدِيَّ بن زيد وهو يقول :- (108)

وكانوا ملوك الرُّوم تجي إليهم قناطرها من بين حقٍّ وقائد

وردت لفظة «قنطار» في القرآن الكريم مرتين في سورتين [آل عمران : 75] و[النساء

: 20].

لم يذكر ابن فارس لفظة «قنطر» في معجمه لأنه اعتمد على الثلاثي والضعف ولم يعتمد على ألفاظ الرباعية.

وأما الجوهري فأشار إلى لفظة «قنطر» بقوله «قنطار» معيار ويروى عن معاذ بن جبل «رضي الله عنه» أنه قال «هو ألف ومائتا أوقية ويقال هو : مائة وعشرون رطلاً ويقال

: ملءٌ مَسْكِ النور ذهباً». (111)

وأشار ابن منظور إلى لفظة «قنطار» بقوله : القنطرة . من قَنْطَر : الجسر ثم نقل عن

الأزهري قوله «هو أرج يبني بالأجر وبالحجارة على الماء يعبر عليه ... وقيل : ما ارتفع

من البنيان . قنطر الرجل إذا ترك البدو وأقام بالأمصار القرى ... ثم ذكر معنى «القنطار»

بأنه معيار بصيغة التضعيف قيل : وزن أربعين أوقية من ذهبٍ ... والقنطار طلاء لعود

البخور والقنطير بالكسر الداهية» (115)

ومن المفسرين الزمخشري ذهب في تفسير لفظة «القنطار» بأنها ألف ومائتين أوقية

ذهباً : هو عبدالله بن سلام استودى رجلاً من قريش ألفاً ومائتين أوقية ذهباً فأداه

إليه. (113)

وأضاف ابن كثير من المفسرين في تفسير لفظة «القنطار» بقوله : (يخبر الله تعالى عن

اليهود بأن منهم الخونة ، ويحذر المؤمنون من الاغترار بهم ، فإن منهم من إن تأمنه

بقنطار ، أي من المال «يؤدة إليك» أي وما دونه بطريق الأولى أن يؤديه إليك ...

(114).

وقد تبين من السياق القرآني في تفسير لفظة «القنطار» بأنها المعيار ، أي ما تعادل

أربعين أوقية من الذهب ... وقيل : طلاء لعود البخور لكنّ المعنى المراد هو المعيار في

هذه الآية .

الهوامش البحث

1- غريب القرآن في شعر العرب 136/1

- 2- شرح نهج البلاغة, الامام على بن ابي طالب 579/2 , وينظر حلية الأولياء
61/1
- 3- مقاييس اللغة 78/3 مادة «سفل»
- 4- الصحاح للجوهري 1044/4 مادة «سفل»
- 5- ينظر لسان العرب 337/11 مادة «سفل».
- 6- ينظر المصدر نفسه 337/11 مادة «سفل».
- 7- معاني القرآن 284/3.
- 8- تفسير الطبري 509/4
- 9- ينظر الكشاف 1212
- 10- غريب القرآن في شعر العرب 144/1
- 11- المصدر نفسه 144/1
- 12- مقاييس اللغة 285/3 - مادق «صعق»
- 13- ينظر الصحاح 916/3 , 765/3 مادة «صعق»
- 14- لسان العرب 198/10 مادة «صعق»
- 15- تفسير الطبري 83 /2
- 16- ينظر الكشاف 58 .
- 17- غريب القرآن في شعر العرب 145/1.
- 18- لم أقف على قائله .
- 19- مقاييس اللغة 118/3 مادة «سوم»
- 20- ينظر الصحاح 1169/4 مادة «سوم»
- 21- ينظر لسان العرب 312 /12 مادة «سوم».
- 22- الكشاف 193
- 23- تفسير ابن كثير 99/2 .
- 24- غريب القرآن في شعر العرب 149/1
- 25- ينظر تاج العروس , الزبيدي 137/13 . وديوانه 217.
- 26- مقاييس اللغة 321/3 مادة «سوم».
- 27- ينظر المصدر نفسه 321/3.
- 28- الصحاح 766/3 مادة «صوع».
- 29- ينظر لسان العرب 215/8 «صوع».
- 30- ينظر الكشاف 524.
- 31- تفسير ابن كثير 401/4 .
- 32- ينظر لسان العرب مادة , وشرح ابن عقيل 6/2.
- 33- غريب القرآن في شعر العرب 188/1.
- 34- مقاييس اللغة 367/1 ثجج .

- 35- ينظر الصماح 185/1 ثجج.
36- ينظر لسان العرب 221/2.
37- الكشاف : 1172
38- ينظر تفسير الطبري 25/31
39- الجامع لأحكام القرآن 174/19 .
40- غريب القرآن في شعر العرب 189/1
41- لم أقف على قائله .
42- مقاييس اللغة 41/2 مادة «حسر».
43- ينظر لسان العرب 188/4
44- معاني القرآن 102/2
45- ينظر لسان العرب 188/4
46- الكشاف 596
47- ينظر التفسير الكبير 156/16
48- غريب القرآن في شعر العرب 192/1
49- ديوان أمية بن أبي الصلت: 55
50- مقاييس اللغة 57/2 مادة «حسم».
51- الصحاح 1138/4 ((حسم))
52- الكشاف 1134
53- لسان العرب 134/12 ((حسم)).
54- تفسير ابن كثير 8 / 209
55- غريب القرآن في شعر العرب 166/11 .
56- ينظر ديوان نابغة بن ذبيان : 43
57- مقاييس اللغة 300 /40 مادة (عرب)
58- ينظر الصحاح 108/1.
59- ينظر لسان العرب 591 /1 (عرب).
60- معاني القرآن 123/3 .
61- ينظر الكشاف 1077 .
62- تفسير الطبري 121/32 .
63- غريب القرآن في شعر العرب 164/1 .
64- لم يرد البيت في ديوان الأعشى. والبيت الثاني في ديوان الأعشى : 19
65- ينظر مقاييس اللغة 152/6 مادة يمم
66- لسان العرب 649/1 مادة يمم
67- ينظر الكشاف : 151
68- تفسير ابن كثير 697/1

- 69- ينظر غريب القرآن في شعر العرب 194/1 .
- 70- لم يرد البيت في ديوان الأعشى .
- 71- مقاييس اللغة 112/2 مادة حور
- 72- ينظر المصدر نفسه 112/2 .
- 73- ينظر لسان العرب مادة حور 219/4 .
- 74- ينظر المصدر نفسه مادة حور 219/4.
- 75- البيت للراعي النميري ينظر شرح شواهد المغني 555/2 - 776 والدرر اللوامع: 191/1 . .
- 76- ينظر معاني الفراء 121/2.
- 77- ينظر تفسير الطبري 106/23
- 78- المصدر نفسه 106 / 23
- 79- غريب القرآن في شعر العرب 195/1 .
- 80- ينظر ديوان الأعشى : 95 .
- 81- مقاييس اللغة 547/1 مادة ز م ه .
- 82- ينظر الصحاح 17/2 مادة ز م ه .
- 83- ينظر الصحاح 17/2 مادة ز م ه .
- 84- لسان العرب 230/4 مادة ز م ه .
- 85- الكشف 1165 .
- 86- ينظر تفسير البيهقي 296 / 18.
- 87- غريب القرآن في شعر العرب 197/1
- 88- لم أقف على قائله .
- 89- ينظر مقاييس اللغة 501/1 مادة «حبر»
- 90- ينظر الصحاح 378/2 - 379 مادة «حبر»
- 91- لسان العرب 113/4 مادة «حبر»
- 92- ينظر تفسير الطبري 543 / 16 .
- 93- ينظر الكشف 547 .
- 94- غريب القرآن في شعر العرب 174/1 .
- 95- ينظر ديوان الأعشى 213 .
- 96- ينظر مقاييس اللغة 264/3 مادة شرف .
- 97- الصحاح مادة شرف / ولسان العرب
- 98- تفسير الطبري 168/21 .
- 99- الكشف : 92
- 100- ينظر تفسير القرطبي 159/15 .
- 101- غريب القرآن في شعر العرب 280/1 .

- 102- لم أصل إلى قائله .
- 103- ينظر مقاييس اللغة 490/2 مادة رجس
- 104- ينظر الصماح 575/2 مادة رجس
- 105- لسان العرب 95/6، مادة رجس.
- 106- تفسير الطبري 521/12 .
- 107- ينظر تفسير الكبير 303/14 .
- 108- غريب القرآن في شعر العرب 265/1
- 109- ينظر ديوان عدي بن زيد 125 .
- 110- ينظر مقاييس اللغة لم ترد اللفظة في معجمه .
- 111- الصماح 464/2 مادة قنطر.
- 112- لسان العرب 119 /5 .
- 113- تفسير الكشاف 177 .
- 114- تفسير ابن كثير 435/3 وينظر مختصر تفسير ابن كثير 292/1 .
- ثبت المصادر و المراجع
- 1- تاج العروس من جواهر القاموس / السيد محمد مرتضى الزبيدي (ت 1205هـ) ، تحقيق : إبراهيم التريزي/ دار إحياء التراث العربي- بيروت - لبنان، 1984م.
- 2- تاج اللغة و صحاح العربية/ لأبي نصر الجوهري (ت 398هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، د.ت.
- 3- تفسير القرآن العظيم/ عماد الدين أبي الفداء المعروف بابن كثير (ت774هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت- لبنان، ط1، 1419هـ.
- 4- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب/ فخر الدين الرازي (ت606هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط3، 1420هـ.
- 5- جامع البيان في تفسير القرآن/ لأبي جعفر محمد جرير الطبري (ت310هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، د.ت.
- 6- الجامع لأحكام القرآن/ أبو عبدالله بن محمد القرطبي (ت 671هـ)، مؤسسة الرسالة، 2006م.
- 7- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ لأبي نعيم الأصفهاني (ت 430 هـ)، دار الكتب العلمية، 1988م.
- 8- الدرر اللوامع على همع الهوامع/ أحمد بن الأمين الشنقيطي (ت) ، تحقيق: محمد بايل عيون السود، دار الكتب العلمية، 199م.
- 9- ديوان الأعشى/ محمد بن قيس المعروف بالأعشى (ت 7 هـ) ، المكتبة الشاملة .
- 10- ديوان النابغة الذبياني/ تحقيق: أبو الفضل إبراهيم ، دارالمعارف، د.ت.
- 11- ديوان أمية بن أبي الصلت/ جمعه ووقف على طبعه (يموت بشير)، ط1، المكتبة الاهلية، 2020م.

- 12- ديوان عدي بن زيد العبادي/ المؤلف: عدي بن زيد ، دار الجمهورية للنشر - بغداد، 1965م.
- 13- شرح ابن عقيل / لأبن عقيل (ت 769 هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار ابن كثير- دمشق- بيروت - د.ت.
- 14- شرح شواهد المغني/ جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، تحقيق: أحمد ظاهر كوجان، لجنة التراث العربي، 1966م.
- 15- شرح نهج البلاغة/ ابن ابي الحديد، دار الكتاب العربي، 2007م.
- 16- غريب القرآن في شعر العرب/ سوالات نافع بن الأزرق ابي عبدالله بن عباس، المؤلف: عبدالله بن عباس/ المكتبة الشاملة .
- 17- الكشف/ جار الله أبو القاسم الزمخشري (ت 538هـ) ، دار الكتاب العربي- بيروت، 1407هـ.
- 18- لسان العرب لابن منظور الانصاري (ت 711 هـ)، دار المعارف ، 2016م.
- 19- مختصر تفسير ابن كثير/ محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم بيروت - لبنان، 2006م.
- 20- معاني القرآن الكريم/ أبو زكريا الفراء الانصاري (ت 207هـ)، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل الشبلي، دار المصرية ، د.ت.
- 21- مقاييس اللغة/ أبو الحسين بن أحمد بن فارس (ت 395هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر ، 1979م.

سيمائية المكان في رواية ابني اليهودي

الباحثة م.د. عهد ثعبان يوسف الأسدي
كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة كربلاء / قسم اللغة العربية

ملخص البحث

كل عنصر سردي يشكل علامة سردية بفعل علاقته بالعناصر الأخرى ضمن بنية متكاملة؛ إذا فالعلاقات هي التي تولد العلامات التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمعنى. فالسيمائية هي التي تركز على الدلالة دلالة العنصر ضمن علاقته المختلفة مع العناصر الأخرى. إن العلاقات تتشكل للبحث عن المسكوت عنه. والمكان يعد من العناصر البنائية المهمة للنص السردي وهو موضوع دراستنا في هذا البحث.

Research Summary

Cada elemento narrativo constitúe unha marca narrativa en virtude da súa relación cos demais elementos dentro dunha estrutura integrada; Así que son as relacións que xeran os signos as que están estreitamente relacionadas co significado. A semiótica é a que se centra na significación do elemento dentro da súa diferente relación con outros elementos. As relacións fórmanse para buscar o non dito. O lugar é un dos elementos estruturais importantes do texto narrativo e é o obxecto do noso estudo nesta investigación.

مقدمة البحث

يكتسب المكان دلالاته من علاقاته مع العناصر الأخرى في داخل البنية الواحدة؛ ومن ثمّ لاثبوت للمكان، بل هو في تحول دائم الذي يكتسبه من البنية ذاتها؛ التي على تنوع دلالات المكان.

سيمائية المكان تتيح البحث للوصول الى الدلالة الحقيقية التي قدم فيها المكا من قبل الراوي؛ ليتشكل من ذلك عنوان هذه الدراسة بـ (سيمائية المكان في رواية ابني اليهودي)

وقد قامت خطة البحث على مهاد نظري تمحور حول سيميائية المكان المفهوم والاهمية ، ومبحثين عقد المبحث الأول لعنوان : أنماط المكان، أما المبحث الثاني فقد رصد علاقة المكان بمكونات الرواية. وقد ختم البحث بخاتمة لأهم النتائج ،التي توصل إليها البحث . ومن الله التوفيق

مهاد نظري :سيميائية المكان المفهوم والاهمية:
أولاً: مفهوم السيميائية:

يكتسب كل عنصر سردي دلالاته من علاقته مع العناصر الأخرى في بنية سردية متكاملة، فالدراسة السيميائية لاي عنصر من العناصر السردية ماهي الا الكشف عن الدلالة المتخفية في شبكة العلاقات للعناصر. فالسيميائية هي : "علم يهتم بدراسة أنظمة العلامات : اللغات، أنظمة الإشارات، التعليمات .. الخ... وهذا التحديد يجعل اللغة جزءاً من السيميائية." (1) والسيميائية هي مصطلح غربي بامتياز ، ولم تصبح علماً قائم بذاته إلا بعد مجئ الفيلسوف الأميركي تشارلز بيترز ولساني السوسيري دوسوسور. (2) فقد عرفت السيميائية بمصطلح (semiology) عند سوسور، و (semiotics) عند بيترز. ومنذ الخمسينات اصبح المنهج السيميائي منهجاً سائداً في ميادين علم النفس، والادب، وعلم الاجتماع ،... وغيرهم. (3) وتهتم السيميائية بالبحث عن المعنى الذي يتجلى من تفاعل العلامات فيما بينها، فالعالم الذي نعيش فيه ماهو الا عالم علامات تشفر فيه الحقائق ؛ ومن ثم من الممكن فكّ هذه الشفرات بالدراسة السيميائية. (4) وعلى وفق ذلك فكل نص ليس بنية من الدلالات فحسب ؛ بل هو مجردة من الإشارات. (5) وهذه العلامة ماهي إلا "مثير _ أي مادة محسوسة ترتبط صورتها المعنوية في ادراكنا بصورة مثير آخر _ تنحصر مهمته في الإيحاء تهيئاً للاتصال." (6) تنشأ هذه العلامة في بنية اجتماعية محددة، وانتاجيتها تتوقف على التفاعل مع العلامات الأخرى ،وبانعدام هذا التفاعل تنعدم إنتاجية النص. (7) وهذه البنية ماهي إلا حصيلة عناصر مادية ليست من صنع الانسان ؛ بل تأتي إليه وتمر عبره مؤدية الى تكوين رؤيته للكون. (8) اذا كل عمل أدبي يعبر عن رؤية للعالم ، يشكلها الانسان من عالم ملموس من الكائنات والاشياء. (9)

هذه العلامة لاكتسب دلالتها الحقيقية إلا عند دمجها في مجموع حياة معينة ومجموع تصرف معين. (10) وهذا التشكيل للعلامات لا يتم إلا عن وعي وادراك الذان يمتاز بهما الراوي ،والذي يمثل أداة للعرض أيضاً. (11)

كل علامة تؤدي دورا اجتماعيا كما أكد على ذلك (سوسور) ،بينما أكد (بيرس) على دورها المنطقي.⁽¹²⁾

وعلى وفق كل ماتقدم يمكن دراسة عنصر المكان كعلامة سيميائية تكشف دلالاته عن طريق علاقاته بالعلامات الأخرى في بنية معينة.

والنص السردي لايعرض كنسخة من واقع بآلية مرآة عادية لاحياة فيها؛ بل يحول الواقع الى علامات تتكشف عنها كثير من الدلالات.⁽¹³⁾

وعليه كل نص سردي يقدم عالمة العلاماتي عن قصدية يسعى إليها.
ثانيا: مفهوم المكان:

ان عنصر المكان من العناصر المهمة في بناء النص السردي، فلا غنى عنه سواء اتسم هذا المكان بواقعيته المفترضة او بمخيلته ؛ فان تشخيصه بالنسبة للقارئ مهم جدا.⁽¹⁴⁾

لقد ادرك الانسان منذ القدم أهمية المكان ودوره المتميز في النص السردي، وعلاقته بوجوده ؛ لذلك تطورت فكرة المكان عنده قديما وحديثا مع تطور الفكر الإنساني في تعامله مع العالم الخارجي المحيط به.⁽¹⁵⁾

ويعرّف المكان بأنه "مجموعة من الأشياء المتجانسة من الظواهر ، او الحالات، او الوظائف او الاشكال المتغيرة، وتقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة ، العادية مثل الاتصال، المسافة."⁽¹⁶⁾

ان تأثير المكان على القارئ سواء أكان متخليلا او واقعا يوهم بواقعيته ؛ يعود الى الكيفية التي تُقدم فيه للقارئ.

تتنوع دلالات المكان على وفق علاقاته بالعناصر الأخرى ضمن البنية ذاتها، ويمكن ان نرجعها الى تقديم الراوي لهذا المكان وحيثياته؛ ومن ثمّ من الممكن ان تتكون صورة للمكان لدى القارئ ، وهي صورة معنوية لهذا العنصر، أي بمعنى آخر ان المكان يشكل علامة على وفق بنيته.

فالمكان لم يعِ الاطار الذي تتجمع ضمنه العناصر الأخرى؛ بل اصبح ثيمة سيميائية للكشف عن الدلالة الحقيقية له ولغيره من العناصر مجتمعة معا؛ وعلى وفق ذلك فلا وجود صورة محددة للمكان في كل النصوص السردية ؛ اذ تنبثق دلالاته من بنيته الآنية في النص، وتتنوع دلالاته تبعا للتغير الذي يطرا على هذه البنية ، ومن ثمّ كل حيثيات المكان ترتبط ارتباطا وثيقا في دلالاته.

للمكان دورا كبيرا في دلالة المكان ؛ لما له أهمية كبيرة في رسم الصور المتعددة للمكان،⁽¹⁷⁾ ويجب ألا نسلّم بان المكان لايتجلى إلا عن طريق الوصف ؛ بل من الممكن ان تتشكل دلالاته بعلاقاته المختلفة مع العناصر الأخرى ضمن البنية الواحدة؛ ومن ثمّ يرتفع الى درجة النموذج التصويري ، ويقدم المكان بصورة مجازية، وهذا ماتبحث عنه السيميائية .

لعل اظهر صورة لتواشج المكان هو تواشج الانسان معه بفعل الزمن، فالمكان لا يتغير بشكله المادي إلا انه يتغير بصورته التي يرسمها الراوي للقارئ باستعمال الزمن، الذي لا يكاد ينفصل عن عنصر المكان بل والعناصر الأخرى كذلك. هذا التواشج يبرز علاقتي الاتصال والانفصال على وفق علاقة المكان بالعناصر الأخرى؛ لتتولد الدلالات المختلفة للمكان من الألفة، والعداوة، والغربة، والبعد، والقرب، والانفتاح، والنفلاق، وغير ذلك.

فكل نص سردي يقدم رايه المكان وحيثياته بصور متعددة، ومن الممكن ان يتضاعل هذا الظهور؛ وكل ذلك له دلالاته الخاصة التي تتمظهر في البنية، فلا يمكن دراسة المكان بمعزل عن بنيته الحاضنة له، فالمكان يقدم بصورة فلسفية تتجلى قيمته على وفق ذلك التصور الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بالوعي.⁽¹⁸⁾

المبحث الأول

أنماط المكان

أولا: المكان المفتوح:

تزرخر رواية (ابني اليهودي) للروائي كامل عبد الرحيم* _ متن الدراسة؛ والتي تقع في (123) صفحة يقسمها على عشرة فصول يقوم كل فصل على عنوان باستثناء الفصل الخامس الذي جاء خاليا من عنوان _ بالمكان الذي شكل ثيمة سيميائية من أجل الوصول للدلالة التي انبى من اجلها النص، وقد شكلت الأماكن المفتوحة ظهورا واضحا؛ ومن الأماكن المفتوحة:

1- المدينة: تكثر المدن في الرواية وهي شكلت في بداية الرواية كمكان آمن لاكثر شخوص الرواية، ومن هذه المدن: قبرص، التي شكلت ملاذا آمنا لعلي بعد تفسيره من العراق بسبب تبعيته الإيرانية، وقد اكتفى الراوي بذكر اسمها دون ذكر أي تفاصيل لهذه المدينة.

ومن المدن التي يذكرها الراوي المشارك (كاظم) :بيروت، ولاركناء، وليماسول، والدار البيضاء، والقاهرة. ولايذكر أي تفاصيل عنها باستثناء (بيروت) التي يذكر فيها تفاصيل تكشف عن المستوى الاقتصادي له: "و كنت امتلك بناية في منطقة الشياح في بيروت....وعين الرمانة."⁽¹⁹⁾

تشكل (الكويت) مكانا مفتوحا، يذكرها (كاظم) كمحطة يمارس فيها عمله عن طريق فتح جواد ابنه فرعا لتجارته؛ ويذكر هذا المكان كثيرا في الرواية فهي تمثل ملاذا آمنا له ولاولاده ومنهم (جابر) الذي جعلها مسكنا له لما وجد فيها من الأمان والاستقرار بعد ان اتهم من قبل الحكم البعثي في العراق بانتماؤه الى الحزب الشيوعي؛ والذي عزز استقراره في الكويت وجود الصانع البحراني الحاج (باقر)، الذي كان يتردد للزيارة في الكاظمية؛ فتعرف على جابر الذي كان يعمل صانعا في الكاظمية فتنشأ علاقة تجارية بينهما، وتتطور علاقته به بعد هروبه من العراق ليدير محل الصياغة الخاص بالحاج باقر في الكويت: "سكن في بداية وصوله [أي جابر] الكويت العاصمة.... كان الحظ السعيد هو من

يسير مركبه اللاهي." (20)، بعد وفاة الحاج باقر تنشأ علاقة صداقة بين جابر وابن الحاج باقر هادي فتتحقق ثيمة سيميائية ثابتة لجابر بانها بلاد آمنه على عكس بلاده الأصل العراق، الذي يعدّ بلاداً غير آمن بسبب الحكم البعثي المتعسف الكابت للحريات . لا يستمر ثبوت الثيمة لهذا المكان بالنسبة لجابر بسبب سلوك هادي المنحرف معه فسرعان ما يتحول ما هو ثابت لمتحرك بسبب شعور جابر الذي تحرك بصورة عسكرية لما سبق من شعور اتجاه هذا المكان ؛ فتنتقل صورة المكان من الألفة الى المعادة بالنسبة لجابر ؛ فيقرر مغادرتها بعد تصفية اعماله بها، فتصبح (دمشق) وجهة جابر الجديدة ليكمل دراسته فيها.

2- المطاعم: تشكل هذه الأمكنة حضوراً فاعلاً في الرواية، وهي تدل على الترف والاستقرار الاقتصادي للبلدان ؛ بسبب كثرة ارتيادها ، فالراوي المشارك (كاظم) (أبو جابر) او (أبو جواد) بالنسبة لأكبر أبنائه لكن اعتاد ان يذكر نفسه بأبي جابر لكثرة معزته له من أولاده. من هذه المطاعم مطعم (فاروق) يقدمه الراوي المشارك (كاظم) كمكان عام مفتوح لكل ويذكره بضمير المتكلم ؛ فيقدم هذا المكان بثيمة سياسية أكثر من غيرها لارتياح صدام لها بصفته العسكرية ؛ بسبب ارتياده له ؛ فيقدم تفاصيل المكان : "كنت تعرفت حتى بصدام اذا ماحضر ورأى رهطنا يسأل بتعال أجوف (وين هذا الغشاش)." (21)

اما مطعم (فوانيس) ، الذي يرتاده (مؤيد البدري) كشخصية إعلامية معروفة في الوسط العراقي ، ويقدم هذا المكان على لسان الراوي المشارك (كاظم) بضمير المتكلم؛ تتحقق الهوية لهذه الأماكن بفعل الثيمة المتنوعة لها لقصدية يريد بها الراوي . ومن المطاعم أيضا مطعم وفندق (كهرماتة) فيقدم هذا المكان على لسان الراوي المشارك بضمير المتكلم (كاظم) ، ليعطيها ثيمة ثقافية ؛ لرتيادها من قبل (عبد الوهاب البياتي) الشاعر المعروف في الوسط العراقي، وأيضا الكاتب (عزيز السيد جاسم).

ان هذه الأماكن يذكرها الراوي ليقدمها بثيماتها الثقافية ؛ فيحقق الراوي غايته في دلالة هذه الأمكنة التي تفصح عن الثيمة الثقافية والوضع الاقتصادي المستقر للمجتمع العراقي في ذلك الوقت. فالراوي يقدم ما يراه او ما يريد ان يراه ويريه للقارئ ؛ انه كالكاميرا التي تجوب في كل النواحي لتلتقط ماتريده مما يوافق رؤيتها عن هذه الأمكنة.

3- المكتبات : ترد ذكر المكتبات على لسان الراوي المشارك (كاظم) كأماكن عامة مفتوحة : "لم أكمل الدراسة الإعدادية إلا (بالشأفعات) ولطالما كنت أجد القليل من الوقت للقراءة وكذلك لزيارة بعض المكتبات وشراء بعض الكتب ... وتمكني من استخدام تلك (الثقافة الفجة) أفضل من أي محترف." (22)

4- البارات : يقدمها الراوي المشارك (كاظم) بضمير المتكلم بصورة مغايرة للمتوقع ؛ فهي أماكن جميلة من وجهة نظره ذاتية ، بل يراها انها أماكن تنفيس له ولغيره : " أكره المقاهي واعشق البارات حيث الاجراس الحقيقية للحياة... وهناك حتى فرس البحر يتحول الى انسان مرهف." (23) ، وفي نص آخر يذكرها أيضا على لسانه : "وكنتم أتمنى أن امتلك

بارا في العراق حصرا ولتذهب الأعراف الى الجحيم... فهي ليست أماكن تسقي الشراب فحسب ولكنها أيضا مساحات كثيفة لتوليد واخصاب الوعي السياسي والثقافي والاجتماعي ... في أول الثمانينات كانت حمى الخمر في أوجها ... فإن المستوى المعيشي للناس قد تحسن.²⁴

فالراوي يضفي من وجهة نظره الذاتية الصفة الثقافية والاجتماعية للبارات ؛ لما يجد فيها من متنفس عن الكبت النفسي للناس ، وأيضاً تبين المستوى الاقتصادي الجيد للبلد .
ثانياً: المكان الخاص المغلق:

ترتبط هذه الأمكنة ارتباطاً وثيقاً بالجانب الشعوري المتبدل للشخصيات ، وهذه الجوانب لاكتشف للقارئ إلا إذا أراد الراوي ان يكشفها ليفصح عن الدلالة الحقيقية لها؛ ومن هذه الأمكنة:

1- الكراج : يعدّ جزءاً من البيت، فسيترجع الراوي المشارك(كاظم) لموقف يكشف فيه عن بدايات موهبة ابنه (جابر) في الصياغة:"وفي أحد الأيام اصلى سلسلة ذهبية [أي جابر] تعود لأمه...وهو يصلح مصوغات أمه وصديقاتها أو خالاته والجيران."⁽²⁵⁾

2- محل الصياغة: يسلط الراوي بضمير المتكلم (كاظم) على هذا المكان يعطيه صفة خاصة مغلفة يركز فيها على تعلم (جابر) للصياغة عن طريق صديق ابيه نالذي يملك محلاً لصياغة الذهب ؛ فيتحول المكان من عام الى خاص ؛ اذ يحدد الراوي مكان المحل في منطقة الكاظمية احدى مناطق بغداد المعروفة ، وانطلاقاً من هذه الجزئيات يكشف الراوي عن هوية المكان، فهو مكان عراقي معروف.

3- البيت : يذكر هذا المكان كثيراً بضمير المتكلم للراوي المشارك (كاظم) ، وهو مكان الألفة والمحبة عنده، فهو بيت العائلة:"كان بيتنا ... في منطقة حي العدل غربي بغداد ... وكان بيتنا مشيداً على ألف متر مربع، يشتمل على حديقة مساحتها مائتان وخمسون متراً مربعاً... وبنائه متداخل بغرف كثيرة ودبوان للضيوف وحمامات مختلفة ملحقة بكل ذلك ومطبخين ... وكذلك ست عشرة غرفة نوم موزعة على طابقين وحارس يقوم بمهام متعددة."⁽²⁶⁾

يطيل الراوي بوصف لتفاصيل بيته ، فهو بيت واسع ، وهذا يدل على ترف صاحبه، نابض بالحياة؛ فهو يكشف عن الراحة التي يتمتع بها في هذا البيت لذلك يطيل في تفاصيل وصفه ، فهو وصف ينتقل من العام المفتوح الى المغلق الخاص.

4- قاعة الخلد: قاعة يذكرها الراوي بضمير المتكلم(كاظم) كمكان ارتكبت فيه مجزرة من قبل صدام ، فهو لا يصف المكان؛ بل يذكره مرتبطاً بهذه المجزرة، فهو يقدمه كشيء عن القهر والظلم والخوف ، الذي عاشته الناس في كنف حكم صدام.

5- القبر: يمثل هذا المكان مكان الفقد والحزن والتحسر والنحيب ، فالراوي المشارك(كاظم) يذكره هذا المكان المتواشج مع حياته بل يمثل هويته ؛ يبين عن طريقه خسارته في الحياة، وبلى وخسارات كل انسان في هذه الحياة؛ فهي وجهة

نظر خاصة سرعان ما ينتقل بها الى العامة:" ان هذه اللحظة سوف لن نستطيع أن نعيش بعدها... لحظة انزالنا ابنا ميتا في حفرة قبر." (27)

المبحث الثاني

علاقة المكان بمكونات الرواية

أولاً: المكان والشخصية:

يتواشج المكان بعلاقة مع الشخصية ، وهذه العلاقة توجد بها الشخصية المتعلقة بالمكان ، فالشخصية ترسم صورة للمكان كما تراه هي ؛ ونلاحظ من أمثلة ذلك ماورد في الرواية (متن الدراسة) من أماكن تتواشج بعلاقة تعالقية بين الشخصيات التي ترسم لهذه العلاقة بصورة سيميائية كتعبير عن المشاعر التي تعترى الشخصيات إزاء هذه الأماكن، (بغداد) تتجلى بعلاقة عميقة مع شخصية الراوي المشارك (كاظم) ؛ فهو يرسم لهذه العلاقة بصورة عميقة:" أحببت بغداد وكنت اجتاز شوارعها بسيارتي عصراً مثل عاشق يتفحص ... حبيبته للمرة الأولى ... واعدود الى حدائق الزوراء لأتجه يمينا صوب الجسر المعلق ، اعبره نازلاً نحو اليمين ملتهما شارع أبي نؤاس رواحا ومجينا وكأني أعبئ رثتي بهوانه الممزوج من شهيق الطين وزفير أسماك حية." (28)

تفصح الشخصية عن العلاقة المتواشجة مع (بغداد) ؛ إذ يرسم صورة مشرقة لبغداد كما يراها هو، وهي صورة لكان طبيعي مطبوع صورته في ذهن الشخصية ، وهذه الصورة ليست ثابتة ، بل تتبدل بسبب الحرب العراقية الإيرانية ، لترسم لبغداد صورة مغايرة لما سبقتها وعلى لسان نفس الراوي المشارك (كاظم) بضمير المتكلم، وهي صورة حزينة:"سفر وفراق ودموع وعناق، لماذا ياربي وانا قد اكتفيت ببغداد عالماً مكتملاً ووحيداً.... وانا الجذلان بعبوديتي لك." (29)

ان هذه الصورة الحزينة تتواشج مع الشخصية الراوي المشارك ؛ بسبب ما تعرض له وما تعرضت له عائلته من عدم استقرار وتهديد ، فأكثر أولاده غادروا العراق حتى خديجة وابنته غادروا لرؤية أولاده خارج العراق ؛ فالعراق الذي تمثل (ببغداد) اصبح مكان غير آمن لأبي جابر وعائلته بسبب الحكم السياسي انذاك وسياسته التعسفية المحارب للحريات . نلاحظ ان الراوي افتتح كلامه قبل ذكر المكان (بغداد) بـ (سفر وفراق ودموع وعناق) كصورة يسودها الألم والتحسر ، وهي ثيمة سيميائية للوضع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للعراق في ذلك الوقت.

تتجلى علاقتنا الاتصال والانفصال كنتيجة لعلاقة الشخصية بالمكان ، فعلاقة الاتصال تتحقق على وفق علاقة الرغبة من الشخصية إزاء مكان معين تألفه ؛ أي ان الحالة الشعورية للشخصية هي التي تقدم لنا الفضاء المكاني من وجهة نظر معينة يقدمها الراوي للقارئ، وهذا المكان سيسهم في التحولات الداخلية التي تطرأ على الشخصية.(30) بينما تتمظهر علاقة الانفصال بين الشخصية والمكان عندما تبرز علاقة الكره او الإقامة الجبرية في مكان غير رغبة الشخصية الإقامة فيه؛ ومن هذه الأماكن

الواردة في متن الرواية (متن الدراسة) (السجن): " فلقد نسيت عالمي القديم ... ستعود لعالمك يا (أبا جواد) عالمك الكونكريتي المتين." (31)

تبرز الحالة الشعورية لشخصية (كاظم) إزاء أقامته الجبرية في (السجن) ، الذي يعدّ مكانا مغلقا عن الخارج، وانغلاق الذات على نفسها ، فالذات تشعر بالضيق والتوتر والقلق الدائم في هذا المكان ، وخاصة ان لاذنب اقترفته حتى توضع في هكذا مكان كابت للحرية ؛ بل اصبح السجن هو عالمه المنقطع عن عالمه في الخارج.

في الفصل الخامس الذي جاء دون عنوان على غير الفصول الأخرى ؛ ويبدو السبب في ذلك يعود للموضوع القائم عليه هذا الفصل، وهو وصف (كاظم) على لسانه وضع السجن وحالاته الشعورية إزاء ما يعيشه فيه ؛ فهو يمثل الموت (الموت المعنوي) الذي لا عنوان له ، فهو موت لاقتال فيه ، والمسجون كالحي الميت اجتماع الضدين الذي يستحيل في الواقع لكن في السجن ممكن ان يتحقق ذلك فهو اجتماع مجازي لما تعانيه الذات من قهر وضيق والمضي الى مجهول ؛ فهي حياة لا تبعث على الأمل.

وقد عبر (كاظم) عن ذلك أيضا في نص آخر: " في السجن العراقي مثلما لاندرى لماذا نحن فيه لانعلم متى نخرج منه." (32)

ان السجن ل(كاظم) جاء بسبب تهم ترتبط بسياسية تعسفية ظالمة؛ ومن يدخل هكذا مكان مغلق ومعادي للذات ؛ فالذات لاتعرف سبب وجودها في هذا المكان ولاتعرف متى تخرج او لا تخرج مما هي فيه، لم يكتف (كاظم) بذكر (السجن) بل أضاف له (العراقي) ليعطيه صفة تعريفية انتمانية للمجتمع العراقي هذا المجتمع الذي تحت وطأة الظلم والقهر الذي يعيشه ، والنتيجة حكم غير عادل دون الإشارة لاي محاكمة تكون اما الموت الحقيقي او الموت المعنوي في البقاء في سجن لا يعرف هل سيخرج منه ام لا يخرج. ثانيا: المكان والزمن:

ان الزمن يرتبط ارتباطا وثيقا بالمكان ، بل لايفصل أحدهما عن الآخر(33)؛ وهنا نقصد بالزمن الزمن النفسي ؛ أي وعينا بالزمن كجزء من غموض الخبرة الإنسانية(34) ، الذي يرتبط بالحالة الشعورية للشخصيات واسقاطاتها على الأمكنة التي ترتادها في ازمنة مختلفة ؛ فيكون المكان مختلفا تبعا لذلك من الأمكنة التي مارست الشخصيات دورها الاجتماعي وأيضا تجلت الحالة النفسية لهذه الشخصيات في أوقات زمانية معينة، فالراوي يحدد هذه الأمكنة ، ومن هذه الأمكنة (البيت) الذي جاءت تفاصيل هذا البيت على لسان صاحبه :- " كان بيتنا قبل انفصالي عن خديجة ... وكنت اذا مادخلت البيت فان خديجة ... ابوكم فد شيء مو طبيعي." (35)

يبدو ان هذا التأخير لوصف البيت جاء بسبب الحنين لاجواء العائلة كما يفها بانها أجواء عائلية جميلة، فالراوي يفتقد هذه الأجواء الاجتماعية بسبب (الانفصال) لكن الحنين يأخذه لذلك المكان والزمان، وهو التوق للماضي الجميل، لكن في النص السابق يتضح من وصف المكان المرتبط بالزمان ان السلطة لهذا المكان هي لزوجته (خديجة) ، وهذا المكان يحدد مكانه فهو في بغداد ، ويعطي تفاصيل دقيقة عنه، وهذا يدل على حبه

لهذه التفاصيل لذلك المكان وهذا لا يتضح بهذا الوصف بل ماجاء بعد الوصف : " وكنت اذا مادخلت البيت فان خديجة تهيء الجو المناسب ".⁽³⁶⁾
فالراوي يحب تفاصيل هذا البيت الذي يحن إليه كثيرا.

يكشف الراوي المشارك عن السلطة التي تتمتع بها (خديجة) زوجته في البيت ، فالراوي يرى خديجة عن طريق رؤيته لها كزوجة له وبصوته هو، وهذه العلاقة يعترها الغموض، فهي علاقة تنتهي بالانفصال رغبة من زوجته (خديجة) فالراوي بالسلطة التي يتمتع بها على السرد ينتقي من هذه العلاقة، التي يكشف عن رؤيته عن ذاته ، ورؤيته عن خديجة بلحاظ علاقته بها، وهي علاقة الزواج، الذي يصور الراوي المشارك هذه المؤسسة الاجتماعية برؤيته وبصوته: " ان الزواج مؤسسة بالية اما انا فجلت على كراهيتها والسخرية منها وخيانتها... كنت طالما اندهش واتساءل لماذا... وهو هدم كل شيء مهم أبنيه."⁽³⁷⁾

ففي هذا النص الذي يوجهه الراوي لأصدقائه يكشف عن رؤيته عن الزواج، وهي رؤية تكشف عن وجهة نظر ذاتية فردية عن مؤسسة اجتماعية مهمة في تكوين المجتمع واستمراره.

يمتزج صوت الراوي الموجه الى ذاته، وكأنه يحدث نفسه عن وعي ودراية بما يحاورها: " كنت لطالما اندهش ... وهو هدم كل شيء مهم أبنيه " فالراوي يفصل بين خطابه الموجه الى أصدقائه ، وبين لخطاب الموجه الى ذاته (بـ)، فيفصح عن حواره لذاته، ان اختلاف الضمير في (أقول) ،و(كانت) وهو ضمير المتكلم في(أقول) وضمير الغائب في (وكانت) ليميز الراوي الكلام الموجه لأصدقائه عن الكلام الموجه لذات(الراوي) ان السبب في اختلاف التوجيه يكشف عن ثيمات سيميائية مسكوت عنها تكشف بالتحليل السيميائي ، فالاختلاف مرده لخصوصية الكلام الموجه ؛ فالكلام الموجه الى الأصدقاء (أصدقاء الراوي المشارك) كلام ممكن ان يكون عبارة عن رأي خاص يطرق مسامع الجميع.

اما الكلام الموجه لذات الراوي (زوج خديجة) فهو كلام يكشف عن ضعف في شخصية الراوي (الذكر) إزاء شخصية(المرأة) ،وهو ضعف ممكن ان يستهجن من قبل الآخرين في مجتمعه الذكوري في العراق ، ويتضح بصورة جلية ماجاء على لسان الراوي(زوج خديجة): " كنت افكر أحيانا من انتصر في النهاية؟ كنت جذلان بهزيمتي امام خديجة ،وكم كنت اخشى هزيمتها وكأنها تحمل شفرة وجودي في نظراتها غير القابلة للتفسير."⁽³⁸⁾
فهذا النص أيضا حوار موجه لذات الراوي ، وهو يكشف عن هزيمته المعنوية امام زوجته خديجة، وهي هزيمة لا يجاهر بها ؛ إلا انه يكشف عنها عن طريق توجيه كلامه لذاته، فهو من الأسرار التي لا يجوز ان يباح بها؛ لانها على لسان (رجل) إزاء(امرأة).

فعلاقة المكان بالزمن علاقة تبعث على التشويق والاستمرار لدى القارئ لمواصلة فعل القراءة، ومن ثم لا وجود للزمن مستقل عن العناصر الأخرى للرواية.⁽³⁹⁾
ثالثا: المكان والوصف:

يرتبط الوصف بالمكان ارتباطا وثيقا ، فالوصف يمثل هوية المكان . وقد تجلت كثير من النماذج الوصفية للمكان في متن الرواية(متن الدراسة) من ذلك ما ذكره الراوي المشارك (كاظم) في وصفه لبيته:" كان بيتنا ... في منطقة حي العدل غربي بغداد .. وكان بيتنا كبيرا مشيدا على ألف متر مربع ، يشتمل على حديقة مساحتها مائتان وخمسون مترا مربعا ... وبنائه متداخل بغرف كثيرة وديوان للضيوف وحمامات مختلفة ملحقة بكل ذلك ومطبخين ... وكذلك ست عشرة غرفة نوم موزعة على طابقين وحارس يقوم بمهام متعددة." (40)

يطيل الراوي المشارك بضمير المتكلم(كاظم) وصفه لتفاصيل بيته ؛ ليعطي صورة عن الترف الذي يعيشه وتعيشه عائلته في كنفه ، وهو بهذا الوصف يقدم ثيمة سيميائية عن الاستقرار الاقتصادي والسياسي للبلد ككل انطلاقا من بيته أي انطلاقا من الخاص الى العام.

ان تأثير الوصف بكل انواعه كبير جدا على القارئ ، فالراوي عندما يصف المكان بدقة؛ فانه يشير الى علامة تتجلى بعلاقة الوصف بالمكان وبقية العناصر ؛ وهذه العلامة هي الدلالة التي قصدها الراوي عن وعي وادراك على وفق رؤية ما يريد بها . وللوصف وظائف عدة تتمظهر عن طريق البنية التي جاء فيها، فالوصف للمكان يحث على ثيمة الانتماء والانتماء لهذا المكان الموصوف ؛ ومن أمثلة هذه الأماكن في الرواية(متن الدراسة) ماجاء على لسان الراوي المشارك (كاظم) في وصف (السجن) وحالته الشعورية إزاء حبسه فيه:"حسنا فعلت زينب...من كان يحيا وينام ويستيقظ في السجن هو كاظم آخر او شخص آخر فكنت انسى اسمي لساعات وايام فانتبه عليه عندما يناديني السجن او شريك تعس في الأسر." (41)

في هذا النص يكشف الراوي مافعل المكان ب(كاظم) ، وكيف جعله من وجهة نظر(كاظم) عالما مغلقا ، ويحقق هوية اللانتماء للذات التي تعيش بعلاقة انفصال عن هذا المكان، وقد وصل الحال فيه الى ان ينسى اسمه، فلم يعد للهوية في هذا المكان من معنى ، فالذات تعيش حالة ضياع وتيهان لاتعرف نهايته في مكان تضيع كل الآمال فيه حتى المسجون لايعرف كم من الوقت يبقى فيه ؛ بل وكثيرون ممن في السجن لايعرف الذنب الذي اقترفه ليودع في هذا المكان المعادي للذات؛ كل ماتقدم يسلط الراوي على سجن ليس أي سجن بل هو السجن العراقي ؛ ومن ثم يأخذ الراوي المشارك (كاظم) بوصف السجن من وجهة نظره:" واستمرت أيام السجن ... وتيقنت ان علاقتي بشاهين ستستمر بل سنحيا ونخرج من هذه الحفرة المعتمدة." (42)

في النص السابق هناك بصيص أمل ل(كاظم) للخروج ممن السجن بعد ان تجلت علاقته بالمسجون (شاهين) ذي النفوذ ، وهنا يبرز السجن كعالم مختلف لكاظم عما كان يعيشه في الخارج ، الا ان المتحكم في هذا العالم كما يصوره هو (المال) الذي كان يعين(شاهين) _ احد نزلاء السجن مع كاظم _ على حياة السجن القاسية ؛ فقد كان لشاهين بعلاقات باشخاص خارج السجن يمتلكون نفوذا واموالا يغدقون الحراس (حراس السجن)

بالمال ؛ ليعيش شاهين حياة يصورها (كاظم) بانها حياة مترفة ، على الرغم من ان تهمة (شاهين) اخطر من تهمة (كاظم) وهي تشكل حزب مناوئ لحزب البعث وثورته المسيطر على دفعة الحكم انذاك ن اما تهمة كاظم فهي التستر.

اذا عالم السجن يختلف عن العالم الخارجي، فالراوي في ذلك قد وصف حياة(كاظم) قبل وبعد السجن ؛ ليقارن بينهما وكيف تمثل الأولى (الخارج) الحياة، بينما تمثل الثانية (السجن) الموت؛ فبعده عن احبابه هو موت له ، فانقطاع (كاظم) عنهم يحبهم سبب المكان (السجن) الذي حقق علاقة الانفصال لمحبيه ، وهي إقامة جبرية لارغبة للذات في الإقامة في هكذا مكان، فالذات تحقق ثيمة اللانتماء لهذا المكان ؛ ويفصح الراوي عن ذلك باستعمال ضمير المتكلم العائد على الراوي المشارك:"كنت سأجن لاشك وانا بالكاد ألملم ماتبعثر من شتات روعي وذاتي التي لم أعد اتعرف عليها ... وكيف ساعرفها من غير خديجة او سمية او جواد وقد اختلفوا من عالمنا روعي طير حر ... وقد خنقوها وحبسوها"⁽⁴³⁾.

فالذات تعيش حالة النكران ؛ بسبب المكان الذي تقيم فيه.

الخاتمة:

لكل بحث خاتمة تبين اهم ماتوصلت اليه الدراسة:

- 1- تقوم راوية (ابني اليهودي) متن الدراسة على أماكن عديدة ، التي تتمظهر الى أماكن مفتوحة ،وأماكن مغلقة؛ اذ بذلك يقدم الراوي لعالمين متناقضين تتجلى فيهما صراعات الحياة وتناقضاتها.
- 2- يكسب الوصف دلالات جديدة للمكان ؛ الا ان الوصف ليس هو من يحدد المكان فحسب ؛ بل تتعدد صور المكان على وفق علاقاته بالعناصر السردية الأخرى ضمن البنية الواحدة.
- 3- يتواشج المكان مع الشخصية تواشجا عميقا؛ لتبرز صورة سيميائية للمكان ؛اي صورة معنوية للمكان.
- 4- لايشكل المكان الاطار التي تقع ضمنه العناصر السردية الأخرى فحسب؛ بل تتمظهر بصور عدة ، كصورة الانفتاح ،والانغلاق.

1 - السيمياء ، بيار غيرو :5.

2 - ينظر الفضاء المسرحي دراسة سيميائية:13.

3 - ينظر : سيمياء براغ للمسرح دراسات سيميائية ، عدد من المؤلفين، تر: ادمير كوريه،دمشق، سوريا، د.ط، منشورات وزارة الثقافة،1997:3 و 33.

4 - ينظر: البنيوية وعلم الإشارة: 112.

5 - ينظر: الخطيئة والتكفير: 73.

6 - السيمياء :31.

- 7 - ينظر: انفتاح النص الروائي: 134.
- 8 - ينظر : مقالات ضد البنيوية: 33.
- 9 - ينظر: البنيوية التكوينية والنقد الأدبي: 49.
- 10 - ينظر: اتجاهات النقد الأدبي الفرنسي: 53.
- 11 - ينظر : الراوي والنص القصصي: 18.
- 12 - ينظر ك السيميائ: 6.
- 13 - ينظر: مدخل الى سيميائية الفيلم ،يوري لوتمان، تر: نبيل الدبس ،دمشق، سوريا، ط1، 1989: 24. وينظر: السيميائيات والتأويل مدخل لسيميائيات ش.س. بورس، سعيد بكراد ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ، ط1، 2005: 170-171.
- 14 - ينظر: بنية النص السردى: 65.
- 15 - ينظر: الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا: 167.
- 16 - ينظر :م.ن: 170.
- 17 - ينظر: بنية النص السردى: 80.
- 18 - ينظر: إشكالية المكان في النص الأدبي، ياسين النصير، بغداد ، العراق، دار الشؤون الثقافية، ط1، 1989 : 158.
- 19 - رواية ابني اليهودي: 7.
- 20 - م.ن: 15.
- 21 - م.ن: 12.
- 22 - م.ن: 13.
- 23 - م.ن: 27.
- 24 - م.ن: 29.
- 25 - م.ن: 5-6.
- 26 - م.ن: 7.
- 27 - م.ن: 19.
- 28 - م.ن: 19.
- 29 - م.ن: 28-29.
- 30 - ينظر: الفضاء المسرحي دراسة سيميائية ، اكرم اليوسف: 75.
- 31 - رواية ابني اليهودي: 58
- 32 - م.ن: 78.
- 33 - ينظر : الفضاء الروائي في(الغربة) ، محمد منيب: 23.
- 34 - ينظر ك بناء الرواية، سيزا قاسم: 44.

35 - م.ن: 7-8.

36 - م.ن: 7_8.

37 - م.ن: 8.

38 - م.ن: 11.

39 - ينظر: فضاء النص الروائي ، محمد عزام:121.

40 - م.ن: 7.

41 - رواية ابني اليهودي: 73.

42 - م.ن: 76.

43 - م.ن: 73.

فهرس المراجع:

- 1- ابني اليهودي (رواية)، كامل عبد الرحيم، دار سطور، بغداد، العراق، ط1 ، 2017م.
- 2- اتجاهات النقد الأدبي الفرنسي المعاصر، نهاد التكرلي، دار الحرية، بغداد، العراق، ط1، 1979.
- 3- إشكالية المكان في النص الأدبي، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية، بغداد ، العراق، ط1، 1989م.
- 4- انفتاح النص الروائي(النص-السياق)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان ط1، 1989م.
- 5- بناء الرواية(دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، د.سيزا احمد قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 1984.
- 6- بنية النص السردي(من منظور النقد الأدبي)، د.حميد لحداني، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1991.
- 7- البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، لوسيان غولدمان ويون باسكاوي وجاك لينهارت وجاك دوبوا وجان دوفينو ور.هيندلس، راجع الترجمة: محمد سبيلا، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1984.

- 8- البنيوية وعلم الإشارة، ترنس هوكز، ت: مجيد الماشطة، مراجعة: ناصر حلاوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1، 1986.
- 9- الخطيئة والتكفير- من البنيوية إلى التشريحية، د. عبدالله محمد الغدامي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، ط1، 1985.
- 10- الراوي والنص القصصي، د. عبد الرحيم الكردي، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط2، 1996.
- 11- السيمياء، بيار غيرو، تر: أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط1، 1984م.
- 12- سيمياء براغ للمسرح دراسات سيميائية ، عدد من المؤلفين، تر: امير كوريه، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، د.ط، 1997م.
- 13- السيميائيات والتأويل مدخل لسيميائيات ش.س بورس، سعيد بكراد ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ، ط1، 2005م.
- 14- الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، د. إبراهيم جنداري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1، 2001م.
- 15- الفضاء الروائي في الغربية (الإطار والدلالة)، منيب محمد البوريمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، د.ط، د.ت.
- 16- الفضاء المسرحي دراسة سيميائية، أكرم اليوسف، دارمشرق.مغرب، دمشق، سوريا، ط1، 1994م.
- 17- فضاء النص الروائي (مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان)، محمد عزّام، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 1996م.
- 18- مدخل الى سيميائية الفيلم ،يوري لوتمان، تر: نبيل الدبس ،دمشق، سوريا، ط1، 1989م.
- 19- مقالات ضد البنيوية، جون هال ووليام بويلور ووليامز شوبان، ت: إبراهيم خليل، دار الكرمل، عمان، الأردن، ط1، 1986م.

اشكالية الجدل ما بين المصمم والمصمم في الفكر والتفكير والفكرة دراسة تحليلية

م.د. أيسر فاهم وناس / م. محسن علاوي سالم
المديرية العامة لتربية بابل

ملخص البحث:

تسلط هذه الدراسة الضوء على المبادئ المفاهيمية للجدل كالسؤال والجواب واعداد صياغة الاخطاء والتحليل المنطقي, وبعض من الاسس العلمية التي تقدمها النظريات والابحاث والدراسات, التي تسهم في تقديم النفع والمساعدة للمصمم في اتمامه العملية التصميمية, والعمليات التي تسبقها في المرحلة الاستباقية التي تتجسد في عملية التفكير وانتاج الافكار في كل من التصميم المطبوع والضوئي, وامكانية الجدل في تقديم حلول متعددة للعملية التصميمية باعتبارها موقفا يراود له حل, وتصحيح الاخطاء والاوهام السائدة, واحالة الخطوات الاجرائية للمصمم الى ما تقدمه النظريات العلمية من مقترحات معرفية التي من شأنها ان تخدم العمل المصمم, حيث تضمنت هذه الدراسة (اشكالية الجدل ما بين المصمم والمصمم في الفكر والتفكير والفكرة) موضوعا لها, كما تم رصد هذه النقطة البحثية من قبل الباحث كونه عاملا في القطاع الخاص في نفس المجال, واستشاري في احدى مؤسسات الدولة, واستاذا له في احدى الاكاديميات, فقد لاحظ بان عملية التشوهات البصرية للأعمال المصمم كذلك عدم تأديتها لغرضها الوظيفي, نتاج لعدم رجوع المصمم الى المفاهيم العلمية المناسبة لذلك, وعدم اعتمادها كمنطلقات واسس يقوم عليها التصميم, لذا اتت مشكلة البحث وتلخصت بالتساؤل الاتي:
ما امكانية الاستفادة من مفاهيم الجدل في حل المشكلات التي يواجهها المصمم في العمل المصمم, والى اي مدى يمكن لها ان تدعم اتمام العملية التصميمية في الاعلان المطبوع والضوئي؟

Research Summary:

This study sheds light on the conceptual principles of Dialectic such as question and answer, reformulation of errors and logical analysis, and some of the scientific foundations provided by theories, research and studies, which contribute to providing benefit and assistance to the designer in completing the design process, and the processes that precede it in the proactive stage that is embodied in the process of thinking and production Ideas in both printed and optical design, and the possibility of Dialectic in providing multiple solutions to the design process as a situation to be resolved, correcting the

prevailing errors and illusions, and referring the procedural steps of the designer to the scientific theories of knowledge proposals that would serve the designed work, as these included these The study (The problem of the Dialectic between the designer and the designed in thought, thinking and idea- An analytical study) is its subject, and this research point was also monitored by the researcher being a worker in the private sector in the same field, a consultant in one of the state institutions, and a professor in one of the academies, he noticed that The process of visual distortions of the designer's work as well as the failure to perform its functional purpose, as a result of the designer's failure to return to the appropriate scientific concepts for that, and the lack of Adopting them as premises and foundations upon which the design is based, so the research problem came and was summarized by the following question:

What is the possibility of benefiting from the concepts of argument in solving the problems that the designer faces in the designed work, and to what extent can it support the completion of the design process in the print and optical advertisement?

الفصل الاول- الاطار المنهجي للبحث:

اولا- مشكلة البحث:

لا يغيب على أي باحث بان الاشكاليات الحقيقية في حقول المعرفة العلمية هي تلك التي يتم رصدها بشكل فعلي من قبل العاملين والباحثين فيها, وتكون اكثر صدقا من التي قد يفترض وجودها مسبقا على ارض الواقع, فالافتراض تابعا لاحتمال, بيد ان اليقين نتاج للرصد والوجود الفعلي الذي يضع الباحث في مواجهة مباشرة مع اشكالية بحثية يسهل عليه التحقق من نتائجها, فمن خلال عمل الباحث في مجال التصميم كاستاذ له في بعض المراكز والاكاديميات واستشاري في احدى مؤسسات الدولة في نفس المجال وكمارس له في القطاع الخاص, تتم رصد بعض من الامور التي تستحق ان تكون نقطة بحثية تسلط الضوء على الجدل الذي يتخلل العملية التصميمية, والذي يتبنى الفكر والتفكير والفكرة إشكالية فيه, في مجال الاعلان المطبوع والضوئي بشكل خاص, لذا تتلخص اشكالية البحث في التساؤل الاتي:

- ما امكانية الاستفادة من مفاهيم الجدل في حل المشكلات التي يواجهها المصمم في العمل المصمم، والى اي مدى يمكن لها ان تدعم اتمام العملية التصميمية في الاعلان المطبوع والضوئي؟
ثانيا- اهداف البحث:
يهدف البحث الحالي الى:

- 1- التوصل إلى حلول للإشكاليات التي يواجهها المصمم ، في مجال التصميم المطبوع والضوئي، من خلال المفاهيم التي تقدمها المنطلقات المعرفية للجدل.
 - 2- استخدام المفاهيم التي تقدمها النظريات العلمية الحديثة والمعاصرة كأسس ومنطلقات تخدم المصمم في عمله المصمم.
 - 3- اعادة تنظيم اليات التفكير التي تؤسس للعملية التصميمية من خلال الفكر و انواع عمليات التفكير وكيفية انتاج الافكار.
- ثالثا- اهمية البحث والحاجة اليه:

- 1- إثراء العملية التصميمية في مجال التصميم المطبوع والضوئي .
- 2- الاستفادة من نتائج النظريات العلمية في إثراء التشكيلات الفنية للتصميم المطبوع والضوئي.
- 3- تقديم حلول معاصرة في مجال التصميم المطبوع والضوئي، التي من شأنها ان تجعل العمل المصمم مؤدي لغرضه بشكل حقيقي.
- 4- تقديم تفسير لمفهوم ان التصميم الناجح هو الذي يؤدي غرضه.
- 5- تأكيد العلاقة الترابطية ما بين الفن والعلم .

رابعاً- حدود البحث:

- الحدود الموضوعية

تسلط هذه الدراسة الضوء على كل من التصميم المطبوع والضوئي.

- الحدود المكانية:

العراق - محافظة بابل (واجهات المحال التجارية - لوحات الاعلانات- واجهات المباني)

خامساً- مصطلحات البحث:

1- الاشكالية (اجرائيا):

هي الزاوية التي يسלט عليها الضوء، لبحث جانبها معين لمشكلة ما، بغية

الوصول الى حل جزئي, لذا فالاشكالية موقف دون حل, حيث انها تبقي الجوانب الاخرى للمشكلة قيد المحاولة والبحث, يوظف الباحث هذا المفهوم في رصد المعوقات التي يواجهها المصمم في العملية التصميمية.

2- الجدول (اجرائيا):

هو عملية عقلية تقوم على مبادئ الشك والاستفهام والاستدلال, وفقا لمنطلقات علمية اكثر منطقية في نظرتها ازاء الاشياء, يوظف الباحث هذا المفهوم في اثناء التصميم المطبوع والضوئي.

3- الفكر (اجرائيا):

هو وظيفة عقلية تهدف الى تحفيز الدماغ لفهم المواقف المجهولة, بغية الوصول الى بناء الافكار والتصورات بشكل واضح ومفهوم ويتصف بالمنطقية, وهو نتاج لعملية التفكير برؤية تتفق مع روح الحصر ومتطلباته, حيث يتبنى الباحث تلك المنطلقات العلمية للارتقاء بمستوى التصميم الطباعية والضوئية.

4- التفكير (اجرائيا):

هو نشاط انساني تأملي يتطلب قدرات عقلية عالية في انتاج الافكار غني المألوفة, ويقوم على استخدام كافة المعلومات الخاصة بالموقف للوصول الى افضل الحلول, عن طريق تجزئة المشكلة الى اجزاء منفصلة يسهل التعامل معها بشكل مستقل, وادراك ما بينها من علاقات او روابط تساعد في فهم بنيتها لتحديد طبيعتها ومتطلبات حلها, والاستفادة من توظيفها في مجال هذا البحث.

5- الفكرة (اجرائيا):

هي اقتراحات تدبيرية يقوم بها الدماغ كنتاج لعملية التأمل ومحاولة الوصول الى الحلول المستحدثة, بناء على جملة من العوامل التي يكتسبها الفرد في حياته, وتعتمد على مبدأ الخبرة وتستمد قوتها من بعض السمات كالفراة والتميز والحدأة والمباشرة والبساطة, وتوظيف اشتغالها في الدراسة الحالية.

سادسا- الدراسات السابقة و المرتبطة:

1- جدلية العلاقة بين البنية الوظيفية والبنية الجمالية في التصميم الداخلي: اطروحة دكتوراه تقدمت بها بدرية محمد حسن الحاج فرج الباحثة في قسم التصميم الداخلي بكلية الفنون الجميلة جامعة بغداد عام (2003), هذا فقد اقتربت هذه الدراسة من البحث الحالي في ما ياتي:

أ. اعتبار التصميم نظاما معرفيا مركبا يقوم على اسس علمية مجاورة.
ب. تغلب الجانب الوظيفي على الجانب الجمالي في بعض الحيات, وفقا لاعتبارات ومعايير خاصة بالعمل المصمم.

كما اختلفت هذه الدراسة عن البحث الحالي في الاتي:

أ. تبني التصميم الداخلي موضوعا للدراسة.
ب. تسلط هذه الدراسة الضوء على جدلية العلاقة ما بين الجانب الوظيفي والجمالي للتصميم الداخلي, بيد ان الدراسة الحالية تسلط الضوء على اشكالية الجدل ما بين المصمم والمصمم في الفكر والتفكير والفكرة.

2- جدلية المرئي واللا مرئي في الفن الاسلامي:

اظروحة دكتوراه قدمها الباحث شوقي مصطفى علي الموسوي في كلية الفنون الجميلة, جامعة بابل عام (2006), وقد اقتربت من البحث الحالي في ما يأتي:

- أ. تبني الجدل في المرئي واللا مرئي وفقا لطروحات فكرية وفلسفية.
- ب. استخدام اليات الادراك كوسيط للتدليل على المخفي.
- ت. الكشف عن الجانب المفاهيمي للمرئي واللا مرئي بحدود العلاقة الجدلية.
- ث. اعتبار الجدل علاجا لكثير من العلاقات المتداخلة بين ما هو مرئي وغير المرئي.
- ج. يمكن للجدل ان يغير مسار الرؤية التصويرية للفكر الانساني.
- ح. اعتبار الجدل محاولة للكشف عن الحقائق المخفية المحملة و بالمضامين والتصورات التي تقف خلف المواقف, كحلول تنتقل بالذهن من قضية لآخرى جديدة كنتاج وضرورة لجدلا جديدا.

هذا وقد اختلفت هذه الدراسة مع البحث الحالي فيما يأتي:

- أ. الجدل في الفن الاسلامي.
- ب. تبني حقبة تاريخية محددة بالعصر العباسي الثاني والثالث.
- ت. التعرف على الكيفية التي كان ينظر بها الفنان المسلم للمواقف عند محاولته التعبير عن الاشياء والقوى الخفية.

الفصل الثاني- الاطار النظري:

المبحث الاول- مفهوم اشكالية الجدل:

يقوم التصميم على مبادئ علمية ومنطلقات معرفية تسهم في تشكل كل مفاهيمه الاكاديمية, كما انه يتطلب دراية ومعرفة كبيرة بالنفس البشرية وميكانيكا جسم الانسان وعمل اعضائه لتحقيق بما يدعى بـ (علم التفاهم "science of understanding") كونه عملية قصدية هادفة, اضافة لعمليات التأثير والاقناع والتسويق وغيرها.

كذلك الجدل كاشكالية لا بد وان يقوم على منطلقات علمية ترتبط بالفكر والمعرفة بغية الوصول الى فهماً لحركة تطور الوجود ووعياً بماهية الأشياء, كون ان الافكار ذات الحقائق لها القدرة على مواجهة الكثير من المشاكل الخاضعة للجدل, والتي تمنح الأشياء حق التغير والتطور, حيث عدها (هيغل) اساسا لكل عمل ناجح لأنها تمثل البنية الداخلية للجدل, وتسهم في تحويل الافكار من الحالة النظرية الجدلية الى نظم يمكن حسابها بشكل فعلي. (1)

أخذ الجدل معاني متعددة عند الفلاسفة، حيث مثل عند (سقراط) صيغة السؤال والجواب على اعتبار ان المعرفة لا تدرك الا عن طريق النقاش، واعتبره (افلاطون) علم المبادئ الاولى ومكونا للحقائق الازلية، كونه منهج في التحليل المنطقي، بيد ان (ديكارت) قد حاله لمبدأ الشك ليجعل من الحقيقة قيمة عقلية التي من شأنها ان تكون المعرفة الجديدة، هذا واعتبره (باشلار) عملية تصحيح الاخطاء السابقة والاهام التي يفقد الجدل دونها خصوصته المعرفية⁽²⁾، وتحدث (هيغل) عن الفكر واصفا اياه عملية انتاج واقعية من الممكن ان تعبر عن نفسها من خلال تغيير الاشياء وايضا اوضاع الاحداث⁽³⁾.
المبحث الثاني- الفكر و التصميم:

لقد وسع الفكر بمفهوم الحدائة والمعاصرة لغة التصميم، وكان سببا ايضا في تجاهله كل المعايير الكلاسيكية، وضرب القواعد القديمة بهدف الاتيان بأخرى اكثر موانمة مع روح العصر، والاقتراب اكثر من الحرية والفرادة، والتخلي عن التعقيد والاتجاه نحو البساطة، واليقين بان عملية التعبير الصادق للظواهر لا تأتي عن طريق الميول والخيالات الشخصية، وانما من خلال اسس علمية بحته تقوم على مبادئ وقواعد تثري العملية التصميمية بكل مفاصلها بتعاملها مع النفس البشرية.

ان الفكر نتاج للتفكير والتخطيط طريقة للأخير، وان استمرار ذلك النشاط الانساني يخلق حاجة ماسة لأنموذج جديد من التخطيط، يتصف بالحركة والحيوية والانفتاح على ديناميكية العالم في ظل ثورة التكنولوجيا والمعلومات والاتصالات، الذي له القدرة على تحليل المتغيرات وتحديد البدائل المناسبة، وايجاد صيغ جديدة تنتقل به من دائرة الجمود الى الابداع.

فهو مرحلة تسبق التنفيذ وتنتهي باتخاذ القرارات المتعلقة بما يجب فعله، وفقا للتفكير المنطقي الذي يقوم على جملة من الحقائق والتحليلات، للوصول الى توقعات حكيمة لها ما يبررها⁽⁴⁾.

لذا يمثل التفكير اعلى مراتب النشاط الذهني عند الانسان، واحد العمليات العقلية والمعرفية التي تشكل بدورها جانبا راقيا من شخصية الفرد، كونه عملية استكشاف متأن للخبرة بغية الوصول الى الهدف، أي انه معالجة عقلية للمدخلات الحسية التي يتم من خلالها توليد الافكار، لاسيما انه سلوك تطوري يتغير كما ونوعا وفقا لتطور الانسان⁽⁵⁾.

ساهمت كل تلك المفاهيم في تغيير ملامح الحركة الفنية المعاصرة واتجاهاتها الفكرية، الامر الذي حتم وجود رؤية جديدة للواقع تعمل على اعادة تشكيل عقلية المصمم، لاستيعاب مزيدا من التحولات المفاهيمية في هذا المجال، خاصة بعد ظهور تكنولوجيا التقنيات الحديثة التي مكنته من الوصول لمعالجات مبتكرة لموضوعاته المصممة.

فمن البديهي ان تكون عملية ازالة الحواجز بين فروع الفن نتاجا لذلك الوجود، وتبعا لتطور العلوم والتكنولوجيا دافعا للخروج عن حدود المثالية التقليدية⁽⁶⁾.

المبحث الثالث- المنطلقات والمفاهيم العلمية للنظريات وعلاقتها بالتصميم:

على الرغم من كل ما نشأ أو يمكن أن ينشأ من مفاهيم تبلور عملية التصميم، فإن التصميم في نهاية الأمر وببساطة هو (العمل الناجح الذي يؤدي غرضه⁽⁷⁾)، أثناء محاولته إشباع حاجات الإنسان من الناحية الوظيفية والنفعية والجمالية. فقد أصبح التصميم نظاماً أساسياً في الحياة المعاصرة، وأن العناصر الكامنة داخل المصمم هي التي تدفع به إلى ترتيب الأفكار والاحاسيس أثناء محاولته إبداع الأشياء، بقدرات عقلية وفسولوجية وبيولوجية يتم من خلالها فهم العلاقات المختلفة في الظواهر داخل الحقل البصري⁽⁸⁾.

لذا ثمة أولويات يمنحها التصميم اهتماماً أكبر في عملية تحقيقه لغرضه، فإثارة الاهتمام أو الانتباه لا تتحقق كما السابق باللون الأحمر بناءً على طول الموجي، أو باللون الأصفر كونه اللون الأكثر تنبيهاً للدماغ واعتماد قواعد المنظور اللوني، وإنما يتحقق ذلك بالحركة في عناصر التصميم، التي تتفق مع ميكانيكا العين، التي تعمل بألية التتبع الحركي للخطوط بطريقة ما، كما في حركة الضوء على شكل وميض متقطع أو اشتغال الضوء من اتجاه إلى آخر وفق قيم زمنية، ولا ينفي ذلك مساندة اللون لتلك العملية، ولكن يصادر منه عامل الريادة في تحقيق الغرض.

على الرغم من التصور السائد حول أن توقف أو ضعف أحد الحواس يجبر الأخرى على تنمية قدراتها بشكل ديناميكي، إلا أن هذا التصور بقي محط تساؤل لحد الآن، فقد أظهرت الأبحاث مدى ارتباط الحواس ببعضها، فحين يتم وعي شيء عن طريق أحد الحواس، فإن كل الحواس الأخرى تنتظم بشكل ديناميكي بذلك الانطباع الحسي، وثمة الكثير من المفاهيم حول العين والبؤبؤ التي يمكن من المصمم الاستفادة منها في تشكيل تصورات حول أعماله المصممة، ك (عملية تقفي الأثر) التي تشير إلى أن العين تكون ساكنة إذا كان الشيء المنظور ساكناً ومتحركة في حالة حركته، و (عملية الوثب والارتداد والتجوال البصري) التي توضح قدرة العين في النقاط بما لا يزيد عن ثلاث كلمات منفردة أو مجاميع منفردة بحالة تشبه القفز في رياضة الوثب بملاحظتها وفهما للكلمات⁽⁹⁾. لاسيما في الحين الذي يقدر فيه بعض من الفنانين مبدأ الوضوح في الفن، فقد أثبت البعض الآخر أن عملية إخفاء جوانب من الشكل في العمل الفني تسهم في تنشيط الخيال عند المتلقي، وأن العمل الفني يشمل أكثر من مجرد رؤية بصرية، لأنه مصدر للأفكار والمشاعر والقيم والمفاهيم⁽¹⁰⁾.

ثمة كثير من المفاهيم والنظريات المعاصرة التي يمكن للمصمم استعارتها من مختلف حقول المعرفة العلمية لتطويعها بما يخدم تحقيق عمله المصمم، بل والتي يجب عليه الرجوع لها في حل ذلك الصراع الجدلي، الذي يتخلل محاولته إتمام العملية التصميمية والتي من شأنها أن تشد عقله مفاهيمياً، في تحقيقه للوظيفة والنفعية والتأثير والإقناع والرمزية وبساطة مدلولاتها في التصميم، ومن هنا تتبع مشكلة هذه الدراسة في وضعها التصميم المطبوع والتصميم الضوئي داخل دائرة البحث. المؤشرات التي أسفر عنها الإطار النظري:

- 1- ان المعرفة لا تدرك الا عن طريق النقاش بصيغة السؤال والجواب.
- 2- يعد الجدل علم المبادئ الاولى ومكنونا للحقائق الازلية, كونه منهج في التحليل المنطقي.
- 3- وسع الفكر بمفهوم الحداثة والمعاصرة لغة التصميم, وكان سببا ايضا في تجاهله كل المعايير الكلاسيكية, وضرب القواعد القديمة بهدف الاتيان بأخرى اكثر موائمة مع روح العصر.
- 4- ان الفكر نتاج للتفكير والتخطيط طريقة للأخير, وان استمرار ذلك النشاط الانساني يخلق حاجة ماسة لأنموذج جديد من التخطيط, يتصف بالحركة والحيوية والانفتاح على ديناميكية العالم في ظل ثورة التكنولوجيا والمعلومات والاتصالات.
- 5- يمثل التفكير اعلى مراتب النشاط الذهني عند الانسان, واحد العمليات العقلية والمعرفية التي تشكل بدورها جانبا راقيا من شخصية الفرد, كونه عملية استكشاف متأن للخبرة بغية الوصول الى الهدف.
- 6- ساهمت المفاهيم الحديثة في تغيير ملامح الحركة الفنية المعاصرة واتجاهاتها الفكرية, الامر الذي حتم وجود رؤية جديدة للواقع تعمل على اعادة تشكيل عقلية المصمم, لاستيعاب مزيدا من التحولات المفاهيمية في هذا المجال, خاصة بعد ظهور تكنولوجيا التقنيات الحديثة التي مكنته من الوصول لمعالجات مبتكرة لموضوعاته المصممة.
- 7- ان التصميم الناجح هو العمل الخلاق الذي يؤدي غرضه.
- 8- ان اثاره الاهتمام او الانتباه لا تتحقق كما السابق باللون الاحمر بناء على طوله الموجي, او باللون الاصفر كونه اللون الاكثر تنبيها للدماغ واعتماد قواعد المنظور اللوني, وانما يتحقق ذلك بالحركة في عناصر التصميم, التي تتفق مع ميكانيكا العين, التي تعمل بآلية التتبع الحركي للخطوط بطريقة ما, كما في حركة الضوء على شكل وميض متقطع او اشتغال الضوء من اتجاه الى اخر وفق قيم زمنية, ولا ينفي ذلك مساندة اللون لتلك العملية, ولكن يصادر منه عامل الريادة في تحقيق الغرض.
- 9- اظهرت الابحاث مدى ارتباط الحواس ببعضها, فحين يتم وعي شيء عن طريق احد الحواس, فان كل الحواس الاخرى تنتظم بشكل ديناميكي بذلك الانطباع الحسي.
- 10- تشير عملية تفقي الاثر الى ان العين تكون ساكنه اذا كان الشيء المنظور ساكنا ومتحركة في حالة حركته.
- 11- تؤكد عملية الوثب والارتداد والتجوال البصري, قدرة العين في التقاط بما لا يزيد عن ثلاث كلمات منفردة او مجاميع منفردة بحالة تشبه القفز في رياضة الوثب بملاحظتها وفهما للكلمات.

12- اثبت البعض من الباحثين ان عملية اخفاء جوانب من الشكل في العمل الفني تسهم في تنشيط الخيال عند المتلقي.

13- ثمة كثير من المفاهيم والنظريات المعاصرة التي يمكن للمصمم استعارتها من مختلف حقول المعرفة العلمية لتطويعها بما يخدم تحقيق عمله المصمم.

الفصل الثالث- اجراءات البحث

اولا- مجتمع البحث:

اطلع الباحث على ما معروض على واجهات المحال التجارية ولوحات الاعلانات, والمحددة دراستها فيما يتعلق بالمصمات المطبوعة والضوئية في محافظة بابل، ونظراً لكثرة أعداد واشتراكها بنفس الصفات والسمات والملاحظات ، فقد أفاد الباحث في اطلاعه على مجتمعه وتحديد عينته بما يغطي هدف البحث .

ثانيا- عينة البحث:

بعد انتهاء الباحث من المؤشرات التي انتهى إليها الإطار النظري للبحث ، قام باختيار عينة البحث وتصنيفها بحسب نوعها وجنسها ومكان وجودها وطريقة عرضها كما جاء في حدود البحث، و بناء على هذا التصنيف تم اختيار نماذج من المصمات المطبوعة والضوئية، بوصفها عينة البحث والتي بلغت أعدادها (20) تصميم ، ونظراً لاشتراكها بنفس الصفات والسمات والملاحظات تم اختيار وعرض ثلاث تصاميم بشكلًا قصدياً لما لها من صلة بهدف البحث منها مطبوعة وخرى ضوئية ووفقاً للمسوغات الآتية :

1. تعطي التصاميم المختارة من حيث أساليبها وآلية اشتغالها فرصة للكشف عن الاسس والمنطلقات العلمية التي قامت عليها تلك التصاميم.
2. تنوع النماذج المختارة من حيث النوع والمكان وطريقة العرض .
3. اختيار التصاميم المعروفة والاكثر شهرة وتميز في محافظة بابل.

ثالثا- اداة البحث:

من اجل تحقيق هدف البحث والكشف عن عوامل الجدل في الفكر والتفكير والفكرة ومدى استخدام الاسس والمنطلقات العلمية في التصاميم المطبوعة والضوئية, اعتمد الباحث المؤشرات التي انتهى إليها الاطار النظري ، بوصفها اداة للبحث .

رابعا- منهجية البحث:

يتبع البحث المنهج الوصفي والتحليلي ويتم هذا البحث في فصل واحد يتضمن الجانبين النظري والدراسة التحليلية.

1- الجانب النظري:

تتبع الاسس والمنطلقات البنائية للتصميمات المعاصرة ,من خلال ما تقدمه الابحاث و النظريات الحديثة والمعاصرة من مفاهيم ومنها: ميكانيكا العين والدماغ, توجيه

السلوك, الخطاب العاطفي, الاشهار والدعاية والاعلان) بما يخدم الفكر والتفكير والفكرة في التصميم المطبوع ووالضوئي, التي قامت عليها التصاميم المختارة, لتحديد عوامل الجدل فيها والتي امست سببا مساهما بشكل فاعل في عدم تحقيقها لاغراضها, كون ان التصميم عملية تقوم على مبادئ فنية و منطلقات علمية تتفق مع ميكانيكا جسم الانسان وحواسه, ولكونه عملية تخطيط تسبق التنفيذ, بهدف انتاج الافكار بفلسفة تلائم حاجة العصر وما تمليه المفاهيم التي تقدمها النظريات العلمية والدراسات الحديثة والمعاصرة, لوضع المعايير الصحيحة للتصاميم في مثل تلك المواقف بشكل عام في العراق, و الاستفادة من التجارب و المفاهيم العملية التي تمنحها مختلف حقول المعرفة, كذلك توضيح اسباب النجاح الذي من الممكن ان تكتب للمصمم ومسببات الاطاحة بعمله المصمم, وتوضيح اهمية علاقة الارتباط ما بين العلم والفن ايضا, اضافة الى تغيير السلوكيات والمفاهيم السائدة المبنية على اسس فنية قديمة.

لذا قام الباحث بدراسة نظرية فيما تقدم, من خلال التطرق للمنطلقات التي تقدمها النظريات العلمية وما تمنحه من مفاهيم ساهمت في تقدم التكنولوجيا والتي حتمت بدورها تغير الاسس والمبادئ التي ينظر من خلالها الى التصميم, وتوضيح اهمية ذلك في حل المشكلات التي يواجهها المصمم بما يمنحها النجاح وتأديتها غرضها الوظيفي في التصميمات المطبوعة والضوئية الموجودة في واجهات المحال التجارية ولوحات الاعلانات ووجهات المباني.

2- الجانب العملي(التحليل):

أعتمد الباحث في محاولة كشفه عن عوامل اشكالية الجدل في الفكر والتفكير والفكرة, بالتصميمات المطبوعة والضوئية, تحليل وتفكيك عينه من التصاميم المستخدمة في واجهات المحال التجارية ولوحات الاعلانات ووجهات المباني في محافظة بابل, بالاستعانة ببرنامج " Photoshop " الذي يتيح ويسهل ذلك, بهدف التحقق عن مدى استخدام المصمات المشار لها سلفا للمنطلقات والمفاهيم التي يجب اعتمادها في تحقيق اهدافها ووظائفها.

وشمل ذلك تفكيك وتحليل التصميمات المطبوعة والضوئية, لرصد المعايير العلمية الصحيحة التي تقوم على مفاهيم النظريات والدراسات الحديثة والمعاصرة, بما يتفق مع جعل العمل مصمم مؤد لغرضه الوظيفي بشكل فاعل وحقيقي وبمعزل عن التصورات, من خلال ما توصل إليه وأقترب منه من أسس ومبادئ ومفاهيم علمية حديثة ومعاصرة, والاخذ بنظر الاعتبار القيم جمالية ووظيفية التي يجب ان يتسم بها التصميم على اعتباره فعلا قصديا موجه, بناء على ما تقدم تستعرض الدراسة تلك النماذج التي تم تحليل بنيتها وتفكيك عناصرها بغية الاستكشاف والكشف عن العوامل المشار لها سلفا وعلى النحو الاتي:

خامسا- تحليل عينة البحث:
- الانموذج الاول:



توضح الصورة الاعلان الضوئي الخاص بمركز بروتين كوزميتيك لمستحضرات التجميل

(Protein For Cosmetics)

المكان (العراق - محافظة بابل - شارع 40)

ان هدف أي اعلان هو الافصاح عن الهوية وطبيعة وظيفة المكان الذي يمثله, وان القاعدة في التصميم تنص على وجوب ارتباط التصميم بارض التصميم, أي لا يجوز عزل التصميم عن بيئته, فثمة نظاما ايكولوجيا يربط الاشياء ببعضها, فللجزء علاقة بالجزء الاخر وللجزء علاقة بالكل ولكل علاقة بالمحيط.



توضح الصورة عملية تحليل وتفكيك الاعلان الخاص بالعينة الحالية

وبعد تحليل وتفكيك العينة الحالية يتبين الآتي:

- 1- وجود ثلاث إعلانات في مكان واحد.
 - 2- أن التقارب ما بين الإعلانات الثلاث حتم عليها جميعا أن تكون في طلة ومشهد واحد.
 - 3- اشتراك الإعلانات بالألوان والقاعدة (الخلفية), خلق إحساسا بالعنادية الواحدة وعدم الانفصال.
 - 4- أن الاشتراك في المشهد الواحد وعدم الانفصال سبب إرباكا للمتلقي على الصعيد الفني والوظيفي.
 - 5- أن التقارب والاشتراك في الألوان والخلفية والمكان سبب إرباكا بصريا للمتلقي, جراء كثرة العبارات والعناصر, مما يشنت الانتباه.
 - 6- أن مكان عرض الإعلان ذو ثقافة عربية, فلا يجوز استخدام عبارات بغير لغة المكان.
 - 7- كون أن ثقافة المكان عربية, لا يشترط على كل الأفراد إجادة اللغة الانكليزية, فالإعلان بهذا يكون بمثابة طلاس غير مفهومة الدلالة.
 - 8- منح السيادة للعبارات الانكليزية وتفضيلها على العبارات العربية, وهذا يتقاطع مع الأسس الفنية وعلاقتها بقابليات واستجابات الأفراد في المجتمع, وعدم اعتزاز باللغة العربية والغاء لها.
 - 9- عدم تضمين الجزء الخاص ببروتين كوزميتك اسما عربيا.
 - 10- عدم استخدام رموزا دلالية ترتبط بوظيفة المكان بشكل واضح.
- ثانيا- النموذج الثاني:



توضح الصورة اعلانا ضونيا لإحدى مراكز بيع الاثاث في محافظة بابل شارع 60

الاسم \ ابا صوفيا



توضح الصورة تحليل وتفكيك عناصر اعلان العينة الحالية وما يجاورها في المكان

بعد تحليل وتفكيك العينة الحالية يتبين الاتي:

- 1- ان الاسم دخيل على المكان ولا يمت له بصلة.
- 2- ان الاسم لا يرتبط بوظيفة المكان ولا يعرب عن هويته.
- 3- عدم تضمين الاعلان رمزا دلاليا يوضح وظيفة المكان.
- 4- تكرار الاسم باماكن متعددة غير مبرر ولا يدل على مهنية.
- 5- عدم استخدام الوان تميز المكان عن ما يجاوره, لاسيما ان المبنى المجاور له بشكل متلاصق, اكبر واعلى منه بكثير ويتمتع بنفس الالوان.
- 6- عدم تضمين الاعلان الضوئي جانبا حركيا, كاوميض او التناوب ليناغم ميكانيكا العين والدماغ في تحقيق لفت الانتباه.
- 7- عملية اختيار لون الاعلان غير موفقة, ولا ترتبط مع طبيعة المنتج الذي يتم بيعه في هذا المكان.

ثالثا- الانموذج الثالث:



توضح الصورة اعلانين احدما طباعي والآخر ضوئي لمبنى ماكسي مول



توضح الصورة عملية تحليل وتفكيك عناصر اعلان العينة الحالية

ثلاثة عشر- نتائج البحث:

- 1- يقدم الجدول حلول منطقية للإشكاليات التي يواجهها المصمم في عملية التصميم.
 - 2- يمكن الاستفادة من المفاهيم التي تقدمها النظريات العلمية والابحاث والدراسات الحديثة والمعاصرة من مختلف حقول المعرفة العلمية في ايجاد الحلول المناسبة للإشكاليات العمل المصمم.
 - 3- ان المبادئ القديمة للفن امست غير مجدية بالضرورة في ايجاد الحلول المناسبة للمصمم.
 - 4- لا يعتمد نجاح العمل المصمم على الميول والآراء الشخصية، بل على اسس ومفاهيم علمية محددة.
 - 5- على المصمم ان يولي اهتمامه الاكبر لعمليات التفكير وانواعه واليات اشتغاله.
 - 6- يقوم التصميم على مبادئ ومنطلقات علمية اكثر من الفنية.
 - 7- لا يمنح الجمال بالضرورة عامل النجاح في التصميم .
 - 8- ان التصميم عملية قصدية ذات طابع نفعي، ويختلف في ذلك عن الفن.
 - 9- ان اللغة لا تشترط بالضرورة مساهمتها في ايصال المفاهيم في التصميم.
- اربعة عشر- التوصيات:
- 1- متابعة البحث والدراسة في العلوم والمعارف المختلفة بما يخدم العملية التصميمية.
 - 2- اتخاذ طرق تعلم التفكير منهاجا ومقررا دراسيا في قسم التصميم في كلية الفنون الجميلة.

- 3- اعتماد علم الاشهار منهاجا ومقررا دراسيا في قسم التصميم في كلية الفنون الجميلة.
- 4- توجيه دارسي التصميم الى تعلم اليات اشتغال الدماغ والذاكرة وميكانيكا العين في كلية الفنون الجميلة.
- المصادر والمراجع:
- 1- بدرية محمد حسن الحاج فرج: "جدلية العلاقة بين البنية الوظيفية والبنية الجمالية في التصميم الداخلي", اطروحة دكتوراه, كلية الفنون الجميلة, جامعة بغداد, العراق, 2003.
 - 2- شوقي مصطفى علي الموسوي: "جدلية المرئي واللا مرئي في الفن الاسلامي", اطروحة دكتوراه, كلية الفنون الجميلة, جامعة بابل, العراق, 2006.
 - 3- ماركيز هيربرت: "نظرية الوجود عند هيغل أساس الفلسفة التأريخية", ترجمة إبراهيم فتحي, ط1, دار التنوير للطباعة والنشر, بيروت, 1984.
 - 4- حسين محمد جواد الجبوري: "التخطيط الاستراتيجي في المؤسسات العامة, فكر معاصر ومنهج علمي في عالم متجدد", دار صفاء للنشر والتوزيع, ط1, الاردن, 2013.
 - 5- حسين محمد جواد الجبوري: "تعليم التفكير, رؤية استراتيجية للتجدد والابداع", دار المعارف للمطبوعات, بيروت - لبنان, 2012.
 - 6- ايسر فاهم وناس: "مورفولوجيا التصميم البارامتري كمدخل لإثراء الاشكال المتعددة الاسطح", اطروحة دكتوراه, كلية التربية الفنية, جامعة حلوان, القاهرة, 2016.
 - 7- محيي الدين محمد وهبة: "نظرية العمارة الداخلية", ط1, دار العلوم للنشر والتوزيع, مصر, 2009.
 - 8- اسماعيل شوقي اسماعيل: "التصميم عناصره واسسه في الفن التشكيلي", ط3, الناشر المؤلف, مصر, 2005.
 - 9- توني بوزان: "العقل واستخدام طاقته القصوى", ترجمة الهام الخوري, ط1, دار الحصاد للنشر والتوزيع, سوريا, 1996.
 - 10- محسن عطية: "التجربة النقدية في الفنون التشكيلية", عالم الكتب, مصر, 2011.

(1) بدرية محمد حسن الحاج فرج: "جدلية العلاقة بين البنية الوظيفية والبنية الجمالية في التصميم الداخلي", اطروحة دكتوراه, كلية الفنون الجميلة, جامعة بغداد, العراق, 2003, ص(1-10).

(2) شوقي مصطفى علي الموسوي: "جدلية المرئي واللا مرئي في الفن الاسلامي", اطروحة دكتوراه, كلية الفنون الجميلة, جامعة بابل, العراق, 2006, ص (5-6).

(3) ماركيز هيربرت: "نظرية الوجود عند هيغل أساس الفلسفة التأريخية", ترجمة إبراهيم فتحي, ط1, دار التنوير للطباعة والنشر, بيروت, 1984, ص7.

(4) حسين محمد جواد الجبوري: "التخطيط الاستراتيجي في المؤسسات العامة, فكر معاصر ومنهج علمي في عالم متجدد", دار صفاء للنشر والتوزيع, ط1, الاردن, 2013, ص(21-29).

(5) حسين محمد جواد الجبوري: "تعليم التفكير, رؤية استراتيجية للتجدد والابداع", دار المعارف للمطبوعات, بيروت - لبنان, 2012, ص(11-21).

(6) ايسر فاهم وناس: "مورفولوجيا التصميم البارامتري كمدخل لإثراء الاشكال المتعددة الاسطح", اطروحة دكتوراه, كلية التربية الفنية, جامعة حلوان, القاهرة, 2016, ص(2-4).

(7) محيي الدين محمد وهبة: "نظرية العمارة الداخلية", ط1, دار العلوم للنشر والتوزيع, مصر, 2009, ص2

(8) اسماعيل شوقي اسماعيل: "التصميم عناصره واسسه في الفن التشكيلي", ط3, الناشر المؤلف, مصر, 2005, ص(1-17).

(9) توني بوزان: "العقل واستخدام طاقته القصوى", ترجمة الهام الخوري, ط1, دار الحصاد للنشر والتوزيع, سوريا, 1996, ص (82-109).

(10) محسن عطية: "التجربة النقدية في الفنون التشكيلية", عالم الكتب, مصر, 2011, ص(6).

الدولة العميقة في العراق ما بعد 2003م

م. خلود عبد الكريم خلف
جهة العمل / الجامعة المستنصرية

مقدمة

شهدت العراق منذ الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣ تغيرًا جذريًا في كافة المسارات والأصعدة لا سيما مسار السياسة الدولية والإدارة الاستراتيجية المحلية، وترتب على ذلك سقوط أجهزة الدولة، ودخلت في عاصفة من العنف المسلح.

وعلى الرغم من جلاء الاحتلال الأمريكي منذ ٢٠١١؛ إلا أن آثاره السلبية ما زالت موجودة في مكونات وسياقات السياسة العراقية، حيث تشير الإحصائيات إلى أن العراق في مقدمة الدول التي ينتشر بها الفساد السياسي والمالي، وتشير أصابع الاتهام في هذا الصدد إلى القوى العميقة، أو الدولة العميقة المسيطرة على الساحة السياسية العراقية، وخاصة من بعد عام ٢٠١٤ الذي شهد ظهور تنظيم "داعش" الإرهابي؛ ولذا نعرض من خلال ورقات البحث التالية مكونات الدولة العميقة عموماً وفي العراق خصوصاً، نظراً لخطورتها في مسار العلاقات السياسية والإنسانية.

أهمية البحث:

تعود أهمية البحث إلى طبيعة العلاقات العراقية التاريخية والسياسية مع الدول المجاورة، وقد شهدت حقبة ما بعد ٢٠٠٣ م تغيرًا جذريًا وتوترًا في أعماق العلاقات الدولية الإقليمية، ومن مقتضيات هذه الورقة البحثية التعرض لهذه التغيرات والتوترات، ومن هنا تكمن أهمية البحث في شقين أساسيين، وهما العملي والعلمي:

أ - الأهمية العملية: يعتبر البحث محاولة للمساهمة في إيجاد بدائل عملية تكتيكية من شأنها تعمل على تطوير العلاقات السياسية لإدارة العراقية، وصد التدخلات الدولية، وتوحيد صف القوى السياسية الوطنية في مواجهة التكتلات الأخرى التي تراعي مصالحها الخاصة على حساب جموع الشعب العراقي.

ب - الأهمية العلمية: وتكمن في المساهمة في تطوير النظم والأدوات البحثية في حقل العلوم السياسية المعاصرة، من خلال انتهاج الأدوات البحثية المتعارف عليها أكاديميًا، لتتبلور في النهاية مرجعاً أدبيًا سياسيًا يمكن أن يعتمد عليه الباحثون والدارسون المهتمون بالدراسة والبحث في وسياقات العلاقات السياسية، وتطوراتها لا سيما تلك المتعلقة بمنطقة الشرق الأوسط.

مشكلة البحث:

تتضح مشكلة البحث التي نسعى لمعالجتها، من خلال الإجابة على السؤال البحثي الرئيس وهو: هل هناك دولة عميقة في العراق بعد ٢٠٠٣؟ وما ينبثق عنه من أسئلة فرعية أخرى، مثل:

- ما الدولة العميقة، وما خصائصها، وأدواتها؟
- ما مظاهر الحياة السياسية في العراق بعد ٢٠٠٣؟
- إذا كانت هناك دولة عميقة في العراق فما هي مظاهرها واستراتيجيتها؟

منهجية البحث:

تعتمد هذه الورقة البحثية على المنهج الوصفي التحليلي، حيث نقوم بجمع الأدبيات السابقة المتعلقة بعناصر البحث وقراءتها قراءة متأنية، ورسينة، وتحليلها علمياً.

محاور البحث:

- المبحث الأول: محددات الدولة العميقة.
- المطلب الأول: مفهوم الدولة العميقة النشأة والتطور.
- المطلب الثاني: سمات، وخصائص الدولة العميقة.
- المبحث الثاني: الدولة العميقة في العراق ما بعد ٢٠٠٣.
- المطلب الأول: الأحوال العراقية.
- المطلب الثاني: الدولة العميقة في العراق بعد ٢٠٠٣.

المبحث الأول: محددات الدولة العميقة:

المطلب الأول: مفهوم الدولة العميقة النشأة والتطور

يكثر استخدام مصطلح "الدولة العميقة Deep State" في السياقات السياسية المعاصرة، وعلى الرغم من أن كثير من الباحثين يرجعون بدايات بلورة المصطلح إلى مراحل زمنية قديمة قدم الوجود الإنساني لا سيما عند الغوص في تعريف هذا المصطلح من وجهة نظر هؤلاء، ويدلل أصحاب نظرية تأريخ الدولة العميقة إلى العصور القديمة بارتباط المصطلح من حيث محتواه المفاهيمي مع بعض أشكال العلاقات، والتفاعلات السياسية قديماً، وهناك من يؤكد أو يرى أن الدولة العميقة من المصطلحات حديثة النشأة، والعهد بتطور العلاقات الدولية، وفي مقتبل الثورات والأحوال المتجددة التي شهدتها الساحة السياسية في مقتبل القرن العشرين⁽¹⁾، لذا فهناك حاجة إلى بيان الأطر المفاهيمية النظرية، والتاريخية للدولة العميقة.

ماهية الدولة العميقة النشأة والتطور: يمثل مفهوم الدولة العميقة بعض الإشكالات والالتباس في العلاقات السياسية ليس فقط كونه من المصطلحات المعقدة والفضفاضة إلى

حد ما⁽²⁾، ولكن فضلاً على ذلك تتشابه إلى حد كبير ببعض المفاهيم الأخرى، كمثل مفهوم الدولة الموازية، أو حكومة الظل على سبيل المثال⁽³⁾.

أما بالنسبة لمفهوم الدولة العميقة فغالبًا ما يستخدم في وصف الأوضاع السياسية الفاسدة المتعلقة بانعدام الشفافية، وتوطين البيروقراطية والحد من إدخال المعالجات الديمقراطية في الأطر العامة للخطط الإدارية للدولة؛ فضلاً عن إضافة عوامل أخرى، وحدود متنوعة لمفاهيم الدولة العميقة قد تكون حالات فردية، فتؤدي في النهاية في معظم الأحوال إلى وجود صعوبة حتمية تتلخص في تعميمه على جميع الدول التي تشير أصابع الاتهام إليها بوجود مرتكزات دولة عميقة بها⁽⁴⁾.

ظهرت سياقات الدولة العميقة في الساحات السياسية بدايات القرن العشرين وتحديداً عام ١٩٢٣، بمناسبة ما شهدته تركيا من التحركات العسكرية السرية التي قام بها "مصطفى كمال أتاتورك"، وسعت إلى السيطرة على الدولة التركية بعد سقوط الإمبراطورية العثمانية آنذاك، وتألقت المجموعات المؤيدة لنشاطات "أتاتورك" من أفراد وضباط الجيش والشرطة، بالإضافة إلى رجال أعمال، وإعلام، وسياسة، وتبع هذه التحركات أحداث أعمال عنف، وقتل في حق كل من عارض المشروع العلماني لمصطفى كمال، إذ شمل قتل المزيد من أعضاء الأحزاب ورجال الإعلام والأفراد⁽⁵⁾.

وسرعان ما انتشر هذا المصطلح بعد استخدام بعض الساسة من الولايات المتحدة له في وصف الحالة التركية، وانتشر مصطلح الدولة العميقة على أثر ذلك في الاتحاد السوفيتي بعد قيام بعض كبار قادة الشرطة والسياسة والمخابرات بتشكيل تحالف سري يرمي إلى السيطرة على الحزب الحاكم، يحركه هؤلاء تحقيقاً لمصالحهم التي كانت تحت غطاء سياسي، إلى أن وصفت هذه التحركات كمثل دولة داخل دولة، وكان ذلك في مقتبل حقبة سبعينيات القرن العشرين⁽⁶⁾.

وانتشرت بعد ذلك مكونات، ومضامين الدولة العميقة لكثير من دول الشرق الأوسط والدول العربية، ويرى بعض الباحثين أن الدولة العميقة متأصلة في السياسة الأمريكية قديماً عبر اللوبي الصهيوني، وبذلك كانت أولى بدايات الدولة العميقة بشكل تطبيقي في السياسة الدولية، حيث تركزت معظم أعمال القائمين على مقتضيات الدولة العميقة في تنظيمات سرية، أو تسعى إلى السرية في أجهزة بسيطة للغاية تعمل بشكل مشروع، أو غير مشروع. وبطبيعة تطور الأحوال السياسية، وخصوصاً بعد انتهاء الحرب الباردة، وسقوط الاتحاد السوفيتي، والتحول إلى عالم يحكمه اتحاد أحادي القطب الولايات المتحدة الأمريكية- تغيرت الأوضاع، وخصوصاً في منطقة الشرق الأوسط الملتهبة سياسياً وعسكرياً، وترتب على ذلك ظهور كيانات جديدة أكثر عمقاً، وأكثر تنظيمياً، وتنوعاً، وانتشاراً تسعى وتبذل جهوداً مضنية لأجل السيطرة على أجهزة الدولة الرسمية، وأخذ مزيد من الصلاحيات، والامتيازات؛ وليكون ذلك وفقاً للأطر الشرعية، والرسمية في بعض الأحوال ولكن بأساليب ملتوية، وفي بعض الأحيان لم يمكن توقعها⁽⁷⁾.

ويعتبر أول استخدام للمصطلح بشكل شبه رسمي عام 1997 في جريدة "نيويورك تايمز" كوصف للحالة التركية حينها، وعرفت بأنها: "مجموعة من القوى الغامضة التي يبدو أنها تعمل بعيدا عن القانون"⁽⁸⁾.

وتعرف الدولة العميقة عند البعض بأنها: "دولة غير مرئية، وسرية، وتوازي الحكومة الشرعية في أعمالها وتتصف هذه الأعمال بغير القانونية"⁽⁹⁾.

ويلاحظ أن هذا التعريف لم يتطرق إلى آليات الدولة العميقة وأساليب ليمن التفرقة بينها، وبين الدولة الشرعية، فضلاً عن معرفة ما هي القوة التي تستمد منها القوة والسرية في أعمالها، فليس من المفترض أن نطلق على فرد أو مجموعة تهمة ما ونجعله خارج إطار القانونية بدون أن نعلم وصف الشخص معنوياً واعتبارياً، والقانون المطبق الذي اخترقه هذا الكيان لا سيما تكتلات الدولة العميقة طبقاً للمفاهيم والتعاريف السابقة.

وشهد مصطلح الدولة العميقة عند البعض مزيداً من الإيضاح يفصل النواقص في التعاريف السابقة، حيث ضم إلى مرتكزات الدولة العميقة الجهات الغامضة كضباط الشرطة الذين في الخدمة، أو حتى خارجها، فضلاً عن تكتلات المجتمع المدني وعدد لا يمكن إحصاؤه داخل المؤسسات الإدارية للدولة والقطاعات الاقتصادية الاستراتيجية، وهذا كله في سبيل تحقيق المصالح الضيقة لهؤلاء على حساب الدولة، فقد تصل الدولة العميقة إلى مرافق عامة كانت في السابق بعيدة كل البعد عن الصراعات التي تفرضها الحاجة الذاتية الضيقة، كمرفق القضاء الذي أضحي من ضمن مكونات الدولة العميقة إذا ما كان له مصلحة ما بجانب مجموعات أخرى⁽¹⁰⁾.

وتهدف الدولة العميقة إلى إقامة اتفاقيات سرية متشابكة حسب الحاجة، وخلق حالة من النزاع بأشكاله وبخاصة العسكري لبسط نفوذها، وتنفيذ مصالحها بجانب السيطرة على الأموال، والموارد الاقتصادية، والآلة الإعلامية والسياسية، وبالتالي تشيع حالة من الغموض لا سيما فيما يخص ما إذا كانت تسعى لتحقيق مصالحها فقط أم تحقيق مصالح الدولة، والمجتمع بجانب ذلك. وتظهر معظم مؤشرات الدولة العميقة في نماذج الدول التي تسعى إلى بلوغ التحولات الديمقراطية، عبر الأجهزة الإدارية المعترف بها، ولكن بفضل نشاطات المجموعات ذوي المصالح الشخصية المتشابكة يناهضون فكرة التحول الديمقراطي؛ لأن هذا يعد خطراً محدقاً لأصحاب النفوذ والسلطة الذين يسعون إلى السيطرة على تدبير الدولة تحقيقاً لمصالح شعبها⁽¹¹⁾.

وجدير بالذكر أن الدولة العميقة برغم أنها عبارة عن مجموعات لها مصالح داخل الدولة أي أن القائمين على الدولة العميقة لهم توجيه داخلي سري كالنموذج التركي والروسي، ولكن بفضل تشابك العلاقات، والعولمة، والسياسية العالمية أضحي للدولة

العميقة مرتكزات ومصالح خارجية، فنرى التجمعات العسكرية، والتحالفات السياسية، والإعلامية توجه من الخارج تحقيقاً لاتجاهاتهم ولبسط نفوذ الدول المتداخلة⁽¹²⁾.

وهناك من رأى أن الدولة العميقة تشمل صوراً أخرى وبخاصة تلك المتعلقة بالولايات المتحدة الأمريكية، إذ تعتمد رؤيتهم على أن الدولة العميقة قد لا تكون تحالفات سرية يحيطها الغموض، بل معلنة، وقد لا تكون متآمرة، بل هي على الرغم من كونها دولة داخل دولة فهي تعد من مكونات الدولة الرامية إلى النفع العام، مع مراعاة مصالحهم في الأساس، وأن القائمين على مثل هذه النماذج من الدولة العميقة ليس لديهم هدف واحد، وأنهم يمتدون عبر الجهاز الإداري في الدولة إلى أن يصلوا إلى القطاعات الخاصة⁽¹³⁾.

بالنظر لما سبق فإن "Mike" يعتمد في تعريفه للدولة العميقة على نموذج الولايات المتحدة الأمريكية وخصوصاً وجود دولة عميقة في الإدارة الأمريكية تتكون من مجموعات من رجال الأعمال والسياسة، ولكن يأخذ عليه أنه لا يمكن الاعتماد عليه كتعميم للدولة العميقة في العلاقات الدولية والسياسية عموماً، إذا فطى الرغم من سيطرة هؤلاء على معظم القرارات المصيرية للسياسة الأمريكية وذلك في مسار وسياق تحقيق المصالح الخاصة لهؤلاء إلا أنه في الوقت نفسه يراعى المصلحة العامة للدولة وإلا ما استطاعت الولايات المتحدة أن تكون القوة العظمى على رأس النظام العالمي.

ومن هنا فإن معظم الباحثين على أن الدولة العميقة هي قوة تعمل تحت نطاق النظم الدستورية والقانونية في غالب الأحوال، وأنها أكثر قوة في السيطرة على الدولة، وأكثر انتشاراً من الأعضاء الحاكمين الممثلين للجهاز الإداري للدولة، وتكون موحدة ومنتاسكة، بحيث تكون متجذرة في أجهزة الدولة، وتستخدم نفوذها لتطبيق وتنفيذ جدول أعمالها، ولكن تسعى في النهاية إلى السيطرة على المقدرات السياسية، وموارد الدولة، ليتمكنها استخدام كليهما في توطين قواعدها وكثيراً ما تفوض أعضاء المرافق العامة كالبرلمان، والقضاء، وكافة الأجهزة الإدارية⁽¹⁴⁾.

وتأسيساً على ما سبق يرى البعض أن الدولة العميقة بسياقاتها السابقة ليست من المصطلحات الحديثة، ولكن تبقى نقطة الاهتمام الدولي بمكونات الدولة العميقة بفضل التجربة التركية منذ نشأة لجنة الاتحاد والترقي التي ساعدت في إنشاء تحالف سري من مجموعة طلاب عام ١٨٨٩ بغرض إدخال بعض الإصلاحات في الدولة العثمانية وظهر ذلك جلياً في عام ١٩٠٨، وفي الأعوام التالية من سقوط الدولة العثمانية⁽¹⁵⁾.

المطلب الثاني: خصائص الدولة العميقة:

على الرغم من اتفاق الكثير من المهتمين بالبحث في النظم السياسية على الخطوط العامة للدولة العميقة إلا أن قلة من الباحثين الغربيين ينظرون إلى أن هذه الدولة الداخلية ليست سلبية بالضرورة، فهناك دولة داخل دولة في الولايات المتحدة الأمريكية تأخذ

المسارات الإيجابية في إدارة مصالحها والأمة معاً، ولتفكيك اللغظ في المفهوم نبين الخصائص العامة التي اتفق عليها معظم الباحثين .

أ - الغموض والسرية: إن الورقة الراححة للقوى العميقة هي الابتعاد عن مرأى عامة الناس لكي يتسنى لها تحريك الحكومات كالدمى، فالملاحظة المستمرة قد تسبب في إحراق هذه القوى وإحراجها، ليس من قبل الإدارة؛ فالإدارة حينها تكون أداة في يد هؤلاء لا حول لها ولا قوة، بل تخشى من الانفجار الشعبي في وجوههم، لأن من مراحل ظهور الدولة العميقة في خضم التحولات السياسية والاتجاه نحو الديمقراطية⁽¹⁶⁾.

ب - الفساد: إن انتشار الفساد بشتى صورته وأنواعه هو البيئة الخصبة لرجال لدولة العميقة لإيجاد فرصة ذهبية للشراء الشخصي أو المنفعة الذاتية، فهي سمة وخصيصة من خصائص الحالة العميقة، وهي اختراق وانتهاك القانون⁽¹⁷⁾. وتسعى في تلك البيئة نحو تحقيق أهدافها، والانتشار الأفقي والرأسي في آن واحد فتعتبر نفسها في هذه الحالة الوصية على الأحوال، والمقدرات الوطنية، وإنها بذلك جديرة بالرفع، وإعلاء دور الوطن، وتبقي العداء لمعارضيه الداخليين ولعامة الناس، فيمكن لها الاستئثار بالسلطة دون أدنى محاسبة⁽¹⁸⁾.

ج - الفوضى: تستفيد القوة العميقة من تدهور الأوضاع الأمنية لدى الدول التي لا تملك قدرة كافية في السيطرة على التراب الوطني، وبخاصة التي تقع في حيز المناطق الملتهبة سياسياً وأمنياً، فنتشر بعد ذلك القوى المسلحة سواء المدعومة داخلياً، وغالب الأحوال خارجية فيظهر تشابك المصالح فيما بينها، فهذه سمة وخصيصة أساسية للحالة العميقة في تلك الدولة⁽¹⁹⁾، لأن كلهم يسعون جاهدين إلى أخذ نصيب الأسد في السلطة، وليصلوا في النهاية إلى السيطرة على الموارد الخاصة لهذه الشعوب⁽²⁰⁾.

د - التحالفات: بالرغم من وضع القوى العميقة مصالحها نصب أعينها في المقام الأول، إلا أن ذلك لا يمنع من إقامة علاقات، وإبرام اتفاقيات بينها وبين القوى الأخرى⁽²¹⁾، لأن المحصلة الأساسية لهؤلاء هي تحييد دور الدولة، وقد تحصل تلك القوة على الشرعية السياسية، جراء خلق أمزجة من النظم القانونية التي تظهر شرعيتها، ولكن إذا نظرنا من ناحية الاتفاق الشعبي نجد أن المجتمع تم تحييده عن المشهد، وهذا كما ذكرنا ظاهراً وجلياً في الحالة العربية، والإفريقية.

جدير بالذكر أنه لا يمكن للدولة العميقة بأي شكل، أو أي حال من الأحوال أن تحافظ على السرية لفترة زمنية طويلة، إذ إنه كلما انتشرت، وتوزعت، وحصلت القوى العميقة على مزيد من النفوذ والسيطرة كلما تولت نشاطاتها أمام الناس، والعامة جميعاً، والذي يشير إلى ذلك بعض من الفضائح والانتهاكات والفظائع، كمثل أعمال الاغتيالات، والتفجير، وما إلى ذلك من أعمال عنف توجه أصابع الاتهام فيها إلى الدولة العميقة،

ولهذا قد تعمل القوى العميقة بشكل شبه رسمي، وتكون معروفة للجميع، وخاصة في المراحل المتأخرة من انتشارها واستيطانها⁽²²⁾.

ومما سبق يمكن لنا تصور الأدوات المختلفة التي تستخدمها القوى العميقة في أعمالها، ولترسخ قواعدها في أعماق الجهاز الإداري للدولة، ولتكون بذلك ثمة أمر واقع مفروض على الشعوب، والمجتمعات المسالمة التي لا يد لها، ولا سلطان في تلك التطورات والمستجدات، ويمكن سرد تلك الأدوات والاستراتيجيات على النحو التالي:

- القوة العسكرية: القوة العسكرية هي الركيزة الأساسية، للقوى العميقة، وأولى بداياتها في نشر سطوتها، والتعمق بين أجهزة الدولة، والقوات المسلحة الرسمية، والمناصب رفيعة المستوى⁽²³⁾.

- استخدام الغطاءات الطائفية، والإثنية: تستخدم الدولة العميقة الشعارات الرنانة، والحماسية، والتي في محتواها تكون عاطفية لتجذب قدرًا كبيرًا من الأمة، لتكتسب بذلك قوة ونفوذًا؛ لتحقق تقدمًا على الأصعدة كافة، وكثيرًا ما تكون هذه الخطابات التي تصدرها الدولة العميقة مضللة يقع في أثرها، وتأثيرها عامة الناس، بيد لا يتوقعون تأثيراتها إلا بعد أن تصبح القوى العميقة أمرًا واقعيًا لا مفر منها، فبالرجوع إلى ما قبل ذلك الخطة المتصدرة لهؤلاء هي الحفاظ على مقومات التكتلات البشرية لا سيما تلك المستضعفة، والتي تم تحييدها عن المشاهد السياسية، والقرارات المصيرية للأمة بمرور الزمن، ولكن بعد ذلك يتكشف للجميع أن تلك القوى جاءت لتحقيق مصالحها في المقام الأول التي كثيرًا ما تتعلق بالاستئثار بموارد الأمة⁽²⁴⁾.

- الدعم الخارجي: وهذه أداة محورية للقائمين على الدولة العميقة، فالدولة الوطنية تقع ضمن دائرة مغلقة حيث تحركها القوى العميقة كدمى، والأخيرة تحركها القوى الخارجية الإقليمية والدولية على نفس النهج، والنماذج الإفريقية والعربية التي تنتشر فيها جهات الإعلام، والأعمال، والمليشيات المسلحة خير دليل على ذلك⁽²⁵⁾.

- الحالة الإدارية التقليدية للدولة: النظم الإدارية القديمة أنماط جامدة لا يمكن تغييرها بين ليلة وضحاها، ويعد هذا دافعًا كبيرًا للقوى العميقة لاختراقها بمرور الوقت، وتتميز كذلك الأنظمة العربية، والإفريقية بتلك السمات حتى في الشؤون العسكرية، والدفاعية، فيتم استهدافها من قبل الدولة العميقة لتنتشر وتتوزع لتصبح أحد اللاعبين في المراكز والمشروعات الاقتصادية العامة للدولة ويتم تعيينهم بفضل البيروقراطية في المناصب الرئيسية سواء في الإدارة عمومًا أو حتى في القوات المسلحة⁽²⁶⁾.

- التحولات السياسية: تنتهج الدولة العميقة سياسة استخدام توتر الأحوال السياسية، وخاصة في فترات التحولات الثورية، والانتفاضات، والتحول إلى مقدمات النظام الديمقراطي عمومًا، بل تساهم في تعميق سوء الأوضاع، ونشر الفوضى وراء ذلك، فهذه الأوضاع تقطع أشواطًا كبيرة وأميالًا أمام سطوة جهات القوى العميقة على

عكس استقرار الأحوال التي تجعل من تلك الجهات تبذل جهوداً مضنية، وفي فترات زمنية طويلة الأمد حتى تصل إلى غرضها⁽²⁷⁾.

المبحث الثاني: الدولة العميقة في العراق ما بعد ٢٠٠٣

لكي نكون على إحاطة بقدر كبير بمظاهر الدولة العميقة في العراق اهتماماً بالأوضاع التي لحقت بالعراق ما بعد الاحتلال الأمريكي ٢٠٠٣، وما إذا كانت الدولة العميقة تتوغل في مكونات الدولة أي هي حقيقة لا مفر منها أم إنها مجرد مبالغيات يقع فيها البعض، فقد لعبت الولايات المتحدة الأمريكية دوراً رئيسياً في هذه الأوضاع كما هو الحال في خطط هذه الدولة في السيطرة على الدول النامية وخاصة تلك الدول ذات الاحتياطي النفطي، والأهمية الاستراتيجية الجيوسياسية، فذلك انعكاساً للسياسة الأمريكية، والتي نلاحظ جذورها في سلسلة الحروب الأمريكية الاستعمارية⁽²⁸⁾.

المطلب الأول: الأحوال العراقية:

إن المتتبع للتاريخ العراقي قبل ٢٠٠٣ يتوصل إلى أن العراق من الأمم التي لها تاريخ عريق مشهود له بالتفاعلات الإنسانية، حيث إن أقدم الحضارات التي عرفتها البشرية "الحضارة الآشورية" أثرت وتأثرت بنتائج العلاقات الإنسانية، كما تعد العراق مكاناً آمناً، ومحتضناً للعديد من الطوائف، والأعراف، الذين جاءوا إلى العراق من الدول والمناطق المجاورة وبمرور الوقت أضحوا جزءاً من مكونات الشعب العراقي، يسودهم حالة من التعايش السلمي، والتآخي بالرغم من وجود بعض التوترات في بعض اللحظات التاريخية إلا أن ذلك يعد ثمة أحداثاً عابرة لم يمكن حساباتها في مسار العلاقات الإنسانية العراقية التاريخية⁽²⁹⁾.

وانقلبت الموازين رأساً على عقب في العصر الحديث، فتشهد الساحة العراقية منذ منتصف القرن العشرين أحداثاً عنف، وتوترات سياسية، وحروباً أهلية عرقية، وتباينت جذور هذه الأزمات العرقية منذ قيام الجمهورية العراقية 1958، ويرجع البعض ذلك إلى اعتماد الإدارة العراقية في نظام حكمها على مجموعات قومية ذات أصول عربية على حساب التكتلات البشرية الأخرى، وكنتيجة عكسية لهذه الممارسات ظهرت أولى جماعات الميليشيا المسلحة "فيلق البدر" عام 1983، وتدرجياً سطع نجم التكتلات العسكرية المدعومة من إيران، وبقيت الأوضاع العراقية كما هو معهود، ومعروف عنها تشهد استقراراً سياسياً واجتماعياً يتخلله اضطرابات على الأصعدة كافة، وخاصة في ضوء التدخلات الدولية من قبل الولايات المتحدة الأمريكية كالحصار السياسي، والاقتصادي، فتعايش وتأقلم الشعب العراقي على هذه الأوضاع، ولكن جاء عام ٢٠٠٣ ليغير الخارطة العراقية الديموغرافية، والسياسية، والاقتصادية، جراء الاحتلال الأمريكي للعراق، وسقوط الإدارة العراقية بما فيها أجهزة الدفاع والأمن الداخلي، إذ قامت القوات الأمريكية

منذ بداية احتلال العراق بتفكيك كل الأجهزة الأمنية كالجيش، ونسبة كبيرة من القوى الداخلية، وإعادة تنظيم الجيش العراقي مرة أخرى لم يكن بكفاءته التنظيمية والتسليحية التي كان عليها من ذي قبل، فيعد ذلك خرقاً، وتنصلاً من تعهدات الولايات المتحدة الأمريكية بإعادة الأوضاع كما هي عليه لمجرد إسقاط النظام⁽³⁰⁾.

كما أن قيام الولايات المتحدة الأمريكية بوظائف الدفاع، وإدخالها في الأوضاع السياسية كان سبباً رئيسياً في إخراج النظام الدفاعي عن وظائفه الأساسية مما أدى إلى عدم تمكن القوى الأمنية في ضبط الأوضاع الاجتماعية والأمنية، وجاء بردود فعل عكسية على الجيش العراقي⁽³¹⁾. وترتب عليه ظهور العشرات من الميليشيات المسلحة العراقية، والقومية، والإثنية، وخصوصاً تلك المدعومة من النظام الإيراني أي الجماعات المسلحة تحت غطاء طائفي شيعي⁽³²⁾، فضلاً عن الميليشيات المسلحة السنية، والكردية، والقومية التابعة لحزب البعث العراقي، التي استخدمت شعارات مقاومة الاحتلال الأمريكي في البداية، وبمرور الوقت اتضحت خططها في السيطرة السياسية.

وبالرغم من مغادرة قوات الاحتلال للأراضي العراقية ٢٠١١ فلم تشفع هذه التطورات للجماعات المسلحة في وقف أعمال العنف، بل كثفت وزادت حدتها، وأضحى لها نصيب الأسد في القرارات الإدارية. والحشد الشعبي خير دليل على ذلك، والتي تأسست منذ عام ٢٠١٤ إلى أن دفعت تلك الأحداث إلى إعلان رئيس الوزراء العراقي "حيدر العبادي" أن جماعة الحشد الشعبي جزء من الضبط الإداري الأمني للسلطة العراقية منذ حزيران ٢٠١٥.

وتشكلت أيضاً العديد من الأحزاب السياسية بعد ٢٠٠٣، تعد انعكاساً في معظم الأحوال عن القرارات، والخطط الاستراتيجية للقوى المسلحة المسيطرة على الساحة الأمنية العراقية، فوجد أنه بدلاً من تركيز تلك الأحزاب على محاولة إيجاد حلول لعلاج الأزمة العراقية، وإدخال إصلاحات من شأنها أن تؤدي إلى إعلاء دور الإدارة السياسية الموحدة في تنمية الجوانب الاقتصادية واسترجاع الذاكرة التاريخية للحالة العراقية، التي كانت تعد من أفضل النماذج الإقليمية في احتضان الأعراق، والتعدديات الإثنية، والطائفية في كيان واحد متجانس، بل وضعت الأحزاب نصب أعينها السيطرة على القرار السياسي، وإعلاء مصالحها الضيقة على حساب مصالح الشعب العراقي، بيد أن توسعات جبهات الصراع بحيث شملت جميع الجوانب في مقدمتها السياسية، والعسكرية، وخاصة بين الجماعات المسلحة السنية، والشيعية، والتي تسعى إلى محاولة فرض سيطرتها على القرار الإداري العام للدولة العراقية⁽³³⁾.

جدير بالذكر أن سلسلة التراكمات التي شهدتها العراق من ضعف، وصراع بين القوى السياسية جعلت من الجيش الوطني ضعيفاً غير قادر على ضبط الأمن، فبدلاً من وجود قوى عسكرية لميليشيات مسلحة على الأقل تقدير له أصول وجذور متأصلة من ذي

قبل، ولكن ساهمت هذه التطورات في ظهور جماعات مسلحة أجنبية كتنظيم القاعدة، والذي يبدو أن معظم أفراده من القوات المنبثقة من القوات النظامية⁽³⁴⁾.

بناء على ما سبق فتنقسم الأوضاع السياسية، والأمنية الحالية إلى شقين كما يراها البروفيسور "آريل آهرام" أن التكتلات المسلحة إما جاءت لتدعم الحكومة، وإما ممولة من جهات دولية خارجية⁽³⁵⁾، وفي الوقت نفسه فإن معظم هذه الجماعات هدفها الرئيس محاربة تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" سواء من قبل الجماعات الشيعية، والأكراد، وبعض الجماعات السنية، ولكن الغاية العليا لهذا الجماعة هي السيطرة على المؤسسات الأمنية، والعسكرية، والتي هي بطبيعة الحال المسيطرة على القرار السياسي، والإداري العراقي، والحشد الشعبي في مقدمة هؤلاء، وتشير أصابع الاتهام إليه بالتعاون مع إيران، وأنكر الحشد ذلك تكراراً، وذلك من ناحية أهدافها. أما الشؤون التنظيمية للجماعات المسلحة فترتكز في الأساس على محاولة إخضاع الأجهزة التنفيذية الحكومية تحت ولايتها تدريجياً، وكما تستخدم المناطق الاستراتيجية العسكرية للقوات العراقية الوطنية في أعمالها الحصرية، ويظهر جلياً عندما قامت بعض الميليشيات المسلحة الشيعية بالسيطرة على مطار بغداد بمساعدة الأجهزة الأمنية بعد اختراقها، وذلك بغرض استخدامه أداة لنقل القوات التي تساند، وتدعم الجيش السوري الوطني في حربه على تنظيم الدولة، والمجموعات المقاتلة الأخرى في سوريا⁽³⁶⁾.

إذن يتضح من خلال الهياكل التنظيمية للجماعات المسلحة، وأهدافها أن غايتها العليا الانتشار الجغرافي، والتوسع، والتوغل في المناطق الجيوسياسية الحيوية والداعمة إلى السيطرة على موارد الدولة، ومناطق جلب، وإرسال مقاتلين من الداخل والخارج في بعض الأحيان، وبالتالي نتوصل إلى أنها جاءت لتحقيق مصالحها في المقام الأول دون مراعاة مصلحة الشعب في الأساس، إذ إن المحتل قد غادر منذ ٢٠١١، كما أن العراق تمكن من دحر معظم مقاتلي الدولة الإسلامية في السنوات الأخيرة، وبالرغم من ذلك ما زال المشهد السياسي غير مستقر؛ نظراً لسعي القوى الحزبية، والعسكرية المختلفة لأجل أخذ مزيد من الصلاحيات، والامتيازات في الإدارة العراقية.

المطلب الثاني: الدولة العميقة في العراق بعد ٢٠٠٣

هناك عدم اتفاق بين الباحثين فيما يخص تواجد أركان الدولة العميقة في ديناميكيات الإدارة العراقية من عدمه؟ حيث يرى أصحاب نظرية عدم وجود ما يسمى الدولة العميقة أن العراق في الأساس في الوقت الحالي في مرحلة اللا دولة فكيف يظهر دولة داخل الدولة، وعلى سبيل المثال يشير "مجاهد الطائي" إلى أن العراق يسعى إلى بلوغ مكونات الدولة فهي دولة ضعيفة، وهشة، فالعراق طبقاً لتكويناته حالياً عبارة عن هويات متنوعة، ومتصارعة لكسب النفوذ والتحكم في مقدرات سلطة تعاني من الفساد المتنامي، جعلت العراق يأخذ ترتيباً متقدماً في مصاف الدولة التي ينتشر بها الفساد، وليس بها أي

من مقومات الدولة القانونية الدستورية، وأن اللا دولة ترتكز على استخدام العنف، والفوضى وكما يعتمد في رؤيته ونظريته على أن الأحزاب، والمليشيات المسلحة هي التي تحرك نموذج اللا دولة بالقوة الجبرية⁽³⁷⁾.

ولا يتفق الكثير مع هذه الرؤية المتعلقة بمفهوم اللا دولة، ووصف الحالة العراقية بهذه الحالة، حيث إن مفهوم اللا دولة يعني عدم حضور مكونات الدولة بمفهومها الإداري الحديث وتنظيماتها، فمجتمعات اللا دولة لا يحكمها العنف بل تحكمها عادات وثقافات خاصة بها، وتناهض مجتمعات فكرة الدولة لكونها ترتكز وتعتمد على عنصر السيطرة السياسية في يد واحدة من حيث الهيمنة السياسية، والاجتماعية فهناك فرق بين منظومة الفوضى، والصراعات السياسية وبين التعايش الاجتماعي بدون وجود مقدمات ومرتكزات الأجهزة الإدارية⁽³⁸⁾؛ ولذلك فإن الحاصل في العراق ما هو إلا صراعات سياسية تأخذ أطراً طائفية يمكن وصفها بأنها حرب أهلية.

الدولة العميقة في العراق:

ذكرنا سابقاً أن سوء الأوضاع الأمنية، والسياسية بعد ٢٠٠٣ أفرز مجموعات مسلحة، وبالنظر إلى مقتضيات مصطلح الدولة العميقة وعند إلقاء نظرة خاطفة على الأحوال العراقية قبل ٢٠٠٣ نتوصل إلى نتيجة مفادها أن الدولة العميقة في العراق يرجع جذورها إلى بدايات عام ١٩١٨ حيث تكونت أول مجموعة عسكرية خارج الأطر الشرعية، بدعم من سلطات الاحتلال البريطاني آنذاك، وكانت تسمى حينها "الإدارة المدنية البريطانية" تتشابه نشاطاتها مع أعمال جمعية "الاتحاد والترقي" التركية، التي نشأت في ظلها مقدمات الدولة العميقة في تركيا، فالقاسم المشترك هو أخذ مكانة السلطة الرسمية⁽³⁹⁾. وبعد قيام حزب البعث أخذ رؤساؤه تباعاً بإرساء قواعد الدولة العميقة في العراق من خلال بناء شبكة معقدة من رجال الجيش، والقوى الأمنية الداخلية، ورجال سياسة رفيعي المستوى استخدمت فيها أشكالاً متعددة من الاضطهاد، والعنف الفردي، والجمعي، وهذا ما يجعل هذا النموذج متقارباً مع الدولة العميقة في باكستان، ومصر، بحسب ممارسات حزب البعث العراقي، ومتقارباً إلى حد كبير مع نهج الدولة العميقة في الدول العربية والإفريقية الأخرى⁽⁴⁰⁾.

إن سياسة حزب البعث في البداية هدفت إلى الاستئثار بالسلطة، وبوجود "صدام حسين" في سدة الحكم انفرد بالمشهد السياسي، وبدعم من رجال الحزب القديم، كما أنه قام بتحديد دور القوى السياسية الأخرى بشتى الطرق والوسائل، وهذا ما يتقارب مع خصائص الدولة العميقة، والتي سبق وأن ذكرناها آنفاً، وهي أن الدولة العميقة تسعى في المقام الأول إلى تطبيق أهدافها دون مراعاة المصالح العامة، وفي الوقت نفسه، وبالتوازي مع انتهاك القانون⁽⁴¹⁾.

ومرة أخرى تغيرت الأوضاع بشكل دراماتيكي بعد عام ٢٠٠٣، بسقوط الدولة العميقة القديمة، وبداية ظهور مقدمات الدولة العميقة الجديدة، وتتمثل في القوى العسكرية، وأحزابها التابعة إلى "أحزاب الإسلام السياسي" بشقيه السني، المدعوم من القوى الإقليمية المجاورة كالسعودية، والشيعي المدعوم من إيران.

إن المتتبع لمكونات الدولة العميقة يتوصل إلى أن هذه القوى تجذرت أصولها في الأجهزة الإعلامية ومفاصل الدولة وأجهزتها، إذ إن هذه الشبكة العميقة المعقدة، من العوامل الرئيسية في فشل الحكومات العراقية المتعاقبة منذ عام ٢٠٠٣، ومنذ رحيل الاحتلال الأمريكي ٢٠١١، لم تتمكن الحكومة العراقية في تحقيق آمال شعبها، فأضحى من الصعوبة تحجيم دور القوى العميقة في العراق في ظل تنامي الدعم الخارجي لها، وإعلان خططها أمام العيان، واعتراف بعض أعضاء الجهاز الإداري بشرعيتها؛ ومن هنا فإن استخدام مصطلح الدولة العميقة من قبل المسؤولين العراقيين في الفترة الأخيرة لم يكن صدفة، بل نتيجة حتمية لتصدر القوى العميقة المشهد مع تحييد دور الحكومة الوطنية جانباً، حتى صرح أحد أعضاء التحالف السياسي البرلماني "أحمد المساري"⁽⁴²⁾ أن الدولة العميقة تعمل الآن على إدارة الدولة، وأنها وصلت إلى البرلمان العراقي، وهو جزء من الدولة العميقة.

وبناء على ذلك، نستطيع القول إن القوى العميقة أخذت مكانة شرعية، فحجر الزاوية في تمكن الدولة العميقة هو الانتشار والتوزع؛ ويوضح هذا -على سبيل المثال- أعمال ميليشيات الحشد الشعبي في الحصول على مقدرات الدولة العراقية من خلال الانتشار المكثف لما يسمى "المكاتب الاقتصادية"⁽⁴³⁾، وتحصيل أموال المواطنين إجباراً، وتوجيهها واستخدامها في التسليح بدلاً من استخدامها لخزانة الدولة، فهذه سمة من سمات الدولة العميقة التي تجني الأموال من المدنيين بالقوة دون مراعاة مصالح الشعب.

وترجع بداية ظهور الدولة العميقة الجديدة على أرض الواقع منذ عام ٢٠٠٨، في ظل الاحتلال الأمريكي، وبحسب جريدة العربي الجديد فإن بداية التأسيس كانت مع وصول حزب الدعوة بقيادة نوري المالكي رئيس الوزراء السابق إلى الحكم، فهذا الحزب هو المؤسس السياسي للدولة العميقة، وتبع ذلك منظمة بدر التي استولت على غالبية الوزارات، فالخطط التي طبقها الساسة آنذاك عمدت إلى تعيين جهاز إداري مقرب أيديولوجياً من السلطة، وهذا يطابق سياسات حزب البعث في بدايات تواجد الدولة العميقة في مقتبل القرن العشرين، وعمدت معظم هذه القوى لإعلاء مصالحها في المقام الأول، وتكريس النظام البيروقراطي للجهاز الإداري للدولة العراقية، وهذه كلها كما ذكرنا سابقاً من أبرز الثغرات التي تستخدمها القوى العميقة في بسط نفوذها تدريجياً⁽⁴⁴⁾.

ويتوقع الخبراء أن يحل الحشد الشعبي محل حزب البعث إذا بقيت الأوضاع كما هي، وجدير بالذكر أن الدليل على وجود عناصر ومكونات الدولة العميقة أن القوى الشيعية نفسها تتصارع بين بعضها من أجل مراعاة مصالحها الضيقة، كصراع رئيس

الوزراء الأسبق نوري المالكي ومقتدى الصدر، واستخدام كلاهما كافة الوسائل، والأساليب لنيل مزيد من المكاسب طبقاً لتقارير نشرتها جريدة العرب⁽⁴⁵⁾.

ويشير ما سبق إلى أن الحروب الأهلية العراقية خصوصاً بين الشيعة والسنة ما هي إلا صراعات تحت غطاءات سياسية ساعدت القوى العميقة في انتشار لهابها، بدأت جذورها مع الاحتلال الأمريكي، وبدعم إيراني فكرياً ما تقترن الدولة العميقة بالجهود والدعم الخارجي، فتؤكد التقارير والشواهد أن الشيعة جزء لا يتجزأ من المجتمع العراقي، وأن العراق وإيران وجد بينهم علاقات قوية وطيدة كما هو الحال مع الدول الخليجية المجاورة، ولكن منذ اندلاع الثورة الإيرانية منذ عام ١٩٧٩، سعت إيران جاهدة في تصدير ثورتها، وجاء الاحتلال الأمريكي وما نتج عنه من عنف، وسقوط للجهاز الإداري للدولة ثمة نقطة الانطلاق نحو تطبيق ما ترتبه الدول الرامية إلى فرض ما تريده على العراق في ظل هذا التطورات⁽⁴⁶⁾، ولكن الدولة العميقة لا تراعي إلا مصالحها فكرياً ما تنتج صراعات فيما بينها، وحتى وإن كان مدعومة من جهة خارجية واحدة.

إن مظاهر الدولة العميقة في العراق تتضح من خلال ممارسات القوى العميقة من أدوات سبق التنويه عنها، مثل استخدام الأخبار المضللة، أو الحقيقية وتضخيمها من أجل تخويف عامة الناس ليخضعوا إلى سطوة تلك القوة، فبعدما اقتحم تنظيم "الدولة الإسلامية داعش" العراق وخاصة في الموصل قامت الميليشيات المسلحة بنشر الخطابات الحماسية لتتمكن من كسب عاطفة الجماهير، فتبدلت الأحوال، وأضحت الجماعات المسلحة هي التي تسيطر على مرتكزات الإدارة العراقية⁽⁴⁷⁾.

وبالنظر إلى أوجه التفرقة بين الدولة العميقة، والدولة الوطنية خاصة فيما يتعلق بالنموذج العراقي نجد أن الأولى تسعى جاهدة إلى عسكرة الحكومة السياسية والجهات الإدارية العامة للدولة، ومنع أي أعمال لمنظمات حرة تراعي مصالح الأمة العراقية عموماً، وإغراق الدولة العراقية في براثن الفساد والإجراءات الشكلية للسياسات والنظم الديمقراطية، وبقراءة ما تقتضي مفاهيم ومكونات الدولة العميقة كما ذكرنا سابقاً نتأكد من أنها تستخدم فترة التحولات السياسية، والتحول السياسي إلى الديمقراطية وحدوث ثغرات في الإدارة، والتداول السياسي لبيسط نفوذها والتعمق تدريجياً، وتظهر الحالة العراقية الحالية مثلاً واضحاً على ذلك⁽⁴⁸⁾.

ومن آثار الدولة العميقة في العراق الحالية فشل الحكومة في إدخال إصلاحات سياسية، واقتصادية، والاستغلال الأمثل لعوائد النفط في العمليات التنموية الاقتصادية كل هذه الأحوال مؤشرات تعبر عن مدى تغلغل القوى العميقة في مسار السياسة العراقية، كما تقوض وتحد من حالات التنمية الإدارية، أن لم تكن تلك الأجهزة مخترقة في الأساس من قبل هذه القوى⁽⁴⁹⁾.

الترخيص للإرهاب:

يحتوي الدستور العراقي في كثير من مواده على نصوص أصبحت مجرد بنود للاستهلاك المحلي، ومن أهم تلك النصوص ما يتعلق بالبنود التالية:

- محاربة الإرهاب بكافة أشكاله، وتطهير البلاد منه⁽⁵⁰⁾.
- تشكيل الجيش والأجهزة الأمنية من مكونات الشعب دون تمييز أو إقصاء وخضوعها للسلطة المدنية وعدم التدخل في الشؤون السياسية والسلطة⁽⁵¹⁾.
- حظر تكوين ميليشيات عسكرية خارج إطار القوات المسلحة⁽⁵²⁾.
- حق كل مواطن في الحياة والأمن والحرية ولا يجوز تقييد هذه الحقوق إلا وفقا للقانون وبناء على قرار صادر من جهة قضائية مختصة⁽⁵³⁾.

ولكننا نجد الدولة نفسها تمارس الإرهاب ضد مواطنيها، وتحويل القوات المسلحة إلى أداة للقمع، وقتل المتظاهرين السلميين بالرصاص الحي والغازات القاتلة إضافة إلى الخطف والاعتقال غير القانوني والتعذيب، وتحويل أراضي العراق من قبل الميليشيات المسلحة المدعومة من إيران إلى منطقة صراع من خلال قصفها السفارة الأمريكية في بغداد خلافا للمواثيق الدولية وقصف القواعد العراقية التي يتواجد فيها الأمريكان.

وفي واقعة مؤلمة نرى السلطات العراقية وميليشياتها المسلحة حرمت أكثر من 600 من الشباب من الحياة وأصابت وعوقت أكثر من 25 ألف من الشباب والمئات من الشباب المختطفين والمعتقلين بلا أمر قضائي كما نص على ذلك الدستور العراقي الذي أصبح في ظل الحكومات المتعاقبة حبراً على ورق⁽⁵⁴⁾.

الخاتمة:

يتبين لنا من خلال العرض السابق أن مضمون الدولة العميقة متأصل في العلاقات السياسية منذ قديم الزمن، ولكن ظهر المصطلح في بداية القرن العشرين، وأصبح له مدلولات سياسية محددة، وأن الدولة التي تشهد أحداث عنف داخلية، وتوترات سياسية تعد من الدول التي تشهد حضوراً واضحاً لنشاطات الدولة العميقة. ومن خلال ما عرضناه في مقدمة هذه الورقة البحثية لخصائص الدولة العميقة وخصائصها وأدواتها، وتطبيق ذلك بما يحدث في العراق نتوصل في النهاية إلى عدة استنتاجات، هي:

- الدولة العميقة في العراق متأصلة ومتجذرة منذ ظهور حزب البعث العراقي.
- ظهرت الدولة العميقة الجديدة في العراق بعد الاحتلال الأمريكي ٢٠٠٣م.
- تركزت الدولة العميقة في العراق على العوامل الطائفية لنشر سطوتها.
- تعد إيران في مقدمة الدول الداعمة للدولة العميقة، وتتمثل في الجماعات والميليشيات المسلحة العسكرية وعلى رأسها "ميليشيات الحشد الشعبي".

- القوى العميقة في العراق تتوزع ما بين جماعات مسلحة سنية، وشيعية، وكردية، ولكن الشيعية هي التي تسيطر على القرار السيادي السياسي للإدارة العراقية كتبديل للأدوار مع حزب البعث العراقي القديم.
 - أدى ظهور القوى العميقة في العراق إلى ارتفاع معدلات الفساد السياسي والإداري فكلاهما وجهان لعملة واحدة.
 - تحتاج الأجهزة الإدارية للدولة العراقية جهودًا مضنية، وفترات زمنية كبيرة للتخلص من الدولة العميقة، وخاصة في ظل عدم وضوح رؤية الدول الإقليمية في مساعدة العراق للخروج من هذا النفق.
- المصادر والمراجع:

أولاً: المراجع العربية:

- إبراهيم السيد، ما هي الدولة العميقة؟، مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية، مصر، أغسطس 2015.
- باتريك أونيل Patrick H.O'Neil، الدولة العميقة المفهوم الناشئ في علم السياسة المقارن، ترجمة: الحسن مصباح، ع 30، دراسات عربية وسياسية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، يناير 2018.
- بيار كلاستر مجتمع اللادولة، تعريب وتقديم: محمد حسين دكروب، ط 3، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1991.
- حارث حسن، العلاقات الشيعية فوق الوطنية والدولة الوطنية في العراق، دراسات عربية، المركز العربي للدراسات، الدوحة، سبتمبر 2018.
- ريم أحمد عبد المجيد، نحو تأصيل نظري لمفهوم "الدولة العميقة"، المركز العربي للبحوث والدراسات، مصر، 2018.
- زيناد منصور "المأزق السني في العراق، مركز كارنيغي للسلام الدولي، آذار 2016.
- طارق كاكهرهش محيي الدين، وكاردو كريم رشيد، الجماعات الشيعية المسلحة في الشرق الأوسط، وتأثيرها على النظم السياسية العراقية نموذجًا، ع 2، مج 3، مجلة جامعة التنمية البشرية، العراق، 2017.
- عبد المعطي ذكي إبراهيم، الدولة العميقة في مصر الخصائص والركائز، المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، مصر، 2016.
- عباس شريفة، الثورة والدولة العميقة "فلسفة الصراع واستراتيجية المواجهة"، رؤية للثقافة والإعلام، تركيا، 2018.
- علي الجريايوي، الدولة العميقة: محاولة لضبط المفهوم، ع 34، دراسات سياسات عربية "المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، سبتمبر 2018.

- علي جواد توت، وأزهر حميد محمد، الانفتاح الثقافي للجماعات الإثنية في العراق، ع 678، مجلة الآداب، كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، 2017.
- علي عبد الهادي المعموري، الجيش والفصائل غير النظامية في العراق: جدل الدولة والبديل الاثني، ع 6/22، مجلة عمران، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، 2017.
- علي عبد الهادي المعموري، سياسة الأمن الوطني في العراق، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2019.
- كرار أنور البديري، سقوط الموصل: العراق ومحصلة الأعباء الداخلية والخارجية، دار دجلة، عمان، 2015.
- محيي الدين محمد قاسم، العراق بعد الاحتلال بين التصورات الأمريكية المعلنة وواقع الإدارة الفعلية، مركز الحضارة للدراسات والبحوث، العراق، آذار 2013، مصر.
- مصطفى شفيق علام، الدولة العميقة: المفهوم والتجليات: إطلالة على واقع الحالة العربية، ع 12، مجلة البيان، المركز العربي للدراسات الإنسانية، القاهرة، 2015.
- مصطفى عبد التواب، سقوط الأقنعة "القصة الحقيقية لثورة 25 يناير البيضاء الأكثر تحضراً، مجموعة النيل العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016.
- ميراندا سيسونز، عبد الرازق الساعدي، إرث مر، دروس من عملية اجتثاث البعث في العراق 2012-2004، المركز الدولي للعدالة الانتقالية.
- يزيد صايغ، فوق الدولة، جمهورية الضباط في مصر، مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، بيروت، 2012.
- التورط العسكري لحزب الله في سوريا ودوره الإقليمي الأوسع، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، 2017.

ثانياً: المراجع الإنجليزية:

- Jon D.Michaels, THE AMERICAN deep state, Notre dame law review, University of Notre Dame, vol.93:4, 2018
- Dana Priest and William Arkin, Top Secret America: The Rise of the New American Security State, New York: Little Brown company, 2011
- Adam Przeworski, Democracy as a contingent outcome of conflicts in: J.Elstar & Slagsted,

- constitutionalism and democracy, Cambridge: Cambridge university Press, 1988.
- Rhoda rabikn.The aylwin government and tutelary democracy: a concept in search of a case, journal of Interamerican studies and world affairs, vol 34, no 4, 1992
 - SERDAR KAYA, The Rise and Decline of the : The Ergenekon Case, Insight "Turkish "Deep State Turkey, Vol.11, No.4, 2009
 - Ariel Ahram,,"Proxy Warriors The Rise and Fall of State-Sponsored Militias".Stanford University .Press, 2011

ثالثاً: الأدبيات والتقارير على شبكة الانترنت:

- أحمد عناد، مفهوم الدولة العميقة بين النشأة وبين العراق، مقالة منشورة لدى جريدة الزمان الإلكترونية، بتاريخ 4 يوليو ٢٠١٧، متاح على: [.bit.ly/2Raj6FN](http://bit.ly/2Raj6FN)
- أمير المفرجي، العراق: الدولة العميقة واستمرار العملية السياسية، مقال منشور في جريدة القدس الإلكترونية بتاريخ 2019/8/19، متاح على: [.bit.ly/2r582z6](http://bit.ly/2r582z6)
- زيد سالم، الدولة العميقة في العراق الحقيقة والمبالغات، مقال منشور لدى جريدة العربي الجديد، بتاريخ 3 نوفمبر ٢٠١٨، متاح على: [.bit.ly/34JaJ82](http://bit.ly/34JaJ82)
- سيار الجميل، مفهوم الدولة العميقة، مقالة منشورة على الموقع الرسمي للدكتور سيار الجميل، بتاريخ 2018/12/6، متاح على: [.bit.ly/34GlvzZ](http://bit.ly/34GlvzZ)
- شاكر النابلسي، العراق: من ديكتاتورية البعث إلى ديكتاتورية الطوائف، تقارير منشور لدى جريدة DW الإلكترونية متاح على: [.bit.ly/2qzbYAX](http://bit.ly/2qzbYAX)
- مجاهد الطائي، هل هناك دولة عميقة في العراق؟ مقال منشور لدى جريدة مركز العراق الجديد بتاريخ 2019/2/9 متاح على: [. bit.ly/2r55P6U](http://bit.ly/2r55P6U)
- المساري: عبد المهدي لم يلتزم بالاتفاقات...والدولة العميقة تدير الدولة والبرلمان واستبعاد متعمد لقوى الإصلاح، تقارير منشور لدي جريدة "الحدث كما حدث"، بتاريخ 2019/4/14 متاح على: [.bit.ly/2Dzn2YV](http://bit.ly/2Dzn2YV)

- علي الكاش: "الدولة العميقة" في العراق، تقرير منشور بشبكة أخبار العراق، بتاريخ: 2019/3/30 متاح على: bit.ly/35VK5JA.
- تقرير عن "الدولة العميقة" في العراق: مقدمة لإقصاء المالكي من المشهد السياسي، تقرير منشور بجريدة ناس الإلكترونية ومصدرها جريدة العرب، بتاريخ: 2018/12/14 متاح على: bit.ly/2Ld8W3m.

- (1) علي الجرباوي، الدولة العميقة: محاولة لضبط المفهوم، ع 34، دراسات سياسات عربية المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، سبتمبر ٢٠١٨، ص 7-8.
- (2) ريم أحمد عبد المجيد، نحو تأصيل نظري لمفهوم "الدولة العميقة"، المركز العربي للبحوث والدراسات، مصر، ٢٠١٨، ص ١.
- (3) مصطفى عبد التواب، سقوط الأئمة القصة الحقيقية لثورة ٢٥ يناير البيضاء الأكثر تحضراً، مجموعة النيل العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٩، ص 347.
- (4) باتريك أونيل Patrick H.O'Neil، الدولة العميقة المفهوم الناشئ في علم السياسة المقارن، ترجمة: الحسن مصباح، ع 30، دراسات عربية وسياسية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، يناير ٢٠١٨، ص 84.
- (5) إبراهيم السيد، ما هي الدولة العميقة؟ مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية، مصر، أغسطس ٢٠١٠.
- (6) ريم أحمد عبد المجيد، مرجع سابق، ص ٢.
- (7) Jon D. Michaels, THE AMERICAN deep state, notre dame law review, University of Notre Dame, vol. 93:4, 2018, p 1653-1656
- (8) تقارير صحفية، بعد تركيا، ومصر، وروسيا... كيف وصلت الدولة العميقة إلى أمريكا، تقارير منشورة لدى جريدة CNN بالعربية بتاريخ 2017/3/11 على الرابط التالي <https://cnn.it/2L4WSB9>
- (9) Dana Priest and William Arkin, Top Secret America: The Rise of the New American Security State, New York: Little Brown company, 2011, page 52.
- (10) ريم أحمد عبد المجيد، مرجع سابق، ص ٢.
- (11) Adam Przeworski, Democracy as a contingent outcome of conflicts in: J. Elstar & Slagsted, constitutionalism and democracy, Cambridge: Cambridge university Press, 1988. P 50-80
- (12) Rhoda rabikn. The aylwin government and tutelary democracy: a concept in search of a case, journal of Interamerican studies and world affairs, vol 34, no 4, 1992, p 119-194.
- (13) Mike Lofgren, "Anatomy of the Deep State" ,Billmoyers, 21/2/2014, available on: <https://bit.ly/2rJhuYQ>
- (14) George Friedman, The Deep State, Geopolitical Futures, March 15, 2017, available on: <https://bit.ly/2R4F161>
- (15) SERDAR KAYA, The Rise and Decline of the Turkish "Deep State": The Ergenekon Case. Insight Turkey. Vol. 11, No. 4, 2009. p. 101
- (16) مصطفى شفيق علام، الدولة العميقة: المفهوم والتجليات: إطلالة على واقع الحالة العربية، ع ١٢، مجلة البيان، المركز العربي للدراسات الإنسانية، القاهرة، ٢٠١٥، ص ٧٢-٦٨.

- (17) باتريك أونيل، مرجع سابق، ص 85.
- (18) عبد المعطي ذكي إبراهيم، الدولة العميقة في مصر الخصائص والركائز، المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، مصر، 2016، ص 2.
- (19) مصطفى شفيق علام، مرجع سابق، ص 73-75.
- (20) عباس شريفة، مرجع سابق، ص 24-27.
- (21) عبد المعطي ذكي إبراهيم، مرجع سابق، ص 3.
- (22) علي الجريايوي، مرجع سابق، ص 18.
- (23) إبراهيم السيد، مرجع سابق، ص 2-3.
- (24) باتريك أونيل، مرجع سابق، ص 86-87.
- (25) عبد المعطي ذكي إبراهيم، مرجع سابق، ص 5.
- (26) يزيد صايغ، فوق الدولة، جمهورية الضباط في مصر، مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، بيروت، 2012، ص 4-7.
- (27) مصطفى شفيق علام، مرجع سابق، ص 79-82.
- (28) محيي الدين محمد قاسم، العراق بعد الاحتلال بين التصورات الأمريكية المعلنة، وواقع الإدارة الفعلية، مركز الحضارة للدراسات والبحوث، العراق، آذار 2013، مصر، ص 181.
- (29) علي جواد توت، وأزهر حميد محمد، الانفتاح الثقافي للجماعات الإثنية في العراق، ع 678، مجلة الآداب، كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، 2017، ص 2-6.
- (30) كرار أنور البديري، سقوط الموصل: العراق ومحصلة الأعباء الداخلية والخارجية، دار دجلة، عمان، 2015، ص 36.
- (31) علي عبد الهادي المعموري، سياسة الأمن الوطني في العراق، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2016، ص: 147.
- (32) طارق كاكهرهش محيي الدين، وكارديو كريم رشيد، الجماعات الشيعية المسلحة في الشرق الأوسط وتأثيرها على النظم السياسية العراقية نموذجاً، ع 2، مج 3، مجلة جامعة التنمية البشرية، العراق، 2017، ص: 665-766.
- (33) علي عبد الهادي المعموري، الجيش والفصائل غير النظامية في العراق: جدل الدولة والبدل الاثني، ع 6/22، مجلة عمران، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، 2017، ص 122-124.
- (34) زيناد منصور المازق السني في العراق، مركز كارنيغي للسلام الدولي، آذار 2016، ص 19.
- (35) Ariel Ahram, "Proxy Warriors The Rise and Fall of State-Sponsored Militias". Stanford University Press, 2011, p 7:24.
- (36) طارق كاكهرهش محيي الدين، وكارديو كريم رشيد، مرجع سابق، ص 771-770.
- (37) مجاهد الطائي، هل هناك دولة عميقة في العراق؟ مقال منشور لدى جريدة مركز العراق الجديد، بتاريخ 2019/2/9 متاح على: bit.ly/2r55P6U.
- (38) انظر في ذلك مكونات وتعريف اللا دولة: بيار كلاستر مجتمع اللا دولة، تعريب وتقديم: محمد حسين دكروب، ط 3، المؤسسة الجامعية للدراسات، والنشر، والتوزيع، بيروت، 1991، ص 178.
- (39) عبد المعطي ذكي إبراهيم، مرجع سابق، ص 2-4-5.
- (40) شاكور النابلسي، العراق: من ديكتاتورية البعث إلى ديكتاتورية الطوائف، تقارير منشور لدى جريدة DW الإلكترونية متاح على: bit.ly/2gbzYAX.
- (41) ميراندا سيسونز، عبد الرازق الساعدي، إرث مر، دروس من عملية اجتثاث البعث في العراق 2004-2012، المركز الدولي للعدالة الانتقالية، 2013، ص 4-7.
- (42) المساري: عبد المهدي لم يلتزم بالاتفاقات... والدولة العميقة تدير الدولة والبرلمان واستبعاد متعمد لقوى الإصلاح، تقارير منشور لدى جريدة "الحدث كما حدث"، بتاريخ 2019/4/14 متاح على: bit.ly/2Dzn2YV.

- (43) علي الكاش، الدولة العميقة في العراق، تقارير منشورة لدى شبكة أخبار العراق، بتاريخ 2019/3/30 متاح على: [.bit.ly/35VK5JA](http://bit.ly/35VK5JA).
- (44) زيد سالم، الدولة العميقة في العراق الحقيقية والمبالغات، مقال منشور لدى جريدة العربي الجديد، بتاريخ 3 نوفمبر 2018، متاح على: [.bit.ly/34JaJ82](http://bit.ly/34JaJ82).
- (45) تقرير عن الدولة العميقة في العراق: مقدماً لإقضاء المالكي من المشهد السياسي، تقرير منشور لدى جريدة ناس الإلكترونية، ومصدرها جريدة العرب، بتاريخ 2018/12/14 متاح على: [.bit.ly/2Ld8W3m](http://bit.ly/2Ld8W3m).
- (46) حارث حسن، العلاقات الشيعية فوق الوطنية والدولة الوطنية في العراق، دراسات عربية، المركز العربي للدراسات، الدوحة، سبتمبر 2018، ص 20-35.
- (47) أحمد عناد، مفهوم الدولة العميقة بين النشأة وبين العراق، مقالة منشورة لدى جريدة الزمان الإلكترونية، بتاريخ 4 يوليو 2017، متاح على: [.bit.ly/2Raj6FN](http://bit.ly/2Raj6FN).
- (48) د/ سيار الجميل، مفهوم الدولة العميقة، مقالة منشورة على موقع الرسمي للدكتور سيار الجميل، بتاريخ 2018/12/6، متاح على: [.bit.ly/34Glzvz](http://bit.ly/34Glzvz).
- (49) أمير المفرجي، العراق: الدولة العميقة واستمرار العملية السياسية، مقال منشور في جريدة القدس الإلكترونية 2019/8/19 بتاريخ متاح على: <https://bit.ly/2r582z6>.
- (50) انظر: الدستور العراقي 2005، مادة رقم (7).
- (51) انظر: الدستور العراقي 2005، مادة رقم (9/أ).
- (52) انظر: الدستور العراقي 2005، مادة رقم (9/ب).
- (53) انظر: الدستور العراقي 2005، مادة رقم (15).
- (54) مشرق عباس، هيومن رايتس ووتش تنتقد الحكومة العراقية بسبب أحداث الحويجة"، المونيتور، 15 أيار: 2013.

الاحكام الجنائية الصادرة في الجرائم المخلة بالشرف والامانة وعلاقتها بالرابطه الوظيفية (دراسة مقارنة)

1- حسين علاء محسن

2- م.م محمد غضنفر هادي

Mohammad.g.hadi@alkutcollege.ed.iq

3- م.م محمد احمد شطب

mohammed.a.shatob@alkutcollege.ed.iq

الملخص:

تكفل المشرع في قانون العقوبات بتحديد الجنايات بوضوح وجلاء، أما الجرائم المخلة بالشرف وتحدد في القانون المصري تحديدا مانعا جامعا، كما كان شأنه بالنسبة للجنايات على أن: المتفق عليه أن هذه الجرائم هي تلك التي ترجع إلى ضعف في الخلق وانحراف في الطبع والشخص إذا انحدر إلى هذا المستوى الأخلاقي، فإنه لا يكون أهلا لتولي الوظيفة العامة التي تقتضي فيمن يتولاها أن يكون متحليا بالأمانة والنزاهة والشرف واستقامة الخلق، حيث إن المشرع المصري اشترط في المادة (14) الفقرتين (2، 3) من قانون الخدمة المدنية المصري رقم 8 لسنة 2016، في المرشح للتعيين أن يكون محمود السيرة وحسن السمعة، وكذلك ألا يكون قد سبق الحكم عليه بعقوبة جنائية أو بعقوبة مقيدة الحرية في جريمة مخلة بالشرف أو الأمانة ما لم يكن قد رد إليه اعتباره وهو شرط صلاحية بشرط أن يكون الحكم صادرة بعقوبة جنائية سواء أكانت الجريمة منصوص عليها في قانون العقوبات أم منصوص عليها في القوانين الخاصة كذلك يشترط في قانون الخدمة المدنية العراقي رقم (24) لسنة 1960 فيمن يعين في الوظائف الحكومية، أن يكون حسن الأخلاق وغير محكوم بجناية غير سياسية أو بجنحة تمس الشرف، كالسرقة والاختلاس والتزوير والاحتيال، كما نصت على ذلك المادة (السابعة / ف4) منه إذ أن قانون المحافظات غير المنتظمة في إقليم رقم (21) لسنة 2008 وفي المادة (5) منه حدد شروط العضوية لمجالس المحافظات والأقضية والنواحي بأن يكون العضو غير محكوم بجناية أو اجنحة مخلة بالشرف، وكذلك الحال في قانون المعهد القضائي رقم (33) لسنة 1976.

Summary

The legislator in the Penal Code ensures that felonies are clearly and clearly defined. As for crimes against honor, they are specified in the Egyptian law as a comprehensive deterrent, as was the case with regard to felonies that: It is agreed that these crimes are those that are due to weakness in morals and deviation in character and the person if he descends to This moral level, he is not qualified to assume the public office that requires those who assume it to have honesty, integrity, honor and integrity of character, as the Egyptian legislator stipulated in Article (14) paragraphs (2, 3) of the Egyptian Civil Service Law No. 8 of 2016. The candidate for appointment must be of good conduct and good reputation, as well as not have been previously convicted of a felony penalty or a penalty restricting freedom in a crime against honor or trust, unless he has been rehabilitated, which is a condition of validity, provided that the judgment is issued for a felony penalty, whether the crime is stipulated It is stipulated in the Penal Code or stipulated in special laws. It is also stipulated in the Iraqi Civil Service Law No. (24) of 1960 that whoever is appointed to government jobs, be of good morals and not have been convicted of a non-political felony or a misdemeanor affecting honor, such as secret The law of governorates that are not organized in a region No. (21) of 2008 and in Article (5) of it specified the conditions for membership of the councils of governorates, districts and sub-districts that the member is not convicted of a felony or Honor offenses, as is the case in Judicial Institute Law No. 33 of 1976.

Keywords: the effect of the criminal judgment, crimes against honor and honesty, the functional bond.

المقدمة

أولاً: التعريف بموضوع البحث

الوظيفة العامة تحمل قيمة كبيرة ليس لذاتها فقط وإنما لغيرها من أهداف، فهي وجه الدولة من ناحية، وأداتها في سد احتياجات الكافة بانتظام واضطراد من ناحية أخرى، بناءً عليه، لن تُحقق الوظيفة العامة غايتها إلا من خلال الأشخاص الذين يضطلعون بتحمل التزاماتها. لذا تبنت معظم التشريعات لاسيما التشريع المصري ونظيره العراقي، نصوصاً تحوي قرينة تستشرف من خلالها حسن سلوك المرشح لتولي الوظيفة العامة، فقد اشترطت "الأمانة" أو "الأمانة" ما لم يكن قد رد إليه اعتباره".

ولعل هذا الشرط الجوهري لا يُطلب تحققه ابتداءً فقط، وإنما هو شرط ابتداء وبقاء، لطالما كان الموظف العام قيد وظيفته، بحيث إذا حكم على هذا الشخص أثناء الخدمة في جريمة معاقب عليها بعقوبة الجناية أو جريمة مخلة بالشرف يجب إنهاء خدمته بموجب هذا الحكم الجنائي.

والعلة من وراء هذا القيد القانوني لتولي الوظيفة العامة هو الحفاظ على نزاهة وسمعة الوظيفة العامة، بناءً عليه، فإن مخالفة هذا الشرط أو إغفاله من شأنه أن يعيب القرار الصادر بتعيين الشخص الذي لم يتوافر فيه، يعيب جسيم ينحدر به إلى درجة الانعدام. غني عن البيان، أن الشرط الذي وضعه المشرع المصري ونظيره العراقي لتولي الوظيفة العامة، له نطاق موضوعي، حيث يدخل فيه كافة الجرائم المعاقب عليها بعقوبة الجناية، كذلك الجرائم المخلة بالشرف والأمانة، إلا أنه لم يحدد على سبيل الحصر حالاتها أو صورها، إلا أنه يمكن تحديد المفهوم العام لتلك الجرائم من خلال ضعف الخلق وانحراف في الطبع، والشخص إذا انحدر إلى هذا المستوى للأخلاقي لا يكون أهلاً لتولي المناصب العامة التي تقتضي فيمن يتولاها أن يكون متحلياً بالأمانة والنزاهة والشرف واستقامة الخلق.

لذلك، فإن تحديد الجرائم المخلة بالشرف والأمانة تحكماً نظراً للمجتمع وتطوراته وقيمه، فالشرف والأمانة ليس لهما مقياس محدد، بل هما صفتان متلازمتان لمجموعة المبادئ السامية والمثل العليا التي تعارف الناس على إجلالها في ضوء ما تفرضه قواعد الدين ومبادئ الأخلاق والقانون السائد في المجتمع.

وإذا كان من الصعب الجزم بتحديد فاصل واضح بين الجرائم المخلة بالشرف والأمانة وتلك غير المخلة بالشرف والأمانة، إلا أنه يمكن القول بصفة عامة أن جرائم الأموال تعد مخلة بالشرف والأمانة، مثل جرائم السرقة والنصب وخيانة الأمانة والتبديد وإعطاء شيك بدون رصيد، أما جرائم الأشخاص فبعضها مخل بالشرف والأمانة، مثل جرائم الزنا وهتك العرض واغتصاب الإناث والتحريض على الفسق والفجور. وبعضها غير مخلة بالشرف والأمانة مثل جرائم الضرب والجرح وغيرها من الجرائم، كما يدخل في عداد الجرائم الماسة بالشرف والاعتبار، جرائم التجسس وخيانة الوطن مما يحول دون تولي الوظائف العامة لمرتكبيها.

ثانيًا: مشكلة البحث

تنصب مشكلة البحث حول بيان الأشخاص الذين يتأثر مركزهم القانوني بصور الاحكام الجنائية فضلا عن بيان مدلول الاحكام الجنائية المؤثرة على الوظيفة والنطاق الزمني للاحكام الجنائية القاضية بحرمان تولي الاشخاص من الوظائف، إذ ان مشكلة البحث تبحث النطاق الشخصي والزمني للاحكام الجنائية الصادرة بجرائم المخلة بالشرف والامانة والية تنظيمها في التشريع العراقي والمصري.

ثالثًا: اهمية البحث

لكل بحث علمي اكاديمي اهمية علمية واهمية عملية وتتجسد الاهمية العلمية لموضوع البحث في بيان الحد الفاصل بين الجرائم التي يمكن أن يؤثر الحكم فيها على حق المحكوم عليه في تولي الوظيفة العامة أو البقاء فيها، وبين الجرائم الأخرى التي لا تؤثر بأي حال من الأحوال في مركزه القانوني.

بينما تتجسد الاهمية العملية في بيان للأثار النفسية والاجتماعية والاقتصادية التي قد تصيب المحكوم عليه في حرمانه من حقه الدستوري في تولي الوظيفة العامة أو إنهاء العلاقة الوظيفية، والتي لا تقتصر آثارها النفسية على الموظف نفسه بل تتعداه لتطال عائلته.

رابعًا: نطاق البحث

يرتبط نطاق البحث بعنوانه وهو " الاحكام الجنائية الصادرة في الجرائم المخلة بالشرف والامانة وعلاقتها بالرابطة الوظيفية، حيث تحول الجريمة دون وجود مرتكبيها في الوظيفة العامة، سواء قبل تسميته فيها أو بعد ذلك إذا ارتكبها عقب صدور قرار تسميته في وظيفة ما، من ثم، فإن نطاق البحث يتحدد بصدور حكم بالإدانة في جرائم محددة على حق المحكوم عليه في توليه الوظيفة العامة أو البقاء فيها، إذ إن الأثر متغاير من حيث الجريمة الصادر فيها الحكم الجنائي. أما ما دون ذلك فيخرج عن نطاق البحث. من ثم، لا

يتناول البحث مدى اعتبار الجريمة مخالفة تأديبية من عدمه، كذلك المسلك الإجرائي للسلطات التأديبية في تلك المسائل.

خامساً: خطة البحث

لغرض الوقوف أكثر على الاحكام الجنائية الصادرة في الجرائم المخلة بالشرف والامانة وعلاقتها بالرابطة الوظيفية سنقسم البحث إلى مطلبين نتناول في المطلب الأول: مفهوم الجرائم المخلة بالشرف والامانة، ونتناول في المطلب الثاني: مدى تأثير الحكم الجنائي الصادر في الجرائم المخلة بالشرف والامانة على الرابطة الوظيفية.

المطلب الأول

مفهوم الجرائم المخلة بالشرف

ان موضوع الإخلال بالشرف كما يسميه القانون مرة أو المساس بالشرف في مكان آخر، إنما هو من المواضيع الفضفاضة التي تحتمل الكثير من الشرح والتفصيل، فالشرف كلمة كبيرة لا يمكن الإحاطة بمدلولاتها بسهولة كما لا يمكن الإحاطة بما يعد إخلالاً أو مساساً بالشرف في كل زمان ومكان، كما أن الشرف يتضمن مواضيع دينية أو اجتماعية أو إنسانية قبل أن تكون قانونية، فهو ميزة محترمة في كل الاعتبارات وهو موضوع مجرد باستمرار، وكذلك مرتبط بحركة التطور الإنساني المستمر، حتى أن الشرائع السماوية والقوانين الوضعية حرصت على معاقبة من يتعدى على شرف الآخرين بعقوبات قاسية، أيا كان هذا الاعتداء حتى وإن كان تشهيراً يضر السمعة الاجتماعية أو أي اعتبار آخر⁽¹⁾. يتضح مما تقدم، أن الجريمة المخلة بالشرف تكتسب أهمية لدى المشرع الجنائي وسوف أكتفي بإيراد أمثلة للجريمة المذكورة التي يلحقها وصف الإخلال بالشرف، وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال مفاده: هل يتاح للمحاكم الجزائية أن تصف جريمة معينة بأنها مخلة بالشرف خارج إطار الجرائم المذكورة في نص المادة (6/أ/21) من قانون العقوبات العراقي رقم 111 لسنة 1969؟ أم أنها تنقيد بما منصوص عليه فيها؟ فضلاً عن الحاجة إلى بيان الآثار التي تترتب على ارتكاب جريمة مخلة بالشرف من حيث الإجراءات المتخذة، أو في العقوبة المفروضة بحق مرتكبها عن غيرها من الجرائم التي لا توصف بأنها مخلة بالشرف، خاصة وأن بعض القوانين جعلت من ارتكاب الجريمة المذكورة سبباً يفقد به الشخص صلاحيته لتقلد الوظائف العامة، مما يعني أن الجريمة المخلة بالشرف لها حضور في نصوص أخرى غير جنائية⁽²⁾.

الفرع الأول: تعريف الجرائم المخلة بالشرف

الفرع الثاني: لتحديد الجرائم المخلة بالشرف.

الفرع الأول

تعريف الجرائم المخلة بالشرف

الإخلال في اللغة كلمة من المصدر (خل) وأخل بالشيء قصر فيه وتركه ولم يأت به، وأخل : وتركه، وأخل بقومه غاب عنهم، وأخل بالأمر أساء فيه وأفسده، وأخل بالرجل لم يف له حقه، اختل الأمر وهن وفسد، والخلل جمعها خلال هو الوهن والفساد⁽³⁾.

أما الشرف في اللغة، فهو العلو في دين أو دنيا، والشرف مصدر يعني العلو والمجد وعلو الحسب ويقال (شرف قومه وكرمهم) أي شريفهم وكرمهم، والشرف جمعها شرفاء، وأشرف ذو الشرف، والشرف هو السلامة من كل عيب وفلان نفسه شريفة أي عزيز النفس يأنف من الدنيا، والإشراف هو المكان العالي، فهو الرفعة والعلو والطهارة وسلامة النفس والقلب واليد⁽⁴⁾.

ومن جمع المفردتين يتبين لنا أن الإخلال بالشرف هو مسألة مذمومة؛ لأن فساد الشرف ووهنه ما لا يأتلف مع فطرة الله التي فطر الناس عليها ولا يستقيم مع الإنسانية الصالحة أبداً.

وليس من اليسير وضع معيار أو تعريف حاسم لهذه الجريمة، ولهذا يستند غالبية الفقه المصري في سبيل تعريفها على فتاوى مجلس الدولة وأحكام القضاء الإداري مما يعد أو لا يعد من الجرائم المخلة بالشرف أو الأمانة، ومن ثم، فهي لا تخرج عما تناولته الأحكام القضائية في هذا الجانب فهي تدور حوله، أما عن مدلول الجريمة المخلة بالشرف والأمانة، وتعرف الجريمة المخلفة بالشرف بأنها: تلك التي ترجع إلى ضعف في الخلق الكريم وانحراف في الطبع يدفعان بالشخص إلى إقتراف الكبائر التي توجب احتقاره، وتستوجب ازدراءه، ولا يؤتمن معها على المصلحة العامة، خشية أن يخصص تأثراً بها في سبيل مصلحته الشخصية أو يستغل سلطاته لتحقيق مآربه الخاصة تأثيرة بشهواته ونزواته وسوء سيرته، فتحسر عنه صفته العامة، وتندم صلاحيته للوظيفة العمومية⁽⁵⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن قانون العقوبات المصري لم يضع أي تعريف لماهية الجرائم المخلة، كما لم يحصرها أو يحددها على وجه الدقة، بينما يستعملها المشرع كأداة لحرمان المدانين بها من بعض الحقوق⁽⁶⁾، مثل الحرمان من تقلد بعض الوظائف العامة⁽⁷⁾، أو ممارسة بعض المهن⁽⁸⁾ أو الفصل من الوظائف التي يشغلونها⁽⁹⁾.

وبالتالي، وفي ظل الفراغ التشريعي المشار إليه، أصبح للإدارة سلطة تقديرية واسعة في تقرير إذا ما كانت أي جريمة تخل بالشرف أم لا، وقد سعت محكمة النقض إلى وضع حد لهذه السلطة، وقررت في أحد أحكامها أن: "تكييف الجريمة وإصباغ صفة الإخلال بالشرف عليها من عدمه سلطة القاضي الإداري وحده، وفقاً لنوع الفعل المعاقب عليه

وظروف ارتكابه"⁽¹⁰⁾، مما يعني أن نفس الجريمة قد تعتبر في ظروف معينة جريمة مخرطة بالشرف، وفي ظروف أخرى لا تعتبر كذلك؛ حسب ما يقرره القاضي الإداري. وقد حاولت المحكمة الإدارية العليا في عدد من أحكامها تفسير ماهية الجرائم المخرطة بالشرف، فذهبت إلى أنه: "لم يحدد قانون العقوبات أو أي قانون آخر سواه الجرائم المخرطة بالشرف والأمانة اتحديداً جامعاً مانعاً، كما أنه من المتعذر وضع معيار مانع في هذا الشأن، على أنه يمكن تعريف هذه الجرائم بأنها تلك التي ترجع إلى ضعف في الخلق وانحراف في الطبع مع الأخذ في الاعتبار نوع الجريمة والظروف التي ارتكبت فيها والأفعال المكونة لها ومدى كشفها عن التأثير بالشهوات والنزوات وسوء السير"⁽¹¹⁾.

كل ما سبق يدل على غياب تعريف واضح للجريمة المخرطة بالشرف، أو أي معايير دقيقة القياس عليها، وبالتالي، فإن الأمر يخضع فقط للسلطة التقديرية للقاضي الإداري وما يراه من ظروف ووقائع محيطية بكل نزاع. فقد ذهبت الجمعية العمومية لقسمي الفتوى والتشريع في مجلس الدولة المصري إلى أن القانون لم يضع تعريف جامعاً مانعاً للجريمة المخرطة بالشرف والأمانة حتى يمكن تطبيقه بطريقة الية على كل حالة، إذ أنه لم يحدد ما يعد من الجرائم مخرطة بالشرف أو الأمانة ولعل المشرع فعل ذلك ليترك بذلك مجالاً لتقدير الإدارة، وأن تكون النظرة إليها من مرونة بحيث يمكن مسايرة التطورات في المجتمع⁽¹²⁾، ومع ذلك يمكن تعريفها بأنها: "تلك الجريمة التي يعتبرها المجتمع مخرطة بالشرف والأمانة وفقاً لتقاليد وأعرافه المرعية"، وينظر إلى مرتكب هذه الجريمة بعين الازدراء والاحتقار بوصفه ضعيف الخلق، منحرف الطبع، دنيء النفس، ساقط المروعة، فإذا ما تمت الجريمة بحسب الظروف التي ارتكبت فيها عن ضعف في الخلق، أو انحراف في الطبع، أو سوء السيرة، أو التأثير بالشهوات، أو النزوات، كانت مخرطة بالشرف أو الأمانة تنتهي بها الخدمة بقوة القانون.. وإن لم تتم عن شيء من ذلك فلا تعتبر مخرطة بالشرف والأمانة بصرف النظر عن النسبة المقررة لها في القانون⁽¹³⁾.

وعرفت المحكمة الإدارية المصرية بأنها ".... الجرائم التي ترجع إلى ضعف في الخلق وانحراف في الطبع، والشخص الذي انحدر مستواه الأخلاقي لا يكون أهلاً لتولي المناصب العامة والتي تقتضي فيمن يتولاها أن يكون متحلياً بالأمانة والنزاهة والشرف واستقامة الخلق..."⁽¹⁴⁾.

أما بالنسبة للمشرع العراقي، فإنه لم يرد كذلك تعريف الجرائم المخرطة بالشرف ولا لمفردة دروس بالشرف، وإنما أورد القانون بعضاً من أنواع الجرائم وسماها بالتسمية المذكورة إذ نصت المادة (6/أ/21) من قانون العقوبات العراقي رقم 111 لسنة 1969 (الجرائم المخرطة بالشرف كالسرقة والاختلاس والتزوير وخيانة الأمانة والاحتتيال والرشوة وهتك

(العرض) إذ أوردتها المادة المذكورة على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر، ولم تخل التشريعات الأخرى من الإشارة إلى هذه الجرائم على سبيل المثال أيضا منها ما جاء في المادة (السابعة /4) من قانون الخدمة المدنية رقم 24 لسنة 1960 في معرض بيانها للشروط الواجب توافرها للتعيين لأول مرة في الوظائف الحكومية (4 - حسن الأخلاق وغير محكوم بجناية غير سياسية أو بجنحة تمس الشرف كالسرقة والاختلاس والتزوير والاحتيال..) كما أوردت المادة (77) من قانون العقوبات العسكري رقم 19 لسنة 2007 هذه الجرائم أيضا على سبيل المثال إذ نصت على أن: " كل من ارتكب جريمة مخلة بالشرف كالتزوير والاختلاس والسرقة وخيانة الأمانة والنصب والاحتيال وشهادة الزور واليمين الكاذبة والرشوة واللواط والمواقعة....

نخلص مما تقدم، إلى عدم تركيز اهتمام التشريعات العقابية بحصر الجرائم المخلة بالشرف بقدر إعطاء الخطوط العريضة للموضوع وبيان الأمثلة عليه وترك الاستفاضة في ذلك للاجتهادات القضائية وفقا لما تمليه ظروف ارتكاب الجريمة وحال المجرم والاستهجان الاجتماعي والأخلاقي والديني للفعل الذي يرتكبه المجرم، أمام ذلك تصدى الفقه لتعريف الجرائم المذكورة بأنها الجرائم التي (تكشف عن خسة واعوجاج في الطباع والسلوك وانعدام في القيم والمبادئ وانحطاط وتدن في التكوين، وأمثلة هذه الجرائم عديدة منها جرائم التجسس والرشوة والاختلاس والاعتصاب والسرقة والنصب وخيانة الأمانة وغيرها)⁽¹⁵⁾، إن ما يجب ملاحظته هو وجوب الحكم على الشخص بأحدى الجرائم المحددة قانونا، ولا يكفي الاتهام بها لكي يعتبر مرتكبا لجريمة مخلة بالشرف، إن ما يميز الجرائم المخلة بالشرف غيرها هو دناءة الباعث، فهي تنبع من البواعث التي يستنكرها المجتمع ويستهنها كالحقد والحسد والجشع ودوافع الكسب غير المشروع.

أما في القضاء العراقي، فقد وردت مفردة الشرف كثيرة، فقد جاء أحد القرارات أن من حق الإنسان أن يحمي شرفه وأن يثار له (إن المدان هدد المشتكي بالقول وذلك بإسناده إليه أمورا محدثة الشرف وذلك بقوله له (سوف يكسر شرفه) وعليه، فإن فعله ينطبق على المادة (432) من قانون العقوبات...).

أما التعريف القضائي للجرائم المخلة بالشرف، فقد جاء في أحد القرارات التمييزية (أن الجرائم المخلة بالشرف لا يمكن أن تخضع للحصر بنص قانوني، وإن ما ورد بالمادة 6/1/21 من قانون العقوبات العراقي جاء على سبيل المثال؛ لأن الإخلال بالشرف مسألة تستخلص من البواعث الدنيئة للفاعل، ومن ظروف ارتكاب الجريمة، ونوع الجريمة المرتكبة..)⁽¹⁶⁾.

ويلاحظ التركيز على الباعث غير الشريف للجريمة في التعريف القضائي المذكور، وقد ورد بقرار آخر (أن وصف المحكمة لجريمة القتل المرتكبة بأنها جنائية عادية غير مخلة بالشرف وصف غير صحيح بالنظر للدافع الذي دفع المجرم لارتكابها، وهو تعاطي احد مبلغ من المال إذ إن ذلك التعبير يعد دافعاً دينياً خسيئاً)⁽¹⁷⁾.

أما عن تعريف القضاء الإداري للجريمة المخلة بالشرف، فقد عرفها مجلس الانضباط العام في العراق، إذ قرر بأنه: "لا يوجد في القوانين النافذة تعريف للجريمة المخلة بالشرف؛ ولكن بالإمكان استخلاص تعريفها من الوصف الذي وصفت به، إذ إن الجريمة المخلة بالشرف هي التي تخل باعتبار واحترام وسمعه مرتكبها في الهيئة الاجتماعية وتجعله منبوذاً من مواطنيه، وأن بعض القوانين عدت قسماً من هذه الجرائم باعتبارها من الجرائم المخلة بالشرف...". كما عرفها المجلس المذكور أيضاً بأنها: (الجرائم التي تدل على سوء سلوك مرتكبها وتكشف عن استهتاره بالمثل العليا والأخلاق الحميدة بحيث توجب احتقاره وتفقد احترام الناس وتجعله بعيداً عن أن يكون موضع ثقتهم)⁽¹⁸⁾.

الفرع الثاني

تحديد نطاق الجرائم المخلة بالشرف

لم ترد الجرائم المخلة بالشرف على سبيل الحصر في قانون العقوبات، ولم يتم تعريفها في القانون أيضاً، إلا أن هناك من الفقه من عرفها وكذلك القضاء، حيث إن ما ورد في قانون العقوبات من جرائم مخلة بالشرف في المادة (6/أ/21) منه في معرض التفريق بين الجرائم العادية والجرائم السياسية، وأعطى أمثلة على الجرائم المخلة بالشرف، كالسرقة والاختلاس والنزوير وخيانة الأمانة والاحتيال والرشوة وهتك العرض، ومن ملاحظة هذه الجرائم يتبين أن بعضها يتطلب صفة في فاعلها، وبعضها الآخر لا يتطلب أي صفة في الفاعل.

أولاً- الجرائم المخلة بالشرف ذات الصفة الخاصة بالفاعل: أن هذه الجرائم لا يمكن أن يرتكبها إلا من كانت له صفة محددة وهي صفة الوظيفية أو التكليف بالخدمة العامة⁽¹⁹⁾، وهي:

(أ) جريمة الاختلاس⁽²⁰⁾: يعرف الاختلاس بأنه: تملك أو إخفاء موظف أو مكلف بخدمة عامة مال أو متاع أو ورقة مثبتة لحق أو غير ذلك مما وجد في حيازته بسبب وظيفته⁽²¹⁾.

وبذلك يكون الاختلاس جريمة يرتكبها الموظف أو المكلف بخدمة عامة، ويفقد بها أمانة الوظيفة على الأموال العامة أو الخاصة المودعة لديه بمقتضى وظيفته، كما لو كان الموظف في دائرة المال وقد استلم المبالغ المترتبة بذمة المواطنين عن استهلاكهم الماء

الصافي التي تم تسديدها من قبلهم له واستحوذ عليها، ولم يسلمها لدائرتة، وقد يستغل الموظف وظيفته فيستولي بغير حق على مال أو متاع أو ورقة مثبتة لحق مملوك للأفراد أودعت لديه بسبب وظيفته، كما لو كان المتهم موظفا ومسئولا عن المحافظة على السيارات المحجوزة التي تعود لأشخاص حصلوا عليها من الشركة العامة للسيارات بإجازات سوق مزوة واستولى على إحدى هذه السيارات بغير حق، وتصرف بها تصرف المالك⁽²²⁾ وبذلك يكون فعل الاختلاس منطويا على خيانة الثقة التي أولتها الدولة للموظف العام حين عهدت إليه حيازة المال بسبب الوظيفة⁽²³⁾.

(ب) جريمة الرشوة: هي إحدى الجرائم المخلة بواجبات الوظيفة والمصلحة العامة، وهي متاجرة الموظف بوظيفته، فالموظف العام لا يقوم بواجباته أو قد يتركها إلا بعطية أو منفعة أو ميزة أو وعد بشيء من ذلك⁽²⁴⁾.

عرفت الرشوة بأنها: "اتجار الموظف في أعمال وظيفته وذلك بتفاضيه أو قبوله أو طلبه مقابلا نظير قيامه بعمل من أعمال وظيفته أو امتناعه عنه"⁽²⁵⁾.

وعرفت أيضا بأنها: (الاتجار بالخدمة العامة)⁽²⁶⁾، وقد أوردها قانون العقوبات المصري في المادة (103) حيث نصت على أنه: "كل موظف عمومي طلب لنفسه أو لغيره أو قبل أو أخذ وعدا أو عطية لأداء عمل من أعمال وظيفته يعد مرتشياً ويعاقب بالسجن المؤبد وبغرامة لا تقل عن ألف جنيه ولا تزيد على ما أعطى أو وعد به"⁽²⁷⁾، وهذا الفعل يصيب الإدارة الحاكمة في الصميم ويعرقل سيرها أو يشكك في نزاهتها، وتراوحت عقوبة جريمة الرشوة بين السجن المؤبد، والسجن حسب التفصيلات في المواد القانونية ذات الصلة، ولا يخفى ما للمتاجرة بشرف الوظيفة من أثر بالغ في عدم استقرار المجتمع، وحسنا فعل المشرع العراقي عندما عدها من جرائم الجنايات المخلة بالشرف⁽²⁸⁾.

ثانيا- الجرائم المخلة بالشرف التي لا تتطلب صفة خاصة بالفاعل: أن هذه الجرائم يمكن أن يكون مرتكبها ممن تتوافر فيه صفة معينة من عدمه، ومن هذه الجرائم:

(أ) جريمة السرقة⁽²⁹⁾: وتعرف بأنها عبارة عن اعتداء على مال منقول وحيازته بغية التملك بدون رضا صاحبه⁽³⁰⁾، وفيها لا يأمن الإنسان على ماله الذي يختلسه السارق ليحرم مالكه منه، كما لو المتهمان على سلب المارة وترصدوا في الطريق العام لهذا الغرض، وسحب أحدهما مسدسه بين طالبا منهما تسليم ساعتيهما، بينما مد الآخر يده إلى جيوب المجني عليهما مخرجا ما فيها من نقود) ففي هذه الحالة لا ينفي عن الجريمة وصف الإخلال بالشرف، كما لا ينفي هذا الوصف أيضاً إذا كانت جريمة القتل قد ارتكبت بقصد السرقة المعاقب عليها بموجب المادة (1/406/ح) عقوبات عراقي⁽³¹⁾.

وعرفت المادة (311) عقوبات مصري السرقة بأنها : "أختلاس مال منقول مملوك للغير بنية تملكه"⁽³²⁾.

أما الشروع بالسرقة، فهي جريمة مخلة بالشرف أيضا، إذ لا يختلف الشروع عن الجريمة التامة في موضوع الإخلال بالشرف حيث قضت محكمة التمييز الاتحادية في أحد قراراتها (... أن إدانة المتهم وفق المادة (2/428) من قانون العقوبات والحكم عليه... بنى على مخالفة للقانون من خلال التكيف القانوني ؛ ذلك لأن المشتكية أوردت بأقوالها بأن المتهم قام (بيج) باب الدار، وقد أيد الكشف على محل الحادث وجود الأمر المذكور إذ إن المتهم أقر صراحة بدخول الدار لأجل السرقة وأجري كشف الدلالة، لذا فإن الأدلة المتحصلة ضده كافية لتجريمه وفق المادة (443/ رابعا / 31) من قانون العقوبات...⁽³³⁾.

(ب) جريمة التزوير⁽³⁴⁾: تعد جرائم التزوير من أخطر الجرائم التي تخل بالثقة العامة التي يضعها أفراد المجتمع في بعض الأشياء أو المستندات التي يضيف عليها النظام القانوني أهمية خاصة،

وقد تناولها المشرع المصري في الباب السادس عشر من الكتاب الثاني من قانون العقوبات في المواد من (206) إلى (227)، ويشمل هذا الباب على طائفتين من الجرائم الأولى: جرائم تقليد وتزوير الأختام والدمغات والعلامات الحكومية وغير الحكومية وبعض الأوراق الحكومية والثانية: جرائم تزوير المحررات الرسمية والعرفية⁽³⁵⁾.

والتزوير هو نوع من الكذب يتمثل بالتمويه والتلبيس لا يمكن تصويره إلا بإبدال الحقيقة بما يغيرها⁽³⁶⁾، وقد عرفت المادة (286) عقوبات عراقي التزوير بأنه: "هو تغيير الحقيقة بقصد الغش في السند أو وثيقة أو أي محرر بإحدى الطرق المادية أو المعنوية التي يبينها القانون تغييرا من شأنه إحداث ضرر بالمصلحة العامة أو بشخص من الأشخاص". وفي الواقع أن المادة (6/1/21) عقوبات عراقي أوردت جريمة التزوير كإحدى الجرائم المخلة بالشرف، كقيام المتهم بإصدار قسامين لمورث واحد مع وجود اختلاف في عدد الورثة، وقد يرتكب التزوير في محرر عادي أو في محرر رسمي، ولكي تكون أمام محرر رسمي يجب أن يكون مثبتة فيه بيانات قد جرى تحريرها من قبل موظف أو مكلف بخدمة عامة وفي حدود اختصاصه، وبعد ذلك جرى تغيير الحقيقة لتلك البيانات بإحدى طرق التزوير"⁽³⁷⁾.

وإن علة جريمة التزوير في المحررات أنه يهدر الثقة العامة فيها، ويخل تبعا لذلك بالضمان واليقين والاستقرار في المعاملات وسائر الحياة القانونية في المجتمع⁽³⁸⁾.

(ج) جريمة خيانة الأمانة⁽³⁹⁾: نصت المادة (341) من قانون العقوبات المصري على جريمة خيانة الامانة حيث تقرر أن: (كل من اختلس أو استعمل أو بدد مبالغ وأمتعة أو

بضائع أو نقودا أو تذاكر أو كتابات أخرى مشتملة على تمسك أو مخالصة أو غير ذلك إضرارا بمالكيها أو أصحابها أو واضعي السيد عليها، وكانت الأشياء المذكورة لم تسلم له إلا على وجه الوديعة أو الإجازة أو على سبيل عارية لاستعمال أو الرهن ، أو كانت سلمت له بصفة كونه وكيلًا بأجرة أو مجانًا بقصد عرضها للبيع أو استعمالها في أمر معين لمنفعة المالك لها أو غيره، يحكم عليه بالحبس ويجوز أن يزداد عليه غرامة لا يتجاوز مائة جنية مصري)، حيث يحمي المشرع بتجريم خيانة الأمانة حق ملكية المنقولات بالإضافة إلى حماية الثقة التي تسلم المتهم المال المملوك لغيره على أساسها بناء على العلاقة القانونية التي تربطه به، لذلك فخيانة الأمانة تفترض تسلم المتهم مال الغير على سبيل الأمانة، لكن المتهم يخون ثقة صاحب المال فيه، ويستولي على هذا المال لنفسه ويعتبره مملوكة له. ويعني ذلك أن خائن الأمانة كان يحوز مال الغير حيازة ناقصة، بناء على علاقة تخوله ذلك، لكنه يحول حيازته الناقصة إلى حيازة كاملة، فيدعي ملكيته للمال أو يتصرف فيه تصرف المالك فيما يملكه⁽⁴⁰⁾.

ومحل الأمانة هي شيء مادي منقول يسلم إلى شخص معين بقصد المحافظة عليه إلى أجل معين، ويفترض أن يكون المال من طبيعة مادية تدرکها الحواس، فلا ترد الأمانة بمعناها المعروف على فكرة أو رأي أو سر أو اختراع، ولا يشترط للمال المؤمن قيمة مادية إنما يمكن أن يكون ذا قيمة معنوية للشخص المملوك له⁽⁴¹⁾، وبذلك تقع خيانة الأمانة اعتداء على ملكية المنقولات، ذلك أن المتهم يحدد حق المالك ويعبر عن ذلك بفعله، ويدعي لنفسه هذا الحق مخلصاً بالثقة القائمة بين المتهم والمجني عليه⁽⁴²⁾، وبذلك فإن أركان خيانة الأمانة وفقاً لأحكام المادة (453) عقوبات عراقي، أن يكون هناك مالا منقولاً مملوكة للغير قد سلم إلى الأمين (المتهم)، ولكنه تصرف فيه تصرف المالك خلاف الغرض من إيداعها لديه، فمثلاً يكون (المتهم قد خان الأمانة إذا كان قد استلم السيارة من المشتكي للعمل بها إلا أنه قام ببيعها والتصرف بثمنها لحسابه الخاص)⁽⁴³⁾.

(د) جريمة الاحتيال (النصب)⁽⁴⁴⁾ : نصت على جريمة النصب المادة (336) من قانون العقوبات المصري على أنه: "يعاقب بالحبس كل من توصل إلى الاستيلاء على نقود أو عروض أو سندات دين مخالصة أو أي متاع منقول وكان ذلك بالاحتيال لسلب كل ثروة الغير أو بعضها باستعمال طرق احتيالية من شأنها إيهام الناس بوجود مشروع كاذب أو واقعة مزورة أو إحداث الأمل بحصول ربح وهمي أو تسديد المبلغ الذي أخذ بطريق الاحتيال، أو إيهامهم بوجود سند دين غير، صحيح أو سند مخالصة مزور، وأما بالتصرف في مال ثابت منقول ليس ملكاً له ولا له حق التصرف فيه أما باتخاذ اسم كاذب

أو صفة غير صحية، أما من شرع في النصب ولم يتممه فيعاقب بالحبس مدة لا تتجاوز سنة...⁽⁴⁵⁾.

ويعرفه الفقه بأنه: "الاستيلاء على مال منقول مملوك للغير بنية تملكه وذلك بواسطة وسائل الاحتيال المنصوص عليها في القانون"⁽⁴⁶⁾، يتضح مما تقدم، أن الجاني استعمل طريقة احتيالية خدع به المجني عليه ليتوصل إلى استلام المال المنقول، وهي طرق تخل باعتبار المتهم وتفقد الثقة به، وأن المشرع في جريمة الاحتيال يحمي مصالح عديدة فضلا عن حق الملكية وهي سلامة إرادة المجني عليه في التصرف في ماله بإحدى التصرفات الجائزة متى شاء بإرادة حرة غير مؤثر عليها بوسائل الخداع، كما يحمي بهذه الجريمة الثقة العامة التي بمقتضاها يسوء حسن النية بالتعامل بين أفراد المجتمع⁽⁴⁷⁾.

(هـ) جرائم العرض: وتتعدد جرائم العرض في مجموعة قوانين حددها المشرع المصري والعراقي علي سبيل الحصر⁽⁴⁸⁾، لاسيما جرائم الاغتصاب؛ حيث نصت المادة (393) من قانون العقوبات العراقي الرقم (111) لسنة 1969 في فقرتها الأولى على أنه: "يعاقب بالسجن المؤبد او و كل من واقع أنثى بغير رضاها أو لاط بذكر أو أنثى بغير رضاه أو رضاها".

إذن يتبين من هذا النص، أن جريمة الاغتصاب تقوم على أركان ثلاثة، الأول: فعل الوقاع غير المشروع وهو الركن المادي للجريمة، والثاني: انعدام رضاء المجني عليها أو عليه، أما الثالث في الركن المعنوي والمتمثل بالقصد الجنائي⁽⁴⁹⁾.

كذلك على سبيل المثال، جرائم هتك العرض، فقد نصت المادة (298) من قانون العقوبات المصري رقم (58) لسنة 1937 المعدل على أنه: "كل من هتك عرض إنسان بالقوة أو بالتهديد أو شرع في ذلك يعاقب بالسجن المشدد"، (وإذا كان عمر من وقعت عليه الجريمة المذكورة لم يبلغ ثماني عشر سنة ميلادية كاملة أو كان مرتكبها أو أحد مرتكبيها من نص عليهم في الفقرة الثانية من المادة (267) تكون العقوبة السجن المشدد مدة لا تقل عن سبع سنوات، وإذا اجتمع هذان الظرفان معا يحكم بالسجن المؤبد)، وتنص المادة (269) عقوبات مصري على أنه: "كل من هتك عرض صبي أو صبية لم يبلغ سن كل منها ثماني عشرة سنة كاملة بغير قوة أو تهديد يعاقب بالسجن..."⁽⁵⁰⁾.

ولقد استعملت كلمة العرض اصطلاحا دارجة بأنها (شرف الجسد) للرجل والمرأة على حد سواء، والاعتداء على العرض كلمة شاملة لكافة الاعتداءات على الشرف والتي تبلغ منها درجة الاغتصاب⁽⁵¹⁾.

ويعرف بأنه: هو كل تعد مناف للآداب يقع مباشرة على جسم شخص آخر وبذلك يتكون الفعل من عنصرين أولهما: وصول الفعل إلى جسم المجني عليه، وثانيهما: كون الفعل

خادش للحياء فهتك العرض فعل مخل بالحياء على نحو جسيم، يكشف عن الرغبة في الاتصال الجنسي ومدى خطورة الجاني، وينطوي في ذاته على مساس بالشرف والحرية الجنسية⁽⁵²⁾، وكذلك يعرف هتك العرض بأنه: "الإخلال العمدي الجسيم بحياء المجني عليه بفعل يرتكب على جسمه، ويمس في الغالب عورة فيه"⁽⁵³⁾.

ويمكن تعريف هتك العرض أيضا بأنه: "تعد منافع للآداب يقع مباشرة على جسم آخر، ويكون من الفحش إلى حد المساس بعورات المجني عليه"⁽⁵⁴⁾.

ولا يعتبر المشرع المصري جريمة هتك العرض جريمة واحدة وإنما تعد جريمتان منفصلتان لكل واحدة الأركان الخاصة بها، وذلك ضمن باب في قانون العقوبات يحمل اسم هتك العرض وإفساد أخلاق، والجريمة الأولى: هي هتك العرض بالقوة أو التهديد المادة (268) عقوبات مصري، أما الجريمة الثانية: فهي هتك العرض دون قوة أو تهديد المادة (269) عقوبات مصري⁽⁵⁵⁾.

والعرض عرفا هو الطهارة الجنسية، وتجدر الإشارة إلى أن عمر المجني عليه يعد ركنا في الجرائم المخلة بالأخلاق والآداب العامة، وكذلك رضاه بالفعل المرتكب ضده من عدمه، فإذا وجدت المحكمة أن المجني عليه رشيدا عاقلا راضيا بالفعل المرتكب ضده، فلا يعد الأمر جريمة لا مخلة بالشرف ولا غير مخلة به⁽⁵⁶⁾، أما إذا كان المجني عليه لم يبلغ سن الرشد بعد، فالفعل المرتكب ضده يعد جريمة وإن كان راضيا بالفعل إذ لا عبرة برضا المجني عليه بارتكاب جريمة مخلة بالأخلاق ضده إذا لم يتم الثامنة عشر من عمره⁽⁵⁷⁾.

غني عن البيان، أن المشرع العراقي قد أورد الاعتداء على العرض أو هتك العرض في الفصل الأول من الباب التاسع (الجرائم المخلة بالأخلاق والآداب العامة)، حيث جاء عنوان الفصل (الاغتصاب واللواط وهتك العرض)، وقد يبدو لأول وهلة أن المشرع لم يكن موفقاً عندما أورد (هتك العرض) ضمن الجرائم المخلة بالشرف، إذ كان الأولى أن يورد ما هو أشد منها من جرائم الاغتصاب واللواط أولاً، لكن الحقيقة هي أن شمول هتك العرض بالجرائم المخلة بالشرف وهي أدنى درجة من الآخر، بات يعني بما لا يقبل الشك أن المشرع يقصد هذه الجرائم أيضاً، إلا أن ما يجب إيرادها في هذا المقام، هو وجوب أن تشمل الجرائم الواردة في الباب التاسع من قانون العقوبات بأحكام الجرائم المخلة بالشرف وهي (الجرائم المخلة بالأخلاق والآداب العامة) والتي تشمل إضافة لما تقدم جرائم التحريض على الفسق والفجور والفعل الفاضح المخل بالحياء، لأن لها ذات الأثر وتتبع من ذات الباعث، وهي جرائم مخلة بالشرف بلا نقاش، ويمكن القول أنه ليس هناك ما يمنع المشرع من حصر الجرائم المخلة بالشرف وتحديد الخطوط العريضة لها على الأقل أو تحديدها بنصوص صريحة أسوة ببعض قوانين العقوبات كما عرفنا⁽⁵⁸⁾، ونرى:

اعتبار الجرائم الآتية من الجرائم المخلة بالشرف وهي: الجرائم الماسة بأمن الدولة الخارجي، والجرائم الماسة بأمن الدولة الداخلي، وجريمة الأخبار الكاذبة وتضليل القضاء وشهادة الزور واليمين الكاذبة، والجرائم التي تمس الشعور الديني، وانتهاك حرمة القبور، وجريمة الإيذاء والاعتداء والضرب المفضي إلى الموت، إذا كان المجني عليه من أصول الجاني أو وقعت على موظف أثناء تأدية خدمته أو بسببها، وجريمة القتل العمد المشدد، وجرائم القذف والسب وإفشاء السر، وجريمة المراباة، وجريمة زنا الزوجة، والزنا بالمحارم، لما للجرائم المذكورة من أثر غير محمود على العلاقات الاجتماعية وعلى أمن الدولة، فضلا عن كونها تتسم بباطح دنيء غير شريف، أما المسألة الأخرى الواجبة الطرح هي: أن القضاء العراقي وانطلاقاً من مبدأ عدم حصر الجرائم المخلة بالشرف ونظراً لدناءة الباطح، فقد اعتبر القضاء العراقي جرائم مخلة بالشرف رغم عدم ورودها في المادة (6/أ/21) عقوبات، ومنها جريمة الخطف، فقد نصت أحد القرارات التمييزية تصديق قرار محكمة الجنايات المتضمن تجريم المتهممة والحكم عليها بالسجن خمس عشرة سنة وفق المادة (422) عقوبات عراقي، واستدلالاتها بالمادة (1/132) منه لخطفها طفلة حديثة الولادة⁽⁵⁹⁾.

يتضح مما سبق، أن هذه الجرائم تعتبر مخلة بالشرف فقها وقضاء، ولكن هناك قرارات أخرى لها قوة القانون وتكون جرائم مخلة بالشرف منها: جريمة تسريب وإفشاء الأسئلة الامتحانية، حيث عد المشرع العراقي جريمة تسريب وإفشاء وإذاعة أو التداول بصورة غير مشروعة في أسئلة الامتحانات النهائية أو أسئلة الامتحانات العامة بأنها جريمة مخلة بالشرف وذلك بموجب الفقرة رابعة من القرار رقم (132) لسنة 1996⁽⁶⁰⁾. وكذلك جريمة المراباة، حيث عد المشرع العراقي جريمة إقراض النقود بأي طريقة بفائدة ظاهرة أو خفية تزيد على الحد المقرر قانوناً بأنها جريمة مخلة بالشرف؛ وذلك لما فيها من استغلال الحاجة الناس وعدم مساعدة المحتاجين منهم ضمن الحدود المقررة للفوائد القانونية⁽⁶¹⁾.

وجرائم التخريب الاقتصادي أيضاً تعد من الجرائم المخلة بالشرف؛ لأن كل فعل يؤدي إلى إهدار القوة الاقتصادية للبلاد وينتج عنه الفساد الاقتصادي وهو (الحصول على منافع مادية أو أرباح عن طريق أعمال منافية للقيم والأخلاق والقانون، كالغش التجاري والتلاعب بالأسعار عبر افتعال الأزمات في السوق)⁽⁶²⁾.

وهناك جرائم أخرى مخلة بالشرف ولكن ذات طبيعة خاصة بطائفة معينة، وهي الجرائم المخلة بالشرف العسكري، حيث ورد في قانون العقوبات العسكري رقم 19 لسنة 2007 هذه الأنواع من الجرائم وهي خاصة بالعسكريين المشمولين بالقانون المذكور، إذ جاء

الفصل الثاني عشر بعنوان الجرائم المخلة بالشرف العسكري، وقد أوردتها المواد (75-77)، وهي حالة السكر والدخول باللباس العسكري لمحلات البغاء والقمار أو المحلات المهنية للشرف العسكري، ولعب القمار، ومساكن المومسات، والواط، أو الوقاع، أو الشروع فيه مع شخص عسكري، كما ورد في قانون العقوبات قوى الأمن الداخلي رقم 14 لسنة 2008 نصوص متطابقة لما ورد في قانون العقوبات العسكري، كذلك فإن ترك الخدمة والتخلف عنها تعتبر جريمة مخلة بالشرف والأمانة⁽⁶³⁾.

يتضح مما تقدم، أن هذه الجرائم تعبر عن باعث دنيء لدى مرتكبها؛ لأنها جرائم تحط من كرامة الإنسان وتفقد الأهلوية اللازمة لشغل أي وظيفة عامة ابتداءً، وذلك لأن من أهم وأقوى شروط تولي الوظائف العامة أن يكون الشخص حسن السمعة وغير مرتكب الجناية أو جريمة مخلة بالشرف، فإن ارتكب الشخص إحدى هذه الجرائم فإنه لا يصلح لأن يتولى وظيفة عامة؛ لأن من يتولى الوظائف العامة يجب أن يتحلى بالنزاهة والأمانة والشرف.

المطلب الثاني

أثر الحكم الجنائي الصادر بالجرائم المخلة بالشرف والأمانة على الرابطة الوظيفية إن لكل حكم أثراً على أرض الواقع، ويتعلق هذا الأثر سواء بحالة الشخص المحكوم وحرية أو أمواله أو بصفته الوظيفية أو المدنية واعتباره الأخرى، ولأجل بحث هذا الموضوع بدقة ينبغي أولاً التعرف على الآثار الجنائية للحكم بالجريمة المخلة بالشرف، تلك التي وردت في القوانين الجزائية سواء كانت بالإدانة أو البراءة أو قراراً بالإفراج. ثم نتناول الآثار المدنية الأخرى للحكم الجنائي أي تلك الواردة في القوانين الوظيفية والدستورية.

الفرع الأول: أثر الحكم الجنائي الصادر بالإدانة في الجرائم المخلة بالشرف والأمانة على حق تولي الوظائف العامة.

الفرع الثاني: أثر الباعث السياسي على طبيعة الجرائم المخلة بالشرف .

الفرع الأول

الحكم الجنائي الصادر بالإدانة في الجرائم المخلة بالشرف والأمانة على حق تولي الوظائف العامة

العقوبة السالبة للحرية تقوم على حرمان المحكوم من حريته الشخصية، وحجزه في مكان مخصص طيلة مدة العقوبة وفق شروط يقررها القانون⁽⁶⁴⁾، وإن كافة ما ورد من نصوص في قانون الإجراءات الجنائية عامة تشمل جميع الجرائم بلا تفيد وتسري على

الجريمة المخلة بالشرف كما تسري على غيرها في حالة توافق العقوبة مع عقوبة الجريمة المخلة بالشرف في كل أثر من الآثار⁽⁶⁵⁾.

وما يهمننا هنا، هو دراسة الأثر الجزائي للاتهام والحكم بالجريمة المخلة بالشرف، وقد يكون هذا الموضوع هو من أهم ما يلحق الجريمة المخلة بالشرف من أحكام، بالنظر لتشتت أحكام ارتكاب الجريمة المخلة بالشرف بين مختلف القوانين العقابية والجنائية، وبين ما يؤثر في مرحلة التحقيق الابتدائي، ومرحلة بعد الحكم والتجريم، والعقوبة في الجريمة المخلة بالشرف، وفي سبيل ذلك سنقسم الموضوع إلى النقاط التالية:
أولاً- الآثار الجنائية المترتبة على الاتهام بجريمة مخلة بالشرف في مرحلة التحقيق الابتدائي:

إن مرحلة التحقيق الابتدائي هي أول مرحلة تقطعها الدعوى الجنائية بعد تحريكها، ويقوم بالتحقيق الابتدائي النيابة العامة استناداً لنص المادة (1) من قانون الإجراءات الجنائية المصري⁽⁶⁶⁾.

إن لبعض الجرائم خصوصية في الإجراءات التحقيقية المتبعة ابتداءً من الإخبار عن الجريمة وجمع الأدلة عنها حتى إحالتها إلى المحكمة المختصة.

(1) تحريك الدعوى الجنائية في الجرائم المخلة بالشرف: لقد أورد قانون أصول المحاكمات الجزائية العراقي الجرائم التي لا يجوز تحريكها إلا بشكوى تقدم من قبل المجني عليه أو من يقوم مقامه قانوناً وذلك في المادة (3) منه⁽⁶⁷⁾، ما عدا هذه الجرائم فهي من جرائم الحق العام والتي يجوز الإخبار عنها لمن وقعت عليه ولكل من علم بوقوعها، من الأشخاص، فضلاً عن الجهات القانونية المتمثلة بأعضاء الضبط القضائي والادعاء العام (النيابة العامة) والشرطة⁽⁶⁸⁾.

كما تبين عند بحث أنواع الجرائم المخلة بالشرف أنها تقع تحت أنواع الجرائم ذات الحق العام يجوز الإخبار عنها من قبل كل من علم بوقوعها فضلاً عن الجهات الملزمة بالأخبار ويستثنى من ذلك جرائم السرقة وخيانة الأمانة والاحتتيال و الاغتصاب أو حيازة الأشياء المتحصلة عنها إذا كان المجني عليه زوج الجاني أو أصلاً أو فرعاً له، ما لم تكن الأموال محجوز عليها قضائية أو إدارياً أو مثقلة بحق لشخص آخر، إذ لا يجوز تحريك الدعوى إلا بشكوى من المجني عليه أو من يمثله قانوناً، وهذا هو القيد الوحيد على تحريك الدعوى الجزائية في مجموعة الجرائم المخلة بالشرف⁽⁶⁹⁾.

(2) إحضار المتهم وإخلاء سبيله: كما علمنا سابقاً بأن أغلبية الجرائم المخلة بالشرف من الجرائم المعاقب عليها بالسجن المؤبد والموقت وحتى الإعدام، وقد ألزمت المادة (99) الأصولية أن يحضر المتهم بأمر القبض إذا كانت الجريمة معاقب عليها بالإعدام أو

السجن المؤبد وأجاز إحضار المتهم بأمر القبض في الجرائم المعاقب عليها بالحبس مدة تزيد على السنة، أما إخلاء السبيل بكفالة أو تعهد بعد إكمال إجراءات التحقيق، فقد استثنى القانون الجرائم المعاقب عليها بالإعدام بموجب المادة (109/ب) الأصولية. أما في بعض الجرائم فقد أجاز لقاضي التحقيق إخلاء سبيل المتهم فيها بكفالة، وحفاظاً على إجراءات التحقيق وضماناً لعدم هروب المتهم، فقد منع القانون في بعض الجرائم المخلة بالشرف أن يطلق سراح المتهم فيها بكفالة، ومنها ما جاء بالقرار 38 لسنة 1993⁽⁷⁰⁾. من عدم إطلاق سراح المتهم بجريمة الاختلاس أو السرقة أو الرشوة سواء أكان في دور التحقيق أم المحاكمة حتى صدور حكم بات في الدعوى.

ثانياً - أثر الجريمة المخلة بالشرف في تقدير العقوبة:

أن العقوبة الجنائية محددات قانونية هي المادة العقابية ذاتها وما يرد فيها من حد أعلى وأدنى، وهذا فضلاً عن الأعذار المخففة والظروف المشددة، إذ أن التناسب بين التجريم والعقاب بشكل عام يجب أن يرتبط بعقوبة تسبقه على أن تقدر بقدرها وذلك أساس مهم من أسس التجريم والعقاب⁽⁷¹⁾.

فالجريمة المخلة بالشرف من الجرائم الخطرة ذات الأثر السيء على كيان الهيئة الاجتماعية، مما دفع المشرع إلى إقرار عقوبات قاسية لأغلب الجرائم المخلة بالشرف تتراوح بين السجن المؤبد والحبس، وقد تصل في البعض منها إلى الإعدام كجريمة القتل بباطل دنيء والخطف وبعض جرائم التخريب الاقتصادي⁽⁷²⁾.

ومن التطبيقات القضائية في هذا الموضوع ما جاء في أحد القرارات التمييزية (إن كافة القرارات التي أصدرتها محكمة الجنايات صحيحة... باستثناء قرار فرض عقوبة بالحبس لمدة ثلاث سنوات... فقد وجد أنها خفيفة ولا تتناسب مع وقائع الجريمة وظروف ارتكابها والمقضي بها على المجرم... وفق المادة 2/396 عقوبات...)⁽⁷³⁾. يتضح مما تقدم، أن القضاء العراقي قد شدد على الجرائم المخلة بالشرف وبشكل يوازي ظروف الجريمة والخطورة الإجرامية لدى المجرم.

وما يهمننا في هذا البحث، هو معرفة الآثار المدنية للحكم بالجريمة المخلة بالشرف، وبعبارة أخرى هي الآثار التي أوردتها القوانين غير الجنائية، كقوانين الوظيفة العامة والقوانين المدنية والقوانين الدستورية.

1 - اثر الجريمة المخلة بالشرف على حق تولي الوظائف العامة:

يتضح مما سبق ذكره في تعريف الجريمة المخلة بالشرف وتحديدتها أنها جريمة تتم عن ضعف في الخلق، وانحراف في الطبع وهي من الجرائم الخطرة على المجتمع، ذلك يجب أن يكون من يتولى العامة أمين ونزيهاً، فإن ارتكاب مثل هذه الجرائم تمنع مرتكبيها وإلى

الأبد من تولي أي وظيفة عامة، فقد حددت المادة (14) من قانون الخدمة المدنية رقم 48 لسنة 2016 الشروط الواجب توفرها فيمن يتعين في إحدى الوظائف العامة، فنصت الفقرة الثالثة من ذات المادة على أنه: "ألا يكون قد سبق الحكم عليه بعقوبة جنائية أو بعقوبة مقيدة للحرية في جريمة مخلة بالشرف أو الأمانة ما لم يكن قد رد إليه اعتباره.." (74).

حيث اشترطت المادة 3/14 من قانون الخدمة المدنية لصلاحيه المرشح للتعين في الوظيفة، أن لا يكون قد سبق الحكم عليه بعقوبة جنائية أو بعقوبة مقيدة للحرية في جريمة مخلة بالشرف أو الأمانة ما لم يكن قد رد إليه اعتباره، وبذلك يمتنع من الترشيح لشغل الوظيفة العامة من حكم عليه بعقوبة جنائية كالأشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة أو السجن، ويشترط أن يكون حكم الإدانة باتاً ونهائياً، كذلك بعقوبة مقيدة للحرية في جريمة مخلة بالشرف والأمانة(75).

وعلى الرغم من وجود النص السابق، فقد تضمنت العديد من النصوص القانونية الأخرى تكراراً لهذا النص عند التعيين، وحتى عند التقديم لدخول الدراسة لغرض التعيين، كما جاء في المادة السابعة من قانون المعهد القضائي العراقي رقم 33 لسنة 1976 إذ نصت على أن (أولاً يشترط فيمن يقبل للدراسة في المعهد توفر ما يلي: ... ج - أن لا يكون محكوماً عليه بجنائية غير سياسية أو بجنحة مخلة بالشرف)، كذلك نص قانون السلطة القضائية رقم 46 لسنة 1972 في المادة (38) على أنه: يشترط فيمن يتولى القضاء: ... 4- ألا يكون قد حكم عليه من المحاكم أو مجالس التأديب لأمر مخل بالشرف ولو كان قد رد إليه اعتباره..." (76).

ان جميع ما ورد من امثلة في القوانين الخاصة هي تكرار، وإلا فإن الشرط الذي أوردته المادة (3/14) من قانون الخدمة المدنية المصري هو كاف في إيضاح ما هو مقصود.

2- أثر الحكم بالجريمة المخلة بالشرف في إنهاء الرابطة الوظيفية:
أوضحت الفقرة (7) من المادة (96) من قانون العاملين المدنيين بالدولة المصري رقم (47) لسنة 1978 المعدل القاعدة العامة في هذا الشأن، حيث نصت على ما يأتي: "تنتهي خدمة العاملين لأحد الأسباب الآتية: الحكم عليه بعقوبة جنائية في إحدى الجرائم المنصوص عليها في القوانين الخاصة أو بعقوبة مقيدة للحرية في جريمة مخلة بالشرف أو الأمانة ما لم يكن الحكم مع وقف التنفيذ ومع ذلك إذا كان الحكم قد صدر لأول مرة فلا يؤدي إلى إنهاء الخدمة؛ إلا إذا قدرت لجنة شؤون العاملين بقرار مسبب من واقع أسباب الحكم وظروف الواقعة أن بقاء العامل يتعارض مع مقتضيات الوظيفة وطبيعة العمل".

يتضح من خلال ما ذكر أعلاه، أن الحكم على الموظف بعقوبة مقيدة للحرية عن جريمة مخلة بالشرف أو الأمانة تترتب عليها إنهاء رابطة الوظيفة.

كذلك نصت المادة (69) من قانون الخدمة المدنية المصري رقم 81 لسنة 2016 على أنه: تنتهي خدمة الموظف لأحد الأسباب الآتية: ... ٩- الحكم عليه بعقوبة جنائية أو بعقوبة مقيدة للحرية في جريمة مخلة بالشرف أو الأمانة أو تفقده الثقة والاعتبار...".

وكذلك يستوي في الحكم الذي يترتب عليه إنهاء خدمة الموظف أن يكون صادرة بعقوبة جنائية أو بعقوبة مقيدة للحرية، وفي الحالة الأخيرة يشترط أن يكون الحكم في جريمة مخلة بالشرف أو الأمانة⁽⁷⁷⁾، وقد استقر الأمر سواء في قانون العقوبات أم في القانون الإداري على أن الجرائم التي تستوجب إنهاء العلاقة الوظيفية هي تلك التي تمس الشرف أو الأمانة، والتي صدر فيها الحكم بعقوبة مقيدة للحرية⁽⁷⁸⁾.

السؤال الذي يثار هنا هو هل للحكم بالجريمة المخلة بالشرف خصوصية من حيث الأثر على الرابطة الوظيفية؟

لقد أجاب الفقهاء على ذلك إذا اعتبر أن مجرد الحكم على الموظف بجريمة مخلة بالشرف أو الأمانة يؤدي إلى إنهاء خدمة ذلك الموظف بقوة القانون أيا كان نوع الفعل جنائية أو جنحة؛ لأن وصف الفعل بأنه جريمة مخلة بالشرف يعد وصفاً يصدق على كافة الأفعال المجرمة⁽⁷⁹⁾.

أما في القانون العراقي، فلم ينص صراحة على أثر الحكم بالجريمة المخلة بالشرف على رابطة الوظيفة سوى في المادة (4/7) من قانون الخدمة المدنية رقم 24 لسنة 1960، قد اشترط للتوظيف عدم الحكم عن جنائية غير سياسية أو جنحة مخلة بالشرف، فإذا فقد الموظف هذا الشرط أصبح لزاماً عزله من الوظيفة لفقدان أحد الشروط اللازمة لتوليها، هذا ومن جهة أخرى، فإن هناك توافقاً بين نص البندين سابقاً وثامناً من المادة (81) من قانون انضباط موظفي الدولة إذ عدت الفقرة ب/ من البند سابقاً مدة البقاء في الحبس أو السجن عن جريمة غير مخلة بالشرف سبباً للفصل وكأنها تريد القول أن للحكم بالجريمة المخلة بالشرف حكمة آخر هو العزل؛ والذي عد ارتكاب الموظف فعلاً خطيراً يجعل بقاءه في الخدمة مضرراً بالمصلحة العامة سبباً للعزل إن مصطلح الفعل الخطير يحتمل بلا أدنى شك الجرائم المخلة بالشرف⁽⁸⁰⁾.

ويرى الباحث أنه يجب على المشرع أن ينص صراحة على عزل الموظف الذي يحكم عليه بجريمة مخلة بالشرف؛ لأنه يكون قد فقد شرطة أساسية من شروط التعيين وهو عدم المحكومية.

3- أثر الحكم بالجريمة المخلة بالشرف على الحقوق الدستورية :

ينحصر أثر الحكم بالجريمة المخلة بالشرف على الحقوق الدستورية بحق الترشح للمجالس النيابية و الوظائف السياسية العليا في البلاد، وكذلك حق الانتخاب، فمن جانب الحق بالانتخاب فإن أثر الحكم بالجريمة المخلة بالشرف يشترك مع غيرها ممن تتحد معها في العقوبة في حال السجن المؤبد او المؤقت أو الإعدام⁽⁸¹⁾، فالمحكوم بهذه العقوبات محروم بموجب القانون من يوم صدور الحكم إلى يوم خلاء سبيله من السجن من أن يكون ناخبة أو منتخبا في المجالس التمثيلية⁽⁸²⁾.

أما في القوانين الانتخابية الحديثة , فقد منحت المادة (1) من قانون أحكام الترشيح لمنصب رئيس الجمهورية، كما تكرر هذا النص في المادة (68) من دستور جمهورية العراق لسنة 2005 والتي منعت الفقرة رابعاً منها المحكوم بجريمة مخلة بالشرف من الترشيح للمنصب المذكور.

كذلك اشترطت المادة (6) من قانون الانتخابات العراقي رقم 16 لسنة 2005 بالمرشح ألا محكوماً عليه بجريمة مخلة بالشرف، وكذلك قانون مجلس النواب رقم 45 لسنة 2013، فقد اشترطت المادة (8) منه بالمرشح الا يكون محكوماً عليه بجريمة مخلة بالشرف⁽⁸³⁾.

أما بالنسبة لقانون المحافظات غير المنتظمة بإقليم رقم 21 لسنة 2008، فقد تطلبت المادة (5) منه في المرشح لعضوية مجالس المحافظات أن يكون حسن السيرة والسلوك وغير محكوم بجناية أو جنحة مخلة بالشرف.

وكذلك نصت المادة (8/2/د) من قانون الهيئة الوطنية العليا للمساءلة والعدالة رقم 10 لسنة 2008، ألا يكون العضو محكوماً لجريمة مخلة بالشرف، وكذلك ما جاء في المادة (3) ثانياً من قانون المفوضية العليا المستقلة للانتخابات رقم 11 لسنة 2007 من شرط عدم المحكومية لمن يرشح العضوية مجلس المفوضين فيها.

وفي الختام، يتبين من خلال دراسة الجرائم المخلة بالشرف أن هذه الجرائم أفعال تنبع عن ضعف في الخلق وانحراف في الطبع وتأثير بالنزوات والشهوات تدل بوضوح على سوء السيرة والسلوك، كما عرفنا مما تقدم، أنه لا يوجد نظام قانوني لهذه الجرائم، وإنما توجد لها نصوص متفرقة في عدة قوانين ولكن يوجد الكثير من التطبيقات القضائية التي تدل على هذه الجريمة بجميع صورها.

الفرع الثاني

أثر الباعث السياسي على طبيعة الجرائم المخلة بالشرف
تناول المشرع العراقي الجرائم السياسية في قانون العقوبات رقم 111 لسنة 1969 المعدل في الفقرة (أ) من المادة (21) حيث نصت على أنه: "الجريمة السياسية هي

الجريمة التي ترتكب بباعث سياسي او تقع على الحقوق السياسية العامة أو الفردية، وفيما عدا ذلك تعتبر الجريمة عادية، ومع ذلك لا تعتبر الجرائم التالية سياسية لو كانت قد ارتكبت بباعث سياسي :

- 1- الجرائم التي ترتكب بباعث أناني دنيء.
- 2 - الجرائم الماسة بأمن الدولة الخارجي.
- 3- جرائم القتل العمد والشروع فيها .
- 4- جريمة الاعتداء على حياة رئيس الدولة.
- 5- الجرائم الإرهابية.
- 6- الجرائم المخلة بالشرف كالسرقة والاختلاس والتزوير وخيانة الأمانة والاحتيال والرشوة وهتك العرض".

إن هذه الاستثناءات انتقائية ولا تعبر عن حقيقة ثابتة، فالإجرام في تطور مستمر، وقد أكثر الشرع العراقي من الاستثناءات معتبرا الباعث السياسي خارج الباعث الدنيء، والاعتداء على رئيس الدولة يقصد به رئيس دولة أخرى، حيث يشمل ذلك جرائم الاعتداء على حياته، كتوجيه إهانة له والأمر يتعلق به لا بأسرته أو ذويه، والجرائم المخلة بالشرف قليلة وتتعلق بجرائم تقليدية يمكن أن تضاف إليها اليوم العديد من الأفعال، وقد كان سابقا في استثناء الجرائم الإرهابية للحد من تنامي ظاهرة الإرهاب التي تدعم بالباعث الإرهابي أو يكون هو المحرك لها⁽⁸⁴⁾.

ومن الجدير بالذكر، أن موقف المشرع العراقي كان مغايرا لنظيره المصري فيما يتعلق بالجرائم السياسية، فقد أشارت المادة (4/7) من قانون الخدمة المدنية العراقي رقم (24) لسنة 1960 المعدل، إلى إنه يشترط في المرشح لتولي الوظيفة العامة أن يكون حسن الأخلاق وغير محكوم عليه بجناية (باستثناء الجنايات السياسية). حيث أشارت المادة (2/22) من القانون العقوبات العراقي رقم (111) لسنة (1969) المعدل، إلى أن العقوبة التي يحكم بها عن جريمة سياسية لا تعد سابقة في العود، ولا تستتبع بالحرمان من الحقوق والمزايا المدنية ولا حرمان المحكوم عليه من إدارة أمواله أو التصرف فيها، ولما كانت ممارسة الوظيفة العامة أحد هذه الحقوق والمزايا، فذلك يعني أن الحكم الجزائي الصادر عن جريمة سياسية لا يستتبع بحرمان الموظف المدان من وظيفته كما أنه قد تمثل الجناية السياسية فعلا خطيرة وضار بالمصلحة العامة او كان قد ارتكبتها الموظف بصفته الرسمية أو ناشئة عن وظيفته فتؤدي إلى منعة، استنادا لما نصت عليه (8/ثامنة) من قانون انضباط موظفي الدولة والقطاع العام، وهذا سبب أخر يدعو المشرع العراقي إلى تعديل صياغة هذه المادة⁽⁸⁵⁾.

لعل استثناء الجرائم السياسية من تلك التي تمنع من تولي الوظيفة العامة يجعل السياسة التشريعية لدى المشرع العراقي غير مفهومة، أو بالأحرى تأثرت بأوضاع سياسية معينة مرت بها الدولة كانت هي الدافع لاستثناء الجرائم السياسية من الجرائم التي تحول دول تولي الوظيفة العامة، على الرغم من أن تلك الجرائم هي جنایات خطيرة، بل إن الحقيقة أن بعض الجرائم السياسية لا سيما الجرائم المتعلقة بأمن الدولة من الداخل أو من الخارج تكون أشد وطأة وأكثر خطورة من بعض الجنایات الأخرى التي منع المشرع مرتكبها من تولي الوظيفة العامة، الأمر الذي يدل بالقطع على ضرورة منع مرتكبي الجرائم السياسية من تولي الوظيفة العامة، من ثم نوصي بعدم استثناء الأحكام الصادرة في الجنایات السياسية من عداد الجرائم المانعة من تولي الوظائف العامة.

و جدير بالذكر، أن فقهاء القانون الجنائي لم يتفقوا على تعريف جامع مانع للجريمة السياسية، وإنما اختلف تعريفهم لها باختلاف مذاهبهم الفقهية، فأنصار المذهب الموحد الذين ينظرون إلى الأضرار السياسية التي تحدثها الجريمة ويعرفونها بأنها: "الجريمة التي تعد اعتداء على النظام السياسي للدولة سواء من الداخل أو من الخارج"، أما أنصار المذهب الشخصي الذين ينظرون إلى الباعث على الجريمة، فيذهبون إلى تعريف الجريمة السياسية بأنها: "الجريمة التي يكون الباعث عليها والغرض الوحيد فيها محاولة تغيير النظام السياسي وتبديله أو قلبه"، وهناك من أخذ بالمذهبين فعرف الجريمة السياسية بأنها "الجريمة التي يكون موضوعها والباعث على ارتكابها سياسياً"⁽⁸⁶⁾.

أما المشرع المصري، فإنه لم يرقم بالنص على تعريف الجريمة السياسية وقد حذا في ذلك حذو غالبية التشريعات العقابية الجنائية الداخلية، حيث جاءت نصوصه خالية من أي تعريف محدد منضبط لطائفة الجرائم السياسية أو حتى الإشارة الصريحة التي تبين التفرقة بين هذه الجرائم وغيرها من جرائم القانون العام، إلا أن ذلك لا يعني تجاهل المشرع المصري لفكرة الجريمة السياسية، فقد تعرضت بعض نصوصه المتناثرة إلى الجريمة السياسية متناولة إياها في إحدى أو بعض جوانبها⁽⁸⁷⁾.

أما من حيث مقدار العقوبة للجريمة السياسية، فإن التشريعات العقابية لا تتبع سياسة عقابية واحدة في مواجهة هذه الجريمة، وثمة نظريتان في هذا الخصوص؛ 1- فمن التشريعات ما يميل إلى اعتناق سياسية عقابية مخففة بشأن المجرمين السياسيين، كما في حظر عقوبة الإعدام ضدهم، وتمييزهم بمعاملة عقابية إنسانية ومخففة أثناء تنفيذ العقوبة المحكوم بها عليهم، وتستند هذه النظرة إلى أن المجرم السياسي لا تنطوي على شخصيته نزعة إجرامية أصلية أو خطرة كالتي تعهداها في بعض طوائف المجرمين، إذ إن هذا المجرم لا يكون مدفوعاً في إجرامه بباعث نفعي أو بغرض إدراك مصلحة خاصة بل ينطلق غالباً من الإيمان بمبادئ ومثل وطنية أو إنسانية رغم شططه في طريقة الدفاع عن هذه المبادئ والمثل، وقد كانت هذه الفلسفة الإنسانية المخففة هي السمة السائدة إبان القرن التاسع عشر وربما جل القرن العشرين إلا قليلاً، وهو أمر مفهوم بالنظر إلى أن هذه الحقبة الزمنية شهدت ثورات الشعوب ضد النظم الاستبدادية والنظم الموالية

للاستعمار القديم. 2- ولكن العكس من النظرة السابقة فثمة تشريعات تميل إلى اعتناق سياسة عقابية متشددة في مجال الجرائم السياسية، وتمثل هذه السياسة في تشديد العقوبة المقررة، بل أن اتفاقات تسليم المجرمين بين الدول كانت في الأساس بهدف تسليم المجرمين السياسيين إلى دولهم، وربما كان مبرر هذه السياسة رغبة الحكام والملوك في إضفاء حصانة تحميهم من التمرد والقتل والاضطرابات السياسية إبان القرنين السابع عشر والثامن عشر⁽⁸⁸⁾.

أما عن معيار تكييف الجريمة السياسية فإنها تصف بأحد المعيارين؛ أولهما: موضوعي، يضيق من نطاق الجريمة السياسية، وثانيهما: يوسع من هذا النطاق، فوفقاً للمعيار الموضوعي تعتبر الجريمة السياسية متى كانت تمثل عدواً على مصلحة سياسة الدولة، أو على حق سياسي للفرد بصرف النظر عن الباعث وراء ارتكابها، أما المعيار الشخصي، فتعتبر الجريمة سياسية متى كان الهدف من ارتكابها هدفاً سياسياً، حتى ولو كانت الجريمة من حيث موضوعها جريمة عادية من جرائم القانون العام كالقتل أو التزوير، ويوسع هذا المعيار من نطاق الجريمة السياسية إذ يجعلها شاملة لجرائم قد تبدو في جوهرها جرائم عادية كقتل رئيس الدولة بهدف تغيير نظام الحكم القائم⁽⁸⁹⁾.

قد تشكل الجريمة السياسية عدواناً على مصلحة سياسية عامة تتمثل في انتصار لعقيدة أو فكرة سياسية معينة دون الاعتداء على المصالح الخاصة وهو ما يطلق عليه الجرائم السياسية البحتة، إلا أن الجريمة السياسية ليست بهذه البساطة في كل أشكالها، بل ثمة أنواع من الجرائم السياسية التي تتناول بالعدوان مصالح أخرى تعتبر من قبيل المصالح الخاصة التي يحميها النظام الجنائي، وتبدو صبغتها السياسية غير واضحة ويطلق عليها الجرائم السياسية النسبية، وهي تشكل في الأصل العام جرائم عادية ترتبط بجرائم سياسية ارتباطاً وثيقاً، كما يوجد نوع آخر من الجرائم يطلق عليها اصطلاحاً الجريمة السياسية المرتبطة، ويحيط الشك بالتكييف الصحيح لهذه الجرائم، وما إذا كانت الصفة السياسية تغلب عليها أم أن صفتها العادية هي الغالبة⁽⁹⁰⁾. فجرائم النوع الأول (الجرائم السياسية البحتة) هي أفعال موجهة ضد الدولة ولا تحتوي على أي عنصر من عناصر الجريمة العادية، وهذه الأفعال تؤثر في المصلحة العامة وليس في الحقوق الخاصة، ومن أمثلتها التجسس والتمرد وجرائم النشر السياسي والجرائم الانتخابية⁽⁹¹⁾.

فالجريمة السياسية البحتة هي كل اعتداء يمس كيان الدولة داخلياً و خارجياً، وهذا لا خلاف عليه بين أنصار المذهب الشخصي والموضوعي، ولكن الخلاف هنا بالنسبة لبعض الجرائم مثل جرائم الخيانة والتجسس (من جهة الخارج)، والجرائم الاجتماعية كجرائم الفوضوية (من جهة الداخل)، هل تعبر سياسية أم أنها تعتبر من جرائم القانون العام أي عادية؟⁽⁹²⁾، فبالنسبة لجريمتي الخيانة والتجسس، فإن الفقه يفرق بين جريمة الخيانة وجريمة التجسس باعتبار عنصر الولاء أو الانتماء الوطني في مرتكب الجريمة، فمرتكب جريمة الخيانة يكون من مواطني الدولة التي ترتكب الجريمة عدواناً على المصلحة المحمية فيها، أما التجسس فهو يأتي من أجنبي، لذلك عرفت جريمة الخيانة بأنها

الجريمة التي تقع من مواطن بهدف مساعدة دولة أجنبية على حساب دولته⁽⁹³⁾، ويثور السؤال، هل تعتبر جرائم الخيانة والتجسس من الجرائم السياسية أم من الجرائم العادية؟، يذهب الأغلب إلى نزع الصفة السياسية عن هذا النوع من الجرائم، مما يترتب عليه اعتبارها ضمن جرائم القانون العام أي جرائم عادية والتي يجوز التسليم فيها، وهذا الاتجاه أخذ به المشرع العراقي وأعدّها جرائم عادية، وهو ما نصت عليه المواد (من 164 إلى 195) من قانون العقوبات العراقي رقم 111 لسنة 1969، وبهذا الاتجاه أخذ أيضاً المشرع المصري، واعتبر جرائم التجسس والخيانة من الجرائم العادية، وهي تعتبر مخرقة الشرف والأمانة وبالتالي مانعا من تولي الوظائف العامة، ولا تندرج ضمن مفهوم الجرائم السياسية، أما جرائم النوع الثاني، فهي الجرائم السياسية النسبة المركبة (المختلطة) فإنها تعتبر تعديداً معنوياً أو صورية للجرائم فهي تتمثل في وحدة السلوك وتعدد النتائج، ولذلك فإن تعدد الصور يتوافر كلما ترتب على السلوك الواحد أكثر من نتيجة يعتد بها المشرع قانوناً، وقد عرف الفقه الجريمة السياسية المركبة أو المختلطة بأنها الجريمة التي يقع فيها الاعتداء على حق فردي لتحقيق غرض سياسي، ومن أمثلتها الاعتداء على حياة رئيس الدولة بغية إحداث تغيير للنظام السياسي في الدولة، وغير ذلك من الجرائم العادية لغاية سياسية بحتة، وهنا يثار التساؤل، هل الجريمة المركبة تدخل في نطاق الجرائم السياسية أم تخرج منها وخاصة فيما يتعلق بجرائم الاغتيال السياسي والجرائم الإرهابية؟ انقسم الفقه الجنائي الرد على هذا التساؤل، فهناك من يرى بأن جرائم الاغتيال السياسي تعتبر من الجرائم السياسية المركبة، وذلك بالنظر إلى محل الاعتداء، فهو اعتداء على حق الإنسان في الحياة كما أن بالنظر إلى هدف الجاني منها فإنه يهدف إلى تغيير النظام السياسي بقتل الشخصية السياسية، ويرى أنصار المذهب الشخصي بأن الجريمة المركبة يجب أن ينظر إليها من ناحية باعث الجاني على الجريمة، والهدف كل منها دون النظر إلى طبيعة الحق المعتدى عليه، أما أنصار المذهب الموضوعي فكان لهم رأي آخر فمعيار تمييز الجريمة لديهم هو موضوع الجريمة وطبيعة الحق المعتدى عليه فيها، فلا يهم الباعث أو الهدف الشريف الذي يسعى الجاني لتحقيقه من وراء الاغتيال، إلا أن الرأي الأغلب في الفقه أخذ بالمذهب الموضوعي في اعتبار الاغتيالات جرائم عادية وليست سياسية؛ لأنها لا تشكل عدواناً على حق الحياة⁽⁹⁴⁾.

أما فيما يتعلق بالجرائم الإرهابية كنوع من الجرائم السياسية المركبة يقصد بجرائم الإرهاب هي الجرائم التي تبعث الذعر وتنتشأ خطراً عاماً يهدد عدداً غير محدد من الأشخاص، وتعتمد على أساليب وحشية لا يتناسب ضررها مع الغرض المستهدف، وتقع أغلب هذه الجرائم لبواعث سياسية حسب أنصار المذهب الشخصي للجريمة السياسية هي من الجرائم المختلطة، ولكن بعد أن انتشرت هذه الأفعال وأصبحت ظاهرة عالمية اتجهت الجهود الفكرية والمواثيق الدولية إلى إخراج هذه الأفعال من نطاق الجرائم السياسية، وقد أخذ بهذا الاتجاه قانون العقوبات العراقي في المادة (21/أ)، وهذا يعني أن الجرائم الإرهابية حتى ولو ارتكبت بباعث سياسي فهي مانعة من تولي الوظائف العامة.

وما يهمنا فيما سبق، الاستثناء الذي وضعه المشرع العراقي على الجرائم المخلة بالشرف والأمانة، والتي استثناهما من الطبيعة القانونية للجرائم السياسية، لتكون من الجرائم العادية، ومن ثم فإن، الجرائم التي عدتها نص المادة السابقة، وهي السرقة والاختلاس والنزوير وخيانة الأمانة والاحتيال والرشوة وهتك العرض، تخضع للقواعد العامة في مدى تأثيرها على الوظيفة العامة.

نخلص مما سبق، أنه إذا ارتكب شخص ما جريمة من تلك الجرائم التي عدتها نص المادة (21) في فقرتها السادسة من القانون رقم 111 لسنة 1969 المعدل، فإنه يحرم من حقه في تولي الوظائف العامة، سواء أكان الباعث على ارتكاب تلك الجرائم سياسياً أم غير سياسياً.

الخاتمة

اولاً : النتائج.

1- أن المشرع المصري ونظيره العراقي لم يحددا تعريفاً شاملاً ومحدداً للجرائم المخلة بالشرف والأمانة، وإن كانت طبيعة النص الجنائي تقتضي أن يكون نافياً للجهالة أو الغموض فيجب ان نكتفي بعدد الجرائم الواردة في النص من دون تزييد عليها من قبل غير المشرع.

2- أن أعمال أثر الأحكام الجنائية في العلاقة الوظيفية قد يتوقف في بعض الأحيان على قرار من الجهة الإدارية، ومن ثم يتعين عليها الوقوف على شروط أعماله، كما أن ذات الأحكام قد تتوقف بقرار من رئيس الجمهورية لاسيما بصدور عفو عن العقوبة .

3- وإن كانت الأحكام الجنائية تسقط بالتقادم، إلا أنه لا تسقط كافة آثارها، ويظل الحكم الجنائي رغم عدم تنفيذ العقوبة مانعاً وحائلاً بين من صدر بحقه الحكم وبين توليه الوظيفة العامة.

4- رد الاعتبار هو أهم وسيلة لمحو آثار الحكم الجنائي والتي من بينها حرمان المحكوم عليه من تولي الوظيفة العامة، فمجرد تحقق رد اعتباره أصبح في مركز قانوني يتساوى مع من لم يرتكب جريمة من الأصل، وضعه وضع أي مواطن لم يسبق صدور أحكام جنائية ضده.

5- سريان الأحكام الجنائية قد يوقف بإرادة قضائية، على سبيل المثال في حالة الحكم مع إيقاف التنفيذ، إلا أن ذلك لا يمنع من استمرار نفاذ آثار الحكم الجنائي الأخرى طالما لم ينص صراحة على أن وقف تنفيذ الحكم الجنائي لا يحول دون تولي المحكوم عليه للوظائف العامة، وذلك أن وقف التنفيذ يسري فقط على العقوبة الأصلية لا العقوبات التكميلية، وهي الحرمان من تولي الوظيفة العامة.

6- بالنسبة لأثر إلغاء الحكم الجنائي الذي من مقتضاه إنهاء العلاقة الوظيفية كأثر تبعية أو تكميلي لا توجد مشكلة في القوانين التي لا تجيز تنفيذ الأحكام إلا بعد صيرورتها نهائية لأن الطعن في الحكم ومن ثم الغاؤه جاء في وقت لم تكن العلاقة الوظيفية فيه قد أنهيت وكل ما يمكن القيام به هو عدم تنفيذ الأثر الذي يرتبه الحكم الملغى إلا أن الأمر يختلف

في القوانين التي يكون فيها تنفيذ الأحكام من تاريخ صدورها كما هو الحال في العراق، حيث قد يلغى الحكم بعد أن تكون العلاقة الوظيفية قد أنهيت تنفيذاً لمقتضاه وحينئذ ينبغي إعادة الموظف إلى الوظيفة وإزالة الآثار التي رتبها الحكم الملغى وهنا اقترحنا لو يصار إلى منح الإدارة في العراق سلطة تقدير بحيث يمكنها في حالات تقدرها هي أن تترىث في إنهاء العلاقة الوظيفية لحين صيرورة الحكم نهائياً تجنباً لحالة عدم الاستقرار التي يخلفها الغاء الحكم الجنائي المنهي للعلاقة الوظيفية ولا بأس من إخضاع تقديرها هذا لرقابة القضاء.

ثانياً: التوصيات.

1- نأمل من المشرع العراقي، أن يأخذ بفكرة التقادم، وأن يجعل تقادم الدعوى الجزائية بالشكل التالي:

أ- مدة التقادم في الجنايات عشر سنين.

ب- مدة التقادم في الجنح ثلاث سنين.

ت- مدة التقادم في المخالفات سنة.

2- ينبغي أن يصدر العفو العام بقانون والعفو الخاص بمرسوم التزاماً بما قرره الدستور العراقي لعام 2005 في هذا الشأن بوصف ذلك من مقتضيات مبدأ المشروعية.

3- النص صراحة على أن وقف التنفيذ لا يشمل العقوبات التكميلية.

4- ونوصي المشرع العراقي أن يحذو حذو المشرع المصري إذ جمع حالات إصدار قرار الإفراج في المادتين (197، 213) إجراءات جنائية مصري، لتفادي تشتيتها بين ثنايا

نصوص عديدة. حيث إن المشرع العراقي حدد حالات عدم جواز إلغاء قرار الإفراج بعد مضي سنة من إصدار قرار الإفراج من المحكمة وسنتين إذا كان القرار صادراً من قاضي التحقيق بنص المادة (301/ج) الأصولية، ثم حصد المشرع العراقي حالات إصدار قرار الإفراج في نص المادتين (130/ب، 181/ب) الأصوليتين ثم عاد وأشار إلى حالات إصدار قرار الإفراج في المواد (203/ج، 205/ب، 259/6) الأصولية وهو أمر مربك

إلى حد ما إذ نرى من الضرورة تخصيص نص عام وجامع يتضمن كل حالات الإفراج.

5- تحديد معيار مقدار العقوبة، بالنسبة للجرائم التي تحول دون تولي الوظيفة العامة بأكثر من ستة شهور، حتى تكون أكثر تحديداً.

قائمة المصادر

اولاً: اللغة العربية.

1- لويس معلوف، المنجد في اللغة، المكتبة الشرقية، بيروت، ط3.

2- المعجم الوجيز، إصدار وزارة التربية والتعليم: جمهورية مصر العربية، 1990.

- 3- المعجم الوسيط, مجمع اللغة العربية, مكتبة الشروق الدولية, الطبعة الرابعة, 2004م , 1425هـ.
ثانيا: الكتب القانونية.
- 1- د. حمدي علي عمر, أحكام الوظيفة العامة في ظل قانون الخدمة المدنية رقم 81 / 2016 ولائحة التنفيذية, دار النهضة العربية, القاهرة, 2018.
 - 2- عماد حسن مهوال الفتلاوي, النظام القانوني للجرائم المخلة بالشرف, دار الأيام للنشر والتوزيع, عمان, ط1, 2017.
 - 3- د.حسان عبد الله يونس الطائي, انقضاء الرابطة الوظيفية والرقابة القضائية على القرارات الصادرة بشأن (دراسة مقارنة), مركز الدراسات العربية للنشر والتوزيع, ط1, 2017.
 - 4- ماجد حمدي عمر حسن الحمداني, الرقابة القضائية على القرارات الصادرة بإنهاء خدمة الموظف وأثار انتهاء خدمة الموظف بقوة القانون (دراسة مقارنة), مركز الدراسات العربية للنشر والتوزيع, ط1, 2019.
 - 5- د. حسان عبد الله يونس الطائي, انقضاء الرابطة الوظيفية والرقابة القضائية على القرارات الصادرة بشأنها, دراسة مقارنة, مركز الدراسات العربية للنشر والتوزيع, ط1, 2017.
 - 6- د.عبد الوهاب البنداري, العقوبات التأديبية للعاملين المدنيين بالدولة والقطاع العام وذوي الكادرات الخاصة, دار الفكر العربي, بدون سنة نشر.
 - 7- د.محمد صباح القاضي, قانون العقوبات, القسم الخاص, ط1, مسودات الحلب الحقوقية, بيروت, لبنان, 2013.
 - 8- د.جمال إبراهيم الحيدري, الوافي في القسم العام من قانون العقوبات, دار السنهوري, بيروت, 2017.
 - 9- د.محمد صباح القاضي, قانون العقوبات, القسم الخاص, ط1, منشورات الحلبي الحقوقية, بيروت, 2013.
 - 10- د.علي عبد القادر القهوجي, قانون العقوبات القسم الخاص, دار الحلبي الحقوقية, بيروت, 2002.
 - 11- د.سلمان عبد المنعم, قانون العقوبات, القسم الخاص, الجرائم الضارة بالمصلحة العامة, بدون سنة نشر, 2002.

- 12- د.فتوح عبد الله الشاذلي, شرح قانون العقوبات القسم الخاص, والجرائم المضرة بالمصلحة العامة, الجزء الأول, دار المطبوعات الجامعية, الاسكندرية, 2019.
- 13- د.محمد عبد الحميد مكي, الجرائم المخلة بالثقة العامة, دار النهضة العربي, 2001.
- 14- د.فتوح عبد الله الشاذلي, شرح قانون العقوبات القسم الخاص, الجزء الثاني, جرائم الأشخاص والأموال, الجزء الثاني, دار المطبوعات الجامعية.
- 15- د. عبد الحميد المنشاوي, جرائم خيانة الأمانة, دار الفكر الجامعي, 2001.
- 16- د.فخري عبد الرزاق الحديشي, شرح قانون العقوبات القسم العام, ط2, بغداد, 2007.
- 17- د.محمود نجيب حسني, شرح قانون العقوبات القسم الخاص, دار النهضة العربية, ط5, 2018.
- 18- د.هيثم عبد الرحمن البقلي, الجرائم الالكترونية الواقعة على العرض بين الشريعة والقانون المقارن, دار العلوم للنشر والتوزيع, ط11, 2010.
- 19- د.محمود نجيب حسني, شرح قانون العقوبات القسم الخاص, جرائم الاعتداء على الاشخاص, دار النهضة العربية, 1978.
- 20- محمد صالح ملحم, جريمة الافراء في الاغتصاب وهتك العرض في التشريع الجزائري الأردني, دار زهران للنشر والتوزيع, ط1, 2016.
- 21- د.كامل السعيد, شرح قانون العقوبات: الجرائم الواقعة على الاخلاق والاداب والاسرة (دراسة مقارنة) مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع, عمان, ط1, 1995.
- 22- د.محمد سيف عبد الرزاق, جرائم التحرش الجنسي (دراسة مقارنة) دار العلوم للنشر والتوزيع, 2015.
- 23- د.أحمد فتحي سرور, القانون الجنائي الدستوري, دار الشروق, القاهرة, 2008.
- 24- د.فخري عبد الرزاق صليبي الحديشي, شرح قانون العقوبات القسم العام, ط2, المكتبة القانونية, بغداد, 2007.
- 25- د.حمدي علي عمر, أحكام الوظيفة العامة في ظل قانون الخدمة المدنية رقم 81 لسنة 2016 ولائحته التنفيذية, دار النهضة العربية, القاهرة, 2018.

26- د.محمود سامي جمال الدين, أصول القانون الاداري (تنظيم السلطة الادارية والادارة المحلية - التنظيم القانوني للوظيفية العامة), دار الجامعة الجديدة, الاسكندرية, 2011.

27- د.عبد القادر محمد القيسي, أثر الفعل الجنائي للموظف في إنهاء علاقته الوظيفية, دار السنهوري, بغداد, ط1, 2016.

28- د.مجدي محمود محب حافظ, الحماية الجنائية لأسرار الدولة "دراسة تطبيقية لجرائم التجسس في التشريع المصري", ط1, بدون دار نشر, 1991.

29- د.سليمان عبد المنعم, النظرية العامة لقانون العقوبات, دار المطبوعات الجامعية, الاسكندرية, 2014.

30- د.منتصر سعيد حمودة, الجرائم الاقتصادية, دار الجامعة الجديد, الاسكندرية, 2010.

ثالثاً: البحوث والمقالات.

1- قاسم تركي عواد جنابي, الجريمة المخلة بالشرف في التشريع العراقي, بحث منشور, في مجلة العلوم القانونية, كلية القانون جامعة بغداد, المجلد33, العدد1, 2018, ص286.

2- عباس حكمت فرمان الدركلي, الجريمة السياسية في النظام العالمي الجديد, بحث منشور في مجلة العلوم القانونية والسياسة, جامعة ديالى, كلية القانون, المجلد5, العدد1, 2016.

3- بن ددوش نسيمه, د. عباسه الظاهر, الجريمة السياسية بأبعادها القانونية المختلفة, مقال منشور في مجلة جيل للدراسات السياسية والعلاقات الدولية, العدد 17, 2018.

4- د. أحمد سمير, الجرائم السياسية بين الشريعة الاسلامية والقانون الوضعي, بحث منشور في الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع, مجلد 105, عدد 551, 2014.

رابعاً: القرارات القضائية.

1- محكمة النقض - جنائي - الطعن رقم 6834 - لسنة 79 قضائية - تاريخ الجلسة 17-4-2013- مكتب فني 64- رقم الصفحة 5.

2- نقض جنائي مصري - الطعن رقم 1413 لسنة 70 مكتب فني 10, بتاريخ 1965/4/24, صفحة رقم 1113.

3- الطعن رقم 5086 لسنة 24 قضائية عليا-بتاريخ 1996/9/22 .

- 4- القرار الصادر بتاريخ 1966/11/5 - مجلة المحامين - نقابة المحامين المصريين السنة 11 قضائية.
 - 5- القرار 2487/ جنابات / 1973 في 1973/7/15 . النشرة القضائية العدد القرار التمييزي 852 / الهيئة الجزائرية / 20/2 في 2012/2/9.
 - 6- قرار محكمة استئناف منطقة أربيل بصفتها التمييزية رقم 32/ت ج/ 2005 بتاريخ 2005/5/15.
 - 7- قرار محكمة التمييز في العراق, رقم 1510 (جنابات/73) بتاريخ 1973/12/17, النشرة القضائية 44, س.4.
 - 8- القرار التمييزي 13434 الهيئة الجزائرية الثانية / 2012 في 2012/9/30
 - 9- القرار رقم (132) تاريخ 1996/11/20, في جريدة الوقائع العراقية, العدد 3646 تاريخ 1996/12/2.
 - 10- القرار التمييزي 19314 الهيئة الجزائرية الثانية / 2011 في 2011/8/23 .
 - 11- القرار رقم (68) تاريخ 1997/6/23 في جريدة الوقائع العراقية, العدد 3676 تاريخ 1997/6/30.
- خامساً: الرسائل والاطاريح.
- 1- محمد بن عبد الرحمن الشدي, أثر الحكم الجنائي على ممارسة الحقوق السياسية "دراسة تأصيلية تطبيقية مقارنة", جامعة نايف العربية للعلوم المنية, رسالة ماجستير, 2008.
 - 2- إلهام محمد العاقل, مبدأ عدم تسليم المجرمين في الجرائم السياسية "دراسة مقارنة", رسالة ماجستير كلية الحقوق, جامعة القاهرة, 1992.

(1) د. عماد حسن مهوال الفتلاوي, النظام القانوني للجرائم المخلة بالشرف, دار الأيام للنشر والتوزيع, عمان, 2017, ص11.

(2) قاسم تركي عواد جنابي, الجريمة المخلة بالشرف في التشريع العراقي, بحث منشور, في مجلة العلوم القانونية, كلية القانون جامعة بغداد, المجلد 33, العدد 1, 2018, ص286 .

(3) لويس معلوف, المنجد في اللغة, المكتبة الشرقية, بيروت, ط3, ص190 .

(4) لويس معلوف, المرجع السابق, ص384. المعجم الوجيز , إصدار وزارة التربية والتعليم: جمهورية مصر العربية, 1990, ص352, كذلك المعجم الوسيط, مجمع اللغة العربية, مكتبة الشروق الدولية, الطبعة الرابعة, 2004م , 1425هـ, مادة (ش ر ف) .

(5) د. حسان عبد الله يونس الطائي, انقضاء الرابطة الوظيفية والرقابة القضائية على القرارات الصادرة بشأن (دراسة مقارنة), مركز الدراسات العربية للنشر والتوزيع, ط1, 2017, ص167 وما بعدها .

(6) محكمة النقض - جنائي - الطعن رقم 6834 - لسنة 79 قضائية - تاريخ الجلسة 17-4-2013- مكتب فني 64- رقم الصفحة 5 .

- (7) تنص المادة (14) من قانون الخدمة المدنية رقم 81 لسنة 2016 على أن: يشترط فيمن يعين في إحدى الوظائف ما يأتي: 3-.. الا يكون قد سبق الحكم عليه بعقوبة جنائية أو بعقوبة مقيدة للحرية في جريمة مخلة بالشرف أو الأمانة ما لم يكن قد رد إليه اعتباره .
- (8) حيث نصت المادة (13) من قانون رقم 17 لسنة 1983 الخاص بنقابة المحامين على أن: يشترط فيمن يطلب قيد اسمه في الجدول العام . 4- الا يكون قد سبق إدانته بحكم نهائي في جنحة ماسة بالشرف أو الأمانة أو بعقوبة جنائية, ما لم يكن قد رد إليه اعتباره.
- (9) تنص المادة (69) من قانون الخدمة المدنية رقم 81 لسنة 2016 على أن: تنتهي خدمة الموظف لأحد الأسباب الآتية: 9-9-.. الحكم عليه بعقوبة جنائية أو بعقوبة مقيدة للحرية في جريمة مخلة بالشرف أو الأمانة أو تفقده الثقة والاعتبار".
- (10) نقض جنائي مصري - الطعن رقم 1413 لسنة 70 مكتب فني 10, بتاريخ 1965/4/24, صفحة رقم 1113 .
- (11) اعتبرت المحكمة الادارية العليا المصرية أن جريمة إصدار شيك بدون رصيد "جريمة مخلة بالشرف", وذلك لان المتهم كان قد أحيل إلى محاكمة جنائية في قضايا أخرى مماثلة لإصداره شيكات بدون رصيد, فاعتبرت المحكمة اعتياد المتهم على هذه الجريمة يتم عن ضعف في خلق المتهم وسوء سيرته, المحكمة الإدارية العليا المصرية, الطعن رقم 5086 لسنة 24 قضائية عليا بتاريخ 1996/9/22 .
- (12) ماجد حمدي عمر حسن الحمداني, الرقابة القضائية على القرارات الصادرة بإنهاء خدمة الموظف وأثار انتهاء خدمة الموظف بقوة القانون (دراسة مقارنة), مركز الدراسات العربية للنشر والتوزيع, ط1, 2019, ص120 .
- (13) د,حسان عبد الله يونس الطائي, انقضاء الرابطة الوظيفية والرقابة القضائية على القرارات الصادرة بشأنها, مرجع سابق, ص168, د. عبد الوهاب البنداري: العقوبات التأديبية للعاملين المدنيين بالدولة والقطاع العام وذوي الكادرات الخاصة , مرجع سابق, ص255 .
- (14) القرار الصادر بتاريخ 1966/11/5 - مجلة المحامين - نقابة المحامين المصريين السنة 11 قضائية, 1966, ص62 .
- (15) د. عماد حسن مهوال الفتلاوي, مرجع سابق, ص38 وما بعدها .
- (16) القرار /2487/ جنيات / 1973 في 1973/7/15 . النشرة القضائية العدد الأول - السنة الثالثة بغداد - 1973, ص213 .
- (17) د. عماد حسن مهوال الفتلاوي, مرجع سابق, ص41 .
- (18) د. قاسم تركي عواد جنابي, الجريمة المخلة بالشرف في التشريع العراقي, مرجع سابق, ص289 .
- (19) عرف المشرع العراقي المكلف بخدمة عامة في المادة (2/19) عقوبات عراقى, ويعرف الفقه الجنائي المكلف بخدمة عامة بأنه: "كل شخص عهدت إليه سلطة مختصة بأداء عمل مؤقت وعارض لحساب الدولة أو شخص معنوي عام" د. محمد صباح القاضي, قانون العقوبات, القسم الخاص, ط1, مسودات الطلب الحقيقية, بيروت, لبنان, 2013, ص203 .
- (20) عالج المشرع المصري أحكام جريمة الاختلاس والجرائم الملحقة بها في المواد من (112) إلى (119) (119) وكذلك المشرع العراقي في قانون العقوبات القسم الخاص في المواد من (315) إلى (321) .
- (21) د.جمال إبراهيم الحيدري, الوافي في القسم العام من قانون العقوبات , مرجع سابق, ص117 .
- (22) د. قاسم تركي عواد جنابي, الجريمة المخلة بالشرف في التشريع العراقي, مرجع سابق, ص290 .
- (23) د.محمد صباح القاضي, قانون العقوبات, القسم الخاص, ط1, منشورات الحلبي الحقيقية, بيروت, 2013, ص107 .
- (24) د. عماد حسن مهوال الفتلاوي, مرجع سابق, ص87 .
- (25) د. علي عبد القادر القهوجي, قانون العقوبات القسم الخاص, دار الحلبي الحقيقية, بيروت, 2002, ص18 .
- (26) د. سلمان عبد المنعم, قانون العقوبات, القسم الخاص, الجرائم الضارة بالمصلحة العامة, بدون سنة نشر, 2002, ص42 .
- (27) كذلك عرفت جريمة الرشوة المادة (307) من قانون العقوبات العراقي رقم 111 لسنة 1969 المعدل.
- (28) د. عماد حسن مهوال الفتلاوي, مرجع سابق, ص88 .

- (29) عالج المشرع المصري أحكام جريمة السرقة في المواد من (311) إلى (327), كذلك المشرع العراقي في المواد من (439) إلى (450) .
- (30) د.جمال ابراهيم الحيدري, الوافي في القسم العام من قانون العقوبات, مرجع سابق, ص380 .
- (31) د.قاسم تركي عواد جنابي, الجريمة المخلة بالشرف في التشريع العراقي, مرجع سابق, ص380 .
- (32) تقابلها نص المادة (439) من قانون العقوبات العراقي رقم 111 لسنة 1969 .
- (33) القرار التمييزي 852/ الهيئة الجزائية /20/2 في 2012/2/9. غير منشور, أشار اليه د. عماد حسن مهوال الفتلاوي, مرجع سابق, ص77 .
- (34) عالج المشرع العراقي أحكام جريمة التزوير في المواد من (286) إلى (303) عقوبات .
- (35) د. فتوح عبد الله الشاذلي, شرح قانون العقوبات القسم الخاص, والجرائم المضرة بالمصلحة العامة, الجزء الأول, دار المطبوعات الجامعية, الاسكندرية, 2019, ص298 .
- (36) د. قاسم تركي عواد جنابي, الجريمة المخلة بالشرف في التشريع العراقي, مرجع سابق, ص292 .
- (37) د. فتوح عبد الله الشاذلي, شرح قانون العقوبات القسم الخاص الجزء الأول, والجرائم المضرة بالمصلحة العامة, مرجع سابق, ص305 .
- (38) د. محمد عبد الحميد مكي, الجرائم المخلة بالثقة العامة, دار النهضة العربي, 2001, ص22, كذلك د. محمد صباح القاضي: قانون العقوبات القسم الخاص, مرجع سابق, ص221 .
- (39) عالج المشرع العراقي أحكام جريمة خيانة الأمانة في المواد من (453) إلى (455) عقوبات .
- (40) د. فتوح عبد الله الشاذلي, شرح قانون العقوبات القسم الخاص, الجزء الثاني, جرائم الأشخاص والأموال, الجزء الثاني, دار المطبوعات الجامعية, 2019, ص351, كذلك د. عبد الحميد المنشاوي: جرائم خيانة الأمانة, دار الفكر الجامعي, 2001, ص14 .
- (41) د. فخري عبد الرزاق الحديثي, شرح قانون العقوبات القسم العام, ط2, المكتبة القانونية, بغداد, 2007, ص369 .
- (42) د.محمود نجيب حسني, شرح قانون العقوبات القسم الخاص, دار النهضة العربية, ط5, 2018, ص1270 .
- (43) قرار محكمة استئناف منطقة أربيل بصفتها التمييزية رقم 32/ت ج/2005 بتاريخ 2005/5/15, أشار اليه د. قاسم تركي عواد جنابي, الجريمة المخلة بالشرف في التشريع العراقي, مرجع سابق, ص292, كذلك د. عبد الحميد المنشاوي: جرائم خيانة الأمانة, مرجع سابق, ص83 .
- (44) اختلفت التشريعات في تسمية هذه الجريمة, فالمشرع المصري سماها النصب وأدرجها مع خيانة الأمانة, أما المشرع العراقي فسمها الاحتيال وعالج أحكامها في المواد من (456) إلى (459) عقوبات .
- (45) كذلك المادة (456) من قانون العقوبات العراقي رقم 111 لسنة 1969 .
- (46) د.جمال ابراهيم الحيدري, الوافي في قانون العقوبات, القسم الخاص, مرجع سابق, ص648 .
- (47) د. قاسم تركي عواد جنابي, الجريمة المخلة بالشرف في التشريع العراقي, مرجع سابق, ص293 .
- (48) تناول المشرع المصري أحكام جرائم العرض في الباب الرابع من الكتاب الثالث من قانون العقوبات تحت عنوان اغتصاب الإناث, هناك العرض, الفعل الفاضح, الزنا, انتهاك حرمة الآداب العامة, تحريض المارة على الفسق. وبالإضافة إلى تلك الجرائم, قام المشرع بتجريم انتهاك حرمة الآداب العامة في المادة (178) من قانون العقوبات, وقد رمى المشرع من ذلك الحفاظ على حياء الأفراد, وعلى سرية الحياة الجنسية للإنسان وعدم الكشف عنها للكافة لعدم إثارة الغرائز .
- (49) وتنص المادة (267) من قانون العقوبات المصري على أنه : "من واقع أنثى بغير رضاها يعاقب بالسجن المؤبد أو المشدد فإذا كان الفاعل من أصول المجنى عليها, أو من المتولين تربيتها أو ملاحظتها أو ممن لهم سلطة عليها, أو كان خادما بالأجرة عندا, أو عند من تقدم ذكرها يعاقب بالسجن المؤبد .
- (50) عالج المشرع العراقي أحكام الجرائم المخلة بالأخلاق والآداب العامة في المواد من (393) إلى (404) تقابلها المادة (267) المعدلة بقانون رقم 11 لسنة 2011 من قانون العقوبات المصري النافذ .
- (51) د.عماد حسن مهوال الفتلاوي, مرجع سابق, ص90 .
- (52) د.هيثم عبد الرحمن البقلي, الجرائم الالكترونية الواقعة على العرض بين الشريعة والقانون المقارن, دار العلوم للنشر والتوزيع, ط11, 2010, ص38 - 39 .

- (53) د. محمود نجيب حسني، شرح قانون العقوبات القسم الخاص، جرائم الاعتداء على الاشخاص، دار النهضة العربية، 1978، ص369 .
- (54) محمد صالح ملحم، جريمة الافراء في الاغتصاب وهتك العرض في التشريع الجزائي الأردني، دار زهران للنشر والتوزيع، ط1، 2016، ص78 .
- (55) د. كامل السعيد، شرح قانون العقوبات، الجرائم الواقعة على الاخلاق والاداب والاسرة (دراسة مقارنة) مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1995، ص51، كذلك، د. محمد سيف عبد الرزاق، جرائم التحرش الجنسي (دراسة مقارنة) دار العلوم للنشر والتوزيع، 2015، ص44 - 45 .
- (56) د. قاسم تركي عواد جنابي، الجريمة المخلة بالشرف في التشريع العراقي، مرجع سابق، ص294 .
- (57) قرار محكمة التمييز في العراق، رقم 1510 (جنايات/73) بتاريخ 1973/12/17، النشرة القضائية 44، ص4، مطبعة الادارة المحلية، بغداد، بدون سنة نشر، ص418 .
- (58) د. عماد حسن مهوال الفتلاوي، مرجع سابق، ص92 .
- (59) القرار التمييزي 13434 الهيئة الجزائية الثانية / 2012 في 2012/9/30. غير منشور، أشار إليه د. عماد حسن مهوال الفتلاوي، المراجع السابق، ص94 .
- (60) نشر القرار رقم (132) تاريخ 1996/11/20، في جريدة الواقع العراقية، العدد 3646 تاريخ 1996/12/2، ص359، د. عماد حسن مهوال الفتلاوي، مرجع سابق، ص108 .
- (61) نشر القرار رقم (68) تاريخ 1997/6/23 في جريدة الوقائع العراقية، العدد 3676 تاريخ 1997/6/30 اذ نص البند اولاً منه على أن: "عاقب بالحبس مدة لا تقل عن ثلاث سنوات كل من أقرض نقوداً بأية طريقة بفائدة ظاهرة أو خفية تزيد على الحد المقرر قانونياً وتعتبر هذه الجريمة من الجرائم المخلة بالشرف، وهذا القرار جاء معدلاً لأحكام المادة (465) عقوبات عراقي .
- (62) د. قاسم تركي عواد جنابي، الجريمة المخلة بالشرف في التشريع العراقي، مرجع سابق، ص296 .
- (63) د. عماد حسن مهوال الفتلاوي، مرجع سابق، ص110، كذلك، د. حسان عبد يونس الطائي، انقضاء الرابط الوظيفية والرقابة القضائية على القرارات الصادرة بشأنها، مرجع سابق، ص170-171 .
- (64) د. فخرى عبد الرزاق صليبي الحديثي، شرح قانون العقوبات القسم العام، ط2، المكتبة القانونية، بغداد، 2007، ص396 .
- (65) د. عماد حسن مهوال الفتلاوي، مرجع سابق، ص128 .
- (66) تنص المادة (51) من قانون أصول المحاكمات الجزائية العراقي رقم 23 لسنة 1971 على أنه: "يتولى التحقيق الابتدائي قضاء التحقيق وكذلك المحققون تحت إشراف قضاة التحقيق..." .
- (67) تقابلها المادة (3) من قانون الاجراءات الجنائية المصري رقم 150 لسنة 1950، حيث على أنه: "لا يجوز أن ترفع الدعوى الجنائية الى بناء على شكوى شفهية أو كتابية من المجني عليه أو من وكيله الخاص الى النيابة العامة او الى احدى مأموري الضبط القضائي في الجرائم المنصوص عليها في المواد 185، 174، 279، 292، 293، 303، 306، 307، 307 من قانون العقوبات، وكذلك في الأحوال الاخرى التي يبص عليها..." .
- (68) نص المادة (47) من قانون أصول المحاكمات الجزائية العراقي رقم 23 لسنة 1971 .
- (69) د. عماد حسن مهوال الفتلاوي، مرجع سابق، ص139 .
- (70) ألغي هذا القرار بالقانون رقم 45 لسنة 2007 المنشور في الوقائع العراقي 4048 في 2002/9/11 .
- (71) د. أحمد فتحي سرور، القانون الجنائي الدستوري، دار الشروق، القاهرة، 2008، ص156 .
- (72) د. عماد حسن مهوال الفتلاوي، مرجع سابق، ص143 .
- (73) القرار التمييزي 19314 الهيئة الجزائية الثانية / 2011 في 2011/8/23 . غير منشور . أشار إليه د. عماد حسن مهوال الفتلاوي: المرجع السابق، ص144 .
- (74) تقابلها المادة (7/ف4) من قانون الخدمة المدنية العراقي رقم (24) لسنة 1960 المعدل حيث نصت عل أنه: "لا يعين لأول مرة في الوظائف الحكومية الا من كان ... 4 - حسن السمعة وغير محكوم بجناية غير سياسية أو بجنحة تمس الشرف كالسرقة والاختلاس والتزوير والاحتيال..." .
- (75) د. حمدي علي عمر، أحكام الوظيفة العامة في ظل قانون الخدمة المدنية رقم 81 لسنة 2016 ولائحته التنفيذية، مرجع سابق، ص39 .

- (76) تقابلها المادة (3/32) من قانون السلطة القضائية العراقي رقم 26 لسنة 1963 .
- (77) د. محمود سامي جمال الدين, أصول القانون الإداري (تنظيم السلطة الادارية والادارة المحلية - التنظيم القانوني للوظيفية العامة), دار الجامعة الجديدة, الاسكندرية, 2011, ص379 .
- (78) د. حسان عبد الله يونس الطائي, انقضاء الرابطة الوظيفية والرقابة القضائية على القرارات الصادرة بشأنها, مرجع سابق, ص178 .
- (79) د. عماد حسن مهوال الفتلاوي, مرجع سابق, ص171 .
- (80) د. عبد القادر محمد القيسي, أثر الفعل الجنائي للموظف في إنهاء علاقته الوظيفية, مرجع سابق, ص163 .
- (81) د. عماد حسن مهوال الفتلاوي, مرجع سابق, ص180 .
- (82) المادة (2/96) من قانون العقوبات العراقي رقم 111 لسنة 1969 المعدل .
- (83) المادة (3/5) من قانون المحافظات غير المنظمة بإقليم, رقم 21 لسنة 2008 حيث نصت على أن: "يكون حسن السير والسلوك وغير محكوم عليه بجناية أو جنحة مخلة بالشرف".
- (84) بن ددوش نسيمه, د. عباسة الظاهر: الجريمة السياسية بأبعادها القانونية المختلفة, مقال منشور في مجلة جيل للدراسات السياسية والعلاقات الدولية, العدد 17, 2018, ص43 .
- (85) فالمادة (8/ثامناً) من قانون انضباط موظفي الدولة والقطاع العام على أنه "العزل : ويكون بتنحية الموظف عن الوظيفة نهائياً ولا تجوز إعادة توظيفه في دوائر الدولة والقطاع العام, وذلك بقرار مسبق من الوزير في إحدى الحالات الآتية :
- أ - إذا ثبت ارتكابه فعلاً خطيراً يجعل بقاءه في خدمة الدولة مضراً بالمصلحة العامة .
- ب - إذا حكم عليه عن جنائية ناشئة عن وظيفته أو ارتكابها بصفته الرسمية .
- ج - إذا عوقب بالفصل ثم أعيد وظيفه فارتكب فعلاً يستوجب الفصل مرة أخرى .
- (86) د. أحمد سمير, الجرائم السياسية بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي, بحث منشور في الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع, مجلد 105, عدد 551, 2014, ص199-200 . محمد بن عبد الرحمن الشدي, أثر الحكم الجنائي على ممارسة الحقوق السياسية "دراسة تأصيلية تطبيقية مقارنة", جامعة نايف العربية للعلوم المنية, رسالة ماجستير, 2008, ص67 - 68 .
- (87) د. منتصر سعيد حمودة, الجرائم الاقتصادية, دار الجامعة الجديد, الاسكندرية, 2010, ص38 .
- (88) د. سليمان عبد المنعم: النظرية العامة لقانون العقوبات, دار المطبوعات الجامعية, الاسكندرية, 2014, ص234 .
- (89) د. سليمان عبد المنعم, المرجع نفسه, ص235 .
- (90) د. محمود نجيب حسني, شرح قانون العقوبات, القسم العام, مرجع سابق, ص270 .
- (91) عباس حكمت فرمان الدركزلي, الجريمة السياسية في النظام العالمي الجديد, بحث منشور في مجلة العلوم القانونية والسياسة, جامعة ديالى, كلية القانون, المجلد5, العدد1, 2016, ص217؛ كذلك, د. أحمد سمير: الجرائم السياسية بين الشريعة والإسلامية والقانون الوضعي, مرجع سابق, ص200 .
- (92) إلهام محمد العاقل, مبدأ عدم تسليم المجرمين في الجرائم السياسية "دراسة مقارنة", رسالة ماجستير كلية الحقوق, جامعة القاهرة, 1992, ص101 .
- (93) د. مجدي محمود محب حافظ, الحماية الجنائية لأسرار الدولة "دراسة تطبيقية لجرائم التجسس في التشريع المصري", ط1, بدون دار نشر, 1991, ص237 .
- (94) د. مجدي محمود محب حافظ, مرجع سابق, ص293 .

الضمانات المقدمة الى المشتري في عقد البيع

م. م. اوس طارق عبود

م. د. كرار ماهر كاظم

م. م. موج ماجد جابر

قسم القانون / كلية الكوت الجامعة

مستخلص البحث:

بعد ابرام عقد البيع ونقل ملكية المبيع الى المشتري، يقع على عاتق البائع التزام بضمان كل ما قد يواجهه المشتري من تعرض واستحقاق للمبيع ، سواء كان هذا التعرض شخصياً صادراً من البائع نفسه مادياً كان ام قانونياً، او كان تعرضاً قانونياً صادراً من الغير، باعتبار ان البائع لا يضمن التعرض المادي الصادر من الغير على المشتري . وهذا ما يقصد به ضمان التعرض والاستحقاق في عقد البيع. وكذلك يقع على عاتق البائع التزام بضمان حيازة المشتري للمبيع حيازة هادئة مجدية خالية من كل عيب ، باعتبار ان المشتري ينظر عند تحديد ثمن المبيع الى الفائدة المرجوة منه . فاذا كان في المبيع عيب خفي ينقص من قدر هذه الفائدة ،كان لالتزام المشتري بدفع الثمن الى البائع مقابل حصوله على المبيع بلا مبرر شرعي. وهذا ما يقال عنه ضمان العيوب الخفية في عقد البيع.

وقد اجاز المشرع لطرفي عقد البيع الاتفاق على تعديل احكام هذا الضمان حسب ما يراه كل واحد منهم .سواء كان ذلك بالزيادة في احكامه او النقصان او حتى الاعفاء منه . باعتبار ان احكام هذا الضمان ليست من النظام العام . ويجب الاشارة الى انه لا يشترط لنشوء هذا الضمان ان يكون عقد البيع مسجلاً ، ذلك لان التزام البائع بالضمان التزام شخصي ينشأ بمجرد ابرام عقد البيع.

Research Summary:

After concluding the sales contract and transferring the ownership of the thing sold to the buyer, the seller has an obligation to guarantee all the exposure and entitlement the buyer may face to the sale, whether this exposure is personally issued by the seller himself, whether materially or legally, or it is a legal exposure issued by a third party, given that The seller does not guarantee the material exposure issued by third parties to the buyer. This is what is meant by the guarantee of exposure and entitlement in the contract of sale. Likewise, the seller has an obligation to ensure that the buyer possesses the thing sold in a quiet

and feasible possession, free from all defects, given that the buyer considers the desired benefit when determining the price of the sale. If there is a hidden defect in the thing sold, which detracts from the value of this interest, the buyer is obligated to pay the price to the seller in return for obtaining the thing sold without a legitimate justification. This is what is said about the guarantee of hidden defects in the contract of sale.

The legislator has permitted the two parties to the sales contract to agree to amend the provisions of this guarantee according to what each one of them deems appropriate, whether by increasing or decreasing its provisions or even exempting from it. Considering that the provisions of this guarantee are not part of the general system.

It should be noted that it is not required for the emergence of this guarantee that the sales contract be registered, because the seller's commitment to the guarantee is a personal obligation that arises as soon as the sales contract is concluded.

المقدمة:

يلتزم البائع بموجب عقد البيع بنقل ملكية المبيع الى المشتري ، ووضعه تحت تصرفه. بالإضافة الى ذلك يلتزم البائع بالتزام لاحق على ابرام عقد البيع متمثل بضمان المبيع بعد نقل ملكيته الى المشتري ، اي ضمان ان يتمتع المشتري بكافة سلطات المالك على المبيع والانتفاع به انتفاعاً هادئاً ومستمراً .

والتزام البائع بالضمان يعد في حقيقة الامر التزاماً مزدوجاً. حيث يلتزم البائع بضمان التعرض والاستحقاق سواء كان شخصياً صادر من البائع نفسه او من الغير هذا من جهة . ومن جهة اخرى يلتزم البائع ايضاً بضمان صلاحية المبيع وخلوه من العيوب الخفية التي تجعله غير صالح لتحقيق الغاية المقصودة منه.

مشكلة البحث:

تبرز مشكلة البحث من خلال الكم الهائل من عقود البيع التي تبرم يومياً ، وجهل اغلبية الناس بالقوانين التي تعالج هذه العقود . حيث في كثير من الاحيان يتم استغلال المشتري وجهله في حقوقه التي منحها له القانون في عقد البيع من قبل البائع مما يؤدي الى الاضرار به. بالإضافة الى ان اغلب الكتابات التي تناولت هذا الموضوع بالدراسة في

العراق لا تزال غير كافية مقارنة بما هو عليه الحال في بلدان أخرى كمصر و لبنان بالرغم من الاهمية البالغة التي يكسبها موضوع الضمان في عقد البيع. ولهذه الاسباب رأينا انه من المستحسن اختيار عنوان الضمانات المقدمة الى المشتري في عقد البيع ليكون عنوان بحثنا هذا، والذي سنحاول عبر مختلف مراحل هذا البحث الاجابة على بعض التساؤلات ومنها:

_ الى اي مدى يصل التزام البائع بهذا الضمان؟

_ هل يلتزم البائع بضمان التعرض الصادر من الغير على المشتري بعد تسلمه المبيع؟

_ ما مدى قيام البائع بتعويض المشتري في حالة استحقاق المبيع كلياً او جزئياً للغير.

_ هل يلتزم البائع بضمان كافة العيوب التي من الممكن ان تظهر في المبيع بعد ابرام عقد البيع؟

_ هل تعتبر القواعد القانونية التي سنها المشرع في هذا المجال أمرة أم انها اختيارية من الممكن الاتفاق على مخالفتها؟

منهجية البحث:

اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج المقارن بين القانون المدني العراقي وبين كل من القانون المدني المصري وقانون الموجبات والعقود اللبناني، من اجل بيان المواقف القانونية لهذه التشريعات من مسألة الضمانات المقدمة الى المشتري في عقد البيع، مع بيان اوجه التشابه والاختلاف بينها.

خطة البحث :

ومما تقدم ، ارتأينا ان نخصص هذا البحث (الضمانات المقدمة الى المشتري في عقد البيع) لعرض الضمانات التي يلتزم بها البائع بموجب عقد البيع تجاه المشتري بعد تسلمه المبيع. وذلك من خلال تقسيم هذا البحث الى المبحثين الآتيين:

المبحث الاول: ضمان التعرض والاستحقاق في عقد البيع. المبحث الثاني : ضمان العيب الخفي في عقد البيع.

المبحث الاول

ضمان التعرض و الاستحقاق في عقد البيع

يلتزم البائع بموجب عقد البيع بالامتناع عن التعرض الشخصي للمشتري سواء في ملكيته للمبيع او حيازته، وهذا ما يسمى بالالتزام السلبي. وكذلك يلتزم بدفع ما قد يصدر من تعرض قانوني على المشتري من الغير، وهذا ما يسمى بالالتزام الايجابي. فاذا تحقق هذا التعرض التزم البائع بدفعه، فاذا اخفق في دفعه واستحق المبيع للغير جزئياً او كلياً فانه يلتزم بضمان هذا الاستحقاق وتعويض المشتري .

ويجب الاشارة الى ان ضمان التعرض والاستحقاق يثبت بحكم القانون ، الا ان احكام هذا الضمان ليست من النظام العام ، اذ يجوز للطرفين الاتفاق على ما يخالفها . وهذا ما سنبحثه في المطلبين التاليين :

المطلب الاول

التزام البائع بضمان التعرض في عقد البيع من الالتزامات التي تقع على عاتق البائع، هي عدم التعرض للمشتري في المبيع ، لكي يتمكن المشتري من حيازة المبيع والانتفاع به انتفاعاً هادئاً، سواء كان التعرض مادياً أو قانونياً، وتعني بالتعرض بشكل عام : هو ما يعكر حيازة المشتري للمبيع، سواء كان يهدد بنزع الملكية أم لا

أما بالنسبة للتعرض الصادر عن الغير، فإن البائع يلتزم بضمان التعرض القانوني الصادر من الغير دون ضمانه للتعرض المادي .

الفرع الأول

ضمان التعرض الشخصي

يتحقق التعرض الصادر من البائع عندما يأتي بأحد الأفعال التي من شأنها أن تؤدي إلى حرمان المشتري من الانتفاع بالشيء المبيع. ولذلك أوجب المشرع على البائع ان يلتزم بالامتناع عن التعرض شخصياً للمشتري بعد إبرام عقد البيع سواء كان هذا التعرض مادياً أو قانونياً.

والتعرض المادي هو كل فعل مادي يصدر من البائع من شأنه أن يعكر حيازة المشتري للمبيع دون ان يستند في القيام به الى حق قانوني يدعيه على المبيع ، ومثال ذلك قيام المؤلف بنشر كتاب كان قد عهد الى ناشر بنشر طبعة معينة منه.

والبائع يلتزم بالامتناع عن التعرض المادي ولو كان الفعل المكون لهذا التعرض ليس في ذاته خطأ ولا تتوافر فيه شروط الفعل الضار، بل يعتبر فعلاً من الأفعال التي لو صدرت من غير البائع لما أجازت للمشتري الرجوع على فاعلها بشيء. ومثال ذلك هو بائع محل التجارة، إذ إنه لا يجوز له أن يفتتح محلاً آخر مماثل للمحل المبيع في نفس الجهة لأن ذلك يعتبر تعرضاً، في حين أن هذا العمل يعتبر عملاً مشروعاً إذا صدر من شخص آخر غير البائع .

أما التعرض القانوني فهو يكون عندما يقوم البائع بادعاء حقاً قانونياً على المبيع يترتب عليه حرمان المشتري من كل المبيع أو بعضه أو بعض مزاياه. كما لو تبين أن البائع لم يكن مالكا للمبيع وقت صدور البيع منه، ثم اكتسب الملكية بعد العقد بان اشترى المبيع من مالكة الحقيقي أو ورثه. ففي هذه الحالات لا يجوز للبائع مطالبة المشتري بالشيء المبيع، لأن ذلك يعتبر تعرضاً قانونياً منه للمشتري وإخلاقاً بالتزام الضمان الذي يلتزم به بموجب عقد البيع، فلا تقبل دعواه استناداً الى قاعدة " من التزم الضمان وجب عليه التعرض " .

وللمشتري إذا كان التعرض مادياً، أن يطالب بوقف وإزالة كل ما يترتب عليه من آثار. وللمحكمة في سبيل وقف التعرض ومنع البائع من التمادي في اللجوء إلى فرض الغرامات التهديدية عليه كما للمشتري المطالبة بالتعويض عما أصابه من ضرر بسبب التعرض الحاصل.

أما إذا كان التعرض الواقع تعرضاً قانونياً، فللمشتري في هذه الحالة المطالبة بعدم سريان بعض التصرفات القانونية في مواجهته، أو المطالبة برد الدعوى إذا كان التعرض القانوني الصادر قد اتخذ هذا الشكل .

الفرع الثاني

ضمان التعرض الصادر من الغير

يلتزم البائع الى جانب التزامه بعدم التعرض الشخصي ، بضمان عدم التعرض الحاصل من الغير على المشتري اذا كان هذا التعرض قانونياً فقط . فالبايع لا يسأل عن التعرض المادي الذي يصدر عن الغير حتى ولو ترتب عليه خروج المبيع من يد المشتري، لان دفع هذا النوع من التعرض يكون من شأن المشتري الذي يكون له أن يدفعه بكافة الوسائل المقررة في القانون لحماية حق الملكية وحياسة الاموال.

ويشترط لرجوع المشتري على البائع بضمان التعرض الصادر من الغير توافر الشروط الاتية :

اولاً: ان يكون التعرض قانونياً لا مادياً، فالبايع لا يضمن سوى التعرض القانوني الذي يستند فيه الغير الى حق قانوني يدعيه على المبيع ، سواء كان هذا التعرض في صورة دعوى ترفع من الغير على المشتري ، أو دون دعوى متى وقع التعرض فعلاً . اما التعرض المادي الصادر من الغير، كاختصاب الشيء المبيع من يد المشتري، لا يضمنه البائع وانما يقع على عاتق المشتري دفعه بكافة الوسائل التي كفلها له القانون.

ثانياً : أن يثبت الحق للغير على المبيع قبل ابرام عقد البيع سواء أكان قد ترتب بفعل البائع ، او كان قد ترتب بسبب اجنبي، أما اذا كان الحق الذي يدعيه الغير على المبيع لاحقاً على عقد البيع فلا يلتزم به البائع بالضمان الا اذا كان الحق الذي آل الى الغير من البائع نفسه.

ثالثاً : أن يتعرض الغير للمشتري فعلاً ، فلا يكفي مجرد الخشية من وقوع التعرض لمطالبة البائع بالضمان ، وانما يجب ان يقع فعلاً حتى يحق للمشتري مطالبة البائع بضمانه.

فإذا توافرت الشروط أعلاه قام التزام البائع بضمان التعرض القانوني الصادر من الغير. والتزام البائع هذا التزام بنتيجة لا التزام بوسيلة، ومفاد ذلك أن البائع يعتبر مخلاً بالتزامه بالضمان بمجرد يرد أن يكسب الغير دعواه، حتى لو كان قد بذل أقصى جهده في دفع التعرض فلم يوفق في ذلك.

المطلب الثاني

التزام البائع بضمان الاستحقاق في عقد البيع

إذا نجح الغير في تعرضه للمشتري وتعدر على البائع دفع هذا التعرض عيناً واستحق المبيع للغير، كان البائع مسؤولاً عن هذا الاستحقاق، ويكون للمشتري أن يرجع عليه بضمان الاستحقاق لتعويضه عما لحق به من أضرار. ويرجع المشتري على البائع

بضمان الاستحقاق إما بدعوى فرعية أثناء نظر دعوى الاستحقاق، وإما بدعوى أصلية يرفعها المشتري بعد ثبوت الاستحقاق.

الفرع الأول

ضمان الاستحقاق الكلي والجزئي

يختلف التعويض الذي يلتزم به البائع في حالة الاستحقاق الكلي للمبيع عنه في حالة الاستحقاق الجزئي

أولاً : الاستحقاق الكلي :

يقصد بالاستحقاق الكلي حرمان المشتري من المبيع كلياً , كما لو قضى بملكية المبيع للغير.

وان مدى ضمان البائع للاستحقاق الكلي يختلف باختلاف ما اذا كان حسن النية او سيء النية.

ويعتبر البائع حسن النية اذا كان لا يعلم باستحقاق المبيع وقت إبرام عقد البيع للغير , حيث يلتزم البائع في هذه الحالة برد الثمن الى المشتري سواء زادت قيمة المبيع او نقصت في الفترة ما بين إبرام عقد البيع واستحقاق المبيع , وسواء حصلت الزيادة او النقصان بفعل المشتري .

ويلتزم البائع حسن النية كذلك بأن يرد الى المشتري قيمة الثمار التي ألزم الاخير بردها الى المستحق . والمشتري لا يلزم الا برد ثمار المبيع التي قبضها وهو سيء النية , اما تلك التي قبضها وهو حسن النية فانه لا يلتزم بردها لأنه يمتلكها .

اما اذا كان البائع سيئ النية , فانه يلتزم بأن يدفع للمشتري الزيادة الحاصلة في قيمة المبيع في الفترة الواقعة بين إبرام البيع واستحقاق المبيع للغير, سواء أحصلت الزيادة بفعل المشتري أو بسبب ارتفاع الأسعار ويلتزم البائع بأن يرد للمشتري المصاريف الكمالية التي أنفقتها الأخير على المبيع. كما للمشتري مطالبته بما لحقه من خسارة أو ما فاته من كسب بسبب الاستحقاق.

ثانياً_ الاستحقاق الجزئي :

يكون الاستحقاق جزئياً بثبوت ملكية الغير لجزء من المبيع سواء كان هذا الجزء شائعاً فيه , أو ثبوت تكليف على العين من شأنه أن ينقص من قيمتها، كظهور حق انتفاع أو ارتفاع غير ظاهر على المبيع ولم يكشف عنه البائع للمشتري، أو وجود عقد إيجار نافذ في مواجهة المشتري، أو تبين للمشتري عدم وجود حق ارتفاع لصالح المبيع أكد البائع وجوده.

وفي حالة الاستحقاق الجزئي يكون المشتري مخيراً بين أمرين :أما فسخ عقد البية وارجاع المبيع الى البائع أو استيفاء المبيع مع المطالبة بالتعويض عما اصابه من ضرر بسبب الاستحقاق الجزئي .

وبالرغم مما تقدم ، فان هناك حالات معينة يتعذر فيها على المشتري الرجوع على البائع بضمان الاستحقاق كلياً كان أم جزئياً . وهذه الحالات هي :

- 1_ اذا كان حق الغير على المبيع قد ثبت بإقرار المشتري او نكوله عن حلف اليمين.
- 2_ عدم قيام المشتري بإعذار البائع بدعوى الاستحقاق في الوقت الملائم وصدر عليه حكم حاز حجية الشيء المقضي به .
- 3_ اذا سلم المشتري للغير بحقه في الاستحقاق قبل أن يرفع الدعوى.

الفرع الثاني

تعديل احكام الضمان

لا تعتبر احكام التزام البائع بضمان التعرض والاستحقاق في عقد البيع التي تم التطرق اليها في هذا البحث من النظام العام ، حيث يمكن للطرفين المتعاقدين الاتفاق على ما يخالفها، سواء عن طريق زيادة الضمان او نقصه او الاعفاء منه وكالاتي :

اولاً : الاتفاق على زيادة الضمان : عند الاتفاق على تشديد الضمان فيجب أن يذكر ذلك في العقد على وجه الدقة وبالفاظ صريحة، لأنه لا يعتبر زيادة في احكام الضمان ما يرد في عقود البيع من عبارات عامة . كما لو ذكر ان البائع ضامن لجميع ما يقع للمشتري من تعرض أو منازعة في الانتفاع بالمبيع.

ثانياً - الاتفاق على انقاص الضمان : كما يجوز للمتعاقدین الاتفاق على زيادة الضمان، يجوز كذلك لهما الاتفاق على انقاص هذا الضمان، فمثلاً للبائع أن يشترط على المشتري ألا يرجع عليه إلا بقيمة المبيع وقت الاستحقاق إذا كانت هذه القيمة أقل من الثمن الذي بيع به. أو أن يشترط عليه ألا يرجع عليه بالمصروفات النافعة. ويجب ان يكون شرط انقاص الضمان واضح وصريح في العقد .

ثالثاً : الاتفاق على عدم الضمان : قد يشترط البائع على المشتري عدم ضمان التعرض او الاستحقاق على الاطلاق وليس فقط الاكتفاء بانقاص هذا الضمان . ويعتبر شرط الاعفاء هذا صحيحاً ما لم يكن البائع قد تعمد اخفاء سبب التعرض او الاستحقاق او تسبب به بفعله. اما اذا استحق المبيع بفعل الغير فيعتبر هذا الشرط صحيحاً ومنتجاً لآثاره ، ولكن مع ذلك يبقى البائع مسؤولاً عن رد ثمن المبيع .

المبحث الثاني

ضمان العيب الخفي في عقد البيع

يرتب عقد البيع على عاتق البائع التزاماً بنقل حيازة المبيع الى المشتري حيازة هادنة ونافعة على نحو يمكنه من الانتفاع به انتفاعاً كاملاً ، ويقتضي ذلك خلو المبيع من كل عيب خفي من شأنه ان ينقص من قيمة المبيع ومنفعته.

ونظراً للأهمية الخاصة لعقد البيع، نظم المشرع العراقي احكام ضمان العيوب الخفية في المواد م (557 الى 570 ق م ع) . ومعظم هذه الاحكام مستمدة من الفقه الاسلامي.

وعلى هذا الاساس سوف نتناول ضمان العيوب الخفية في مطلبين، نعرض في الاول للتعريف بالعيب الخفي . وفي الثاني لطبيعته القانونية وأحكامه.

المطلب الاول

التعريف بالعيب الخفي

يعتبر العيب الخفي في المبيع سبباً لتدخل البائع بالضمان للمشتري، فمن حق هذا الأخير تملك شيء سليم خالي من العيوب حتى يحقق غايته منه . فحتى يضمن المشتري هذا الحق لابد من تحديد مفهوم هذا العيب لغةً وقانوناً . وبيان شروطه ووصافه على النحو الآتي :

الفرع الأول

تعريف العيب الخفي لغةً وقانوناً

أولاً : العيب لغةً : يقصد به هو النقيصة أو الوصمة أو ما يخلو عنه أصل الفطرة السليمة . والعيب اليسير هو ما ينقص مقدار ما يدخل تحت تقويم المقومين .
ثانياً : العيب قانوناً : عرف القانون المدني العراقي العيب الخفي على أنه : هو ما ينقص ثمن المبيع عند التجار وأرباب الخبرة أو ما يفوت به غرض صحيح إذا كان الغالب في أمثال المبيع عدمه، ويكون قديماً إذا كان موجوداً في المبيع وقت العقد أو حدث بعده وهو في يد البائع قبل التسليم .

لذا فإن البائع يلتزم بتسليم المبيع إلى المشتري على النحو الذي عين في العقد، وإن يضمن له الانتفاع في المبيع انتفاعاً هادئاً خالياً من المنغصات فإذا لم يفعل ذلك كان مخالفاً بما التزم به . كما يضمن للمشتري خلو المبيع من أي عيب خفي يمكن أن يظهر فيه وهذا ما يسمى بضمان العيوب الخفية .

الفرع الثاني

شروط العيب الخفي

يشترط في العيب حتى يضمنه البائع أن تتوافر فيه الشروط الآتية :
أولاً : أن يكون العيب خفياً : للعيب نوعان عيب ظاهري وعيب خفي ، والعيب الظاهري هو الذي كان ظاهراً للمشتري وقت إتمام عملية البيع ، أو كان غير ظاهرياً ولكن من السهل على المشتري اكتشافه إذا فحص المبيع بما ينبغي من العناية اللازمة، وبالتالي لا ضمان لهذا العيب الظاهري . بينما العيب الخفي هو الذي لم يكن ظاهرياً وقت إتمام عملية البيع ولم يكن المشتري قادراً على اكتشافه لو أنه بذل عناية اللازمة .
وكما يجب لاعتبار العيب خفياً إلا يكون المشتري عالماً بوجوده وقت البيع ، فعلم المشتري بالعيب والسكوت عنه يعد قبولاً منه و تنازلاً عن حقه في الرجوع بالضمان على البائع .

وإذا كان الأصل هو عدم ضمان البائع بضمان العيب إذا كان بإمكان المشتري كشفه بفحص المبيع ببذل العناية المعتادة . إلا أن هناك استثناء يرد على هذا الأصل في حالتين :
الأولى إذا أثبت المشتري أن البائع قد أكد له خلو المبيع من العيب وأنه لم يقم بفحص المبيع بما ينبغي من العناية اعتماداً على هذا التأكيد . والثانية إذا أثبت أن البائع قد تعمد إخفاء العيب عنه كما لو كان لشخص آلة مكسورة لحمها ودهنها بطلاء بقصد إخفاء عيبها ثم باعها على أنها سليمة، ففي هذه الحالة يعتبر العيب خفياً ويلتزم البائع بضمانه .

ثانياً : أن يكون العيب مؤثراً : العيب المؤثر هو الذي يؤثر بشكل كبير على القيمة او المنفعة المادية للمبيع ، أي انه يفوت الغرض المقصود منه .
والجدير بالذكر أن كل من مسالة نقصان قيمة المبيع و منفعته المرجوة منه متميزتان احدهما عن الاخرى. كأن يشتري شخص سيارة صالحة للسير ولجميع الأغراض المقصودة منها ، لكن في مقاعدها أو في أقسامها عيباً من شأنه أن يؤدي إلى تخفيض قيمتها تخفيضاً محسوساً، أو أنه على العكس ينقص من نفعه دون أن ينقص من قيمته، كان يشتري آلة ميكانيكية فيها عيب خفي يجعلها غير صالحة لبعض المنافع، دون أن يؤدي إلى نقص في قيمتها .

ويجب الإشارة الى ان البائع لا يلتزم بضمان العيب الخفي اذا لم يكن وجوده في المبيع مؤثراً على قيمة المبيع او منفعته ، لان العيب هنا يكون تافهاً لا يعتد به ، أو جرى العرف على التسامح به.

ثالثاً : أن يكون العيب قديماً : لا يكفي ان يكون العيب الموجب للضمان خفياً ومؤثراً ، بل يجب كذلك أن يكون قديماً . ويقصد بقدم العيب أن يكون موجوداً في المبيع وقت ابرام العقد عند تسليمه للمشتري . أو يطرأ على المبيع بعد ابرام العقد ولكن قبل التسليم. كوجود جرثومة أو فيروس في الحيوان المبيع قبل .

تسليمه الى المشتري ، وبعد التسليم ينتشر المرض في الحيوان ويظهر عليه. ففي هذه الحالة يعتبر أصل العيب قائماً قبل ابرام عقد البيع ولكن ظهرت أثره بعد ابرام العقد وتسليم المبيع الى المشتري ، وبالتالي يحق لهذا الأخير الرجوع على البائع بالضمان لأن العيب يعتبر قديماً .

رابعاً : استبعاد البيوع القضائية والإدارية من نطاق ضمان العيوب الخفية : استبعد القانون البيوع التي تتم بطريق المزاد العلني بواسطة الجهات القضائية والإدارية من ضمان البائع للعيوب الخفية، حيث قدر المشرع أن البيع في هذه الحالة يكون قد أعلن عنه و أتيحت الفرصة للمزايدين أن يفحصوا الشيء قبل الاقدام على شرائه، كما ان المشرع أراد بذلك ضمان الاستقرار لهذه البيوع والحيلولة دون إعادة اجراءاتها ومصاريها.

والبيوع القضائية يقصد بها هي تلك البيوع التي تتم تحت إشراف القضاء، كبيع اموال المدين جبراً لسداد ديونه ، وبيع أموال القاصر والمحجور عليه. والبيوع الادارية هي تلك التي تجريها الجهات الإدارية بالمزاد العلني جبراً عن مدينيها لاستيفاء مستحقاتها قبلهم وذلك كالبيع الذي تجريه مصلحة الضرائب بالمزاد جبراً عن مموليتها لاستيفاء الضرائب. أما البيوع الاختيارية لو تمت عن طريق المزاد العلني فإن البائع يضمن العيوب الخفية.

المطلب الثاني

أثار ضمان العيوب الخفية

إذا توافرت شروط العيب الخفي المتقدم ذكرها ، يحق للمشتري الرجوع على البائع بالضمان. ولكن على المشتري أن يقوم ببعض الاجراءات لأجل الحفاظ على حقه في

الضمان . وهذا ما سنبحثه في الفرع الاول من هذا المطلب ، أما الفرع فسيكون عن مسقطات هذا الحق و الاتفاق على تعديله.

الفرع الاول

اجراءات رفع دعوى ضمان العيوب الخفية

على المشتري أن يقوم ببعض الاجراءات عند استلام المبيع استلاماً فعلياً وهي مبادرته الى فحص المبيع و أخطار البائع بالعيوب .ومن ثم رفع دعوى الضمان .

اولاً : المبادرة بفحص المبيع وإخطار البائع بالعيوب:

يجب على المشتري ان يبادر الى فحص المبيع بمجرد تمكنه من ذلك، والعبارة بالتسليم الفعلي لا الحكمي . ويلتزم المشتري بفحص المبيع بعناية الرجل المعتاد عند البيع ، باعتبار ان البائع لا يضمن إلا العيوب التي لم يتبينها المشتري ولم يكن في استطاعته أن يتبينها رغم بذله في ذلك قدر عناية الشخص المعتاد. لكن هناك من هذه العيوب ما قد يكون في استطاعة المشتري تبينها لو أنه أعاد فحص المبيع بعد التسليم بنفس القدر من العناية المطلوبة. فالفحص الثاني يكون عادة أكثر دقة وأعمق أثراً من الفحص الأول .

ويتعين على المشتري اخطار البائع بالعيوب بمجرد كشفه ودون تأخير، لأن أي تراخ في ذلك يؤدي الى ضياع معالم العيب ويجعل إثباته عسيراً . وقد حدد المشرع هذه المهلة بأنها المهلة المعتادة وفقاً للمألوف في التعامل ، فاذا استلم المشتري المبيع ولم يجر عليه الفحص خلال مدة معقولة يعتبر قابلاً للمبيع والعيوب ويسقط بذلك حقه في الضمان.

اما اذا كان العيب لا يمكن الكشف عنه بالفحص المعتاد ، فلا ينقيد المشتري بالمهلة المعقولة للأخطار من وقت التسليم ، ولكن يجب عليه أخطار البائع بالعيوب بمجرد اكتشافه.

ولم يحدد القانون شكلاً معيناً للأخطار، فكما يصح ان يكون عن طريق اذار بواسطة الكاتب العدل يجوز ان يكون برسالة مسجلة و يصح ان يكون شفويا . ويقع على المشتري عبء اثبات وقوع الاخطار وهو يستطيع اثبات ذلك بكافة طرق الاثبات القانونية بما في ذلك الشهادة والقرائن.

فاذا اهمل المشتري فحص البيع خلال المدة المعقولة أو اهمل أخبار البائع بالعيوب الذي وجده في المبيع في الوقت المعقول، اعتبر قابلاً للمبيع بعيبه وسقط حقه في الرجوع على البائع بالضمان ، الا ان القواعد العامة تقضي بأن حق المشتري في الضمان لا يسقط اذا كان البائع يعلم بوجود العيب وتعمد اخفائه عن المشتري غشاً منه. حيث يكون للمشتري في هذه الحالة الرجوع على البائع بالضمان حتى ولو لم يفحص المبيع أو اهمل في اخطار البائع بالعيوب.

ثانياً : دعوى ضمان العيب الخفي : اذا تحقق شروط العيب الخفي وقام المشتري بأخطار البائع بوجود العيب خلال المهلة المعقولة ، يحق له بعد ذلك الرجوع على البائع بالضمان .حيث يكون المشتري مخيراً بين فسخ العقد وارجاع المبيع او الإبقاء المبيع ولكن بالثمن المسمى بالعقد.

وبالرغم من ذلك، ليس هناك ما يمنع المشتري من مطالبة البائع بالتنفيذ العيني الجبري وفقاً للقواعد العامة وذلك بإصلاح العيب أو استبدال المبيع المعيب بغيره على نفقة البائع إذا كان ذلك ممكناً .

ويجب الإشارة الى ان هناك حالات لا يستطيع فيها المشتري المطالبة بفسخ العقد بل يقتصر حقه على المطالبة بانقاص الثمن فقط . وهذه الحالات هي:

1_ حدوث عيب جديد في المبيع بعد التسليم:
إذا تسلم المشتري المبيع وحدث فيه عيب بعد ذلك ، ثم اطلع المشتري على عيب آخر كان موجود في المبيع فلا يحق للمشتري رد المبيع وانما يقتصر حقه على المطالبة بانقاص الثمن فقط.

2_ زيادة شيء على المبيع من مال المشتري :
ان الزيادة التي تمنع من رد المبيع الى البائع هي اما أن تكون زيادة متصلة كالبناء ، أو زيادة منفصلة متولدة كالثمار . وفي الحالتين لا يستطيع المشتري ان يرد المبيع وله فقط حق المطالبة بانقاص الثمن. بشرط ان تكون هذه الزيادة من مال المشتري.

3_ هلاك المبيع المعيب بيد المشتري:
إذا هلك المبيع المعيب في يد المشتري فهلاكه عليه ويرجع على البائع بنقصان الثمن فقط . سواء كان الهلاك بسبب عيب جديد او بفعل المشتري او قوة قاهرة. اما اذا كان العلاك بفعل البائع او بسبب العيب القديم فيكون للمشتري الرجوع على البائع بالثمن كاملاً مع المصاريف.

4_ تصرف المشتري بالمبيع قبل اطلاقه على العيب :
فإذا تصرف المشتري بالمبيع المعيب قبل ان يطلع على العيب الموجود فيه ، فلا يجوز له أن يرجع على البائع الا بانقاص الثمن.

الفرع الثاني

مسقطات ضمان العيب الخفي وتعديل احكامه

تعتبر احكام ضمان العيوب الخفية قابلة للسقوط والتعديل حسب اتفاق الاطراف وكالاتي :
اولاً : مسقطات ضمان العيوب الخفية :

يسقط التزام البائع بضمان العيب الخفي في عدة حالات ، بعضها يكون بسبب نص في القانون والبعض الاخر يكون بسبب اتفاق الاطراف . وهذه الحالات هي:

1_ عدم فحص المبيع أو عدم اخطار البائع بالعيب:
على المشتري _ كما اشرنا سابقاً _ أن يقوم بفحص المبيع عند استلامه فعلياً خلال المهلة المعقولة ببذل العناية المطلوبة ، وان يقوم بأخطار البائع بالعيب أن وجد . فاذا لم يفحص المبيع أو لم يقم بأخطار البائع بوجود العيب سقط حقه في الضمان . الا اذا كان البائع قد أكد له خلو المبيع من العيب أو اخفاه عنه .

2_ تصرف المشتري بالمبيع بعد اطلاقه على عيب فيه :

إذا تصرف المشتري بالمبيع بعد اطلاعه على العيب تصرف الملاك . فيعتبر قد رضي بالعيب وبالتالي سقط حقه في الرجوع على البائع بالضمان . كما لو باع المبيع المعيب ، أو أجره، أو رهنه ، أو عالجه من العيب إذا كان المبيع حيواناً مريضاً .

3_ تنازل المشتري عن حقه في الرجوع على البائع بالضمان :
إذا قام البائع بإعلام المشتري بوجود عيب في المبيع ورغم ذلك أقدم على شرائه . يعتبر ذلك تنازلاً منه على حقه في الرجوع على البائع بالضمان . إلا ان له الرجوع على البائع بالضمان إذا كان هناك عيب آخر غير العيب المسمى .

4_ اشتراط البائع براءته من كل عيب :
يحق للبائع أن يشترط براءته من كل عيب موجود في المبيع ، وبالتالي لا يجوز للمشتري الرجوع عليه بسبب ما قد يظهر في المبيع من عيب خفي . سواء كان موجوداً قبل إبرام العقد ، أو طرأ على المبيع بعد إبرام العقد ولكن قبل التسليم . إلا إذا كان البائع قد تعمد إخفاء العيب في المبيع، ففي هذه الحالة يحق للمشتري الرجوع عليه بالضمان حتى لو اشترط براءته من هذا العيب .

5_ مضي المدة :
على المشتري في حالة اكتشافه العيب الخفي إقامة دعوى ضمان العيب الخفي على البائع خلال فترة سنة أشهر من تاريخ التسليم الفعلي (الحقيقي) للمبيع . وألا فلا تسمع منه حتى ولو لم يكتشف المشتري العيب إلا بعد فوات المدة المحددة .

ثانياً : تعديل احكام ضمان العيب الخفي:
من الثابت أن أحكام الضمان للعيوب الخفية ليست من النظام العام. ولهذا يجوز للمتعاقدين الاتفاق على تعديلها عن طريق تخفيف الضمان او تشديده او حتى إسقاطه كله . ولم يستثن المشرع من هذه الاتفاقات ، إلا الاتفاقات الخاصة بانقاص الضمان واتفاقات إسقاطه في حالة غش البائع الناشئ عن تعمد إخفاء العيب . فمثل هذا الإخفاء الذي تم عن غش من شأنه أن يبطل شرط عدم الضمان أو إنقاصه ، ولا يكفي في هذا الصدد أن يكون البائع عالماً بالعيب ، بل يجب أيضاً ان يتعمد إخفاؤه ، فإذا كان البائع عالماً بالعيب ولم يتعمد إخفاؤه عن المشتري واشترط عدم ضمانه لهذا العيب ، جاز شرط عدم الضمان .

1_ زيادة الضمان : يحق لطرفي عقد البيع الاتفاق على تعديل ضمان العيب الخفي بالزيادة في شروط العيب أو اسباب سقوط الدعوى او مقدار التعويض. فمثلاً يمكن الاتفاق على ان يضمن البائع العيب أياً كانت درجة جسامته أو أن يضمن العيب الذي يعلمه المشتري وقت العقد ولو كان مما يستطيع ان يعلمه بتفحص الرجل العادي . كما قد يتم الاتفاق على أن يلتزم البائع بالتعويض والمصاريف الكمالية حتى لو كان حسن النية . وقد يتفق على الاعفاء من قيام المشتري بأخطار البائع بوجود العيب وتمديد مهلة الادعاء .

2_ انقاص الضمان : ويعتبر الاتفاق على انقاص ضمان العيب الخفي من اكثر الاتفاقات شيوعاً في سوق العمل. كما لو اشترط البائع على المشتري الا يضمن عيباً معيناً يذكره بالذات . أو عدم ضمان العيوب التي لا تظهر الا بالفحص الفني المتخصص او عدم ضمان لون المبيع.

3_ اسقاط الضمان : واخيراً يجوز للمتعاقدين الاتفاق على اسقاط الضمان كلياً آياً كان العيب ، كما لو أقر المشتري في العقد أنه اشترى ساقط الخيار . ففي هذه الحالة لا يحق له الرجوع على البائع بالضمان .

وغالباً ما يتضمن العقد شرط اسقاط الضمان بنص صرح ، الا ان هذا الشرط قد يستنتج احياناً من ظروف الحال. كبيع شيء بثمن بخس لا يتناسب اطلاقاً مع قيمته لو كان سليماً. الخاتمة

بعد الانتهاء من اعداد هذا البحث الموسوم بعنوان الضمانات المقدمة الى المشتري في عقد البيع . تم التوصل الى اهم النتائج والتوصيات وكالاتي:

اولاً_ النتائج :
اولاً: تبين من خلال هذا البحث أن أهم الاعتبارات التي دعت المشرع إلى وضع قواعد التزام البائع بضمان المبيع بعد تسليمه الى المشتري، هي عدم كفاية القواعد العامة لإنهاء العقد من اجل تحقيق التوازن العقدي بين طرفي العقد هذا من جهة ، ومن جهة أخرى إن أساس أحكام الضمان هو الإبقاء على العقد مرتباً لأثاره بين طرفيه ، و من ثم ترتيب التعويضات استناداً إلى أحكام المسؤولية العقدية.

ثانياً : تبين من خلال البحث ايضاً أن الالتزام بالضمان يعتبر من أهم الالتزامات القانونية التي يترتبها القانون على البائع. و هو التزام أراد المشرع من ورائه تعزيز الحماية القانونية للمشتري في العقد، و ذلك بالاعتراف له بعدة حقوق، كالحق في رفع دعوى الضمان، أو رفع دعوى استحقاق يطالب فيها بما يستحقه من تعويضات عند استحقاق المبيع للغير.

ثالثاً: يعتبر التزام البائع بالضمان في عقد البيع نتيجة لازمة للالتزام بتسليم المبيع الى المشتري، فالبائع يلتزم بتسليم المبيع المتفق عليه في العقد مع ضمان عدم التعرض الى المشتري في حيازته له سواء كان تعرض شخصي صادر من البائع نفسه ام تعرض صادراً من الغير، وضمن عدم استحقاق المبيع الى الغير. كذلك ضمان ان يكون المبيع خالياً من كل عيب خفي.

رابعاً: ان حق المشتري في الضمان ليس مطلقاً بل مقيداً ، مراعاة للعدالة بين المتعاقدين ، فمن خلال البحث تم التطرق الى موانع لرد المبيع الى البائع ، و مسقطات لهذه الضمانات المقدمة الى المشتري في حال اذا قصد الاخير الاضرار بالبائع او كان مهملاً في فحص المبيع.

ثانياً_ التوصيات :

أولاً_ ندعو المشرع العراقي الى مراعاة حسن او سوء نية المشتري في الرجوع على البائع بالضمان في حالة التعرض والاستحقاق والعيب الخفي فيما يتعلق بالتعويضات التي يلتزم البائع بها في حال رجوع المشتري عليه

ثانياً_ من بين الحالات التي حددها المشرع للمشتري والتي يتعذر فيها عليه مطالبة البائع بضمان التعرض والاستحقاق هي عدم اخطار البائع بدعوى الضمان في الوقت الملائم. الا ان المشرع اغفل حالة مهمة ، وهي حالة اذا لم يستطع المشتري الوصول الى البائع بسبب غياب هذا الاخير مدة طويلة يستحيل فيها اعلامه بدعوى الضمان ، فقام المشتري بالتصدي لدعوى الغير بنفسه. فالأولى بالمشرع أن يأتي بنص ينظم هذه الحالة.

ثالثاً_ ندعو المشرع العراقي الى تحديد المهلة الممنوحة الى المشتري عند اكتشاف العيب الخفي لأخطار البائع أسوة بقانون الموجبات والعقود الذي حددها بسبعة ايام ، باعتبار ان تحديد هذه المدة يعتبر أمر مهم قد تعتمد المشرع عدم الاشارة اليه ، ليترك الامر الى ظروف كل دعوى وحسب طبيعة العقد. لذلك من اللازم على المشرع العراقي تحديد هذه المدة حتى لا يبقى البائع تحت رحمة المشتري بالرجوع عليه بالضمان في أي وقت

رابعاً_ من خلال استقراء المادة 556 من القانون المدني العراقي ، نجد انها اباحت للبائع الاتفاق على انقاص احكام الضمان او اسقاطه، الا انه يرى ان الصواب هو عدم جواز هذا الاتفاق لأن مثل هذا الاتفاق يهدر نظام الضمان ويمنع البائع من حرمان المشتري من حيازة المبيع حيازة هادنة.

قائمة المراجع

* القران الكريم

أولاً_ كتب اللغة

1_ أبي الفضل جمال الدين بن منظور ، لسان العرب ، المجلد الاول ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان.

ثانياً_ الكتب القانونية :

1_ د. اسعد نياز ، العقود المسماة (البيع - الايجار - الوكالة) ، الجزء الاول ، منشورات زين الحقوقية ، 2007.

2_ د. جعفر الفضلي ، الوجيز في العقود المدنية (البيع - الايجار - المقاوله) ، المكتبة القانونية ، بغداد ، 2009.

3- د. دليلة معروز ، الضمان في عقود البيع الكلاسيكية والالكترونية (ضمان التعرض والاستحقاق والعيوب الخفية) دراسة مقارنة ، الجزائر ، المركز الاكاديمي للنشر ، 2020.

4_ د. رمضان محمد ابو السعود ، دروس في العقود المسماة، عقد البيع في القانونيين المصري واللبناني، الاسكندرية ، 2011.

- 5_ د. رمضان محمد ابو السعود , شرح القانون المدني - العقود المسماة - (البيع , المقايضة , الايجار , التأمين) , القسم الاول, منشورات زين الحلبي , 2010.
- 6_ د. سليمان مرقس , الوافي في شرح القانون المدني في العقود المسماة , ج 1 , ط 5 , دار النهضة الجديدة
- 7_ د. سعيد مبارك و د. طه الملا حويش , الموجز في العقود المسماة (البيع - الايجار - المقاوله) , المكتبة القانونية , بغداد , 2018 .
- 8_ د. عبد الرزاق احمد السنهوري , شرح القانون المدني في العقود , دار الفكر العربي للطباعة والنشر .
- 9_ د. علي هادي العبيدي , البيع والايجار وقانون المالكين والمستأجرين , استاذ القانون المدني - جامعة بغداد , دار الثقافة للنشر والتوزيع , 2011 .
- 10_ د. عمر الفاسمي , الزبدة في العقود المسماة , مكتبة السنهوري , الطبعة الثانية , بغداد , 2018م.
- 11_ د. محمد حسين منصور , شرح العقود المسماة, القسم الاول (عقدي البيع والمقاوله) , دار الجامعة الجديدة _ الاسكندرية , 2010
- 12_ د. محمد حسن قاسم , عقد البيع في ضوء التوجهات القضائية والتشريعية الحديثة , كلية الحقوق - جامعة الاسكندرية , دار الجامعة الجديدة , 2011 .
- 13_ د. محمد حسن قاسم , العقود المسماة (البيع - التأمين - الإيجار) دراسة مقارنة , جامعتي الاسكندرية وبيروت العربية , منشورات الحلبي الحقوقية , 2001.
- 14_ د. محمد يوسف الزعبي , شرح عقد البيع في القانون المدني , كلية الدراسات القانونية العليا _ جامعة عمان العربية للدراسات العليا , عمان - الاردن.
- 15_ د. محمود جلال حمزة , تبسيط في شرح القانون المدني الاردني , جمعية عمال المطابع التعاونية , ط1 , 2005.
- 16_ د. مصطفى أحمد الزرقا , العقود المسماة في الفقه الاسلامي (عقد البيع) , دار القلم , دمشق - سوريا , 2012 .
- ثانياً الرسائل و الاطاريح
- 1_ موفقي عواطف , الالتزام بضمان العيوب الخفية في عقد البيع , رسالة ماجستير , جامعة زيان عاشور - كلية الحقوق والعلوم السياسية , الجزائر , 2020 .
- ثالثاً: القوانين :
- 1_ قانون الموجبات والعقود اللبناني سنة 1932م.
- 2_ القانون المدني المصري رقم 131 لسنة 1948م.
- 3_ القانون المدني العراقي رقم 40 لسنة 1951م.

العراق واستراتيجية التمكّن الأقليمي

د. علي حسن هويدي
كلية الحكمة الجامعة/ قسم القانون

المقدمة

تناول هذا البحث في التأثير الاقليمي والدولي تجاه العراق وان ماتجدر الإشارة اليه ان العلاقات سواء على المستوى الاقليمي او الدولي مع العراق دخلت منعطفاً جديداً وخاصة بعد عام 2003، فكان للأحداث التي شهدها العراق والمنطقة في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي أثرها الفاعل في تحويل اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية من اهتمام ايجابي الى اهتمام سلبي. فبغض النظر عن الكلام الأمريكي المعسول الدائم لاستقلال العراق واستقراره ووحدة أراضيه، أصبح العراق بلداً هامشياً يمكن المساومة به أو عليه في خدمة الأهداف الأمريكية الأساسية.

فإن المنطقة أصبحت لها أهمية من خلال الصراعات التي شهدتها، الذي ظلت الولايات المتحدة الأمريكية تتحكم بمسارات تطورها ومراحلها بما يضمن مصالحها، كما أن الموقع الجيوبوليتيكي العراقي بالنسبة لصانع القرار الامريكي له أهمية كبيرة ووضع مميز كونه ينفرد بالسيطرة على بوابة الوطن العربي.

أهمية الدراسة:

تكمّن أهمية الدراسة في الاهتمام الذي أولته العديد من الدول الاقليمية والدولية حيال العراق وبذلك غدت إستراتيجية الردع والاحتواء غير ذات جدوى، ومن ثم حلت محلها الاستراتيجية الوقائية القائمة على اعتماد الضربات الاستباقية لأية أهداف يراها صانع القرار الامريكي ويمكن أن تشكل خطراً على الأمن القومي الامريكي، مما يجعل العراق محل إستهداف مستمر في المنطقة، كما يفتح الباب واسعاً أمام أية احتمالات مستقبلية ممكنة قد يشهدها العراق والمنطقة العربية، مما حدا بالباحث إلى ضرورة إيلاء مستقبل السياسة الامريكية تجاه العراق أهمية، إذ أضحت الدراسات المستقبلية لاسيما في القرن الحادي والعشرين، أمراً لا غنى عنه للمجتمعات المتقدمة والنامية جميعها على حد سواء، فهي تنبها الى صور المستقبل المحتملة والممكنة انطلاقاً من حقيقة: ان كل شيء يتغير الا التغيير.

إشكالية الدراسة

يتناول البحث بالدراسة والتحليل السياسة الخارجية للتأثير الاقليمي والدولي تجاه العراق إذ استحوذ العراق على مكانة محورية في السياسة الخارجية الامريكية ولاسيما بعد أحداث الحادي عشر من ايلول/2001 بصورة فاقت أهميتها كل ما مضى، الأمر الذي جعل منها مسرح العمليات له، وكانت الولايات المتحدة الامريكية على مرور الوقت لاعباً مهماً فيها.

وتكمن إشكالية الدراسة في معرفة مدى تأثير المتغيرات التي طرأت على وضع الولايات المتحدة الأمريكية سواء على الصعيد الداخلي ام الخارجي، في توجهاتها الخارجية تجاه العراق .

فرضية الدراسة

تنطلق الدراسة من فرضية مفادها (ان السياسة الخارجية تجاه العراق هي محصلة لتطورات الاوضاع الداخلية والاقليمية والدولية سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، وما عكسه ذلك على سياستها ازاء العراق).

منهجية الدراسة

اعتمدت الدراسة على أكثر من منهج، إذ اعتمدنا المنهج التاريخي لتفسير تطور السياسة الخارجية الأمريكية تجاه العراق، كما استعنا بالمنهج الوصفي الذي يعد من المناهج المهمة في دراسة السياسة الخارجية الذي يقوم على فكرة ارتباط المتغيرات المؤثرة في البيئة الدولية مع اتجاهات صناع القرار، فضلاً عن ذلك فقد اعتمدنا المنهج المقارن الذي يعتمد الملاحظة والاستنتاج عناصر جوهرية فيه، وذلك بدراستنا تطورات الأحداث السياسية، واستعنا بمنهج التحليل النظمي الذي يعد منهجاً مهماً في الدراسات السياسية وأغنى هذا المنهج البحث في كثير من مباحثه وأخيراً استعنا بالمنهج الاستشراقي.

هيكلية الدراسة

تنوزع هيكلية الدراسة - فضلاً عن المقدمة والخاتمة - على مبحث، إذ يبحث هذا المبحث الاول مرحلة التأهيل على الصعيد الاقليمي (العراق كنموذج للتغيير) ويقسم إلى اربعة مطالب، يتناول الاول العراق نموذج للتغيير الايراني، ويتناول الثاني العراق والجاراة الشمالية (تركيا)، ويذهب الثالث العراق واسرائيل، في حين الرابع يدرس العراق وطريق التغيير في سوريا.

المبحث الاول

مرحلة التأهيل على الصعيد الاقليمي (العراق كنموذج للتغيير)

يقع العراق جغرافياً وسياسياً وحضارياً في نقطة الاحتكاك المكاني والزماني بين ثلاث حضارات كبرى هي العربية والفارسية والتركية. كما يقع أيضاً في بؤرة الاحتكاك بين المذهبين الكبيرين للمسلمين، المذهب السني والمذهب الشيعي. كذلك يقع العراق سياسياً وجغرافياً على حدود منطقة انقسمت خلال القرن العشرين من الناحية السياسية بين الولاء للغرب والعداء له.

هذه العوامل الأساسية والمجتمعة جعلت من العراق تاريخياً نقطة وثوب او ارتكاز لصراعات بين قوى اقليمية ودولية كبيرة. وبسبب من هذه العوامل، فإن أي تغيير يحدث في العراق سيكون محصلة للصراع والتفاعل بين تلك العوامل والقوى الإقليمية والدولية المرتبطة بها، فموقع العراق الاستراتيجي يزيد من تعقيد الأمور.

وتختلف حرب 2003 عن حرب 1991، كون الولايات المتحدة شنت هذه الحرب لا لتدعم واقعاً راهناً، إنما لتغيره. حيث وجهت الولايات المتحدة رسالة تفيد إنها تريد أن تستخدم التغيير في العراق لإحداث تغيير في أماكن أخرى من المنطقة.⁽¹⁾

المطلب الأول: العراق نموذج للتغيير الإيراني
تتمتع إيران جيوبوليتيكياً بالموقع المتميز بتنوع الجوار الاقليمي وبالخريطة الجغرافية ذات الحدود والتضاريس والارتباطات والروابط المتنوعة والمتعددة، علاوة على ما تمتاز به من إرث تاريخي أملي عليها وعلى جيرانها تضاربات ومواجهات عديدة ومتوالية على عائدة هذا المسعى او ذلك ومن ثم الاصطدام حول السيادة. الأمر الذي قاد بدوره الى امعان التفكير وحث المسعى لتأمين متطلبات الامن الملحة والضرورية لحماية المطالب المتنازع عليها وتأمينها.⁽²⁾

ومع كل ما تمتاز وتتمتع به إيران، لم يخل واقعها السياسي من بعض التعقيدات التي فرضتها جغرافيتها الاقليمية، الامر الذي جعلها بموقع صدارة دول الخليج اولاً ومنطقة الشرق الاوسط ثانياً عند الحديث عن السياسة العالمية والترتيبات الاستراتيجية للقوى العظمى او الكبرى الرامية للسيطرة على هاتيك المنطقتين وما يحيط بهما.

وهذه الامور مجتمعة فضلاً عن وجود القوات العسكرية الأمريكية في كل من افغانستان والعراق، زاد من حدة توتر العلاقات ما بين الولايات المتحدة الأمريكية وإيران، والتي وصلت الى حد المواجهة المتشنجة، دبلوماسياً في اقل تقدير، بسبب البرنامج النووي الإيراني الذي الف بعداً جديداً لعوامل التأزم والانفراج على حد سواء، بين ايران من جهة ودول الغرب عموماً وبين الاولى الولايات المتحدة على وجه الخصوص.

وعلى الرغم من طرح ايران لمشروع حوار الحضارات للتقارب ما بين العالم الاسلامي والغرب والآخرين، إلا أن العلاقات الإيرانية-الغربية عموماً والإيرانية الأمريكية على وجه التحديد تكتنفها الكثير من التعقيدات في المواقف حيال بعض القضايا العالمية المشتركة.

وأولى هذه القضايا محاربة الإرهاب. فقد أولت واشنطن لإيران أهمية كبيرة في هذه المسألة خصوصاً في أثناء الإعداد لشن حرب على افغانستان، والذي شجعها على ذلك مواقف ايران الايجابية التي ابدتها في اعقاب احداث 11/ايلول مما اضفى هدوءاً نسبياً على العلاقات ما بين الطرفين تأكد على نحو اكثر وضوحاً من خلال:⁽³⁾

1. عدم انضمام إيران للتحالف الدولي لم يمنع وقفها على الحياد وعدم وضع العراق امام التحرك العسكري الامريكي حيال أفغانستان ثم العراق.
2. الضغط على طالبان بغلق الحدود مع افغانستان.
3. فتح الاجواء الإيرانية لنقل المساعدات الانسانية الامريكية للشعب الافغاني.
4. وضع المصالح الإيرانية فيما يخص مستقبل افغانستان في الحسبان.

اما الوضع الاقليمي فتكتنفه مداخلات عدة وملابسات مختلفة ربما يكون على رأسها التوتر الازلي بين العالم العربي، خصوصاً دول الخليج، وايران. ومن الواضح إن بإمكان هذه الدول ترتيب حساباتها على أساس إن بإمكان هذه الدول تأمين

حمايتها من ايران كما فعلت خلال عقد الثمانينات من القرن العشرين، باعتماد الولايات المتحدة على العراق لوقف الايرانيين. ومع ذلك فإذا كان لهذه الدول مصلحة في عدم وجود تهديد من جانب العراق، فإن لها مصلحة مقابلة في التأكيد من ان العراق لا يتفكك وإن الشيعة لا يسمح لهم بالحكم بلا ضابط لمصالح السنة⁽⁴⁾ كل هذه الضغوط والتداعيات حتمت على السياسة الايرانية التي طالما امتازت بالواقعية ان تتحول نحو القبول بالتعددية السياسية المرجعية العراقية وإن تفتح قنوات للحوار مع الجانب الامريكي فيما يخص الشأن العراقي والاسهام في المساعدة على خروجه من الفوضى التي تعمه، دون المساس، طبعاً، بأساسيات السياسة الايرانية الرامية الى تحقيق توازن اقليمي تؤدي فيه ايران دوراً حيوياً ومحورياً. هذا فضلاً عن وجوب إدراك القادة الإيرانيين لحقيقة إن احتلال العراق يمثل نقطة ارتكاز لتأسيس قواعد الامبراطورية الامريكية الجديدة في الشرق الاوسط، حيث كانت اولى هذه القواعد اطلاق مشروع الشرق الاوسط الكبير الذي تحتل ايران مساحة واسعة في طريق تحقيقه⁽⁵⁾

المطلب الثاني: العراق والجارة الشمالية (تركيا)

(لا أعداء دائمين، لا أصدقاء دائمين، ولكن مصالح دائمة)، لطالما اختبرت تلك المقولة من خلال تاريخ العلاقات التركية-العراقية، إذ أن تلك العلاقات قد كانت ذات طابع صراعي تارة، وطابع سلمي تارة أخرى، وتبقى المصلحة هي المحرك الأساسي لعملية تحول الأولويات.

أن الإرث الاستعماري العثماني ترك ما من شأنه ان يدع فسحة من الحوار التي ممكن ان تحل محل الصراع. ولكن نقاط التباعد هي الأخرى ليست بالقليلة، حيث ان الاختلاف القومي واللغوي، فضلاً عن بعض الملفات العالقة كانت وراء تجدد الخلافات التركية العراقية بين الحين والآخر. وأهم تلك الملفات هي الملف الكردي، والأقلية التركمانية، وكلا الملفين ذو علاقة بقضية الدور التركي في شمال العراق.

لقد كانت أفضل المراحل التاريخية في سجل العلاقات التركية-العراقية هي تلك التي جمعت كلا الدولتين ضمن حلف عسكري امني أطلق عليه (حلف بغداد)⁽⁶⁾ إبان الحكم الملكي في العراق، على ان تلك المرحلة لم تدم طويلاً بفضل قيام الحكم الجمهوري في العراق بعد ثورة عام 1958. فعددت من جديد مرحلة تناقض المصالح بين تركيا الحليف المهم للولايات المتحدة خلال فترة الحرب الباردة، وبين العراق الذي كان مهيناً لكي يكون ضمن فلك المد الشيوعي. وتلا تلك المرحلة مرحلة أخرى جديدة تمثلت بالحرب الإيرانية-العراقية التي أعادت قدراً من المرونة في العلاقات بين تركيا والعراق، انطلاقاً من مبدأ (عدو عدوي صديقي)، ولأن الملف الكردي قد تم تسويته من خلال إحكام سيطرة نظام صدام حسين في العراق على الوضع في كردستان شمال العراق⁽⁷⁾

وفي حرب عام 1991 لم يكن أمام تركيا إلا أن تمارس دورها كحليف أساس للولايات المتحدة التي استخدمت قواعدها في (انجريك) في تركيا لتقوم بجزء مهم من عملياتها

العسكرية تجاه العراق. وعاد عقد التسعينات ليفتح الملف الكردي من جديد، حيث كان الدور التركي في تحجيم قدرات أكراد العراق للحيلولة دون قيام دولة كردية منسلخة عن الجسد العراقي، مدعاة للاتفاق مع نظام حكم صدام تارة، ونقطة خلاف أساسية من خلال الانتهاك التركي لأكثر من مرة سيادة العراق تارة أخرى.⁽⁸⁾

ان تدخل الولايات المتحدة الأمريكية المباشر في شمال العراق بعد عام 1991، على اثر انفصال إقليم كردستان عن الحكومة المركزية في بغداد، لعب دوراً في تسكين الهواجس التركية تجاه الملف الكردي شمال العراق، وبقي الوضع سجالاً حتى أحداث احتلال العراق في آذار 2003، حيث أصبح ولا يزال الملف الكردي ضمن وضع عراقي جديد لم يحسم بعد، الا وهو شكل الدولة العراقية الجديدة، حيث ان المطالبات الكردية الدائمة بالفدرالية تشكل هاجساً تركياً تحاول الولايات المتحدة تطمننه بين الحين والآخر.

ووفقاً لما سبق كان لتركيا مطالب أساسية وإستراتيجية قبل ان تشكل موقفها من الحرب الأمريكية على العراق (2003) تمثلت ب: غطاء سياسي فعال، وحساسية أمريكية كافية حيال الشروط السياسية المحلية، وضمانة قوية بوحدة الأراضي العراقية وضمن بأن أكراد العراق لن ينالوا الاستقلال ولا ارجحية على تركماته، وتعويضات اقتصادية.⁽⁹⁾ وعلى هذا الأساس تلخص الموقف التركي من الحرب ضد العراق على لسان وزير خارجيتها "التعاون مع الولايات المتحدة في حربها ضد العراق بما يحفظ المصالح التركية، لأنها لا تستطيع منعها من خوض هذه الحرب".⁽¹⁰⁾

والحقيقة ان النموذج التركي استقى مكانته الدولية من كونها الدولة الإسلامية الوحيدة ذات نظام علماني "معتدل نسبياً"، فهي تقدم مثلاً لنخبة حاكمة تسعى حثيثاً للاندماج مع الغرب واثبات أحقية وجدارة تركيا لتحقيق ذلك. وفي هذا السياق حافظت السياسة الخارجية التركية على توجهها الغربي بالرغم من تغير البيئة الدولية (حرب باردة وما بعدها) والداخلية (تحول في هياكل صنع القرار وفي توالي أحزاب مختلفة التوجه).⁽¹¹⁾

المطلب الثالث: العراق وإسرائيل

تعد إسرائيل الطرف الإقليمي الأول الذي كان يرى في ضرب العراق مصلحة إستراتيجية له، ولا تتوقف النظرة الإسرائيلية عند حدود إزالة أسلحة الدمار الشامل العراقية أو تغيير النظام العراقي، بل تتجاوز ذلك كثيراً وتدخل في نطاق الرؤية الإستراتيجية لما بعد التغيير ووضع تصورات تقول بأن النظام الجديد في العراق، لا بد ان يدخل منظومة التسوية السياسية كفاعل رئيس، حيث سيوافق على صيغة التسوية السياسية القائمة، ويدخل أيضاً طرفاً في تنفيذها عبر تحول العراق إلى احد ابرز ساحات التوطين كجزء من تسوية البعد الأصعب في معادلة التسوية.⁽¹²⁾

ومن هنا فأهداف إسرائيل من وراء ضرب العراق تتجاوز الأهداف الأمريكية، وهنا ندخل في سياق الرؤية الإسرائيلية تجاه المنطقة ككل والتي تنطلق بالأساس من الرغبة الإسرائيلية القديمة بتفتيت الكيانات الكبيرة في المنطقة. فإسرائيل عملت في مناسبات عديدة ولازالت تعمل على تفتيت الكيانات الكبيرة في الشرق الأوسط وتحديداً العالم العربي

بههدف ضمان ممارسة دور الهيمنة والسيطرة الإقليمية. ويبدأ هذا التصور في التحقق عبر تفتيت الكيانات الكبيرة في المنطقة. وعند النظر إلى قضية التفتيت للكيانات الكبيرة، وهي فكرة محورية في رؤية وتصور آباء الحركة الصهيونية وفكرة قادة الدولة العبرية.

وظل دور إسرائيل في العدوان على العراق بعيداً عن النقاش، باعتبار ان كثيراً من وسائل الإعلام أجمت عن التعرض له، لكن مسؤول أمريكياً وصفه بالتالي "ان حليفنا المقتدر (إسرائيل) لم يكتف بأن زودنا بأسلحة نستخدمها في العراق، بما في ذلك بولدوزرات مصفحة وطائرات من دون طيار من صنعهم بل أنهم... ساعدونا في تدريب رجال المارينز على حرب المدن، وفي قيامهم بمهام مسح سرية في صحراء العراق الغربية، وسماحهم للولايات المتحدة بأن تضع معدات حربية داخل حدودهم. كذلك فقد طلبنا نصيحة الإسرائيليين بخصوص اكتشاف مهاجم انتحاري وهو في طريقه للهجوم، وكيف نتعامل مع الحواجز والمتاريس ونتغلب على الانتحاري"⁽¹³⁾.

ويعود الموقف الإسرائيلي من الحرب عام 2003 إلى ما تعده إسرائيل من ان النظام العراقي يحمل رؤية راديكالية تجاه الصراع والتسوية السياسية في الشرق الأوسط، فالعراق شكل قلب "جبهة الصمود والتصدي" التي رفضت مبادرة السادات بزيارة القدس وتصدت لمعاهدة السلام المصرية الإسرائيلية لعام 1979 ، كما ان العراق قاد عملية عزل مصر عن النظام العربي والعزل هنا كان "عقاباً" على الصلح والتسوية المنفردة.

المطلب الرابع: العراق وطريق التغيير في سوريا

بالنسبة لسوريا فان الولايات المتحدة الأمريكية تدرك ان التعامل مع سوريا يختلف عن التعامل مع حالة العراق وكذلك مع إيران إلا أن أسباب احتواء سوريا تتقارب من أسباب احتواء إيران المتعلقة بدعم الجماعات الإرهابية والمواقف السورية المتصلبة حيال الصراع العربي الإسرائيلي.⁽¹⁴⁾ وبذلك فان الولايات المتحدة تريد احتواء سوريا من خلال التصعيد الدولي ضدها.

يقول توماس فريدمان (ان مواصلة لعبة مزدوجة مع حلفائنا في الشرق الأوسط لأعوام لا بد لهذه اللعبة ان تتوقف فيتعين على دولة مثل سوريا ان تقرر ما إذا كانت ترغب في وجود سفارة لحزب الله ام سفارة أمريكية في دمشق وإذا كانت تريد سفارة أمريكية فلا يمكنها إذن إيواء حشد مارق من الجماعات الإرهابية).⁽¹⁵⁾

ف نجد ان الولايات المتحدة الأمريكية تتعامل مع سوريا انطلاقاً من الساحة العراقية وساحة الصراع العربي الإسرائيلي فضلاً عن المتغير اللبناني وما آلت إليه أحداث الحرب الإسرائيلية من تداعيات عليه، فمجمّل هذه المتغيرات الإقليمية لها تأثير حاد وقوي في الساحة السورية.

ففي الأسبوع الأول من العدوان على العراق، اطلق رامسفيلد وپاول تهديدين علنيين لسوريا، وقد اختار پاول ان يطلق تهديده من منبر اللقاء السنوي لايبك (الهيئة الاسرائيلية الامريكية للعلاقات العامة). ووفقاً لوكالة (UPI)، فإن خطة طارئة لنقل مسرح الحرب الى سوريا قد ابطلته كوندوليزا رايس بموافقة الرئيس. وكانت الخطة قد وضعت

من قبل دوغلاس فايت، مساعد وزير الدفاع، وبموافقة رامسفيلد وتحريض ولفويتز، وهم جميعاً من انصار حزب الليكود الاسرائيلي. وتتابع الوكالة تقريرها "ان اخر تحريض للبنتاغون في مجابهة دمشق تعزز بزيارة مستشار الامن القومي الاسرائيلي افراين هاليفي الى واشنطن بين 12 و 14 نيسان، ووفقاً لما كتبتة هارتس يوم 31 ابريل 2003، فإن هاليفي، ودوف وايسغلاس، احد كبار المساعدين لرئيس الوزراء الاسرائيلي ارييل شارون، زار واشنطن "ليقترح ان تتولى امر سوريا وايران بسبب دعمهما للإرهاب وتطويرهما اسلحة دمار شامل".⁽¹⁶⁾

بعد العراق بعده العمق الاستراتيجي الاكثر حيوية لسوريا⁽¹⁷⁾ في إطار علاقاتها الإقليمية في المنطقة وخصوصاً مع اسرائيل وتركيا وهذا يعطي العراق ميزة وإمكانية للتحرك على الجانب السوري، حيث ان عراقاً قوياً موحداً ضروري لاستعادة الحقوق السورية وتعزيز الدور السوري في المنطقة. كما في العراق العمل لإيجاد تنسيق مشترك مع سوريا في القضايا الاستراتيجية ذات الاهتمام المشترك خصوصاً مسألة المياه ومسألة الاقليات القومية والتحالف التركي الإسرائيلي وأثره على الأمن الوطني السوري والعراقي على حد سواء.

الخاتمة

شكل العراق اهمية سياسية واستراتيجية اقليمية لدى صناع القرار في واشنطن، وقد حظي العراق بأهمية وألوية لا تقل عن باقي المناطق المهمة. فمنذ فترة الحرب الباردة، والولايات المتحدة الأمريكية تتزاحم مع الاتحاد السوفيتي السابق على بسط نفوذها السياسي والعسكري والاقتصادي في مختلف مناطق العالم، ومنها منطقة الشرق الاوسط حيث يقع العراق. ففي نهاية التسعينات دخلت العلاقات الأمريكية العراقية منعطفاً جديداً، اذ تأثرت بمتغيرات عدة، وهذه الاخيرة أثرت بدورها في موقع العراق في النظام الاقليمي. وكان للمتغيرات الداخلية الأمريكية الاثر المهم في سياستها الخارجية تجاه العراق، فالسلوك الأمريكي تجاهها بتعاقب الادارات الأمريكية كان على نسب متفاوتة، وذلك عل وفق طبيعة الأزمة وادراكها من صانع القرار الأمريكي، كما أن تراجع الاقتصاد الأمريكي له الاثر البالغ في بحث الادارة الأمريكية عن وسيلة ترفع بها اقتصادها. كما أن المتغيرات الاقليمية لعبت دوراً اساسياً ومهماً بالتأثير في سياستها الخارجية تجاه العراق، اذ أثرت سوريا وايران في عرقلة أي مخطط تنوي الولايات المتحدة الأمريكية و(اسرائيل) القيام به.

لذا فان اهم الاستنتاجات التي خلص اليها الباحث فضلاً عما تقدم هو ان السلوك السياسي الامريكي تجاه المنطقة بشكل عام والعراق بشكل خاص يهدف الى بقاء المصالح الامريكية وضمانها بالدرجة الاساس وكذلك امن (اسرائيل). فالضغوط الامريكية التي تواجهها نتيجة لتورطها في ثلاثة مشاريع كبرى تبغي مجتمعة تغيير وجه الوطن العربي، وفشلت حتى يومنا هذا في انجاز اي منها .

وهذا لا يعني ان الولايات المتحدة في طريقها الى فقدان جل اوراقها في عالمنا، فواشنطن ما تزال الطرف الخارجي الاهم في معادلة الشرق الاوسط وفاعلة على الارض من خلال وجودها

العسكري وتحالفها مع (اسرائيل) وحكومات عربية رئيسة ومن ضمنها العراق.

المصادر

القران الكريم

الكتب:

1. احمد رأفت بسيوني ، الصراع العالمي الحديث في الشرق الأوسط ، الطبعة الأولى، 1954.

إدمون غريب وآخرون، الوطن العربي في السياسة الأمريكية، سلسلة كتب المستقبل العربي، الطبعة الثانية، 2004.

2. إسماعيل صبري مقلد، الإستراتيجية والسياسة الدولية المفاهيم والحقائق الأساسية، مؤسسة الأبحاث العربية الطبعة الثانية، 1985.

3. خضر خضر، "مفاهيم أساسية في علم السياسة"، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس، 1999.

4. شادي عبد العزيز فارح، المحافظون الجدد والشرق الأوسط المصادر الداخلية والقابليات الإقليمية للسياسة الأمريكية، مركز الدراسات الأمريكية ، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، آب 2005.

5. شاهر إسماعيل الشاهر، أولويات السياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث 11 أيلول، مكتبة الأسد - منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2009.

6. شريف جوير العلوان، السياسة الخارجية الأمريكية وأزمة الشرق الاوسط 1967_1973، مطبعة المعارف، الطبعة الأولى، بغداد، 1978.

7. صادق الأسود، علم الاجتماع السياسي، المكتبة الوطنية، بغداد، 1986.

8. صالح زهر الدين، خلفيات الحصار الأمريكي-البريطاني على العراق، المركز العربي للأبحاث والتوثيق ، بيروت، 1999.

9. عبد القادر محمد فهمي ، الفكر السياسي والاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية (دراسة في الأفكار والعقائد ووسائل البناء الإمبراطوري)، دار الشروق للطباعة ، الطبعة الأولى ، عمان ، 2009.

10. كاظم هاشم نعمة ، الوجيز في الإستراتيجية ، المكتبة الوطنية ، بغداد 1988.

11. لهيب عبد الحق، بين انهيارين الإستراتيجية الأمريكية الجديدة ، الأهلية للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى، عمان الأردن ، 2003.

12. محمد حسين أبو صالح، التخطيط الاستراتيجي القومي ، مجموعة النيل العربية الطبعة الثانية، القاهرة ، 2009.

13. محمد جمال محفوظ ، المدخل إلى العقيدة والإستراتيجية العسكرية الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 1967.
14. محمد أحمد النابلسي، أوهام مشروع الشرق الأوسط الكبير، دار الفكر، مكتبة الأسد، دمشق ، 2007.
15. مروان عوني كامل، الهيمنة الأمريكية في ضوء نظرية ماكندر، سلسلة دراسات إستراتيجية، جامعة بغداد، مركز الدراسات الدولية ، العدد 91، بغداد 2007.
16. ناظم عبد الواحد الجاسور، المرجعة الفكرية للخطاب السياسي- الاستراتيجي الأمريكي ما بعد الحادي عشر من أيلول 2001، دار النهضة العربية الطبعة الأولى، بيروت لبنان، 2006.
17. هوشيار معروف، التخطيط الاستراتيجي، الطبعة الأولى، عمان، دار وائل للنشر، الأردن، 2009.
18. هادي قببسي، السياسة لخارجية الأمريكية بين مدرستين :المحافظة الجديدة والواقعية،الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى، بيروت لبنان ، 2008.
-
- (¹) انظر: مارتن كيرمر، وهو رئيس تحرير فصلية "Middle East Quarterly"، في منتدى المائدة المستديرة لخبراء مركز "GLORIA" والمنشور في مجلة المستقبل العربي،العدد (294)،2003، ص (119).
- (²) عبد الوهاب القصاب، التأثير الجيوستراتيجي لسياسة التسليح الإيرانية، دراسات دولية،(جامعة بغداد: مركز الدراسات الدولية)،العدد(19)،كانون الثاني 2003، صص(34-35).
- (³) أنظر: يفجيني بريماكوف، العالم بعد 11 سبتمبر وغزو العراق، مصدر سبق ذكره،صص (15-16).
- (⁴) فريدمان، مصدر سبق ذكره،ص(86).
- (⁵) محمد السيد إدريس، إيران وبناء الدولة العراقية (المصالح والسياسات)، السياسة الدولية، العدد (162)، أكتوبر 2005، ص(75).
- (⁶) محمد السيد ادريس، مصدر سبق ذكره، ص69.
- (⁷) انظر: عوني السبعوي، العلاقات العراقية-التركية وأفاق تطورها، أوراق تركية معاصرة،(جامعة الموصل: مركز الدراسات التركية)، العدد(1)، حزيران،1987، ص(19).
- (⁸) انظر: باكينام الشراقوي، المشهد التركي والإيراني وأزمة العراق، في مجموعة باحثين،العراق من خريطة أزمة إلى مستقبل امة، مصدر سبق ذكره، ص(2).
- (⁹) انطوني كوردسمان، الإبعاد الإقليمية للإستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط، ترجمة، ياسين الحاج، مأخوذ عن شبكة إخبار الشرق،(الانترنت)، 2 /2003/8.
- (¹⁰) انطوني كوردسمان، مصدر سبق ذكره،ص63.
- (¹¹) انظر: باكينام الشراقوي، المشهد التركي والإيراني وأزمة العراق...، مصدر سبق ذكره، ص(3).

(12) عماد جاد، العامل الإسرائيلي في الأزمة العراقية، عن كتاب العراق من خريطة أزمة إلى مستقبل أمة، بحث مأخوذ عن شبكة الانترنت ، موقع: www.Islamonlin.com

(13) نقلاً عن: نصير عاروري، حروب جورج دبليو بوش "الوقائية"... ، مصدر سبق ذكره، ص(88).

(14) انظر: محمود إبراهيم، العراق والشرق الأوسط، الشبكة العالمية للاتصالات والمعلومات 2004

www.google.com

(15) نقلاً عن: سعيد عكاشة، موقف الولايات المتحدة من دول الطوق العربي، مجلة السياسة الدولية، العدد(147)، 2002، ص (70).

(16) نقلاً عن: نصير عاروري، حروب جورج جيبليو بوش "الوقائية" بين مركزية الخوف وعولمة إرهاب الدولة، مصدر سبق ذكره، ص(85).

(17) كانت هناك تصور عام في ان وقوع الحرب على العراق سوف تكون له إسقاطات اقتصادية على الاقتصاد السوري ناتج من طبيعة التشابك في المصالح التجارية بين البلدين والتي توضحها الأرقام الآتية:

* تم استئناف العلاقات بين البلدين عام 1997 بعد قطيعة استمرت نحو 18 عاماً، كما اكتسبت العلاقات التجارية زخمها خلال الأعوام الثلاثة السابقة للحرب الأمريكية 2003، خاصة بعد تبادل الزيارات بين كبار مسؤولي البلدين وما ترتب عليها من فتح الحدود أمام المواطنين وتسهيل تدفق السلع والبضائع بين البلدين.

* ارتفع حجم التبادل التجاري بين البلدين إلى نحو 3 مليارات دولار، تزداد إلى 5 مليارات إذا أضفنا إليها التجارة الحدودية واستيراد النفط العراقي.

* وقع البلدان اتفاقاً عام 1998 لإصلاح خط أنابيب النفط الذي يربط حقول النفط في "كركوك" بميناء "بانياس" السوري على البحر المتوسط، والذي كان قد توقف العمل به عام 1982، ومن المتوقع أن تبلغ الطاقة الإنتاجية لهذا الخط حوالي 1.4 مليون برميل.

* في فبراير 2001 تم توقيع اتفاق لإقامة منطقة تجارة حرة بين البلدين لتسهيل تبادل السلع والخدمات.

* أستأنف تصدير النفط العراقي لسوريا (حوالي 200 ألف برميل يومياً) بأسعار مخفضة، وهو ما يسمح بزيادة الصادرات النفطية السورية إلى أكثر من 350 ألف برميل يومياً.

من خلال الأرقام والحقائق السابقة يتضح لنا مدى عمق الآثار التي قد يتعرض لها الاقتصاد السوري إذا ما ضرب العراق، ولعل أهم هذه الآثار المتوقعة ما يأتي:

* تدهور أوضاع الاقتصاد السوري، وليس أدل على ذلك من انخفاض سعر الليرة السورية في مقابل الدولار بنسبة 6% جاءت كنتيجة للتهديدات الأمريكية بضرب العراق.

* من المتوقع أن تصاب قطاعات كبيرة بالشلل نتيجة للأزمة التي سببها ضرب العراق، ولعل أهم هذه القطاعات القطاع الصناعي خاصة الصناعات النسيجية والهندسية وصناعة المنظفات والسيراميك، والتي ركزت في تعاملاتها خلال العامين السابقين للحرب على السوق العراقية، فضلاً عن مصانع القطاع العام التي استطاعت تصريف منتجاتها الفائضة في العراق.

* تزداد المخاوف السورية من عدم تنفيذ العقود التي أبرمت مع الحكومة العراقية تحت إشراف الأمم المتحدة، وهو ما قد يؤدي إلى توقف المصانع التي تعتمد بشكل كبير على تنفيذ هذه العقود، وهو ما من شأنه أن يؤدي إلى ارتفاع نسبة البطالة بين العمال السوريين.

* ستتأثر السياحة في سوريا بشدة نتيجة للقرب الجغرافي من العراق، وهو ما يعني فقدان مصدر كبير للعملة الصعبة، وتشير التقديرات إلى أن سوريا حققت حوالي نصف مليار دولار العام الحالي كعائدات من القطاع السياحي، ومن المتوقع أن تنكمش هذه العائدات في حالة اندلاع حرب في المنطقة. إلا أن تدهور الوضع الأمني في العراق جاء لصالح سوريا في هذا الجانب نتيجة الهجرة العراقية الكبيرة لسوريا بحثاً عن ملاذ امن مما أفاد الاقتصاد السوري إلى حد كبير. تقرير مأخوذ عن الشبكة العالمية للاتصالات والمعلومات الانترنت، (موقع إسلام أون لاين)2006\www.Islamonlin.com

سيادة القضاء في تطبيق مبادئ القانون الدولي الخاص

م.م حازم عبدعون دلي

hazim.a.own@alkutcollege.edu.iq/

م.م ايسر رزاق طلاع

aesar.razak@alkutcollege.edu.iq

علي كاظم عسواد

ali.k.jabur@alkutcollege.edu.iq

Abstract

The general principles are the primary material that allows the judge to employ them in every field in which the will of the legislator is absent, so they have the opportunity to complete the ruling from them, as the judge returns to them when he does not find the appropriate ruling in the legislation and custom, as well as its explanatory and complementary role, as it is one of the basic and essential rules that No legal system is devoid of it, and college norms are formed from which detailed rules for broad cases emerge, and these norms are distributed horizontally at the global level and concentrated vertically within the framework of the legal hierarchy of the law of each country

These principles represent a material that guides the legislator in formulating legal texts and then becomes a refuge for the judge as a backup role after the legislative rules, especially since the economic and social life proceeds at a faster pace than the legal texts, in addition to its explanatory and complementary role to demystify the ambiguity in the legislative texts, in addition to the prevailing role of the legislative legal rules Existing when dealing with part of the conflict.

المستخلص باللغة العربية

ان المبادئ العامة تعد المادة الأولية التي تتيح للقاضي توظيفها في كل مجال تغيب فيه إرادة المشرع فتكون لهم فرصة استكمال الحكم منها، إذ يرجع إليها القاضي عندما لا يجد الحكم الملائم في التشريع والعرف، وكذلك دورها التفسيري والتكميلي، إذ انها تعد

من القواعد الأساسية والجوهرية التي لا يخلو منها أي نظام قانوني، و كذلك تشكل سنن كلية تخرج منها قواعد تفصيلية لحالات واسعة، وهذه السنن تتوزع أفقياً على المستوى العالمي وتتركز عمودياً في إطار التدرج القانوني لقانون كل دولة.

وتتمثل هذه المبادئ مادة يهتدي بها المشرع لصياغة النصوص القانونية وبعد ذلك تكون ملجأ للقاضي كدور احتياطي بعد القواعد التشريعية لاسيما وان الحياة الاقتصادية والاجتماعية تسير بوتيرة أسرع من النصوص القانونية، إضافة الى دورها التفسيري والتكميلي لفك الغموض في النصوص التشريعية، إضافة الى دورها السائد للقواعد القانونية التشريعية الكائنة عند معالجتها لجزء من النزاع، إذ لا يمكن القول بان سيادة القضاء في هذا العصر تتمثل بالمحافظة على المصالح العامة فقط، انما تمثل وفق هذا المنظور مصالح العلاقات الخاصة الدولية

المقدمة

أولاً: مدخل تعرفي بموضوع البحث

تعد مبادئ القانون الدولي الخاص المادة التي يهتدي بها المشرع لصياغة النصوص القانونية وبعد ذلك تكون ملجأ للقاضي كدور احتياطي بعد القواعد التشريعية، فعندما ينص المشرع على مبادئ القانون الدولي الخاص في التشريعات فان ذلك يعد اعترافاً منه بأن هذا النقص والقصور انما يسده القضاء الذي يضطلع بتطبيق القانون وتفسيره عادة والذي يضطلع أحياناً بالإبداع والاجتهاد، وكلا من المشرع والقاضي لا يستغنيان عن معين آخر هو الفقه الذي يضطلع بدوره بوظيفة الشرح والتفسير، وكل ذلك في علاقات أو معاملات خاصة ذات عنصر أجنبي كموضوع أصيل للقانون الدولي الخاص، وحيث أن النص على مبادئ القانون الدولي الخاص في صميم القوانين فان ذلك يجعل منها تكملة لمصادر هذه القوانين، أو هي مصدر خاص يضاف الى مصادرها التقليدية العامة، فضلاً عن أن دور المبادئ في التطبيق يتسق ويتناغم مع حقيقة أن النصوص متناهية وأن الوقائع غير متناهية، وما هو متناه لا يمكن أن يحيط بما هو غير متناه.

فعندما تكون هناك سلطة تقديرية للقاضي لكي يحدد ما هو من ضمن السيادة وما هو خارجاً عنها فان ذلك ومن دون ادنى شك يعزز من سيادة القضاء، ومن ثم يكون العامل الرئيس في تحقيق الغاية من السيادة، إذ لا يقتصر دور السيادة على حفظ هيبة الدولة من خلال عدم السماح بتطبيق القوانين الاجنبية داخل حدودها، إذ ان هذا الاتجاه وان كان يمكن العمل به في السابق لكن مع التطور الكبير الذي يشهده العالم اليوم وما نتجه عن الثورة المعلوماتية التي جعلت من العالم عبارة عن قرية صغيرة يمكن من خلال انشاء علاقات وعقود قانونية ادت الى التقليل من دور التقليدي للقضاء بالمحافظة على سيادة الدولة من خلال مبادئ القانون الدولي الخاص، بل ويمكن الذهاب الى ابعد من ذلك، إذ لا يمكن القول بان سيادة القضاء في هذا العصر تتمثل بالمحافظة على المصالح العامة فقط، انما تمثل وفق هذا المنظور مصالح العلاقات الخاصة الدولية، ولذلك سنبحث هنا في الدور الذي يلعبه القضاء في تطبيق مبادئ

القانون الدولي الخاص وما يقوم به من في تطبيق هذه المبادئ، حيث تمثل السنن الاولى والمادة الأولية في صناعة القواعد القانونية وفي انشاء الحلول القانونية في غياب الاطار التشريعي، وكذلك الاستناد اليها في تفسير النصوص القانونية تفسيراً يذهب به القاضي الى روح وجوهر النص، لان مبادئ القانون الدولي الخاص هي الأساس الذي يستند اليه القاضي في عمله.

ثانياً: أهمية البحث

ان الوظيفة الأساسية للقضاء هي تسوية المنازعات المعروضة عن طريق تطبيق القواعد التشريعية، الا ان القاضي قد يجد نفسه امام الكثير من المنازعات التي لا يجد بصدها نص يحكم النزاع ومن هنا تبدأ أهمية الموضوع حيث ان القاضي في النزاع المعروض يجب ان يقول كلمته و يفصل في النزاع المعروض سواء وجد نص او لم يجد، وقد ادى انحسار دور المشرع الى إعطاء الدور للقضاء في إيجاد الحلول القانونية لان المشرع والقاضي يعملان وفق نظرية التكامل والامتداد، الا ان القاضي يعتبر مؤشراً بالغ الدقة للتغير الاجتماعي فهو المدرك لمتغيرات ومتطلبات المجتمع وبذلك ينظر الية كجزء من النشاط المتواصل للمجتمع من يوم لآخر، لذلك فالقاضي ليس أداة لتطبيق النصوص بحرفيتها فقط انما يبرز له دور واضح وبارز في تفسير النصوص للوصول الى معناها وغايتها وصولاً الى اهداف القانون الدولي الخاص، وكذلك في حالة عدم وجود تشريع يقوم القاضي بدوره في خلق الحلول القانونية وله في ذلك ما يستند عليه من مبادئ القانون الدولي الخاص.

ثالثاً: مشكلة البحث:

أن المشرع والقاضي يعمل كلاهما وفقاً لنظرية الامتداد والتكامل، فالمشرع أمن بضرورة بقاء دوره منحصراً في المواجهات العامة بسبب عدم المامه بجميع التفاصيل والوقائع بتفرعاتها وتعقيداتها المتطورة بتطور المعاملات الدولية، وهو بسعيه هذا إنما أراد أن يمنح القضاء إمكانية هذه المواجهة، إن هذا التدخل الخجول من قبل المشرع أظهر بواقعه قصوراً تشريعياً الامر الذي أفسح المجال أمام القضاء ليلعب دوراً منشئاً تارة ودوراً معززاً لما أقره المشرع من قواعد في مجال القانون الدولي الخاص بغية التوفيق بين معطيات الحياة الواقعية وما تقتضيه العلاقات الخاصة الدولية تارة أخرى تحقيقاً للعدالة التي هي جوهر وغاية تنازع القوانين.

رابعاً: منهجية البحث

انتهج البحث مناهج البحث العلمي القانوني التحليلي المقارن في ضوء مختلف النصوص القانونية والطروحات الفقهية والقرارات القضائية، ومحاولة توظيفها قدر الإمكان بما يخدم الموضوع ويحقق الغرض.

خامساً: خطة البحث

واستناداً لما تقدم سوف نبحت في دور القضاء الانشائي في المبحث الاول وفي المبحث الثاني سوف نبحت في دور القضاء التكميلي، وعلى النحو الاتي:

المبحث الأول: دور القضاء في خلق الحلول

المبحث الثاني: دور القضاء التكميلي

المبحث الأول

سلطة القضاء في خلق الحلول

ان القاضي ليس أداة لتطبيق القانون والوصول الى الحكم، انما يتعين عليه في حالة وجود نقص تشريعي ان يقوم بسده ولا يتصل عن مهمته بحجة عدم وجود النص، فالقضاء له دور مهم وحيوي في انشاء مبادئ تلقفها المشرع منه ليعيد صياغتها، وساعده في هذا الدور هو عدم وجود تقنين متكامل في قواعد القانون الدولي الخاص، فاعلم هذه القواعد هي عبارة عن مبادئ ارساها وطورها القضاء واعطاها اطار تشريعي باعتبار ان دائرة القاضي اوسع نشاط من دائرة المشرع واقرب منها للواقع، ففي هذا الميدان يمكن ان يكون للقضاء دور في انشاء الحلول القانونية في حالة عدم وجود نص او في حالة سد النقص الوارد في النص من خلال تفسير النص والوصول روح النص بعيدا عن التطبيق الحرفي له، واستنادا لما تقدم فاننا سوف نقسم المبحث الى مطلبين

المطلب الأول: دور القضاء في خلق الحلول بغياب النص

المطلب الثاني: دور القضاء في تفسير النصوص القانونية

المطلب الأول

دور القضاء في خلق الحلول بغياب النص

بالرغم من وجود التشريعات التي تتعلق بالعلاقات الخاصة الدولية ذات البعد الدولي، الا ان القانون الدولي الخاص لا يزال معتمد على احكام القضاء والتي تكون المصدر الرئيسي لمبادئه ونظرياته العامة، فالقضاء يلعب دور في خلق النظريات والمبادئ القانونية التي يمكن ان تكون فيما بعد مبادئ عامة وشائعة في هذا المجال، ان القول ان القانون الدولي الخاص انه قانون قضائي لا يعني اغفال المصادر الأخرى التي ترفده، الا ان القضاء يكون مصدرا متفوقا على تلك المصادر لانه صاحب الفضل في تشييد مبادئ القانون الدولي الخاص، ويمكن القول ان مصدرا رسميا وليس احتياطي شأنه شأن بقية القوانين، فالمشرع في كثير من الأحيان قد يستلهم ما تصل اليه احكام القضاء فيصوغ منها تشريعا على هذا الأساس.⁽¹⁾

ان كلا من المشرع والقاضي يبحث عن هدف القانون الدولي الخاص والغاية من تطبيقه او تشريعه، وهنا القاضي لا تتوقف مهمته عند تطبيق القواعد المقننة وانما تمتد الى انشاء القواعد القانونية، فحينما يقوم القاضي بابتداع القاعدة القانونية وتطبيقها في اطار العلاقات الخاصة الدولية في الخصومة المعروضة امامه والتي لا يجد في نصوص القانون حلا لها، فان حكم القضاء هنا يكون هو المصدر الوحيد والاساسي في خصوصية هذا النزاع.⁽²⁾

ان دور مبادئ القانون الدولي الخاص في هذا المجال تكون توجيهات عامة ومرنة، فهي ليست قواعد قانون وضعي، انما توجه القاضي نحو حل معين ولا تكون هي حلول

تامة بذاتها، انما هي تتصف بالعمومية فلا تضع حكما مستقلا ولذلك فالقاضي يقوم بالاستعانة بها في وضع حلا للقضية المعروضة امامه.⁽³⁾

ان الدور الانشائي للقضاء جاء من نشاط القانون الدولي الخاص الذي يكون متجدد ومتطور دائما ومستمر لمتطلبات الحياة والمجتمع وخصوصا في مجال التجارة الدولية، ولان هذا القانون يتطور بتطور الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وكذلك عدم تقنين القانون الدولي الخاص، كل ذلك أتاح الفرصة امام القضاء لإنشاء قواعد قانونية.⁽⁴⁾ ففي كل قضية تعرض على القاضي في مجال العلاقات الخاصة الدولية يبحث القاضي عن القوانين والأنظمة التي تحكم القضية وإذا لم تسعفه القوانين والأنظمة فإنه يجتهد ويبتدع حلا للقضية المعروضة عليه، ويحاول حل جاهدة ان يكون الحل عادلا ومنصفا، ومن ثم تكرار الحل على نحو معين عندها يشكل هذا الحل مبدا قانونيا من مبادئ القانون الدولي الخاص، وهنا القاضي ارتقى الى مرتبة المشرع باستخلاصه هذا المبادئ واعطي سلطة مساوية لسلطة المشرع في انشاء القواعد القانونية التي تسعف الحالات التي لا يسعفها النص، وبهذا قام القضاء بيجاد قواعد تنازع قادرة على حل النزاعات الدولية ذات الطبيعة الخاص.⁽⁵⁾

بالإضافة للدور الذي يقوم به القاضي عندما يعرض عليه النزاع ويعطي الحل ولا يمكنه التنصل عن هذه المهمة بحجة عدم وجود النص، جاءت بعض التشريعات التي أعطت للقاضي ومنحته هذا السلطة صراحة، ومن هذه التشريعات ما نجده في القانون الكويتي الصادر سنة 1980 الذي نص في مادته الأولى " على وجوب ان يحكم القاضي وفقا للقانون العرفي اذا لم يجد نصا تشريعيًا، وان يحكم بما كان يضعه من قواعد لو كان مشرعا ان لم يجد قاعدة في العرف"، وهذا النص يعد اعترافا من المشرع بان التشريع يشوبه بعض النقص، حيث اعطى للقاضي سلطة مساوية لسلطة المشرع واعتبره في ذلك مشرعا في ضوء النزاع المعروض امامه، وكذلك القانون الدولي الخاص السويسري الصادر 1987 في مادته الأولى التي نصت "يطبق القانون بلفظه او بروحه على كل المسائل التي يتعلق بها، فاذا لم يوجد حكم في قضية ما فيحكم القاضي بموجب العرف والعادة، فاذا لم يوجد فيحكم بموجب القاعدة التي كان يضعها لو كان مشرعا"، كذلك في نص المادة 30 من القانون المدني العراقي التي نصت على " يتبع فيما لم يرد بشأنه نص في المواد السابقة من أحوال تنازع القوانين مبادئ القانون الدولي الخاص الأكثر شيوعا"

وبهذه النصوص يظهر دور القاضي هنا جليا ليس فيه أي لبس فالنصوص الواردة هنا تعطي للقاضي سلطة في انشاء القواعد القانونية، لذا فان المنطقية للدور الانشائي والخلاق للقاضي تجد أساسها في الواقع والقانون.

ولا شك في ان انكار الدور الانشائي للقضاء سيؤدي الى سكوت القانون وعدم مرونته في مواجهة التطورات لاسيما كما نعلم ان نشاط العلاقات الخاصة الدولية متجددة ومتطورة، والقضاء عندما يقوم بهذا الدور انما يبحث عن الوظيفة الأساسية لقاعدة الاسناد

والاستناد الى روحها وتحقيق العدالة و اختيار انسب القوانين لحكم العلاقة القانونية⁶، فقد يعمد القضاء الى خلق حلول قانونية وتكرار الاخذ بهذه الحلول يجعل هذا الحل شائع وبالتالي يصبح مبدا من مبادئ الشائعة في القانون الدولي الخاص، وبالتالي فإن المرجع في تمتع القاضي بدور الانشائي هو القانون بمعناه الواسع، وصرح كلسن تعبيراً عن الدور الانشائي للقاضي فيقول ان الموافقة على وجود نقص في التشريع تعني "السماح للقضاة بان يحلوا افكارهم الاخلاقية والسياسية محل تلك التي يعتنقها المشرع".⁽⁷⁾

وصفوة القول، انه منذ ولادة القانون الدولي الخاص كان للقضاء دور مهم وحيوي ولم ينحصر دوره فقط على التفسير والتطبيق انما مد حيزه القانوني اكثر، واخذ يوسع من مفهوم التطبيق الى خلق مبادئ تلقفها المشرع منه ليعيد صياغتها، وساعده في هذا الدور هو عدم وجود تفتين متكامل في قواعد القانون الدولي الخاص، فاعلم هذه القواعد هي عبارة عن مبادئ ارساها وطورها القضاء واعطاها اطار تشريعي باعتبار ان دائرة القاضي اوسع نشاط من دائرة المشرع واقرب منها للواقع، فالقضاء بالنسبة للقانون الدولي الخاص يعد مصدرًا مهمًا من مصادره، حتى سمي القانون الدولي الخاص بانه قانون قضائي.⁽⁸⁾

وبناءً على ذلك فان المبادئ التي يستخلصها القاضي في مجال العلاقات الخاصة الدولية ويكشف عنها، قد يقوم المشرع بتعديل النص القانوني القائم او باتشاء نص قانوني جديد محل هذا المبدأ المستخلص من القضاء، وعليه فتكرار الاخذ بهذه المبادئ وتأكيدها من جانب القضاء يجعل من العسير انتهاكها حتى من جانب المشرع.

المطلب الثاني

دور القضاء في تفسير النص

ان تفسير القانون هو من صميم عمل القضاء، فالقضاء عندما يطبق النص فلا بد من ان تسبق عملية تطبيقه عملية تفسير، فالقاضي ليس له ان يبقى مغلق ويبحث في حرفية النص انما عليه ان يتوسع في تفسيره حتى يستوعب التطورات الحاصلة في مجال القانون الدولي الخاص من خلال تحليله لقاعدة الإسناد التي من خلالها سيتمكن القاضي من حل مشكلة الاعتماد على بعض الضوابط التي تحددها قواعد الاسناد، إذ سيتمكن القاضي من الوقوف على غاية قواعد الإسناد وصولاً للأهداف التي تروم القواعد الوصول اليها وهي اختيار افضل القوانين التي تحكم العلاقة القانونية المشوبة بعنصر الأجنبي⁽⁹⁾

فيلجأ القاضي للتفسير في حالتي غموض النص ونقص النص، ففي غموضه يكون، أي مبهم عندما يكون لفظه يحتمل التأويل ويعطي اللفظ اكثر من معنى، وهنا على القاضي ان يختار المعنى الذي يراه اقرب الى مقصد المشرع، ويتعين على القاضي الوقوف على النية الحقيقية للمشرع، اما في النقص، عندما يغفل المشرع عند ذكر لفظ معين او الفاظ لا يمكن ان يستقيم النص بدون تلك الالفاظ، أو في حالة سكوت المشرع عن ذكر بعض الحالات التي كان يلزم ذكرها، عندها يتعين على القاضي ان يقوم باكمال النقص، فالتفسير في أبسط معانيه، عملية فنية تبتغي إيضاح ما أبهم، وضبط ما اشكل، وبيان ما

التبس، هو اذن يستهدف امرين، رفع الغموض، وازلة الخلاف من ناحية، وسد الفراغ من ناحية اخرى.⁽¹⁰⁾

حيث أن القاضي يمكن له إنشاء الحلول العادلة واستحداث النظريات عند لجوئه الى تفسير النص القانوني المشوب بالغموض والابهام، وليس هناك مانع قانوني من أن يمارس القاضي دوره في الخلق والابداع إضافة الى دوره الاساسي المتمثل بتفسير النص القانوني، فتفسير النص المشوب بالغموض هو من صميم عمل القاضي إلا أنه لا يختزل كل عمله، ومن الملاحظ أن القضاة عند تفسيرهم للنصوص كثيرا ما يتأثرون بالظروف الواقعية للمنازعات المعروضة أمامهم، وأن ذلك التأثير يمكن أن ينعكس على التفسير الذي يعطونه لإرادة المشرع¹¹، بل وقد يذهبوا الى أبعد من ذلك الى تجاوز هذه القواعد تحت ستار تفسيرها بغية إيجاد الحلول القانونية المناسبة للنزاع المعروض، وأن المتتبع لعمل القضاء في نطاق القانون الدولي الخاص يجد أن دوره أوسع من دور المشرع وأقرب منه الى الواقع، كون إن الأخير ينحصر دوره على وضع القواعد العامة المجردة لحكم سلوك الافراد والتي تخلوا بطبيعتها من عنصر وقد يتخطى القاضي نطاق التشريع إلى العرف لعله يجد في ذلك ما يسعفه في إيجاد الحلول القانونية المناسبة، كونه ملزم قانونا بالحكم في الواقعة المعروضة أمامه ولا يستطيع أن يتصل من قيامه بهذا الدور تحت ذريعة النقص التشريعي وإلا عد منكرا للعدالة.⁽¹²⁾

وصفوة القول، ان القاضي لا يستطيع ان يباشر عمله الا عن طريق تفسير القواعد القانونية بغية تطبيقها على النزاع المروض امامه، لان أولى مهام وصميم اعمال القاضي هي تفسير القانون والوصول الى جوهر وروح النص، وينعكس ذلك على ما يتم تفسيره للقواعد القانونية، وقد يتجاوزون بعض القواعد بحجة تفسيرها وذلك للوصول الى أفضل الحلول العادلة، وعندها قد يختلط التفسير مع الخلق، وهذا الدور الهام للقضاء في مجال القانون الدولي الخاص جعل البعض يقول بحق اننا بخصوص " قانون دولي خاص قضائي وعلمي ".

المبحث الثاني

دور القضاء التكميلي

ان القضاء ليس أداة لتطبيق التشريع فحسب انما يمتاز بدور إيجابي في تفسير النصوص لقانونية بعيدا عن التطبيق الحرفي لها مما يمكنه من الوصول الى الدور الحقيقي الذي يمثله القضاء في تسوية المنازعات المعروضة وتحقيق العدالة لأطراف النزاع، وقد يتجه القضاء مرة أخرى ابعد من التفسير فيقوم بتطويع النصوص القانونية او تلطيفها بغية التنسيق بين النظم القانونية، وان هذا الدور الذي اعطي للقضاء جاء من قدرة القضاء على مواكبة التطور الحاصل والسرعة التي تتسم بها العلاقات الخاصة الدولية، وللقضاء في ذلك وظيفتان، الاولى : يكون للقضاء دور تطويع النصوص القانونية ، أما الوظيفية الثانية: فتتمثل بتلطيها بغية التنسيق بين النظم القانونية، واستنادا لما تقدم سوف نبحت ذلك مطلبين:

المطلب الأول: دور القضاء في التطويع المطلب الثاني: دور القضاء في التلطيف المطلب الأول

دور القضاء في تطويع النص

ان فلسفة القانون الدولي الخاص وتحقيق المؤاممة والتنسيق بين النظم القانونية لم يكتفي القضاء بالتفسير والانشاء، بل ذهب الى ابعاد من ذلك، فقد لجا الى التطويع محاولاً إيجاد نوع من التنسيق والتكامل بين النظم المختلفة، فالقاضي ان لم يسعفه التشريع فانه يقوم بتطويع النصوص القانونية، وبهذه العملية يستعين القاضي بثقافته القانونية من خلال الاستعانة بفلسفة وجود القانون الدولي الخاص، وبالتالي يتجاوز التجريد التشريعي الاعمى الى الاختيار القضائي المتبصر وفق لمنهج القانون الأنسب⁽¹³⁾.

حيث يتمكن القاضي من التطويع لطوائف النظم القانونية الوطنية واسباغها بالروح الدولية تحقيقاً للتعايش بين النظم القانونية، ويتحقق ذلك من خلال الكشف عن الطبيعة المشتركة بين النظامين الأجنبي والوطني¹⁴، فالقضاء الفرنسي بدا يعترف بعد طول تردد بنظام تعدد الزوجات، وفقاً لمبدأ التطويع فان النظام القانوني الفرنسي الذي يمنع تعدد الزوجات في فرنسا، الا ان وفق القانون الدولي الخاص الفرنسي بدا يعترف به متى اذا كان صحيحاً وفق القانون الذي طبق على الزواج، وبالتالي فان القاضي الفرنسي بدا يوسع من مفهوم فكرة الزواج في فرنسا ولم يبقى منحسر في اطار ثقافته القانونية الوطنية⁽¹⁵⁾.

اذن فكرة التطويع هي احدى الاجتهادات القضائية، في ضوء القانون الدولي الخاص، ولا يمكن إغفال النظر عنها، وقد فرضتها طبيعة القواعد القانونية لقواعد القانون الدولي الخاص

فقد يقوم القضاء بتطويع مسألة غير معروفة في نظام القاضي لكنها معمول بها في التشريع الاجنبي والذي اشارة باختصاصه قواعد الاسناد الوطنية، تمهيداً لتعيين قانون يحكمها، ومثال ذلك ما قام به القضاء في لبنان إلى تطويع مفهوم يطلق عليه مكتب المصالحة، وهو مكتب معروف في القانون الأجنبي الواجب المختص، والذي اشارة باختصاصه قواعد الاسناد الوطنية، بغية الوصول إلى حل للنزاع، فعند قيامه بهذه العملية فقد قام بتطويع مؤسسة معروفة في القانون الاجنبي، ولم تكن معروفة في نظام القاضي الا انها مؤسسة في القانون لأجنبي⁽¹⁶⁾.

وبهذا فقد قام بعملية تكيف العلاقة التي كانت غريبة عن الحالات الوضعية المعروفة في قانون القاضي، تمهيداً لتعيين قانون يحكمها، وعمل القاضي بهذا الفعل في هذه القضية هو قيامه بعملية اجتهادية تكميلية استعان بثقافته القانونية، التي ساعدته في هذا التحليل، من خلال الاستعانة بفهم عميق لفلسفة وجود القانون الدولي الخاص، وفكرة تطويع النصوص القانونية، تدرج ضمن ما يسمى بالاجتهاد التكميلي⁽¹⁷⁾.

وبالتالي وإمام غياب النظم المعروفة في دولة القاضي فإنه يمكن للقاضي تطويع النظم المعروفة في دول أخرى، أي تطويعها على الحالات المماثلة المتكررة مما يجعلها قابلة لتطويع القواعد المنبثقة عنها تبعاً للمتغيرات.

المطلب الثاني

دور القضاء في تلطيف الأنظمة غير المعروفة

إن القضاء يتماشى مع التطورات المستقبلية والمبادئ العامة وقواعد العدالة ونظراً للجمود الذي تتسم به بعض القواعد والنصوص القانونية نتيجة للتطورات الحاصلة في العلاقات الخاصة الدولية فقد إضافة القضاء فكرة التلطيف في النصوص القانونية التي يكون الغرض منها إزالة الجمود من هذه النصوص، فعندما منعت الإحالة بأغلب القوانين فقد قام القضاء من التلطيف على هذا المنع للوصول إلى أفضل القوانين لحكم العلاقة، فالإحالة قد تكون متناسبة أو لا حسب قاعدة الإسناد، فقاعدة الإسناد يجب فهمها وتفسيرها، لا اعتبارها قاعدة مجردة تفتقر إلى الهدف والمعنى، فهي وسيلة للتنسيق بين قاعدة الإسناد الوطنية وقواعد التنازع الأجنبية، توصلنا لأختيار القانون الأنسب لحكم العلاقة القانونية، وهذا يعني أننا لا نستطيع تفسير فكرة الإحالة بمعزل عن فكرة الإحالة الانتقائية.⁽¹⁸⁾

كذلك أدخل القضاء مفهوم متطور وملطف أيضاً هو الحل الوظيفي الذي يعني عدم وضع حل عام ينطبق على جميع الحالات عند تعيين القانون المختص، وعدم التمسك بحل واحد ومسبق وإنما يجب أن يكون الحل متفق مع غاية وهدف وروح قاعدة الإسناد الوطنية، من أجل تحقيق التعايش والتنسيق بينهما وبين قاعدة التنازع الأجنبية أي يعني الاعتماد على القانون الذي يحقق الهدف من قاعدة الإسناد.⁽¹⁹⁾

كذلك يمكن أن نلتمس دور القضاء في التلطيف بنص المادة 33 من القانون المدني العراقي "1-تعيين المحكمة القانون الذي يجب تطبيقه في حالة الأشخاص الذين لا تعرف لهم جنسية أو الذين تثبت لهم جنسيات متعددة في وقت واحد"، يمكن أن نرى أن هذه المادة عالجت مشكلة تعدد الجنسيات وانعدامها عندما أعطت للمحكمة السلطة في تعيينها. يتضح أن القضاء في عمله هذا في إطار قانون الدولي الخاص إنما يمثل مجموعة من المبادئ العامة من هذا القانون من خلال استخلاص روح القوانين أو جوهر نظام قانوني معين أو معتقدات مستقرة في ضمير الأمة قد تكون لها قيمة قانونية تفوق القوانين العادية أو أن تكون لها قيمة القواعد الدستورية في النظام القانوني للدولة ولقد ساهم في ذلك عدم وجود تنظيم كامل لقواعد القانون الدولي الخاص مما حمل القضاء إلى التصدي لهذه المسألة متخذاً من مبادئ القانون الدولي الخاص أساساً لاجتهاده مما يمكن القضاء في أن يتابع التطورات المستحدثة في العلاقات الخاصة الدولية و وضع الحلول لها

خلاصة القول؛ إن سلطة القضاء جاءت نتيجة لتطورات قانونية أطلق عليها رأي من الفقه⁽²⁰⁾ "بالنقص التشريعي"، فكما هو معلوم بأن وظيفة القاضي الأساسية هي الحكم بين

الأشخاص المتنازعين طبقاً للقانون، فمهمة القاضي طبقاً لهذا التصور قاصرة على تطبيق نصوص القانون دون الخوض في خلق الحلول القانونية، إلا أن وجود النقص التشريعي أ استدعي تدخل القضاء من أجل إيجاد الحلول الملائمة، ولم يكن من المتصور إثارة مسألة خلق القضاء للقانون في الأحوال التي يكون فيها التشريع متكاملاً، أي أن النصوص التشريعية تتضمن حلاً كاملاً لكل حالات النزاع المعروضة أمام القضاء ولما كان هناك ميرر لخلق قواعد قانونية بواسطة القضاء، بل لأقتصر دور القضاء على مباشرة وظيفته الاصلية المتمثلة بتطبيق القواعد القانونية على المنازعات الخاصة التي تعرض أمامه، والتي تكفي بمجملها لمواجهة المنازعات المتصورة وغير المتناهية، ومن هنا برز دور القضاء وسلطته في تطبيق مبادئ القانون الدولي الخاص بما يملكه من سلطة تقديرية من أجل إنشاء حلول قانونية مناسبة، والقاضي عندما يؤدي هذه الوظيفة والمتمثلة بالبحث عن غائية قاعدة الاسناد عليه أن يراعي في ذلك فلسفة تشريع هذه النصوص والتي يستنبطها من خلال الرجوع الى جوهر التشريع الداخلي مستلهماً ذلك من روح النص القانوني، وأن القاضي عندما يمارس سلطته التقديرية في إيجاد الحلول القانونية المناسبة وسد النقص التشريعي الحاصل في القانون فإنه يستلهم سنده القانوني من التشريع، حيث أعطت بعض التشريعات وبنصوص صريحة هذا الدور للقاضي ومنها التشريع العراقي والمتمثل ذلك بنص المادة (30) من القانون المدني العراقي رقم 40 لسنة 1951 المعدل والتي نصت على أنه: " يتبع فيما لم يرد بشأنه نص من أحوال تنازع القوانين مبادئ القانون الدولي الخاص الأكثر شيوعاً".

وأن المقصود من ذلك المبادئ الأكثر شيوعاً بين الدول، فهناك حلولاً خاصة بمسائل تنازع القوانين أستقر العمل بها بحيث أصبح لها وصف الشيوخ بين الدول، ذلك أن قواعد التنازع تتميز بقيامها على أسس مشتركة أسهمت في صناعة جملة مبادئ شائعة بين الدول.⁽²¹⁾

الخاتمة

ان سيادة القضاء يمكن ان تلخص في الدور الذي يمارسه القضاء في تطبيق المبادئ من خلال سد الثغرات في النصوص و تطوير ما وجد منها، ونستخلص من هذه البحث النتائج التالية:

- 1- يتم الرجوع الى مبادئ القانون الدولي الخاص لغرض تعويض النصوص او توضيحها بحسب الأحوال، وذلك لغرض استنباط الحل الملائم والأكثر عدالة في مجال العلاقات الدولية المشوبة بعنصر اجنبي.
- 2- الدور الذي يلعبه القضاء مهم وحاسم بما يملكه من سلطة وسيادة في إطار تطبيق مبادئ القانون الدولي الخاص التي تتسق مع مفهوم وفلسفة وجود هذه القانون.
- 3- يستطيع القضاء ان ينشئ قواعد قانونية او يطور او يفسر أو ان يضبط حدود النص تماشياً مع التطورات الحاصلة في العلاقات الخاصة الدولية.
- 4- من العوامل التي ساعدت القضاء في تطبيق مبادئ القانون الدولي الخاص هو عدم وجود تفتين متكامل فضلا عن النقص التشريعي في بعض القوانين.

5- انحسار دور المشرع أدى الى ان يتدخل القضاء ويكون مساحته أوسع من مساحة المشرع.

التوصيات

- 1- نوصي المشرع عند صياغة وتشريع القانون الدولي الخاص بان يأخذ بنظر الاعتبار مبادئ القانون الدولي الخاص، وكذلك النص على إعطاء مساحة واسعة للقاضي في تطبيق هذه المبادئ، فعندما تكون هناك سلطة تقديرية للقاضي لكي يحدد ماهو من ضمن السيادة وما هو خارجاً عنها فان ذلك يعزز من سيادة القضاء، ومن ثم يكون العامل الرئيس في تحقيق الغاية من السيادة ، اذ لا يقتصر دور السيادة على حفظ هبة الدولة من خلال عدم السماح بتطبيق القوانين الاجنبية، انما يجب ان تحفظ هذه السيادة مصالح العلاقات الخاصة الدولية
- 2- النص على دور القاضي في سد النقص الحاصل في التشريع و إعطاء القاضي سلطة مساوية لسلطة المشرع واعتباره في ذلك مشرعاً في ضوء النزاع المعروف امامه، فاذا لم يوجد حكم في قضية ما فيحكم القاضي بموجب العرف والعادة، فاذا لم يوجد فيحكم بموجب القاعدة التي كان يضعها لو كام مشرعاً، كما اشارت لذلك بعض التشريعات وبنصوص صريحة

المصادر

أولاً: الكتب القانونية

1. د. حفيظة السيد حداد القانون الدولي الخاص_ الكتاب الأول_ تنازع القوانين_ منشورات الحلبي الحقوقية_ بيروت_ 2002.
2. د احمد عبد الكريم سلامة، الاصول في تنازع القوانين، دار النهضة العربية، القاهرة، 2008.
3. د.حسام الدين ناصيف_ مركز قانون القاضي في حكم المنازعات الخاصة الدولية_ دار النهضة_ الطبعة الأولى، 1994.
4. د. غالب الداودي_ المدخل الى علم القانون_ الطبعة السابعة_ 2004.
5. محمود محمود المغربي_ إشكالية تقنين قواعد القانون الدولي الخاص_ الطبعة الأولى_ المؤسسة الحديثة للكتاب_ طرابلس_ لبنان_ 2007.
6. جميل عبده غصوب_ محاضرات في القانون الدولي الخاص_ منشورات الحلبي الحقوقية_ بيروت_ لبنان_ 2007.
7. د. إبراهيم شحاته_ فن اجتهاد القاضي_ مجلة العلوم القانونية والاقتصادية_ القاهرة_ العدد الثاني_ 1962.
8. محمد سامر عاشور- مدخل الى علم القانون- منشورات الجامعة الافتراضية السورية- 2018
9. د. سمير عبد السيد تناغو_ النظرية العامة للقانون_ منشأة المعارف_ الاسكندرية_ مصر_ 1993.

ثانياً: الرسائل والاطاريح

1. احمد نعمة الجبوري، دور المبادئ العامة في تطوير قواعد القانون الدولي الخاص، رسالة ماجستير_ جامعة كربلاء_ كلية القانون_2020.
2. نور حسين جواد_ دور مبادئ القانون الدولي الخاص في معالجة الفراغ التشريعي_ أطروحة دكتوراه_ جامعة بابل_ كلية القانون_ 2020.

ثالثاً: البحوث

1. د. عكاشة محمد عبد العال_ الاحالة في القانون الدولي الخاص والموقف منها في ضوء وظيفة الاسناد_ بلا دار نشر_ بلا سنة نشر.
2. د. خير الدين كاظم عبيد_ دور القضاء في تقنين قواعد القانون الدولي الخاص_ بحث منشور في مجلة المحقق الحلي للعلوم القانونية والسياسية_ المجلد الأول_ العدد الاول_ 2009.

- 10 جميل عبده غصوب_ محاضرات في القانون الدولي الخاص_ منشورات الحلبي الحقوقية_ بيروت_ لبنان_ 2007_ ص43.
- 20 د. إبراهيم شحاته_ فن اجتهاد القاضي_ مجلة العلوم القانونية والاقتصادية_ القاهرة_ العدد الثاني_ 1962_ ص 420.
- 30 احمد نعمة الجبوري_ دور المبادئ العامة في تطوير قواعد القانون الدولي الخاص_ رسالة ماجستير_ جامعة كربلاء_ كلية القانون_ 2020_ ص39.
- 40 د. خير الدين كاظم عبيد_ دور القضاء في تقنين قواعد القانون الدولي الخاص _ بحث منشور في مجلة المحقق الحلي للعلوم القانونية والسياسية_ المجلد الأول_ العدد الأول_ 2009_ ص 245.
- 50 د. جميل عبده غصوب_ مصدر سابق_ ص31
- 6 د. سمير عبد السيد تناغو_ النظرية العامة للقانون_ منشأة المعارف_ الاسكندرية_ مصر_ 1993_ ص483.
- 70 محمود محمود المغربي_ إشكالية تقنين قواعد القانون الدولي الخاص_ الطبعة الأولى_ المؤسسة الحديثة للكتاب_ طرابلس_ لبنان_ 2007_ ص 80-81.
- 80 د. حفيظة السيد حداد القانون الدولي الخاص_ الكتاب الأول_ تنازع القوانين_ منشورات الحلبي الحقوقية_ بيروت_ 2002_ ص432.
- 90 د.حسام الدين ناصيف_ مركز قانون القاضي في حكم المنازعات الخاصة الدولية_ دار النهضة_ الطبعة الأولى_ 1994_ ص 331.
- 100 محمود محمود المغربي_ مصدر سابق_ ص35

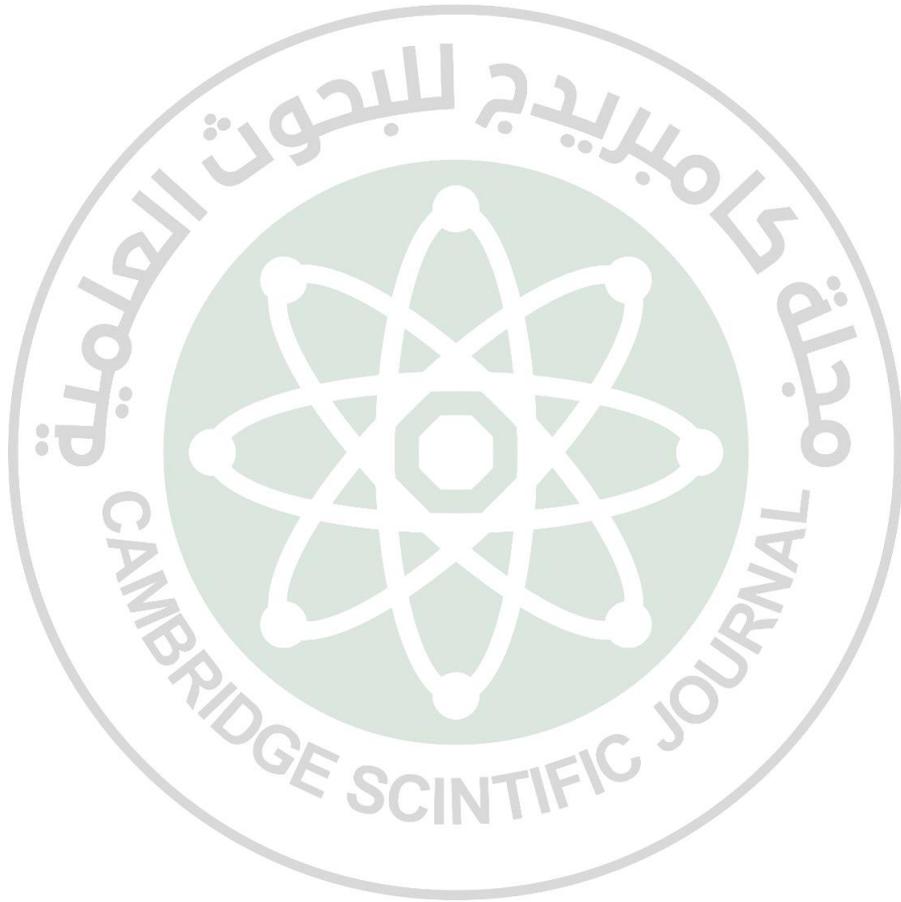
- ¹¹ محمد سامر عاشور- مدخل الى علم القانون- منشورات الجامعة الافتراضية السورية- 2018- ص 93
- ¹² نور حسين جواد_ دور مبادئ القانون الدولي الخاص في معالجة الفراغ التشريعي_ أطروحة دكتوراه_ جامعة بابل_ كلية القانون_ 2020_ ص 111
- ¹³ د. غالب الداودي_ المدخل الى علم القانون_ الطبعة السابعة_ 2004_ ص 181.
- ¹⁴ د احمد عبد الكريم سلامة، الاصول في تنازع القوانين، دار النهضة العربية، القاهرة، 2008، ص 140 وما بعدها .
- ¹⁵ د. خير الدين كاظم عبيد_ مصدر سابق_ ص 252
- ¹⁶ ومن التطبيقات القضائية التي تؤكد المعنى أعلاه، الحكم الصادر عن محكمة استئناف بيروت، والتي تتلخص وقائعه في أن شخصاً لبنانياً كان قد عقد زواجه من أمريكية في ولاية نيويورك، ونتيجة لخلاف بينهما انفصلا عن بعض بموجب اتفاق يقضي بالهجر لمدة سنتين، وهو نظام معمول به في الولايات المتحدة الأمريكية كإجراء يسبق دعوى الطلاق، وبعد عامين من هذا الاتفاق، عاد الزوج إلى لبنان ليرفع دعوى طلاق بوجه زوجته أمام المحكمة الابتدائية المدنية في بيروت، وأصدرت الأخيرة حكماً غيابياً بوجه الزوجة قضى بالطلاق بينهما طبقاً لقانون الأحوال الشخصية لولاية نيويورك الذي يجيز الطلاق متى انقضت سنتين على اتفاق الهجر الخطي، ولعدم قناعة الزوجة بالحكم ولأنه صدر بحقها غيابياً، اعترضت عليه مستندة =إلى أن محكمة الموضوع لم تراع أحكام الفقرة (ج) من المادة (11) من القانون المذكور لولاية نيويورك والتي توجب قبل السير بدعوى الطلاق إجراء المصالحة بين الزوجين، وعلى الزام الفريق المدعي أن يودع إنذاراً في مكتب المصالحة قبل عشرة أيام من إقامة الدعوى، وإلا رُدت الدعوى، ردت المحكمة الابتدائية اعترضت الزوجة مستندة إلى أن المادة (11) المنوه عنها أعلاه تعهد بالمصالحة إلى جهاز خاص هو مكتب المصالحة التابع لولاية نيويورك قضائياً، والذي يرأسه مستشار من المحكمة العليا، ولما لم يكن هذا الجهاز معروفاً في لبنان وغير موجود فيها، فإنه لا يكون بوسع هذه المحكمة إجراء مثل هذه المصالحة، ولعدم قناعة الزوجة برأي محكمة الموضوع، استأنفت الحكم أمام محكمة استئناف بيروت الغرفة السادسة، والتي قررت فسخ الحكم المستأنف ورؤية الدعوى، وإجراء المصالحة بواسطة رئيس المحكمة بدلاً من مكتب المصالحة المنصوص عليه في قانون ولاية نيويورك، وبالتالي قامت محكمة الاستئناف بتطويع نص المادة (11) من القانون الواجب التطبيق، لتُوجد له تفسيراً يتناسب مع الواقع، القرار منشور في مجلة العدل_ بيروت_ العدد الأول، آذار_ 1974_ ص 112
- ¹⁷ د. خير الدين كاظم عبيد_ مصدر سابق_ ص 254.
- ¹⁸ د. حفيظة السيد الحداد_ مصدر سابق_ ص 171.

19) د. عكاشة محمد عبد العال_ الاحالة في القانون الدولي الخاص والموقف منها في ضوء وظيفة الاسناد_

بلا دار نشر_ بلا سنة نشر_ ص 17.

20) د. سمير عبد السيد تناغو_ النظرية العامة للقانون_ منشأة المعارف_ الاسكندرية_ مصر_ 1993_ ص483.

21) لم يذكر رقم القرار وتاريخه نقلاً عن: د. عبده جميل غصوب_ مصدر سابق_ ص40.



دور الإصلاح الاقتصادي في مكانة إيران اقليمياً

م.د علاء عبد كطافه

العراق/ مديرية تربية ذي قار

دكتوراه علوم سياسية/ سياسة دولية

تمهيد

تُعد إيران من بين أفضل الأمثلة على الدول النامية التي نجحت في تنويع نشاطها الاقتصادي بعيداً عن النفط، وقد بدأت الإصلاحات الاقتصادية في إيران في عهد الرئيس الأسبق (علي أكبر هاشمي رفسنجاني) الذي كان يتمتع بنفوذ قوي داخل المؤسسة الدينية، فضلاً عن أفكاره التحريرية التي تم تطبيقها بعد حقبة الحرب، ونتيجة لتعرض الشعب إلى ضغوطات عدة وخاصة بعد عام (1979) وأثناء الحرب أصبحت إيران مستعدة لقبول أي تغييرات تطرأ على الساحة الداخلية ومنها الإصلاحات الاقتصادية، فصناع السياسة يمتلكون أهدافاً خاصة بهم عند تطبيقهم سياسات الإصلاح الاقتصادي كاعادة انتخابهم مرة ثانية وهذا ما حصل بالفعل للرئيس (رفسنجاني) واستمرت الإصلاحات الاقتصادية والخطط التنموية هدفاً لمواجهة المشكلات والاختلالات الاقتصادية الداخلية والخارجية ومواجهة العقوبات الاقتصادية الدولية.

إن الأبعاد الاقتصادية للدور الإقليمي الإيراني جاءت تابعة للفكر الإيديولوجي للثورة، والذي يتوافق مع الرغبة الإيرانية لأن تكون دولة مهيمنة إقليمياً مما دفع إيران إلى مواجهة الفواعل المعرقله لهذا الطموح وأولها أمريكا التي تسعى إيران إلى تطويق مصالحها الاقتصادية النفطية في النظام الشرق اوسطي، وإن نجحت في شيء من ذلك فإن أمريكا نجحت في مواجهة إيران من خلال العقوبات الاقتصادية التي فرضتها.

بلورت الأفكار الموجهة للإصلاح في ضرورة قيادة الإصلاح الاقتصادي من خلال الإصلاح السياسي؛ لأن الإصلاح السياسي يوفر الآليات المناسبة لتحقيق الإصلاح الاقتصادي، فاختار النظام آليات للإصلاح الاقتصادي من مدخل سياسي، سواء ما يتعلق بالسياسة الداخلية مثل محاربة الفساد أو ما يتعلق بالسياسية الخارجية مثل إزالة التوتر، ولعل محاربة الفساد وإقرار الهدوء والأمن، والاهتمام بموضوع الأمن الاقتصادي وإصلاح السياسات الاقتصادية والقوانين واللوائح، وبالنظام كله وبالسلاطات الثلاث في الدولة، يتيح الفرصة لحل المشكلات الاقتصادية من خلال وفاق وطني يبدأ من أركان النظام ويمتد إلى المستويات الأدنى، ويجمع الخبراء على أن سياسة إزالة التوتر في الداخل والخارج هي التي مهدت السبيل لنمو المعدلات الاقتصادية مثل الاستثمار والإنتاج وخروج الاقتصاد من حالة الركود التي واجهته في مدة انخفاض أسعار النفط والعوائد المتحققة، فضلاً عن وضع العديد من خطط التنمية لمواجهة المشاكل الاقتصادية والقيود

المفروضة على الاقتصاد الإيراني من خلال العقوبات الاقتصادية من الجانب المالي والنقدي والتجاري والاستثماري ومحاولة وضع الآليات والسبل التي تنوع الاقتصاد بتفعيل وتنشيط كافة القطاعات الاقتصادية إلى جانب القطاع النفطي.

المبحث الأول

واقع الاقتصاد الإيراني وإمكاناته

يمتلك الاقتصاد الإيراني مقومات طبيعية كبيرة تؤهله؛ لأن يكون أحد الاقتصادات الكبرى في المنطقة والعالم لو أحسن توظيف تلك الموارد الطبيعية بشكل فعال ونزيه ومرن ومنفتح من أجل استثمار تلك الموارد وبناء صناعات مرتبطة بها، واستخدام إيرادات تصديرها في تمويل بناء اقتصاد متنوع ومتطور وقادر على النمو الذاتي القائم على العلم والعمل، وليس على ريع الثروات الطبيعية وعلى رأسها النفط.

المطلب الأول: طبيعة النظام الاقتصادي الإيراني.

يُعد هيكل الاقتصاد الإيراني الأكثر تنوعاً مقارنةً بمثيلاتها الدول الأعضاء في منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك)، وأن أهم ميزة يتميز بها الاقتصاد الإيراني على عكس اقتصادات كثير من الدول الريفية، أنه يعد اقتصاداً متنوعاً إلى حد كبير، إذ زادت إسهام القطاعات غير النفطية في الناتج المحلي الإجمالي الذي يرمز له بـ(GDP)، وشكل قطاع الزراعة والصناعة نحو ثلث الـ (GDP) وتتوافر إمكانات قوية لنمو بعض القطاعات الاقتصادية الأخرى مثل البتروكيماويات والصلب والغزل والنسيج، وصناعة السيارات، وشكل قطاع الخدمات أيضاً بما فيها الخدمات الحكومية نحو نصف الناتج المحلي، وهذا لا ينفي حقيقة أن قطاع النفط والغاز، مازال يشكل القطاع الرائد في الهيكل الاقتصادي، واسهم بنسبة لا يستهان بها في الإيرادات الحكومية ويشكل الدعامة الرئيسة لصادرات الدولة ويمكن التعرف على طبيعة الاقتصاد الإيراني من خلال الآتي:-

أولاً: تعريف بالاقتصاد الإيراني.

سُميت دولة إيران بالجمهورية الإسلامية الإيرانية منذ عام 1979، وتقع في قارة آسيا في الجزء الغربي منها، وتحتل إيران الدولة الثامنة عشر عالمياً من حيث المساحة، إذ تبلغ مساحتها حوالي (1648195 كم²)، ويبلغ عدد سكانها ما يقارب (80,6 مليون نسمة)، وتحتل المركز العاشر من حيث عدد السكان، وتتمتع إيران بإطلالتها على أهم ثلاث مسطحات مائية، إذ يحيط بها من الشمال دولة أذربيجان وأرمينيا وتركمانستان، ويحيط بها من جهة الشرق كل من دولة أفغانستان ودولة باكستان⁽¹⁾، أما من جهة الجنوب فيحيط بها الخليج العربي وخليج عمان وتحيط بها دولة العراق من جهة الغرب وتركيا من الجهة الشمالية الغربية. يعود أصل تسميتها إلى القبائل التي لجأت من الأناضول وسكنت في غرب آسيا عام 2000 ق.م، وتحتل إيران مكانة متميزة بسبب موقعها الجيوسياسي، والذي يعتبر نقطة التقاء لثلاث مجالات آسيوية، وتطل إيران

مباشرةً على الخليج وبحر قزوين، وتسيطر على منافذ بحرية هامة من بينها مضيق هرمز الذي يعد منفذاً مهماً تصدر إنتاجها النفطي من خلال فضلاً عن خاصية الموقع الجغرافي، نجد أن إيران تمتلك ثروات طبيعية مكنت الاقتصاد الإيراني من التنوع الاقتصادي، وقد مر الاقتصاد الإيراني بمراحل عدة حتى وصل إلى ما هو عليه الآن، إذ كان الاعتماد الأساس على القطاع الزراعي حتى حلول الستينات من القرن الماضي، إذ تحول الاعتماد على القطاع النفطي، وأهمل القطاع الزراعي وظهرت العناية بالقطاع الصناعي⁽²⁾.

مر الاقتصاد الإيراني بأحداث وتطورات سياسية مستمرة أثرت بصورة كبيرة على الواقع الاقتصادي، إذ حصلت تطورات كبرى في الأسواق؛ نتيجة الأوضاع السياسية والأمنية والعسكرية الخطيرة في منطقة الشرق الأوسط التي ظهرت جلياً في مقاطعة الدول الغربية نفطياً؛ بسبب دعمها المطلق لإسرائيل، وأثرت الثورة الإيرانية عام 1979، على الاقتصاد الإيراني، بعد ذلك حدثت الحرب الإيرانية العراقية 1980-1988، وفرض العقوبات على إيران بدأت منذ عام 1979، التي ما زالت تمنع عملياً إطلاق عمليات النمو في كل دول المنطقة. ولم يصبح النفط مهماً في تنمية الاقتصاد الإيراني، إلا بدءاً من ستينات القرن العشرين⁽³⁾.

لقد حدد الدستور الإيراني القطاعات الرئيسية التي يقوم عليها الاقتصاد بثلاثة قطاعات هي: (القطاع الحكومي، والتعاوني، والخاص)، إذ يشمل القطاع الحكومي: جميع أنواع الصناعات الكبيرة، والصناعات الأم، والتجارة الخارجية، والمناجم الكبيرة، والعمليات المصرفية، والتأمين، وقطاع الطاقة، والسدود، وشبكات الري الضخمة، والاتصالات، والنقل الجوي، والملاحة البحرية، والطرق، وسكك الحديد وما شابهها، وهي جميعها ملكية عامة يكون حق التصرف فيها للدولة حصراً، في حين يشمل القطاع التعاوني الشركات والمؤسسات التعاونية للإنتاج والتوزيع، أما القطاع الخاص، فيشمل جزءاً من الزراعة والثروة الحيوانية والصناعة والتجارة والخدمات⁽⁴⁾، وقد تم إضفاء الطابع الرسمي على الدور المركزي للحكومة في الاقتصاد، عن طريق سلسلة من خطط التنمية الاقتصادية الوطنية الخمسية، وكانت السياسة الاقتصادية والصناعية، وقد تغيرت منذ نهاية الحرب العراقية- الإيرانية لمصلحة الخصخصة، وتحرير الاقتصاد، وخلق بيئة مواتية للنمو الاقتصادي القوي عن طريق زيادة مشاركة القطاع الخاص في الاستثمار والملكية، إذ شهدت مرحلة التسعينيات سياسة خارجية إيرانية أكثر انفتاحاً ومرونة على الصعيدين الإقليمي والدولي⁽⁵⁾.

المطلب الثاني: المكونات القطاعية للنتائج المحلي الإجمالي الإيراني ونسب الاسهام

يُعد هيكل الاقتصاد الإيراني الأكثر تنوعاً مقارنةً بتمثيلتها الدول الأعضاء في منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك)، وهذا لا ينفي حقيقة أن قطاع النفط والغاز مازال يشكل

القطاع الرائد في الهيكل الاقتصادي، ويساهم بنسبة لا يستهان بها في الإيرادات الحكومية، ويعد الدعامة الرئيسية لصادرات الدولة، وتتوافر إمكانات قوية لنمو بعض القطاعات الاقتصادية الأخرى مثل البتروكيماويات والصلب والغزل والنسيج، وصناعة السيارات، هذا بجانب قطاع الخدمات، فيما تشكل الزراعة أحد الأنشطة الاقتصادية المهمة أيضاً، ومصدر رئيس بعد النفط للتصدير.

1- واقع القطاع الزراعي واسهامه في الـ GDP.

تبلغ مساحة إيران الإجمالية (163319 ألف هكتار)، في حين يبلغ الإسهام الأجمالي للأراضي القابلة للزراعة (162200 ألف هكتار)، أما الأراضي المتروكة فبلغت (15870 ألف هكتار)، أما الأراضي المزروعة بالحبوب فبلغت حوالي (970 ألف هكتار)، والأراضي المزروعة فعلاً وصلت إلى (146330 ألف هكتار). وتمتلك إيران قاعدة قوية من الموارد الزراعية، إذ أن موارد المياه الداخلية المتاحة لها والقابلة للاستخدام تبلغ نحو (129 مليار متر مكعب)، بما يعني أن نصيب الفرد منها نحو (1800 متر مكعب)، وهو ما يعني ان إيران دولة لديها وفرة مائية نسبية ولديها إمكانية للتوسع في استخدام المياه؛ لأنها لا تستخدم سوى مليار متر مكعب من المياه الداخلية المتاحة لها، لكن إنتاجية المياه فيها متدنية، إذ تبلغ وفقاً لبيانات البنك الدولي في تقريره عن مؤشرات التنمية في العالم نحو (1,4 دولار) لكل متر مكعب، مقارنة بنحو (8,3 دولار) في المتوسط العالمي⁽⁶⁾.

وتمتلك إيران ثروة حيوانية كبيرة تقدر بنحو (80 مليون رأس) من الأغنام والماعز، ونحو (9,7 مليون رأس) من الابقار والجاموس، بما يتيح لها إمكانية تحقيق درجة عالية أو كاملة من الاكتفاء الذاتي من الغذاء ومن المحاصيل الاستراتيجية الضرورية للصناعة، لكن إيران في الواقع تُعد مستورداً كبيراً للحبوب الرئيسية وبالتحديد للذرة والأرز والشعير والقمح، وتستورد إيران احتياجاتها من السلع الغذائية والزراعية من البرازيل وسيويسرا وتايلاند وأوكرانيا، بينما تصدر الفستق والزبيب والتوابل وتتوجه بصادراتها إلى الامارات وألمانيا والعراق وروسيا واسبانيا وغيرها من الدول، وهناك عجز كبير في الميزان التجاري الزراعي لايران يقدر بنحو (3 مليارات دولار) سنوياً⁽⁷⁾.

يحتل القطاع الزراعي مركز الصدارة في اسهامه بـ الـ GDP، لأهميته في توفير المنتجات الغذائية الضرورية لإشباع حاجات الإنسان الأساس فضلاً عن توفير فرص عمل لشريحة كبيرة من العاملين، سواء في الأرض الزراعية أو عاملين في الصناعات الغذائية، أو في تأمين الصادرات، إذ أن إيران هي مصدر رئيس للكافيار والفستق والمكسرات، فضلاً عن توفير المنتجات الزراعية للسوق المحلية، إذ ساعدت التضاريس والمناخ على زراعة التبغ والشاي والقمح والشعير، بجانب السلع الغذائية الأخرى⁽⁸⁾، إذ جاءت إيران في المرتبة الأولى/ عالمياً لإنتاج الزعفران والرمان والفستق، إذ تتفوق

قيمة صادرات الفستق الإيراني قيمة الاسمنت والمعادن المصدرة، إذ تقدر الصادرات السنوية الإيرانية من الفستق نحو (1,5 مليار دولار)، وتحتل إيران المرتبة الثانية/ لإنتاج التمور والمشمش، والثالثة/ لإنتاج التين والكرز، والرابعة/ لإنتاج الجوز والتفاح، إذ بلغت الصادرات الإيرانية من المنتجات الزراعية ما بين (آذار من العام 2014 إلى آذار من عام 2015 ما قيمته (6,6 مليار دولار)⁽⁹⁾.

ويواجه الإنتاج الزراعي في إيران مشكلة دائمة من دورات مستمرة من الجفاف وشح المياه، كما وأن إسهام القطاع الزراعي في الـ GDP في إيران لا ينسجم مع ما تمتلكه إيران من إمكانيات كبيرة في مجالات المياه والأراضي الصالحة للزراعة والثروة الحيوانية، والتي تمثل إحدى الشروط المهمة للتنمية الاقتصادية، وقد أدى تدني إسهام الزراعة في الـ GDP وارتفاع نسبة الانكشاف الاقتصادي؛ مما أدى إلى زيادة الاعتماد على السوق العالمية لتجهيزها بمختلف السلع الزراعية والغذائية⁽¹⁰⁾ وأخذت مؤشرات إسهام القطاع الزراعي في الـ GDP بالتنازل منذ اكتشاف النفط في إيران في ستينيات القرن العشرين، وهيمنت على أغلب فعاليات الاقتصاد الإيراني، إذ بلغت نسبة إسهام القطاع الزراعي (23,9%) من مجموع الـ GDP عام 1990، بعد ذلك استمر بالانخفاض حتى وصل إلى (19,8%) عام 1997، وإلى (13,9%) عام 2003، وإلى (10,9%) عام 2009، ثم إلى نسبة (9,3%) من مجموع الـ GDP عام 2014 ونسبة (8,7%) عام 2019⁽¹¹⁾.

2- واقع قطاع الصناعة التحويلية وإسهامها في الـ GDP.

اهتمت إيران منذ بداية عهدها بالتصنيع في عقد الستينات، بسياسة الإحلال محل الواردات بهدف تحقيق نوع من الاكتفاء الذاتي وتقليل الاعتماد على الخارج عن طريق الاعتماد على مستويات مرتفعة من التعريفات الجمركية، واستخدام نظام الحصص أو القيود الكمية على واردات السلع المماثلة للمنتج المحلي، وأدت هذه السياسة التصنيعية إلى التوسع الأفقي في الصناعات الاستهلاكية على حساب الصناعات الوسيطة والإنتاجية؛ بسبب ضيق السوق المحلية الإيرانية الناجمة عن تواضع القدرة الشرائية للأفراد وسوء توزيعها، وعدم تمتع السلع الوسيطة والإنتاجية بالحماية من المنافسة الأجنبية، مما شجع المستثمرين على استيرادها بدلاً من إنتاجها محلياً، فالصناعة الإيرانية، لم تتمكن من الإسهام بصورة فاعلة في نمو قطاعات الاقتصاد من خلال قوى الدفع الأمامية والخلفية، ولهذا السبب لم تتخلص إيران من تبعيتها الاقتصادية والتقنية للدول الرأسمالية المتقدمة⁽¹²⁾.

ثم انتقلت إيران منذ بداية عقد السبعينات إلى التصنيع الموجه للتصدير، بهدف تشجيع تصدير السلع على شكل مصنوعات بدلاً من المواد الأولية؛ لأن القيمة المضافة التي تحصل عليها الدول المصدرة للسلع المصنوعة، أكبر من القيمة المضافة التي تحصل

عليها من تصدير المواد الاولية، فقد اعتمدت ايران سياسة التصنيع للتصدير عندما توافرت لها الموارد المالية النفطية، أثر تصحيح اسعار النفط عام 1973، واقامة المشاريع الصناعية الضخمة كثيفة رأس المال، كصناعة الحديد والصلب والبتروكيمياويات والصناعات الهندسية، إلا أن ذلك لم يفض إلى النهوض بالصناعة الايرانية وتطويرها؛ بسبب عجز الملاكات الفنية في التعامل مع التكنولوجيا الاجنبية وتطويرها محلياً، فضلاً عن الحروب والعقوبات الاقتصادية التي أثرت سلبياً على فرص تطور هذا القطاع المعتمد على استيراد السلع الاستثمارية (الات) من الخارج⁽¹³⁾. ويتكون هيكل الصناعة التحويلية من (27%) آلات ومعدات نقل بما يعكس الحالة الخاصة لصناعة السيارات وتجميع أجزائها، والتي حققت تقدماً نسبياً بالتعاون مع دول رأسمالية صناعية متقدمة، كفرنسا وألمانيا، ونحو (10%) أغذية ومشروبات ونحو (4%) منسوجات وملابس جاهزة، ونحو (13%) منتجات الصناعات الكيماوية والدوائية، ونحو (46%) صناعات متنوعة⁽¹⁴⁾.

لقد أسهمت الصناعة التحويلية بنسبة (12%) من مجموع الـ GDP عام 1990، وارتفعت إلى (14,5%) عام 1996، وقد بلغت القيمة المضافة في الصناعة التحويلية نحو (29,8) مليار دولار عام 2008، وأسهمت بنحو (48,7%) عام 2013 وانخفضت النسبة إلى (34,2%) من الـ GDP عام 2015، وقد يكون سبب ذلك سياسة حماية الصناعة الوطنية والتقييد الاقتصادي الذي أدى إلى تراجع قيم القطاع الصناعي وبلغت نسبة المساهمة (35,2%) عام 2019⁽¹⁵⁾.

3- واقع قطاع الخدمات المالية والمصرفية وباقي الخدمات واسهامها في الـ GDP. يؤدي القطاع المالي دوراً مركزياً في استراتيجية نمو الاقتصاد الإيراني، وعقب سقوط نظام الشاه في سبعينيات القرن العشرين، وافق البرلمان الإيراني على إصدار قانون الخدمات المصرفية الخالية من الفوائد عام 1983، الذي أجبر البنوك على إعادة هيكلة أعمالها، ليُجعل المنتجات المالية متوافقة مع الشريعة الإسلامية، وقد اكتسبت سوق طهران للأوراق المالية أهمية في استراتيجية الحكومة لتعزيز الاقتصاد، ليصبح أكثر توجهاً نحو السوق وتعبئة رأس المال الخاص. ويتكون القطاع المصرفي الإيراني من (26 مؤسسة)، تتخبط تحت أربعة فئات رئيسية (بنوك حكومية عامة، بنوك حكومية متخصصة منها الزراعة، والإسكان، والتعدين، والصناعة، وبنوك صغيرة وكبيرة تمت خصصتها)، وقد تم السماح بدخول القطاع الخاص للعمل في النشاط المصرفي منذ عام 2000، وتم منح (6 تراخيص) في البداية، ثم منحت (10) رخص أخرى، وتسنحود حتى الآن على حصة تتراوح ما بين (10-15%)⁽¹⁶⁾.

ويشير صندوق النقد الدولي إلى وجود نحو (7000 مؤسسة بنكية)، يعمل منها نحو (5000) فقط، منها (3500) متخصصة في التمويل الأصغر، ومنها (1500) اتحادات

انتمانية)، وبلغ إجمالي أصولها (60 مليار دولار) في عام 2010، أي ما يقارب (15%) من الـ GDP، ويضم هيكل القطاع المالي عدداً من المؤسسات المالية غير المصرفية الأخرى، أما سوق الأوراق المالية أصبحت تضم أكثر من (420 شركة)، وقد تأثر أداء البورصة الإيرانية كثيراً بسبب العقوبات الدولية. وبنهاية عام 2014، بلغت قيمة رأسمال السوق نحو (116.638 مليار دولار)، نزولاً بما نسبته (48.2%) عن ديسمبر 2013⁽¹⁷⁾.

ويضم قطاع الخدمات كلاً من: السياحة والنقل والمواصلات والقطاع المصرفي، ف فيما يخص قطاع السياحة أو صناعة السياحة، نجد أن الإسهام الإجمالي لقطاع السياحة يقدر بنحو (6.3%) من الـ (GDP) في عام 2014، وارتفعت النسبة إلى (6.6%) في العام 2015، ونظراً لما تمتلكه إيران من عوامل جذب سياحي في أقسام مختلفة بما في ذلك السياحة الثقافية، والمناطق الحضرية، والمعالم القديمة والأثرية، فضلاً عن السياحة الدينية، وكذلك السياحة الترفيهية، فإنّ التقديرات المستقبلية تتنبأ بمستقبل واعد لتلك الصناعة في إيران⁽¹⁸⁾.

في حين يشمل قطاع النقل والمواصلات طيران مدني، ونقل بحري، وسكك الحديد، والطرق والجسور، والموانئ، وقد عنيت إيران بهذا القطاع إيما عنايةٍ لما يؤديه من دور توزيعي بالغ الأهمية للنشاط الاقتصادي، إذ تملك إيران (140 مطارا) بمدرج مختلفة، وسكك حديدية بلغت أطولها نحو (8442 كم)، فضلاً عن طرقها البرية، والتي قاربت إجمالي أطولها الـ (200000 كم)، بجانب عدد من الموانئ على الخليج العربي وبحر قزوين والموانئ النفطية الخمسة عشر في عبادان⁽¹⁹⁾. ويسهم قطاع الخدمات بنحو (50.3%) من الـ GDP، بحسب احصائيات عام 2018، ويبلغ حجم العمالة في ذلك القطاع بما نسبته (48,6%) من مجموع العمالة في إيران، ويأتي بعده القطاع الصناعي بنسبة (40,7%) مع نسبة عمالة تقدر بـ (35,1%)، في حين يشكل القطاع الزراعي نسبة تقدر بـ (9%) ويبلغ حجم العمالة فيه نحو (16,3%).

المطلب الثالث: النمو الاقتصادي ومتوسط دخل الفرد

حقق الاقتصاد الإيراني معدل نمو سالب عام 1978 وهو العام الذي شهد ارتفاع الصراعات السياسية بين المتنافسين على السلطة آنذاك وبلغ معدل نمو الـ GDP (-12.4%)، واسهمت معدلات النمو السالبة في الاعوام 1977-1978 في تخفيض نصيب الفرد من الـ GDP إذ انخفض نصيب الفرد من (1912 دولار) عام 1977 إلى (1702 دولار) عام 1978، واسهمت معدلات النمو السكاني في تخفيض نصيب الفرد من الـ GDP، وحققت إيران معدلات نمو مرتفعة في العامين 1982-1983 وبلغت هذه

المعدلات (12.8% و 13.3%) على التوالي؛ بسبب الزيادة في الإيرادات النفطية الناتجة عن ارتفاع اسعار النفط.

شهد النصف الثاني من عقد الثمانينات انخفاضاً كبيراً في الإيرادات النفطية الإيرانية؛ بسبب الحرب من جهة وانخفاض اسعار النفط العالمية من جهة اخرى, وانعكست هذه الحالة على الاقتصاد الإيراني, إذ انخفض اجمالي الاستثمار فضلاً عن انخفاض الانفاق الحكومي وانعكس ذلك في تدني معدلات النمو إذ انخفض معدل نمو الـ GDP إلى (-15- %) عام 1986 وبلغ معدل نمو الـ GDP (-1.2%) خلال المدة 1988-1980⁽²⁰⁾. وهذا المعدل لم يسهم في تحقيق مستويات معيشة مرتفعة للسكان لاسيما عندما نأخذ بعين الاعتبار ارتفاع معدل النمو السكاني من جهة، وانخفاض الـ GDP من جهة اخرى. فهذان المؤشران في آن واحد يُشيران إلى انخفاض نصيب الفرد من الـ GDP إذ انخفض من (2056 دولار) عام 1979 إلى (341 دولار) عام 1988, وهذا ما أثر سلباً على مستوى معيشة الفرد الإيراني ومن ثم قاد إلى انخفاض مستوى الرفاهية في المجتمع الإيراني وتوسيع قاعدة الفقراء في إيران. فالنمو المستمر يعد ضرورة من ضروريات التنمية ويعبر عن ارتفاع المستوى المعيشي لأفراد المجتمع وإذا رافق النمو توزيع عادل للدخل يعني ذلك القضاء على الفقر. لكن هذا الامر لم يتحقق في الاقتصاد الإيراني وكما اتضح ذلك مسبقاً. ويمكن بيان معدلات نمو الناتج المحلي الاجمالي ونصيب الفرد منه خلال المدة (1993-2018) من خلال الجدول (2).

الجدول (2)

معدلات نمو الناتج المحلي الإجمالي (GDP) ونصيب الفرد منه في إيران خلال المدة (1993-2018) بالأسعار الثابتة لعام (1991). (% - ودولار)

السنة Year	الناتج المحلي الإجمالي (القيمة الحالية بالدولار مليار دولار)	معدل نمو الـ GDP (% سنوياً)	نصيب الفرد من الـ GDP (بالأسعار الثابتة بالدولار)
1993	60.08	-1.6	1,988
1994	67.12	-0.4	1,959
1995	90.82	2.7	1,984
1996	110.57	7.1	2,091
1997	105.29	3.4	2,124
1998	102.66	2.7	2,142

2,145	1.9	104.65	1999
2,219	5.1	101.28	2000
2,268	3.7	115.43	2001
2,407	7.5	116.42	2002
2,548	7.1	135.40	2003
2,646	5.1	163.22	2004
2,737	4.6	192.01	2005
2,864	5.9	222.88	2006
3,053	7.8	286.05	2007
3,034	0.6	355.98	2008
3,116	3.9	362.66	2009
3,259	5.9	422.56	2010
3,314	3.0	528.42	2011
3,369	3.0	502.72	2012
3,131	-5.8	368.90	2013
3,181	-1.7	406.30	2014
3,277	2.8	393.10	2015
3,289	4.8	412.30	2016
3,311	5	390.04	2017
3,311	4.6	430.67	2018
3,314	5.4	414,67	2019

المصدر:- الجدول من اعداد الباحثة بالاعتماد على المصادر الاتية:

1. البنك المركزي في جمهورية إيران الإسلامية، الحسابات القومية، 1991، ص73.
- 2- IMF Executive Board Concludes Article IV Consultation with the Islamic Republic of Iran, Press Release No. 14/152, For Immediate Release, April 3, 2014, P 4.
- 3- United Nations ,Statistical Year Book (New York ,U.N,2019) p.122.

يتضح من الجدول (2) تقلب قيمة الـ GDP ومعدلات نموه ونصيب الفرد منه، إذ بلغ الـ GDP (60,08 مليار دولار) عام 1993 وبمعدل نمو سالب (-1,6%) قياساً بعام 1992 إذ بلغ معدل نمو الـ GDP (3,4%) واستمرت مؤشرات نمو الـ GDP سالبة حتى عام 1995، إذ بلغ الـ GDP (90,82 مليار دولار) وبمعدل نمو (2,7%)، واستمرت مؤشرات نمو الـ GDP بالتقلب تحكمها الظروف والمؤشرات الخارجية من عقوبات اقتصادية وتقلب أسعار النفط الذي يعتمد عليه الاقتصاد الإيراني بالدرجة الأولى؛ فكان معدل نمو الـ GDP يصل إلى مستويات سالبة كلما شددت العقوبات الاقتصادية أو انخفضت أسعار النفط إذ بلغ الـ GDP (502,072 مليار دولار) وهو أعلى مستوى له عام 2012، وبمعدل نمو (3,0%) وانخفض إلى (368,90 مليار دولار) عام 2013 وإلى (406,3 مليار دولار) عام 2014 وبمعدل نمو سالب (-1,7%) على أثر انخفاض أسعار النفط وتشديد العقوبات الاقتصادية وتقييد الاقتصاد الإيراني إذ بلغ نصيب الفرد من الـ GDP (3,187 دولار) وأستمر معدل الـ GDP بالتقلب تحكمه الظروف والمؤثرات الخارجية حتى بلغ (414,67 مليار دولار) وبمعدل نمو (5,4%) وكان نصيب الفرد منه (3,314 دولار) عام 2019. ويمكن تمثيل الانخفاض والارتفاع في معدلات نمو الناتج المحلي الاجمالي ونمو نصيب الفرد منه من خلال الشكل (1).



المصدر: الشكل من اعداد الطالبة بالاعتماد على المصادر الاتية:

1. البنك المركزي في جمهورية إيران الإسلامية، الحسابات القومية، 1991، ص73.
- 2 IMF Executive Board Concludes Article IV Consultation with the Islamic Republic of Iran, Press Release No. 14/152, For Immediate Release, April 3, 2014, P 4.

3 United Nations ,Statistical Year Book (New York ,U.N,2019) p.122.

المبحث الثاني

الريع النفطي وطبيعة الاختلالات الهيكلية في الاقتصاد الإيراني يعتمد الاقتصاد الإيراني اشد الاعتماد على الموارد الطبيعية المعرضة للنضوب ومنها النفط؛ مما جعل هذا الاقتصاد عرضة للتقلبات الاقتصادية والإصابة باختلالات داخلية ومؤثرات خارجية؛ لشدة الارتباط بالعالم الخارجي الى جانب تأثير العقوبات الاقتصادية وتقييدها للاقتصاد الإيراني التي وسعت فجوة الاختلالات المؤثرة في هيكل الاقتصاد الإيراني.

المطلب الاول: مكانة الريع النفطي في الاقتصاد الإيراني

يؤدي النفط دوراً فاعلاً في أداء الاقتصاد الإيراني، إذ يُعد مصدراً أساسياً في تمويل الاقتصاد وبنائه وتمويل موازنة الدولة ومصدراً من مصادر الصادرات، ويُعد حلقة الوصل الأساس في بناء باقي القطاعات الاقتصادية وتطويرها، ومصدر تمويل الموازنة العامة للدولة، فقد تبوء قطاع النفط أعلى نسبة إسهام في توليد الـ(GDP)، مع تذبذب نسب الإسهام لباقي القطاعات الاقتصادية وبقي واقع الـ(GDP) على هذا الحال على الرغم من التطورات التي تشهدها إسهامات باقي القطاعات الاقتصادية ويمكن توضيح مكانة النفط في اقتصاد إيران من خلال الآتي:

اولاً: احتياطات النفط الإيراني.

تُعد إيران إحدى اهم عمالقة الطاقة في العالم لما تمتلكه من احتياطات نفطية هائلة على مستوى العالم، إذ تمتلك رابع أكبر احتياطي عالمي من النفط الخام، وتشير التقديرات إلى أنها تبلغ (95 مليار برميل) على الأقل، وهذا يعني أنه لا يوجد ما يفوقها سوى احتياطات السعودية التي تبلغ (260 مليار برميل)، وكندا التي تبلغ احتياطاتها (170 مليار برميل)، والعراق الذي تبلغ احتياطاته (115 مليار برميل)، فضلاً عن احتياطات بحر قزوين⁽²¹⁾، ويوفر الاحتياطي الإيراني التمويل اللازم لتطوير الاقتصاد الإيراني بشكل سريع، ويقع حوالي (70%) من احتياطي النفط الإيراني في حقول برية، والباقي في مياه الخليج العربي، ويشار إلى وجود احتياطات مؤكدة في بحر قزوين تقدر بحدود (500 مليون برميل)، ولكن مازال التنقيب فيها حتى الآن متوقف؛ بسبب الخلافات حول تقسيم الموارد النفطية مع دول الجوار الإقليمي (أذربيجان، وتركمانستان)، كما تمتلك إيران احتياطات من الغاز الطبيعي، إذ تقدر بنحو (1201) تريليون قدم مكعب، لتأتي في المرتبة الثانية بعد روسيا⁽²²⁾.

لقد بلغ حجم احتياطات إيران من النفط عام 2003، نحو (89.7 مليار برميل)، وفي عام 2005، بلغ الاحتياطي المؤكد (137.5 مليار برميل)، وفي عام 2008، بلغ الاحتياطي نحو (136.2 مليار برميل)، أي نحو (11.7%) من إجمالي الاحتياطي العالمي من النفط، وبلغ (157.8) خلال المدة 2009-2014، أي نحو (9.3%) من

إجمالي الاحتياطي العالمي بما يضعها في المرتبة الرابعة عالمياً، وبلغت احتياطات إيران في بداية عام 2015، نحو (158 مليار برميل)، أي ما يقارب (10%) من الاحتياطي العالمي، أو ما يوازي (13%) من احتياطات أوبك، كما بلغ الاحتياطي النفطي (158,9 مليار برميل) لعامي 2017- 2018، أي ما يقارب (12,8%) من الاحتياطي العالمي للنفط، ويمكن بيان ما سبق ذكره من بيانات حول احتياطي النفط الإيراني في الجدول (3).

الجدول (3)

يوضح احتياطي النفط الإيراني لاعوام مختارة (مليار برميل)

الاحتياطي النفطي	السنة	الاحتياطي النفطي	السنة	الاحتياطي النفطي	السنة
158,4	2015	151,1	2010	132,4	2004
158,7	2016	154,5	2011	138,4	2006
158,9	2017	157,3	2012	136,1	2007
158,9	2018	157,8	2013	147,6	2008
159,3	2019	157,8	2014	137,6	2009

الجدول من اعداد الباحثة بالاعتماد على المصادر الآتية:

1- الامانة العامة لجامعة الدول العربية وآخرون، التقرير الاقتصادي العربي الموحد، ابوظبي، 2018، ص438.

2- Iran: Overview data for Iran."Energy Information Administration - EIA Official Energy Statistics from the U.S. Government. N.p., 30 May 2015. Web. 7 May 2019.

ثانياً: القدرات الانتاجية للنفط الإيراني وتطورها.

تعد إيران من الدول الكبرى في مجال إنتاج النفط، إذ تنتج نحو (4) ملايين برميل يومياً من النفط الخام، وهي بذلك رابع أكبر منتج للنفط في العالم بعد السعودية وروسيا وأمريكا، وتعد رابع أكبر منتج للغاز الطبيعي في العالم^(*)، إذ تنتج نحو (5.9) تريليون/م3 وفقاً لتقديرات إدارة معلومات الطاقة^(*). وبلغ الإنتاج النفطي في إيران (6.021) مليون ب/ي عام 1974، وهو ما يعادل (10.8%) من الإنتاج العالمي للنفط الخام، لكن الإنتاج الإيراني انخفض إلى (5.241) مليون ب/ي عام 1978، بسبب الفوضى الاقتصادية والسياسية والاضطرابات العمالية في حقول النفط، والتي رافقت انهيار حكم الشاه والتي كانت أحد آثارها الجانبية الايقاف التام لبرامج إعادة حقن الغاز، والذي كانت تستفيد منه معظم آبار النفط الواقعة في جنوب غرب إيران، لأنه يؤدي إلى زيادة الضغط في آبار النفط مما يزيد من عامل الاستخلاص من (18%) إلى (25%) للنفط الخاضع لهذه البرامج⁽²³⁾.

أما عقد الثمانينيات فقد شهد تراجع إنتاج النفط الإيراني؛ بسبب التأثيرات السلبية للحرب العراقية الإيرانية، على مواقع الإنتاج ومنافذ التصدير الإيرانية، إذ بلغ إنتاج النفط في إيران (1.467 مليون ب/ي) عام 1980، وارتفع إلى (2.305 مليون ب/ي) عام 1988، ثم ارتفع إلى (3.182 مليون ب/ي) عام 1990، بسبب انتهاء الحرب من جهة، وسعي الحكومة الإيرانية لزيادة عوائدها المالية من جهة أخرى، لتعويض الانخفاض المتواصل في أسعار النفط خلال النصف الأول من عام 1990، ولإعمار المرافق الاقتصادية الإيرانية التي تعرضت للتدمير خلال الحرب، وشهد عام 1992 ارتفاع إنتاج النفط الإيراني إلى (3.594 مليون ب/ي) عام 1994، لتعويض النقص في المعروض النفطي، والناجم عن توقف النفط العراقي؛ بسبب عقوبات الحصار الاقتصادي المفروض عليه. وخلال المدة 1993-1996 زادت إيران متوسط إنتاج النفط إلى (3.7) مليون ب/ي، وتضمنت الزيادة ضخ نحو (4) ملايين ب/ي بهدف إثبات قدرتها الإنتاجية، وقد بلغ الإنتاج النفطي (4,056 مليون ب/ي) خلال المدة 2003-2008.

بعد ذلك انخفض الإنتاج إلى (3,725 مليون ب/ي) عام 2009، على أثر الأزمة المالية التي ضربت الاقتصاد العالمي عام 2008 وأدت إلى انخفاض أسعار النفط ومن ثم الإنتاج النفطي الموجه للتصدير، بعد ذلك ارتفع الإنتاج إلى (4.37 مليون ب/ي) عام 2011، ثم انخفض الإنتاج على أثر العقوبات الاقتصادية حتى بلغ (3.74 مليون ب/ي) عام 2012، وإلى (3,146 مليون ب/ي) عام 2014، إذ حدثت العقوبات الاقتصادية من النمو في الإنتاج والصادرات، والذي ترافق مع انخفاض أسعار النفط، بعد ذلك واصل الإنتاج النفطي الإيراني بالارتفاع على اثر تخفيف العقوبات الاقتصادية المفروضة حتى عام 2017 حيث بلغ الإنتاج النفطي (3,711 مليون ب/ي) وبلغ الإنتاج النفطي (3,990 مليون ب/ي) عام 2018 وإلى (3,990 مليون ب/ي) عام 2019، وتسعى إيران إلى زيادة إنتاجها النفطي وعودة الإنتاج إلى معدلات ما قبل الحظر الغربي إلا ان العقوبات الاقتصادية تحد من ذلك، ويمكن تمثيل ما سبق ذكره من مؤشرات من خلال الجدول (4).

الجدول (4)

يوضح حجم الانتاج النفطي في ايران لسنوات مختارة (مليون ب/ي)

السنة	الإنتاج السنوي للنفط	السنة	الإنتاج السنوي للنفط	السنة	الإنتاج السنوي للنفط
1978	5,241	2005	4,092	2015	3,151
1980	1,467	2008	4,056	2016	3,501
1988	2,305	2009	3,557	2017	3,711
1990	3,182	2011	3,576	2018	3,990
1994	3,594	2012	3,739	2019	3,995
1996	3,701	2013	3,575		

		3,146	2014	3,802	2001
--	--	-------	------	-------	------

تم إعداد الجدول بالاعتماد على المصادر الآتية:

1- EA, "Oil Market Report, September," 11 September 2015, 13 September 2015.on

<https://www.iea.org/media/omrreports/fullissues/2015-09-11.pdf>

2- "Iran: Overview data for Iran." Energy Information Administration - EIA - Official Energy Statistics from the U.S. Government. N.p., 30 May 2013. Web. 7 May 2016-2019

ثالثاً: أهمية الربيع النفطي في إجمالي الصادرات الإيرانية.

أخذت صادرات النفط الإيراني المسار نفسه للإنتاج لكن بفارق الاستهلاك المحلي وحاجة الصناعة، وتعدّ عوائد النفط مصدر التمويل الرئيس لميزانية النقد الأجنبي في إيران، سواء استعملت هذه العوائد للتنمية الاقتصادية أو لدعم الميزانية العامة، فضلاً عن استعماله في النشاطات الإنتاجية. فقد بلغ إجمالي الصادرات النفطية لإيران (5.369 مليون ب/ي) عام 1974، أي ما يقارب (96.9%) من إجمالي الصادرات الإيرانية، وأنخفض إلى (0.796 مليون ب/ي) عام 1980؛ بسبب أحداث الثورة الإسلامية الإيرانية عام 1979، والتوقف عن الإنتاج النفطي، بعد ذلك ارتفعت إلى (1.623 مليون ب/ي) عام 1982، أي ما يقارب (98%) من إجمالي الصادرات الإيرانية⁽²⁴⁾، واستمر التصدير على هذا المستوى حتى عام 1988، إذ بلغت كمية الصادرات النفطية (1.696 مليون ب/ي)؛ وذلك بسبب الحرب العراقية الإيرانية وأثارها التدميرية على حقول النفط الإيرانية وانخفاض الإنتاج، بعد ذلك ارتفع حجم الصادرات إلى (2.220 مليون ب/ي) عام 1991، أي ما يقارب (92.3%) من إجمالي الصادرات الإيرانية، وارتفعت الصادرات حتى بلغت (2.650 مليون ب/ي) عام 1994، أي بنسبة (92%) من إجمالي الصادرات، وما يلحظ على الصادرات النفطية الإيرانية أنها في تزايد مستمر إلا أن الانخفاض يأتي مع فرض العقوبات الاقتصادية، إذ استمرت الصادرات بالارتفاع حتى عام 2012 حيث بلغت (2,102 مليون ب/ي) إلا أنها انخفضت إلى (1,215 مليون ب/ي) عام 2013 مع بدأ العقوبات الجديدة بعدها استمرت بالانخفاض حتى عام 2017 وعاودت الارتفاع عام 2017 لتصل إلى (2,01 مليون ب/ي) لتتخفف مع بدا العقوبات الاقتصادية الجديد إذ بلغت نسبة صادرات النفط (1,62 مليون ب/ي) عام 2019، ويمكن توضيح تطور الصادرات النفطية في إيران من خلال الجدول (5).

الجدول (5)

تطور الصادرات النفطية في إيران لسنوات مختارة للمدة 2015-1980

نسبة صادرات إيران النفطية إلى إجمالي صادرات العالم (%)	صادرات النفط (مليون ب/ي)	السنة	نسبة صادرات إيران النفطية إلى إجمالي صادرات العالم (%)	صادرات النفط (مليون ب/ي)	السنة
5,9	2,406	2009	5,6	0,796	1980
5,4	2,248	2010	2	1,623	1982
6,1	2,537	2011	10,1	1,696	1988
5,0	2,102	2012	12,8	2,528	1992
2,9	1,215	2013	8	2,650	1994
2,7	1,109	2014	9,7	2,407	2003
4,1	1,081	2015	6,7	2,684	2004
4,6	1,22	2016	5,8	2,394	2005
6,5	2,01	2017	6,2	2,561	2006
6,1	2,32	2018	6,5	2,639	2007
4,7	1,62	2019	6,4	2,574	2008

الجدول من إعداد الباحث بالاعتماد على المصادر الآتية:

- 1- OPEC Annul Statistical Bulletin 1980, (Austria, OPEC 1980), pp 9-10.
- 2- OPEC Annul Statistical Bulletin 1994,(Austria, OPEC 1994), p 8.
- 3- "Iran: Overview data for Iran." Energy Information Administration - EIA - Official Energy Statistics from the U.S. Government. N.p., 30 May 2015. Web. 7 May 2019.

رابعاً: المشاكل التي تواجه القطاع النفطي الإيراني

تواجه صناعة استخراج النفط في إيران مشكلات عدة، لعل من أبرزها تعرض حقول النفط الرئيسية إلى إجهاد وضغط كبيرين، بهدف إبقاء مستوى إنتاج النفط متسقاً مع حصة إيران في الأوبك، ففي الوقت الذي تشغل فيه الحقول البرية بشكل خاص بأكثر من طاقتها القابلة للاستمرار فإن هذا التشغيل من شأنه إذا استمر على هذا النحو أن يلحق الضرر بضغط المكامن، وفي النتيجة تضطر شركة النفط الإيرانية (نيوك) إلى إغلاق بعض الحقول من أجل اصلاحها؛ بسبب دخول المياه إلى الآبار النفطية⁽²⁵⁾، وما يحدثه ذلك من تراجع في ضغط المكامن وخاصة في حقول الاهواز وأسمري وجشساران وأغا جاري

وكراج فارسي وماريون)، مما دفع إيران إلى خفض الإنتاج، وإذا كانت نسبة الماء في الآبار النفطية الإيرانية مرتفعة، فإنها ليست مشكلة بحد ذاتها، وإنما المشكلة تكمن في محدودية قدرة إيران على فصل الماء والغاز عن النفط أثناء الإنتاج، ولذلك فإن إيران بحاجة إلى منشآت فصل جديدة قبل أن تتمكن من المحافظة على طاقتها الانتاجية، ومن ثم إلى تمويل تكنولوجيا غير متاحة لها باستمرار⁽²⁶⁾.

اضطرت إيران إلى دفع تكاليف تراوحت ما بين (5-10 مليار دولار) لإنشاء معامل لنزع الملح والماء عن النفط، وإلى وسائل لرفع الماء اصطناعياً؛ وذلك بسبب تعقيدات حقولها البرية، وضرورة بناء أنظمة متطورة لحقن الغاز في كل حقل بمفرده، أما الحقول البحرية الإيرانية والتي يبلغ احتياطي النفط المؤكد فيها (10 مليار برميل)، فقد سجلت انخفاضاً حاداً في الإنتاج النفطي في العقود السابقة، إذ أن كلفة الإنتاج في الحقول البحرية تفوق كلفة الإنتاج في الحقول البرية؛ لأن عملية استخراج النفط من الحقول البحرية تحتاج إلى بناء أرصفة تمتد من الشاطئ إلى داخل المياه، وإنشاء جزر صناعية في المناطق الضحلة تقام عليها أجهزة الحفر، فضلاً عن ذلك فإن الحقول البحرية الإيرانية تفتقر إلى الضغط الكافي، بسبب عدم توفر التقنية اللازمة لتطوير الانتاجية، إذ تتعرض معدات الحقول البحرية إلى توقفات مستمرة، وهناك مشكلات فنية تعترض منصات الإنتاج فيها⁽²⁷⁾.

خامساً: إسهام القطاع النفطي في الناتج المحلي الاجمالي.

يعبر الناتج المحلي الاجمالي الإيراني عن مستوى الاقتصاد القومي وتطوره، وهو مؤشر عن مستوى النشاط الاقتصادي، ويؤدي القطاع النفطي دوراً مهماً في تكوين الناتج المحلي الإجمالي، وهو ما يوضح لنا مدى التنوع الاقتصادي في الاقتصاد الإيراني، وتعد إيران واحدة من أكثر دول العالم إنتاجاً وتصديراً للنفط الخام، ويؤدي القطاع النفطي دوراً كبيراً في عدم توازن الهيكل الاقتصادي الإيراني من خلال المساهمة الكبيرة في تكوين الناتج المحلي الاجمالي وفي اجمالي الصادرات الإيرانية. مما جعل الهيكل الاقتصادي الإيراني اقتصاداً أحادياً رهيناً لقطاعه النفطي الذي يخضع لتأثيرات السوق النفطية الدولية وما ينجم عنها من عدم استقرار الموارد المالية الحكومية المتأتية من تصدير النفط الإيراني⁽²⁸⁾. والأهمية النسبية للقطاع النفطي في الـ (GDP) ظهرت بداية من عام 1973، ونلاحظ أن نسب النمو في الناتج المحلي للمدة 1979-1982، امتازت بالانخفاض؛ بسبب اندلاع الثورة الإيرانية في تلك المدة على الرغم من ارتفاع أسعار النفط، إذ بلغ معدل نمو الـ (GDP) (-3.88%) عام 1979، إذ قامت إيران بتخفيض الإنتاج النفطي لديها، ونشوب الحرب العراقية الإيرانية عام 1980، وما تطلبت من زيادة في الإنفاق العسكري فأصبحت نسب الـ (GDP) سالبة، إذ بلغ (-9.57%)، وبعد انتهاء الحرب العراقية الإيرانية أخذت معدلات نمو الناتج الـ (GDP) بالارتفاع فقد بلغت (13.93%) عام 1990⁽²⁹⁾.

لقد ارتفعت نسبة إسهام النفط إلى (10.8%) من الـ (GDP) عام 1990، قياساً بالقطاع الزراعي الذي بلغت نسبة إسهامه (23%) من الناتج المحلي الإجمالي، بعد ذلك ارتفعت نسبة الإسهام إلى (16%) من إجمالي الـ (GDP)، قياساً بنسبة القطاع الزراعي التي بلغت (20.9%) من إجمالي الناتج المحلي، وارتفعت نسبة الإسهام إلى (31.4%) عام 2004، وارتفعت نسبة القطاع النفطي من الناتج المحلي حتى بلغت (45.2%) عام 2008، بعد ذلك انخفضت إلى (40.6%) عام 2009، وذلك على إثر الأزمة المالية التي أصابت الاقتصاد العالمي وانخفاض الطلب على النفط وانخفاض أسعاره عالمياً، وشهد الـ (GDP) تراجعاً منتظماً وكبيراً، فمن معدل قدره (46.5%) في تموز عام 2011 إلى (41.4%) للشهر نفسه عام 2012، وإلى (40.2%) عام 2013 وللشهر نفسه، في حين وصل إلى (38.2%) عام 2014. نتيجة تأثير الأوضاع في سوريا، ونتيجة للعقوبات الاقتصادية. وتبقى نسبة مساهمة النفط عالية على الرغم من تطور الاقتصاد الإيراني إذ بلغت (41,3%) عام 2019. وقد مكنت أسعار النفط في البداية من إنقاذ الاقتصاد الإيراني، إذ ارتفع الـ GDP من نحو (467 مليار دولار) عام 2010 إلى نحو (592 مليار دولار) عام 2011، إلا أن استمرار العقوبات وتشديدها أدى إلى تراجع النمو بعد عام 2012، حتى وصل الـ GDP إلى نحو (425 مليار دولار) عام 2014، واستمر الـ GDP بالانخفاض حتى وصل إلى نحو (393 مليار دولار) عام 2015.

إن أغلب الدول التي تتوافر فيها الموارد الطبيعية، وبالأخص النفط أصبحت اقتصادات ريعية غير إنتاجية، إذ إن الاعتماد على النفط مع ضعف السياسات الاقتصادية لأغلب الدول الريعية، وإهمال القطاعات الإنتاجية وتراجعها، أدى إلى زيادة تخلف اقتصاداتها، وأن اعتماد الدول الريعية على النفط جعلها أكثر انكشافاً على الخارج، وتراجعت فيها اسهامات القطاعات الأخرى، وعلى خلاف ذلك دول ريعية أخرى تمكنت من تشجيع بعض القطاعات إلى جانب القطاع النفطي، فأصبح بإمكانها أن تستغل نسبة محددة من إيرادات النفط، والاعتماد على القطاع الزراعي والصناعي والسياحي والمالي، إذ شكلت هذه القطاعات نسبة عالية من الـ (GDP) ونسبة عالية من إيرادات ميزانية الدولة، كما هو الحال في إيران التي ابحت ذات امكانيات اقتصادية شجعتها على توسيع الطاقات الإنتاجية لمختلف القطاعات الاقتصادية.

المطلب الثاني: طبيعة الاختلالات الهيكلية في الاقتصاد الإيراني

تعتمد إيران بشكل كبير على إنتاج وتصدير النفط الخام، وهذا الاعتماد المتزايد في الصادرات والإيرادات العامة وميزان المدفوعات يعبر عن الخلل المزمن في التركيب البنوي للاقتصاد الإيراني، ووجه الخلل الآخر في الاقتصاد الإيراني يكمن في الاعتماد المطلق على التجارة الخارجية، ولا سيما الاعتماد على الدول الصناعية المتطورة، في استيراد معظم السلع وأغلب الخدمات اللازمة لسد الاحتياجات الاستهلاكية والإنتاجية، وكذلك تصدير معظم إنتاجها إلى هذه الدول، ويؤدي هذا الوضع إلى انعكاس التأثيرات

والأزمات الاقتصادية وتقلبات الأسواق الخارجية على الاقتصاد الإيراني⁽³⁰⁾. ويمكن تقسيم الاختلالات التي يعاني منها الاقتصاد الإيراني إلى اختلالات داخلية واختلالات خارجية. أولاً: الاختلالات الاقتصادية الداخلية

1- الإفراط في الاستهلاك وضعف مرونة الهيكل الإنتاجي.

أدى ارتفاع العائدات النفطية على خلفية تعديل أسعار النفط إلى حالة من الاستهلاك المرتفع القائم على نمط من الأداء الاقتصادي المتواضع آنذاك، بسبب عدم مرونة الهيكل الإنتاجي، وضعف قدرته في سد احتياجات السوق المحلية لأغلب السلع والخدمات، نتيجة التغير في أنماط الاستهلاك، فقد أدى تطور الاستهلاك إلى ظهور أنماط استهلاكية موجهة نحو الاستيراد؛ لذلك نجد أن جزءاً كبيراً من القدرة الشرائية المحلية قد تسرب إلى الخارج عبر استيراد السلع، وقد اتسعت الفجوة بين الطلب الاستهلاكي الداخلي الكبير والعرض المحلي المحدود على مر الزمن، وأدى ذلك إلى زيادة استيرادات إيران من مجموعة شديدة التنوع من السلع الاستهلاكية لتغطية هذه الفجوة. أما الآن فقد اعتمدت إيران على إنتاج معظم احتياجاتها الاستهلاكية لغرض سد الحاجة المحلية ولأغراض تصديرية⁽³¹⁾.

2- انخفاض متوسط الدخل الحقيقي للفرد.

يشكل انخفاض متوسط الدخل الحقيقي للفرد تحدياً كبيراً لإيران، إذ عليها أن تزيد من معدلات النمو الاقتصادي لرفع مستوى المعيشة، في الوقت الذي تواجه فيه إيران صعوبات اقتصادية عدة، يبلغ معدل النمو الحقيقي لنصيب الفرد من الـ GDP في إيران (9.2%) خلال المدة 1980-1965، وانخفض إلى (1.1%) خلال المدة 1991-1980، فيما بلغ نصيب الفرد من الـ GDP نحو (2320 دولاراً) عام 1991، وهو ما يعادل (23%) مع مثيله في الدول الصناعية المتطورة؛ ويعزى ذلك في جانب منه إلى ارتفاع معدل نمو السكان في إيران والذي يبلغ (3%) سنوياً، يضاف إلى ذلك فشل خطط التنمية الاقتصادية في إيران، في جهودها الرامية إلى رفع معدلات الإنتاج في القطاعات الاقتصادية المختلفة، بما يؤدي إلى رفع مستوى معيشة المواطن الإيراني⁽³²⁾.

3- مشكلة الفقر

أضحت بعض المشكلات كالفقر وعدالة توزيع الدخل من المهام الأساسية التي يتم بحثها في مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وتسعى إيران بصفتها إحدى الدول النامية إلى تحقيق وإنجاز النمو الاقتصادي والتنمية والتوزيع العادل للدخل كمحاولة للقضاء على الفقر ومن ثم زيادة مستوى الرفاهية الاقتصادية لأكثر عدد ممكن من أفراد المجتمع، ومما لا شك فيه وجود العلاقة التبادلية بين الفقر والتنمية⁽³³⁾ وللحد من مشكلة الفقر أو القضاء عليه يفترض بلوغ مراحل متقدمة من التنمية، ولتحقيق الأخير يتطلب الأمر الحد من مشكلة الفقر. وعند متابعة معدلات نمو الناتج المحلي الإجمالي في إيران نلاحظ انخفاض معدل النمو من (22.5%) عام (1976) إلى (9.6%) عام (1980)⁽³⁴⁾ و (8.8%) عام (1988). فهذه المعدلات السالبة للنمو لا يمكن أن تسهم في مكافحة

الفقر وبالتالي التقليل من عدد الفقراء. بل على العكس من ذلك نلاحظ ازدياد عدد العوائل الفقيرة في إيران. إذ بلغت نسبة العوائل الفقيرة في إيران (35.6%) عام 1982 ونتيجة للتغير الحاصل في حدود خط الفقر من (1376.3) دولار عام (1982) الى (1043) دولار عام (1984) انخفضت هذه النسبة الى (29.0%) عام (1984). وارتفعت نسبة العوائل الفقيرة في إيران الى (44.3%) عام (1987) بالرغم من انخفاض حدود خط الفقر الى (1001.6) دولار عام (1987).

ومن المسائل المهمة التي ترتبط بمفهوم الفقر هي مسألة توزيع الدخل؛ وذلك لاهمية عملية اعادة توزيع الدخل لصالح الطبقات الفقيرة، إذ تعد الزيادة في مستوى الدخل احد الشروط الرئيسية لارتفاع المستوى المعيشي لافراد المجتمع؛ لذا تمت عملية اعادة توزيع الدخل والثروة بعد عام 1979 من خلال الاصلاحات الزراعية التي أدت إلى تقسيم المساحات الزراعية الشاسعة بين المزارعين الصغار بعد ان كانت مملوكة من قبل كبار الاقطاعيين، واممت المصانع الكبيرة والصغيرة للقطاع الخاص ووضعت تحت تصرف الدولة بدافع المحافظة على حقوق الفقراء. وقيام الدولة بتوزيع الأراضي السكنية وبأسعار رمزية إلى الفقراء الوافدين الى المدينة من الريف. وأسست لأول مرة مؤسسات جديدة بهدف تقديم الخدمات الى الفقراء كمؤسسة الجهاد للبناء ومؤسسة الثورة الاسلامية للسكن التعاوني. فضلاً عن تبني الدولة للعديد من المهام بهدف تقديم بعض الخدمات كالتعليم والصحة والبريد والنقل الى شريحة واسعة من المجتمع الإيراني⁽³⁵⁾ فضلاً عن بعض السياسات الاخرى التي اعتمدها إيران مثل:-

1. تعديل سياسات الأجور برفع الحد الأدنى للأجور، وأجراء تغييرات في ضريبة الدخل.
2. التأمين وإعادة توزيع الدخل. إذ تم تأمين (28) مصراً كانت تمتلك (43.9%) من أموال جميع المصارف، والسيطرة على حوالي (800) ألف هكتار من الأراضي الزراعية وتقسيمها بين المزارعين⁽³⁶⁾.

وتفاقت مشكلة الفقر في إيران نتيجة لتطبيق سياسات الإصلاح الاقتصادي وأصبحت مشكلة ذات طابع انساني واجتماعي خطير، نظراً لضعف هياكل مؤسسات الضمان الاجتماعي، على الرغم من وجود العديد من المؤسسات والهيئات الحكومية المهمة بشؤون الفقراء مثل مؤسسة الشهيد ومؤسسة المعاقين والمستضعفين ومؤسسة (15) خرداد ومؤسسة الإسكان ومجموعة مؤسسات الحياة الأفضل. وتزداد مشكلة الفقر خطورة عند ارتفاع الأسعار وخاصة الغذائية وتقليص الدعم الحكومي للعديد من السلع والخدمات. إذ يؤدي هذا إلى تغيير أنماط الاستهلاك لدى العوائل الفقيرة. أي قيام الفقراء باستهلاك أنواع رخيصة من المواد الغذائية وابتعادهم عن السلع ذات الأسعار الحرارية كاللحم والحليب ومنتجات الألبان⁽³⁷⁾.

4- تزايد الانفاق العسكري.

يمثل الإنفاق العسكري في جزءاً كبيراً منه أحد أوجه الإنفاق الاستهلاكي الذي يؤدي غالباً إلى استنزاف الموارد الاقتصادية؛ مما يقلل من الإمكانيات المتوافرة للتنمية الاقتصادية، وهو موطن رحب للهدر والضياع؛ لأنه يؤدي إلى اقتطاع كبير من الجزء المخصص للتراكم الرأسمالي، ومن شأن هذا أن يقلل من إمكانية رفع القدرة الإنتاجية الوطنية. ارتفع الإنفاق العسكري في إيران (بالأسعار الثابتة لعام 1985) من (4735 مليون دولار) عام 1975، إلى (4924 مليون دولار) عام 1990، ويأتي الإنفاق العسكري الإيراني من خلال تطوير البرنامج النووي، ودعم العديد من الدول بالأسلحة ومنها العراق وسوريا واليمن، نظراً إلى السعي المستمر لتطوير البرنامج النووي⁽³⁸⁾.

5- مشكلة التضخم. تُعد مشكلة التضخم في إيران مشكلة مزمنة ومستمرة عانى منها الاقتصاد خلال العقود المنصرمة، وأفضت مشكلة التضخم إلى سوء توزيع الدخل وعدم المساواة و أصبحت هذه المشكلة إحدى وسائل الضغط على الفقراء، وأدت إلى توجيه الاستثمارات نحو الأعمال غير المنتجة أو المنخفضة الإنتاجية والابتعاد عن القطاعات الإنتاجية، فضلاً عن مساهمة التضخم في تدني معدلات النمو الاقتصادي في الأجل الطويل⁽³⁹⁾.

بدأت بوادر التضخم في النصف الثاني من عقد السبعينيات من القرن العشرين، إذ كانت الدولة تحافظ على ثبات سعر صرف الريال الإيراني مقابل الدولار الأمريكي وبواقع (70 ريال للدولار)، وترتب على هذا أن تكون السلع المستوردة من الخارج أرخص ثمناً من مثيلاتها المنتجة من قبل الصناعة المحلية. وتفاقم هذا الأمر جراء تزايد الدخول النقدية للمواطن والدولة نتيجة لتعديل أسعار النفط مما أدى إلى ارتفاع معدلات التضخم في الداخل إلى (13.7%) كمتوسط سنوي للمدة (1973-1977). ونتج عن ذلك زيادة الاستيرادات المعتمدة على ارتفاع أسعار النفط عالمياً مما أفقد الصناعة المحلية القدرة على التنافس مع السلع المستوردة. وشجع ذلك على زيادة استهلاك الأفراد مؤدياً إلى زيادة الطلب على العرض السلعي المتزايد بالاعتماد على الخارج. وجراء ذلك ارتفع معدل التضخم في العامين 1978-1979 إلى (30%)⁽⁴⁰⁾. ورافق التوسع في الإنفاق العام والزيادات المطردة في الإنفاق العسكري عام 1974، تسرب جزء من العائدات النفطية الإيرانية عبر استيراد السلع والخدمات، مما أدى إلى ظهور موجات عالية من التضخم، وزاد الأمر سوءاً ارتفاع أسعار السلع الرأسمالية والخبرات الفنية المستوردة، مما أدى إلى تحمل المجتمع الإيراني لكلفة اجتماعية ثقيلة الوطأة ناجمة عن التوسع في الاستثمار، في محاولة لاختصار الزمن وتحقيق التنمية الاقتصادية في حقبة محددة بدلاً من امتدادها اجيالاً⁽⁴¹⁾.

بعد ذلك أخذ معدلات متفاوتة خلال مدة الحرب الإيرانية العراقية إذ ارتفع معدل التضخم إلى (28.9%) ولكن بعد انتهاء الحرب مع العراق عاودت أسعار النفط ارتفاع واستطاعت الحكومة احتواء الآثار التضخمية، إذ انخفضت نسبة التضخم إلى (18.9%) عام 1992، وبلغ معدل التضخم (15.5%) خلال المدة 1997-2004، بعد ذلك ارتفعت

معدلات التضخم حتى بلغت (18.5%) خلال المدة 2013-2005⁽⁴²⁾, كما سجل معدل التضخم في العقد الثاني من القرن العشرين ارتفاعا ملحوظا، واضطرت الأسر إلى زيادة نفقاتها بنبة (47.5%) شهريا مقارنة بنفس المدة من العام الماضي، وتضررت الأسر الريفية على نحو خاص من جراء ارتفاع الأسعار. فبحلول أغسطس/آب 2018، كان الريال الإيراني فقد (172%) من قيمته على مدار (12 شهرا)، حيث ارتفع سعر الصرف إلى أكثر من (100 ألف ريال) مقابل الدولار، واسهم ذلك في عودة معدل التضخم المحسوب إلى (24%) في أغسطس/آب 2018، وإلى (27,7%) عام 2019، وهو معدل لم تشهده الدولة منذ عام 2013⁽⁴³⁾ وبهذا فإن ارتفاع معدلات التضخم في الاقتصاد الإيراني أضعف قدرته على التصدير وزاد ميله نحو الاستيراد، الذي يعدّ الجسر الذي تمرّ من خلاله الآثار التضخمية من الدول الصناعية المتطورة إلى الاقتصاد الإيراني، ويمكن توضيح معدلات التضخم في إيران من خلال الجدول (6).

جدول (6)

معدلات التضخم في ايرت لاعوام مختارة للمدة 2011-2019

السنة	معدل التضخم	السنة	معدل التضخم	السنة	معدل التضخم
2011	20,6	2014	16,2	2017	8,3
2012	41,3	2015	8,4	2018	47,8
2013	19,6	2016	11,8	2019	27,7
السنة	معدل التضخم	السنة	معدل التضخم	السنة	معدل التضخم
2011	20,6	2014	16,2	2017	8,3
2012	41,3	2015	8,4	2018	47,8
2013	19,6	2016	11,8	2019	27,7

المصدر:

1- Christian Dreger & Teymur Rahmani, The Impact of Oil Revenues on the Iranian Economy and the Gulf States, German Institute for Economic Research, 2019, P.16

وهنا نلاحظ عدم التزام إيران بالإجراءات الواجب إتباعها في حزمة الإصلاحات الاقتصادية، وذلك بسبب الفلسفة السياسية الحاكمة والظروف الاقتصادية التي تمر بها الدولة، لذا قامت الدولة بالافتراض من البنك المركزي مؤدية بذلك إلى زيادة وتوسع

القاعدة النقدية وزيادة الإنفاق العام في الوقت الذي يعاني الجهاز الإنتاجي في إيران من عدم المرونة مما يعني ارتفاع معدلات التضخم. فالسياسات الإصلاحية لم تنجح في القضاء على مشكلة التضخم وذلك بسبب الارتباط الوثيق بين الفلسفة السياسية الحاكمة والتي تحاول تقديم المزيد من الخدمات بواسطة الدولة ، وتمويل تلك النفقات بالعجز عن طريق الاقتراض من البنك المركزي، يؤدي إلى استمرار معدلات التضخم ، وهذا يعني الازدواجية والانتقائية في التطبيق. ويمكن توضيح مستويات الارتفاع والانخفاض في التضخم للمدة من 2011 ولغاية 2019 من خلال الشكل (4).



الشكل من اعداد الباحثة بالاعتماد على المصادر الآتية:

1- الاقتصاد الإيراني والعقوبات الأمريكية.. ما القصة، موقع الجزيرة، البحث منشور على شبكة المعلومات الدولية على الرابط:

<http://mubasher.aljazeera.net>

2- Christian Dreger & Teymur Rahmani, The Impact of Oil Revenues on the Iranian Economy and the Gulf States, German Institute for Economic Research, 2019, P.16

6- مشكلة البطالة:

تعد البطالة من أخطر المشكلات التي تواجه المجتمع الإيراني وذلك لآثارها السلبية سواء المباشرة أم غير المباشرة. وتعتبر البطالة عن حالة الاختلال في سوق العمل والناجمة عن وجود الاقتصاد في حالة دون مستوى الاستخدام الكامل لقوة العمل⁽⁴⁴⁾، استهدفت السياسة الاقتصادية الإيرانية منذ بداية السبعينيات في أحد جوانبها المحافظة على مستوى عال من الاستخدام، لكن ما حققته إيران في هذا المجال لا يزال دون مستوى التخطيط بكثير، إذ ارتفع عدد العاطلين عن العمل من (320 ألف عامل) عام 1973، إلى (942) عام 1981، ثم ارتفع إلى (2,452 مليون) عام 1991، بينما ارتفع معدل التضخم من (3,5%) عام 1973، إلى (8%) عام 1984، ثم ارتفع إلى (15,4%) عام

1991, وهذا يعني ابتعاد سوق العمل الإيراني عن حالة الاستخدام الكامل⁽⁴⁵⁾, مما يؤشر اختلالاً واضحاً بين عرض العمل والطلب عليه, إذ بلغ معدل نمو عرض العمل نحو (4%) خلال المدة 1973-1991 في حين لم يستطع الطلب على العمل أن ينمو بأكثر من (3,3%) خلال المدة ذاتها, وارتفعت معدلات البطالة حتى وصلت إلى (10,5%) عام 2007, وارتفعت إلى (12%) عام 2014. ثم ارتفعت إلى (12,4%) عام 2016⁽⁴⁶⁾, واستمرت بالارتفاع حتى بلغت (13,5%) عام 2017. بعد ذلك شهدت معدلات البطالة تحسناً طفيفاً حيث وصلت إلى (12,8%) في أبريل/نيسان - يونيو/حزيران 2018, واستمرت بالارتفاع حتى بلغت (14,3%) عام 2019 فكان للعقوبات الاقتصادية المفروضة على إيران اثر واضح مع انخفاض حجم الصادرات ادى الى ارتفاع ملحوظ بمعدلات البطالة⁽⁴⁷⁾.

مما سبق نجد أنّ ظاهرة البطالة في إيران تكمن في التباين بين معدلات نمو السكان والقوى العاملة, وإلى عدم مطابقة الظروف الاقتصادية للظروف السكانية مطابقة كمية ونوعية, وأن عدم المطابقة هذا ناجم عن عدم وجود سياسة تخطيطية في هذا الشأن, وهذا أدى إلى فوضى وارتباك في توزيع الأيدي العاملة وفقاً لأولوية كل قطاع إنتاجي, وأدى استفحال ظاهرة البطالة في الاقتصاد الإيراني إلى تزايد ضغوطات العاملين على فرص العمل المتاحة مما أثر سلباً على دخل الفرد العامل في إيران, فالسياسة الاقتصادية الإيرانية استهدفت في احد جوانبها المحافظة على مستوى عال من الاستخدام. إلا انه مازال الاقتصاد الإيراني يعاني من الارتفاع المستمر بمعدلات البطالة وذلك قبل وبعد فترة الإصلاحات الاقتصادية. وأصبحت هذه المشكلة أكثر وضوحاً نتيجة لارتفاع معدلات البطالة.

7- الفساد المالي والإداري:

تمتد جذور الفساد المالي والاقتصادي في إيران إلى ما قبل ثورة 1979, إذ كان شعار محاربة الفساد ومحاسبة المفسدين من أهم شعارات الثورة, لكن تجربة إيران وإدارة الدولة أثبتت أن اجتثاث الفساد ليس أمراً سهلاً, إذ ظهرت في النظام الجديد فئة اجتماعية منتشرة في أجهزة الدولة تستفيد من الفساد وثقافته, وأصبحت مظاهر الرشوة واقعاً مشهوداً عند عموم المجتمع الإيراني, وهذا ما دعى بعض المفكرين في بداية تسعينات القرن الماضي إلى مراجعة مفهوم الدولة كما ترسمه نظرية ولاية الفقيه المطلقة, التي وجدوا فيها تغييباً للإرادة الشعبية في الحكم وحجباً لرقابة المجتمع على الدولة ومؤسساتها, ومن بين من تناولوا هذا الموضوع بالدرس والتحليل الرئيس الإيراني السابق حسن روحاني, الذي خصص فصلاً كاملاً من كتابه (الأمن القومي والنظام الاقتصادي الإيراني), لدراسة قضية الفساد المالي والاقتصادي في ثمانية محاور تفصيلية, عني في المحور السادس منها بـ (وضعية الفساد المالي والإداري والاقتصادي في إيران) في حين حاول في المحور الثامن أن يتقدم مقترحات لمواجهة الفساد في إيران⁽⁴⁸⁾.

يُعد الفساد المالي والإداري أحد أبرز عوائق النمو في إيران, إذ تراجعت إيران إلى المرتبة (133) من بين (176 دولة) عام 2016, وذلك بعد أن كانت تحتل المرتبة (120) عام 2011, وقد تحول واقع الفساد إلى واقع هيكل مؤثر سلباً في المجالين الاجتماعي والسياسي, وإن رؤية المرشد خامنئي إلى طبيعة الصراع ضد أعداء الخارج دفعته إلى عد أي نقاش إعلامي وسياسي لقضايا الفساد إساءةً للنظام ودعمًا غير مباشر للأعداء, مما أثر تأثيراً مباشراً في آليات المراقبة والمحاسبة داخل مؤسسات الدولة⁽⁴⁹⁾, وهذا ما يؤكد تجميد تقارير لجان التفحص الرسمية, ومن أهمها تقرير للبرلمان الإيراني يتحدث عن وجود (4500) ملف تخص مخالقات مالية وإدارية لمؤسسات وشخصيات حكومية. وبهذا نجد أن قضايا الفساد وما يتبعها من محاكمات تستخدم أغلب الأحيان في تصفية الحسابات السياسية ضد تيارات تهدد مصالح القوى المتنفذة في الحكم, وإن هذا السلوك أحد أهم المعضلات أمام جهد مواجهة الفساد المستشري في أجهزة الدولة في إيران.

لتعزيز محاربة الفساد ركزت رؤية الاقتصاد المقاوم على (استقلالية وحماية القضاء من التدخلات السياسية واعطائه صلاحية كاملة وتشريع القوانين الضرورية والحديثة التي يحتاجها. واعداد كوادر بشرية تتصف بالامانة والمصادقية. وتنشيط الدور الرقابي على الاعمال والاعتماد على العنصر البشري المتخصص وتفعيل صلاحيات الأجهزة الرقابية على أعمال الجهاز التنفيذي ومحاسبة المقصرين, واستخدام الأساليب التكنولوجية الحديثة في نظم الرقابة والتطوير البنوي في الهياكل المعنية بادره الاقتصاد. واعطاء دور وسائل الاعلام وقدرتها على فضح الفساد ووجود شفافية في بيئة العمل الاعلامية والحرص على المعلومة الصحيحة وكشفها.

ثانياً: الاختلالات الاقتصادية الخارجية

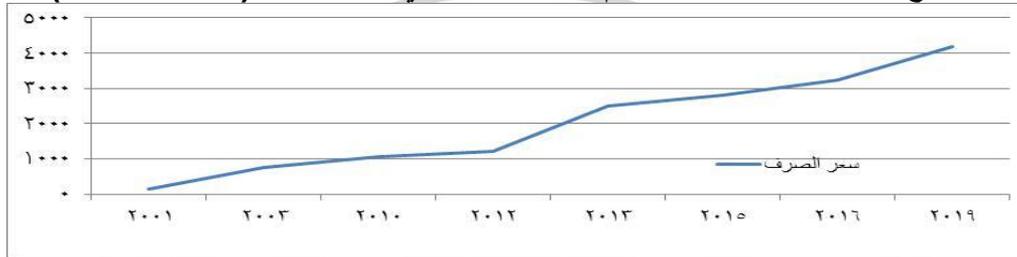
1- التقلب في سعر الصرف:

تولي إيران أهمية كبرى لعوائد الصادرات, ولاسيما عوائد النفط, كونها العنصر الأساسي في الحصول على العملات الصعبة, التي يتم بها تدعيم سعر الصرف للعملة المحلية (التومان) واستقراره؛ نتيجة تدعيم الاحتياطيات النقدية. وقد كان لأرتفاع سعر النفط تأثير كبير في سعر الصرف الحقيقي, إذ إن إيران تقبض مداخيلها من واردات النفط بالدولار الأمريكي, فتحولها إلى التومان وتطرحها في التداول⁽⁵⁰⁾, فعلى خلاف الدول النفطية الأخرى, نرى إيران قليلة التعامل بالدولار بالاستيراد والتصدير باستثناء مبيعات النفط المقيمة بالدولار وبعض التعاملات الأخرى, وقد مرّت إيران بطفرات وتغيّرات عدة في سعر الصرف منذ تسعينيات القرن العشرين, متأثرة بالطبيعة السياسية الخاصة والمتوتّرة مع القوى الكبرى في العالم, وحصار اقتصادي خانق فرضته الولايات المتحدة عليها منذ التسعينيات, وتبعه حصار دولي مع بدايات الألفية الثانية, ثم عقوبات غربية مغلّظة منذ 2012 على أثر تطوير برنامجها النووي, وكان أعمقها تأثيراً هو فرض

الحظر على الصادرات النفطية، من ثم تأثر الإيرادات النفطية التي تمثل عصب الاقتصاد الإيراني، والمصدر شبه الكلي للعملة الأجنبية، بعد حصار أمريكي دام سنوات طويلة. ومع كل أزمة من الأزمات السابقة يتأثر سعر صرف العملة الإيرانية أمام الدولار وباقي العملات الأجنبية. ويمكن توضيح معدل سعر صرف التومان أمام الدولار، وتأثير تقلبات أسعار النفط من خلال الشكل (2).

الشكل (2)

يوضح معدل صرف الدولار امام التومان الايراني خلال المدة (2019-2001)



المصدر: الشكل من اعداد الطالبة بالاعتماد على المصادر الاتية:

- 1- مسعود نبلي، التخلف والاقتصاد الإيراني، مؤسسة الاستشارات العلمية، جامعة شريف، طهران، 2004، ص22.
- 2- عبد الحافظ الصاوي، السماح للشركات الأجنبية بالاستثمار في حقول إيرانية، بحث منشور على شبكة المعلومات الدولية على الرابط:

<https://www.alaraby.co.uk/economy/2019/11/12>

يُبين الرسم البياني القفزات السعرية الكبيرة لسعر الصرف الرسمي في مدة زمنية طويلة، بدأت بارتفاع كبير بعد عام 2001 إذ بلغ (143 تومان/ دولار)، ثم بلغ هذا الارتفاع (430%) في عام 2003 ليسجل سعر الصرف (758 تومان/ دولار)، مقارنةً باستقرار نسبي للسعر حول (137 تومان/ دولار) طوال المدة من 1991 حتى عام 2000، مع انخفاض تدريجي بأسعار النفط من (32 دولار/ برميل) عام 1992، حتى وصل إلى (17,5 دولار/ برميل) عام 1999، واستمر ارتفاع الدولار وانخفاض التومان تدريجياً حتى وصل سعر الصرف (1200 تومان/ دولار) في عام 2012، ومن البديهي أن زيادة أسعار النفط وما ترتب عليها من فوائض في الميزان التجاري وفي ميزان الحساب الجاري⁽⁵¹⁾، قد ساعد على تعزيز موقف العملة الإيرانية وإكسابها درجة معقولة من الاستقرار مقابل العملات الحرة، وما بعد عام 2012 أصبح الدولار يرتفع بوتيرة سريعة أمام التومان الإيراني ليسجل في عام 2013 نحو (2500 تومان/ دولار)، وبنسبة ارتفاع بلغت (108%) خلال عام واحد مع بدء سريان الحظر النفطي، وبالرغم من ارتفاع سعر صرف الدولار مقابل التومان، إلا أن ما نلاحظه هو ارتفاع أيضاً في

أسعار النفط خلال المدة منذ عام 2000, حتى عام 2013 واستمر انخفاض التومان ليسجل سعر الصرف (2800 تومان/ دولار) في عام 2015⁽⁵²⁾.

ومنذ بداية عام 2016 لم يتوقف انخفاض سعر التومان على الرغم من رفع الحظر الدولي واستئناف الصادرات النفطية إلى الخارج، إذ كان سعر الصرف الحكومي في بداية العام يدور حول (3230 تومان/ دولار)، واستمر في الانخفاض بمعدلات شبه ثابتة إذ اقترب صرف الدولار في السوق الحرة من (4000) نهاية عام 2016 والانخفاض في قيمة التومان له عدة أسباب منها: الانخفاض في أسعار النفط، وارتفاع قيمة الدولار، والتأثر بعوامل خارجية تمثلت في فوز دونالد ترامب في انتخابات الرئاسة الأمريكية، وهو المعروف بتشدده تجاه إيران، فزادت التوقعات التشاؤمية تجاه مستقبل الاقتصاد الإيراني مع قدومه للسلطة بسبب تهديداته المتكررة بإلغاء الاتفاق النووي الذي وقّعه دولته مع إيران وخوف المستثمرين الأجانب من الوقوع تحت طائلة الغرامات المالية الأمريكية، هذا من ناحية الأثر على الاقتصاد الإيراني. ومن ناحية أخرى، فمع نجاح ترامب ارتفاع سقف الطموحات والتوقعات المتفائلة تجاه الاقتصاد الأمريكي، وهو ما انعكس بشكل مباشر على قوة الدولار الأمريكي عالمياً أمام باقي العملات، فارتفع سعر الصرف الرسمي للدولار مقابل التومان إلى (4200 تومان/ دولار) عام 2019.

وبهذا نجد أن علاقة سعر النفط بالدولار لم تؤثر كثيراً على الاقتصاد الإيراني؛ وذلك لارتباط التومان الإيراني بمختلف العملات الأجنبية وليس فقط الدولار، كون تعاملات إيران محدودة مع الولايات المتحدة، إذ لا تمثل الولايات المتحدة سوى (3%) من صادرات إيران و(2%) من وارداتها. وركّز الخطاب السياسي لإيران على الاستغناء عن ربط عملتها بالدولار، وأنها تتجه لتنفيذ عمليات تصدير النفط بواسطة عملات أخرى، وإن كان ذلك تم بشكل إجرائي في بعض الصفقات ولبعض السنوات، إلا أن إيران وجدت نفسها في النهاية مضطرة إلى التعامل بالدولار، لاعتبارات تتعلق بطبيعة الاقتصاد العالمي، الذي يدور في فلك العملة الأمريكية⁽⁵³⁾.

ثانياً: الاعتماد على الصادرات النفطية وتأثرها بأسعار النفط

تعد الصادرات الفتاة الرئيسة لإلغاء أو تقليل حالة تخلف الدخل القومي عن الإنفاق القومي في إطار الحسابات القومية، ويتم ذلك عن طريق دور الصادرات النفطية التي تشكل غطاء للاستيرادات الإيرانية المتزايدة ولا تختلف إيران عن باقي الدول النامية المصدرة للنفط من حيث السلع المصدرة، إذ يعاني هيكل الصادرات اختلالاً كبيراً، إذ كان النفط يسيطر على معظم هيكل الصادرات، ويؤدي دور المحرك لعمليتي النمو والتنمية الاقتصادية، وأن مدى الاعتماد الكبير على سلعة النفط ونسبة ما يسهم به في قيمة الصادرات الكلية، ينتج عن تخلف القطاعات السلعية غير النفطية، وقد أصبح تطور الاقتصاد الإيراني مرهوناً بما تدره عائدات النفط من حجم الصادرات الإجمالية، وهذه الأخيرة أصبحت كذلك مرتبطة بأسعار النفط في السوق العالمية، وبتحسين قيمة الدولار الذي يعد عملة التسديد لهذه المادة⁽⁵⁴⁾.

هناك علاقة طردية بين أسعار النفط والصادرات، كما هو في نسب الصادرات النفطية من مجموع الصادرات الإيرانية، إذ في عقد السبعينيات شهدت الصادرات النفطية ارتفاعاً بارزاً؛ بسبب ارتفاع أسعار النفط عامي 1973-1974، بدأ الإنتاج النفطي بالازدياد عام 1974 إذ بلغت قيمة الصادرات النفطية (20,904 مليون دولار) فكانت نسبة الصادرات النفطية (96,9%) من إجمال الصادرات الإيرانية. إلا أن نسب الصادرات الكلية انخفضت في عقد الثمانينيات؛ بسبب الحرب العراقية الإيرانية وما رافقها من انخفاض في مستويات الإنتاجية لعوامل الإنتاج الأخرى، إذ بدأت الصادرات الكلية بالانخفاض منذ بداية عقد الثمانينيات، فبلغت قيمة الصادرات النفطية (6,361 مليون دولار) عام 1986، أي بنسبة (88,0%) من إجمالي الصادرات الإيرانية، واستمرت الصادرات الكلية والنفطية بالانخفاض حتى عام 1990⁽⁵⁵⁾.

أما عقد التسعينيات فقد شهد تقلبات مستمرة في أسعار النفط سواء بالارتفاع أو الانخفاض، وهو ما كان له أثر مماثل بالنسبة للصادرات في حركة اتجاه سعر النفط وتغيره. فكانت البداية بانتعاش الأسعار، ووصولها إلى ما فوق العشرين دولاراً بعد أن غابت عن هذا المستوى منذ أزمة 1986، فبلغت عام 1991 حوالي (32 دولاراً للبرميل)، وكانت قيمة الصادرات النفطية حينها قد وصلت إلى (15,276 مليار دولار) قياساً بالصادرات غير النفطية التي بلغت (3,385 مليار دولار)، إلا أن مدة الانتعاش لم تدم طويلاً، إذ سرعان ما عادت الصادرات النفطية للانخفاض حتى بلغت أقل مستوياتها أثناء مدة التسعينات عام 1994، حوالي (13,576 مليار دولار)؛ بسبب انخفاض السعر إلى (15,5 دولار للبرميل) مقارنة بقيمة الصادرات غير النفطية التي ارتفعت إلى (5,805 مليار دولار) أي بنسبة (30,15%)، مع تشجيع القطاعات الاقتصادية وتوسيع الدعم الحكومي لها⁽⁵⁶⁾.

لقد اتضح أنه من بين أهم العوامل التي ربطت الاقتصاد الإيراني بالظروف الخارجية هو الاعتماد على إيرادات الصادرات من النفط، وهو ما جعل إيران عرضة للصدمات الخارجية، فقد كان عقدا السبعينيات وثمانينيات القرن الماضي مدة عدم التنوع الاقتصادي وتخلف القطاعات الاقتصادية والاعتماد على النفط؛ وذلك بسبب الظروف السياسية والأمنية التي مرت بها إيران بداية من الثورة الإسلامية ومروراً بالحرب العراقية - الإيرانية، وتأثيرها على الاقتصاد بصورة عامة والمنشأة النفطية خاصة. وبقيت نسبة مشاركة القطاع النفطي عند مستوى (75%) حتى عام 1999، وذلك تزامناً مع انخفاض أسعار النفط التي استمرت بالانخفاض حتى بلغت (17,5 دولار/ برميل)، وبهذا بقي عقد التسعينات يشهد اعتماداً أكبر على الإيرادات النفطية.

ومع بداية عام 2000، ارتفعت أسعار النفط إلى (27,6 دولار/ برميل) فكانت البداية الفعلية لارتفاع الإيرادات العامة، إذ بلغت (28,345 مليار دولار) فارتفعت نسبة الصادرات النفطية إلى (89,63%) مع انخفاض كبير لقيمة إيرادات القطاعات الأخرى التي بلغت (2,952 مليار دولار)، مقارنة بالإيرادات النفطية التي بلغت (28,345 مليار

دولار)، واستمرت نسب الإيرادات النفطية بالارتفاع حتى نهاية عام 2006، إذ بلغت (93,49%) إلا أن هذه النسبة شهدت أكبر انخفاض لها عام 2007، على الرغم من استمرار أسعار النفط بالارتفاع، إذ بلغت قيمة الصادرات النفطية (66,214 مليار دولار)، مع ارتفاع كبير لنسبة الإيرادات غير النفطية التي بلغت قيمتها (32,21 مليار دولار) مع ما شهده الواقع الاقتصادي من تشجيع لباقي القطاعات الاقتصادية وتطويرها. وتضاعفت جهود الساسة الإيرانيين في سبيل تنويع الاقتصاد، عقب تشديد العقوبات الغربية على إيران سواء من الولايات المتحدة الأمريكية أم مجلس الأمن الدولي أم الاتحاد الأوروبي؛ وهذا بسبب برنامجها النووي والصاروخي.

يضاف إلى ذلك أن قيمة الصادرات النفطية الإيرانية تطورت من (56,131 مليار دولار) إلى (114,751 مليار دولار) خلال المدة 2009-2011؛ وذلك لارتفاع أسعار النفط من (61 دولار/ برميل) عام 2009، إلى (107,4 دولار/ برميل) عام 2011، لتعود قيمة الصادرات النفطية إلى (75,023 مليار دولار) ثم (61,923 مليار دولار) في عامي 2012-2013 توالياً.

وقد هبطت صادرات النفط الإيرانية بداية من عام 2012 بنسبة (40%) وذلك حسب ما أقر به وزير النفط الإيراني (رستم قاسمي) أمام لجنة برلمانية، وعزا الهبوط إلى العقوبات الأمريكية والأوروبية المفروضة على بلاده؛ بسبب استمرارها في تطوير برنامجها النووي، إلا أن تأخر ظهور العقوبات كان سببه تزامن تلك العقوبات مع ارتفاع أسعار النفط، بعد ذلك تراجعت قيمة عائدات إيران النفطية بنسبة (45%) في المدة نفسها؛ بسبب انخفاض الصادرات النفطية بمتوسط (1,3 مليون ب/ي) وهذا ما أدى إلى انخفاض الإنتاج بنسبة (20%)، وقد تمكنت إيران من إنتاج ما متوسطه (2,80 مليون ب/ي) عام 2015، وتصدير (750,000 ب/ي) بانخفاض عن نحو مليون برميل في عام 2014، ومنذ عام 2000، لم تكن إيران قادرة على تلبية حصتها الإنتاجية في أوبك البالغة (4 ملايين ب/ي). ومع انتهاء العقوبات أصبحت إيران قادرة على رفع إنتاجها إلى (3,8 ملايين ب/ي) بحلول نهاية عام 2015، وإلى (4,8 ملايين ب/ي) عام 2016، ويمكن لإيران أن تضيف ما لا يزيد عن (300000) إلى (500000 ب/ي) إلى إنتاجها، ولكن هذا الإنتاج لا يتحقق نسبة صادرات عالية؛ بسبب الارتفاع الحاد في الاستهلاك المحلي (57).

التبعية التكنولوجية.

جرت عملية نقل التكنولوجيا من الدول الصناعية المتطورة إلى إيران من دون توفير الشروط اللازمة لعملية اكتساب واستيعاب التكنولوجيا الحديثة، وازدادت التبعية التكنولوجية للغرب؛ كنتيجة لزيادة حجم التعاقدات التكنولوجية لاستيراد المعدات، وافتقدت إيران القدرة على حسن تشغيل المعدات والحصول على قطع الغيار اللازمة، والخبرة البشرية المدربة التي تضمن كفاءة التشغيل (58). كما إن صفقات استيراد إيران للطيران والسفن وتعاقدتها مع شركات أجنبية على إنشاء محطات لإنتاج الكهرباء،

تجعل من إيران سوقاً لاستيراد التكنولوجيا شأنها في ذلك شأن باقي الدول النامية، وكان يتوقع بعد سنوات العقوبات الاقتصادية، أن تكون إيران قد أعدت لهذه المرحلة من إنتاج التكنولوجيا. ومع بداية عام 2017 أعلن عن عقد بين إيران وكوريا الجنوبية، تقوم بموجبه إيران باستيراد (10 سفن تجارية) عملاقة من كوريا، وتقدر قيمة الصفقة بـ (650 مليون دولار). وكانت إيران قد أعلنت عن صفقة استيرادها لطائرات أميركية تصل لنحو (100 طائرة بوينغ) لتطوير أسطولها المدني. وإذا استمر رفع العقوبات الاقتصادية عن إيران دون منغصات أميركية، فسوف تستمر في استيراد العديد من السلع، ولن يتوقف الأمر فقط على الطائرات والسفن، أو استيراد تكنولوجيا إنشاء محطات إنتاج الكهرباء، ولكنه سيضم كافة السلع بما فيها السلع الاستهلاكية⁽⁵⁹⁾. ويعزى التقدم العلمي والتكنولوجي إلى النتائج العكسية للحصار الاقتصادي الذي فرضته الولايات المتحدة الأمريكية ودول الاتحاد الأوروبي على إيران بعد انتصار الثورة عام 1979 مما دفع الشعب الإيراني إلى تحويل الحصار والمقاطعة إلى فرصة للاعتماد على الذات في العديد من الصناعات، إذ وضفت التقدم العلمي في مجال الهندسة لاسيما هندسة صناعة السدود وهندسة الفضاء. أما التقدم العلمي الحاصل في قطاع هندسة الفيزياء النووية فمكثها من أن تصدر هذا التقدم العلمي للآخرين لخدمة التنمية⁽⁶⁰⁾.

1- المديونية الخارجية.

تأثرت حركة الديون الخارجية لإيران بالتطورات السريعة والقوية في أسعار النفط والإيرادات الإيرانية من تصديره التي شكلت العامل الأساس والوحيد في تحقيق الدولة لفائض كبير في ميزان الحساب الجاري في بعض السنوات، إذ تتسم الديون الخارجية الإيرانية بارتفاع حصة الديون قصيرة الأجل، وهو ما يفسر التراجع السريع ثم العودة للارتفاع السريع والعكس بصورة تجعل قيمة الديون الخارجية شديدة التذبذب من عام لآخر تبعاً لسداد الديون قصيرة الأجل أو الحصول على قروض جديدة قصيرة الأجل أيضاً⁽⁶¹⁾. فقد اسهم الارتفاع في اقساط خدمة الدين إلى تراكم الديون الخارجية الإيرانية وسجل ميزان المدفوعات الإيراني عجز قدره (600 مليون دولار) عام 1979 في حين بلغ العجز في ميزانة العامة (5491 مليون دولار) عام 1979 ويعزى هذا العجز إلى الجهود الإيرانية الرامية إلى تنفيذ خطوط تنموية طموحة خلال عقد السبعينات شجعها على ذلك توفير فائض من السيولة من أسواق المال العالمية فضلاً عن توفير مصادر الاقتراض وانخفاض الأسعار الحقيقية لسعر الفائدة. وإمام صعوبة تخفيض الانفاق العام الاستثماري والاستهلاكي وصعوبة خفض العجز في ميزان الحساب الجاري في إيران وعجز القطاع العام الذي اتبع ذلك لجئت إيران إلى الاستدانة من أسواق المال العالمية أساساً لتمويل العجز في الحساب الجاري⁽⁶²⁾.

ومن الطبيعي في ظل تذبذب قيمة الديون الخارجية الإيرانية صعوداً وهبوطاً أن تتذبذب نسبتها من الدخل القومي الإجمالي، إذ ارتفعت من (7,8%) من الدخل عام 1990 إلى (23,9%) عام 1995، وتراجعت إلى (7,6%) عام 2000، وارتفعت إلى

(13,1%) عام 2004 ثم انخفضت الى (16,6%) عام 2005 وواصلت الانخفاض لتبلغ (8,8%) عام 2006 والى (7,7%) عام 2007 ورغم ارتفاع الديون الخارجية في ذلك العام مقارنة بالعام السابق الا ان معدل ارتفاع قيمة الدخل القومي كان اعلى كثيرا من معدل ارتفاع الديون. كما وبلغ مقدار الدين الخارجي الايراني (6,6 مليار دولار) عام 2013, وارتفع الدين الخارجي إلى (8,4 مليار دولار) عام 2017, ومن ثم ارتفع إلى (9,9 مليار دولار) عام 2019⁽⁶³⁾.

المبحث الثالث

تأثير العقوبات الأمريكية الاوربية على الاقتصاد الايراني

تخضع إيران لعقوبات اقتصادية من ثلاثة اطراف الاولى مفروضة رسمياً من الامم المتحدة وعقوبات من جانب واحد مفروضة من الولايات المتحدة الأمريكية وعقوبات من الاتحاد الاوربي, ويعد الجانب الاقتصادي من أبرز المتغيرات المؤثرة في وزن سياسة إيران وفي توجهاتها الخارجية, خاصة وأن العديد من الوحدات السياسية الدولية تستخدم وسائل الضغط الاقتصادي في جعل هذا الجانب ذا تأثير مباشر على السلطة التنفيذية في إيران لتغيير توجهاتها الخارجية, إذ استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية فرض العقوبات الاقتصادية على إيران منذ عام 1980, على خلفية أحداث السفارة في طهران واحتجاز الرهائن, وتضمنت العقوبات تجميد الأرصدة المالية ومنع المعاملات التجارية والاستثمار وفرض غرامات على الشركات الأمريكية التي تخالف قانون حظر التعامل مع إيران, علماً أن عدداً من الشركات الأوروبية وعداداً من دول شرق آسيا كانت قد استفادت من الاستثمار في قطاع النفط الإيراني, ولتحل بدلاً من الشركات الأمريكية. وتأثرت إيران جراء العقوبات الاقتصادية؛ بسبب برنامجها النووي⁽⁶⁴⁾.

وبدأت العقوبات أكثر تأثيراً منذ عام 2006, ومن ثم تم تخفيفها عام 2007, وشدّدت مرة أخرى عام 2012, على خلفية تطوير البرنامج النووي, بعد أن صدرت العديد من القرارات الدولية التي فرضت حظر توريد تكنولوجيا نووية وتجميد بعض الأرصدة من قبل دول الاتحاد الأوربي, مما أدى إلى حدوث إرباك للاقتصاد الإيراني, وأدت العقوبات الاقتصادية الدولية إلى إنهاء الاقتصاد الإيراني, وقطعت مصدراً أساسياً من مصادر تمويل الموازنة الإيرانية, وهي صادرات النفط والغاز, إذ انخفض الإنتاج عام 2012, بنسبة (20%) ومنع الشركات الدولية من العمل والاستثمار داخل إيران, وما ترتب على ذلك من تقادم التكنولوجيا المحلية, وحاجتها للصيانة منذ سنوات, فضلاً عن ارتفاع معدلات البطالة والتضخم داخل الدولة, وهذا ما أثر على انخفاض معدلات النمو وانخفاض في صادرات النفط⁽⁶⁵⁾.

ظهرت علامات تعافي الاقتصاد الإيراني من الركود مؤخراً, مع نمو يقدر بـ(3%) في عام 2014, مقارنة مع نسبة نمو (1,7%) في عام 2013, ويأتي ذلك نتيجة للتخفيف المؤقت للعقوبات المفروضة على صادرات النفط الإيرانية, وسلاسل التوريد في القطاعات الأساسية من الاقتصاد, كما هو الحال في مجال صناعة السيارات ومعاملات البنوك

الدولية، فضلاً عن ارتفاع ثقة المستهلكين والشركات بعد أن أجري الاتفاق الشامل بين إيران ومجموعة الخمسة زائد واحد⁽⁶⁾، ومع رفع العقوبات عام 2016، تأملت إيران بأن يكون ذلك الحل لعودة الاستثمارات والشركات الأجنبية للعمل. وليس لدى الولايات المتحدة وماتضيفه على عقوباتها الفردية لايران سوى تجديد العقوبات على الشركات المتعاملة معها وهو امر قد يؤثر سلبيًا على خيارات ايران في التعامل مع الشركات الدولية، لكنها سوف تجد دائما من لايرتبط بمصالح مهمة مع السوق الامريكية ويرغب في التعامل الاقتصادي مع ايران دون ان يقيم حساب للعقوبات الامريكية الجديدة لكن مثل تلك الشركات سوف ترفع اسعار الخدمات والسلع التي ستقدمها لايران بصورة مبالغ فيها؛ لانه لم يكن امام ايران من خيار سوى التعامل معها وهو ما سيضر بمصالح الاقتصاد الايراني بشكل مؤثر اما العقوبة المؤثرة فعليا وبصورة قاسمة للاقتصاد فتبقى هي الحظر النفطي الشامل الذي لاحتتمله ايران دون وجود منتج كبير لديه طاقة انتاجية احتياطية ضخمة وجاهزة لتعويض غيابه⁽⁶⁶⁾.

المطلب الاول: العقوبات الاقتصادية وتأثيرها على اهم القطاعات الاقتصادية الايرانية قبل الدخول في تفاصيل انواع العقوبات المفروضة على ايران لايد من الوقوف على اهم القرارات التي اصدرتها الامم المتحدة بشأن ايران وخاصة مايتعلق ببرنامجه النووي الذي عد السبب الرئيس لتحجيم قدرة ايران بالشكل الذي يهدد مصالح الدول الكبرى الاقليمية والدولية، حيث تناقش الجمعية العامة للامم المتحدة البرنامج النووي الإيراني بين مدة واخرى ومن خلال المناقشات تم اعتماد القرارات الآتية⁽⁶⁷⁾:

- 1- قرار مجلس الامن الدولي رقم (1696) الذي صدر في 31 تموز 2006 يطالب ايران بوقف جميع الأنشطة المتعلقة باعادة المعالجة والتنشيط استناداً إلى الفصل السابع من ميثاق الامم المتحدة.
- 2- قرار مجلس الامن الدولي رقم (1737) صدر في 23 كانون الاول 2006 يمنع الامداد بالمواد والتكنولوجيا النووية وتجميد اصول الشركات والافراد الرئيسيين المرتبطين بالبرنامج النووي.
- 3- قرار مجلس الامن الدولي رقم (1747) صدر في 24 آذار 2007 فرض حظر على الأسلحة وتوسيع تجميد الاصول المالية الايرانية.
- 4- قرار مجلس الامن الدولي رقم (1803) صدر في 3 آذار 2008 وفرض توسيع تجميد الاصول الايرانية ودعى الدول لمراقبة أنشطة البنوك الايرانية، وتفتيش السفن والطائرات الايرانية، ومراقبة حركة الأفراد المرتبطين بالبرنامج النووي في دولتهم.
- 5- قرار مجلس الامن الدولي رقم (1929) صدر في 9 حزيران 2010 منع ايران من المشاركة في الأنشطة المتعلقة بالصواريخ الباليستية، وتشديد الحظر المفروض على

الاسلحة وفرض حظر على سفر الأفراد المشاركين في البرنامج, وتجميد التمويل والأصول الخاصة بالحرس الثوري الإيراني وخطوط الشحن الإيرانية ومنع تقديم الخدمات المالية المستخدمة في النشاطات النووية⁽⁶⁸⁾.

اولاً: النفط والغاز والبتروكيماويات

لدى الولايات المتحدة الامريكية تأثير كبير على سوق النفط؛ لانها المنتج الثاني عالمياً، ومرشحة خلال مدة زمنية قصيرة لتكون المنتج الاول بمعدل (12 مليون برميل يومياً)، متخطية روسيا التي يبلغ معدل إنتاجها (11,6 مليون برميل)؛ ولان النفط يمثل المصدر الرئيس للدخل القومي في إيران إذ كانت صادرات إيران (2,7 مليون برميل يومياً) قبل توقيع العقوبات وأصبحت بعد الرابع من نوفمبر (1,1 مليون برميل يومياً)⁽⁶⁹⁾ فقد صممت الولايات المتحدة الامريكية عقوباتها لحرمان إيران من عوائد هذا المورد الحيوي, ليس هذا وحسب بل ان الولايات المتحدة الامريكية من خلال التعاون مع حلفائها يمكن ان تضمن استقرار سوق النفط من خلال تعويض اي نقص في السوق نتيجة لخروج النفط الإيراني بعد توقيع العقوبات على قطاع الطاقة ب- تخفيض الاسعار من خلال زيادة المعروض في الاسواق ولهذا الدور اهمية في نجاح او فشل الاستراتيجية الامريكية اتجاه إيران⁽⁷⁰⁾.

تمثل العقوبات النفطية ركيزة مهمة في استراتيجية الضغوط القسوى التي تتبناها ادارة ترامب, ومنذ دخول العقوبات على قطاع الطاقة في الرابع من نوفمبر عام 2019 حيز التنفيذ وفي مدة تمتد الى ستة اشهر كانت محط اختبار ومراجعة من الادارة الامريكية لتحديد مساحات الحركة المتاحة والخيارات الممكنة وبقدر ماينظر البعض الى ان الاستثناءات التي منحتها الولايات المتحدة لثمان دول باستيراد النفط الإيراني لمدة ستة اشهر تعكس ضعفاً في احد عناصر الاستراتيجية فأن هذه الاستثناءات على العكس تمت من خلال الحوار والتفاهم مع هذه الدول, وهذا له دلالاته فضلاً عن ان بعضها يعد من حلفاء الولايات المتحدة الامريكية الذين يمكن احتوائهم, كما ان هذه الاستثناءات تمت ضمن اتفاق ونقاش حول واردات هذه الدول من النفط الإيراني خلال مدة الاستثناء, وهو مايعني ان الولايات المتحدة الامريكية تملك الضغط على هذه الاطراف باستثناء روسيا والصين او مساعدتها في ايجاد بدائل خلال مدة السماح⁽⁷¹⁾.

حظرت القوى الدولية استثمارات الشركات العالمية في قطاع النفط والغاز الطبيعي الإيراني, بالإضافة لحظر استيراد المنتجات النفطية, ويستثنى من استيراد النفط والغاز الطبيعي بعض الدول الأوروبية والآسيوية. وإزاء نهج يبدو شاملاً للعقوبات, تعرض الاقتصاد الإيراني لاستنزاف حاد, وأثقل بأعباء مالية كبيرة, لم يستطع التكيف معها

لاحقاً، وكان التدهور الاقتصادي أحد الأسباب الرئيسية الدافعة للمفاوضات التي بدأتها إيران مع القوى الدولية، ومن المعلوم أن إيران من الدول الغنية بالنفط، ويشكل النفط ما يقرب من نصف إيراداتها، ونسبة تتراوح ما بين (60-70%) من الصادرات. ومع الحظر الأمريكي والأوروبي لصادرات النفط الإيرانية، تقلص قدرتها التصديرية بما يقارب النصف، ووصلت حجم الصادرات إلى (1.06 مليون برميل يومياً) خلال العام المالي 2010-2011. كما واجه قطاع النفط والغاز الطبيعي الإيراني نقصاً في الاستثمارات والتكنولوجيا الملائمة لتطويره، ولم يكن بمقدور الشركات الأجنبية دخول السوق الإيراني، إذ حظرت العقوبات الأمريكية والأوروبية ضخ استثمارات بقطاع النفط والغاز الطبيعي؛ لذا تضاعلت قدرات الإنتاجية لكلا من منشآت النفط والغاز الطبيعية. وترتب على ضعف أداء القطاع النفطي الإيراني، انكماش الاقتصاد الإيراني خلال السنوات الماضية، وسجل الناتج المحلي الإجمالي الإيراني نمواً سلبياً بنحو (6.6% و 1.9%) خلال عامي 2012/2013 و 2013/2014 على التوالي.

ولم ينجح القطاع غير النفطي بدوره من تأثيرات العقوبات الدولية، مسجلاً انكماشاً أيضاً بنسبة 0.9% خلال نفس الفترتين السابقتين، وذلك نظراً للعلاقة الارتباطية بين القطاع النفطي والقطاعات الأخرى. وإزاء تزايد أعباء الموازنة، شرعت الحكومة الإيرانية منذ نهاية عام 2010 في تنفيذ إصلاح رئيس لنظام الدعم غير المباشر الخاص بالسلع الأساسية كمنتجات النفط والمياه والكهرباء والخبز منذ نهاية عام 2010، وحل محله برنامج تحويلات نقدية مباشرة إلى الأسر الإيرانية، لذا انخفض نسبة الدعم من (27%) من الـ GDP في عام 2007-2008، إلى (1.3%) في الوقت الراهن، بحسب تقديرات البنك الدولي. ولم تسلم الأوضاع المعيشية من هذا الإجراء، تضاعف معدل التضخم منذ عام 2011 من نحو 12.4% قبل تطبيق إصلاح الدعم، إلى 32.7% خلال عام 2013-2014.⁽⁷²⁾

أما قطاع البتروكيماويات فقد استفادت صناعة البتروكيماويات من وفرة الموارد الطبيعية بإيران، وتبلغ الطاقة الإنتاجية للدولة من الإيثيلين أكثر من (7 ملايين طن متري سنوياً)، أي ما يقل قليلاً عن (5%) من إجمالي الطاقة العالمية، وتعد إيران ثاني أكبر منتج ومصدر للبتروكيماويات في منطقة الشرق الأوسط، بعد السعودية. وفي السنوات الأخيرة، كانت إيران لاعباً رئيسياً على الساحة العالمية في تصدير البولي إيثيلين والميثانول، وبلغ حجم صادراتها ما بين (1-1.5 مليون طن) على التوالي.⁽⁷³⁾

بمقدور إيران أن تلعب تؤدي رئيسياً في تحديد أسعار منتجات البالستيك مثل البولبيستر والزجاجات والمذيبات مثل الدهانات ومواد التنظيف، وبالنسبة لوجهة صادراتها من المنتجات البتروكيمياوية، فلا تكاد تختلف كثيراً عن وجهات صادرات النفط، إذ تتوجه إلى الصين والعراق والامارات العربية المتحدة والهند وأفغانستان، وتكشف بيانات الجمارك الصينية عن أن وارداتها من البولي إيثيلين من إيران تضاعفت خلال المدة الماضية، فضلاً إلى ذلك تستورد تركيا كميات كبيرة من إيران، وترجح تقديرات مؤسسة بالتس العالمية أن إيران سيكون بمقدورها مع إلغاء العقوبات الدولية زيادة إنتاج البولي إيثيلين بنحو (3 مليون طن سنوياً) خلال العشر اعوام القادمة، وربما يرتفع إلى (8 مليون طن)، وتذهب خطط حكومية إيرانية لزيادة طاقتها الانتاجية من الميثانول إلى (32 مليون طن سنوياً)، خلال العشر أعوام المقبلة⁽⁷⁴⁾.

ثانياً: واقع الصادرات غير النفطية السلعية واثر العقوبات الاقتصادية
تصنف الصادرات غير النفطية في إيران إلى ثلاث مجاميع، الأولى تشمل السلع الزراعية والثانية تضم السلع المصنعة يدوياً والتحفيات وأخيراً المجموعة الثالثة والتي تضم السلع الصناعية، وبلغت قيمة صادرات إيران من السلع والخدمات (105 مليار دولار) منها (53 مليار دولار) نفطية عام 2017، وبذلك يكون متوسط موارد الصادرات للفرد (1290 دولار) وهو منخفض لا يكفي لتمويل المستويات المرغوبة من الاستيرادات للاستهلاك والاستثمار، مع ان الاقتصاد الإيراني قد تكيف للاكتفاء بمثل هذه المقادير من العملة الاجنبية. ونتيجة لذلك التكيف حقق فائضا في الحساب الجاري لميزان المدفوعات الخارجية بنسبة (4.1%) و(3.9%) من الناتج المحلي لعامي 2017-2018 وبالارقام المطلقة بينت النشرة الاقتصادية للبنك المركزي الإيراني ان فائض الحساب الجاري (15.8 مليار دولار) وفائض الميزان التجاري (22.6 مليار دولار) لآخر سنة، وتتجه صادراتها من غير النفط الخام نحو التزايد في الاعوام الاخيرة. وقد أعتاد الاقتصاد الإيراني على تذبذب في موارد الصادرات في سنوات حرب الثمانينيات؛ وتكرار التغيرات الحادة في اسعار النفط والعقوبات الاقتصادية. وارتفعت الصادرات الإيرانية غير النفطية من الـ GDP في 2012 - 2013 إلى (10%) من الـ GDP في 2018 - 2019⁽⁷⁵⁾.

كادت إيران أن تتجاوزت مشكلات مرحلة التعثر التي شهدتها بين عامي 2006 - 2015، وتواصل العمل في البيئة الدولية لولا النقص الأمريكي للاتفاق النووي، وربما تنجح في تنمية الصادرات غير النفطية، وتنتفع من زيادة اسعار النفط ليعمل اقتصادها مع فائض في الحساب الجاري لميزان المدفوعات يعادل (5%) من الناتج المحلي وتراكم

احتياطات دولية تضمن لها استدامة اطول. وبموازاة هذا المسار وبصرف النظر عن العقوبات تبقى الضغوط التضخمية مستمرة بسبب محدودية الطاقة الانتاجية الكلية التي تحتاج الى توسيع الاستثمار، للوصول بها الى المرونة الكافية في الاستجابة لمستويات متزايدة من الطلب. ومن المتوقع ان تضيف العقوبات، واصرار امريكا على محاصرة إيران في صادراتها واستيراداتها، مشكلات اخرى وتوسع فجوات الاختلال في اسواق الصرف والسلع، ومهما نجحت السياسات الاقتصادية في مقاومة هذه الضغوط يتكبد الاقتصاد الإيراني خسائر تنموية. وقد كانت الصادرات النفطية عام 2015 في نطاق (49%) من حجمها لعام 2019⁽⁷⁶⁾.

ولكي تقاوم الحكومة الإيرانية العقوبات الأميركية اضطرت لتطبيق سياسات اقتصادية تقشفية من جهة، والاعتماد على الصادرات غير النفطية الواقعة تحت العقوبات الأميركية من جهة أخرى. وفي هذا السياق اضطرت الحكومة الإيرانية إلى رفع أسعار الصرف وفتح المجال أمام غلاء الأسعار كي يعود المجتمع الإيراني الذي تعود على حياة استهلاكية إلى حياة تقشف. وعبر هذه السياسة تستطيع أن تخفف من عبء حاجتها إلى العملة الصعبة لاستيراد البضائع من جهة، وتقوية الإنتاج الداخلي وتخفيض الإنفاق العام للحكومة من جهة أخرى. وعبر اعتمادها هذه السياسة، استطاعت الحكومة الإيرانية تعزيز صادرات البضائع الإيرانية إلى الخارج، خاصة إلى دول الجوار وتغطية عجز صادراتها النفطية. وتعول إيران على الاستمرار في تصدير بضائعها بشكل غير رسمي عبر الالتفاف على العقوبات الأميركية، فأذا ان الكثير من التجار في العالم يعملون بالمخاطرة للحصول على أرباح كبيرة عبر تهريب النفط والمنتجات الإيرانية إلى الأسواق الدولية. وعليه فإن سياسة إيران الاقتصادية ستتحول من سياسة تصدير رسمي للبضائع الموجودة على لوائح العقوبات الأميركية، إلى زيادة التصدير غير الرسمي لهذه البضائع والتعامل بالعملة المحلية أو العودة بثمن هذه البضائع نقداً.

المطلب الثاني: العقوبات المالية والنقدية

يؤدي القطاع المالي دوراً مركزياً في استراتيجية نمو الاقتصاد الإيراني، وعقب سقوط نظام الشاه في سبعينيات القرن العشرين وافق البرلمان الإيراني على إصدار قانون الخدمات المصرفية الخالية من الفوائد، عام 1983، الذي أجبر البنوك على إعادة هيكلة أعمالها، ليجعل المنتجات المالية متوافقة مع الشريعة الإسلامية، وقد اكتسبت سوق طهران للأوراق المالية أهمية في استراتيجية الحكومة لتعزيز اقتصاد، واصبحت أكثر توجهاً نحو السوق وتعبئة رأس المال الخاص.

ويتكون القطاع المصرفي الإيراني من (26 مؤسسة)، تنخرط تحت أربعة فئات رئيسية: بنوك حكومية عامة، وبنوك حكومية متخصصة (الزراعة، والإسكان، التصدير

والتعدين، والصناعة)، (وبنوك خاصة صغيرة نسبياً، وبنوك كبيرة تمت خصصتها، وقد تم السماح بدخول القطاع الخاص البدء في النشاط المصرفي منذ عام 2000، وتم منح (6 تراخيص) في البداية، ثم منحت (10 رخص) أخرى، وحتى الوقت الراهن مازال تسحوذ على حصة بالسوق تتراوح ما بين (10-15%)⁽⁷⁷⁾، وبجانب القطاع المصرفي، تقدم العديد من منات الاتحادات الانتمائية ومؤسسات التمويل الأصغر، الخدمات المالية غير المصرفية. ويشير صندوق النقد الدولي أن هناك نحو (7000) مؤسسة غير بنكية إيرانية، النشاط منها نحو (5000) مؤسسة فقط (3500) مؤسسة متخصصة في التمويل الأصغر، و (1500) اتحادات انتمائية)، ويبلغ إجمالي أصولها (60 مليار دولار) في عام 2010، أي ما يقارب (15%) من الناتج المحلي الإجمالي وقتها، هذا ويضم هكيل القطاع المالي عدد من المؤسسات المالية غير المصرفية الأخرى (2 بنك استثمار) و (110 شركة سمسرة) و (48 شركات استثمار)، و (100 شركة تأجير تمويلي)، بجانب ما يتراوح ما بين (1000-1500) شركات تحويل الأموال⁽⁷⁸⁾.

أما سوق الأوراق المالية، فمع زيادة استثمار المستثمرين (الأفراد والمؤسسات) في سوق طهران للأوراق المالية، أصبحت تضم أكثر من (420 شركة) في الوقت الراهن، وقد وافق البرلمان الإيراني على قانون الأوراق المالية الجديد عام 2005، وارتكز القانون على زيادة عمليات الإفصاح والشفافية، وبموجب القانون الجديد يعتبر مجلس الأوراق المالية والبورصة وهيئة الأوراق المالية والبورصات الجهات الإشرافية والتنظيمية للبورصة الإيرانية⁽⁷⁹⁾.

وقد تأثر أداء البورصة الإيرانية كثيراً؛ بسبب العقوبات الدولية. وبنهاية ديسمبر 2014، بلغت قيمة الرأسمال السوق نحو (116.638 مليار دولار)، نزولاً بما نسبته (48.2%) عن ديسمبر 2013، وكان سوق الأوراق المالية الإيرانية قبل العقوبات، شهد زخماً كبيراً، إلى حد ما جعل المحليين، يتخوفون من حدوث فقاعة مالية، حيث ارتفع المؤشر الرئيسي TEPIX نحو (200%) خلال المدة من إبريل 2009 وحتى إبريل 2011، مما أثار مخاوف بشأن حدوث فقاعة. وتدل مؤشرات البورصة الإيرانية على تراجع كبير، إذا انخفض مؤشر TEPIX بنحو (21.13%) بنهاية ديسمبر 2019 مقارنة بنهاية 2013، ليصل إلى (68973 نقطة)⁽⁸⁰⁾.

وتكتسب العقوبات التي تمارسها الولايات المتحدة على التعاملات المالية الإيرانية قوتها من القدرة الأمريكية الهائلة بالسيطرة على حركة الاموال والتعاملات المالية دولياً بفعل قوة ومكانة الدولار الأمريكي، كما ان القانون الأمريكي يخول الرئيس ترامب فرض عقوبات على جمعية الاتصالات المالية العالمية بين المصارف، وفي حال

رفض هذه الجمعية فصل البنوك الايرانية عن التعاملات المالية الدولية يستخدم الرئيس صلاحياته التنفيذية لوضع أعضاء مجلس إدارة وكبار مسؤولي البنك المركزي الاوربي وبنك الاستثمار الأوربي والبنوك المركزية الوطنية ضمن قائمة الجزاءات الامريكية⁽⁸¹⁾. كما انهى العديد من البنوك الاوربية الكبرى علاقتها التجارية مع ايران وهذا اثر سلبياً على العلاقات التجارية والاستثمارية بين ايران واوربا, وحتى عام 2005 كان حجم التبادل التجاري بين ايران والاتحاد الاوربي في ارتفاع مطرد, ولكن تظهر البيانات انخفاضاً في عامي 2006 و2007 وفي عام 2008 وخاصةً بعد ان رفضت ايران عرض الحوافز الاقتصادية من (مجموعة 1+5) صعبت الحكومات الاوربية عقوباتها الاقتصادية والمالية ضد ايران ورداً على الصعوبات التي تواجه التجارة مع اوربا وتحسباً لتدهور الأوضاع الاقتصادية حولت ايران التوجه الاقتصادي نحو روسيا وآسيا, ودول التعاون الخليجي فارتفع حجم التجارة الايرانية مع آسيا اذ استحوذت على حصة كبيرة من سوق الاستيراد الايراني على حساب اوربا, كما ووضعت وزارة الخزانة الامريكية ضغوطاً متزايدة على المؤسسات المالية لكل من آسيا ودول مجلس التعاون لقطع معاملاتهم التجارية مع المؤسسات المالية والصناعية والايرانية وحيث ان العديد من البنوك قد خفضت معاملاتها مع ايران وهذا خلق صعوبات للمستوردين الايرانيين⁽⁸²⁾.

استهدفت سلطة وزارة الخزانة الأمريكية الشركات الإيرانية كشرركات الشحن الوطنية وشركات الطيران والتأمين ومنظمة الطاقة الذرية التي كانت ضمن قائمة العقوبات التي وقعت في الرابع من نوفمبر عام 2008, فضلاً عن الشركات التي يملكها ويتحكم بها الحرس الثوري وصناعة الدفاع الايرانية وتمثل هذه القطاعات نحو (20%) من إجمالي القيمة السوقية لبورصة طهران المالية. وفرضت وزارة الخزانة الامريكية عقوبات على مجموعة الشركات التابعة للمرشد علي خامنئي التي تبلغ ميزانيتها (200 مليار دولار) بما في ذلك الصناديق والمؤسسات الخيرية, واستخدم ترامب صلاحياته التنفيذية لاستهداف الشركات التي يملك فيها الحرس الثوري الإيراني حصة, وقد توسعت العقوبات لتشمل صناعات التعدين والبناء والهندسة واي قطاع آخر ذا أهمية استراتيجية⁽⁸³⁾.

ويمكن للولايات المتحدة فرض عقوبات تشمل الكيانات كافة من الدول والمؤسسات والشركات والافراد الذين يخالفون برنامج العقوبات الامريكية فقبل ان تدخل العقوبات حيز التنفيذ خرج العديد من الشركات الكبرى من السوق الايرانية تحت تأثير التهديدات الامريكية, بل عجزت دول كالاتحاد الاوربي عن توفير بديل بالتبادل المالي عن الجمعية العالمية (سوفيت) يوضح حجم تلك القدرة التفاهات التي دخلت فيها تمانى دول رئيسة مستوردة للنفط الايراني في مفاوضات مع الولايات المتحدة الامريكية باستثنائها لمدة ستة

اشهر، فضلاً عن التزام دول اخرى وقف وارداتها من النفط الايراني وخروج شركات اخرى من السوق الايرانية بعد ما رفضت الولايات المتحدة منحها استثناء لاستمرار عملها، كشركة توتال التي اضطرت إلى بيع نصيبها في حقل بارس النفطي. وعلى الرغم من المسارات المتعددة للعقوبات الاقتصادية المفروضة على إيران، ظلت إيران كأحد أهم اقتصادات منطقة الشرق الأوسط، إذ تبوأ المرتبة الثانية كأكبر اقتصاد في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بعد المملكة العربية السعودية (84).

المبحث الثالث

الاصلاح الاقتصادي في ايران وخطط التنمية الاقتصادية

منذ ثمانينيات القرن العشرين بدأت إيران تعاني من مشكلات اقتصادية؛ بسبب انخفاض عائدات النفط على خلفية انخفاضها في الأسواق العالمية منذ عام 1984 فضلاً عن الحرب مع العراق، وأدى تراجع عائدات النفط وانخفاض قيمة العملة إلى تراجع واردات المواد الخام؛ ومن ثمّ تراجع الإنتاج مسبباً تراجعاً في العرض الكلي مقابل ثبات أو ازدياد الطلب الكلي، فجاء تركيز سياسات الاصلاح الاقتصادي حول خمسة محاور تم فرضها من قبل صندوق النقد والبنك الدوليين. شملت بعض التعديلات على الموازنة الحكومية وميزان المدفوعات وزيادة الاعتماد على الادوات النقدية غير المباشرة والغاء القوانين التي تعرقل حرية عمل الاسواق فضلاً عن البدء بتطبيق الخصخصة. المطلب الاول: الاصلاح الاقتصادي وآليات تشجيع الصادرات غير النفطية.

لقد تباطئت خطوات الإصلاح في ظل حكومة الرئيس محمد خاتمي الذي بادر إلى تطبيق الاصلاحات بصورة جذرية، لكن نتيجة لزيادة عدد الفقراء ومخاوف المؤسسة الدينية من الانفتاح المتزايد على الدول الغربية وثقافتها المخالفة لتعاليم الشريعة الاسلامية بدأ أعضاء البرلمان وبالتنسيق مع المؤسسة الدينية بعرقلة المشاريع التي يروم الرئيس خاتمي تطبيقها.

اولاً: الاصلاحات المالية

تتبع أهمية السياسة المالية للدولة والاصلاحات المالية من كونها أداة مهمة لتحقيق أهداف الاقتصاد الكلي من زيادة معدلات النمو أو خفض معدلات التضخم والبطالة وزيادة معدلات التشغيل والاستثمار. ومن اهم اهداف السياسة المالية واصلاحاتها الآتي:

1- تخفيض عجز الميزانية العامة.

تُعد الإصلاحات في جانب الميزانية العامة والمتمثلة بخفض عجز الميزانية جزءاً رئيساً في مسيرة الإصلاحات الاقتصادية، إذ كان يتم تأمين العجز المالي في إيران قبل تطبيق سياسات الإصلاح الاقتصادي من المصادر المحلية وتحديدًا البنك المركزي الإيراني ولم يكن باستطاعة إيران تأمين هذا العجز المالي من النظام غير المصرفي؛ وذلك لعدم

تطور أسواق المال في إيران, فضلاً عن عدم إمكانية الوصول الى أسواق المال الدولية ومحدودية الاقتراض من الخارج الى قيام الحكومة بتمويل عجز الميزانية بالاعتماد على عملية الاقتراض من النظام المصرفي المحلي, فقد بلغ حجم العجز بعد اتباع سياسية تخفيض عجز الميزانية إلى (9,6 مليار دولار) عام 2018⁽⁸⁵⁾.

2. إصلاح النظام الضريبي

استهدف إصلاح النظام الضريبي زيادة الإيرادات المتأتية من الضرائب ومن ثم زيادة الطاقة الضريبية، أي زيادة نسبة الضرائب الى الناتج المحلي الإجمالي. ولزيادة هذه النسبة عمل النظام الضريبي على تهيئة وتشجيع الاستثمار وتطوير سوق رأس المال وخلق فرص عمل جديدة وإعادة توزيع الدخل لصالح الطبقات الفقيرة والمتضررة في المجتمع كالعاطلين عن العمل والمعاقين والإسهام في تحقيق التنمية المتوازنة وتحقيق الرفاهية العامة لأفراد المجتمع كافة⁽⁸⁶⁾. أدت ضآلة الإسهام النسبي للضرائب إلى قيام الدولة بإصلاح النظام الضريبي خلال العقود الأربعة الأخيرة من خلال الآتي:-

أ- تقليص الإعفاءات الضريبية: يفترض أن يتم تقليص الإعفاءات الضريبية لكن لم يحدث ذلك على أرض الواقع؛ إذ حصلت بعض الاستثناءات لصالح القطاع الزراعي والتعاونيات وبعض منشآت القطاع العام والمواد الغذائية واستيرادات المؤسسة العسكرية⁽⁸⁷⁾. هذه الاستثناءات تعني ان النظام الضريبي الجديد متحيز لصالح القطاع العام وبعض الأنشطة في القطاع الزراعي.

ب- الشفافية وتبسيط القوانين الضريبية: وضعت العديد من القوانين والتعليمات غير الواضحة والتي كانت تحتمل أكثر من تفسير, وهذه القوانين كانت تخص الإعفاءات الضريبية والأسعار الضريبية المختلفة. ونتيجة لعدم وضوح هذه القوانين حصلت العديد من المخالفات التي أدت الى توفير كم هائل من الدعاوى القضائية في المجال الضريبي ولعدم توفر الامكانيات الادارية والقضائية تم الغاء بعض الضرائب كالضرائب السنوية المفروضة على بعض الاراضي غير الصالحة للزراعة.

ج- إصلاح وتعديل الأسعار الضريبية: لقد اجريت بعض التعديلات في القوانين الضريبية. إذ تم تخفيض الضرائب على ارباح الشركات من (40%) الى (25%) وتم تخفيض الاسعار الضريبية الخاصة بمعاملات البيع من الباطن من (12% الى 5%)⁽⁸⁸⁾.

ثانياً: إصلاح القطاع المصرفي

تعرض النظام المصرفي الإيراني بعد عام 1979 إلى تحولات جذرية, إذ كان النظام المصرفي يضم (36 مصرفاً) تعود ملكية (8 مصارف) للقطاع العام و(28 مصرفاً) للقطاع الخاص. (13 مصرفاً) منها كانت للقطاع الخاص الأجنبي و(15 مصرفاً) كانت تابعة للقطاع الخاص الإيراني. وبلغت نسبة إيداعات القطاع الخاص لدى المصارف

الخاصة (47%) من مجموع الإيداعات الكلية، وبعد عام 1979 تم تأمين جميع المصارف الخاصة وأصبحت خاضعة لسيطرة الدولة. إذ تكون النظام المصرفي في إيران من البنك المركزي الإيراني وستة مصارف تجارية والتي تمتلك (11000) فرع محلي و(62) فرع أجنبي، وأربعة مصارف متخصصة تمتلك (2000) فرع. ويضاف لهذه المجموعة من المصارف بعض المؤسسات المالية غير المصرفية وشركات التأمين وبعض المجاميع الاستثمارية والتي تعود ملكيتها إلى الدولة⁽⁸⁹⁾.

وكانت هذه المصارف وفروعها تدار من قبل السلطة المركزية من خلال توجيه الأوامر الإدارية لها كي يتسنى لها ممارسة أعمالها اليومية. وكانت القرارات الإدارية تتحكم بآلية منح القروض وتوجيهها لصالح بعض القطاعات أو المجاميع، وخير مثال على ذلك المادة (33) من قانون الموازنة العامة في إيران عام 1980، إذ حددت هذه المادة آلية منح القروض التي يجب أن تعتمد المصارف الإيرانية⁽⁹⁰⁾. يقوم البنك المركزي بصورة مباشرة أو من خلال المصارف التجارية بإعطاء القروض بغية تشجيع الإنتاج الصناعي والزراعي وبناء المساكن والأبنية المختلفة وتطوير المشاريع الاستثمارية الأخرى وتشجيع وتشغيل المصانع الإنتاجية ومراكز الإنتاج الأخرى وتطور القطاع الزراعي. ويتم التركيز في إعطاء هذه القروض إلى القطاع العام والمعاقين ورجالات الحرس الثوري فضلاً عن الفقراء، والعمولة التي تحصل عليها المصارف من جراء منح هذه القروض يتم تحويلها إلى خزانة الدولة⁽⁹¹⁾.

لقد تم تطبيق قانون المصارف اللاربية في عام 1984 وأصبح التعامل بسعر الفائدة ممنوعاً لأنه يُعد من المحرمات وهذا جعل من المصارف وكلياً تعمل بالنيابة عن المدخرين، أي أن المصرف لم يعد صاحب الأموال ومن ثم لا يحصل على الأرباح وتكون الأرباح من حصة المدخرين، وأصبح عمل المصارف اللاربية يعتمد على تجميع المدخرات من المواطنين واستثمارها بالنيابة. ونتيجة لزيادة التدخل الحكومي في النظام المصرفي وعدم وجود مصارف تابعة للقطاع الخاص تم إهمال مسألة التنافس في النظام المصرفي مما اثر ذلك على نوعية الخدمات المصرفية وزيادة رداؤها. فضلاً عن تأكيد العمل بقانون المصارف اللاربية منذ عام 2000 إذ أصبح المصدر الوحيد لربح المصارف هو العمولة التي تتقاضاها المصارف وهي بنسبة (2.5%-3%)⁽⁹²⁾.

إن عمل النظام المصرفي كان يدار بواسطة القرارات الإدارية المركزية؛ لذا اضطر القائمون على عمل المصارف تعميم واتخاذ بعض الخطوات الإصلاحية في هذا المجال نذكر منها الآتي⁽⁹³⁾:-

أ- أن تتخلى المصارف التجارية تدريجياً عن منح القروض الموجهة وبنسبة (10%) سنوياً. وان تستخدم المبالغ التي تتوفر لديها جراء تطبيق هذا الأمر في المشاريع ذات الربحية المقبولة.

ب- العمل على زيادة رأس المال المصرفي؛ لذلك خصصت الدولة مبلغاً قدره (5000 مليار ريال إيراني) لزيادة رأس المال للمصارف التجارية.

ج- محاولة جعل النظام المصرفي أكثر تنافسية وذلك من خلال إصلاح النظام المصرفي من حيث الإدارة واعطاء حرية أكبر لمدراء المصارف في اتخاذ القرارات اليومية المختلفة.

د- السماح بتأسيس المصارف الخاصة.

في ضوء الفقرة الخاصة من التعديلات الإصلاحية تم في عام 1999 السماح لمجموعة كارآفرين وهي مؤسسة غير مصرفية بمزاولة أعمالها برأس مال قدره (30 مليار ريال إيراني). وفي عام 2001 تم تحويل هذه المؤسسة إلى مصرف خاص باسم مصرف كار آفرين برأس مال قدره (200 مليار ريال إيراني). ومن ضمن الاهداف المعلنة لهذا المصرف الخاص نجد تطوير نشاط القطاع الخاص وزيادة الاعتماد على مبدأ المنافسة. واستطاع هذا المصرف أن يحصل على قرض بقيمة (30) مليون دولار أمريكي من البنك الدولي بهدف تاجير وتمليك بعض المعدات الثقيلة إلى شركات القطاع الخاص. وادى التطور الكبير في اسواق المال العالمية والنظام المصرفي العالمي إلى اتساع الفجوة بين أسلوب عمل النظام المصرفي في إيران والنظام المصرفي العالمي⁽⁹⁴⁾، وهذا يعني ابتعاد المصارف الإيرانية عن الامتيازات التي من الممكن الحصول عليها جراء المشاركة في النظام العالمي المتضمن تحرير حساب رأس المال والذي يفترض أن يتم تهيئة البيئة المناسبة التي تتضمن (تحرير اسواق رأس المال المحلية، وترك الحرية لآلية العرض والطلب من خلال السوق لتحديد سعر الفائدة، وتخفيض معدلات التضخم، والسيطرة على عجز الميزانية العامة)⁽⁹⁵⁾.

ثالثاً: الإصلاحات التجارية

اعتمدت إيران على سياسة الحماية التجارية منذ عام 1979 وفرضت الدولة سيطرتها القوية على قطاع التجارة مع اشراف متزايد على هذا القطاع وشملت الاجراءات في مجال التجارة الخارجية جوانب عدة منها منع استيراد بعض السلع وتقليل الاستيراد من السلع الأخرى باستخدام نظام الحصص والتعرفة الجمركية ومنح أجازات الاستيراد، ويمكن تناول اهم السياسات التجارية ومراحل تطورها في ايران كالاتي:

1- سياسة الحماية التجارية

اصبحت الدولة تسيطر على التجارة الخارجية بعد عام 1979 وذلك بعد أن مهدت المادة (44) من الدستور في جمهورية إيران الإسلامية الطريق لهذه السيطرة. وفي عام 1930 صدر قانون تنظيم واحتكار التجارة الخارجية ونصت المادة (1) من ذلك القانون على الآتي:-

" يتم احتكار التجارة الخارجية في إيران من قبل الدولة وتقوم الدولة باستيراد السلع والمنتجات المختلفة وتصدير مايمكن تصديره من السلع والمواد الطبيعية والصناعية وتقوم الدولة أيضاً بتحديد الكميات المقرر استيرادها وتصديرها ". وامتداداً لهذا الاتجاه تم تشكيل المراكز الوطنية لهيئة وتوزيع السلع من قبل وزارة التجارة في عام 1980 وكان الهدف المطلوب تحقيقه من وراء هذه المراكز الرقابة المستمرة على الاستيرادات وكيفية توزيعها حسب استخداماتها المتنوعة ومحاولة منع تهريب العملة الأجنبية⁽⁹⁶⁾.

وفي عام 1981 ونتيجة لتفاقم المشكلات المتعلقة في سوق النفط العالمية والحصار الاقتصادي المفروض على إيران من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وتزايد أسعار الاستيرادات تم تشكيل لجنة مركزية في وزارة التجارة بهدف تخصيص العملة وبأسعار الصرف الرسمية لاستيراد أكثر السلع أهمية للاقتصاد آنذاك. ونتيجة لفشل مراكز هيئة وتوزيع السلع واللجنة المركزية لتخصيص العملة تم تشريع قانون تأميم التجارة الخارجية⁽⁹⁷⁾ وصادق عليه مجلس الشورى الإيراني (البرلمان) وارسل القانون إلى (مجلس صيانة الدستور) ولكن تم رفضه للمرة الأولى في عام 1981 وعند إعادة المحاولة مرة ثانية في عام 1983 تم رفضه بصورة نهائية أيضاً. واعتمدت إيران على تطبيق سياسات الحماية التجارية فيما يتعلق بالاستيرادات وكانت النتائج المترتبة على اتباع هذه السياسة ارتفاع مستمر في الأسعار وتردي متزايد في نوعية السلع المنتجة⁽⁹⁸⁾.

اتخذت وزارة التجارة الإيرانية عام 1990 قراراً برفع التعرفة الجمركية على كل من القماش المستورد من (300%) إلى (900%) وعلى التلفاز الملون من (170%) إلى (500%). وفي المقابل هناك ما يقارب إلى (200) الف سلعة مختلفة لا تتعامل إيران بنسبة كبيرة معها⁽⁹⁹⁾. إذ لا تستورد إيران سوى (10الاف) سلعة فقط. وهذا يدل على مركزية القرارات الادارية للتجارة الخارجية واستخدام القوانين المختلفة لمنع استيراد معظم انواع السلع وبمبررات مختلفة بدءاً من تحريم استيراد بعض السلع من الناحية الشرعية وصولاً إلى حماية الصناعة المحلية بهدف زيادة الاستخدام وتقليل معدلات البطالة⁽¹⁰⁰⁾.

ان تدخل الدولة في الاقتصاد الإيراني يتم تبريره بهدف تهيئة البيئة المناسبة لعناصر الإنتاج لكي تعمل بكفاءة أكثر لكن لم تتدخل الدولة في إيران بالأسلوب الصحيح بل تحيزت لصالح بعض الفئات التي لم تسهم في تطوير الاقتصاد الإيراني, كما وأن هذه الصناعات بدأت ناشئة واستمرت وظلت ناشئة بعد عقود عدة بل تزايدت حاجتها لحماية الدولة ولاستيراد المواد الأولية والوسيطة ولم تتمكن هذه الصناعات من تقديم أنموذج تجاري مناسب بعد مضي سنوات طويلة من الحماية الحكومية (101).

2- مرحلة التحرير التجاري

مع بدء الخطة التنموية الأولى 1989-1993 حظيت سياسة التحرير التجاري باهتمام بالغ عن طريق إجراءات عدة كانت أهمها (فسح المجال لعمليات الاستيراد, واستيفاء نسبة 10%) من الربح التجاري فضلاً عن التعرف الجمركية مقابل إلغاء القيود الكمية الأخرى كافة). وتضمنت الخطة التنموية الثانية 1995-1999 والخطة التنموية الثالثة 2000-2004 بعض الفقرات التوضيحية التي تتعلق بحرية التجارة. وفي المقابل قامت الدولة بإلغاء التعليمات النافذة حول التسليم الإجمالي لعوائد الصادرات من العملات الأجنبية إلى البنك المركزي الإيراني والتي كانت تعادل وفق سعر الصرف الرسمي (70) ريال مقابل الدولار الواحد. وبدء العمل بسعر السوق الحرة لبيع العملات الأجنبية. وتقديم حافز آخر وهو السماح لجميع المصدرين باستيراد بعض السلع الضرورية وبمبالغ تعادل قيمة صادراتهم (102).

كما حاولت إيران مراراً منذ عام 1996 الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية لكن دون جدوى إذ رفضت المنظمة أكثر من (10) محاولات إيرانية للانضمام إلى تلك المنظمة التي تعد إحدى مؤسسات النظام الاقتصادي العالمي. ولم تفلح جهود إيران في الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية بسبب معارضة الولايات المتحدة التي تقوم بتأجيل مناقشة الأمر إلى مواعيد أخرى دون جدوى. ويرى الجانب الإيراني المسؤول عن المفاوضات بان رفض الطلب الإيراني يعود إلى وجود بعض المشكلات السياسية بين الجانبين الإيراني والأمريكي. ومن ثم فإن وزارة التجارة الإيرانية لا تتحمل أية مسؤولية لمعالجة هذه المشكلة السياسية بل يتطلب الأمر تدخل وزارة الخارجية الإيرانية لحلها (103). وعلى الرغم من وجود هذه المشكلات السياسية فإن إيران مازالت مستمرة في تطبيق سياسات الإصلاح الاقتصادي وتبذل جهوداً مستمرة في سبيل تهيئة البيئة والظروف المناسبة لانضمام إيران إلى منظمة التجارة العالمية على الرغم من معارضة بعض السياسيين والاقتصاديين الإيرانيين لمحاولات الانضمام.

رابعاً: الخصخصة

تعمل سياسات الإصلاح الاقتصادي على إحداث تغييرات في الإطار المؤسسي وتتزامن مع بداية تطبيق سياسات الإصلاح الاقتصادي فكرة تطوير دور السوق من خلال

زيادة المنافسة ومرونة الأسعار فضلاً عن تقليل أثر القوانين والتعليمات الحكومية على الطاقة الإنتاجية للمنشآت التابعة للقطاع الخاص. وهذا يعكس بوضوح الاتجاهات العالمية خلال العقود الماضية، إذ أن سياسات الإصلاح الاقتصادي هي عبارة عن إحلال القطاع الخاص محل القطاع العام عبر إعطاء دور أكبر للمنافسة وإمكانية دخول منشآت جديدة ذات قدرة تنافسية وتقليل المعوقات أمام عمل القطاع الخاص⁽¹⁰⁴⁾.

بدأت عملية الخصخصة أو تحويل شركات القطاع العام إلى القطاع الخاص عملياً بعد الحرب العراقية- الإيرانية في عام 1989 وذلك ضمن الخطة التنموية الأولى التي امتدت للسنوات 1989-1993، وكانت هذه العملية تهدف إلى (رفع كفاءة الأنشطة الاقتصادية، وتقليل حجم الدولة، وإيجاد التوازن الاقتصادي والمحافظة عليه، وتحقيق التخصيص الأمثل للموارد الاقتصادية المتاحة)، ويتضح من الأهداف أن الخصخصة ليست هدفاً بل هي إحدى العناصر المهمة ضمن برامج الإصلاح الاقتصادي والتي من خلالها يتم رفع الكفاءة الاقتصادية للمؤسسات العامة من خلال تحويلها إلى العمل وفق شروط اقتصاد السوق والمنافسة الحرة⁽¹⁰⁵⁾، ويمكن توضيح ما يتعلق بالخصخصة كما يأتي:

1- الإطار القانوني لعملية الخصخصة في إيران

مابعد برامج الخصخصة في عام 1989 صدر الأمر الوزاري المرقم (12) في عام 1991 والذي أشار فيه إلى بيع أسهم الشركات والمؤسسات العامة إلى القطاع الخاص. وتم تقسيم شركات القطاع العام إلى ثلاث مجاميع الأولى تضم (248 شركة) تقرر بيعها في اسواق المال الإيرانية. والثانية تشمل (143 شركة) أحييت إلى لجنة خاصة لاتخاذ القرار المناسب بشأنها فيما يخص مسألة بيعها أو عدم البيع. أما المجموعة الثالثة فقد ضمت بقية الشركات والتي يفترض تقييمها وتقديم المقترحات بشأنها⁽¹⁰⁶⁾.

لقد اتبعت الدولة بعد ذلك أسلوباً آخر لبيع أسهم الشركات العامة وهو أسلوب المفاوضات مما أدى إلى انخفاض اسهام سوق رأس المال في عملية الخصخصة. وأدى الأسلوب المتبع إلى خلق ظروف غير مناسبة لم تساعد في استمرارية عملية الخصخصة. واشتدت المعارضة وازدادت قوة ضد إجراءات الخصخصة بعد تنفيذ هذا الأسلوب؛ لذا حاولت الدولة امتصاص غضب الشارع الإيراني بإصدار قانون جديد ينظم عملية الخصخصة. وتضمن القانون الجديد السماح وفق القانون الأخير لبيع أسهم الشركات العامة إلى العمال والمعاقين ورجال الحرس الثوري ممن أسهموا في الحرب العراقية- الإيرانية⁽¹⁰⁷⁾.

وكما يتضح فإن هذا القانون ينطوي على تحيز صريح وعلمي لصالح بعض الفئات في المجتمع الإيراني، وكان لهذا التحيز أثر بالغ في انحراف عملية الخصخصة عن مسارها الطبيعي. وتحولت الخصخصة إلى أداة لحماية الحقوق والامتيازات التي منحت لصالح بعض الشرائح في المجتمع الإيراني. وبما أن هذه الفئات دخلها محدود ومنخفض

لذا أصبح تعثر خطوات الخصخصة أمراً محتوماً، وبعد الإخفاقات المستمرة في عملية الخصخصة تبنت الخطة التنموية الثالثة 2000-2004 بعض الإجراءات لتسريع وتشجيع عملية الخصخصة.

2- الإجراءات الفعلية لتطبيق الخصخصة

أصبح التعرف على حجم ملكية القطاع العام من المسائل المهمة قبل التطبيق الفعلي لعملية الخصخصة، إذ تقدر عدد المؤسسات والشركات التابعة للقطاع العام في إيران بـ (1970 مؤسسة وشركة) وتقدر قيمتها الإجمالية من (21 الف مليار ريال إيراني) إلى (29 الف مليار ريال) عام 1992، وقد تمت الموافقة على تداول اسهم (55 شركة عامة) في اسواق المال الإيرانية وارتفع العدد إلى (153 شركة) وذلك في الاعوام 1989-1992، وكان مجموع اسهم هذه الشركات يقدر بـ (906.2) مليار ريال إيراني⁽¹⁰⁸⁾.

ولبيان طبيعة عملية الخصخصة يجب أن نشير إلى الوزارات والمؤسسات الحكومية التي استطاعت بيع بعض شركاتها إلى القطاع الخاص. واللافت للنظر أن الشركات التي تم خصصتها والبالغ عددها (153) تعود جميعها إلى ثلاث جهات هي (مؤسسة الصناعات الوطنية الإيرانية ومؤسسة تنمية وتحديث الصناعات الإيرانية والمصرف الصناعي). ولغاية عام 1994 تم بيع اسهم بقيمة (6127.4 مليار ريال) إيراني إلى القطاع الخاص والمؤسسات العامة، وقد احتلت مؤسسة الصناعات الوطنية المرتبة الاولى في بيع شركاتها إلى القطاع الخاص وبنسبة (25.5%) وجاءت مؤسسة تنمية وتحديث الصناعات الإيرانية بالمرتبة الثانية، إذ كانت حصتها (24.2%) واحتل المصرف الصناعي المرتبة الثالثة وبنسبة (20.9%) من إجمالي الأسهم التي تم تداولها، ونلاحظ أن عملية الخصخصة تمت عن طريق سوق الاوراق المالية وبنسبة (90.3%) والمتبقي وهو (9.7%) تم بالاعتماد على الاساليب الاخرى وذلك لغاية عام 1990. وخلال المدة الممتدة بين عامي 1992-1994 تمت عملية الخصخصة من خلال المفاوضات الثنائية وبواقع (54.8%) و(57.6%) خلال المدة 1992-1994. ونلاحظ قيام القطاع الخاص مرة أخرى بشراء أسهم الشركات المعروضة في السوق المالية وبنسبة (100%) عام 1991⁽¹⁰⁹⁾.

ونتيجة لملكية المصارف من قبل القطاع العام فأنها لا تستطيع أن تؤدي دورها المطلوب والمنشود في توفير رؤوس الأموال اللازمة لعملية الخصخصة، لان المصارف في إيران تعاني من مشكلات عديدة كسوء الادارة وسيطرة القرارات الادارية في تحديد أسعار الفائدة وتوجيه القروض، ونتيجة لضعف امكانيات المصارف في اداء دور فعال خلال عملية الخصخصة توجهت الانظار إلى سوق الاوراق المالية والتي تعمل على تحريك رؤوس الأموال بين الشركات المختلفة، وهناك بعض المعوقات الدستورية ويعد وجود هذه المعوقات السبب الأكثر أهمية وراء فشل عملية الخصخصة، إذ لم تحقق إيران نجاحاً يذكر في مجال الخصخصة؛ لان المادة (44) من الدستور تمنع القطاع الخاص من

ممارسة بعض الأنشطة الرئيسية, وقد قام (مجلس صياغة الدستور) ولأكثر من مرة برفض برامج الرئيس (محمد خاتمي) في مجال التخصصة باعتبار أن التخصصة عملية غير قانونية وفق الدستور⁽¹¹⁰⁾.

خامساً: الاستثمار الاجنبي

صدر لأول مرة قانون تشجيع الاستثمار في إيران عام 1955 وفتح المجال أمام الاستثمارات الأجنبية للدخول إلى الاقتصاد الإيراني, لكن بعد عام 1979 ونتيجة للفلسفة الاقتصادية والسياسية المتبعة جراء تصدي الحكومة الاسلامية لزام الامور تم تأميم الاستثمارات الاجنبية كافة وتخلي أصحاب رؤوس الأموال الاجنبية والبعض من اصحاب رؤوس الاموال الوطنية عن الاسواق الإيرانية, وبعد مرور اكثر من عقدين اتضحت صعوبة النهوض بالاقتصاد الإيراني وصناعاته المتهاكلة الا من خلال الاستثمار الأجنبي نظراً لاعتماد الاقتصاد الإيراني على انتاج وتصدير النفط والمواد الزراعية, وقد اصدرت الحكومة الإيرانية قانوناً جديداً لجذب الاستثمارات الأجنبية عام 2002, ويتضمن القانون الجديد (25 مادة) تتناول القضايا الخاصة بالاستثمار الاجنبي ويمكن التركيز على اهم المواد الواردة في هذا القانون⁽¹¹¹⁾.

- المادة (2) نصت على قبول الاستثمارات الاجنبية بشرط أن لا تتعارض مع القوانين النافذة في إيران, وهنا تجدر الإشارة إلى وجود قانون صادر في عام 1931 يمنع الأجانب من حق التملك في إيران . فهناك ازدواجية في القوانين احدهما تسمح للاستثمار الاجنبي بالعمل داخل الاقتصاد واخرى تمنعه من حق التملك .
- المادة (3) نصت على السماح للمستثمر الاجنبي بالعمل فقط في تلك المجالات التي يسمح للقطاع الخاص العمل فيها, وتشكيل لجنة وظيفتها منح الاجازة للموافقة على دخول الاستثمارات الاجنبية إلى إيران وتتكون هذه اللجنة من وكيل وزارة الاقتصاد ووكيل وزارة الخارجية ووكيل وزارة التجارة ومعاون مدير هيئة التخطيط والموازنة ونائب محافظ البنك المركزي ويضاف إلى هذه اللجنة وكلاء وزارات اخرى حسب الضرورة والمجال المطلوب لعمل الاستثمار, وهذا يعني وجود بيروقراطية ادارية معقدة تعرقل عمل المستثمر الاجنبي وذلك لعدم تحديد أعضاء هذه اللجنة بشكل دقيق ونهائي وترك المجال امام الرغبات الشخصية لقبول او رفض الاستثمارات, مما يفضي إلى انتشار الفساد الإداري.
- المادة (9) تنص على تأميم الاستثمارات اذا كانت تشكل خطراً على المصلحة العامة ويتم دفع قيمة الاستثمارات الاجنبية إلى اصحابها قبل البدء بعملية التأميم.

- المادة (14) تنص على السماح للمستثمر الاجنبي بتحويل ارباح استثماراته إلى الوطن الام وذلك بعد دفع الضرائب والالتزامات الأخرى ومصادقة وزير الاقتصاد على عملية تحويل الارباح.

- المادة (19) تنص على حل الخلافات بين الدولة والمستثمر الاجنبي في النظام القضائي الإيراني⁽¹¹²⁾.

ان تزايد عدد الفقراء في إيران كان احد الاسباب الرئيسية وراء تدخل المؤسسة الدينية وبعض رجال السياسة المتضررين من الاصلاحات في بذل المحاولات الجدية لانهاء عملية الاصلاحات الاقتصادية. وفيما يخص ثبات مؤشرات الاقتصاد الكلي سوف نذكر ان مؤشرات البطالة والتضخم التي يعاني منها المواطن الإيراني بصورة مباشرة قد تزايدت باستمرار, أي أن معدلات البطالة والتضخم ترتفع معاً وبمعدلات متسارعة مما اضافت أعباء جديدة على كاهل المواطن, مما أدى إلى ارتفاع الأصوات المطالبة بوقف الاصلاحات الاقتصادية والعودة إلى اسلوب التخطيط المركزي لحماية حقوق شرائح واسعة من الشعب التي ازدادت فقراً جراء استمرار تطبيق الاصلاحات الاقتصادية. أي أن هناك تحيزاً ضمناً وهو الذي لا يكون فيه الإصلاح يحظى بالأغلبية إذ تقوم الأغلبية بمعارضة الإصلاحات.

المطلب الثاني: خطط التنمية الاقتصادية في إيران (الصياغة والتنفيذ)
تعود سابقة التخطيط في إيران وطرح الرؤية الطويلة الأمد إلى عام 1948، وبدأت بالبرامج الخمسية الأولى للتنمية، واستمرت حتى الثورة عام 1979، ضمن فترات زمنية خمسية والهدف من خطط التنمية تطوير واصلاح الاقتصاد الإيراني وبناء هيكله واعادة ترسيخه, ويمكن توضيح اهم خطط التنمية في إيران فيما يأتي:

اولاً: الخطة الخمسية الأولى للتنمية الاقتصادية (1989-1994)

صدّق مجلس الشورى الإسلامي رسمياً على الخطة الخمسية الأولى للتنمية عام 1990 التي قدمها الرئيس هاشمي رفسنجاني لإجراء برنامج التعديل الهيكلي؛ وذلك في إطار السياسات الليبرالية الجديدة لإعادة هيكلة الاقتصاد، وكانت سياسة الانفتاح التي اتبعتها حكومة رفسنجاني سبباً رئيساً في أزمات التضخم التي شهدتها إيران؛ وذلك بسبب الاقتراض المتزايد، وتفاقم أزمة الدين الخارجي. واستهدفت الخطة تشجيع الصادرات غير النفطية من خلال الاستثمار في الصناعات التي تتمتع بإمكانات تصديرية كبيرة⁽¹¹³⁾, وكذا صناعات إحلال الواردات، والعمل على تحقيق القطاع الصناعي للاكتفاء الذاتي من مواد الأولية والوسيلة وتوفير مدخلات الإنتاج لباقي القطاعات. وعلى سبيل تحقيق ذلك رخصت الخطة بالاستفادة من المساعدة الفنية الأجنبية وتدفق التكنولوجيا. ووضعت

مجموعة من الإجراءات التي من شأنها استقطاب رأس المال, كتشجيع مشاريع الشراكة مع الأجانب، وتحفيز الإيرانيين المقيمين بالخارج على استثمار اموالهم في دولتهم. وقد وجه الاهتمام الأكبر في هذه الخطة نحو مشاريع الصناعات الغذائية والسلع الصناعية حيث تمت إقامة (4800) وحدة صناعية جديدة خلقت (160000) وظيفة جديدة وهذا في مجالات. الصناعات الكيماوية, الآليات, الصيدلانية- النسيج, مواد البناء, الصناعات الغذائية. ونجحت هذه الخطة في تخفيض الطلب على الواردات التي يحتاجها القطاع الصناعي واصبحت مدخلاته تنتج محلياً، مع تصدير الفائض وتحقيق مداخيل مهمة بالعملة الصعبة. كما ارتفعت الصادرات غير النفطية (1,04 مليار دولار) أمريكي عام 1989 لتبلغ ما مقداره (3,74 مليار دولار) عام 1993⁽¹¹⁴⁾, وفي الخطة الخماسية الاولى شرعت إيران في وضع وتنفيذ إستراتيجية لتشجيع الصادرات غير النفطية ارتكز على ما يأتي:

أولاً: الدعم المؤسسي للصادرات غير النفطية

قامت إيران بإنشاء مجموعة من المؤسسات الموجهة لدعم وتشجيع الصادرات غير النفطية وفيما يأتي أهم هذه المؤسسات:

1- المجلس الأعلى لتشجيع الصادرات غير النفطية: تم إنشاؤه في ظل الخطة الخماسية الثانية للتنمية الاقتصادية 1995- 2000 يترأسه رئيس الجمهورية او نائبه الاول وأعضائه هم (وزير التجارة, وزير الصناعة, وزير الشؤون المالية والاقتصادية ووزير التعمير والبناء ومحافظ البنك المركزي ومدير مركز تشجيع الصادرات ومدير منظمة الإدارة والتخطيط ومدير الجمارك ومدير غرفة الصناعة والتجارة). ينعقد المجلس شهريا ويتمثل دوره الأساسي في إعداد السياسات الداعمة للصادرات وتقديم المساعدات الخاصة والتسهيلات المطلوبة لتحفيز الصادرات غير النفطية وإزالة العراقيل كافة التي تواجهها من خلال تنسيق الجهود بين مختلف أعضاء المجلس⁽¹¹⁵⁾.

2- لجان تشجيع الصادرات للمحافظات: تقرر إنشائها بموجب الخطة الخماسية الثانية وهذا في مختلف المحافظات الإيرانية البالغ عددها (25 محافظة) يترأسها المحافظ العام, وتضم في عضويتها المدراء العامين في الوزارات وممثلي الهيئات.

تتمثل مهام هذه اللجان في تنفيذ قرارات المجلس الأعلى لتشجيع الصادرات على مستوى المحافظة، وإعداد خطط تنمية الصادرات بها والنظر في أهم العراقيل والمشكلات التي تواجه المؤسسات المصدرة وإيجاد الحلول لها, وكذلك تقديم مختلف أشكال الدعم والتسهيلات للنهوض بنشاط التصدير في المحافظات المنتجات التصديرية للمحافظة,

فضلاً عن إبداء رأيها حول القوانين والتشريعات الخاصة بالتصدير وتقديم مقترحات تحسينها.

3- دائرة تشجيع الصادرات بوزارة الصناعات: قامت وزارة الصناعات بإنشاء دائرة مكلفة بتشجيع الصادرات في المؤسسات المنتسبة للوزارة عبر تقديم الدعم الفني والمالي ووضع السياسات والبرامج وإعداد الدراسات التي تساعد في تنمية صادرات القطاع الصناعي, ومنذ عام 1995 منحت وزارة الصناعة امتياز خاص للمؤسسات المنتسبة للقطاع والتي تصدر للخارج في الحصول على النقد الأجنبي لاستيراد الموارد الأولية التي تحتاجها في نشاطها.

4- وزارة التجارة: قامت وزارة التجارة الإيرانية بإنشاء هيئات عدة لتشجيع الصادرات غير النفطية وهي:

أ- المركز الإيراني لتشجيع التصدير: أسس المركز عام 1984 ويرأسه نائب وزير التجارة المكلف بالتصدير يتمثل دوره في تشجيع الصادرات غير النفطية ومعالجة المشكلات والعقبات التي تواجه المصدرين, فضلاً عن تنظيم معارض للتعريف بالصادرات الإيرانية داخل وخارج البلد, ومحاولة إيجاد قنوات تواصل بين رجال الأعمال الإيرانيين ونظرائهم الأجانب .

ب- شركة إيران "للسجاد" يعود تأسيسها إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية لتنمية صناعة السجاد والمنسوجات في البلاد, قامت بإنشاء فروع عدة لها في مختلف محافظات الدولة لنشر وتعليم هذه الصناعة وزيادة مستويات الإنتاج. وللشركة مركز مبيعات في العاصمة طهران وشبكة تصدير واسعة نظراً للإقبال الواسع للأجانب على استيراد منتجاتها لاسيما في ألمانيا .

ب- غرفة صناعة السجاد في الوزارة تقدم هذه الغرفة العديد من التسهيلات لنساجي السجاد اليدوي في مختلف المحافظات(116).

ت- صندوق ضمان الصادرات: يتبع لوزارة التجارة حيث أسس عام 1973 وتم تحديثه بموجب قانون صادر عام 1996 وهاه مؤسسة مالية لتأمين انتمان الصادرات الإيرانية من المخاطر السياسية والتجارية. كما أن الصندوق يصدر ضمانات ائتمانية تستهدف تسهيل عملية تمويل الصادرات، وتقدم تسهيلات مالية للتجار الإيرانيين تساعد في فتح أسواق خارجية جديدة(117).

ث- المكاتب التجارية الموجود بالخارج: تم فتحها في عدد من الدول المضيفة (تركيا- ألمانيا-كينيا -لبنان-المملكة المتحدة) وهذا بغرض تعزيز الروابط التجارية بين إيران

والدولة المضيفة، وتقديم المعلومات لرجال الأعمال الإيرانيين حول فرص التصدير الممكنة للبلدان، وكذلك الترويج لفرص الاستثمار المتاحة بإيران والتسهيلات والحوافز الممنوحة .

5- بنك تنمية الصادرات الإيراني: أسس عام 1991 وتتمثل مهامه في ضمان توسع الصادرات الإيرانية من خلال تقديم الخدمات البنكية الضرورية للمصدرين وتمويل المشاريع الصناعية التي لها إمكانات للتصدير، وقد تم إقامة فروع للبنك في المحافظات الإيرانية ذات أنشطة تصديرية.

6- غرفة إيران للتجارة و الصناعات والمناجم: صدر القانون المنظم لإنشاء هذه الغرفة عام 1991 وتم تعديله عام 1994 تعد بمثابة صوت مجتمع الاعمال في إيران. كما تؤدي دور مستشار الحكومة في القضايا المتعلقة بقطاعات التجارة والصناعة والمناجم، تتولى تنظيم معارض داخل إيران وخارجها بعد موافقة وزارة التجارة وكذلك عقد الندوات والمؤتمرات حول القضايا التي تهم هذه القطاعات.

7- جمعية المدراء الصناعيين: هي منظمة خاصة أسست في سبعينيات وتسعى للدفاع عن مصالح المؤسسات الصناعية الخاصة في إيران، فهي بمثابة منتدى يتم من خلاله إعداد الدراسات والبحوث حول واقع القطاع ومقترحات تشجيعه وترسلها للجهات الرسمية (الحكومة، البرلمان، البنك المركزي)⁽¹¹⁸⁾.

8- إنشاء صندوق ريادة الأعمال: ويتشمل دوره في تعزيز ريادة الأعمال من خلال المؤسسات الصغيرة والمتوسطة وهذا عبر تقديم قروض من الصندوق للمؤسسات الناجحة كما في مهنة السجاد اليدوي. ولم تمض مدة طويلة بعد أزمة عام 1988 حتى عاودت معدلات التضخم الارتفاع من جديد بين عامي 1994 و1995، بسبب انخفاض العائدات النفطية مع عام 1993؛ وذلك في ظل اتجاه الحكومة سابقاً إلى زيادة الاقتراض الخارجي، واتباع سياسات نقدية توسعية، فضلاً عن اعتماد نظام عائم للصراف، فقد أدركت حكومة رفسنجاني لاحقاً (في ظل مرحلة إعادة البناء ومساعي حفز النمو) انعكاسات سياسة الباب المفتوح في دعم الواردات وخفض التعريفات الجمركية مع تفاقم الدين الخارجي، بسبب تراجع عائدات النفط، وأدى منع الواردات بشكل مفاجئ إلى تفاقم مشكلة التضخم مرة أخرى⁽¹¹⁹⁾.

2- الخطة الخمسية الثانية للتنمية الاقتصادية (خطة تخفيف الاعتماد على النفط 1995-2000).

أسست الحكومة في هذه المدة "صندوق النفط لتثبيت الاقتصاد" تحت إدارة البنك المركزي كآلية للتحكم في العائدات النفطية، ونصت المادة (60) للصندوق على أن يكون

لهذا الكيان مهمتين تثبيت الموازنات السنوية وتمويل مشروعات القطاع الخاص⁽¹²⁰⁾. واستهدفت الحكومة من إنشاء الصندوق إعادة توجيه عائدات صادرات النفط؛ بحيث لا تستخدم جميعها في الموازنات السنوية، ويتم تخصيص جزء منها في تمويل المشروعات المعطى لها أولوية في الخطط الخمسية؛ ولكن بقت الأولوية في النهاية لتمويل الحكومة بالمبالغ اللازمة عند حدوث عجز وأهم ماتناولت الخطة الخمسية الثانية الآتي⁽¹²¹⁾:-

أ- الرسوم الجمركية:- يحددها البرلمان على ضوء أسعار السلع المستوردة وتكون هذه الرسوم ثابتة على مر الزمن وسعرها اقل ما يمكن.

ب- العمولة:- يقوم صاحب البضاعة المستوردة بإملاء بطاقة خاصة عندما يروم استلام بضاعته واخراجها من الجمارك. وعلى ضوء هذه البطاقة يتم استيفاء مبلغ من المال كعمولة يحددها وتعليمات سنوية.

ج- التحكم بالربح التجاري:- يتم تحديد الربح التجاري بواسطة الدولة وتتحكم الدولة بمقدار هذا الربح من سنة لآخرى⁽¹²²⁾. وأكدت هذه الخطة أهمية الدور الذي تؤديه كل من الدولة والقطاع الخاص في توسيع قاعدة الصادرات غير النفطية، ودعت للاستفادة من المزايا النسبية التي تتمتع إيران في هذا المجال. ومن التدابير التي اتخذت في سبيل تحقيق ذلك ما يأتي⁽¹²³⁾:-

أ- تأسيس المجلس الأعلى للتصدير "من أجل إعادة التقييم الشامل لوظائف وعمليات الهيئات التجارية للدولة ووضع التوصيات في ما يخص تنسيق عملها وترقيته بما يؤدي لتنمية الصادرات غير النفطية.

ب- إنشاء لجان لتشجيع الصادرات بمختلف المحافظات الإيرانية.

ت- دعم وتعزيز دور "بنك تنمية الصادرات" وتوسيع أنشطة وعمليات صندوق ضمان الصادرات، وإنشاء نظام تأمين الصادرات، وإقرار سياسات تحفيز جباني وتيسير حصول المصدرين على القروض وتبني سياسة سعر صرف وسياسة تعريفية جمركية داعمة للتصدير.

ث- الإشراف والرقابة الدائمة والمستمرة على الصادرات غير النفطية وتنسيق أنشطة كافة الهيئات المكلفة بتشجيع الصادرات ومحاربة البيروقراطية.

ج- تشجيع تكوين جمعيات جديدة للمصدرين، وتدعم أنشطة الجمعيات الموجودة ومكافحة التهريب ووضع تشريعات لحماية المصدرين والعلامات التجارية.

ح- منحت الخطة الموافقة لاستقطاب الاستثمار الأجنبي المباشرة وطالبت الحكومة بوضع التشريعات والقوانين الملائمة لتحقيق ذلك. وحددت مجالات هذا الاستثمار في البنى التحتية.

3- الخطة الخمسية الثالثة للتنمية الاقتصادية (خطة التنمية الصناعية 2000-2004)

تمثلت أولويات هذه الخطة في تطوير البنية الصناعية الوطنية وتشجيع دور القطاع الخاص في هذا المجال، ودعت لزيادة الادخار الضروري للنمو الاقتصادي عبر تطور البنوك الخاصة المحلية والدولية وشركات التأمين واللجوء للتمويل الخارجي وتعديل قانون استقطاب وحماية الاستثمار الأجنبي، كما قدمت الخطة تدابير لخفض الدعم وإلغاء الحواجز غير الكمركية، وخلال الخطة التنموية الثالثة اتخذت بعض الاجراءات لزيادة الشفافية وتشجيع الصادرات وكان المحور الرئيس في هذه الخطة يتناول الآتية(124):-

1. إصلاح الهيكل الإداري.
 2. إعادة تأهيل شركات القطاع العام.
 3. تشجيع الخصخصة من خلال بيع أسهم الشركات العامة وتحويل إدارة بعض الشركات العامة إلى القطاع الخاص.
 4. إلغاء وتنظيم بعض الاحتكارات بهدف زيادة المنافسة بين الأنشطة الاقتصادية واهم المواد القانونية التي نصت على المحاور الآتية:-
- المادة (1) نصت على غلق بعض الشركات ونقل أماكن بعض الشركات إلى خارج المدن الإيرانية.
 - المادة (2) نصت على تقليص حجم الدولة وتقليل وظائفها لتقوية دور الدولة الرقابي. ودمج الأنشطة الأخرى كالطاقة والزراعة وبرامج تطوير الريف والصناعة ضمن ثلاث وزارات فقط. وبهدف زيادة القدرة التنافسية للاقتصاد تقرر أن يتم تقديم الخدمات الخاصة بالبريد والاتصالات بواسطة القطاع الخاص.
 - المادتين (116-117) حددت بعض الخطوات لتشجيع الصادرات وزيادة القدرة التنافسية لهذه الصادرات من خلال الآتي:-
 - إلغاء الرسوم والضرائب على السلع والخدمات التي يتم تصديرها.
 - تقديم الحماية والدعم لصناديق تشجيع الصادرات غير الحكومية.
 - تأسيس بنك المعلومات في مجالي التجارة الداخلية والخارجية(125).
 - المادة(18) نصت على إتاحة الفرصة أمام الأشخاص الحقيقيين والاعتباريين في القطاعين التعاوني والخاص للعمل في مجال النقل والمواصلات.
 - المادة (31) نصت على إلغاء احتكار الدخانيات.
 - المادة (35) نصت على إلغاء كافة الاحتكارات التي نجمت عن قرارات إدارية وسياسية مع بقاء حق احتكار الموارد الطبيعية والحيوية بيد الدولة.

- المادة (33) نصت على دمج عمليات تصفية النفط وتوزيعه معاً والسماح للقطاع الخاص بالتصدي لأمر النقل والمواصلات لمادة النفط ومشتقاته مع الاحتفاظ بحق الدولة في احتكار عمليات الاكتشاف واستخراج وإنتاج النفط.
4- الخطة الخمسية الرابعة للتنمية الاقتصادية (2005-2009)
امتداداً لخطة التنمية الثالثة وَضَعَتْ خطة التنمية الرابعة (2005-2009) عدداً من الأهداف لتنظيم العلاقة بين عائدات النفط والإنفاق الحكومي في المادتين (1) و(2) ونصتا على:

- أ- الحفاظ على فوائض عائدات النفط التي تتجاوز الأرقام المخطط لها.
- ب- استخدام عائدات النفط الفائضة سلفاً في حال انخفاض عائدات النفط عن الأرقام المخطط لها.
- ت- استثمار الدولة لـ 50% من العائدات النفطية الفائضة في مشروعات استراتيجية.
أما فيما يخص تخفيف الاعتماد على العائدات النفطية فقد استهدفت الخطة الآتي:
- الاتجاه إلى تأمين الإنفاق الحكومي من العائدات الضريبية وباقي العائدات غير النفطية.
- محاولة الحد من معالجة عجز الموازنة من خلال الاقتراض من البنك المركزي⁽¹²⁶⁾.

أستهدفت الخطة تحقيق نمو قوي بمعدل (8%) سنوياً، ورفع الصادرات غير النفطية إلى (53 مليار دولار) مع نمو بمعدل (10.7%) سنوياً. وتحقيقاً لذلك رصدت الخطة استثمار ما قيمته (473 مليار دولار) خلال خمس سنوات، مع تخصيص (58.8%) من هذه الاستثمارات لتكون من نصيب القطاع الخاص الذي سيستفيد من قروض بنكية ممولة من صندوق الاحتياطيات بالعملة الأجنبية وسندات المساهمة، وأقرت الخطة أيضاً خصصة (65%) من رأس مال بعض البنوك التجارية وشركات التأمين وشركات الطيران وشركات توزيع الكهرباء وشبكة المواصلات، كما استفاد قطاع النفط والبتروكيماويات من استثمارات بقيمة (50 مليارات دولار) خلال خمسة أعوام بمعدل عشرة مليارات دولار سنوياً وهذا السياق وبغرض تنمية الصناعات البتروكيماوية عملت الحكومة الإيرانية بقوة على استبدال الغاز الطبيعي بالنفط في المنازل، وهذا من خلال إطلاق الحكومة خطة ترشيد البنزين في عام 2007 مما جعل الاقتصاد الإيراني من أكثر الاقتصاديات العالمية اعتماداً على الغاز⁽¹²⁷⁾.

5- الخطة الخمسية الخامسة للتنمية الاقتصادية (2010-2015)

تضمنت الخطة إستراتيجية شاملة لتطبيق الإصلاحات تقوم على عوامل السوق، وتسعى لرفع القدرة الإنتاجية للقطاع غير النفطي، ومنح البنك المركزي قدراً أكبر من الاستقلالية، وتوسيع الوعاء الضريبي، وتحقيق استقرار العملة المحلية في السوق، وإعادة منظمة الإدارة والتخطيط التي كانت مسؤولة عن صياغة الموازنة العامة وخطط التنمية الخمسية في البلاد، وفتح قطاع النفط للشركات الأجنبية للاستثمار والمساعدة الفنية وقد اقرت الخطة بناء (27 مشروع بتروكيمياوي) فضلاً عن ذلك تشجيع الخوصصة تحفيز القطاع الخاص وتنشيط التواجد الاقتصادي الإيراني في العالم.

6- الخطة الخمسية السادسة للتنمية الاقتصادية (2016-2021)

بعد تغير النظريات العلمية المتعلقة بالتخطيط واستحداث مفاهيم مثل "رؤية عدة عقود على أساس الدراسات المستقبلية"، تمت صياغة (وثيقة رؤية^(*)) 2025 في عام 2003 لتحديد آفاق الـ 20 عامًا المقبلة لجمهورية إيران الإسلامية، وتقرر وضع برامج التنمية الخمسية في إطار هذه الوثيقة⁽¹²⁸⁾. وقد تبنت السلطات الإيرانية إستراتيجية شاملة تسعى لتطبيق إصلاحات تقوم على عوامل السوق، كما عملت الحكومة وفقاً لخطة التنمية السادسة على إجراء تغييرات جذرية في هيكل الإدارة والتخطيط، تمثلت بتغيير العديد من القيادات الاقتصادية المؤهلة، إذ عملت على وضع سياسات اقتصادية تنفيذية، ونظام رقابي على رئاسة الجمهورية بما يكفل تحقيق اللامركزية التي تخدم المصلحة الوطنية بعيداً عن سيطرة الأفكار الاقتصادية التقليدية، غير أن تلك السياسات كانت قد تعرضت لبعض الإخفاقات في تحقيق أهدافها، فما تزال الدولة تؤدي دوراً رئيساً في الاقتصاد، إذ تمتلك مؤسسات أعمال عامة تهيمن جزئياً على قطاعات الصناعات التحويلية والتجارة وهيمنة البنوك العامة على القطاع المالي⁽¹²⁹⁾. لكن عملياً ومع اقتراب نهاية برنامج رؤية إيران 2025 الطويلة الأمد (التي تغيرت بعد ذلك إلى 2021)، لم تحقق أهداف هذه الوثيقة فحسب بل واجهت الدولة تحديات اقتصادية واجتماعية وبيئية وسياسية كبيرة، مما وضع الدولة في كثير من المؤشرات خاصة في مجال الاقتصاد في ظروف غير ملائمة أكثر من ذي قبل، كما إن عدم ترجمة أهداف وثيقة "الرؤية" إلى برامج واضحة، قصيرة الأمد ومتوسطة الأمد، وعدم وجود الانسجام والتنسيق وعدم وضوح بعض أهداف الوثيقة، والفروق بين مجال التخطيط والتنفيذ في إيران كان سببه عدم وجود اللغة المشتركة والهيكل الحكومية وشبه الحكومية المقاومة للتغيير هي من أهم الأسباب في عدم ترجمتها على أرض الواقع⁽¹³⁰⁾.

ينصب تركيز هذه الخطة تنمية القدرات الدفاعية وتحقيق النمو الاقتصادي السريع والدائم. وتضم الخطة (80 بنداً) وتشتمل على ثمانية أبواب هي: الاقتصاد، وتكنولوجيا

المعلومات والاتصالات، والاجتماع، والدفاع والأمن، والسياسة الخارجية، والحقوق والقضاء، والثقافة، والعلم والإبداع، وشملت الخطة التنموية محاور ثلاثة هي: (الاقتصاد المقاوم، إحرار التقدم في العلم والتكنولوجيا، الصمود في المجال الثقافي)، كما تهدف هذه الخطة إلى الوصول بنسبة النمو إلى (8%) وحث الإيرانيين في الخارج على الاستثمار في الداخل الإيراني عن طريق التسهيلات وتعزيز البنية التنافسية في الأسواق، والتركيز على دول غرب آسيا بوصفها دولا مجاورة ومهمة بالنسبة لإيران. كما تتطلع الخطة إلى أن تتحول النظرة تجاه النفط من مجرد مصدر لتأمين الموازنة العامة إلى مصدر للاستثمارات الاقتصادية، ويتم إيداع 30 في المائة من عوائد تصدير النفط في صندوق التنمية الوطنية⁽¹³¹⁾.

كما تسعى الخطة إلى رفع نسبة السياحة إلى خمسة أضعاف ما كانت عليه، بحيث يرتفع عدد السياح الوافدين إلى إيران إلى خمسة أضعاف نهاية الخطة التنموية السادسة، وهو ما يأتي بوصفه رافدا مهما في تنويع مصادر الدخل وتوظيفها كقوة ناعمة ومؤثرة، فهناك سياحة دينية وسياحة علاجية، إضافة إلى بالعدد الكبير من الطلاب الذين يدرسون في إيران، وكيف يكونون دعاية لها في بلدانهم.

ان استمرار عدم الثقة بالنيات الأميركية ومدى ما تشكله العقوبات الاقتصادية من معضلة لذلك النظام، يأتي الحل الأمثل كما يرى المرشد ومسؤولو النظام في تعزيز الاقتصاد المحلي والوصول إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي، وهو ما تجلّى من خلال شعارات العاملين السابقين اللذين تم التركيز فيهما على ما عُرف بالاقتصاد المقاوم ودعم الرأس المالي المحلي⁽¹³²⁾، كما يمكن القول هنا إن النظام الإيراني سوف يسعى في المستقبل إلى تعزيز الاقتصاد المحلي وعدم ارتهانه بالخارج. وعلى الرغم من الثروات الطبيعية الهائلة والرغبة الإيرانية في تنويع اقتصادها فإن النفط يبقى المحور الرئيس لاقتصادها، يليه الغاز والبتروكيماويات، غير أن ذلك لا يمنع من تخفيف الاعتماد عليه وعلى قطاع الغاز. وبالانتقال إلى الجانب التقني فإنه يتجلى حرص النظام الإيراني على تحقيق نوع من السيطرة على الفضاء الإلكتروني، إذ يسعى إلى تنمية الشبكة الافتراضية وفق الخطة الهندسية الثقافية للدولة إلى خمسة أضعاف كحد أدنى، وكذلك تأهيل الشبكات الاجتماعية بحيث تسير وفق الأطر التي تحقق أمن هذا النظام وعدم تعرضه للمخاطر، ولذا ظهر في إيران ما يعرف بالإنترنت الحلال، وتم التضييق على شبكات التواصل الاجتماعي، ولا يمكن أن يكون ذلك بمعزل عما أدته تلك الشبكات من دور في مظاهرات 2009 المتزامنة مع إعادة انتخاب الرئيس السابق أحمدني نجاد لدورة ثانية⁽¹³³⁾.

ان التهديدات التي يشعر بها النظام وعامل عدم الثقة بينه وبين الولايات المتحدة والسعي إلى البروز كقوة إقليمية وحيدة في المنطقة، كما يصرح رموزه السياسيون والعسكريون، أمر بارز في هذه الخطة التي خصصت (5%) من الموازنة للقطاع الدفاعي، وركزت على تطوير تكنولوجيا المنظومات الصاروخية ودعم وسائل القوة الناعمة والدفاع السايبري. كما أن للتهديدات الحدودية التي يتعرض لها النظام الإيراني حضورها في هذه الخطة التي ركزت على تطوير المخافر الحدودية التي أوكلت مهامها لقوات الحرس الثوري، وكذلك إشراك سكان هذه المناطق في المشاريع الأمنية وتنمية النشاطات المعلوماتية⁽¹³⁴⁾.

كرست هذه الخطة وعززت دعائم النظام الإيراني في الداخل وساهمت في عدم السماح بأي مهدد من شأنه أن يبرز مع مساعي إيران للانفتاح على الخارج. وهدفت إلى الاستمرار في تحقيق النفوذ في المنطقة والسعي للظهور كقوة إقليمية يتجلى بوضوح في هذه الخطة. ولا شك أن رفع العقوبات الاقتصادية المفروضة، وتسلم إيران لمستحققاتها من مختلف الدول التي تصل إلى قرابة (140 مليار دولار)، سيكون له أثره البارز في تنفيذ تلك الخطة وتحقيقها أهدافها. وليس واضحاً الآن ما هو دور وثيقة الرؤية الجديدة الطويلة الأمد "50 عاماً"، التي طرحها المرشد علي خامنئي، نظراً للتجربة غير الناجحة السابقة؟ وكيف تريد السلطات تحقيق أهداف الوثيقة في الظروف الحالية وفي ظل أكبر التحديات البيئية والاقتصادية والأوضاع السياسية الدولية⁽¹³⁵⁾.

لقد أدى الاقتصاد في ظل التحولات العالمية الجارية دوراً فاعلاً في دفع أي دور إقليمي، فأغلب التجمعات الإقليمية في العالم ذات طابع وظيفي اقتصادي، إذ تقوم على مبدأ الاعتماد المتبادل الذي يساهم في دعم اقتصاديات الدول وتحقيق التنمية وهذا ما حققته الدول الأوروبية ودول جنوب شرق آسيا، أما السياسة الاقتصادية الإيرانية فإنها تقوم على المساعدات الخارجية لأطراف غير قادرة على استثمار وتنمية رأس المال إلا في الحرب مما يعود بخسائر كبيرة على الاقتصاد الإيراني خاصة مع تصاعد المطالب الشعبية الاقتصادية. ولعل هذه النقطة هي أهم ما يمكن الاستناد عليه في النظام العالمي الحالي لتحليل أي دور إقليمي من خلال قياس مكانة تلك الدولة في تحقيق تنمية وتطوير اقتصاديات دول إقليمياً عن طريق كيان مؤسساتي وظيفي تعاوني⁽¹³⁶⁾.

ومما تقدم يمكن القول ان إيران دولة تمتلك رؤية إستراتيجية تصرّ على بلوغ هدفها المركزي وهو تحقيقه مكانة الدولة المركز في فضاءها الإقليمي المتعدد الأبعاد، فهي تسعى إلى توظيف قدراتها الاقتصادية وموقعها الجيواقتصادي من أجل فرض نفسها كقوة إقليمية لها ثقلها في المنطقة، وهذا الطرح لم يكن وليد فراغ بل كان مستنداً إلى حقائق اقتصادية عملت الجمهورية الإسلامية الإيرانية على توظيفها في خدمة مصالحها الاستراتيجية في المنطقة .

المصادر:

- 1- نبيل جعفر عبدالرضا, دراسات في الاقتصاد الإيراني, مؤسسة وارث الثقافية, قسم الدراسات والبحوث, وحدة الدراسات الاقتصادية, ط1, العراق, 2008, ص54.
- 2- منعم صاحي العمار, إيران وقابلية التكوين من جديد, مجلة دراسات استراتيجية, العدد(17), مركز دراسات الدولية, بغداد, 2012, ص9.
- 3- نبيل جعفر عبد الرضا, دراسات في الاقتصاد الإيراني, مصدر سابق, ص54.
- 4- المادة (44), دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية, ص32.
- 5- Hossein Akhavi-Pour, in Curtis, Glenn; Hooglund, Eric, "Iran, a country study", 5th ed, ,Washington, D.C., USA: Library of Congress, 2008, p.150.
- 6- وسن هادي فيحان, موقع القطاع الزراعي في الناتج المحلي الاجمالي في ايران واقعه وافاقه ومستقبله, مجلة دراسات إيرانية, العدد(13), مركز دراسات الإيرانية, البصرة, 2012, ص157.
- 7- تقرير الاتجاهات الاقتصادية الاستراتيجية, الاقتصاد الإيراني الواقع والقدرة على مواجهة العقوبات الدولية الجديدة, تحرير احمد السيد النجار, القاهرة, 2018, ص ص 123-122.
- 8-Shayerah Ilias, Iran's Economy, CRS Report for Congress, Congressional Research Service, August 22, 2008, p20.
- 9- Tehran times : Iran's annual agricultural exports up 27%: official, No.12247, April,2015, p4.
- 10-نبيل جعفر عبد الرضا, دراسات في الاقتصاد الإيراني, مصدر سابق, ص3.
- 11-تقرير الاتجاهات الاقتصادية والاستراتيجية, مصدر سابق, ص132.
- 12- نبيل جعفر عبدالرضا, اهمية الصناعة التحويلية في الاقتصاد الإيراني, مجلة دراسات إيرانية, العدد (6-7), البصرة, 2012, ص56.
- 13- تقرير الاتجاهات الاقتصادية الاستراتيجية, مصدر سابق, ص132.
- 14- المصدر نفسه, ص124.
- 15- بيانات البنك الدولي, منشور على شبكة المعلومات الدولية على الرابط:
www.data.albankaldawli.org
- 16- International Monetary Fund: Islamic Republic of Iran: Selected Issues Paper Washignton, IMF, August 2011, p45.
- 17- القوى الداخلية في المجتمع الإيراني: المحور الثاني (القوى الاقتصادية), المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية, ملفات بحثية, مصر, 2015, ص7.

18- Zahra Pishgahifard and Hassan Salehi, Geo-economics and Considerations on the Tourism Industry with Emphasis on Historical Cities Tourism and Ecotourism in Iran, International Journal of Sciences: Basic and Applied Research (IJSBAR),2018, p306.

19- القوى الداخلية في المجتمع الإيراني, مصدر سابق, ص7.

20- United Nations ,Statistical Year Book For Asia and the Pacific, 1988, p.352

21- روجر هاورد, النفط ايران ودوره في تحدي نفوذ الولايات المتحدة, (ترجمة), مروان 18, ص2007سعد الدين, الدار العربية للعلوم ناشرون, ط1, بيروت,

22- US Energy Information Administration: Iran, International energy data and analysis (USA) 2015, p.33.

23- القوى الداخلية في المجتمع الإيراني, مصدر سابق, ص3.

(*) إدارة معلومات الطاقة الأمريكية Energy Information Administration): هي وكالة رئيسية تابعة للنظام الإحصائي الاتحادي للولايات المتحدة الأمريكية, وهي المسؤولة عن جمع وتحليل ونشر المعلومات عن الطاقة لتعزيز السياسات السلمية, وكفاءة الأسواق, والفهم العام للطاقة وتفاعلها مع الاقتصاد والبيئة. تشمل برامج تقييم الأثر البيئي بيانات عن الفحم والبتترول والغاز الطبيعي والكهرباء, والطاقة القابلة للتجديد والطاقة النووية, للمزيد من المعلومات ينظر في ذلك الى: روجر هاورد, النفط ايران ودوره في تحدي نفوذ الولايات المتحدة, (ترجمة), مروان سعد الدين, الدار العربية للعلوم ناشرون, ط1, بيروت, 2007, ص18.

24- جيفري كيمب, ايران والطاقة في بحر قزوين: احتمالات التعاون والصراع, في مجموعة باحثين: مصادر الطاقة في بحر قزوين, ط1, مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية, الامارات, 2001, ص93.

25- Iran: Overview data for Iran." Energy Information Administration - EIA - Official Energy Statistics from the U.S. Government. N.p., 30 May 2015. Web. 7 May 2019.

26- أنتوني باسونز, الكبرياء والسقوط, (ترجمة) فالج صدام, مركز الدراسات الايرانية, ط1, العراق, 1991, ص138.

27- المصدر تفسه, ص139.

28-- نبيل جعفر عبد الرضا, دراسات في الاقتصاد الايراني, مصدر سابق, ص35.

- 29- المصدر نفسه, ص151.
- 30- وسن هادي فيحان, مصدر سابق, ص141.
- 31- الامم المتحدة, تقرير التنمية البشرية, مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت, 1994, ص154.
- 32- نبيل جعفر عبد الرضا, دراسات في الاقتصاد الإيراني, مصدر سابق, ص ص-32 31.
- 33- المصدر نفسه, ص ص131-132.
- 34- علي عبدالقادر, الفقر(مؤشرات القياس والسياسات), المعهد القومي للتخطيط, العدد(4), الكويت, 2002, ص8.
- 35-United Nation, Statical Yearbook, 1997 (New York, UN, 1999), P.172.
- 36- مسعود نيلى, التخلف والاقتصاد الإيراني, مؤسسة الاستشارات العلمية, جامعة شريف, طهران, 2004, ص22.
- 37- فريبا مقصود, تحليل ميزانية العائلة في إيران للسنوات 1984-1993, مجلة روند, العددان (16-17), البنك المركزي الايراني, طهران, 1994, ص ص49-50.
- 38- علام رضا محيي آبادي, تقييم نتائج الخطط التنموية وأثارها على الفقر في إيران, هيئة التخطيط الاقتصادي, طهران, 2001, ص10.
- 39- عبدالرزاق الفارس, السلاح والخبز, مركز دراسات الوحدة العربية, ط1, بيروت, 1993, ص323.
- 40- مسعود نيلى, مصدر سابق نفسه, ص22.
- 41- مسعود نيلى, مصدر سابق, ص44.
- 42- نبيل جعفر عبدالرضا, دراسات في الاقتصاد الإيراني, مصدر سابق, ص33.
- 43- Christian Dreger& Teymur Rahmani, The Impact of Oil Revenues on the Iranian Economy and the Gulf States, German Institute for Economic Research, 2014, P.16.
- 44- الاقتصاد الإيراني والعقوبات الأمريكية.. ما القصة, موقع الجزيرة, البحث منشور على شبكة المعلومات الدولية على الرابط:
<http://mubasher.aljazeera.net>
- 45- امير حاجي يوسفى, العولمة الاقتصادية وعالمية الدولة والتعاون: دراسة حالة لجمهورية إيران الإسلامية, مختارات إيرانية, العدد (21), مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية, القاهرة, 2002, ص10.
- 46- تقرير الاتجاهات الاقتصادية الاستراتيجية, مصدر سابق, ص126.
- 47- الاقتصاد الإيراني والعقوبات الأمريكية, مصدر سابق, ص2.
- 48- تقرير الاتجاهات الاقتصادية والاستراتيجية, مصدر سابق, ص121.

- 49- حسن روحاني, الامن القومي والنظام الاقتصادي الايراني, مجلس تشخيص مصلحة النظام, مركز الدراسات الاستراتيجية, ط1, طهران, 2010, ص67.
- 50- رشيد يلوح, الفساد المالي والاداري في إيران: قضايا وتحديات, المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات, سلسلة تحليل سياسات, قطر, 2013, ص18.
- 51- Nader Habibi, The Iranian Economy in the Shadow of Economic Sanctions, Grown Center for Middle East Studies, 2016, p6.
- 52- مسعود نيلى, مصدر سابق, ص 22.
- 53- عبد الحافظ الصاوي, السماح للشركات الأجنبية بالاستثمار في حقول إيرانية, بحث منشور على شبكة المعلومات الدولية على الرابط: <https://www.alaraby.co.uk/economy/2017/1/12>
- 54- المصدر نفسه, ص13.
- 55- نبيل جعفر عبدالرضا, دراسات في الإقتصاد الإيراني, مصدر سابق, ص94.
- 56- عبد الحافظ الصاوي, مصدر سابق, ص6.
- 57- الأمانة العامة لجامعة الدول العربية وآخرون, التقرير الاقتصادي العربي الموحد, أبوظبي, 2015, ص346.
- 58- احمد السيد النجار, الإقتصاد الايراني الواقع والقدرة على مواجهة العقوبات الدولية الجديدة, تقرير الاتجاهات الاقتصادية الاستراتيجية, مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية, القاهرة, 2010, ص129.
- 59- نبيل جعفر عبدالرضا, دراسات في الإقتصاد الإيراني, مصدر سابق, ص33.
- 60- عبد الحافظ الصاوي, مصدر سابق, ص3.
- 61- نبيل جعفر عبدالرضا, دراسات في الإقتصاد الإيراني, مصدر سابق, ص34.
- 62- احمد السيد النجار, مصدر سابق, ص129.
- 63- سالم توفيق النجفي, الفقر وسياسات التكيف الاقتصادي والتغيير الهيكلي في الاقتصادات الزراعية العربية (النظرية والتجارب), مجلة دراسات اقتصادية, العدد(11) بغداد, 1999, ص7.
- 64- احمد السيد النجار, مصدر سابق, ص130.
- 65- محمد أحمد المقداد, مصدر سابق, ص463.
- 66- تقرير الاتجاهات الاقتصادية والاستراتيجية, مصدر سابق, ص121.
- (* مجموعة 1+5) هي مجموعة الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس أمن الأمم المتحدة, وهي الولايات المتحدة, فرنسا, بريطانيا, روسيا, الصين بالإضافة إلى

- ألمانيا، والتي تتولى المفاوضات مع إيران حول برنامجها النووي. بدأت المجموعة عملها في عام 2006 ولا تزال مستمرة حتى اليوم.
- 67- المصدر نفسه, ص ص 122-123.
- 68- مجلس الأمن يقر مجموعة جديدة من العقوبات على إيران, مجلة الشرق الاوسط, منشور على شبكة المعلومات الدولية على الرابط:
<https://www.france24.com/ar/20100609-security-sanctions-t-Ira>
- 69- تقرير الاتجاهات الاقتصادية والاستراتيجية, مصدر سابق, ص12.
- 70- محمود حمدي أبو قاسم, دراسة سياسية عوامل القوة والضعف في الاستراتيجية الامريكية تجاه إيران, المعهد الدولي للدراسات الايرانية, بحث منشور على: <https://rasanah-iiis.org>
- 71- المصدر نفسه, ص5.
- 72- محمود حمدي أبو قاسم, مصدر سابق, ص5.
- 73- تقرير الاتجاهات الاقتصادية والاستراتيجية, مصدر سابق, ص125
- 74- International Monetray Fund: 2014 Article Iv Consultation—Staff Report Press Release; And Statement By The Executive Director For The Islamic Republic Of Iran (washignton, IMF, April 2014)
- 75- منال الريني, القوى الداخلية في المجتمع الايراني(المحور الاول): القوى السياسية), المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية, القاهرة, 2015, ص3.
- 76- International Monetary Fund: Islamic Republic of Iran: Selected Issues Paper (Washignton, IMF, August 2017, p132.
- 77- احمد ابريهي علي, الاقتصاد الإيراني والعقوبات الأمريكية: السمات العامة للاقتصاد وخصائصه الرئيسية, مركز الفرات, بحث منشور على شبكة المعلومات الدولية على الرابط:
<http://fcds.com/economical/1126>
- 78- محمود حمدي أبو قاسم, مصدر سابق, ص7.
- 79- حمد منصور العلي, العقوبات الاميريكية على الاقتصاد الايراني وومكانة ايران الاقليمية, دار الفارابي, ط1, بغداد, 2015, ص46.
- 80- المصدر نفسه, ص48.
- 81- منال الريني, مصدر سابق, ص3.

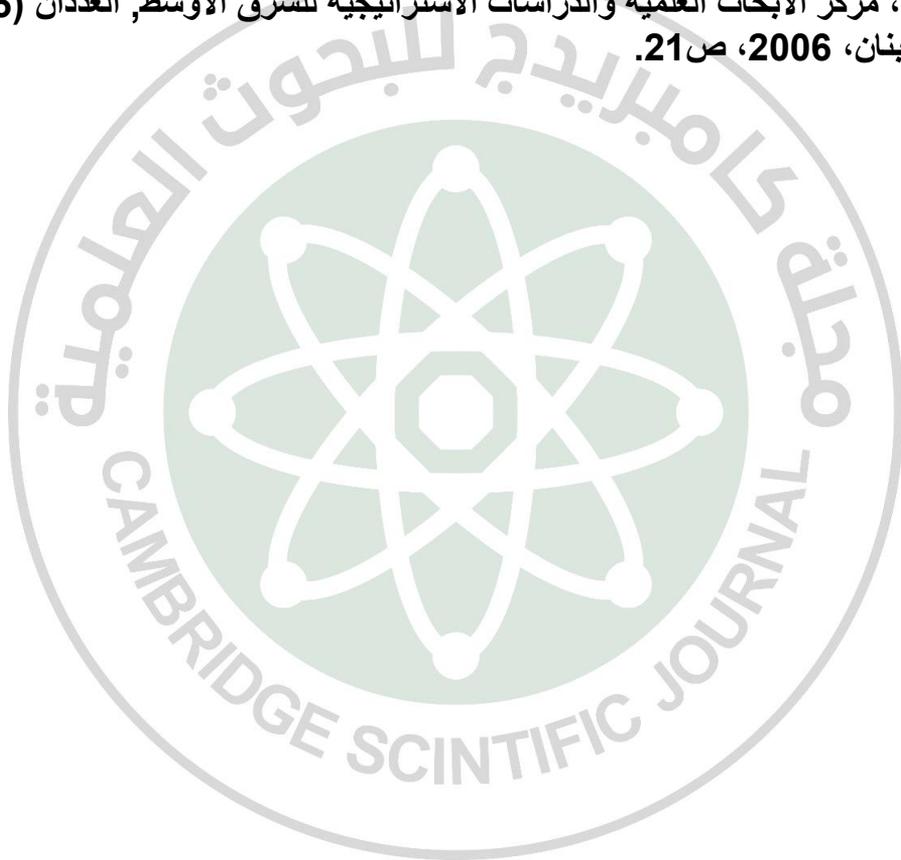
- 82- محمد منصور العلي, مصدر سابق, ص46.
- 83- محمود حمدي أبو قاسم, مصدر سابق, ص3.
- 84- مصطفى اللباد, مصدر سابق, ص6.
- 85- محمود حمدي أبو قاسم, مصدر سابق, ص3.
- 86- القوى الاقتصادية في المجتمع الإيراني, مصدر سابق, ص5.
- 87- محمود حمدي أبو قاسم, المصدر السابق, ص56.
- 88- زيور حاتمي زادة, النظام الضريبي في إيران, مجلة الاقتصادي, طهران, العدد (1), 2001, ص3.
- 89- IMF, Recent Economic Development, April 1998 ,Op. Cit ,p.12.
- 89- محمد اقائي, تحليل ونقد بعض الإصلاحات الضريبية وقانون الضرائب المباشرة في إيران, مجلة الاقتصادي, العدد(7), طهران, 2002, ص15.
- 90- محمد مهدي بهكيش, خصخصة المصارف وأثرها على الأنشطة الاقتصادية, مجلة المصارف الاقتصادية, العدد(10), طهران, 2000, ص26.
- 91- IMF, Recent Economic Developments, April .1998, Op. Cit, p.29.
- 92- مهرزاد مير بهاري, القروض الموجهة وأثرها على النظام المصرفي الإيراني, مجلة روند, البنك المركزي الإيراني, العددان (30-31), طهران, 2001, ص155.
- 93- محمد مهدي بهكيش, مصدر سبق ذكره, ص3.
- 94- المصدر نفسه, ص6
- 95- الاستثمار المشترك للبنك الدولي في إيران, منشور على شبكة المعلومات الدولية على الرابط: [http:// www.news.item.com](http://www.news.item.com)
- 96- S. Chapple, " A Sequence of Errors: Some Notes on the Sequencing Liberalization in Developing Countries". UNCTAD, Discussion Paper, No31.Aug1990.
- 97- وزارة التجارة الإيرانية, مجموعة قوانين الصادرات النفطية , 1984, ص4.
- 98- وزارة التجارة الإيرانية, نتائج الصادرات غير النفطية والاستيرادات للمدة من 1977-1982, 1981, ص55.
- 99- Nader Habibi "Impact of Bureaucratic In Efficiency and Corruption on the Performance of Trade Liberalization

- policies in Iran", Economic Research Forum, working paper 9633, p12.
- 100- نظام الدين فقيه وليلى سرفراز، تحليل اسباب عدم انضمام إيران إلى منظمة التجارة العالمية، بحث مقدم إلى المؤتمر الرابع لتشجيع الصادرات غير النفطية في إيران، 1998، ص307.
- 101- محمد حسين أديب، مصدر سابق، ص110.
- 102- حمد مهدي بهكيش، مصدر سابق، ص7.
- 103- ابراهيم علي رازيني، أساليب استخدام التعرفة الجمركية في الاقتصاد الإيراني، مؤسسة البحوث والدراسات التجارية، ط1، إيران، 1999، ص165.
- 104- رضا بناي، قانون الأمور الجمركية وإجراءاتها، مؤسسة البحوث والدراسات التجارية، 1999، عمان، ص11.
- 105- International Monetary Fund, World Economic Outlook, Op. Cit., PP. 104-105
- 106- هيئة التخطيط والموازنة، تقرير حول الخصخصة واليات العمل بها في إيران، إيران، 1998، ص27.
- 107- المصدر نفسه، ص16.
- 108- رضا بناي، مصدر سابق، ص12.
- 109- هيئة التخطيط والموازنة، المصدر السابق، ص28.
- 110- هيئة التخطيط والموازنة، قانون الخطة التنموية الثالثة، إيران، 1999، ص96.
- 111- Guillermo A. Calve & Marmohan Kumar, "Financial Sector Reforms and Exchange Arrangements in Eastern Europe", Occasional Paper 102, IMF, February 1993, pp.17-20.
- 112- أمير هوشنك أميني، تطور اقتصاديات القطاع العام وقانون الاستثمار الأجنبي، البحث منشور على شبكة المعلومات الدولية على الرابط:
<http://www.leicenter.com>
- 113- المصدر نفسه، ص12.
- 114- Hassan Hakimian, Institutional Change, Policy Challenges, and Macroeconomic Performance: Case Study of the Islamic Republic of Iran (1979-2004), World Bank, 2008, p15.
- 115- عبد الحميد مرغيت، مصدر سابق، ص7.
- 116- United Nations ,Industrial Development Organization, Islamic Republic Of Iran Industrial Sector

Survey On The Potential For Non Oil Manufactured Exports,1999 ,pp.31-36.

- 117- عبد الحميد مرغيت, مصدر سابق, ص7.
- 118- وزارة التجارة الايرانية, تقرير حول صندوق ضمان الصادرات الإيرانية, منشور شبكة المعلومات الدولية على الرابط:
www.egfi.org.ir
- 119- المصدر نفسه, ص7.
- 120- تامر بدوي, الدولة الريعية في إيران: عائدات النفط والنمو والتضخم, منشور على شبكة المعلومات الدولية على الرابط:
<http://studies.aljazeera.net/ar/reports/2014/06/201465115628174474>
- 121- عبد الحميد مرغيت, مصدر سبق ذكره, ص5.
- 122- نبيل جعفر عبد الرضا و د احمد جاسم محمد, سياسات الاصلاح الاقتصادي في ايران, مجلة دراسات ايرانية, مركز الدراسات الايرانية, جامعة البصرة, العدد (8-9), ص27.
- 123- رضا بناي, قانون الأمور الجمركية وإجراءاتها, مؤسسة البحوث والدراسات التجارية, 1999, ص11.
- 124- عبد الحميد مرغيت, المصدر السابق, ص8.
- 125- هيئة التخطيط والموازنة, قانون الخطة التنموية الثالثة, مصدر سابق, ص114.
- 126- نبيل جعفر عبد الرضا واحمد جاسم محمد, سياسات الاصلاح الاقتصادي في ايران, مصدر سابق, ص27.
- 127- المصدر نفسه, ص5.
- 128- عبد الحميد مرغيت, مصدر سابق, ص5.
- (* أعدّ مجلس تشخيص مصلحة النظام مشروع "رؤية 2025", بهدف: حصول إيران على مكانة القوة المركزية في منطقة الشرق الأوسط, وتحويل إيران إلى قوة إقليمية أساسية في منطقة جنوب غرب آسيا التي تشمل: (25 دولة) بضمنها دول آسيا الوسطى. للمزيد ينظر في ذلك إلى:
- وليد عبد الحي, إيران: مستقبل المكانة الإقليمية عام 2020, مركز الدراسات التطبيقية, الجزائر, 2010. ص259.
- 129- سلطان محمد النعيمي, الخطة التنموية السادسة في إيران.. المعوقات والأهداف, جريدة الشرق الاوسط, العدد (13370), 2015, منشورة على شبكة المعلومات الدولية على الرابط:
<https://aawsat.com/home/article/40118>

- 130- أحمد جاسم محمد، ونبيل جعفر عبد الرضا، سياسات الإصلاح الاقتصادي في إيران، دراسات إيرانية، العددين (8-9)، المجلد الخامس، مركز الدراسات الإيرانية، جامعة البصرة، كانون الأول، 2008، ص ص100-102.
- 131- سلطان محمد النعيمي، مصدر سابق، ص3.
- 132- تامر البدوي، مصدر سابق، ص6.
- 133- أحمد جاسم محمد، ونبيل جعفر عبد الرضا، مصدر سابق، ص102.
- 134- سلطان محمد النعيمي، مصدر سابق، ص4.
- 135- سلطان محمد النعيمي، مصدر سابق، ص3.
- 136- سيد احسان خاندوزي، دراسة في الفكر الاقتصادي الايراني الحديث، فصلية ايران والعرب، مركز الابحاث العلمية والدراسات الاستراتيجية للشرق الاوسط، العددان (15-16)، لبنان، 2006، ص21.



موقف المؤرخون من المختار الثقفي

د.مهدي صالح لفته/ جامعة ذي قار/ كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم التاريخ
m.mahde.salhi.lfityh@utq.edu.iq

Ab stract

Al-Mukhtar bin Abi Ubaid (1 AH / 622 AD - 67 AH / 686 AD) was a military leader who demanded the blood of Imam Hussein bin Ali and killed a group of his killers who were in Kufa and others, such as Omar bin Saad, Ubaid Allah bin Ziyad, Harmala bin Kahil, Shammar bin Dhi al-Jushan and others. He took control of the government in Kufa and raised the slogan "Oh for the revenge of Al-Hussein" and was planning to build an Alawite state in Iraq. He was killed in Kufa in the year 67 AH by the army of Musab bin Al-Zubayr. Two brothers from Banu Hanifa, one of them Tarfa and the other Tarraf, were killed by the two sons of Abdullah bin Dhajah. He was buried in Kufa, near its mosque, and the Mukhtar Revolution had a major role in spreading Shiism and expanding its area.

Sunni Muslims believe that he is the liar who was intended by the Prophet Muhammad in his hadith in which he said: "In Thaqeef is a liar and a slanderer." However, some of the hadith narrators from among the Shi'ites were of the view that the intended liar in the hadith is Al-Hajjaj Al-Thaqafi, not Al-Mukhtar Al-Thaqafi, and thus the meaning of this hadith is different. among the Muslim sects.

We will discuss the personality of this man and the evaluation of that movement, especially since both matters are among the matters that raise controversy between the followers of the school of the Caliphs (Ahl al-Sunnah) and the followers of the school of Ahl al-Bayt, peace be upon them, and even within the circle of the followers of Ahl al-Bayt, peace be upon them, and the followers of the school of the caliphs see Al-Mukhtar Al-Thaqafi He is a bad

character and they are in degrees. Some believe that he claimed prophethood and claimed that revelation was revealed to him and he was dealing with magic as they claim, he was a liar, and these words in the sources of the books of the Sunni schools we find very clear and we show part of the reason, especially since the one who wrote the sources of history with them was either Within the Zubayr atmosphere and influenced by the books left by the Zubayrs, and they wrote many books, and they are of course benefiting, especially like Urwa bin Al-Zubayr.

المخلص :

المختار بن أبي عبيد (1 هـ / 622 م - 67 هـ / 686 م) قائد عسكري طالب بدم الإمام الحسين بن علي وقتل جمعاً من قتلته ممن كان بالكوفة وغيرها أمثال عمر بن سعد وعبيد الله بن زياد وحرملة بن كاهل وشمر بن ذي الجوشن وغيرهم، سيطر على الحكم بالكوفة ورفع شعار "يا لثارات الحسين" وكان يخطط لبناء دولة علوية في العراق، وقد قتل في الكوفة عام 67 للهجرة على يد جيش مصعب بن الزبير وقد قتلته أخوان من بني حنيفة أحدهما طرفة والآخر طراف ابنا عبد الله بن دجاجة. دفن في الكوفة قرب مسجدها وكان لثورة المختار دور كبير في نشر التشيع وتوسيع رفقته.

يعتقد المسلمون السنة أنه الكاذب الذي قصده النبي محمد في حديثه الذي قال فيه: " إن في ثقيف كذاباً ومُبيراً " ، إلا أن بعض رواة الحديث من الشيعة ذهبوا إلى أن الكذاب المقصود بالحديث هو الحجاج الثقفي وليس المختار الثقفي، وهكذا فإن المقصود بهذا الحديث مختلف عليه بين طوائف المسلمين.

نشأته في مدينة الطائف حيث ولد المختار : ولد المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عفرة بن عميرة بن عوف بن ثقيف الثقفي ، في الطائف في السنة الأولى للهجرة ، وأبوه أبي عبيد الثقفي قائد المسلمين في معركة الجسر، وقد أسلم أبوه في حياة الرسول صل الله عليه واله وسلم وكان صحابياً وانتقل مع والده إلى المدينة في زمن الخليفة عمر بن الخطاب . واستشهد والده في أثناء معركة كبيرة مع الفرس من ضمن الفتوحات الإسلامية وكان عمر المختار ثلاث عشرة سنة آنذاك ، وكان مصاحباً لوالده وأخيه ونشأ في المدينة متأثراً بالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وأصبح من محبيه . عُرف عنه أنه كان فارساً شجاعاً، وقد ورث هذا عن أبيه. يتهمه رجل الدين وبعض المؤرخين ومنهم بن كثير بأنه كان ناصبياً يبغض علياً بغضاً شديداً مع ان المختار من المعروفين تاريخياً بمناصرة الامام علي واولاده الامامان الحسن والحسين عليهم السلام ومحمد بن علي المعروف بابن الحنفية.

نتناول شخصية هذا الرجل وتقييم تلك الحركة لا سيما وأن كلا الأمرين من الأمور التي تثير جدلاً بين أتباع مدرسة الخلفاء (أهل السنة) وبين أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، بل حتى في داخل دائرة أتباع أهل البيت عليهم السلام ، وأتباع مدرسة الخلفاء يرون المختار الثقفي شخصية سيئة وهم في ذلك درجات ، فالبعض يرى أنه ادعى النبوة وادعى نزول الوحي عليه وكان يتعامل بالسحر كما يزعمون ، كان كذاباً ، وهذه الألفاظ في مصادر كتب مدرسة أهل السنة نجدتها واضحة جداً وبيننا جانباً من السبب لا سيما وأن الذي كتب مصادر التاريخ عندهم إما كان ضمن الجو الزبيري ومتأثراً بما تركه الزبيريون من كتب وقد كتبوا كتباً كثيرة وهم بالطبع يستفيدون لا سيما مثل عروة بن الزبير فحين كتب هؤلاء التاريخ تعرضوا للمختار الثقفي وهو عدوهم في المواجهة العسكرية فمن الطبيعي ألا ينصفوه ، ومن جاء وراءهم تأثروا بهذا التوجه ، ومن جهة أخرى أيضاً قسم آخر ممن كتبوا التاريخ كانوا متأثرين بالسلطة الأموية والاتجاه الأموي وهؤلاء أيضاً باعتبار أن المختار تتبع قادتهم العسكريين وقتل عبيد الله بن زياد وواجههم مواجهة شرسة ليس من الطبيعي أن يمدحوه أو يثنوا عليه فهذه المدرسة بشكل عام كان نظرها نظراً سنياً تجاه المختار . وهذا كما ذكرنا على درجات في نظرهم السلبية تجاهه .

أما بالنسبة لمدرسة أهل البيت عليهم السلام هناك موقفان : بعض العلماء رأوا أمامهم قسماً من الروايات تدم المختار الثقفي ورأوا أمامهم أيضاً كما كبيراً من النقولات التاريخية التي كتبها الزبيريون والأمويين وأتباعهم فصارت هذه مضافة إلى هذه لذلك اتخذوا من المختار موقفاً غير إيجابياً .

والقسم الآخر الأكثر عدداً والأكثر تحقيقاً رأى أن الرجل بحسب ما ورد من الروايات هي روايات مادحة واضحة قوية كثيرة وأمامها لا يمكن أن يتركها الإنسان ويذهب لتصديق كتاب أمويين أو زبيريين أو من يتأثر بهم .

المقدمة

كان المختار الثقفي من الشخصيات اللامعة التي عرفها التاريخ الإسلامي، وقد لعب دوراً خطيراً في الأحداث السياسية والاجتماعية، وأثبت كفاءته أنه رجل الفكر والعمل، حتى قال عنه بعض المؤرخين: " كان على جانب كبير من الورع والتقوى وقوة الشخصية والدراية بعلم النفس والإمام بوسائل الدعاية والإعلام ، فقد كان يخاطب عواطف الناس كما كان يخاطب عقولهم ، وكان لا يكتفي بوسائل الدعاية المعروفة حينئذ كالخطابة والشعر، بل لجأ إلى وسائل كثيرة للدعاية، منها التمثيل والمظاهرات والإشاعات ، كما لجأ إلى ما نسميه اليوم بالانقلاب العسكري حينما انتزع الكوفة من ابن الزبير" (1) .

وبعد استيلائه على الكوفة دخل الرعب إلى نفوس قتلة الإمام الحسين {ع} ، فهم بعضهم من خوفه في البيداء، وفرّ آخرون إلى عبد الملك، وهرب البعض الآخر إلى ابن الزبير وقاتل معه، لا إيماناً بقضيته، ولكن خوفاً من المختار. وهكذا أدخل المختار الرعب إلى قلوب المجرمين من قتلة الإمام الحسين {ع} حتى زلزل الأرض تحت أقدامهم واجتاحتهم

موجات عاتية من الخوف والرعب، فلم يهناً أحدٌ منهم بعيش بعد أن خيم عليهم شبح الموت.

لقد ربط المختار دعوته بمجدد بن الحنفية ابن الإمام علي {ع} ، وهذا ما جعل الناس تطمئن إليه وتلتحق بثورته، ما مكّنه من تشكيل قوة كبيرة أثارت الرعب في قلوب الولاة والعمال ، وعلى رأسهم عبد الله بن مطيع ، عامل عبد الله ابن الزبير في الكوفة ، الذي حارب الثورة بالرجال الذين تولوا قتل الإمام الحسين {ع} ، مثل شمر بن ذي الجوشن، وعمرو بن الحجاج ، وشبث بن ربعي وأمثالهم، ما حفّز الثوّار على المضي في ثورتهم والتصميم على النصر. وقد أنصف المختار عندما ولّى الحكم، طبقة في المجتمع الإسلامي كانت مضطهدة في عهد الأمويين، واستمر اضطهادها في عهد ابن الزبير، وهي طبقة الموالي ، الذين كانت عليهم واجبات المسلمين ولم تكن لهم حقوق ، فلما استتب الأمر للمختار أنصفهم، فجعل لهم من الحقوق مثل ما لغيرهم من عامة المسلمين.

وقد أثار هذا العمل الأشراف وسادة القبائل فتكتلوا ضد الثورة، وتأمروا عليها، وكان على رأسهم قتلة الحسين، ولكنهم فشلوا في حركتهم. وكانت هذه الحركة سبباً في تعجيل المختار بتتبع قتلة الإمام الحسين وآله {ع} في كربلاء، فقتل منهم في يوم واحد مائتين وثمانين رجلاً، حتى لم يفلت من زعمانهم أحد، فقتل شمر وعمر بن سعد وشبث بن ربعي وغيرهم .

اسمه ونسبه وسيرته :

فهو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن عنزة بن عوف بن ثقيف⁽²⁾ ، اسلم ابوه في حياة الرسول (ﷺ) ، وفي خلافة عمر بن الخطاب انتقل مع أبيه من مدينة ثقيف إلى المدينة المنورة وسكنها⁽³⁾ ، وعندما عزم الخليفة عمر بن الخطاب على تحرير العراق قام بإرسال جيش جعل على قيادته ابا عبيد بن مسعود الثقفي لأنه أول من لبى دعوة عمر بن الخطاب⁽⁴⁾ ، وعقد اللواء له على خمسة آلاف رجل وكتب إلى المثني بن حارثة الشيباني ان ينظم اليه بمن معه وحدثت معركة بين المسلمين والساسانيين اطلق عليها اسم معركة الجسر ، استشهد ابو عبيد بن مسعود فيها⁽⁵⁾ ، بعد ان أبلى فيها بلاء حسناً⁽⁶⁾ ، وبعد استشهاد أبيه في معركة الجسر بقي المختار في المدينة المنورة منقطعاً إلى بني هاشم⁽⁷⁾ ، ولما كان منقطعاً إلى بني هاشم فمن الطبيعي ان تكون ميوله الى آل البيت {ع} وتكون اعماله منصبه باتجاههم حيث اخذ عنهم بعض الصفات التي كان آل بيت النبوة يتحلون بها .

كان عم المختار بن أبي عبيد سعد بن مسعود الثقفي من أصحاب رسول الله (ﷺ)) وعندما أسست مدينة كوفة في زمن عمر بن الخطاب على يد سعد بن أبي وقاص قائد الجيوش الاسلامية في ارض العراق استوطنها ، وعين على سبع من اسباعاتها⁽⁹⁾ ، وكان من الموالين للإمام علي بن ابي طالب {ع} حيث عقد لقبائل قيس وذبيان راية وولى عليها سعد بن مسعود وذلك في معركة صفين⁽¹⁰⁾ ، وبعد ذلك جعله عاملاً على المدائن⁽¹¹⁾ ، وعند استشهاد الامام علي {ع} بقي عاملاً على المدائن زمن

خلافة الامام الحسن بن علي {U} (12) وفي هذه المدة انتقل المختار من المدينة المنورة باتجاه العراق فاستوطن الكوفة وبنى فيها دارا له (13), وكان يتردد على عمه سعد بن مسعود في المدائن ولما بعث الإمام الحسين {U} مسلم بن عقيل {U} إلى الكوفة نزل دار المختار , فبايعه المختار ودعا اليه (14).

وهذا الامر يعطينا فكرة واضحة بان المختار استمر ولاؤه لال البيت {U} ولم يتغير حيث انه اخلص لمسلم بن عقيل بن ابي طالب {U} عندما بايعه ودعا الناس اليه , وكان من الأشخاص البارزين في الدعوة للإمام الحسين {U} وعندما سمع المختار بخروج جيش عبيد الله بن زياد إلى مسلم , خرج المختار لنجدته , ولكنه وصل بعد القاء القبض عليه , وعندما علم عبيد الله بن زياد بقدمه لنجدة مسلم {U} (15), وامر بالقاء القبض عليه , وجيء به إلى عبيد الله بن زياد , فضربه على وجهه , فوقعت الضربة على عينه فشترتها وقال : " اولى لك ! اما والله لولا شهادة عمرو لك لضربت عنقك ؛ انطلقوا به إلى السجن ... " (16) , ويبدو ان ابن زياد كان عازما على قتل المختار لولا شهادة عمرو بن حريث نائب عبيد الله بن زياد على الكوفة , حيث شهد له بعدم قدومه إلى نصره مسلم بن عقيل {U} وكان بين عمرو بن حريث والمختار صداقة قديمة و بذلك برا موقفه فاكتمى عبيد الله بن زياد بإيداعه في السجن , و بقي المختار محبوسا في سجن عبيد الله بن زياد إلى بعد مدة من استشهاد الإمام الحسين {U} , فكتب المختار إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب ان يشفع له عند يزيد بن معاوية وتخليه سبيله (17) , وذلك لوجود علاقة مصاهرة بين المختار وعبد الله بن عمر , حيث كان عبد الله بن عمر متزوجا من صفية بنت أبي عبيد الثقفي و هي اخت المختار , فكتب فيه عبد الله بن عمر إلى يزيد بن معاوية , وكتب يزيد إلى عامله عبيد الله بن زياد يأمره بإطلاق سراح المختار , فأطلق سراحه ونفاه عبيد الله بن زياد بعد ذلك إلى الحجاز (18).

ان قضية نفي المختار الى الحجاز بعيدة عن الصحة لما عرف عن مكر ودهاء امير الكوفة عبيد الله بن زياد حيث ان الحجاز كانت بيد الزبيرين الذين أعلنوا خروجهم عن سلطة يزيد بن معاوية الأموي أي ان الحجاز غير خاضعة الى سلطان ال امية فكيف ينفي المختار الى الحجاز وهو يعرف بان المختار اخطر من الزبيرين انفسهم , ولكن عبيد الله اطلق سراح المختار تلبيةً لرغبة يزيد بن معاوية ولكنه وضعه تحت الإقامة الجبرية بل انه حاول اغتيال المختار لأكثر من مرة ولكن المختار فر من تلك المحاولات بذكاء .

وعند خروج المختار من الكوفة جرى كلام بينه وبين ابن العرق وهو مولى لثقيف بانه سوف ينتقم من ابن زياد , عندما يدعو بأخذ ثار الإمام الحسين {U} وكانه على يقين تام بذلك (19) , وسار المختار نحو الحجاز حتى وصل مكة المكرمة , ووجد فيها عبد الله بن الزبير يدعو إلى نفسه سرا , وكنتم ذلك عن المختار , فرحل المختار عنه و يذكر الخربوطلي : " أن سبب عدم تصريح عبد الله بن الزبير بنوايا للمختار هو عدم ثقته به " (20) , وغاب المختار عن ابن الزبير مدة تقارب السنة , وكان عبد الله بن الزبير يسال عنه دائما فيقال له انه بالطائف , وهذا ان دل على شيء , انما يدل على اهمية المختار

في نظر الكثير من الناس ومنهم عبد الله بن الزبير ، وبعد ذلك حضر المختار إلى مكة وباع عبد الله بن الزبير على شروط ، واقام عنده ، وحارب أهل الشام وقاتلهم قتالا شديدا ، فلما توفي يزيد بن معاوية اطاع اهل العراق عبد الله بن الزبير ، وكان المختار عند ابن الزبير ينتظر بان يفي له بشرطه الا وهو ولاية العراق ، فأقام خمسة اشهر وأياما (21) ، ولما رأى المختار ان عبد الله بن الزبير ، لم يستعمله على احدى الولايات التي اعترفت بالولاء والطاعة اليه ، خابت أماله التي عقدها في ابن الزبير (22) .

ولو امعنا النظر فيما مر ذكره لتبادر لنا السؤال عن سبب ، عدم استعمال ابن الزبير ، المختار على احدى الولايات التابعة له علماً أنه كانت من الشروط التي قطعها ابن الزبير الى المختار وكان المختار يعد من الرجال الشجعان والذين منحوا ولاءهم لابن الزبير، حيث ابلى المختار عند قتاله اهل الشام في حصار مكة ؟

و الجواب على ذلك ، ان ابن الزبير ، كان على معرفة بميول المختار لال البيت (عليهم السلام) ، وربما كان يعتقد انه اذا ولى المختار احدى الولايات ربما يستقل فيها ثم ينفصل عنه وسوف يبائع لال البيت (عليهم السلام) ويعطن ولاءه لهم ولا ربما كان ابن الزبير يتوجس خيفة من المختار نفسه هي راء ان له إطماع بالسلطة ، بل انه اشترط عليه قبل مبايعته له وقتاه لاهل الشام توليه العراقيين البصرة والكوفة الا انه الدهاء كان لا ينقص الاثنان المختار وابن الزبير ، وان المختار عزم على مفارقة ابن الزبير وفي هذه الظروف المخيبة للامال ، بدا المختار بتوجيه طموحاته نحو العراق فاخذ يسال عن اخباره ، فالتقى برجل يدعى هانيء بن أبي حية الهمداني (23) ، فسأله عن الناس في الكوفة وهيئتهم ، فاجابه الرجل بانهم قد بايعوا عبد الله بن الزبير: " ... ولو كان لهم رجل يجمعهم على رايهم لاكل بهم الارض ... " (24) ، فاجابه المختار : " لا عليك يا اخا همدان ، فانا والله اجمعهم على الحق ، وانفي بهم الباطل ، واقتل بهم كل جبار عنيد ان شاء الله ولاقوة الا بالله " (25) ، ثم قال له الرجل انها الفتنة ، فأجابه المختار: " اني لا اريد الفتنة انما ادعوا إلى الهدى والجماعة " (26) ، ثم سأله المختار عن سليمان بن سرد واصحابه هل خرجوا لقتال المحليين ؟ فقال له لا ولكنهم استعدوا لذلك الامر ، فسكت المختار ثم رجع إلى منزله وما ان جاء الليل حتى خرج من مكة بغير علم عبد الله بن الزبير ، وعند الصباح وصل إلى مرحلتين من مكة ثم سار مجدا باتجاه الكوفة " (27) .

وكان المختار كلما قابل رجلا وهو في طريقة إلى العراق سأله عن اخباره ، فيقول له ان العراق كسفينة بدون ملاح ، فعزم المختار على ان يكون هو ذلك الملاح الذي يقبض على دفة السفينة بيد قوية ، ويوجهها الى شاطئ الأمان (28) ،

وما ان وصل المختار إلى الحيرة (29) نزل واغتسل وركب فرسه وسار حتى دخل الكوفة نهارا ، وكان لا يمر على مجلس من مجالسهم ولا مسجد من مساجدهم ، الا وقف وسلم عليهم وكان يقول لهم ابشروا بالفرج فقد جنتكم بما تحبون وانا المسلط على الفاسقين والطالب بدماء أهل البيت (عليهم السلام) ، وبعد ان وصل المسجد في الكوفة

دخل وصلى فيه واخذ الناس ينظرون اليه ويقولون : " هذا المختار بن أبي عبيد , وما قدم الا لأمر ونحن نرجو به الفرج "(30).

يتضح لنا ان المختار كانت له اهداف اراد ان يحققها من خلال مروره بمجالس اهل الكوفة ومساجدهم , اولها اشعارهم بانه انتقل من الحجاز وحل في الكوفة , وثانيا ليحضا برضا الناس ويكسب ودهم من خلال الحملة الاعلامية التي نشرها اذ نادى: " ابشرو بالفرج ... "(31), ويؤيد هذا الكلام الخربوطلي حيث قال : " فقد كان المختار حريصا دائما على تحقيق وسائل الدعاية , وتوفير سبل الاعلام , وهي من اهم عناصر نجاح الحركات السياسية "(32) , والشيء الآخر ان الناس قد بدأوا يتناقلون خبر مجيء المختار وسببه وما العمل الذي ينوي القيام به كل هذه الظروف خدمة قيام المختار.

ثم اقبل المختار حتى نزل داره المعروفة بدار المختار وكانت بعض الشيعة تتردد عليه وكان يسال عن امر الناس وعن حال الشيعة فيقال له : " ان الشيعة اجتمعت على سليمان بن صرد وانه لا يلبث الا مدة قصيرة حتى يخرج لمقاتلة اهل الشام "(33) , فأجابهم المختار : " اما بعد , فان المهدي ابن الوصي , محمد ابن علي بن ابي طالب (ابن الحنفية) , بعثني اليكم امينا ووزيرا ومنتخبا واميرا , وامرني بقتال الملحدين , والطلب بدماء اهل بيته والدفع عن الضعفاء "(34).

وكان عبيدة بن عمرو(35) , أول من بايع المختار(36) , وبدء المختار يبعث إلى الشيعة التي اجتمعت عند سليمان بن صرد , فاخذ يدعوهم إلى نفسه ويقول لهم : " ان سليمان بن صرد يرحمنا الله واياهم انما هو عشمه من العشم وحفش , بال ليس بذئ تجربة للأمور , ولا له علم بالحروب ؛ انما يريد ان يخرجكم فيقتل نفسه ويقتلكم , اني انما اعمل على مثال قد مثل لي , وامر قد بين لي , فيه عز وليكم , وقتل عدوكم , وشفاء صدوركم , فاسمعوا مني قولي , واطيعوا امري , ثم ابشروا وتباشروا , فاني لكم بكل ما تأملون خير زعيم ... "(37).

نستنتج مما مر ذكره ان المختار بدا يبذر البذور الأولى لثورته حينما اخذ يدعو الشيعة اليه , واراد ان يدعم دعوته بتفويض من محمد بن الحنفية , المعروف , حيث ادعى ان محمد بن الحنفية ارسله للقيام بالثورة والاخذ بثار الإمام الحسين {ع} , وبذلك اضاف المختار إلى حركته سببا شرعيا , بانه مفوض من قبل محمد بن الحنفية , وهذا دعم لموقفه ازاء الشيعة يؤدي إلى رجحان كفته على كفة سليمان بن صرد ولا ننسى بان سليمان بن صرد هو سبب رئيسي في انتكاس الشيعة في الكوفة وخذلان مسلم بن عقيل سفير الامام الحسين {ع} وهذا ما دعاه بان يطلق على نفسه بالتواب أي الذي ارتكب ذنب وهذا اعتراف منه بما كان بحق الامام الحسين {ع} وعدم مناصرته وخذلانه , اما المختار لانه يدعو باسم محمد بن الحنفية , وهو وزيره وامينه , هذا وقد استخدم أسلوب التبشير بالنصر وبقرب الفرج في دعوته وبين موقفه من سليمان بن صرد وحركته حيث لم يتعرض له بسوء واراد ان يبين ان سليمان ابن صرد ليس له قدرة على الحروب وان

حركته بمثابة حركة انتحارية⁽³⁸⁾ , وقد استخدم اساليب عديدة , تحت الناس للتخلي عن حركة سليمان , حيث ركز المختار في خطبته على امرين .

اولاً : انه اكثر كفاءة من سليمان بن سرد في تزعم الشيعة , وان ابن الحنفية اختاره وزيرا وامينا ونائبا ووصف المختار ابن الحنفية بانه ولي الامر , الثاني : ان سليمان بن سرد لا يصلح لقيادة الثورة فليس له خبرة بشؤون الحرب ولا الحكم ولا السياسة , واذا قاد الشيعة يهلكهم ويهلك نفسه⁽³⁹⁾ , ورغم تلك المبررات التي اعتمدها المختار , فانه فشل في استمالة جميع الشيعة الى جانبه , سوى فئة قليلة انشقت عن التوابين , وبذلك انقسم التوابين على انفسهم , فئة تدعو لسليمان وكان رؤساء الشيعة معهم وفئة تدعو للمختار , فكان هذا الانقسام سهل على الدولة الاموية , ضرب سليمان بن سرد واتباعه ضربة قاضية .

وبدأ المختار يتربص الموقف العام في الكوفة وخصوصا موقف الشيعة (التوابين) الذين انضموا الى سليمان بن سرد , وكان سليمان يعد اثقل خلق الله على المختار⁽⁴⁰⁾ , وعندما خرج سليمان والتوابين قاصدين بلاد الشام اشار عمر بن سعد بن أبي وقاص , وشبث بن ربعي , ويزيد بن حارث بن رويم , على والي الكوفة عبد الله بن يزيد الانصاري ان يسجن المختار ليحد من نشاطه اذ قالوا له : " ان المختار اشد عليكم من سليمان بن سرد , ان سليمان انما خرج يقاتل عدوكم , و يذللهم لكم , وقد خرج من بلادكم , وان المختار انما يريد ان يثبت عليكم في مصركم , فسيروا اليه فاوثقوه في الحديد , وخذلوه في الحبس حتى يستقيم امر الناس"⁽⁴¹⁾ , وفعلا تم القبض عليه وايداعه السجن لتحجيم دوره و نشاطه في الكوفة⁽⁴²⁾ .

ويمكن ان نستنتج من قدوم المختار الى الكوفة , ان هنالك هدفا مهماً الا وهو كيف يسيطر على الموقف بالكوفة ويزيح سليمان بن سرد عن طريقة وبأي وسيلة , وبالفعل استطاع المختار بان يخرق صفوف التوابين واستمالتهم بان جعل نفسه الوكيل الشرعي والمكلف من قبل محمد بن الحنفية بان يدير امور الشيعة في الكوفة وكذلك للأخذ بالشار ال البيت عليهم السلام ممن ظلمهم وستحل دمانهم في كربلاء , كما ان سليمان خاض معركة غير متكافئة مع الشاميين في عين الوردة اهلك فيها الشيعة وان حبس المختار من قبل الوالي الزبيري قد اثبت للشيعة بان المختار اكثر حنكة وقيادة ووجدوا فيه ما يعوضوا به الانتكاسة التي مروا فيها باتباعهم سليمان بن سرد .

اختلفت كلمات الرجاليين في أمر المختار ذمًا ومدحا لكن المحصل لنا من خلال تتبعنا لأكثر كلمات القوم نستطيع ان نقول بان أكثر علماء الشيعة الأمامية قالوا بمدحه والثناء عله استنادا إلى روايات وردت عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) . اما القسم الباقي من العلماء فقد توقفوا في أمره وذلك لشبهات أثرت حول المختار نتعرض إليها تباعا .

ونذكر هنا بعض كلمات الرجاليين التي جاءت في حق المختار : قال العلامة التفريشي في كتابه نقد الرجال ما هذا نصه : " المختار بن أبي عبيدة الثقفي : روى

الكشي عن حمدويه قال : حدثني يعقوب ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن المثنى ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن المثنى ، عن سدير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : لا تسبوا المختار فإنه قتل قتلنا وطلب بئارنا وزوج أرامنا وقسم فينا المال على العسرة " (43)

وقال السيد بحر العلوم عندما ذكر المختار:

ولما دعا المختار للثأر أقبلت كتائب من أشياع آل محمد
وقد لبسوا فوق الدروع قلوبهم وخاضوا بحار الموت في كل مشهد
هم نصروا سبط النبي ورهطه ودانوا بأخذ الثأر من كل ملحد
ففازوا بجنات النعيم وطيبها وذلك خير من لجين وعسجد
ولو أنني يوم الهياج لدى الوغى لاعملت حد المشرفى المهند
ووا أسفا إذ لم اكن من حماته فاقتل فيهم كل باغ ومعتد (44)

وقال السيد علي البروجردي في طرائف المقال : " المختار بن أبي عبيد ، وفيه أحاديث مختلفة قاذحة ومادحة والترجيح مع الثانية ، ويكفي في حقه أنه انكسر قوارير الكفر وقتل جما خطيرا من بني أمية يبلغ إلى ثمانين ألف رجل كما في بعض الأحاديث" (45) ، وقال خير الدين الزركلي في كتابه الإعلام : " المختار الثقفي (1-67 هـ = 622 - 687 م) المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي ، أبو إسحاق : من زعماء الثائرين على بني أمية ، وأحد الشجعان الأفاذا . من أهل الطائف . انتقل منها إلى المدينة مع أبيه . في زمن عمر . وتوجه أبوه إلى العراق فاستشهد يوم الجسر ، وبقي المختار في المدينة منقطعا إلى بني هاشم . " (46) ، وقال السيد الخوئي في كتاب معجم رجال الحديث ما هذا نصه : " والخبار الواردة في حقه على قسمين : مادحة وذامة ، وأما المادحة فهي متصافرة ، منها ما ذكره الكشي: إبراهيم بن محمد الختلي ، قال : حدثني أحمد بن إدريس القمي ، قال : حدثني محمد بن أحمد ، قال : حدثني الحسن بن علي الكوفي ، عن العباس بن عامر ، عن سيف بن عميرة ، عن جارود بن المنذر ، عن أبي عبد الله {ن} قال : ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت ، حتى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين {ن} " (47) ، وهذه الرواية صحيحة ، ثم نقل السيد الخوئي كلاما لابن نما الحلي ينقله المجلسي في بحاره قال جعفر بن نما : " اعلم أن كثيرا من العلماء لا يحصل لهم التوفيق بفطنة توقفهم على معاني الاخبار ، ولا رؤية تنقلهم من رقدة الغفلة إلى الاستيقاظ ، ولو تدبروا أقوال الأئمة في مدح المختار لعلموا أنه من السابقين المجاهدين الذين مدحهم الله تعالى ﷺ في كتابه المبين ، ودعاء زين العابدين {ن} للمختار دليل واضح ، وبرهان لائح ، على أنه عنده من المصطفين الاخبار ، ولو كان على غير الطريقة المشكورة ، ويعلم أنه مخالف له في اعتقاده لما كان يدعو له دعاء لا يستجاب ، ويقول فيه قولاً لا يستطاب ، وكان دعاؤه {ن} له عبثا ، والامام منزه عن ذلك " (48) .

لم تستطع الكوفة نسيان ما حدث للحسين {ن} بسبب موقفهم المتخاذل وتواكلهم عن نصرته بفعل الشدة التي بالغ في استخدامها جند أهل الشام ، وما صحب ذلك من

إجراء لم تشهد المنطقة له مثيلا ، ناهيك عن أموال رُخت بين بعض من اهلها الذين لم يميزوا بين الحق والباطل ، وإنما اندفعوا وفق أهوائهم دون وازع من دين او ضمير، وهم يتراكمون لرضى الحاكم، وإحسانه طامعين بما يحصلون عليه من أفضاله . المختار يضم اليه التوابين العاندون من عين الوردة :

ذكرنا موقف المختار ، ازاء حركة التوابين في الكوفة ، وكيف اراد ان يضم اليه اكبر عدد من الشيعة ، مستندا في ذلك على وثيقة زعم انها من محمد بن الحنفية ، تخوله المطالبة بدم الإمام الحسين {ع} ، واخذ تأره ، و لكنه اصطدم اثناء وجوده في الكوفة بوجود السلطة الحاكمة في الكوفة الى ال الزبير ، وان علاقته بالزبيرين كما مر بنا سابقا غير جيدة فلذلك لا يستطع الوقوف بوجهها اذ اودعوه السجن ، والامر الآخر وجود حركة التوابين ، الذي بدأ بانتقادها من خلال التشكيك بقدرات سليمان بن صرد القيادية ، و لكثرة مؤيديها فلا يستطيع اعلان مناوأتها ، وكان يتربص عن كذب سير الاحداث داخل الكوفة ، لغرض استغلال أي حادث يطرا فيها ، يستثمره لصالحه ، وقد جاءت الفرصة الملائمة ، عندما علم بهزيمة التوابين في معركة عين الوردة ، اراد ان يستثمر هذه الحالة و يوظفها لخدمة طموحاته ، فبدء بمراسلة التوابين وهو في السجن حيث كتب إلى رفاعة بن شداد كتابا ، عندما علم برجعهم من عين الوردة إلى مدينة الكوفة ، جاء فيه : " اما بعد ، فمرحبا بالعصب الذين عظم الله لهم الاجر حين انصرفوا ، ورضي انصرفهم حين قفلوا ... الا كان ثواب الله له اعظم من ملك الدنيا ، ان سليمان قد قضى ما عليه ، وتوفاه الله فجعل روحه مع ارواح الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين ... وإلى الطلب بدماء اهل البيت والدفع عن الضعفاء ، وجهاد المحليين ؛ والسلام" (49).

اظهر المختار في هذا الكتاب الترحيب والمودة بالتوابين ، ودعا الله سبحانه وتعالى بعظيم الاجر والثواب ، وذكرهم ان سليمان قضى ما عليه ، وجعلت روحه مع ارواح الشهداء السعداء ، وابلغهم بانة أصبح القائد الحقيقي ، الذي سوف يأخذ بثأر الإمام الحسين {ع} ، وطلب منهم التهيؤ والاستعداد لمنازلة العدو ، وان يبشروا بقدوم الفرج ، وهذا ما كان يطمح اليه المختار اذ زال اشد منافسيه عن الساحة السياسية ، واستمر بمواصلة التوابين وهو في السجن ، فبعث اليهم كتابا اخر يحمله سليمان بن عمرو من بني ليس من عبد القيس ، وقد اخفى الكتاب في قلنسوته ، لان المختار كان حذرا من وقوع الكتاب بيد ولادة ابن الزبير ، وبذلك ينكشف امره ، وقد ذكر في الكتاب : " اما بعد فان الله اعظم لكم الاجر وحط عنكم الوزر بمفارقة القاسطين و جهاد المحليين انكم لم تنفقوا نفقة ولم تقطعوا عقبه ولم تخطوا خطوة الا رفع الله لكم بها درجة وكتب لكم بها حسنة إلى ما لا يحصيه الا الله من التضعيف فابشروا فاني لو قد خرجت اليكم قد جردت فيما بين المشرق والمغرب في عدوكم السيف بإذن الله فجعلتهم بإذن الله ركاما وقتلتهم فذا وتواما فرحب الله بمن قارب منك و اهتدى ولا يبعد الله الا من عصى و ابي السلام يا اهل الهدى " (50) ، فأتى به التوابين ، فلما قرأ مبعوث المختار ، الكتاب عليهم ، اعلنوا الولاء والطاعة له وبعثوا عبد الله بن كامل الشاكري (51) ، ممثلا عنهم إلى المختار ،

وابلغوه ان يقول له : " قد قرانا الكتاب و نحن حيث يسرك , فان شات ان ناتيک نخرجک فعلنا "(52) , فاتاه ممثل التوابين ودخل عليه السجن فاخبره بما اجتمع عليه التوابين , ففرح بذلك كثيرا , لاجتماع الشيعة حوله وبشرهم بخروجه في القريب العاجل(53) , وبذلك استثمر المختار موقف التوابين بانضمامهم اليه في التصدي للسلطة الاموية , والسعي للأخذ بشار الإمام الحسين {U} .
قيام المختار واعلانه الثورة:

الظروف التي أحاطت بالدولة الإسلامية في عهد يزيد بن معاوية أدت إلى الانقسامات في الدولة الإسلامية وحصول الثورات وانتفاضات كثيرة كقيام عبد الله ابن الزبير وثورة التوابين وقيام المختار وبعض الثورات الأخرى الصغيرة .
وبينما الامور على هذه الشاكلة ظهر المختار بن ابي عبيد النخعي(66-68هـ) في الكوفة في محاولة مقارعة ظلم الدولة الاموية , وفي حديثه لأهل الكوفة تظهر الاسباب الكاملة في ثورته , وذلك قوله: " ابشروا بالفرج , فقد جناكم بما تحبون وانا المسلط على الفاسقين والطالب بدماء أهل البيت "(54) .

واستطاع سنة 66هـ ان يسيطر على الكوفة , وطرد عبد الله ابن مطيع والي الزبيريين عنها , ولم يبق امامه سوى ذلك الجيش القادم من بلاد الشام الذي قاده عبيد الله بن زياد لاستعادة الكوفة لسيطرة دمشق , فكانت فرصة طالما حلم بها المختار فوجه جيشا يقوده يزيد بن انس , ثم امده بالقائد ابراهيم بن مالك الأشتر النخعي , فلقي ابن زياد فقتله , وقتل الحصين بن نمير , ووجه برأس ابن زياد الى علي بن الحسين {U} الى المدينة(55) , وتتبع المختار قتلة الحسين {U} فقتل منهم خلقاً عظيماً حتى لم يبق منهم أحد (56) .

اقام المختار حكومة في الكوفة معلنا اول انفصال عن دمشق منذ قيام الدولة الاموية , وبعث عماله الى مختلف المناطق المجاورة للكوفة , وكانت لثورته اصداء بعيدة المدى سياسية واجتماعية واقتصادية ظهرت نتائجها في الاحداث التي صاحبت الدولة الاموية وكانت اليد الطولى في اضعافها .

ومع ان الزبيريين استطاعوا القضاء على حكومة المختار(57) , الا انهم اكدوا انفصال العراق عن بلاد الشام وضمه الى ولاياتهم .

وصفوة القول أن ثورة الحسين {U} لم تكن حدثاً عابراً , ولا اتجاهاً تحدد اثره في وقعة الطف , وانما كانت منطلقاً لحراك سياسي وعقائدي واسع في تاريخ الحركات السياسية والدينية التي عمت المجتمع الاسلامي , واضحت مثلاً واسطورة حية للمقاومة , وتترتب عليها قواعد العمل المناوئ للدولة الاموية , وكانت منها لحركات اتت بعدها اتمت ما بدأه الحسين {U} ونهجت نهجه من اجل إضعاف الامويين وزوال دولتهم , ابتدأت بحركة التوابين التي هيأت الاجواء لقيام حكومة المختار بن ابي عبيد والنتائج الخطيرة التي تمخضت عنها واثرها في الدولة الاموية .

ان المختار كان يدرك بعدم قدرة التوابين على محاربة جيش الامويين والانتصار عليهم , والسبب في ذلك يعود الى عدم تكافؤ القوتين , وان التوابين يعانون ضعفا من الناحية المادية حيث كانوا يفتقرون إلى الدعم , وان اعتمادهم على امكانياتهم المادية المتواضعة , في حين ان الجيش الأموي كان يحضاً بدعم الدولة الاموية , وكان التوابون على بينة أن ثورتهم انتحارية غايتها الاساس , تطهير النفوس مما علق بها من ذنب نتيجة لاثم ارتكوبه بحق الإمام الحسين {ع} .

ان ثورة المختار كانت مدعومة و ذلك بتفويضها من قبل محمد بن الحنفية , حيث اجاز المختار الاخذ بثار الإمام الحسين {ع} (58) , وقالت طائفة من الشيعة في الكوفة نخرج إلى محمد بن الحنفية فنساله عن شأن المختار , فيقول : " ما احب اليانا من طلب بئارنا واخذ لنا بحقنا , وقتل عدونا , فانصرفوا إلى المختار , فبايعوه و عاقدوه " (59) , وهذا اعطى دعماً للمختار فانضمت اليه اعداد كبيرة من الشيعة بسبب مباركة الإمام علي بن الحسين {ع} لثورته على عكس التوابين , حيث لم تذكرنا لنا المصادر عن وجود أي علاقة مهما كان شكلها مع الإمام علي ابن الحسين {ع} ولا مع محمد بن الحنفية وربما يعود بسبب ذلك لبعد المسافة بين الكوفة والمدينة المنورة , او خشية اكتشاف امر هذه العلاقة , إمام أنصار السلطة الاموية , فيكون مبرراً لانزال أقصى العقوبات بحق المنتميين إلى الحركة والمؤيدين لها .

والحقيقة ان الاجواء كانت مهينة لمثل هذه الثورات وذلك لعدة اسباب نذكر منها :

1- ان معاوية ابن ابي سفيان اول من جعل الخلافة الإسلامية وراثية حين عهد بولاية العهد لابنه يزيد واخذ البيعة له من المسلمين بالترغيب والترهيب , مما اثار علية الناس خصوصا أبناء الصحابة مثل عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن ابن ابي بكر حيث قالوا ان الأمر إذا كان ارثاً فنحن احق به واسبق من يزيد .

2- نقل العاصمة الإسلامية إلى الشام التي طالما كانت في المدينة المنورة والكوفة لعدة عقود من الزمن مما دعا الناس إلى الحقد على الحكومة الأموية.

3- عدم اعتناء الحكومة الأموية بالناس الذين يقطنون شبه الجزيرة العربية والعراق الذين يعتبرون انفسهم انهم قادة الإسلام وهم نواة الإسلام ومنهم انطلق الدين الإسلامي وهم الذين اقاموا الدين الإسلامي طيلة فترة حكومة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وحكومة الخلفاء , وكان هم الحكومة الأموية الاعتناء بأهل الشام فقط مما اثار اشمزاز الناس من الحكومة الأموية .

4- قتل الامويين لكثير من الصحابة والتابعين وأبنائهم المخالفين لهم .

5- استخفاف يزيد بالدين حيث كان يتجاهر بالفسق والفجور وشرب الخمر واللعب بالقردة والكلاب وذكر اشعار تستهين بالدين الإسلامي .

6- المصيبة العظمى التي حصلت في زمن يزيد حيث واقعة كربلاء الأليمة وقتل الامام الحسين ابن علي ومجموعة من أهل بيته وأصحابه الذين كان بعضهم من

الصحابية كحبيب ابن مظاهر وبعضهم من قراء القرآن , مما اثار الشيعة الذين يمثلون السواد الأعظم للمسلمين على الحكومة الأموية وزرع الحقد في قلوبهم إلى يومنا الحاضر .

كل هذه الأسباب وغيرها أدت إلى كره الناس للأمويين ولحكومتهم مما جعل الأرضية صالحة للقيام والثورة فبدأ بالقيام عبد الله ابن الزبير وكان قيامه موفقا واستطاع إن يحصل على شبه الجزيرة العربية والعراق وجزء من إيران وينصب نفسه خليفة للمسلمين واخذ البيعة من الناس في الحجاز والعراق ، في هذه الإثناء انظم المختار إلى ابن الزبير في المدينة واتخذ ابن الزبير عضدا له, لكن هذه الثورة لم تشفي قلوب الشيعة سيما ان بعض مما اشتركوا في قتل الحسين {U} لازالوا ينعمون في دولة ابن الزبير , فبقيت عيون الشيعة تتطلع إلى قائد يعيد اليهم حقوقهم ويأخذ لهم بثأرهم فكان المختار . استأذن المختار عبد الله بن الزبير بالتوجه إلى العراق بحجة المساعدة لمصعب بن الزبير الذي كان والي البصرة من قبل اخيه عبد الله للحصول على الموصل الذي كان متنازعا عليه بين الحكومة الأموية وحكومة ابن الزبير فإذن ابن الزبير للمختار بالخروج إلى العراق , في هذه الإثناء اتصل المختار بالشيعة الموجودين في المدينة والحجاز وأطلعهم على نيته وهو الخروج للثورة وطلب الثأر بدم الحسين {U} وتحسين وضع الشيعة .

اختار المختار انطلاق ثورته من الكوفة لعدة اسباب نذكر منها :

- 1- كون الكوفة مركز الشيعة وأكثر ساكنيها هم الشيعة الذين طالما انتظروا قائدا ينفس عنهم الهم ويعيد اليهم حقوقهم ويأخذ بثأرهم .
- 2- تعتبر الكوفة بعيدة عن مركز الحكومة الأموية في الشام وأيضا بعيد عن مركز حكومة ابن الزبير

3- ضعف واليها الذي كان من قبل ابن الزبير وهو عبد الله بن مطيع .

4- العهود والمواثيق التي اخذها من أهل الكوفة في نصرته والقيام معه.

فانطلق المختار من المدينة متوجها إلى الكوفة وكان يلتقي خلال سفره بأعيان الشيعة ويدعوهم إلى نصرته والأخذ بثأر الحسين تحت شعار بالثارات الحسين {U} , فدخل الكوفة في يوم 16 ربيع الثاني سنة 66 هـ ومعه سبعة عشر ألف من أنصاره وأستطاع ببساطه أخراج والي الكوفة عبد الله بن مطيع وسيطر على دفة الحكم واستتب له الأمور وفرح الشيعة حيث ان هناك قائد شيعي يشعر بهم وينصر ويعينهم ويعيد اليهم حقهم الضائع على مدة عقود من السنين ويأخذ بثأرهم ممن ظلمهم وقتل انتمهم ففصروه بكل ما استطاعوا من قوة ، وكان اكبر هم المختار الثقفي ان يقتل قتلة الحسين {U} فنتبع كل الذين شاركوا في حرب الإمام الحسين {U} وقتلهم، وكان ممن قتلهم عبد الله بن أسيد الجهني من أشرف الكوفة وشجعانها اشترك في مقتل الحسين الشهيد {U} فطلبه المختار الثقفي فظفر به وقتله. وعمر بن الصبيح الصدائي من شجعان الكوفة المعدودين شهد مقتل الحسين {U} واصحابه وكان يقول لقد طعنت فيهم وجرحت وما قتلت منهم

أحدا ولما استولى المختار الثقفي على الكوفة وطلب قتلة الحسين {١٠} أمر به فسيق إليه وقتله طعناً بالرمح وسنان بن أنس النخعي الذي أما عمر بن سعد فقد طلبه المختار فأخفى نفسه لمدة وجاء ابنه الحفص وطلب من المختار العفو عن أبيه فسأله المختار عن مكان أبيه فطلب منه الأمان لكي يخبره عن مكان أبيه فأوعده خيراً فأخبره بالمكان فأرسل إليه بعض حاشيته فوجدوه مختبئاً فأحضره والحفص لا زال عند المختار فقتل الأثنين وقال (عمر بالحسين وحفص بعلي الأكبر ولا سواء).

وأما الشمر بن ذي الجوشن فاشتغل بالتجارة ومن خلال التجارة استطاع أن يخفي نفسه عن المختار فكلف المختار جماعة يطلبونه فصادفوه بتجارة له خارج المدينة فأحضره إلى الكوفة بين يدي المختار فقتله شر قتله حيث أغلى زيتاً وألقاه فيه حتى تناثر لحمه، ثم أن الشمر بعد معركة الطف استولى على نياق كانت للإمام الحسين {١١} فنحرها وقسم لحومها بين أتباعه في الكوفة والبصرة فنتبع المختار كل من أخذ لحماً من نياق الحسين فقتله وهدم داره، وأما الحصين بن نمير وعبيد الله بن زياد فقد قتلها بمعركة كان قائدها إبراهيم بن مالك الأشتر ف الموصل في معركة يأتي ذكرها.

واستمرت حكومة المختار من 16 ربيع الثاني سنة 66 هـ إلى محرم سنة 67 هـ وطيلة فترة حكومة المختار استطاع أن يرسل أموالاً إلى الإمام زين العابدين {١٢} حيث الإمام بنا بها دار آل عقيل التي هدمت وأيضاً أعان الشيعة في هذه الفترة التي قضاها على دكة الحكم ونفس عنهم الكروب وأعانهم خير إعانة وأخذ بثأرهم وأتلج صدورهم.

وفي هذه الفترة أوفد عبد الله بن الزبير أخوه مصعب بن الزبير والياً على البصرة وكان تحت لوائه بعض من شارك في معركة الطف وهرب من يد المختار مثل شبيب بن ربيعي ومحمد بن الأشعث، وطيلة المختار، ثم شرط عليهم شرطاً أنه يقبل في حرب المختار في حال أعانه المهلب بن أبي صفرة والي الأهواز من قبل عبد الله بن الزبير حيث كان على رأس جيش قوامه ثلاثين ألف مقاتل، فذهب محمد بن الأشعث إلى الأهواز وكانت له صداقة مع ابن أبي صفرة وحته على قتال المختار فامتنع فلا زال به حتى أقنعه فتوجه ابن أبي صفرة مع ثلاثين ألف مقاتل تجاه البصرة والتحم بجيش مصعب بن الزبير وتوجهوا نحو الكوفة، وفي هذه الأثناء أرسل مصعب بن الزبير عبد الرحمن بن مخنف الأزدي ليخذل الناس عن المختار ويوعدهم بالخير عند دخول مصعب بن الزبير، ويرهبهم في حال مناصرة المختار واستطاع أن يخذل ويشبط كثير من الناس.

وفي هذه الأثناء كان إبراهيم بن الأشتر قد ترأس جيشاً كبيراً وتوجه إلى الموصل حيث كان عبيد الله بن زياد والحصين بن نمير على رأس جيش كبير لقتال قائد قرقيزيا فلما وصلوا قرابة الموصل ألتقوا بجيش إبراهيم بن الأشتر فحتم إبراهيم جيشه على قتال عبيد الله بن زياد ومن معه وأخذ يشجعهم وقال لهم إن هؤلاء هم قتلة أولاد الأنبياء فالتقى الجيشان ودارت معركة كبيرة إنتهت بانتصار جيش إبراهيم بن الأشتر وقتل عبيد الله بن زياد والحصين بن نمير، فبقي إبراهيم بن الأشتر في الموصل لأسباب تجهل مع أن الكوفة لا زالت تحتاج إلى جيش كبير للدفاع عنها ويُقال أن المختار أرسل إلى إبراهيم بن الأشتر

عند حضور مصعب بن الزبير بجيشه على مشارف الكوفة لكن لم يأتي إبراهيم وفي ذلك قولان قول يقول أنه لم تسنح له الفرصة للرجوع من الموصل إلى الكوفة وقول يقول أنه حصل تناسق بينه وبين عبد الله بن الزبير.

وبعد رجوع جيش أحمد البجلي مكسوراً إلى المختار ترأس المختار جيشاً بقيادته شخصياً وخرج لقتال جيش مصعب بن الزبير فدارت رحى معركة ثانية بقيادة المختار قتل خلالها محمد بن الأشعث وشبث ربيعي لكن خان أهل الكوفة مجدداً بالمختار وخذلوه وهربوا وولوا الأدبار فلم يبقى معه إلا تسعة عشر نفر فدخل المختار ومن معه قصر الإمارة وبقي فترة محاصر من قبل جيش مصعب بن الزبير فخرج المختار والتسعة عشر الذين معه فقاتلوا جيش مصعب حتى قتلوا وكان هذا في شهر محرّم لسنة 67هـ. والجدير بالذكر أن إبراهيم بن الأشتر التحق بجيش مصعب بن الزبير بعد استشهاد المختار وقاتل معه في قتال عبد الملك بن مروان.

الأسباب التي أدت إلى انتصار ثورة المختار:-

- 1- موقف الشيعة تجاه المختار حيث كانوا يشعرون بفراغ بعد مقتل الإمام الحسين {U} ورغبتهم إلى الأخذ بثار الإمام الحسين (عليه السلام) لأنهم كانوا يرون قتلة الإمام الحسين {U} يتجولون في الأسواق ويشاركون في التجارات مما جعلهم ينتظرون القائد الفذ الذي يستطيع ان يقتل هؤلاء القتلة ويأخذ بثارهم، فوقفوا مع المختار وناصروه في ثورته وقاتلوا معه قتالاً مستميتاً.
 - 2- البخل الذي كان يمتاز به عبد الله بن الزبير فكان شديد البخل ويجمع الأموال لنفسه فاشمنزت منه الناس وخصوصاً أهل الكوفة وبقوا في انتظار شخص ينفس عنهم الكرب ويساعدهم في الأموال فعندما جاء المختار ارتجوا أن يكون هو هذا الشخص حيث معرفتهم الشخصية به.
 - 3- شروع ثورته من الكوفة التي كانت بإمارة عبد الله بن مطيع وكان ضعيفاً للغاية مما سهل على المختار دخول الكوفة وتنحيه عن السلطة بسهولة.
 - 4- شجاعة والحنكة التي كان يمتاز بها المختار والتخطيط الصحيح للقيام بالثورة واختيار الوقت المناسب لثورته أدى إلى نجاحها.
- الأسباب التي أدت إلى سقوط حكومة المختار:-

- 1- لعل من أهم الأسباب التي أدت إلى سقوط ثورة المختار وحكومته هو تفرّق جيش المختار في المدن والولايات حيث أن إبراهيم بن الأشتر كان قد أخذ القسم الأعظم من جيش المختار وتوجه إلى الموصل فكانت الكوفة التي هي عاصمة المختار خالية من أغلب الجيش، مع أن الدولة لا زالت في بدايتها والأعداء محيطه بها من كل جانب حيث من الجنوب حكومة عبد الله بن الزبير ومن الشرق والشمال حكومة عبد الملك بن مروان وكلّ يريد القضاء على ثورة المختار.

2- الخيانة بين اهل الكوفة للمختار وكان مصعب بن الزبير يرسل إلى الكوفة من يخونهم ويوعدهم بالخير إن هم انقلبوا على المختار ويرهبهم إن هم ناصروه، فخانوا بالمختار وأفشلوا ثورته.

3- قوة حكومة عبد الله بن الزبير وتعداد جيشه الكبير فعندما دارت المعركة بين جيشه وجيش المختار لم تكن المعركة متكافئة حيث جاء آل الزبير بجيش مترامي الأطراف وهزموا جيش المختار.

الشبهات التي أثرت حول المختار

أولاً: الروايات التي ذمت المختار وعرضت به سواء كانت من قبل النبي (صلى الله عليه واله وسلم) أو من الإمام السجاد {ع} أو من الإمام الصادق {ع} ونريد هنا أن نعرض بعض الروايات التي ذكرت في ذم المختار.

1- وأقوى ما ورد في ذمه في كتاب وضوء النبي للشهرستاني مما أخرجه مسلم في صحيحه عن أسماء بنت أبي بكر أن رسول الله قال : يكون في ثقيف كذاب ومبير ، فشهدت أسماء أن الكذاب هو المختار (60) .

2- وذكر السيد الخوني بعض الروايات أيضاً منها:

3- محمد بن الحسن ، وعثمان بن حامد ، قالوا : " حدثنا محمد بن يزيد الرازي ، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب ، عن عبد الله المزخرف ، عن حبيب الخثمي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان المختار يكذب على علي بن الحسين {ع} . جبرئيل بن أحمد ، حدثني العبيدي ، قال : حدثني محمد بن عمرو ، عن يونس ابن يعقوب ، عن أبي جعفر {ع} قال: " كتب المختار بن أبي عبيدة إلى علي بن الحسين {ع} وبعث إليه بهدايا من العراق ، فلما وقفوا على باب علي بن الحسين دخل الأذن يستأذن لهم فخرج إليهم رسوله فقال : " أميطوا عن بابي فإني لا أقبل هدايا الكذابين ، ولا أقرأ كتبهم ، فمحووا العنوان وكتبوا المهدي (61) .

4- ومنها: وروى الصدوق مرسلًا أن الحسن {ع} لما صار في مظلم ساباط ، ضربه أحدهم بخنجر مسموم ، فعمل فيه الخنجر ، فأمر {ع} أن يعدل به إلى بطن جريحي ، وعليها عم المختار بن أبي عبيدة مسعود ابن قيلة ، فقال المختار لعمه : " تعال حتى تأخذ الحسن ونسلمه إلى معاوية فيجعل لنا العراق ، فنظر بذلك الشيعة من قول المختار لعمه ، فهموا بقتل المختار فتلطف عمه لمسألة الشيعة بالعفو عن المختار ففعلوا " (62) .

5- وأجاب السيد الخوني: عن هذه الروايات بقوله : " وهذه الروايات ضعيفة الاسناد جدا ، على أن الثانية منهما فيها تهافت . وتناقض . ولو صحت فهي لا تزيد على الروايات الدامة الواردة في حق زرارة . ومحمد بن مسلم ، ويريد وأضرابهم " وأجاب السيد الخوني أيضاً عن الرواية الأخيرة بقوله: وهذه الرواية لإرسالها غير قابلة للاعتماد عليها ، على أن لو صحت لتمكن أن يقال إن طلب المختار هذا لم يكن طلباً جدياً ، وإنما أراد بذلك أن يستكشف رأي عمه ، فإن علم أن عمه

يريد ذلك لقام باستخلاص الحسن {U} . فكان قوله هذا شفقة منه على الحسن {U} . وقد ذكر بعض الافاضل أنه وجد رواية بذلك عن المعصوم {U} ، على أنه هناك روايات كثيرة مادحة للمختار وهي أقوى سنداً ودلالةً من هذه الروايات نذكر منها : وأما المادحة فهي متصافرة ، منها ما ذكره الكشي " إبراهيم بن محمد الختلي ، قال : " حدثني أحمد بن إدريس القمي ، قال : حدثني محمد بن أحمد ، قال : حدثني الحسن بن علي الكوفي ، عن العباس بن عامر ، عن سيف بن عميرة ، عن جارود بن المنذر ، عن أبي عبد الله {U} قال : ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت ، حتى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين {U} " . وهذه الرواية صحيحة . " حمدويه ، قال : حدثني يعقوب ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن المثنى ، عن سدير ، عن أبي جعفر {U} قال : لا تسبوا المختار ، فإنه قتل قتلنا ، وطلب بئارنا ، وزوج أرامنا ، وقسم فينا المال على العسرة " . " محمد بن الحسن ، وعثمان بن حامد ، قالوا : حدثنا محمد بن يزيد ، عن محمد ابن الحسين ، عن موسى بن يسار ، عن عبد الله بن الزبير ، عن عبد الله بن شريك ، قال : دخلنا على أبي جعفر {U} يوم النحر وهو متكئ ، وقد أرسل إلى الحلاق فقعدت بين يديه ، إذ دخل عليه شيخ من أهل الكوفة فتناول يده ليقبلها فمنعه ثم قال : من أنت ؟ قال : أنا أبو محمد الحكم بن المختار بن أبي عبيدة الثقفي : وكان متباعداً من أبي جعفر {U} - فمد يده إليه حتى كاد يقعه في حجره بعد منعه يده ، ثم قال : أصلحك الله إن الناس قد أكثروا في أبي وقالوا والقول والله قولك ، قال : وأي شيء يقولون ؟ قال : يقولون كذاب ، ولا تأمرني بشيء إلا قبلته . فقال : سبحان الله أخبرني أبي والله إن مهر أمي كان مما بعث به المختار ، أو لم يبن دورنا ، وقتل قاتلينا ، وطلب بدماننا ؟ رحمه الله ، وأخبرني والله أبي أنه كان ليتم عند فاطمة بنت علي يمهد لها الفراش ويثني لها الوسائد ، ومنها أصحاب الحديث ، رحم الله أباك رحم الله أباك ، ما ترك لنا حقاً عند أحد إلا طلبه ، قتل قتلنا ، وطلب بدماننا " . " جبرئيل بن أحمد ، قال : حدثني العبيدي ، قال : حدثني علي بن أسباط ، عن عبد الرحمن بن حماد ، عن علي بن حزور ، عن الاصبغ : قال : رأيت المختار على فخذ أمير المؤمنين عليه السلام وهو يمسح رأسه ويقول : يا كيس يا كيس " . " حدثني محمد بن مسعود ، قال : حدثني أبو الحسن علي بن أبي علي الخزاعي ، قال : حدثني خالد بن يزيد العمري المكي ، قال : [حدثني] الحسن بن زيد بن علي بن الحسين ، قال : حدثني عمر بن علي بن الحسين : ان علي بن الحسين عليهما السلام لما أتني برأس عبيد الله بن زياد ، ورأس عمر بن سعد ، قال : فخر ساجداً وقال : الحمد لله الذي أدرك لي ثاري من أعدائي ، وجزى الله المختار خيراً " (63) .

ثانياً: عدم مشاركة المختار في ثورة الإمام الحسين {U} وهذه الشبهة من الشبهات المعروفة في الوسط الشيعي؟ والجواب على هذه الشبهة واضح جداً أن المختار كان في سجن عبيد الله بن زياد إبان ثورة الإمام الحسين {U} هو ومجموعة كبيرة من الشيعة.

ثالثاً: عدم مشاركة المختار في ثورة التوابين التي ثارت ضد الحكومة الأموية. والجواب على هذه الشبهة نقول أن ثورة التوابين لم تكن ثورة مطالبية بحق أو منظمة تنظيم عسكري أو سياسي وإنما كانت أشبه ما يكون بعمليات انتحارية قادها سليمان بن صرد الخزاعي ضد الأمويين لذلك أن المختار طلب من سليمان البقاء معه في الكوفة وتشكيل حكومة قوية متماسكة ضد الأمويين ولكن رفضوا هذا العرض رفضاً قاطعاً، وعندما ذهبوا باتجاه الموصل التقوا بحاكم قرقيسيا وطلب منهم أيضاً المكوث معه والوقوف بوجه الأمويين لكنهم رفضوا وأرادوا التوجه إلى الشام لقتال الأمويين فالتقوا بجيش عبيد الله بن زياد الذي كان قادماً لقتال حاكم قرقيسيا ودارت بينهم معركة انتهت بمقتل سليمان بن صرد الخزاعي وكثيراً ممن معه وفر الباقيون باتجاهات مختلفة منها الكوفة والمدينة، لذا نستطيع أن نقول بضرر قاطع أن قيام التوابين لم يكن قياماً منظماً كما أراده المختار وإنما كانت عملية انتحارية بحته.

رابعاً: عدم أخذ الإجازة من أمام زمانه وهو الإمام علي بن الحسين {U}. والجواب أنه هناك روايات صحيحة دلت على أن المختار قبل قيامه وتوجهه إلى الكوفة التقى الإمام السجاد {U} سراً وأخذ منه الإجازة والإذن وهناك روايات أخرى أيضاً تدل على أخذ الإجازة وقد ذكر جعفر بن محمد بن نما في كتابه أنه اجتمع جماعة قالوا لعبد الرحمان بن شريح: "إن المختار يريد الخروج بنا للأخذ بالثأر، وقد بايعناه ولا نعلم أرسله إلينا محمد بن الحنفية، أم لا، فانهضوا بنا إليه نخبره بما قدم به علينا، فإن رخص لنا اتبعناه وإن نهانا تركناه، فخرجوا وجاءوا إلى ابن الحنفية" إلى أن قال "فلما سمع (ابن الحنفية) كلامه (عبد الرحمان بن شريح) وكلام غيره وحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي وقال: "أما ما ذكرتم مما خصنا الله فإن الفضل لله يعطيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وأما مصيبتنا بالحسين فذلك في الذكر الحكيم، وأما الطلب بدمائنا قوموا بنا إلى إمامي وإمامكم علي بن الحسين، فلما دخل ودخلوا عليه، أخبر خبرهم الذي جاؤا لأجله، قال: يا عم، لو أن عبداً زنجياً تعصب لنا أهل البيت لوجب على الناس مؤازرته، وقد وليتكم هذا الأمر فاصنع ما شئت، فخرجوا وقد سمعوا كلامه وهم يقولون أذن لنا زين العابدين عليه السلام ومحمد بن الحنفية، القصة".

خامساً: أرجع المختار الناس إلى محمد بن الحنفية وأسسوا مذهب الكيسانية الذي سمي بإسم المختار حيث أن المختار كان أسمه (كيسان).

وقد أجاب السيد الخوئي عن هذه الشبهة بقوله: وهذا القول باطل جزماً، فإن محمد بن الحنفية لم يدع الإمامة لنفسه حتى يدعو المختار الناس إليه، وقد قتل المختار ومحمد بن الحنفية حي، وإنما حدثت الكيسانية بعد وفاة محمد بن الحنفية، وأما أن لقب مختار هو كيسان، فإن صح ذلك فمنشؤه ما تقدم في رواية الكشي من قول أمير المؤمنين عليه السلام له مرتين يا كيس، يا

كيس . فتى كلمة كيس ، وقيل كيسان (64) ، وهناك شبهات أخرى أعرضنا عن ذكرها لوضوح الجواب عليها.
الخلاصة :

الحمد لله رب العالمين القائل [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ] (65) ، والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين واصحابه الغر الميامين . أما بعد:

لقد برز في التاريخ العربي الاسلامي عدد كبير من الشخصيات القيادية السياسية والعسكرية والفكرية التي اسهمت في اثناء هذا التاريخ بالانجازات الكثيرة والاعمال والمواقف المشرفة ، وكان لهم الفضل والسبق في تسجيل تلك الانجازات على صفحات التاريخ ، بعد ان من الله عليهم بالايامن والثبات والجهاد ولقد صدق قول الله تعالى فيهم [مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا] (66) .

وفي هذا البحث نحن بصدد دراسة احد هؤلاء الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، انه الثائر الموالي ، المختار بن ابي عبيد الثقفي .
لقد كان المختار الثقفي من ابرز الشخصيات التي كان لها دور في الاحداث السياسية والعسكرية والاجتماعية التي شهدتها الدولة العربية الاسلامية ، لقد عرف عن المختار الثقفي موقفاً : موقفه قبل ثورة الامام الحسين {ع} فهو امتداد لموقف ودور ابيه الذي كان قائد الجيش السلامي الذي قاد الفتح في العراق ضد الفرس الساسانيين ، وعمه الذي كان احد رجال امير المؤمنين علي بن ابي طالب {ع} ومن المنتفذين فيها واحد ولاته فهو والي المدائن للامام ، لذلك تعرضنا له في بحثنا وموقفه من دعوة الامام الحسين ع ، وكذلك موقف المؤرخين منه فهم بين مادح وذام له .

اما الموقف الثاني فيتمثل باختلاف المؤرخون فمنهم من يذمه ويستند بذلك لأحداث التاريخية وبعض الروايات التي وردت في ذمه وكما تناولناها في بحثنا هذا ، ومنهم من يمدحه ويرفع من قدره فهو من اخذ بثأر الامام الحسين {ع} واهل بيته واصحابه الذين قتلوا في كربلاء وهو من اقتص من قتلة الامام الحسين {ع} وطاردهم حتى اقام عليهم الحد .

كما كان له دور بارز وقيادي في العهد الزبيري والاموي . إذ وهب نفسه في الجهاد في سبيل الله والاسهام على نحو فاعل في بناء الدولة العربية الاسلامية في العراق واتخذ الكوفة عاصمة لدولته ، هذا بعد القضاء على المرتدين ودوره في إقامة دولة تسيير على نهج الامام علي بن ابي طالب {ع} .

وقد حُبب الي الكتابة في سيرة هذا البطل الثقفي واني رأيت الامم الناهضة لاتفأ تشيد بذكرى ابطالها وعظمتانها ، وتفخر بهم ، ولا تتدخر وسعاً في تمجيدهم . تذكر هؤلاء الابطال في المنازل والمعاهد ، في النوادي والمجتمعات فينشأ ناشتتهم وفي نفسه كل معاني الاجلال والاكبار لهؤلاء الابطال .

وعلى الرغم من تناول المؤرخين والكتاب ، وكتابتهم في سيرة هذا الرجل لكن كثير ما وجدت ممن يظلمه ويتهمه بشتى التهم ومنهم من يسميه بالكذاب ومنهم من يقول بانه مدعي النبوة ، وجدت ان هذه الشخصية بحاجة الى دراسة متخصصة لمناقشة تلك الروايات التي أراد منها تشويه ثورته وقيامه وهذا كله لأنه موالي لأهل البيت {U} ومتشيع لهم الى حد الاخذ بثائره وهذا ما التمسناه من روايات أئمة اهل البيت {U} بحق المختار الثقفي .

ولذا فاني حاولت ان ابرز مكانته في درأ الاخطار عن الدولة الاسلامية الناشئة في الكوفة ، والتغلب على قوات الشامية وفي تحرير العراق ، العملية التي كانت تمهيداً اساسياً للوقائع التي اسفرت عن نهاية الدولة الاموية الا ان ال الزبير استغلوا تفرق جيشه للإطاحة بحكمه وقتله . اما دوره في اخذ الثار فلا يقل شأناً عن دوره في العراق ، اذ استطاع بعبريته العسكرية واخلاصه لال البيت {U} ان يطارد جميع المنافقين والقتلة ويطرد وولاة ال الزبير ويبعدهم عن العراق .

وحيث أن الموضوع فيه طول فسكتفي بذكر ما كتبه المرحوم مرجع زمانه الإمام الخوئي (رضوان الله تعالى عليه) وكما يقولون إذا وصل الأمر إلى تحقيق مثل الإمام الخوئي فيكفي . فهو في كتابه (معجم رجال الحديث) يذكر فيه الرواة الذين رووا روايات عن المعصومين أو ورد ذكرهم في روايات المعصومين في الأسانيد فيحقق أن هذا ثقة أو غير ثقة وهل هو ممدوح أو مذموم ، فمن جملة ذلك في الجزء التاسع عشر عنون (المختار بن أبي عبيدة الثقفي) ونحن هنا نورد مختصر كلامه لأن هذا فقط في بحث الشخص وبعد ذلك سيكون البحث في موضوع حركة المختار . يقول : الأخبار الواردة في حقه (أي في حق المختار) على قسمين مادحة وذامة (طبعاً مجيء الرواية لا يكفي أنه لا بد أن ترى سند الرواية هل هو صحيح أو غير صحيح ، فإذا كان سندها غير صحيح فليس لها قيمة) فيقول : أما المادحة فهي متضافرة (يعني كثيرة يعضد بعضها بعضاً) منها نذكر بحذف السند حتى لا يطول الأمر : عن أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال : ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت حتى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين عليه السلام) وهذا يعني أنه ما دخل السرور على بني هاشم زوجات المعصومين عليهم السلام وأخواتهم وأمهاتهم ولا غيرهم من بني هاشم إلا بعد ما ثار المختار وبعث برؤوس بعض قتلة الحسين إلى المدينة إلى الإمام زين العابدين سلام الله عليه . ويعقب السيد الخوئي فيقول : وهذه الرواية صحيحة . رواية أخرى عن أبي جعفر الباقر قال : “ لا تسبوا المختار فإنه قتل قتلنا وطلب بثارنا وزوج أراملنا وقسم فينا المال على العسرة “ أي أعطى أهل البيت وبني هاشم أموال ساعدهم فيها على حياتهم ، الرواية الثالثة عن الإمام الباقر عليه السلام وهي أوضح من كل الروايات يقول الراوي : دخلنا على أبي جعفر يوم النحر في منى وهو متكئ وقد أرسل إلى الحلاق فقعدت بين يديه إذ دخل عليه شيخٌ من أهل الكوفة فتناول يده ليقبلها فمنعه الإمام ثم قال له : من أنت ؟ قال أنا أبو محمد الحكم بن المختار بن أبي عبيدة الثقفي ، وكان متباعداً من أبي جعفر ،

فمد الإمام عليه السلام يده إليه وقربه حتى كاد يقعه في حجره بعد منعه يده ، ثم قال الحكم بن المختار : أصلحك الله ، إن الناس قد أكثروا في أبي وقالوا والقول والله قولك . قال الإمام : وأي شيء يقولون ؟ قال : يقولون كذاب ولا تأمرني بشيء إلا قبلته . فقال : سبحان الله ! أخبرني أبي إن مهر أمي كان مما بعث به المختار . " وعندنا رواية أن والده زيد بن علي بن الحسين جارية هي مما بعث به المختار أو بعث بقيمتها لكن هذه الرواية تقول أنه مهر أم الإمام الباقر كان مما بعث به المختار " ، أو لم يبين دورنا ؟ وقتل قاتلينا وطلب بدماننا رحمه الله وأخبرني والله أبي أنه كان ليطم عند فاطمة بنت علي يمهد لها الفراش ويثني لها الوساند . ومنها أصاب الحديث . ثم قال : " رحم الله أياك ما ترك حقاً لنا عند أحد إلا طلبه قتل قتلنا وطلب بدماننا . فلو وقفنا عند هذه الرواية فيها مطالب كثيرة جداً لكننا نمر عليها بشكل سريع لأن الحديث فيه تنمة " .

- 1- ترحم الإمام عليه السلام في هذه الرواية ثلاث مرات له معنى
- 2 - تقريره أنه كان يعين أهل البيت مالياً بالإضافة إلى أنه قتل قتلتم وطلب بدمانهم له معنى .
- 3- كونه كثير التردد على بيوتهم حتى أصاب الحديث من فاطمة بنت الإمام علي له معنى كبير أيضاً .

يتضح من روايات التي تناولها السيد الخوئي للدراسات الذامة يقول : " وأما الروايات الذامة فهذه الروايات ضعيفة الإسناد جداً . فإذا كانت ضعيفة الإسناد فلا اعتبار بها فكيف إذا كانت ضعيفة الإسناد جداً؟! يعني لا اعتبار بها . فالروايات التي تدم المختار حسب كلام هذا العالم العليم الخبير لا اعتبار بها ولا يستند إليها . ثم يقول فيه رواية من الروايات فيها تهافت وتناقض فالقسم الأول ينقض القسم الثاني فليس فقط سندها ضعيف إنما في دلالتها يوجد تعارض وتهافت فأول الكلام يناقض آخره مما يزيدنا ضعفاً ووهناً . ثم يقول ولو فرضنا أنها صحت فسبيلها سبيل أنها لا تزيد عن الروايات التي تدم زرارة ومحمد بن مسلم مع أن زرارة من أفضل أصحاب الإمامين الباقر والصادق فلماذا ؟ يفسرها العلماء على أن الأئمة عليهم السلام كانوا لا يريدون أن يظهرُوا أمام السلطات والأعداء شدة علاقة هؤلاء بالأئمة ويشبهونها بقضية السفينة المذكورة في سورة الكهف التي خرقتها الخضر لأنه هناك ملك طاغية يبحث عن أي سفينة صالحة يسلبها فأن كسرت منها بعض الألواح حتى إذا رآها الملك غير نافعة يتركها ، فهذا للدفاع عن السفينة أعطبها حتى لا تسلب ولا تغضب ونحن أيضاً (أي الأئمة) ندم زرارة وندم محمد بن مسلم وندم المختار حتى لا يقول الطاغية هذا من جماعتهم ويقضي عليهم قضاء مبرم .

فالرأي السليم والصحيح المحقق الذي عليه أعظم علماء الطائفة هو هذا الرأي وإن كان هناك كما قلنا رأي آخر اعتمد على بعض الروايات التي جاءت بدم المختار وخصوصاً تلك التي استعانت بما ذكره المخالفون عنه وهذا بالنسبة لشخصية المختار كشخص .

وأما بالنسبة لحركة المختار وعلاقته مع التوابين وكيف نقيم هذه الحركة ، قسم من الناس يقولون أين كان المختار حين تحرك التوابون ؟ ولماذا لا نرى له دور واضح في

هذا الأمر؟ بل ربما لم يكن عنده تفاعل، الجواب على ذلك أكثر من جواب أحد الأجوبة أن قسم من فترات إعداد التوابين أنفسهم كان المختار الثقفي لا يزال مسجوناً، والقسم الثاني هناك اختلاف في النظرية وهذا أمر يجب الالتفات له لأن له تطبيقات في التاريخ وحتى في الحاضر.

الهوامش

- (1) الدينوري، الاخبار الطوال، ص 146؛ ابن الاثير، اسد الغابة، ج5، ص 248.
- (2) المغربي، شرح الاخبار، ج3، ص 270.
- (3) البلاذري، فتوح البلدان، ج1، ص 251.
- (4) الطبري، تاريخ، ج2، ص 635؛ ابن كثير، البداية و النهاية، ج8، ص 319.
- (5) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج3، ص 538.
- (6) المغربي، شرح الاخبار، ج3، ص 270.
- (7) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج3، ص 193.
- (8) الثقفي، الغارات، ج1، ص 51.
- (9) الدينوري، الاخبار الطوال، ص 113.
- (10) الثقفي، الغارات، ج1، ص 51؛ النجاشي، رجال النجاشي، ص 16.
- (11) الاصفهاني، مقاتل الطالبين، ص 41؛ المفيد، الارشاد، ج2، ص 12؛ ابن شهر اشوب، مناقب ال أبي طالب، ج2، ص 195.
- (12) المغربي، شرح الاخبار، ج3، ص 270.
- (13) الطبري، تاريخ، ج4، ص 441؛ الفتل، روضة الواعظين، ص 173؛ المجلسي، بحار الانوار، ج44، ص 335.
- (14) ابو مخنف، المقتل، ص 60.
- (15) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص 258؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص 442.
- (16) ابو مخنف، المقتل، ص 270؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص 442؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج18، ص 297.
- (17) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص 258.
- (18) الطبري، تاريخ، ج4، ص 442-443.
- (19) الدولة العربية الإسلامية، ص 254.
- (20) الامين، اصدق الاخبار، ص 34.
- (21) الطبري، تاريخ، ج4، ص 447.
- (22) هانئ بن أبي حية الهمداني: وهو من اهل الكوفة حمل راسي مسلم بن عقيل (عليه السلام) و هانئ بن عروه إلى يزيد بن معاوية ارسله عبيد الله بن زياد مع الزبير بن الاروح التميمي. ينظر ابو مخنف، المقتل، ص 59-60.
- (23) ابن اعثم، مقتل الإمام الحسين (عليه السلام)، ص 193-194؛ ابن نما، ذوب النصار، ص 75.

- (24) ابن اعثم , مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) , ص 194 .
- (25) الطبري , تاريخ , ج 4 , ص 447- 448 .
- (26) ابن اعثم , مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) , ص 194 .
- (27) الخربوطلي , عشر ثورات في الاسلام , ص 13 .
- (28) الحيرة : مدينة على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف . ينظر ياقوت , معجم البلدان , ج 2 , ص 328 .
- (29) ابن اعثم , مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) , ص 195 ؛ ابن نما , ذوب النضار , ص 77 .
- (30) الخربوطلي , عشر ثورات في الاسلام , ص 113 .
- (31) المختار الثقفي مرآة العصر الأموي , ص 121 .
- (32) الطبري , تاريخ , ج 4 , ص 449 ؛ ابن اعثم , مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) , ص 196 .
- (33) الطبري , تاريخ , ج 4 , ص 449 .
- (34) عبدة بن عمرو السليماني : اسلم في عهد الرسول (صلى الله عليه و اله وسلم) ثم سكن الكوفة و يعد من رواة الحديث و هو من اصحاب الإمام علي (عليه السلام) . ينظر الانساب , السمعي , ج 3 , ص 276 .
- (35) الطبري , تاريخ , ج 4 , ص 449 ؛ ناشر الاسلام , محمد حسين , طلب الثار في احوال المختار , ص 22 .
- (36) ابو مخنف , المقتل , ص 280 ؛ الطبري , تاريخ , ج 4 , ص 449 .
- (37) الطبري , تاريخ , ج 4 , ص 449 ؛ الذهبي , سير اعلام النبلاء , ج 3 , ص 540 .
- (38) الذهبي , سير اعلام النبلاء , ج 3 , ص 540 .
- (39) ابن الاثير , الكامل , ص 489 ؛ الخربوطلي , المختار الثقفي مرآة العصر الأموي , ص 12 .
- (40) ابو مخنف , المقتل , ص 281 ؛ الطبري , تاريخ , ج 4 , ص 450 ؛ ابن اعثم , مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) , ص 196 ؛ الخوارزمي , الموفق بن احمد المكي , مقتل الحسين (عليه السلام) , تح محمد السماوي , مطبعة الزهراء في النجف , (النجف / 1363 هـ) , ج 2 , ص 88 ؛ ناشر الاسلام , طلب الثار في احوال المختار , ص 22 .
- (41) ابو مخنف , المقتل , ص 281- 282 ؛ الطبري , تاريخ , ج 4 , ص 450 .
- (42) ابو مخنف , المقتل , ص 282 ؛ الطبري , تاريخ , ج 4 , ص 450 ؛ ابن نما , ذوب النضار , ص 77 ؛ ابن كثير , البداية و النهاية , ج 8 , ص 250 ؛ المجلسي , بحار الانوار , ج 45 , ص 357 .
- (43) نقد الرجال , ج 4 , ص 357 .
- (44) الفوائد الرجالية , ج 3 , ص 73 .

- (45) طرائف المقال - السيد علي البروجردي ، ج 2 ، ص 71.
- (46) الأعلام - خيرا لدين الزر كلي ، ج 7 ، ص 192.
- (47) نقد الرجال ، ج 4 ، ص 357.
- (48) بحار الانوار للمجلسي ، ج 49 ، ص 45.
- (49) الطبري ، تاريخ ، ج 4 ، ص 471 ؛ مسكويه ، تجارب الامم ، ج 2 ، ص 84 ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج 4 ، ص 9 ؛ ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 8 ، ص 255 .
- (50) ابو مخنف ، المقتل ، ص 314 ؛ البحراني ، العوالم . الإمام الحسين (عليه السلام) ، ص 282 .
- (51) عبد الله بن كامل : و هو من اصحاب المختار بن أبي عبيد كان على شرطته ، وله دور كبير في تتبع قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) وقتلهم . ينظر الطبري ، تاريخ ، ج 4 ، ص 509 ، 521 ، 529 ، 530 .
- (52) ابو مخنف ، المقتل ، ص 314 ؛ الطبري ، تاريخ ، ج 4 ، ص 487 ؛ ابن نما ، ذوب النضار ، ص 92 ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ج 45 ، ص 363 .
- (53) الطبري ، تاريخ ، ج 4 ، ص 488 .
- (54) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص259؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص560-561؛ ابن نما، ذوب النضار، ص79؛ الشيرازي، محمد الموسوي، الفرقة الناجية، تعريب وتحقيق، فاضل الفراتي(بيروت، مطبعة دار العلوم، 1423هـ)، ج1، ص626.
- (55) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص175-176؛ ابن أعمش، مقتل الحسين، ص260-وما بعدها؛ ابن شهر آشوب، المناقب، ج3، ص285.
- (56) ابو مخنف، لوط بن يحيى الغامدي الازدي، أخبار المختار بن أبي عبيد الثقفي، تحقيق كامل سلمان الجبوري (بيروت، مطبعة دار المحجة البيضاء، 1420هـ)، ص48؛ اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص176؛ الطوسي، الامالي، صص243-245؛ ابن خلدون، العبر، ج3، ص25.
- (57) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص181؛ ابن أعمش، مقتل الحسين، صص299-وما بعدها.
- (58) ابن نما، ذوب النضار ، ص 95-96 .
- (59) اليعقوبي ، تاريخ ، ج 2 ، ص 258 .
- (60) وضوء النبي (ص) - السيد علي الشهرستاني ج 1 ، ص 211.
- (61) معجم رجال الحديث ، ج 19 ، ص 102.
- (62) معجم رجال الحديث ، ج 19 ، ص 104.
- (63) معجم رجال الحديث ، ج 19 ، ص 108.
- (64) معجم رجال الحديث ، ج 19 ، ص 108.
- (65) سورة الانبياء ، آية 107.
- (66) سورة الاحزاب ، آية 23.

المصادر والمراجع

- 1- ابن الأثير : عز الدين علي بن ابي اكرم الشيباني (ت 630هـ/1232م) ، الكامل في التاريخ ، مطبعة دار صادر ، بيروت ، 1965م.
- 2- اسد الغابة ، (ايران ، بلا ، ت) .
- 3- ابن اعثم الكوفي : احمد ابو محمد عثمان الكوفي (ت 314هـ/927م) ، الفتوح ، مطبعة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية ومجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد ، الدكن ، الهند ، ط1 ، 1972م .
- 4- البلاذري : احمد بن يحيى بن جابر (ت 279هـ/892م) : انساب الاشراف ، تحقيق : محمد حميد الله ، مطبعة دار المعارف ، القاهرة ، 1909م .
- 5- فتوح البلدان ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة، 1956م.
- 6- الاصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت356هـ) : مقاتل الطالبين، تحقيق احمد صقر (بيروت : منشورات الاعلمي ، د.ت) .
- 7- التفرشي : مصطفى بن الحسين الحسني (اعلام القرن الحادي عشر) : نقد الرجال ، تحقيق : مؤسسة ال البيت (عليهم السلام) لاهياء التراث العربي ، ط1، ستارة قم، 1998م .
- 8- الثقفي : إبراهيم بن محمد ت 283هـ. : الغارات ، تح : جلال الدين المحدث ، مط : بهمن ، ب.ت.
- 9- ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله (ت 656هـ) : شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (20ج)، القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، 1959م) .
- 10- الخوارزمي ، الموفق بن احمد المكي ، مقتل الحسين (عليه السلام) ، تح محمد السماوي ، مطبعة الزهراء في النجف ، (النجف / 1363 هـ) ،
- 11- الدينوري : احمد بن داؤود ابو حنيفة (ت 282هـ/895م) ، الاخبار الطوال ، تحقيق: عامر عبد المنعم عامر ، مراجعة جمال الدين ، مطبعة عبد الحميد احمد ، القاهرة، 1960م.
- 12- الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748 هـ) : سير إعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة (بيروت 1413 هـ) .
- 13- السمعاني : أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور ت 562 / 1166م . الأنساب ، تعليق : عبد الله عمر البارودي ، ط1 ، دار الجنان ، بيروت ، 1998م .
- 15- ابن شهر آشوب : محمد بن علي ت588هـ. : مناقب آل ابي طالب ، معالم العلماء ، تقديم : محمد صادق آل بحر العلوم ، النجف ، 1961. : تح : لجنة في النجف ، النجف ، 1376 .

- 16- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت548هـ) : الممل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني (2 ج ، بيروت : دار المعرفة ، د.ت).
- 17- الشيرازي، محمد الموسوي، الفرقة الناجية، تعريب وتحقيق، فاضل الفراتي(بيروت، مطبعة دار العلوم، 1423هـ)،
- 18- الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ/922م) ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، مطبعة دار المعارف ، القاهرة ، 1977م .
- 19- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت460هـ): رجال الطوسي، تحقيق جواد الفيومي الأصفهاني، ط1 (قم : مؤسسة النشر الإسلامي ، 1415 هـ).
- 21- ابن عساکر، أبو القاسم علي بن الحسن الدمشقي (ت571هـ) : تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمي من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها ، تحقيق علي شبري ، ط1 (70 ج ، بيروت ، دار الفكر ، 1997م).
- 22- ابن القتال ، محمد النيسابوري (ت 508 هـ) روضة الواعظين ، تحقيق ، السيد محمد مهدي (قم . لا،ت) .
- 23- ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل (ت 774 هـ) ، البدايه والنهايه ، دار احياء التراث العربي (بيروت 1408 هـ) .
- 24- الكشي : محمد بن عمر (ت 350هـ - 1961م) : رجال الكشي ، تحقيق : السيد احمد الحسيني ، ط1، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، 2009م.
- 25- المجلسي : محمد باقر (ت 1111هـ - 1699م) : بحار الانوار ، ط2، مؤسسة الوفاء ، بيروت، 1983م .
- 26- ابو مخنف، لوط بن يحيى الغامدي الازدي، أخبار المختار بن أبي عبيد الثقفي، تحقيق كامل سلمان الجبوري (بيروت، مطبعة دار المحجة البيضاء، 1420هـ).
- 27- مسكويه ، ابو علي احمد بن محمد بن يعقوب (ت 421 هـ / 1030 م) : تجارب الامم وتعاقب الهمم ، (تحقيق : سيد كسرويه حسن ، ط1 ، دار الكتب العلمية - بيروت / 2003م) .
- 28- المغربي ، أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي المتوفي سنة 363 هـ : شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار ق مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة .
- 29- المقداد السيوري، المقداد بن عبد الله الحلبي الأسدي (ت 826 هـ) : النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، ط2 (بيروت : دار الاضواء للطباعة والنشر والتوزيع ، 1996م).
- 30- ابن نما الحلبي ، جعفر بن محمد : ذنوب النصار في شرح الثار ، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة .
- 31- ياقوت الحموي (ت626هـ) : معجم البلدان (5ج، بيروت : دار صادر ، 1977م).

- 32- اليعقوبي : احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت 284هـ/897م)، تاريخ اليعقوبي ، المطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف ، 1384هـ ، وهناك طبعات اخرى : مطبعة بريل ، لندن ، 1891م ، وطبعة بيروت ، 1960م .
- المراجع :
- 1- أمين ، السيد محسن بن عبد الكريم الحسيني العاملي : أصدق الاخبار في قصة الأخذ بالثار ، ط2 ، مطبعة العرفان ، صيداء ، منشورات مكتبة بصيرتي ، سنة 1331 هـ .
- 2- البحراني ، الشيخ عبد الله البحراني : العوالم ، الإمام الحسين (ع) ، ط1 ، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي (ع) ، 1407 - 1365 .
- 3- بحر العلوم : محمد مهدي : رجال السيد بحر العلوم (الفوائد الرجالية) ، تحقيق : محمد صادق بحر العلوم ، ط1 ، مطبعة افتاب ، نشر مكتبة الصادق ، طهران ، 1363هـ .
- 4- البروجردي : السيد علي اصغر بن العلامة السيد محمد سيفع الجابلق (ت 1313هـ) : طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال ، تحقيق : السيد مهدي الرجائي ، نشر ، مكتبة اية الله العظمى المرعشي النجفي العامة - قم المقدسة ، 1410هـ .
- 5- الجزائري : ناشر الاسلام، محمد حسين الجزائري " : طلب الثار في احوال المختار، ط1 ، مطبعة الاداب ، النجف الاشرف ، 1965م .
- 6- الخربوطلي ، علي حسني ، 10 ثورات في الإسلام ، ط3 ، بيروت ، 1986م .
- 7- الشيرازي، محمد الموسوي، الفرقة الناجية، تعريب وتحقيق، فاضل الفراتي(بيروت، مطبعة دار العلوم، 1423هـ)،
- 8- الخوئي : ابو القاسم الموسوي : معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة (ط- ج) ، تحقيق :لجنة لتحقيق ، ط5، (د.م)، 1412هـ.
- 9- الزركلي : خير الدين : الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ط5، دار العلم للملايين ، (بيروت - لبنان) ، 1980 .
- 10- الشهرستاني : السيد علي : وضوء النبي ، ط1، بيروت ، 1415هـ - 1994م .
- 11- يوليوس فلهوزن : كتاب تاريخ الدولة العربية ، ترجمة: د. محمد عبد الهادي أبو ريذة ، بيروت ،

تطبيق النظام المحاسبي اللامركزي في المؤسسات التربوية "دراسة لآراء عينة من العاملين في تربية ذي قار"

م.م انمار سمير مسير جواد

الجامعة : جامعة الامام جعفر الصادق (ع) فرع ذي قار

anmar.samir@sadiq.edu.iq

المستخلص :

تسعى الدراسة الى معرفة مدى تطبيق النظام المحاسبي اللامركزي في المؤسسات التربوية كما ان في مجال التنظيم المحاسبي الحكومي تعتبر اللامركزية كتطور للنظام المركزي المركب وبموجب هذا النظام يتم فك ارتباط الوحدات الحكومية من الناحية المحاسبية عن الادارات المركزية التي ترتبط بها بحيث يشكل لكل واحد صندوق خاص لتأدية المصروفات المستحقة على تلك الوحدة واستلام الموارد المستحقة للوحدة ويتم ذلك بواسطة فتح حساب جاري باسم الوحدة لدى المصرف يمول مركزيا من قبل وحدة التمويل المركزي للدولة أسوة ببقية الادارات المركزية بالإضافة الى تشكيل جهاز تدقيق سابق للصرف يتولى التدقيق للمستندات الناشئة عن تلك الوحدة مباشرة ان العمل المحاسبي والإحصائي في المؤسسات التربوية ودوائرها لا يوفر البيانات الكافية لإعداد الموازنة بالدقة والسرعة اللازمتين مما يظهر الحاجة الماسة إلى إجراء تدريب للطواقم البشرية واستخدام الإجراءات المحوسبة المتطورة لغرض زيادة الكفاءة في الموارد البشرية واللوجستية كما ان النظام المحاسبي اللامركزي يحتاج إلى توافر الخبراء والمختصين والمخططين الذين تفتقر الأقاليم والمحافظات إليهم، مما يقود إلى هدر الأموال والجهود والموارد. فيجب إعادة تأهيل الكوادر البشرية وتدريبها بما يمكن من تطبيق اللامركزية في المؤسسات التربوية وتوفير الدعم والطاقت البشرية الكفوء والكافي للمؤسسات التربوية للتطبيق النظام المحاسبي اللامركزي بدون هدر الاموال وهدر الجهد

Abstract :

The study seeks to know the extent to which the decentralized accounting system is applied in educational institutions. In the field of governmental accounting regulation, decentralization is considered as an evolution of the complex central system. Under this system,

government units are disengaged from the accounting point of view from the central departments they are linked to, so that each one forms a special fund to pay the expenses. The accounting and statistical work in educational institutions and their departments does not provide sufficient data to prepare the budget with the necessary accuracy and speed, which shows the urgent need to conduct training for human staff and use advanced computerized procedures for the purpose of increasing efficiency in human and logistical resources. The decentralized accounting system needs the availability of experts, specialists and planners that regions lack and governorates to them, which leads to a waste of money, efforts and resources. The human cadres must be rehabilitated and trained so as to enable the implementation of decentralization in educational institutions and provide support and efficient and sufficient human staff for educational institutions to implement the decentralized accounting system without wasting money and effort.

المقدمة :

منذ عام ١٩٢١ والى السنوات القريبة الماضية يتصف النظام المحاسبي الحكومي بالمركزية وكان يعتمد في العمل على ما موجود من قوانين تنظم الأعمال عثمانية وانكليزية وهندية، وحتى صدور قانون أصول المحاسبات العامة رقم (٢٨) لسنة ١٩٤٠ الملغي، وذلك بحكم طبيعة ومتطلبات العمل المحاسبي ومحدودية الوعي والثقافة المحاسبية، وكان العاملين في هذا المجال يجب أن يكونوا ذو خبرة عالية للتعامل مع الأموال في الصرف والقبض والقيود المحاسبية وإجراءات تسوية الحسابات والمعالجات القيدية ومن ثم توحيد الحسابات على مستوى الدولة. وكانت وحدات الخزائن الرئيسية في كل المحافظات تتولى مسؤولية هذه الأعمال بالإضافة الى اعداد النماذج المحاسبية التي تسهل تنفيذ العمل المحاسبي. وبسبب تطور الدولة العراقية واتساع دوائرها وعدد

الوزارات أصبح النظام المحاسبي الحكومي المركزي لا يلبي الحاجة الملحة الى التوسع في العمل المحاسبي للتسريع بعمليات الصرف والعمليات المحاسبية الأخرى. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى زيادة موارد النفط بعد تأميم النفط عام ١٩٧٢ أدت الى التوسع في الانفاق أيضاً من اجل تنفيذ المشاريع الاستثمارية .

أن اللامركزية أداة تنموية تمكّن من عملية صنع القرار المتعلق بتنمية المجتمع بما يعود بالفائدة على الجميع وقد ساهمت اللامركزية في التخفيف من العبء الإداري في معظم دول العالم من خلال منح مسؤوليات أوسع للسلطات المحلية لتحقيق الأهداف في ضوء الموارد المتاحة مما أرسى قواعد الديمقراطية الحديثة، بدأ الاتجاه نحو اللامركزية يأخذ شكلاً جديداً من خلال تغيير اختصاصات المحافظات والمديريات والمجالس المحلية ، تلا ذلك مجموعة من القرارات الوزارية التي دعمت التوجه نحو اللامركزية ومن الممكن أن نلاحظ مما سبق أن تطور النظم المحاسبية عالمياً وعربياً يتجه تدريجياً نحو اللامركزية مع اختلاف في درجة تفويض السلطات، وتوزعها، ونوع الصلاحيات الممنوحة بين الإدارة المركزية والإدارات المحلية، وبعمامة فإن القاعدة وراء التطور والإصلاح التربوي تكمن في ضرورة الأخذ بمبدأ اللامركزية في الإدارة التربوية، بما يتوافق مع الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في كل دولة .

الاطار العام للبحث

اولاً : مشكلة البحث

على الرغم من توجه الاداره العليا في البلاد الى تطبيق النظام اللامركزي مثل: المشاركة الشعبية وتفويض بعض الصلاحيات والمهام إلى المديريات والعمل على التدريب المستمر وإحداث مديريات جديدة، فإن ما يؤخذ عليها أنها: تنقصها الكفاءات البشرية المؤهلة والقادرة على النهوض بالتوجه نحو اللامركزية وفق أسس علمية مدروسة تناسب الظروف المحلية، وضرورة تحديد صلاحيات مديريات التربية بشكل أكثر وضوحاً، والحاجة إلى نهج صيغة موحدة لصلاحيات الجهات التربوية في مختلف المناطق التعليمية للعمل بالنظام المحاسبي اللامركزي ، والعمل على التوفيق ما بين المركزية واللامركزية في الانظمة.

في ضوء ما تقدم ولما كان النظام المحاسبي الحكومي اللامركزي الحالي يشوبه العديد من أوجه

القصور، ويتطلب إجراء تحديث وتفعيل للمقومات والأسس التي يستند إليها لأغراض زيادة

فاعلية وكفاءة هذا النظام ،فإن مشكلة الدراسة تتمحور في الإجابة على السؤال الرئيسي التالي :

ما هو واقع النظام المحاسبي الحكومي اللامركزي في المؤسسات التربوية ؟ وما هو الإطار العام لتطويره ؟

ثانياً: أهمية البحث

تنبع أهمية الدراسة في أنها تسلط الضوء على أحد الموضوعات ذات الأهمية العالية في تحسين

الأداء المالي للمؤسسات التربوية ،كون النظام المحاسبي الحكومي اللامركزي أحد أدوات الإدارة المالية الحكومية ،ونظماً رقابياً على مشروعية الإنفاق والجباية وتنفيذ الموازنة العامة وتوفير البيانات اللازمة لغايات التخطيط ورسم السياسات والتقييم والتحليل المالي والإداري والاقتصادي واتخاذ القرارات ، وبالتالي فإن هذه الدراسة سوف تعمل على تقويم وتطوير النظام المحاسبي الحكومي اللامركزي المطبق في المؤسسات التربوية ، وما يركز عليه من مجموعة مستندية ودفترية وقوائم مالية وموازنة عامة وأسس ومفاهيم محاسبية.

ثالثاً: أهداف البحث :

- 1- التعرف على واقع النظام المحاسبي الحكومي اللامركزي المطبق في المؤسسات التربوية
- 2- تقويم النظام المحاسبي الحكومي اللامركزي المطبق في المؤسسات التربوية
- 3- التعرف على المعوقات التي تحول دون تطوير النظام المحاسبي الحكومي اللامركزي
- 4- الوقوف على استراتيجيات تطوير النظام المحاسبي اللامركزي.
- 5- الخروج بتوصيات تهدف إلى وضع تصور حول تطوير النظام المحاسبي الحكومي اللامركزي ،وسبل دعم جودة مخرجاته

رابعاً: مجتمع البحث:

تتطلب مرحلة تحديد مجتمع الدراسة والعينة من الباحث دقة بالغة، حيث يتوقف عليها

إجراء البحث ككل وسيرورته بإتباع خطوات البحث العلمي وكذلك كفاءة النتائج، فمجتمع

الدراسة هو المجتمع المتاح الذي ستجرى عليه الدراسة والمتمثل " موظفي حسابات مديرية تربية ذي قار " والتي تمثل مجتمع دراستنا.

2- عينة الدراسة :

لقد اعتمدنا في دراستنا على العينة القصدية التي تعرف بأسماء عدة مثل العينة العمدية أو العينة النمطية ..، التي يقوم الباحث باختبار مفرداتها بطريقة تحكيمية لا مجال فيها للصدفة ، بل يقوم هو شخصياً بانتقاء المفردات الممثلة أكثر من غيرها لما يبحث عنه من معلومات وبيانات ، وهذا لإدراكه المسبق ومعرفته الجيدة لمجتمع البحث وعناصره الهامة التي تمثله تمثيلاً صحيحاً، وبالتالي لا يجد صعوبة في سحب مفرداتها بطريقة مباشرة.

خامساً: حدود البحث :

1- حدود مكانية: مديرية تربية محافظة ذي قار.

2- حدود بشرية: موظفي حسابات مديرية تربية ذي قار.

المبحث الاول: النظام المحاسبي الحكومي

النظام المحاسبي الحكومي في العراق أما أن يكون نظاماً مركزياً أو نظاماً لا مركزياً أوتمويل ذاتي والمقصود بالنظام المركزي هو ارتباط الوحدات الحكومية بالخزان العامة في مراكز المحافظات، إذ لا توجد في هذه الوحدات بوحدة حسابية مستقلة كما سيتم توضيحه فيما بعد، أما النظام اللامركزي فإن الوحدات لا ترتبط بالخزينة العامة وإنما لكل وحدة حكومية وحدة حسابية مستقلة مرتبطة بالمستوى الإداري الأعلى وصولاً إلى مركز الوزارة إذا كانت في المحافظات⁽¹⁾

المطلب الاول: النظام المحاسبي الحكومي اللامركزي

يطلق البعض عليها مفهوم اللامركزية أو عدم التركيز فاللامركزية أو عدم التركيز هي الترجمة الحرفية لمصطلح (Decentralization) والذي يعني ابطال المركزية في الحكم أو الإدارة عن طريق توزيع السلطات والاختصاصات.

وفي مجال التنظيم المحاسبي الحكومي تعتبر اللامركزية كتطور للنظام المركزي المركب وبموجب هذا النظام يتم فك ارتباط الوحدات الحكومية من الناحية المحاسبية عن الإدارات المركزية التي ترتبط بها⁽²⁾

ان الوحدات الحكومية التي تعتمد على النظام اللامركزي ليس لها ارتباط بالخزينة، فهي لها الحق في فتح الحسابات الجارية في المصارف الحكومية بموافقة وزارة المالية.

ان النظام المحاسبي اللامركزي يعني ان يمنح للوحدة المحاسبية استقلالاً محاسبياً يجعلها تتحمل مسؤولية العمل المحاسبي بصورة كاملة بكافة مراحلها بدأ من تسجيل العملية المالية الى اعداد الكشوفات والحسابات الختامية دون الرجوع الى الخزينة كما كان ذلك في النظام المركزي⁽³⁾

ففي هذا النظام تقع على عاتقه مسؤولية التدقيق السابق للصرف وتحمل كذلك مسؤولية تنظيم الحسابات تنظيمياً كاملاً ضمن إطار دورة محاسبية متكاملة وتنظيم موازين المراجعة الشهرية لترسلها إلى دائرة المحاسبة في وزارة المالية، وإصدار الحسابات الختامية الخاصة بها وتمول هذه الوحدات تخصيصاتها عن طريق دائرة المحاسبة على أساس 1/12 شهرياً ويمكن ان يكون هذا التمويل تلقائياً عن طريق أوامر دائمية تبلغ إلى البنك المركزي ، ولا تمول الوحدة الحكومية بالتمويل اللازم إلا إذا أرسلت موازين المراجعة الشهرية إلى وزارة المالية وفق المدة المحددة خلال عشرة أيام من الشهر اللاحق⁽⁴⁾ لا بد ان تتوفر في الوحدات الحكومية مجموعة من المقومات الاساسية التي تجعلها قادرة على ان تكون كل منها خزينة بكل ما تعنيه هذه الكلمة ومن هذه المقومات: وجود كادر حسابي، وجود جهاز تدقيق، تهيأه مستلزمات النظام بكل جوانبه، وجود فروع للمصارف بالقرب من الوحدات الحكومية، ووعي مالي ومحاسبي لدى القيادات الادارية⁽⁵⁾

1- مزايا النظام المحاسبي الحكومي اللامركزي

يمكن تحديد أهم مزايا النظام المحاسبي الحكومي اللامركزي بالآتي⁽⁶⁾:

- أ- سرعة انجاز معاملات الصرف نتيجة قدرتها على الدفع مباشرة دون توسط الخزينة بسبب وجود وحدة محاسبية متكاملة.
- ب- سرعة إجراء التدقيق السابق للصرف بسبب وجود جهاز تدقيق داخلي متخصص ومتفرغ لأعمال الوحدة
- ت- السرعة في انجاز موازين المراجعة الشهرية لوجود عدد كافي من موظفي الحسابات.
- ث- تقليص استخدام السلف نتيجة قدرة الوحدة على تنفيذ التزاماتها بصورة مباشرة.
- ج- يوفر النظام قدراً عالياً من الرقابة على الديون إذ ستكون الوحدة مسؤولة عن تسوية السلف المدفوعة من قبلها
- د- ان استخدام حساب جاري خاص بالأمانات يوفر درجة عالية من الرقابة عليها كون الوحدة الحسابية قادرة على إعداد الكشوفات التحليلية للأمانات بأسرع وقت وتقديمها إلى الجهات المختصة

2- عيوب النظام المحاسبي الحكومي اللامركزي

- أ- بسبب زيادة عدد الحسابات الجارية للوحدات التي تعتمد على هذا النظام (حساب جاري للنفقات ، حساب جاري للإيرادات ، حساب جاري للأمانات ، حساب جاري للخطة) مما يتطلب رقابة قوية للسيطرة على سلامة استخدام هذه الحسابات.
- ب- ارتباط الرقابة والتدقيق الداخلي برئيس الوحدة الحكومية قد يؤدي إلى ضعف الرقابة على الأموال العامة.

ح- صعوبة توفير موظفي الحسابات والمدققين الداخليين ممن يتميزون بالكفاءة والمهنية العالية

3 - مقومات النظام المحاسبي اللامركزي :

يعتبر النظام المحاسبي اللامركزي خطوة متقدمة في العمل المحاسبي الحكومي وهو يلقي عبء العمل المحاسبي على الوحدات الحسابية في الدوائر بعد ان كان على الخزينة. وانتقال الى هذا النظام لا بد من توفر مقومات لضمان نجاحه وهذه المقومات هي (7) :

1. وجود مصرف (مصرف) في المنطقة المراد تطبيق النظام على الدوائر الواقعة فيها.
2. وجود كادر حسابي كفوء ومؤهل علميا وتطبيقيا لممارسة العمل المحاسبي .
3. وجود جهاز تدقيق يتولى مهمة التدقيق السابق ولديه الخبرة والمؤهل العلمي ليكون بإمكانه القيام بهذه المهمة وليحل محل الخزينة في التدقيق .
4. تهيئة النظام بكل قواعده ومستلزماته والدليل المحاسبي وشرح الدليل ومعالجة القيود والمصطلحات المحاسبية لضمان وحدة العمل في الدوائر التي تطبق النظام.
5. تهيئة مستلزمات النظام من مستندات وسجلات وجداول وشرح الجداول ليتسنى للدوائر الحصول عليها ومعرفة كيفية استخدامها.

المطلب الثاني: المجموعة المستندية والدفترية المعتمدة والكشوفات الحسابية الشهرية والقوائم المالية المستخدمة في النظام المحاسبي اللامركزي

من مستلزمات النظام المحاسبي هو استخدام مجموعة من المستندات والسجلات وهي عبارة عن نماذج محددة وموحدة على مستوى الوحدات الحكومية وان هذا التحديد والتوحيد جاء نتيجة لوحدة النظام وخضوع المحاسبة الحكومية للتشريع والى التعليمات المالية المركزية . ثم تلتزم الوحدات الحسابية المطبقة للنظام المحاسبي الحكومي باعداد كشوف حسابات شهرية وتقديمها الى دائرة المحاسبة كما تقدم كشوف حسابات ختامية(8) يعتمد النظام المحاسبي اللامركزي مبدأ وحدة المجموعة الدفترية والمستندية لدى كافة الوحدات المحاسبية المشمولة بتطبيقاته وذلك بهدف تسهيل طريقة استخدامها لدى الموظفين الحسابيين في مختلف مواقع اعمالهم وتقديم بيانات متجانسة بنتائج التصرفات المالية هذا مع وجود بعض الاستثناءات بالنسبة للوحدات ذات الطبيعة الخاصة والتي تقضي طبيعة عملها مسك سجلات مساعدة خاصة بها وذلك بإقرار من دائرة المحاسبة. وتشمل المجموعة الدفترية والمستندات على ما يلي(9):-

1- المستندات الرئيسية

وهي المستندات المعتمدة لأعداد القيود الخاصة بعمليات الصرف والتسوية والقبض وتشمل على ما يلي:-

أ- مستند الصرف.

ب- مستند القيد.

ج- وصل القبض

هذا مع استمرار استخدام باقي المستندات الفرعية المتمثلة بقائمة الراتب/ قائمة الايفاد والسفر/ مستندات الادخال المخزني وغيرها من المستندات الفرعية المقررة من دائرة المحاسبة باعتبارها عناصر توثيق اصولية لعملية الصرف

2- المجموعة الدفترية وتقسم الى (10):-

أ- المجموعة الدفترية الرئيسية:-

وهي الدفاتر التي تقدم بيانات اجمالية او فرعية عن الحسابات ويعتمد عليها في اعداد كشوف الحسابات الشهرية وتتمثل بما يلي:-

اولاً- سجل اليومية العامة محاسبة/ ٨٦

ثانياً- سجل المصروفات النهائية التخصيصات/ محاسبة/ ٢

ثالثاً- سجل الايرادات النهائية محاسبة/ ٦

رابعاً- سجل السلف والمدينون محاسبة/ ٤

خامساً- سجل الامانات والدائنون محاسبة/ ٤

ب- المجموعة الدفترية المساعدة:-

وهي الدفاتر التي تتفرع عن المجموعة الدفترية الرئيسية وبهدف تبسيط الاعمال المحاسبية بتخفيف اعباء القيود المحاسبية عن السجلات الرئيسية وتتمثل بما يلي:-

اولاً- سجل يومية الصندوق محاسبة/ ٦٦

ثانياً- سجل الصندوق التحليلي محاسبة/ ٨١

ثالثاً- سجل المصروفات النثرية محاسبة/ ١١٠

رابعاً- سجل الطوابع البريدية محاسبة/ ١٢

خامساً- سجل الاعتمادات والتأديت الخارجية.

سادساً- سجل سلف الزواج محاسبة / ٧٩

سابعاً- أية سجلات فرعية اخرى تستخدم لهذا الغرض

ج- مجموعة السجلات التي تمسكها الدائرة (للرقابة والمتابعة) وهي:- مجموعة السجلات التي تساعد على مراقبة موجودات الوحدة ولتوفير مقومات المتابعة الادارية والاحصائية على التصرفات المالية وتشمل:-

اولاً- سجل الرواتب محاسبة/ ٨ أ

ثانياً- سجل الاثاث والموجودات محاسبة/ ١٣

ثالثاً- سجل مراقبة المستندات والاستمارات محاسبة/ ١٦

رابعاً- سجل مراقبة العقود والمقاولات محاسبة/ ١٧

خامساً- سجل مراقبة الحساب الجاري مع البنك محاسبة/ ٦٩

لقد عززت نماذج السجلات الرئيسية والفرعية بشرح واف حول كيفية استعمال كل منها اضافة الى ما مثبت بمتن السجل نفسه او ما ورد في التعليمات الملحقة بقانون اصول المحاسبات العامة رقم ٢٨ لسنة ١٩٤٠ الملغي والتي لا تتعارض مع قانون الادارة المالية والدين العام المرقم/ ٩٥ لسنة ٢٠٠٤ او أي قانون اخر يحل محله لاحقاً.

3- كشوف الحسابات الشهرية

وهي الجداول التي تظهر نتائج التصرفات المالية للوحدة الحسابية وتشمل ما يلي (11):-

أ- ميزان المراجعة الشهري

ب- شهادة موجود البنك محاسبة/ ٤٤

ج- شهادة موجود الصندوق محاسبة/ ٤٥

د- جداول المصروفات النهائية محاسبة/ ٤٢ هـ للموازنة الجارية

محاسبة/ ٤٣ هـ للموازنة الاستثمارية

هـ- جداول الايرادات النهائية محاسبة/ ٤٣ هـ للموازنة الجارية

محاسبة/ ٤٣ هـ أ للموازنة الاستثمارية

و- جدول تحليلي في نهاية كل سنة مالية يرفق مع ميزان المراجعة يتضمن تحليل

الارصدة المتراكمة لحسابات السلف والمدينون والامانات والدائون كما هي عليه في

نهاية السنة المالية

المختصة

المبحث الثاني: الوحدات الحسابية (الهيكل التنظيمي) في ظل تطبيق النظام المالي

اللامركزي

ان وحدة الحسابات في ظل النظام المحاسبي اللامركزي تقوم بالدورة الحسابية

الكاملة من البداية للنهاية حيث تجمع الطلبات لشراء وتجهيز الوحدة بالخدمات من قبل

الاقسام المختلفة والموجهة لرئيس الدائرة وهو يقوم بالتأشير عليها بالقبول وتوجيهها

الى الجان الخاصة بالشراء والتوجيه ومن ثم تقدم هذه الوصولات مع قوائم الادخال

المنجز في الوحدة المالية بعد تدقيقها من قبل الوحدة التدقيقية ومن ثم يتم صرف مبالغها

من قبل الوحدة المالية وبعدها تسجل في اليومية القائمة بموجب قائمة الصرف ويتم

تبويبها سب نوعيتها ومن ثم ترحل الى سجل التخصص الذي يقوم مقام العام من واقع سجل الاسناد العام يتم اعداد ميزان المراجعة الشهري في نهاية الشهر⁽¹²⁾.

الهيكل التنظيمي لوحدة الحسابات في ظل النظام اللامركزي

مدير الحسابات



تنص الفقرة (ب) من المادة الرابعة والثلاثون من قانون اصول المحاسبات العامة رقم ٢٨ لسنة ١٩٤٠ المعدل ما يلي (تربط هيئات الرقابة السابقة للصرف ادارياً بالوزارات المختصة وفنياً بمدير المحاسبات العام وتحدد بتعليمات تصدر عن وزير المالية أسس ومقومات ارتباطها

واجبات ومهام مسؤول الحسابات

وحدة الحسابات تقدم الخدمات المالية المتعلقة بالصرف وقبض الإيرادات التي تخص الدائرة المعنية ويمكن تلخيص واجبات ومهام مسؤول الحسابات⁽¹³⁾ بما يلي:

1. مسؤول الحسابات هو الذي يرأس الوحدة المالية في الدائرة سواء كانت على مستوى الوزارة او المديرية او دائرة.
2. يقوم مسؤول الحسابات بتوزيع المهام المالية على منتسبي الوحدة حسب الكفاءة والاختصاص والشهادة والخبرة.
3. يعتبر مسؤول الحسابات حلقة الوصل بين الوحدة المالية بدرجة الوزارة او المديرية او وحده اقل حجماً.
4. يقوم بتوجيه وارشاد موظفي الوحدة المالية للأعمال المناطة لهم وحثهم على العمل والمثابرة وتذكيرهم بمواعيد اعداد الكشوفات والجداول المتعلقة بالوحدة المالية كموعده اعداد قوائم الرواتب او جداول المصروفات والإيرادات النهائي وميزان المراجعة والحسابات الختامية.

5. يقوم بالتوقيع على القوائم المالية والكشوفات وكذلك بالتوقيع على الصكوك الصادرة من الوحدة المالية بالصرف على اوجه الانفاق المختلفة.

6. مسؤول الحسابات مسؤول امام الجهات الرقابية الخارجية للوحدة المالية في جمع الامور التدقيقية والرقابية ويقوم بالإجابة على تقارير ديوان الرقابة المالية الصادرة بخصوصه بما ان عمل امين الصندوق اكثر التماسا مع المبالغ النقدية كل وحدة حسابية تقوم بأعداد الموازنة الشهرية بخصوص نشاط الدائرة المالية حيث تقوم بإعداد ميزان المراجعة الشهري وهي خلاصة العمل خلال شهر من العمل بخصوص المبالغ المستلمة من المصرف عن طريق التمويل من قبل مديرية المحاسبة في وزارة المالية وكيفية التصرف بهذه المبالغ خلال شهر من الزمن وهذه الموازنة تحتوي على حقول محددة وهي حقل المصروفات النهائية. وحسب المصرف والصندوق والسلف والامانات⁽¹⁴⁾.

■ واجبات ومهام مسؤول الصرف

ان وظيفة الصرف واعداد مستندات القيد والصرف وكذلك اختيار التبويب المناسب لعمليات الصرف هي من واجبات محاسب الدائرة وتعد هذه المهمة قلب عملية الوحدة الحسابية في الدائرة حيث يقوم المحاسب بالتوقيع واعداد مستندات القيد والصرف والتبويب وتسجيل قيد اليومية العامة ومن ثم الترحيل الى سجل التخصيص واعداد ميزان المراجعة الشهري وفي نهاية الشهر عن نشاط الدائرة من الصرف والقبض. ويمكن اعتبار هذه المهمة محك اعمال المالية في الدائرة وكل الانشطة المالية الاخرى تصب مجراها في هذا المجال حيث يتم تصنيفها وبيان اثرها المالي عن طريق القيد والتسجيل⁽¹⁵⁾.

■ واجبات موظف الرواتب

بخصوص مهمة اعداد وقوائم الرواتب وتدقيقها يتوقف الامر على حجم الوحدة اي حجم الدائرة فهناك دوائر معظم امورها المالية تخص الرواتب والمتعلقات المالية بها مثل دوائر التربية والصحة واقليم كردستان والداخلية والمرور بينما هناك دوائر اخرى اقل حجما ولا يكون لها مثل هذا الدور . ويمكن تلخيص الامور المتعلقة بموظف الرواتب بما يلي⁽¹⁶⁾:

1. اعداد وتحضير قوائم الرواتب الشهرية لمنسوبي الدائرة شهريا قبل احوال موعد توزيع واستحقاق الرواتب .
2. توزيع الرواتب على المنتسبين يوم استلام الرواتب من المصرف والقيام بتوقيع الموظفين عن القائمة وتسليم الرواتب .
3. الترحيل من قائمة الرواتب الى سجل رواتب محاسبة رقم (8) شهريا ليتسنى للتدقيق معرفة الرواتب المستلمة خلال السنة المالية لكل موظف مع جميع تفاصيل الراتب من الراتب الاسمي والمخصصات والاستقطاعات .

4. اعادة الرواتب المعادة حيث يتم الاحتفاظ بالرواتب غير المستلمة من قبل الموظفين لمدة 14 يوما في الدائرة وبعدها يتم ايداع المبلغ في المصرف كإمانات وبعدها يتم التعامل معه حسب التعليمات المالية اذا لم يظهر صاحب الشأن باستلام راتبه.

5. تدقيق قوائم الرواتب افقيا وعموديا ليتسنى للمحاسب مطابقة الارصدة ولمعرفة مجموع الرواتب ومجموع المخصصات ومجموع الاستقطاعات وصافي الرواتب المستلمة من قبل المنتسبين.

6. مقارنة مبلغ صافي الراتب المستلم من قبل المنتسبين مع صك الراتب المعد من قبل الدائرة المالية والذي يتم التوقيع عليه من قبل رئيس الوحدة الادارية والمسؤول عن الوحدة المالية (الحسابات) ويتم مطابقة هذه الحقول مع الجداول المعدة بشأن المصروفات النهائية والإيرادات النهائية ومجموع الامانات وكذلك مجموع تمويل الصندوق ومجموع الصكوك الصادرة للصرف او المبالغ المدفوعة من قبل المصرف والصندوق.

الموازنة

كل وحدة حسابية تقوم بأعداد الموازنة الشهرية بخصوص نشاط الدائرة المالية حيث تقوم بأعداد ميزان المراجعة الشهري وهي خلاصة العمل خلال شهر من العمل بخصوص المبالغ المستلمة من المصرف عن طريق التمويل من قبل مديرية المحاسبة في وزارة المالية وكيفية التصرف بهذه المبالغ خلال شهر من الزمن وهذه الموازنة تحتوي على حقول محددة وهي حقل المصروفات النهائية. وحسب المصرف والصندوق والسلف والامانات.

ثالثاً: النفقات والإيرادات

ان سجل الإيرادات يعرف بمسميات مختلفة مثل جداول تصنيف المقبوضات وفيه يتم ترحيل وإثبات جميع الإيرادات المقبوضة من واقع سندات القبض التي تسلم مع نسخة من سجل اليومية العامة إلى الموظف المختص بذلك ، ويتضمن هذا الدفتر حساباً مستقلاً لكل نوع من أنواع الإيرادات وفقاً للتصنيف المعتمد في الموازنة العامة وتجمع حساباته يوميا وتطابق مع مجاميع دفتر اليومية العامة ويصدر به تقرير يومي من أربع نسخ

اما سجل النفقات يستخدم لترحيل وإثبات جميع النفقات المدفوعة بحيث يفتح حساب مستقل لكل نوع من أنواع النفقات طبقاً للتصنيف المعتمد بالموازنة العامة⁽¹⁷⁾.

رابعاً: نظام الرقابة الداخلية والتدقيق في النظام المحاسبي الحكومي اللامركزي يقصد بنظام الرقابة الداخلية في النظام المحاسبي الحكومي مجموعة الإجراءات التي تضعها السلطات المختصة لإدارات الدولة المختلفة لغرض المحافظة على مواردها وحسن التصرف بالنفقات العامة والاطمئنان إلى دقة السجلات المحاسبية والإحصائية بما يساعدها في عملية التخطيط واتخاذ القرارات السليمة لتحقيق إدارة مالية فاعلة⁽¹⁸⁾.

ان عنصر الرقابة في النظام اللامركزي يقع عبئه على كفاءة التدقيق الداخلي حيث يندم وجود الخزينة ورقابة الخزينة في ظل النظام اللامركزي ومن جهة اخرى ان وحدة التدقيق اداريا ترتبط بالشخص الاول في الدائرة سواء كانت هذه الوحدة الادارية بدرجة وزارة او مديرية او دائرة معينة. ولا يجوز جمع بين ثلاث شخصيات وهم مدير الدائرة ومدير الحسابات ومدير التدقيق اي لا يجوز اي من هؤلاء الاشخاص ان ينوب موقع الشخص الاخر عند غيابه او التوقيع نيابة عنه, ولكن مهما كان هذا الجهاز قويا لا يرتقي الى درجة رقابة الخزينة لان وحدة التدقيق تكون تحت سيطرة مدير الدائرة مما تفقد هذه الوحدة فعالية عملها بعكس عندما تكون هذه الوحدة خارج سيطرة الادارة كما هو شأن رقابة الخزينة

ان اعمال التدقيق الداخلي تشمل ما يلي:

1. التدقيق المستندي لعمليات الصرف والقبض.
2. تدقيق السجلات واسلوب استخدامها .
3. تدقيق الجداول وموازن المراجعة.
4. اجراء جرد للقاصة ومطابقة رصيد الصندوق مع رصيد السجل.
5. اجراء مطابقة كشف المصرف

ان كافة الدوائر التي يشملها النظام اللامركزي تمارس التدقيق المستندي السابق للصرف مباشرة بواسطة اجهزتها المحاسبية وتمارس مديرية المحاسبات العامة مسؤولية التدقيق المستندي اللاحق للصرف لكافة مصروفات هذه الوحدات . في الوقت الحاضر جهاز التدقيق في الدائرة يقوم بأعمال التدقيق السابق للصرف اضافة الى التدقيق اللاحق للصرف وتخضع حسابات الدائرة الى الرقابة الخارجية من قبل ديوان الرقابة المالية . وتقوم دائرة المحاسبات العامة بتمويل جميع الدوائر اللامركزية عن طريق الدفعات الشهرية وحسب التخصيصات لكل دائرة(19) .

أنواع أنظمة الرقابة الداخلية

تقسم الرقابة الداخلية في الوحدات الحكومية إلى أقسام رئيسية ثلاث هي(20) :-

أ. نظام الرقابة الإدارية: ويهدف إلى تحقيق وضمان تنفيذ السياسات الإدارية حسب الخطة المرسومة.

ب. نظام الرقابة المحاسبية: ويهدف إلى التأكد من دقة البيانات المحاسبية المثبتة في السجلات والتقارير المحاسبية.

ج. نظام الضبط الداخلي: ويهدف إلى حماية موجودات الوحدات الحكومية من السرقة والضياع وسوء الاستعمال.

خامساً : اعداد ميزان المراجعة والقوائم المالية

يعرف ميزان المراجعة ببساطة بمجموعة من التقارير المالية ويعرض من خلال هذه التقارير قائمة بجميع حسابات المؤسسة خلال فترة مالية معينة التي تقوم بها المؤسسات

بشكل دوري وعادة تكون في (نهاية السنة) وينقسم كل دفتر حساب فيها إلى عمودين وهما الدائن والمدين لتوضيح أرصدة هذه الحسابات، فهي تعتبر الخطوة الثالثة في إعداد الدورة المستندية⁽²¹⁾.

ويعتبر الدور الرئيسي والغرض العام لميزان المراجعة هو توضيح الأخطاء التي تتسبب بمجاميع غير صحيحة من خلال محاسبي المؤسسة و التأكد من صحة الإدخالات في دفتر الاستاذ العام للمؤسسة بشكل صحيح. يتكون ميزان المراجعة من الحقول التالية⁽²²⁾:

- الحقل الاول:- يتضمن التبويب المحاسبي للحسابات ويتكون من (6) أعمدة. العمود الاول يخص (القسم) (رقم الحساب الرئيسي) والاعمدة الخمسة الاخرى تخص مستويات الحسابات
- الحقل الثاني:- يتضمن اسماء الحسابات وحسب تبويبها الهرمي في الدليل المحاسبي الحكومي المتوافق مع التبويب الدولي (GFS)
- الحقل الثالث:- (معاملات الشهر الحالي) يتضمن الحركة المدينة والدائنة لحركة الحسابات خلال الشهر الحالي وتمثل المبالغ التي قيدت خصماً على تلك الحسابات بموجب سندات الصرف او القيد خلال الشهر
- الحقل الرابع:- (المدور من الشهر السابق) ويُ مثل مجموع الحركة المدينة والدائنة للمعاملات المالية التي تمت من بداية السنة لغاية الشهر الذي يسبق الشهر الحالي الذي يخصه الميزان
- الحقل الخامس:- (المجموع لغاية الشهر) ويمثل حركة الشهر الحالي مع المدور لغاية الشهر السابق بحيث يصبح المجموع لغاية الشهر الحالي والذي سيتم احتسابه كمدور عند تنظيم حسابات الشهر اللاحق أو الى مرحلة الحسابات الختامية للسنة المالية المختصة بالنسبة لحسابات شهر كانون الاول.
- الحقل السادس:- (الرصيد النهائي) ويمثل الرصيد النهائي للحسابات ولغاية الشهر المختص ولكل شهر وصولاً الى مرحلة الحسابات الختامية للسنة المختصة. الحسابات التي يتضمنها ميزان المراجعة⁽²³⁾:-

1- **الايرادات النهائية:-** بالنظر لكون الايرادات النهائية من الحسابات الدائنة اصلاً وان سجل الايرادات النهائية محاسبة/٦ يحتوي على جانب واحد من القيود لذا فإن المبلغ الذي يدرج في الميزان يمثل رصيد حقل الايراد النهائي في سجل اليومية العامة/ محاسبة ٦ و٨ الذي يطابق مجموع المعاملات في سجل الايرادات النهائية محاسبة/٦ خلال الشهر الحالي او المدور أو المجموع.

2- **المصروفات النهائية:-** بالنظر لكون المصرف النهائي من الحسابات المدينة اصلاً وان سجل التخصيصات محاسبة/٢ يحتوي على جانب واحد من القيود وهو الجانب المدين لذا فإن المبلغ الذي يدرج في الميزان هو رصيد حقل المصرف النهائي في سجل اليومية

- العامة محاسبة/ ٨٦ والذي يطابق مجموع سجل التخصيصات محاسبة/ ٢ سواء لمعاملات الشهر الحالي أو المدور أو المجموع.
- 3- الموجودات المالية:- وتتضمن الحسابات الرئيسية المدرجة ادناه وما يتفرع منها من حسابات فرعية والمتمثلة بالعملة والودائع (النقد) وهي كالآتي:
- أ- نقد في الصندوق
أ- نقد في المصارف
ب- حسابات مدينة أخرى:- المتمثلة بجميع انواع السلف وما يتفرع منها
- 4- المطلوبات المالية:- وتتضمن الحسابات الرئيسية المدرجة ادناه وما يتفرع منها من حسابات والمتمثلة بالرصيد النقدي المدور والامانات بأنواعها والقروض بأنواعها
- أ- الرصيد النقدي المدور:- يمثل الرصيد الدفترى لدى الدائرة في ٣١/١٢ ويتم نقله بقيد افتتاحي في بداية السنة التالية والاصل أن يظهر الرصيد في الجانب الدائن من سجل اليومية العامة محاسبة/ ٨٦ وينقل الى الجانب الدائن من ميزان المراجعة وإذا كان الرصيد سالباً فيدرج في الجانب المدين من حقل الرصيد النقدي المدور في سجل اليومية العامة والجانب المدين من ميزان المراجعة.
- ب- حسابات دائنة أخرى:- المتمثلة بمبالغ جميع انواع الامانات بحركتها المدينة والدائنة وحسب ما يظهره سجل الامانات محاسبة/ ٤ والذي مجموعه يطابق ما مثبت في حقل الامانات من سجل اليومية العامة محاسبة ٨٦
- 5- حسابات الموجودات النظامية:- ويتضمن هذا الحساب الآتي:-
- أ- حسابات مدينة أخرى:- يتضمن جميع المبالغ التي ترتبت بذمة الآخرين لصالح الدائرة وتكون الحركة المدينة والدائنة لهذه الحسابات مطابقة مع المبالغ المثبتة في سجل المدينون
- محاسبة/ ٤ والذي بدوره يطابق المبالغ المثبتة في حقل المدينون في سجل اليومية العامة محاسبة/ ٨٦
- ب- حسابات نظامية مدينة:- يتضمن مبالغ لمعالجة الحسابات التي يكون استخدامها بصورة مزدوجة وتكون المبالغ المثبتة أزاءها مطابقة مع المبالغ المثبتة في سجل اليومية العامة
- محاسبة/ ٨٦ في الحقل الخاص بها، وتتضمن الآتي:
- 1- خطابات الضمان المستلمة من الغير
2- مقابل خطابات الضمان الصادرة للغير
3- الموجودات الثابتة بأنواعها
4- المخزون بأنواعه
6- حسابات المطلوبات النظامية:- ويتضمن هذا الحساب الآتي:-

أ- حسابات دائنة اخرى (الدائنون بأنواعه) وتكون المبالغ المثبتة أزاعها في ميزان المراجعة مطابق مع المبالغ المثبتة في سجل الدائنون محاسبة/؛ ومطابقة مع الحقل المختص في سجل اليومية العامة محاسبة/86.

ب- حسابات جارية للتمويل:- وتدرج في الميزان جميع الحسابات الجارية الخاصة بالتمويل

موازنة ميزان المراجعة

لأغراض موازنة جانبي المدين والدائن في كل حقل من حقول ميزان المراجعة يتبع ما يلي⁽²⁴⁾:-

- يتم نقل مجاميع كافة الحسابات المبينة اعلاه من سجل اليومية العامة، وذلك بعد موازنة اليومية العامة و مطابقة الحقول الواردة فيها مع السجلات الفرعية.
 - يتم جمع حقول الميزان عمودياً وافقياً لكل حساب من الحسابات المذكورة اعلاه لكي يكون الميزان متوازناً يجب أن يكون مجموع الشهر الحالي في الجانب المدين من الميزان يساوي المجموع للشهر الحالي الوارد في الجانب الدائن من الميزان ومجموع المدور من الشهر السابق في الجانب المدين من الميزان يجب أن يساوي مجموع المدور في الجانب الدائن من الميزان. والمجموع لغاية الشهر في الجانب المدين من الميزان يجب أن يساوي مجموع الجانب الدائن من الميزان ومجموع الرصيد من الجانب المدين مساوي مجموع الرصيد في الجانب الدائن من الميزان
 - يتم توقيع الميزان ومرفقاته من قبل المنظم ومسؤول الحسابات ورئيس الدائرة وتتولى هيئة التدقيق في الدائرة تدقيق الحسابات قبل ارسالها الى دائرة المحاسبة في الموعد القانوني المحدد لها ويكون كتاب الارسال موقعاً من قبل رئيس الدائرة حصراً
- أهمية ميزان المراجعة :-

يستخدم كأداة رئيسية للرقابة والتحقق من نظام محاسبة القيد، حيث يجب تطابق مجموعة الأرصدة المدبنة مع الدائنة، بالإضافة الى أنه يعتبر خطوة ضرورية من أجل إعداد الحسابات الختامية، قائمة المركز المالي وقائمة الدخل.

يساعد ميزان المراجعة بشكل أساسي في إعداد التقارير و اتخاذ القرارات المتعلقة بالميزانية واكتشاف الأخطاء وعدم وجود فروق والتأكد من معالجتها وتصحيحها قبل اعداد التسويات الجردية والقوائم المالية النهائية

ايضا يساهم ميزان المراجعة علي مساعدة المحاسب علي اكتشاف الحسابات الاكثر اهمية والتي تم عليها حركات مالية خلال الفترة من خلال الارصدة التي تظهر في عمود الحركة خلال الفترة وايضا تساعده علي التركيز علي الحسابات ذات الاهمية ومراجعة الحركات التي تمت عليها للتأكد من صحة ارصدها⁽²⁵⁾

اهم الاعتبارات عند اعداد ميزان المراجعة⁽²⁶⁾

أولاً : التأكد من تسجيل جميع العمليات المحاسبية التي تخص الفترة المحاسبية حيث ان تساوي الطرفين في ميزان المراجعة لا يعني بالضرورة ان العمليات المحاسبية سجلت كلها فبفرض ان عملية محاسبية لم يتم تسجيلها بالكامل لن يؤثر علي تساوي الطرفين المدين والدائن

ثانياً: التأكد من ترحيل كافة قيود اليومية من دفتر اليومية الي دفتر الاستاذ وهذه المهمة لم تعد من مهام المحاسب اذا كان يقوم بتسجيل العمليات المحاسبية في برنامج محاسبي حيث ان البرنامج سيقوم بهذه الخطوة اليا اما اذا كان يعمل يدويا باستخدام دفتر ورقي او باستخدام

ثالثاً : الجداول الالكترونية مثل الاكسل فعليه ان يتأكد دائما من نقل كل قيود اليومية الي دفتر الاستاذ العام المدين او الدائن.

المبحث الثالث: الإطار التطبيقي للبحث

من أبرز الأنظمة الإدارية المتبعة في المؤسسات التربوية هما المركزية واللامركزية كمفهومين يعبران عن مدى تفويض السلطة إلى المستويات الإدارية الأدنى في الهرم الإداري. واعتمدت بعض الدول النظام المركزي في تسيير مؤسساتها، في حين أن دول أخرى اعتمدت النظام اللامركزي. وتوجد أسباب ومبررات لاعتماد أي من النظامين في مقدمتها الفلسفة التي تعتمدها الدولة وسياستها العامة، ويتضح ذلك في طبيعة الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للدولة.

يتناول هذا متغيرات الدراسة، كما يتناول فرضيات ومنهجية إجراء الدراسة الميدانية وكيفية تنفيذها، كذلك يتناول أدوات قياس الدراسة وتقييمها للتأكد من صلاحيتها بالإضافة إلى وصف مجتمع وعينة الدراسة

أولاً : أدوات جمع البيانات والوسائل الإحصائية المستعملة

1- الاستثمار : تعد الاستثمارة من أكثر الأدوات المستخدمة في جمع البيانات، حيث قمنا باستعمال لاستمارة كوسيلة بحث للكشف عن آراء المجتمع عينة البحث ، وتم حصر أبعاد معينة تهدف للتأكد من صحة فرضياتنا وهذا من خلال الأسئلة المطروحة في الاستثمارة

3- المقابلة : قمنا بإجراء مقابلات مع عدة افراد (موظفين) في مديرية تربية محافظة ذي قار والاقسام التابعة لها والمرتبط عملهم بالحسابات .
ثانياً : الوسائل الإحصائية المستخدمة

حيث استخدم الإحصاء الوصفي والتحليلي في التحليلات الإحصائية المختلفة، وقدمت استخدام التكرارات والنسب المئوية لمعرفة نسبة أفراد العينة الذين اختاروا كل بديل من بدائل أسئلة الاستبيان

ثالثاً: مجتمع الدراسة

يعرف المجتمع الأصلي بأنه الجماعة التي يهتم بها الباحث والتي يريد أن يخلص بها إلى نتائج قابلة للتعميم عليها، وهو المجتمع الذي له خاصية واحدة على الأقل تميزه عن

غيره من المجتمعات أو الجماعات في هذه الدراسة سيتمثل في اشخاص موظفين في مديرية تربية ذي قار في قسم الحسابات
رابعاً : منهج البحث

من خلال البيانات التي حصلنا عليها حول مجموعة من تساؤلات تمت الإجابة عليها من خلال استمارة استبيان أعدها الباحث بشكل خاص لهذا الغرض ووزعت على مجتمع البحث فقد استخدم الباحث مجموعة من الدوال الاحصائية لغرض تحقيق اهداف البحث
خامساً : مجتمع وعينة البحث

اعتمد البحث على عينة عشوائية ذات خصائص مشتركة وهم موظفين في مديرية تربية ذي قار والاقسام ذوات العلاقة التابعة لها ويتسم مجتمع البحث في هذه الدراسة بأنه مجتمع محدود يضم عدداً محدداً من الأفراد بلغ 25 فرد.

- مجتمع البحث :

يكون مجتمع البحث من موظفين يعملون في مديرية تربية ذي قار والبالغ عددهم (25) فرد بوصفهم المجتمع المستهدف في البحث .

- عينة البحث :

تم اختيار عينة الدراسة من خلال الذهاب الى مديرية تربية ذي قار وتوزيع الاستبيان الورقي الى موظفي قسم الحسابات في المديرية تكونت عينة البحث من (21) فرد بوصفهم عينة عشوائية من الذكور والاناث وذلك لتجانس مجتمع البحث
- أداة الدراسة

تم استخدام الاستبانة العلمية كأداة في جمع البيانات لهذه الدراسة، وذلك للتعرف على "تطبيق النظام المحاسبي اللامركزي في مديرية التربية " والاستبانة العلمية توفر لنا بيانات كافية لتحقيق أهداف البحث، وأيضاً توفر لنا الامكانية من الابتعاد عن التحيز وقدرنا من الموضوعية العلمية.

- تحليل العينة

قام الباحث بتوزيع (25) استمارة على عينة عشوائية من مجتمع البحث ، وبعد تفرغ البيانات في الاستبانة تبين تلف (4) استمارة وذلك لعدم الاجابة عن فقرة واحدة لكل سؤال من اسئلة الاستبانة ، لذلك اعتمد الباحث (21) استمارة من مجموع الاستمارات التي تم الاجابة فيها عن الاسئلة بشكل صحيح وكانت النسبة المئوية للاستمارات الصالحة هي 84 % من خلال المعادلة التالية $84=25\div 100\times 21$ وهي نسبة مقبولة للبحث العلمي .

سادساً: تحليل البيانات واختبار الفرضيات

يشتمل هذا الجزء على تحليل البيانات الأساسية للدراسة للتمكن من معرفة اتجاهات إجابات عينة الدراسة على عبارات محاور الدراسة المختلفة وذلك من خلال التوزيع التكراري والأساليب الإحصائية التي تم استخدامها

جدول رقم (1) التوزيع التكراري لأفراد العينة وفق متغير النوع

النوع	العدد	النسبة %
ذكر	14	67%
انثى	7	33%
المجموع	21	100

يتضح من الجدول رقم (1) أعلاه أن غالبية أفراد العينة المبحوثة المنتمين للدائرة التي تمت فيها الدراسة من الذكور حيث بلغت نسبتهم (67%) من أفراد العينة الكلية بينما بلغت نسبة الاناث في العينة (33%) من إجمالي العينة المبحوثة

الجدول (2) التوزيع التكراري لأفراد العينة وفق متغير العمر

العمر	العدد	النسبة %
أقل من 30 سنة	1	4%
30-40 سنة	14	66%
41-50 سنة	4	19%
51-60 سنة	2	9%
المجموع	21	100

يتضح من الجدول (2) أعلاه أن غالبية أفراد العينة هم من تتراوح اعمارهم ما بين (30-40) حيث بلغت نسبتهم (66%) من أفراد العينة الكلية، وهذا يعتبر عنصر جيد لإمكانية التدريب على نوع جديد من الموازنة لقابليته التغيير مع السن الأصغر وإمكانية الاستيعاب بشكل أكبر بينما بلغت نسبة الذين تتراوح أعمارهم ما بين (41-50 سنة) (19%) أما أفراد العينة الذين تتراوح أعمارهم ما بين (51-60) سنة فقد بلغت نسبتهم (9%)

الجدول (3) يوضح التوزيع التكراري لأفراد عينة الدراسة وفق متغير المؤهل العلمي

المؤهل العلمي	العدد	النسبة %
ثانوي	1	4%
دبلوم	6	28%
بكالوريوس	5	23%
دبلوم عالي	0	0%
ماجستير	8	38%

دكتوراه	0	%0
اخرى	1	%4
المجموع	21	100

يتضح من الجدول رقم (3) أعلاه أن غالبية أفراد العينة من المستوى التعليمي الجامعي هم حملة درجة الماجستير حيث بلغت نسبتهم (38%) من أفراد العينة وهذا يوضح أن الأغلبية للعينة هم من حملة الماجستير ومؤهلين بشكل يسمح لهم بتلقي وقبول أي تطور في هذا المجال بينما أما المستوى التعليمي الثانوي والدبلوم فقد بلغت نسبتهم (32 %) من إجمالي العينة المبحوثة.

الجدول (4) التوزيع التكراري لأفراد العينة وفق متغير سنوات الخبرة.

سنوات الخبرة	العدد	النسبة %
5-1 سنوات	7	%33
10-6 سنوات	3	%14
15-11 سنة	4	%19
20-16 سنة	2	%10
21 سنة فأكثر	5	%23
المجموع	21	100

يتضح من الجدول (4) أعلاه أن غالبية أفراد العينة تتراوح سنوات خبرتهم ما بين (6-10 سنة) حيث بلغت نسبتهم (4 %) من أفراد العينة الكلية بينما بلغت نسبة الذين تتراوح سنوات خبرتهم ما بين (11-15 سنة) (19%) وبلغت نسبة الذين تتراوح سنوات خبرتهم ما بين (16 - 20 سنة) (10%) أما أفراد العينة الذين تزيد سنوات خبرتهم عن 21 سنة فقد بلغت نسبتهم (23 %) من إجمالي العينة المبحوثة

سابعاً: تحليل وتفسير النتائج

استمارة الاستبانة: تم استخدام استمارة استبيان أداة للبحث لتحقيق اهداف البحث والمتكونة من البيانات الديموغرافية للمبحوثين كانت محاورها هو "تطبيق النظام اللامركزي في المؤسسات التربوية دراسة ذي قار " بواقع (7) اسئلة وبمتغيرات مختلفة، وبمقاييس (وافق بشدة ، اوافق ، محايد، غير موافق غير موافق بشدة) وبأوزان (1,2,3,4,5) على التوالي، وقبل وضع الاستبانة في شكلها النهائي تم إجراء استطلاع اولي على جزء صغير من العينة الاصلية وكان للنتائج الاولية دور في وضع الاستبيان بشكله النهائي وتوزيعه على العينة.

بعد حصولنا على استمارات الاستبيان من أفراد عينة الدراسة (بعد ملئها) قمنا بمراجعتها وتحليلها وتم استخلاص النتائج التالية

جدول (5) أن الأساس النقدي المطبق لأغراض المحاسبة يظهر التكلفة الحقيقية للبرامج والأعمال المنفذة

البدائل	التكرارات	النسبة المئوية
اوافق بشدة	0	0%
اوافق	14	66%
محايد	4	19%
غير موافق	3	14%
غير موافق بشدة	0	0%
المجموع	21	100

كما مبين في الجدول السابق أن نسبة 66% من أفراد العينة يعتبرون أن الأساس النقدي المطبق لأغراض المحاسبة يظهر التكلفة الحقيقية للبرامج والأعمال المنفذة بصورة عادية بينما نسبة العينة الأخرى التي لا تؤيد ذلك هي 14% بينما نسبة بقت محايدة هي 19%

جدول (6) هل ترون أن نظام الموازنة المطبقة حالياً يوفر إطاراً مناسباً لربط تقديرات الإيرادات والمصروفات بمراكز المسؤولية بما يحقق الرقابة الفعالة على الأداء

البدائل	التكرارات	النسبة المئوية
اوافق بشدة	4	19%
اوافق	3	14%
محايد	11	52%
غير موافق	3	14%
غير موافق بشدة	0	0%
المجموع	21	100

وفيما يتعلق بالآراء حول الجدول اعلاه يتبين أن 19% من أفراد العينة يرون أن نظام الموازنة المطبقة لربط تقديرات الإيرادات والمصروفات بمراكز المسؤولية يوفر إطاراً مناسباً بما يتحقق الرقابة الفعالة على الأداء، بينما 14% من أفراد العينة يعتبرون عكس ذلك بمعنى أن نظام الموازنة لا يوفر إطاراً لعملية ربط تقديرات الإيرادات والمصروفات مما يدل بصفة عامة على أن نظام الموازنة المطبقة حالياً لا يوفر إطاراً مناسباً لربط تقديرات الإيرادات والمصروفات بمراكز المسؤولية لتحقيق الرقابة الفعالة على الأداء بينما قسم آخر وقف محايد بنسبة 52%
جدول (7) هل تعتقد أن الموارد البشرية واللوجستية في وزارتكم (دائرتكم) قادرة على تحقيق أهداف الموازنة؟

النسبة المئوية	التكرارات	البدائل
4%	1	وافق بشدة
28%	6	وافق
38%	8	محايد
19%	4	غير موافق
9%	2	غير موافق بشدة
100	21	المجموع

أما في الجدول السابق فيتبين أن 28% من أفراد العينة يرون أن الموارد البشرية واللوجستية المتوفرة لديهم تعتبر قادرة على تحقيق أهداف الموازنة ، بينما 14% من أفراد العينة يعتبرونها غير موافقين ، ووقفت نسبة محايدة بنسبة 38% لم يبدو برأيهم

جدول (8) هل ترون أن العمل المحاسبي الحكومي المعمول به لديكم يوفر البيانات الكافية لإعداد الموازنات بالدقة والسرعة اللازمين

النسبة المئوية	التكرارات	البدائل
4%	1	وافق بشدة
23%	5	وافق
52%	11	محايد

غير موافق	4	19%
غير موافق بشدة	0	0%
المجموع	21	100

يبين الجدول السابق بان 23% من أفراد العينة يرون أن العمل المحاسبي والإحصائي يوفر البيانات الكافية لإعداد الموازنات بالدقة والسرعة اللازمتين بدرجة كافية، بينما 19% من

أفراد العينة يعتبرون أن العمل المحاسبي المعمول به حالياً لا يوفر البيانات بدرجة عالية ، بينما وقفت مجموعة وبنسبة 52% محايدة

جدول (9) ان تطبيق نظام اللامركزية في المؤسسات التربوية يؤدي الى زيادة الأعباء المالية والضغط بسبب تكرار الخدمات الاستشارية

البدائل	التكرارات	النسبة المئوية
وافق بشدة	4	19%
وافق	8	38%
محايد	5	23%
غير موافق	4	19%
غير موافق بشدة	0	0%
المجموع	21	100%

من خلال نتائج الجدول السابق تبين ان استخدام نظام اللامركزية يؤدي الى زيادة الأعباء المالية والضغط بسبب تكرار الخدمات الاستشارية بنسبة 38% ، بينما لم توافق بنسبة 19% من قيمة العينة المبعوثة وتبدي رايها عينة اخرى بقت محايدة بنسبة 23% .

جدول (10) النظام المحاسبي اللامركزي يخفف من الإجراءات الروتينية المصاحبة لعملية اتخاذ القرار التربوي

البدائل	التكرارات	النسبة المئوية
وافق بشدة	3	14%

اوافق	9	42%
محايد	6	28%
غير موافق	1	4%
غير موافق بشدة	2	9%
المجموع	21	100

من خلال الإجابة السابقة نلاحظ بان العينة وافقتنا الراي بان النظام اللامركزي من مزاياه بانه يخفف من الاجراءات الروتينية والحلقات الزائدة وسلسلة المراجعات لأجل اتخاذ القرار التربوي لذا كانت الاجابة الموافقة هي 42% ، ونسبة 4% لم توافقنا الراي وهي نسبة قليلة ونسبة 28% بقت محايدة .

جدول(11) تطبيق النظام اللامركزي يؤدي الى العمل التكاملي بين مستويات الهيكل التنظيمي للإدارة التربوية.

البدائل	التكرارات	النسبة المئوية
اوافق بشدة	2	9%
اوافق	8	38%
محايد	7	33%
غير موافق	4	19%
غير موافق بشدة	0	0%
المجموع	21	100

من خلال نتائج الجدول السابق نلاحظ بان ان هذا النظام المحاسبي يؤدي الى العمل التكاملي بين مستويات الهيكل التنظيمي للإدارة التربوية وحسب موافقة العينة والتي كانت بنسبة 38% بينما لم توافقنا الراي بنسبة 19% وبقت نسبة 33% محايدة . الخاتمة :

بعد ان انهينا بحثنا هذا ومن خلال تحليل ومناقشة الجوانب النظرية والعملية للدراسة توصلنا الى بعض النتائج والتوصيات والتي نوردها كما يلي :
الاستنتاجات :

1- العمل المحاسبي والإحصائي في المؤسسات التربوية ودوائرها لا يوفر البيانات الكافية

- إعداد الموازنة بالدقة والسرعة اللازمتين مما يظهر الحاجة الماسة إلى إجراء تدريب للطواقم البشرية واستخدام الإجراءات المحوسبة المتطورة لغرض زيادة الكفاءة في الموارد البشرية واللوجستية
- 2- يحتاج النظام المحاسبي اللامركزي إلى توافر الخبراء والمختصين والمخططين الذين تفتقر الأقاليم والمحافظات إليهم، مما يقود إلى هدر الأموال والجهود والموارد.
- 3- يتطلب النظام المحاسبي اللامركزي التعاون والعمل الجماعي، والإشراف والرقابة الفعالة، والمسؤولية والمسائلة، والنزاهة والشفافية. وفي حالة غياب ذلك فإن التطبيقات اللامركزية تكون عبثية ونتائجها سلبية وضارة
- 4- ان تطبيق النظام المحاسبي اللامركزي في المؤسسات التربوية يتطلب مستويات عالية من الحرص والإخلاص في العمل من قبل القائمين عليه من محاسبين ومدققين وكذلك يحتاج الى الوعي الجماهيري وإدراك المصلحة العامة والتمسك بها، وإلا تحولت هذه التطبيقات إلى فوضى واضطراب.
- 5- تفتقر موازنة البنود للرقابة على البرامج والمشاريع، ويتضاءل دورها في متابعة الأداء و ضبط الكفاءة وترشيد الإنفاق الحكومي.
- التوصيات :
- 1- إعادة تأهيل الكوادر البشرية وتدريبها بما يمكن من تطبيق اللامركزية في المؤسسات التربوية .
- 2- توفير الدعم والطاقت البشرية الكفوء والكافي للمؤسسات التربوية للتطبيق النظام المحاسبي اللامركزي بدون هدر الاموال وهدر الجهد
- 3- يجب ان تكون هناك رقابة فعالة واشراف مستمر وتعاون وعمل جماعي لتحقيق اعلى درجة من الدقة في تطبيق النظام المحاسبي اللامركزي
- 4- الاهتمام بالجانب الاعلامي والتوعوي لتطبيق النظام المحاسبي اللامركزي لزيادة الادراك الجماهيري بهذا التطبيق والتمسك بها لتحقيق المصلحة العامة والالتحول الى فوضى واضطراب .
- 5- لتحقيق الوظيفة الاولى والأهم من وظائف الموازنة وهي التخطيط يجب أن يتم التحول من موازنة البنود إلى موازنة البرامج والأداء حيث تفتقر موازنة البنود للرقابة على البرامج والمشاريع، ويتضاءل دورها في متابعة الأداء و ضبط الكفاءة وترشيد الإنفاق الحكومي.
- المصادر :
- اولاً : الكتب
- 1- أسعد محمد علي وهاب العواد ، اساسيات المحاسبة الحكومية ، مراجعة أ.د طلال محمد الجحاوي ، رئيس قسم المحاسبة ، كلية الادارة والاقتصاد ، جامعة كربلاء ، دار مكتبة النصار ، 2012

- 2- جواد خليل رشيد مدير التفتيش والابحاث في مديرية المحاسبات العامة ، المحاسبة الحكومية بين الجوانب النظرية والتطبيق العملي ، وزارة المالية - العراق ، مطبعة الشعب ، بغداد 1974.
- 3- حنا رزوقي الصائغ ، الاسس العامة للنظام المحاسبي الحكومي مع تحديد انواع الحسابات الحكومية في العراق وشرح نظام الرواتب الجديد ، محاضر مادة المحاسبة الحكومية في جامعة بغداد والجامعة المستنصرية. الجزء الأول ، الطبعة الرابعة المنقحة 1976
- 4- حنا رزوقي الصائغ ، المحاسبة الحكومية والادارة العامة ، ج1، مطبعة الزمان ، بغداد ، 5ط ، 1989
- 5- عاصم أبو عيطة، تطبيق اللامركزية في إدارة التعليم قبل الجامعي. القاهرة: دار العلم والإيمان، 2008
- 6- قانون أصول المحاسبات العامة العراقي - رقم 28 لسنة 1940 المعدل - منشورات وزارة المالية
- 7- ليلى شلال موسى العاني و.د. حسن عبد المنعم الخطاب، النظام المحاسبي الحكومي اللامركزي، جمهورية العراق ، وزارة المالية دائرة المحاسبة، 2013
- 8- م.م جاسم العزاوي، دوره تدريبيه حول النظام المحاسبي الحكومي اللامركزي، جامعة بغداد ، 2016
- 9- المدرس ابراهيم عبد موسى السعيري ، محاضر المحاسبة الحكومية ، رئيس قسم المحاسبة - المعهد الفني النجف ، 2001.
- 10- المدرس المساعد وفاء يونس حمودي ، الحقيبة التعليمية لمادة المحاسبة الحكومية ، المرحلة الاولى : قسم المحاسبة ، المعهد التقني نينوى ، الموصل ، 2010

(1) حنا رزوقي الصائغ ، الاسس العامة للنظام المحاسبي الحكومي مع تحديد انواع الحسابات الحكومية في العراق وشرح نظام الرواتب الجديد ، محاضر مادة المحاسبة الحكومية في جامعة بغداد والجامعة المستنصرية. الجزء الأول ، الطبعة الرابعة المنقحة 1976 ، ص77

(2) م. م جاسم العزاوي، دوره تدريبيه حول النظام المحاسبي الحكومي اللامركزي، جامعة بغداد ، 2016 ، ص4

(3) المدرس المساعد وفاء يونس حمودي ، الحقيبة التعليمية لمادة المحاسبة الحكومية ، المرحلة الاولى : قسم المحاسبة ، المعهد التقني نينوى ، الموصل ، 2010 ، ص13

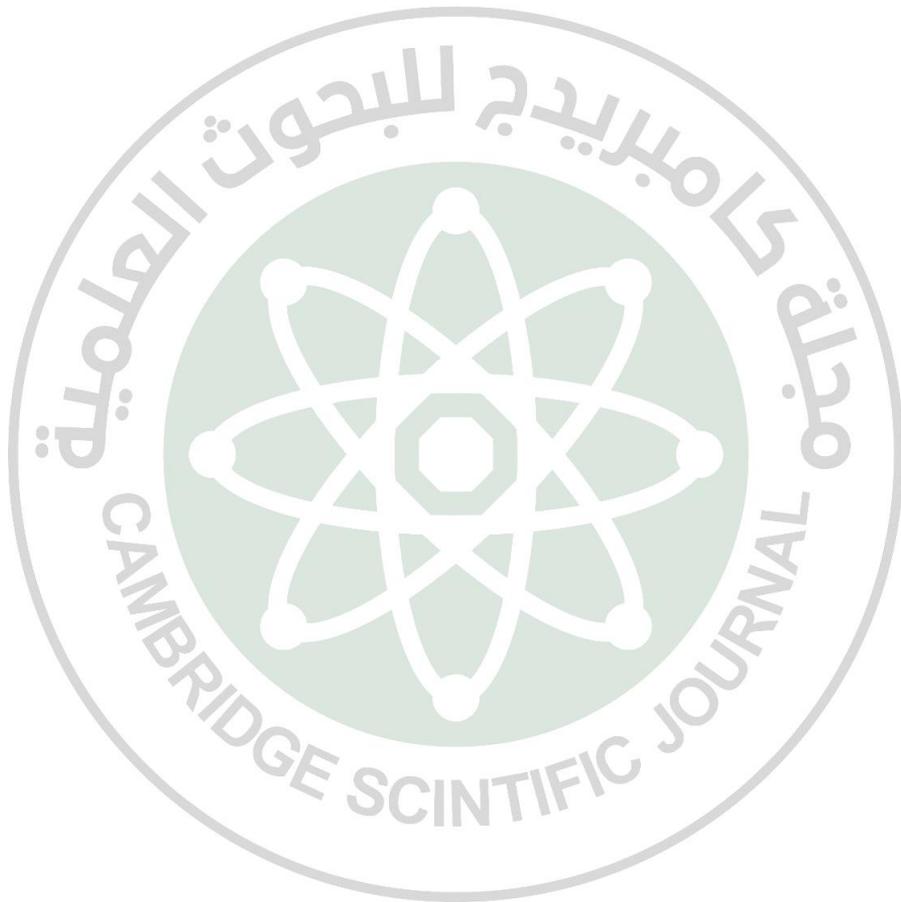
(4) أسعد محمد علي وهاب العواد ، اساسيات المحاسبة الحكومية ، مصدر سبق ذكره ، ص72

(5) المدرس المساعد وفاء يونس حمودي ، الحقيبة التعليمية لمادة المحاسبة الحكومية، مصدر سبق ذكره ، ص15

(6) اسعد محمد علي وهاب العواد ، مصدر سبق ذكره ، ص73

- (7) م.م جاسم العزاوي، دوره تدريبيه حول النظام المحاسبي الحكومي اللامركزي، مصدر سابق ، ص6
- (8) جواد خليل رشيد مدير التفتيش والابحاث في مديرية المحاسبات العامة ، المحاسبة الحكومية بين الجوانب النظرية والتطبيق العملي ، وزارة المالية - العراق ، مطبعة الشعب ، بغداد 1974 ، ص38.
- (9) ليلي شلال موسى العاني و د. حسن عبد المنعم الخطاب، النظام المحاسبي الحكومي اللامركزي، جمهورية العراق ، وزارة المالية دائرة المحاسبة، 2013 ، ص35
- (10) ليلي شلال موسى العاني و د. حسن عبد المنعم الخطاب، النظام المحاسبي الحكومي اللامركزي، مصدر سبق ذكره ، ص37
- (11) ليلي شلال موسى العاني و د. حسن عبد المنعم الخطاب، النظام المحاسبي الحكومي اللامركزي، مصدر سابق ، ص39
- (12) م. م جاسم العزاوي، دوره تدريبيه حول النظام المحاسبي الحكومي اللامركزي، مصدر سابق ، ص8
- (13) المصدر نفسه ، ص9
- (14) م. م جاسم العزاوي، دوره تدريبيه حول النظام المحاسبي الحكومي اللامركزي، مصدر سابق، ص12
- (15) المصدر نفسه ، ص13
- (16) اسعد محمد علي وهاب العواد ، اساسيات المحاسبة الحكومية، مصدر سبق ذكره، ص35
- (17) اسعد محمد علي وهاب العواد ، اساسيات المحاسبة الحكومية، مصدر سبق ذكره ، ص37
- (18) المدرس ابراهيم عبد موسى السعيد ، محاضر المحاسبة الحكومية ، رئيس قسم المحاسبة - المعهد الفني النجف ، 2001، ص8 .
- (19) المدرس المساعد وفاء يونس حمودي ، الحقبة التعليمية لمادة المحاسبة الحكومية، مصدر سابق ، ص16
- (20) أسعد محمد علي وهاب العواد ، اساسيات المحاسبة الحكومية، مصدر سابق، ص80
- (21) موقع لينك اي تي ، ميزان المراجعة ، مقال منشور على الشبكة العنكبوتية على الموقع الالكتروني <https://linkitsys.com/ar/>
- (22) ليلي شلال موسى العاني و د. حسن عبد المنعم الخطاب، النظام المحاسبي الحكومي اللامركزي، مصدر سابق ، ص110
- (23) المصدر نفسه ، ص114
- (24) عاصم أبو عيطة، تطبيق اللامركزية في إدارة التعليم قبل الجامعي. القاهرة: دار العلم والإيمان، 2008 ، ص83

- (25) حنا رزوقي الصائغ ، الاسس العامة للنظام المحاسبي الحكومي مع تحديد انواع الحسابات الحكومية في العراق وشرح نظام الرواتب الجديد، مصدر سابق ، ص82
- (26) عاصم أبو عيطة، تطبيق اللامركزية في إدارة التعليم قبل الجامعي، مصدر سابق ، ص87



الموقف العربي من حرب الالغاء 1990

الباحث : مرتضى صافي نعيمه الباحثة : نهاد بهلول كاظم

alskry315@gmail.com

مديرية تربية ذي قار

الملخص :

شهدت لبنان تطورات سياسية , وكانت تلك التطورات نتيجة لتطور الاحداث على الارض اللبنانية وزيادة حدة المعارك الاهلية , وخصوصاً الحرب التي دارت بين العماد عون وسمير جعجع عام 190 التي ادت إلى التدخلات الخارجية وكانت تلك التدخلات على شكل مواقف للدول العربية مؤيدة لهذا الطرف أو ذاك بحسب ما تقتضيه مصالح تلك الدول أو من اجل الوصل إلى توافقات تؤدي إلى حل تلك الازمات الداخلية في لبنان واحتقان الدم اللبناني .

Abstract:-

Lebanon witnessed political developments, and these developments were a result of the development of events on the Lebanese soil and the intensification of civil battles, especially the war that took place between General Aoun and Samir Geagea, which led to foreign interventions. These countries or in order to reach consensus that lead to the solution of these internal crises in Lebanon and the congestion of Lebanese blood.

المقدمة:

لاتزال بعض موضوعات الحرب الاهلية اللبنانية لاسيما حرب الالغاء لها الاثر الكبير عند متناول الباحثين , وجاء ذلك للمواقف المهمة والادوار الاساسية التي قامت بها دول الاجنبية والعربية السياسية البارزة على الساحة اللبنانية , وكلاً من هذه الاطراف يريد ان يفرض سيطرته على جه معينة موالية له , وربما كانت اغلب الابحاث لم تغطي ادوار تلك المواقف بصورة واضحة , ربما لقلّة المصادر التي تتحدث عن تلك الشخصيات , اذ يتجه الباحثون الى دراسة الاحداث والوقائع التي يجدون موادها متوفرة في المصادر التاريخية المتنوعة , لقلّة العناية في الحصول عليها , ولهذا تم اختيار موضوع البحث , لعدم وجود دراسة اكااديمية متخصصة بهذا الموضوع , واهمية الدور الاساسي الذي لعبته تلك الدول تم اختيار الموضوع.

وجاء البحث للإجابة عن تساؤلات اهمها ما هي أهم تلك المواقف الذي لعبته تلك الدول خلال تلك الاحداث وكيف استطاعت التدخل بين الطرفين لإيجاد حل لمعالجة الازمة,

هذه التساؤلات وغيرها يتم الاجابة عنها خلال البحث, وقسم البحث الى محورين المحور الاول تناول التعريف بتلك الحرب وماهي اهم الاسباب التي ادت الى اشعال فتيلها, وتطرق المحور الثاني الى اهم مواقف الدول العربية اتجاه الاطراف المتنازعة, وقد تباينت وجهات نظر تلك الدول بين مؤيد لهذا وذلك الطرف.

اعتمدت الدراسة على مجموعة من المصادر المتنوعة في مادتها والمختلفة في أهميتها، لرفدها بالمعلومات القيمة، أبرزها: الرسائل والأطاريح الجامعية والكتب العربية والمعرية والبحوث المنشورة في المجلات الجامعية العربية.

حرب الالغاء (المسيحية المسيحية)

لم تكن الخلافات السياسية بين العمداء والقوات اللبنانية وليدة الساعة, كما لم تكن اسبابها مالية محض بل سياسية وبين منطقتين منطقة ميشال عون في السيطرة على كل لبنان ومنطقة لسمير جعجع هدفه الى إقامة دولة فدرالية باستطاعة جزؤها المسيحي التمتع بالحكم الذاتي, وقد اخذت الأزمة السياسية في لبنان تتجدد وبدأ التوتر مع بداية عام 1990, وقد عمل العمداء عون بكل قوة للأحكام سيطرته على منطقة نفوذ القوات ببيروت الشرقية وسعى لتوحيدها, لكن الأقدام على تلك الخطوط لها تداعيات سياسية وعسكرية خطيرة على المنطقة الشرقية⁽¹⁾.

وإزاء تلك التداعيات وأمام الاجراءات المالية والإدارية التي فرضها الحكومة اللبنانية على العمداء ميشال عون من أجل تضيق الخناق على المنطقة الشرقية أدت إلى حدوث أزمة مالية في المنطقة الشرقية جعلت العمداء عون يتطلع إلى السيطرة على موارد ميليشيات القوات اللبنانية بسبب ما كانت تسيطر عليه تلك القوات من مرافق حيوية, ولم يكن الخلاف بين جعجع وعون اقتصادياً فحسب بل هناك سبب آخر يتلخص في طموح كل منهم على السيطرة وتدعيم القرار الذاتي في المنطقة الشرقية⁽²⁾.

وبعد اقرار اتفاق الطائف بين الاطراف اللبنانية ازداد التوتر بين الطرفين بفعل عوامل اهمها مطالبة عون جعجع باتخاذ موقف منه والأشكالات التي حصلت مع اذاعة صوت لبنان بسبب موقفها من الطائف⁽³⁾ ووصل الخلاف إلى تهديد كما ذكر الكاتب كريم بقرادوني ذلك الامر إذ توسط الطرفين من أجل الحل فحمل العمداء ميشال عون بقرادوني رسالة مفادها ((يجب أن يتذكر سميير أن كل واحد يمشي بالطائف يسير إلى القبر, الطائف يقتل كل من يمشي معه)) فكان رد سميير جعجع عليه بقوله ((التعايش مع الجنرال صعب والتفاهم معه أصعب)) ولهذا أدى ذلك إلى اندلاع الحرب في منطقة بيروت الشرقية في 31 كانون الثاني 1990 فأطلق عليها العمداء ميشال عون حرب توحيد البندقية وأسمائها قائد القوات اللبنانية سميير جعجع حرب الالغاء⁽⁴⁾ وقد كان هناك سبب مباشر لاندلاع الحرب على أثر قرار حكومة عون إعادة مدرسة (قمر الرسمية) في منطقة فرن الشباك التي كانت قد صادرتها القوات اللبنانية وإعادتها إلى وزارة التربية, فعندما رفضت القوات الانسحاب من المبنى أطلق الجيش النار, وعلى أثر ذلك, اندلعت تلك الحرب⁽⁵⁾.

بدأت المعارك بين الطرفين, إذ أصدر العماد ميشال عون قراراً يقضي بتحرير البندقية ونزع سلاح ميليشيات القوات اللبنانية, وصرح قائلاً أن جنوده وحدهم الذي ينبغي لهم حمل السلاح ولا ينبغي أن تكون عناصر مسلحة خارج إطار جيشه في تلك المنطقة, لذا فقد هاجمت القوات التابعة للعماد عون عدد من ثكنات الجيش التابعة إلى قوات سمير جعجع في بيروت الشرقية وبعض المناطق القريبة منها ودارت عدة معارك طاحنة راح ضحيتها العديد من الطرفين إضافة عن عدد من المدنيين ودمرت الكثير من البيوت وابنى التحتية وكانت من نتيجة تلك المعارك استسلام منطقة عمشيت وتبعها حامية صربيا والأكاديمية العسكرية, ومصرف جبل الديب إلى قوات العماد عون(6).

لذا وفي تلك الاثناء وجهة قائد القوات اللبنانية سمير جعجع تحذير شديد اللهجة إلى العماد ميشال عون حذره من خلاله من الاستمرار من تنفيذ قراره بنزع سلاح قواته وأنه لم ولن يسمح بذلك, قائلاً ((أنه لن يسمح بالغاء قواته وذبحها وأن للصبر حدوداً)) (7), ويجب وقف الهجوم قبل فوات الأوان والإسیرد على العدوان بعدوان العنف وأقوى (8).

وفي السادس من شباط 1990 شهدت الساحة اللبنانية تصاعداً للمواجهات العسكرية بين القوات التابعة للعماد ميشال عون والقوات التابع لسمير جعجع بعد أن فقدت قوات عون الشريط الساحلي, وتركزت حدت المعارك في مناطق الواقعة في منطقة عين الزمانة ومنطقة والدورة ومنطقة الضبية في بيروت الشرقية, واستمرت المعارك وزادت من حدتها حتى اصدر العماد ميشال عون بياناً دعا فيه واكد لقواته الاستمرار في القتال الى ان تم القضاء على القوات اللبنانية التابعة لسمير جعجع وإزالة كل وجود للعناصر المسلحة في تلك المناطق, ومن جانب آخر فقد أصدر سمير جعجع كذلك بياناً أعلن فيه بأنه اعطى الأوامر لقواته لإعادة الانتشار العسكري والتمركز المحاذية على طول نهر الكلب(9) واستمرت المعارك بين الطرفين وبعد خمس جولات من المعارك بين الطرفين بدأ من الأشتباك الأول في 30 كانون الثاني إلى المعركة الأخيرة أو الخامسة والتي (10) انتهت بتدخل بكرمي والفاثيكان في 21 أيار 1990 لوقف إطلاق النار في كافة خطوط التماس بين الاطراف المتنازعة, وضع هدنة لتدارس الوضع من خلال الجلوس الى الحوار في سبيل الوصول الى الحلول المناسبة ترضي الطرفين, ودعوة المجتمع العربي للتدخل لوضع حل نهائي للمشكلة اللبنانية(11).

المواقف العربية:

لقد سعت الدول العربية والاطراف المسيحية في لبنان لإيجاد حل لتلك الأزمة بين الجانبين, فقد وجه البابا يوحنا بولص الثاني نداء مؤثراً إلى مسيحيي لبنان يدعوهم فيه الى إيقاف المعارك والتي سماها بـ(معارك الأخوة) ومن جانب آخر بعث برسالة مهمة إلى البطريرك الماروني نصرالله صفيير يحثه فيها للعمل الجاد من أجل وقف القتال الدائر بين الاطراف اللبنانية, الذي بدوره وجه هو الآخر نداءً للطرفين وهو النداء الثامن له منذ بداية المعارك لوقف القتال وإنهاء الصراع الدائر بين الطرفين(12).

الا ان تلك المساعي لم تضع حداً ولن تخفف من حدة الاحتقان وتصاعد وتيرة الاعمال العسكرية بل اظهر الطرفين وكأتهما بلغا نقطة ان لا رجوع فيها , في حين بدأت الحملات الاعلامية في اطار الاتهامات السلبية وفضح المواقف , بما يخدم مواقفه ومصالحه , وفي تلك الاثناء لاح في الافق بارقة امل لفض النزاع إذ لوح قائد القوات اللبنانية سمير جعجع باستعداده لتسليم مناطق سيطرته للسلطة الشرعية في مبادرة منه لوقف القتال , فيما ابدى العماد عون هو الآخر استعداده للاتصال باللجنة الثلاثية من اجل التباحث للوصول الى حل يقضي نزع فتيل الازمة اللبنانية , لذلك اعد المراقبون ان هذا الامر لصالح الرئيس الهراوي لتسهيل مهمته في بسط سلطته على جميع الاراضي اللبنانية⁽¹³⁾.

ومن جانب آخر التقى وبرنار كوشينر (Bernar Kouchner) وزير الدولة الفرنسي للشؤون الانسانية في الشرق الاوسط الرئيس اللبناني الياس الهراوي , والذي وصف القتال الدائر في المنطقة الشرقية بأنها مجزرة بشرية لا يمكن السكوت عنها ودعا خلال اللقاء كل الأطراف للعمل على تطويق وحل تلك الازمة⁽¹⁴⁾.

وفي تلك الظروف الغامضة والمجهولة المصير شكل المحامي شاكرا أبو سليمان لجنة للوساطة بين الطرفين لتطويق الازمة ووضع الحلول المناسبة , وتألقت تلك اللجنة من العميد الياس خليل والعقيد ميشال عواد وممثلين عن العماد ميشال عون وجورج عرب وريمون طنوس سعادة عن القوات اللبنانية , وقد عرفت تلك اللجنة بلجنة الوساطة , إضافة إلى اللجنة العسكرية التي تألفت من مجموعة من الضباط والقادة العسكريين⁽¹⁵⁾.

استطاعت لجنة الوساطة من خلال مساعيها وعملها الدؤوب إلى التوصل إلى اتفاق بين الطرفين لوقف القتال , وفي غضون ذلك عقد اجتماع في بركي برئاسة البطريك مار نصر الله , حضره رؤساء كل الطوائف المسيحية لتدارك الموقف واتخاذ القرار المناسب لوقف القتال , إذ صدر عن الاجتماع بيان تضمن عدد من التوصيات والنقاط المهمة كان ابرزها وقف القتال الدائر نهائياً واحترام قدسية الحياة المدنية لكافة اللبنانيين , وسحب جميع المقاتلين وكافة الاسلحة إلى الثكنات الى الثكنات العسكرية وفتح جميع المعابر والطرق , فضلاً عن وقف الحملات الاعلامية والتشهير⁽¹⁶⁾.

1- الموقف العراقي:

جاء الموقف العراقي على شكل وساطة بين الطرفين إذ وجهه الرئيس العراقي دعوة للعماد عون وسمير جعجع الحضور الى بغداد للتفاوض وايجاد حل لتلك الازمة لذا اوفد العماد ميشال عون مندوباً عنه وهو اللواء فؤاد عون وارسل سمير جعجع مدير المخابرات في القوات اللبنانية بيار رزق واجتمع⁽¹⁷⁾ الموفدان بالرئيس العراقي ووزير الخارجية طارق عزيز في 11/5/1990 وقد تم الاتفاق على بنود وقف اطلاق النار واعلان هدنة اعلامية وحرية الملاحة في مرفأ الضبية والغولدن بيتش , وترك للجنة الوساطة اللبنانية اذاعة اتفاق بغداد وتنفيذ بنوده , إلا ان تلك الوساطة لم يكتب لها النجاح

وعزى العراق الفشل إلى ان عرابي اتفقا الطائف وخصوم العماد عون وقفوا حائلاً وسدا منيعاً دون نجاح تلك الوساطة⁽¹⁸⁾.

2 - الموقف الفلسطيني:

بعد ان تعثرت الوساطة العراقية من الوصول إلى حلول مرضية بن الطرفين وبسبب تمسك كل طرف بمطالبه دخل رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات⁽¹⁹⁾ للتوسط بين الطرفين لأنهاء الخلاف فقد التقى بفايز قزي في تونس وحمله رسالة الى الجنرال ميشال عون يطلب منه ارسال ممثلين عنه للأجتماع بممثلين القوات اللبنانية برئاسة توفيق الهندي في تونس لبحث امكانية وقف الحرب, لذلك ارسل العماد عون فايز قزي ممثلاً عنه وعند اجتماع الطرفين بحضور ياسر عرفات لم يتوصلا إلى حل بسبب تمسك ممثل القوات بتنفيذ خطة الدفاع مما اثار ممثل عون وبذلك فشلت المفاوضات⁽²⁰⁾, بعد ان فشلت تلك المفاوضات أرسل ياسر عرفات في 11 آذار 1990 زيد وهبي ممثلاً عنه والذي قام بزيارة كل من ميشال عون وسمير جعجع⁽²¹⁾ في المنطقة الشرقية, وطرح مبادرة تهدف إلى إنها القتال ووقف إطلاق النار, وتعديل أتفاق الطائف, إلى أن جهود وهبي لم تتوصل إلى حل ولم تنجح وساطتهم في وقف القتال وستمرت تلك المعارك وكانت حصيلتها الكثير من الدماء والتشريد بين المسيحيين⁽²²⁾.

3: الموقف السعودي :

وقد جاء الموقف السعودي في الخامس من آذار 1990 عندما توجه الهراوي إلى المملكة العربية السعودية برفقة رئيس الحكومة سليم الحص والتقى بالملك السعودي فهد بن عبد العزيز في مدينة حفر الباطن وقد حرص الهراوي على عرض الملفات المهمة واهما بما يتعلق بتنفيذ اتفاق الطائف وطلب المساعدة لمواجهة احداث الشرقية, في حين ابدى الملك السعود دعمه للهراوي مؤكداً ان الرياض لن تدخر جهداً لاعادة الامن والاستقرار في لبنان, واكد على تدخل اللجنة الثلاثية العربية (السعودية والجزائر والمغرب) لدى المجتمع الدولي لتأكيد دعمها للشرعية في لبنان, وفي ختام الزيارة أكد الهراوي والملك السعودي في بيان مشترك إن الشرعية اللبنانية المتمثلة في اتفاق الطائف هي السبيل الوحيد لوضع حد للدمار وأزهاق الارواح وضمان وحدة لبنان وحرية وسيادة واستقلاله⁽²³⁾.

4 :الموقف الجزائري:

كان الموقف الجزائري الذي أكده الرئيس الجزائري⁽²⁴⁾ الشاذلي بن جديد⁽²⁵⁾ والذي أعلنه في مؤتمر صحفي أشار فيه أن الجزائر تعمل لمصلحة إعادة السلام واستعادة السيادة في لبنان مؤكداً على اللجوء إلى الحوار ولا يستبعد اللجوء إلى القوة العسكرية ضد تمرد العماد عون لبيسط السلطة الشرعية, فضلاً عن تشديد الرئيس الجزائري دعم الشرعية في لبنان ورفض أي تدخل خارجي في شؤون لبنان الداخلية⁽²⁶⁾ مضيفاً من ان لبنان يرحب بدعم كل الدول العربية خصوصاً دول الاعضاء في اللجنة العربية الثلاثية⁽²⁷⁾.

5: الموقف المصري:

اما الموقف المصري من حرب الالغاء اللبنانية فتأكد عند زيارة الرئيس اللبناني الياس الهراوي ورئيس الحكومة سليم الحص إلى مصر والتي التقى خلالها الرئيس المصري حسني مبارك إذ عرض خلالها تصوراً كاملاً لحل الأزمة اللبنانية تضمن ضرورة إيجاد ضمانات إقليمية ودولية يحترم بمقتضاها جميع الفرقاء اللبنانيين مبدأ وقف إطلاق النار والتوصل إلى صيغة لبنانية ودولية متمناً عدم وصول أية معدات عسكرية إلى القوى المتناحرة في لبنان, ومن جانبه أكد الرئيس الهراوي للرئيس المصري خلال المباحثات السعي لدى المجتمع الدولي لإجبار (إسرائيل) على الانسحاب من لبنان واحترام سيادته, وأضاف الهراوي أن التحرك الدولي باتجاه (إسرائيل) خفف من حدة العنف المتبادل في لبنان, والسعي إلى تحرك سياسي يتم بمقتضاه تنفيذ القرار (425) بشأن انسحاب (إسرائيل) من لبنان⁽²⁸⁾.

6: الموقف الليبي:

جاء الموقف الليبي على شكل تصريح ادلى به الرئيس الليبي معمر القذافي مؤكداً فيه على مدى تقديم العون والمساعدة للحكومة اللبنانية والرئيس اللبناني ودعم الشرعية, من أجل إيجاد حل لتلك الحرب الدائرة في لبنان وإيقاف المعارك والحد من نزيف الدم على الأرض اللبنانية, وتبلور ذلك التعاون بتقديم إلى الجيش اللبناني الأسلحة والمعدات العسكرية من الجيش الليبي على شكل مساعدات عسكرية, وفعلاً قام بإرسال أربع وثلاثين دبابة بكافة تجهيزاتها إلى الجيش اللبناني ليتسنى للجيش اللبناني السيطرة على الموقف وحل النزاع الدائر في المنطقة الشرقية⁽²⁹⁾.

7:-الموقف السوري:

ومع استمرار المعارك في المنطقة الشرقية كثف الرئيس اللبناني الياس الهراوي⁽³⁰⁾ اتصالاته مع الإدارة الأمريكية لتهيئة الأجواء الدولية لعملية تدخل عسكري في شرق بيروت لإنقاذ عشرات الآلاف من المدنيين ووقف الحرب الدائرة هناك, فضلاً عن أن حرب المنطقة الشرقية في بيروت أدت إلى استنزاف قوى الطرفين المالية والعسكرية, فأخذ الجانبان, يمد يده سراً إلى حكومة الياس الهراوي والحكومة السورية للحصول على مكاسب سياسية⁽³¹⁾.

كثفت دمشق الجهود للقيام بمفاوضات مع لو الاطراف المتنازعة لوضع حل للحرب والقضاء على العماد عون, لذلك قامت بحوار مع قائد القوات اللبنانية سمير جعجع من أجل ضمه إلى جانب الحكومة الشرعية⁽³²⁾, من أجل إزالة كل ما يشوب العلاقات بين جعجع وسورية, وعلى ضوء ذلك ابدى جعجع استعداده لتقديم الكثير من التنازلات لإيجاد تسوية في بيروت الشرقية بعدما لمس تأييد إقليمي ودولي للشرعية, وقد أكد بأنه على استعداد على إجراء حوار مع الرئيس الهراوي قائلاً⁽³³⁾ ان العماد ميشال عون يرفض دانماً, لكن لا شيء مستحيل, سيفتتح وهو لا يمكن ان يستمر كما أكد انه على استعداده

لانسحاب من بيروت الشرقية ووقف المعارك , والأعتراف بوثيقة الطائف وبالشرعية التي انبثقت منها لصالح الرئيس الياس الهراوي⁽³³⁾. وعلى ضوء ذلك قام فارس بويز⁽³⁴⁾ باتصالات غير مباشرة بين سوريا وسمير جعجع لتوضيح موقف الأخير تجاه اتفاق الطائف أمام السوريين, وكشف الغموض وعزاه إلى جملة من الظروف السياسية وللاعتبارات مسيحية⁽³⁵⁾, وأسفرت عن توجيهه سمير جعجع إلى الرئيس الهراوي رسالة⁽³⁶⁾ قال فيها «إنطلاقاً من ثوابتنا الوطنية والمسيحية فأني أوجه إلى فخامتكم هذه الرسالة, لأبلغكم عن نيتي بالتعاون معكم, معترفاً بكم وبحكومتم السلطة الشرعية في لبنان, وبوثيقة الوفاق الوطني التي أقرها المجلس النيابي اللبناني, كمدخل لاستعادة السيادة الوطنية, وإعادة بناء نظامنا السياسي وتحقيق السلام في لبنان»⁽³⁷⁾.

وفي رسالة أخرى وجهها سمير جعجع إلى الرئيس اللبناني في 14/2/1990 أعلن فيها إيقاف جميع وسائل الإعلام التابعة له من التهجم على سوريا جاء فيها ((فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الياس الهراوي المحترم, تسهلاً لمهمتم ودعماً لجهودكم وتأكيداً على ماتم بحثه في اتصالات سابقة نتعهد لكم⁽³⁸⁾, بوقف الحملات الإعلامية ضد سوريا, وإعلان العقيد فارس بول ولأنه للعماد لحدود والتزام الضباط والعسكريين بأوامر قيادة الجيش, وتسليم الضباط والعسكريين لقيادتهم الشرعية, وإعادة الآليات والأسلحة والعتاد المصادر من الجيش وتسليم ثكنات الجيش إلى القيادة الشرعية)). وفي الوقت ذاته أرسل وليد جنبلاط قائد حزب الكتائب إلى الرئيس اللبناني الهراوي يطلب منه التعاون مع الجانب السوري للقضاء على تمرد العماد ميشال عون بعملية عسكرية مشتركة ومحددة الأهداف, وهو على أتم الاستعداد للمساعدة ويجب استثمار الوقت للقيام بتلك العملية⁽³⁹⁾.

وفي السياق ذاته وجه قائد القوات اللبنانية سمير جعجع وذلك في التاسع عشر من شباط 1990 نداءً للرئيس الهراوي من أجل التدخل لبيسط الشرعية في منطقة بيروت الشرقية⁽⁴⁰⁾ جاء فيه «نتوجه إلى فخامتكم بوصفكم الرئيس الشرعي للجمهورية اللبنانية وضامناً لحرماننا وأمننا وسلامة عائلاتنا مناشدين إياكم التدخل الفوري بكل الوسائل المتاحة والتي ترونها مناسبة لوضع حد للمجزرة التي يتعرض لها شعبنا وحري بي عن استعدادنا للتجاوب مع كل التدابير التي ستتخذونها وعن دعمنا لشرعيتكم ولشرعية حكومتكم التي تشكل بنظرنا خشبة الخلاص الوحيدة لوطننا وشعبنا, أملين تلبية ندائنا الأخير, هذا باسم شباب لبنان ونسائه وأطفاله وذلك قبل فوات الأوان»⁽⁴¹⁾.

تبلور الموقف السوري من حرب الإلغاء أثناء زيارة الرئيس اللبناني في التاسع والعشرون من حزيران 1990 إلى دمشق والتقى خلال زيارته الرئيس السوري حافظ الأسد في محافظة اللاذقية, مؤكداً رفضه للمبادرات الفاتيكانية والفرنسية, وإن المجال مفتوح أمام الجميع من اللبنانيين من دون استثناء للانضمام إلى اتفاق الطائف وحكومته الشرعية دون قيود او شروط مسبقة⁽⁴²⁾.

ومن جانب آخر نشط مساعي اللجنة الثلاثية العربية وقد التقت اللجنة مع الرئيس حافظ الأسد, وحصل خلاله سعود الفيصل موافقة الرئيس السوري على ضم العماد ميشال عون إلى الحكومة اللبنانية, وبعدها حثت اللجنة الثلاثية الرئيس الهراوي على العمل بجدية وتجنب اللجوء إلى القوة العسكرية, وانسجاماً مع ذلك وجه مجلس الوزراء اللبناني في الحادي عشر من تموز 1990 نداءً إلى كل القوى السياسية في لبنان الانضمام إلى الحكومة الشرعية, ودعت العماد عون إلى إنهاء التمرد وتسليم قصر بعبدا ووزارة الدفاع, وإزاء ذلك أعلن سمير جعجع موافقته على اتفاق الطائف في حين أبدا العماد عون استعداده للاعتراف بحكومة الهراوي في حالة التسوية بين الطرفين (43), وعلى أثر موافقة جميع الأطراف على تلك المبادرة التقى الأخضر الإبراهيمي في 15 تموز 1990 بالرئيس الهراوي وسمير جعجع من أجل تشكيل حكومة وفاق وطني وانها الاحتقان الداخلي (44).

من جانب آخر أجمع الأخضر الإبراهيمي بالعماد عون وجرت سلسلة من الاجتماعات وكان آخرها في 1990 /7/25 من أجل إقناعه الدخول في تلك الحكومة والاعتراف باتفاق الطائف, لكنه أعلن في السادس والعشرون من الشهر ذاته ان جميع المساعي احبطت وأن مبادرته فشلت والعماد عون خذله بسبب تصلبه الرفض لإتفاق الطائف (45). وفي منتصف آب استقبل الرئيس السوري حافظ الأسد مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشؤون الشرق الأوسط أكد له اثناء اللقاء على وجوب تنفيذ بنود اتفاق الطائف في لبنان وعلى جميع الأطراف اللبنانية بمختلف اتجاهاتها مساندة الشرعية اللبنانية في تطبيقه واتباع جميع خطواته, ومن جانب آخر صرح السفير الأمريكي في دمشق ادور جرجان بأن واشنطن تريد تنفيذ اتفاق الطائف فوراً, وانهاء المعارك وتمرد العماد عون, وفي نهاية اب من عام 1990 تعهدت دمشق بتقديم الدعم الكامل للشرعية اللبنانية وتفعيل المؤسسات اللبنانية, وانها ستسرع من سقوط العماد عون (46).

وفي 1990/9/13 زار دمشق وزير الخارجية الأمريكي جيمس بايكر وعقد اجتماعاً مطولاً مع الرئيس السوري حافظ الأسد تم خلاله التفاهم بين الطرفين على كيفية معالجة أزمة لبنان, وفي اثناء نقل جيمس بايكر موافقة واشنطن على الاطاحة بالعماد ميشال عون وفق الشروط السورية (47) وبذلك اعطت واشنطن دمشق الضوء الاخضر لإطاحة عون فأكملت بذلك ما يعيق هيمنتها على لبنان (48).

الخاتمة :

نستنتج مما سبق ان الحرب التي دارت رحاها في بيروت الشرقية بين العماد عون وقائد القوات اللبنانية سمير جعجع والتي اطلق عليها حرب الالغاء أو حرب تحرير البندقية بين المسيحيين ليس من اجل توحيد لبنان أو من اجل المصلحة الوطنية أو مقاومة الاحتلال الإسرائيلي وانما من اجل السيطرة على المنطقة المسيحية وكسب النفوذ في تلك المنطقة, وتحقيق المصالح الشخصية.

تعود جذور تلك الحرب الى التناقضات في المواقف المسيحية المسيحية من اجل دعم تلك الحكومة أو حكومة اخرى في وقت مرت به لبنان بحالة من التدهور في الاوضاع السياسية واغتيال رئيس الجمهورية بعد مدة جداً قصيرة واختيار رئيس جديد وتدخل الاطراف الاقليمية والدولية والعربية لدعم هذا المرشح او ذاك لشغل منصب الرئيس اللبناني, وتغنت العماد عون من اجل السيطرة على مقاليد الحكومة ولم يأتي تصلب موقفه من الفراغ وانما اعتمد على دعم وموافقة بعض الدول العربية الهوامش :

1. قاسم جباري المرشدي , ميشال عون ودوره العسكري والسياسي في لبنان 1990-1995,مجلة لارك للفلسفة واللسنيات والعلوم الانسانية /العدد /33/ 2019 ,ص250.
2. فؤاد خلف حسن , التطورات السياسية اللبنانية 1989-2005, أطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية الآداب , جامعة الأنبار ,2018,ص136.
3. سر كريس نعوم , ميشال عون حلم أم وهم لبنان ,1992,ص115.
4. كريم بقرادوني, السلام المفقود ,شركة المطبوعات للنشر والتوزيع , بيروت , 2010, ص216-215 .
5. طوني شمعون ,الذاكرة السياسية للمسألة اللبنانية من بروتكول عام 1943إلى سقوط الجمهورية الأولى عام 1990 , لبنان ,2015, ص526.
6. جريدة القبس , العدد (6370) في الأول من شباط 1990.
7. المصدر نفسه .
8. جريدة القبس , العدد (6370) في الأول من شباط 1990.
9. بيار رفول ,المصدر السابق , ص146.
10. طوني شمعون , المصدر السابق , ص526.
11. جريدة القبس ,العدد (6376) , 7 شباط 1990.
12. سعيد سليمان , وسقطت التحديات , بيروت ,1997, ص68.
13. جريدة القبس ,العدد(6376) في 7 شباط1990.
14. فؤاد خلف حسين ,المصدر السابق , ص140-145.
15. أحمد زين الدين , لماذا الحرب في لبنان كل 15 سنة , بيروت , 2008 ,ص22.
16. بيار رفول , عون والصحة اللبنانية شهادة للتاريخ وعبرة للمستقبل , لبنان ,1994, ص153.
17. مسعود الخوند , موسوعة الحرب اللبنانية , ج14 , 1986- 1990, المركز العربي , للمعلومات,لبنان,2007,ص79.
18. ياسر عرفات: وهو الأسم الحركي الذي أطلق على محمد عبد الرحمن عبدالرؤوف الحسيني , ولد في القاهرة عام 1929 , أصبح ملازم أول في الجيش المصري عام

- 1956, أسس حركة فتح عام 1965, أصبح رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية التي تأسست عام 1964 بموجب الجهود المبذولة من قبل الجامعة العربية في نهاية عام 1960, تدخل في معظم القضايا العربية منها الحرب العراقية الإيرانية 1980-1988, وحرب الخليج الثانية عام 1990, وقضية تمرد العماد عون. ينظر: غسان بنيان جلود الشويلي, العلاقات العراقية الكويتية 1968-1990, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية الآداب, جامعة البصرة, 2013, ص 192.
19. فايز قزي, من مشال علق إلى ميشال عون تجارب في علاقات مستحيلة, مكتبة رياض الرئيس للكتب, لبنان, 1997, ص 244.
20. جريدة القبس, العدد (6400) في 3 آذار 1990.
21. أيلي محفوظ, لبنان من الفينيقيين إلى العونين, بيروت, 1996, ص 172.
22. سعيد سلمان, المصدر السابق, ص 54.
23. جريدة النهار, العدد (1528) 1990/3/8؛ جريدة القبس, العدد (6404) في 7 آذار 1990.
24. الشاذلي بن جديد: عسكري وسياسي جزائري ولد في الجزائر عام 1929 ودخل الجيش الفرنسي عام 1954, وفي عام 1955 أنظم إلى جبهه التحري الجزائرية لمقاومة الاستعمار الفرنسي, تدرج في الرتب والمناصب العسكرية, ايد انقلاب بو مدين على أحمد بنبله وعينه عضواً في مجلس الثورة, انتخب رئيساً للجمهورية عام 1979, للمزيد ينظر: عبد الوهاب الكيالي, المصدر السابق, ج 2, ص 533.
25. جريدة القبس, العدد (6404) في 7 آذار 1990.
26. جريدة النهار, العدد (1528) في 1990/3/6.
27. محمود بكري, المحطة المصرية في جولة الرئيس الهراوي, مجلة المجالس, الكويت, العدد (984) 12 حزيران 1990, ص 16.
28. كميل منسي, المصدر السابق, ص 160-162.
29. محمود بكري, المصدر السابق, ص 17.
30. الياس الهراوي: ولد الياس بن خليل الهراوي في حوش الأمراء أحد أحياء منطقة زحلة اللبنانية في الرابع من أيلول عام 1926, التحق الياس الهراوي في عام 1934 بالنظام التعليمي بمدرسة الحكمة, تخرج عام 1946 حاصلاً على شهادة البكلوريا, القسم الثاني الفرع الأدبي, فاز في انتخابات البرلمانية عام 1972, كان له دور مهم في التوسط عند الرئيس السوري حافظ الأسد لوقف إطلاق النار من مدينة زحلة عام 1976 واخراج المقاتلين منها, انتخب رئيساً للجمهورية اللبنانية عام 1989, في انتخابات 1998 ترك الرئاسة على اثر انتخاب الرئيس الجديد امل لحدود, للمزيد ينظر نهاد كاظم بهلول الوائلي, الياس الهراوي والدوره السياسي في لبنان 1926-1998, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية التربية للعلوم الإنسانية, جامعة ذي قار, 2021.

31. جريدة القبس، العدد(6386) في 17 شباط 1990.
 32. فارس خشان ، عمود الملح عون وججع والمسيحيون بين السياسة والقضاء، بيروت، 1999، ص42.
 33. سعيد سليمان ، وسقطت التحديات ، بيروت ، 1997، ص62.
 34. جريدة القبس ، العدد (6387) في 18 من شباط 1990.
 35. فارس بويز: سياسي لبناني ولد عام 1955 في منطقة بلدة ذوق كسروان ، درس في جامعة القديس يوسف وحصل على شهادة البكالوريوس، أنتخب نائباً عن كسروان عام 1990، ثم عام 1992 و عام 1996، وعام 2000، أصبح وزيراً للخارجية عام 1990-1998، ثم وزراً للبيئة عام 2003، عين مستشاراً سياسياً للرئيس اللبناني الهراوي 1989-1990، ترأس وفد بلاده في مؤتمر مدريد عام 1991، ينظر: عدنان محسن ظاهر ورياض الغانم ، المصدر السابق ، ص69-70.
 36. نادر موني، القوات اللبنانية نشأة المقاومة المسيحية وتطورها، ترجمة رومي رحمة، دار سائر المشرق، د ت ،بيروت، ص287.
 37. كمال ديب ، سقوط لبنان المسيحي 1920-2020، دار النهار، بيروت، 2008، ص196.
 38. نقلاً عن عبد الرؤوف سنو ، حرب لبنان 1975-1990 تفكك الدولة وتصدع المجتمع ، المجلد الأول ، المفارقات السياسية والنزاعات المسلحة والتسوية ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، 2008، ص788.
 39. كميل منسي ، الياس هراوي عودة الجمهورية من الدويلات إلى الدولة ، دار النهار للنشر، بيروت-لبنان ، 2002، ص142-144.
 40. كميل منسي، المصدر السابق ، ص144 .
 41. مجلة اليوم السابع، باريس، العدد(311) 23 نيسان 1990، ص8.
 42. كميل منسي ، المصدر السابق، ص153.
 43. كريم بقرادوني ، المصدر السابق ، ص222.
 44. فؤاد خلف حسين ، المصدر السابق ، ص149-151.
 45. (جريدة القبس الدولي، الكويت ، العدد(1696) 16 تموز 1990.
 46. جريدة القبس الدولي، العدد(1707) في 27 تموز 1990 .
 47. كريم بقرادوني ، لعنة وطن من حرب لبنان إلى حرب الخليج، بيروت 1992، ص2)) روزانا ابو منصف ، لبنان في سياسة واشنطن الشرق اوسطية ، مركز عصام فارس للشؤون اللبنانية ، بيروت ، 2007، ص35. 23.
 48. روزانا ابو منصف ، لبنان في سياسة واشنطن الشرق اوسطية ، مركز عصام فارس للشؤون اللبنانية ، بيروت ، 2007، ص35.
- قائمة المصادر:
أولاً : الوثائق الغير منشورة

- (1) د. ك. و. وكالة الانباء العراقية, الموضوع العلاقات , المصدر/أ ف ب, رقم الملف 114/521, رقم الوثيقة(21) في 1990/6/18 .
ثانياً : الرسائل الجامعية :
- (1) فاسم جباري المرشدي , ميشال عون ودوره العسكري والسياسي في لبنان 1935-1990,مجلة لارك للفلسفة واللغويات والعلوم الانسانية /العدد /33/ 2019 , ص250.
- (2) فواد خلف حسن , التطورات السياسية اللبنانية 1989-2005, أطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية الآداب , جامعة الأنبار , 2018,ص136.
- (3) غسان بنيان جلود الشويلي , العلاقات العراقية الكويتية 1968-1990, رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الآداب , جامعة البصرة, 2013.
- (4) نهاد كاظم بهلول الوائلي , الياس الهراوي والدوه السياسي في لبنان 1926-1998, رسالة ماجستير غير منشورة , كلية التربية للعلوم الإنسانية , جامعة ذي قار , 2021.
- ثالثاً : الكتب العربية والمعربة :
- (1) أيلي محفوظ , لبنان من الفينيقيين إلى العونيين , بيروت , 1996.
- (2) أحمد زين الدين , لماذا الحرب في لبنان كل 15 سنة , بيروت , 2008.
- (3) كريم بقرادوني, السلام المفقود , شركة المطبوعات للنشر والتوزيع , بيروت , 2010.
- (4) طوني شمعون ,الذاكرة السياسية للمسألة اللبنانية من بروتكول عام 1943 إلى سقوط الجمهورية الأولى عام 1990, لبنان , 2015.
- (5) سركيس نعوم , ميشال عون حلم أم وهم لبنان , 1992.
- (6) سعيد سليمان , وسقطت التحديات , بيروت , 1997.
- (7) بيار رفول , عون والصحو اللبنانية شهادة للتاريخ وعبرة للمستقبل , لبنان , 1994.
- (8) فايز قزي , من مشال عفلق إلى ميشال عون تجارب في علاقات مستحيلة , مكتبة رياض الرئيس للكتب , لبنان , 1997.
- (9) محمود بكري , المحطة المصرية في جولة الرئيس الهراوي , مجلة المجالس , الكويت , العدد (984) 12 حزيران 199.
- (10) فارس خشان , عمود الملح عون وجعجع والمسيحيون بين السياسة والقضاء , بيروت , 1999.
- (11) سعيد سليمان , وسقطت التحديات , بيروت , 1997.
- (12) عدنان محسن ضاهر ورياض غنام, معجم حكام لبنان والرؤساء 1842-2012, دار بلال للطباعة والنشر , بيروت , 2012.

- (13) نادر موني, القوات اللبنانية نشأة المقاومة المسيحية وتطورها, ترجمة رومي رحمة, دار سائر المشرق, دت, بيروت.
- (14) كمال ديب, سقوط لبنان المسيحي 1920-2020, دار النهار, بيروت, 2008.
- (15) عبد الرؤوف سنو, حرب لبنان 1975-1990 تفكك الدولة وتصدع المجتمع, المجلد الأول, المفارقات السياسية والنزاعات المسلحة والتسوية, الدار العربية للعلوم ناشرون, بيروت, 2008.
- (16) كميل منسى, الياس هراوي عودة الجمهورية من الدويلات إلى الدولة, دار النهار للنشر, بيروت-لبنان, 2002.
- (17) كريم بقرادوني, لعنة وطن من حرب لبنان إلى حرب الخليج, بيروت 1992.
- (18) روزانا ابو منصف, لبنان في سياسة واشنطن الشرق اوسطية, مركز عصام فارس للشؤون اللبنانية, بيروت, 2007.
- رابعاً : البحوث المنشورة:
- 1- محمود بكري, المحطة المصرية في جولة الرئيس الهراوي, مجلة المجالس, الكويت, العدد (984) 12 حزيران 1990, ص16.
- خامساً : الصحف والمجلات :
- (1) جريدة القبس, العدد (6370) في الأول من شباط 1990.
- (2) جريدة القبس, العدد(6372) في 3 شباط 1990.
- (3) جريدة القبس, العدد(6386) في 17 شباط 1990.
- (4) جريدة القبس, العدد (6387) في 18 من شباط 1990
- (5) جريدة القبس, العدد(6400) في 3 آذار 1990.
- (6) جريدة القبس, العدد(6404) في 7 آذار 1990.
- (7) جريدة القبس, العدد(6405) في 8 آذار 1990.
- (8) جريدة القبس الدولي, الكويت, العدد(1696) 16 تموز 1990.
- (9) جريدة القبس الدولي, العدد(1707) في 27 تموز 1990.
- (10) جريدة النهار, العدد (1528) في 1990/3/6.
- (11) جريدة النهار, العدد(1528) 1990/3/^\.
- (12) مجلة اليوم السابع, باريس, العدد(311) 23 نيسان 1990.
- (13) مجلة المجالس, الكويت, العدد (984) 12 حزيران 1990, ص16.
- خامساً : الموسوعات :
- (1) الوهاب الكيالي, الموسوعة السياسية, ج1, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت, 1979.
- (2) مسعود الخوند, موسوعة الحرب اللبنانية, ج14, 1986-1990, المركز العربي, للمعلومات, لبنان, 2007, ص79.

السيطرة الروسية على آسيا الوسطى والموقف الإيراني منها 1916-1730

الباحثة
وجدان كارون فريح التميمي
الاستاذة الدكتورة
طيبة خلف عبد الله الحسين
جامعة البصرة / كلية الآداب / قسم التاريخ

الملخص

تسلط الدراسة الضوء على مراحل التوسع الروسي في آسيا الوسطى المسلمة التي جذبت انتباه الإمبراطرة الروس إليها، على الرغم من أنها كانت خلال القرن الثامن عشر امارات متفرقة، لكنها كانت هدف استراتيجي للإمبراطورية الروسية. كما تبحث الدراسة في محددات الموقف الإيراني من التوسع بعد ان تقاسمت إيران وآسيا الوسطى تاريخ وحضارة لقرون متعددة. لكن إيران في الوقت ذاته عانت من نقاط ضعف كثيرة جعلها هي الاخرى عرضة للسيطرة الروسية التي ساعدتها عوامل مختلفة للوصول الى اهدافها في احتلال آسيا الوسطى خلال المدة 1916-1730.

Abstract

This study sheds light on the stages of Russian expansion in Muslim Central Asia that attracted the attention of the Russian emperors to it, although during the eighteenth century they were separate emirates, but they were a strategic goal for the Russian Empire. The study also examines the determinants of the Iranian position on expansion after Iran and Central Asia shared a history and civilization for several centuries. But Iran at the same time suffered from many associated weaknesses that made it also vulnerable to Russian control. various other factors helped the Russians reach their goals in Central Asia during the period 1730-1916.

المقدمة

تعد منطقة آسيا الوسطى من المناطق المهمة دولياً، ذات الامكانيات الواسعة التي اثرت حولها الكثير من القضايا السياسية والاستراتيجية. وان تعرضها للسيطرة الروسية عندما كانت تحكمها خانيات (امارات) لاكثر من مئة عام من القضايا المهمة في تاريخ المنطقة وفي تاريخ الامبراطورية الروسية. وتركت اثاراً اجتماعية واقتصادية وسياسية امتدت لقرون طويلة.

كانت المنطقة خلال مدة الدراسة مرتبطة بإيران سياسياً ودينياً وحضارياً نظراً لقربها منها وامتلاكهما لتاريخ مشترك، فضلاً عن الأراضي التي كانت محط صراع بينهما، وكان من الطبيعي تأثر إيران بالاحتلال الروسي لآسيا الوسطى، ومن هنا جاءت أهمية الدراسة، للوقوف على التحولات التي طرأت على المنطقة نتيجة السيطرة عليها والمواقف الإيرانية إزاءها. وتهدف الدراسة الى حقيقة التوجه الروسي للمنطقة بعد ان شجعتها عوامل عدة.

تدور الاشكالية البحثية للدراسة حول الاجابة عن الاسئلة التالية: لماذا اتجهت الامبراطورية الروسية نحو آسيا الوسطى؟ وهل كان اعتقادها عن المنطقة صحيح؟ وما موقف إيران من السيطرة الروسية على المنطقة؟.

وبناء على ذلك قسمت الدراسة الى مقدمة ومحورين فضلاً عن خاتمة وقائمتي هوامش ومصادر، جاء المحور الاول بعنوان " التوجه الروسي الى امارات آسيا الوسطى قبل عام 1730" ليبين علاقة روسيا بالمنطقة ومحاولاتها للتغلغل اليها. وتناول المحور الثاني المعنون "مراحل الاحتلال الروسي على آسيا الوسطى والموقف الإيراني منه" عوامل التوجه الروسي الى المنطقة ومراحل التوسع ومواقف الحكومة الإيرانية منه.

أولاً: التوجه الروسي الى امارات آسيا الوسطى قبل عام 1730

نظر امراء آسيا الوسطى⁽¹⁾ الى الدولة العثمانية (1299-1923) التي لم تصل الى حدودهم، نظرة تقدير واحترام بعدها زعيمة العالم الإسلامي، وكانوا يستقبلون رسل السلطان العثماني بكل ترحاب، والبعض منهم يرسل في طلب المساعدة العثمانية اثناء الحروب القبلية او المحلية، واحياناً أخرى كان بعضهم يطلب وساطة السلطان العثماني لفض النزاعات التي تنشأ بينهم. وبذلك، فان التحرك العثماني في آسيا الوسطى لم يتعد الموعدة، لاسيما في فترات صراع العثمانيين مع روسيا⁽²⁾ ومحاولاتها ادخال المنطقة في تلك الصراعات، لكن حماسة امارات آسيا الوسطى كانت وقتية، تنتهي بانتهاء مقابلة الرسول العثماني مع الأمير⁽³⁾.

وبناء على ذلك، فالعلاقة بين الدولة العثمانية وامراء آسيا الوسطى لم تشكل خطراً على إيران، ولم تؤثر عليها سياسياً او اجتماعياً، ما عدا توافقهم في العنصر التركي والمذهب السني. نظراً لبعدهما عن بعض، ويفصل بينهما الصفويين، والروس.

بدء التوجه الروسي لآسيا الوسطى على مراحل تاريخية، وبأشكال شتى، اذ كان يربط بين دوقية روسيا والخانيات⁽⁴⁾ الاوزبكية الاسلامية: خوارزم، وبخارى، وحقوقد علاقات تجارية⁽⁵⁾. وجاء الاحتلال الروسي في عهد القيصر ايفان الرابع (Ivan IV 1533-1584) لقازان⁽⁶⁾ عام 1553⁽⁷⁾، وأستراخان⁽⁸⁾ عام 1556 بهدف فتح الطريق للاتصال المباشر مع آسيا الوسطى عبر سهوب الكازاخ، وتأمين ممر مائي الى بحر قزوين⁽⁹⁾. وفي العام الذي أعقب سقوط أستراخان، أرسل كل من بخارى وخوارزم سفارات إلى إيفان الرابع لطلب الأذن للمتاجرة بحرية في روسيا، وفي عام 1558 زار التاجر المغامر الإنجليزي أنتوني جينكينسون (Anthony Jenkinson) آسيا

الوسطى كأول سفير رسمي لموسكو في المنطقة، وفي العام التالي عاد إلى روسيا برفقة مبعوثين من بخارى وخيوه وبلخ. بعد ذلك، تم الحفاظ على العلاقات الدبلوماسية على فترات غير منتظمة ولكن متكررة⁽¹⁰⁾. وبذلك تمكن الروس خلال المدة الواقعة بين عامي 1558-1582 من الوصول إلى حوضي آرال وقزوين والسيطرة على سيبيريا⁽¹¹⁾.

ارادت روسيا جمع اكبر قدر ممكن من المعلومات عن شعوب آسيا الوسطى وعن ثرواتها الطبيعية ومواردها، فضلاً عن الأوضاع العسكرية-السياسية فيها، فأخذت ترسل وكلاء شركاتها التجارية، ومن ثم الرسل كالتجار، وضباط القيادة العامة، ورسامي الخرائط الجغرافية، وغيرهم، وكانت مهماتهم جمع معلومات عن الأوضاع الاقتصادية والسياسية في الخانات، وتحصيناتها، وقواتها العسكرية، وعلاقاتها مع الدول الأخرى لاسيما إيران والدولة العثمانية⁽¹²⁾.

كانت التجارة في القرن السابع عشر الشغل الشاغل لسفارات آسيا الوسطى، وحافظ تجار بخارى وخيوه على نشاطهم التجاري، وكان وجود تجار روس في آسيا الوسطى شبه معدوم، لريبة التجار المسلمين الشديدة من الغرباء لاسيما غير المسلمين، كما ان تجار آسيا الوسطى شديداً الحذر والغيرة على احتكار تجارتهم مع روسيا. اما سفارات موسكو خلال تلك المدة فكانت من اجل هدفين رئيسيين: تحرير العبيد الروس الذين كان معظمهم من الصيادين والتجار الذين أسرهم المغيرين الكازاخ والتركمين بالقرب من بحر قزوين وباعوهم، وأصبح هدفهم الثاني بعد منتصف القرن جمع معلومات حول طرق التجارة إلى الهند، ولم تنجح جهود روسيا بالقدر ذاته في كلا الحالتين⁽¹³⁾، ولم تتطور تلك العلاقات الا بعد تسلم بطرس الأكبر (*Peter the Great 1682-1725*) السلطة⁽¹⁴⁾، وبدأت في عهده المحاولات الاستعمارية الفعلية الى المنطقة⁽¹⁵⁾.

ادرك بطرس الأكبر أهمية المنطقة استراتيجياً وتجارياً نظراً لأنها المنفذ الوحيد الى وسط آسيا من جهة الشمال، والطريق التجاري الى أفغانستان والهند، فاحتلت المنطقة درجة مهمة في برنامجه التوسعي، وبناء على ذلك، ارسل الأمير جاجارين (*Gagaren*) في بعثة استكشافية الى وسط آسيا نتج عنها تقريراً أكد وجود كميات كبيرة من الذهب شرقي بخارى في منطقة يارقند⁽¹⁶⁾، ووجود مناجم الذهب في المجاري السفلى لنهر جيحون، فضلاً عن ان المنطقة اشتهرت بانتاجها الوفير من القطن والصوف والحريز، وحاجة روسيا إلى ذلك كله، الامر الذي زاد من الاهمية الاستراتيجية لآسيا الوسطى في الحسابات الروسية⁽¹⁷⁾، وأدى الى تقوية عزم بطرس الأكبر في الزحف نحوها الذي وجد فرصته المواتية حينما استنجد حاكم خيوه نياز خان بروسيا، نتيجة لتورطه بحروب قبلية، انتهب القيصر تلك الفرصة رغم انشغال روسيا في حروب ضد الدولة العثمانية والسويد⁽¹⁸⁾، وارسل قوة كبيرة الى خيوه عام 1717، كان من مهام قائد القوة اقتناع حكام خيوه وبخارى بإبقاء بعض الكتاب الروسية في المنطقة لتكون بمثابة حرس مسلح لهما⁽¹⁹⁾.

كان هدف روسيا -كما يتضح- إيجاد موطنٍ قدم لها في تلك المواقع الامامية لتمكنها من مواصلة تنفيذ سياستها التوسعية في المنطقة، لكن أهالي خيوه بعد ان استقرت الأمور في الامارة وجدوا ان روسيا عازمة على السيطرة على بلادهم، فوقعت حرب بين الطرفين انتصر فيها نياز خان انتصاراً كبيراً وقتل قائد القوة الروسية، فأثر بطرس الأكبر ان تقوم علاقات دبلوماسية وطيدة بين خيوه وروسيا، وأرسل سفارة استقبلها نياز خان، الا انها لم تعط نتائج ذات أهمية. واستمرت روسيا بعد وفاة بطرس الأكبر في ارسال السفارات الى خيوه لكن دون تحقيق الأهداف المتوقعة من ورائها، فتحولت روسيا الى الأسلوب العسكري (20).

ومن الأهمية بمكان القول، ان نشاط البعثات والارساليات الروسية الارثوذكسية الى المنطقة عدت بمثابة الطلائع الاولى الممهدة للاحتلال العسكري الروسي لاسيما في استخدامها اساليب الرشوة وكسب الانتصار وما إلى ذلك (21).

ثانياً: مراحل الاحتلال الروسي على آسيا الوسطى والموقف الإيراني منه اخضعت الإمبراطورية الروسية الدويلات في الأراضي الكازاخية مطلع عام 1730 واخذت أية مقدرة لسكان تلك المنطقة على تهديد الحدود الروسية، اذ كانت تلك الدويلات تمثل تهديداً حقيقياً لروسيا بسبب غزواتها المتكررة على حدودها. فاستغلت روسيا عوامل الضعف والانحلال فيها لاختضاعها الواحدة تلو الأخرى (22)، واستطاعت خلال المدة 1731-1740 من فرض الحماية على عشائر الكازاخ الصغرى والوسطى (23).

اطلق الروس "حاكمية اورينبورج" (24) على المناطق التي دخلت تحت سيطرتهم في آسيا الوسطى (25)، وكانت شؤونها تسير بطريقة عشوائية وغير منظمة تحت سيطرة حاكم اورينبورج (26).

تحركت الإمبراطورية الروسية نحو آسيا الوسطى لاسباب عدة، منها: انها كانت المنفذ الوحيد لقدرات روسيا السياسية والعسكرية للتوسع، فالدول الأوروبية كانت تقف ضد محاولاتها في التوسع في القارة الأوروبية او على حساب الدولة العثمانية، بل ان بعض الدول الأوروبية شجعت روسيا للتوجه جنوباً في سياستها التوسعية مبررة ذلك على انه عمل انساني لنشر الحضارة والتقدم وسط جماعات بربرية متخلفة، وعللت روسيا عملياتها العسكرية في آسيا الوسطى الى جانب الأهداف الإنسانية؛ بانه ضرورة ملحة لسلامة الحدود الروسية (27). كما وجدت روسيا ان في سيطرتها على المنطقة خطوة استراتيجية للوصول الى الهند وتهديد بريطانيا، فضلاً عن ان اهمال الدول الأوروبية للمنطقة شجع روسيا لاتخاذها منطلقاً باتجاه إيران والخليج العربي (28). وارادت روسيا من احتلال آسيا الوسطى جعلها خطوة لها كان الهدف من ورائها كسب المنافسة السياسية والدبلوماسية والاقتصادية مع بريطانيا لتصبح اقوى كيان في آسيا (29).

كانت مطالبات الرأسمالية الروسية من حكومتها استعمار آسيا الوسطى، بهدف حماية مصالحها التجارية سبباً اخر لامتداد الروسي باتجاه الجنوب، نتيجة لتعرض

القوافل التجارية الروسية الى محاولات السلب والنهب من بعض الجماعات الأوزبكية والتركمانية اثناء مرورها في المنطقة. كما أرادوا الحصول على القطن الخام لتطوير صناعة النسيج الروسية منذ عام 1850⁽³⁰⁾، وبسبب الحرب الاهلية الامريكية (1861-1865)⁽³¹⁾ قُطعت امدادات روسيا من القطن الرخيص الذي كانت تستورده من الولايات الجنوبية الامريكية لاعتمادها عليه في صناعة النسيج، فتحولت روسيا الى آسيا الوسطى بحثاً عن ارض لزراعة قطنها⁽³²⁾.

كانت مسألة الرق احد اهم أسباب التوجه الروسي الى المنطقة، اذ ان بعض الخائيات في آسيا الوسطى كانت تداهم المنطقة الروسية المطلة على بحر قزوين وأخذ الروس وبيعهم كرقيق⁽³³⁾. وفي الوقت ذاته، كانت روسيا بحاجة الى منطقة لتوطين الاقنان، العمال الزراعيون الذين كانوا عبيداً فعليين في روسيا حتى الغي الامبراطور الكسندر الثاني (1881-1855 Aleksandr II) القنانة في التاسع عشر من شباط 1861⁽³⁴⁾، الامر الذي أدى الى انتقال مئات الالاف منهم الى آسيا الوسطى في ستينيات القرن التاسع عشر، والتي عدت الموجة الأولى من الأوروبيين الذين غيروا في العقود المقبلة التركيبة العرقية في المنطقة⁽³⁵⁾.

كانت وجهة النظر العسكرية الروسية ان المنطقة الممتدة بين سيبيريا وبحر قزوين ستصبح منطقة متكاملة من خلال احكام السيطرة على آسيا الوسطى المسلمة التي تقع بين تلك المنطقتين، كما ان المنطقة تتمتع بأهمية جيوسراتيجية في صراعات روسيا المستقبلية ضد بريطانيا سواء اكانت في الهند او إيران او الخليج العربي⁽³⁶⁾. فضلاً عن ذلك فان تفرق الامراء المسلمين كان من اهم العوامل التي سهلت الغزو الروسي للمنطقة، فلم تجمعهم وحدة سياسية او عسكرية، وانما كانوا منشغلين بمعارك مستمرة بعضهم مع بعض⁽³⁷⁾.

كان الجيش الإيراني آنذاك عاجزاً عن مقاومة الغزو الروسي الذي بدأ يجتاح الأراضي الإيرانية بسبب جموده وعدم تطور تدريبيه وتسليحه، وعلى اثر ذلك فقدت إيران جزءاً من أراضيها خلال الحروب التي قامت بينها وبين روسيا، فاضطرت الى عقد معاهدات تنازلت بموجبها الى روسيا عن مساحات واسعة من أراضيها في الشمال والشمال الشرقي⁽³⁸⁾. فبعد الحرب الروسية الإيرانية (1804-1813) التي انتهت بهزيمة جيش الاخيرة⁽³⁹⁾، استطاعت روسيا ومن خلال معاهدة كلستان (Gulistan) التي وقعت في الثاني عشر من تشرين الاول 1813⁽⁴⁰⁾ ان تسلب حق إيران الملاحي في بحر قزوين، فضلاً عن موافقة إيران على ان تصبح الولايات التي استولى عليها الروس في بلاد القوقاز جميعها ملكاً لهم⁽⁴¹⁾. وعلى الرغم من أن المعاهدة جعلت الملاحة حرة في بحر قزوين أمام السفن التجارية، فانها حولته إلى بحيرة روسية من خلال تأكيدها بأن السفن الحربية الروسية وحدها لها حق الإبحار فيه⁽⁴²⁾.

اصبح النفوذ الروسي في آسيا الوسطى بعد عام 1820 نافذاً لدرجة كبيرة، وانحلت الدويلات تدريجياً في الأعوام 1822-1824، وتأسست امارات صغيرة تحكم من

لندن سلاطين يحكمون باسم الامبراطور الروسي. وأرسلت روسيا حملات مكثفة من الاستخبارات والمسؤولين العسكريين والصحفيين والخبراء الاستراتيجيين والعلماء واللغويين للتحقيق في الهياكل الجغرافية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والاجتماعية والثقافية في منطقة آسيا الوسطى لتسهيل حركة التوسع الروسي باتجاه الجنوب⁽⁴³⁾.

لجأت روسيا خلال عامي 1858-1859 بهدف التمهيد لضم منطقة آسيا الوسطى بأكملها إلى ارسال الهيئات العلمية والدبلوماسية التي ضمت اختصاصات مختلفة من مؤرخين ومستشرقين وضباط جغرافيين واثنوغرافيين وجيولوجيين وبايولوجيين، واصبحت تلك الهيئات ذات اهداف سياسية بحتة بتأكيدا على اهمية السيطرة على بخارى وخبوه ووضع حدا لامتداد النفوذ البريطاني في المنطقة⁽⁴⁴⁾.

نشطت روسيا في الاستيلاء على الاراض الإيرانية القديمة في المنطقة، في عهد ناصر الدين شاه القاجاري (1848-1896) الذي كان منشغلاً بمحاولة انهاء الهجمات التركية على خراسان، فاجتاحت روسيا الأراضي الواحدة تلو الأخرى مستغلة انشغال القاجار بالازمات الداخلية والتهديدات الخارجية للاستيلاء على معظم اراض تركستان خلال المدة 1860 و 1864⁽⁴⁵⁾.

سيطر الروس على طشقند عام 1865، واعلنوا انشاء مقاطعة تركستان الروسية تحت حكم الجنرال قسطنطين كاوفمان (*Konstantin Petrovich Kaufman*) (1867-1882)⁽⁴⁶⁾ في السادس والعشرين من تموز 1867، واتخذ الجنرال على عاتقه توطيد الوجود الروسي في آسيا الوسطى⁽⁴⁷⁾.

استولى كاوفمان على سمرقند عام 1868⁽⁴⁸⁾، ثم تابع اخضاع بقية البلاد بالتدرج. ووقع خان بخارى في الخامس من تموز 1868 اتفاقية وضع بلاده بموجبها تحت الحماية الروسية، ومنحت بخارى نوعاً من الحكم الذاتي دون سمرقند استمر لغاية عام 1917⁽⁴⁹⁾. وسيطرت القوات الروسية على خانية خبوه عام 1874، وواجه الروس عند توجههم الى خوقند مقاومة شعبية كبيرة مما أدى الى إبادة أهلها والسيطرة عليها عام 1876⁽⁵⁰⁾، وفي التاسع عشر من شباط من العام ذاته الغيت خانية خوقند واعلن مكانها محافظة فرغانة⁽⁵¹⁾. وباستيلاء روسيا على تلك المناطق اقتربوا الى وادي أترك⁽⁵²⁾ وصحراء التركمان، فقرر الروس إزالة التركمان لينفتح امامهم الطريق نحو أفغانستان وخراسان، واستطاعوا الاستيلاء على كوك تبه -شمال نهر اترك- والقضاء على تركمان تكة تماماً. وبذلك، زال خطر التركمان عن اهل خراسان واسترآباد، ونشأ خطر افدح محله هو مجاورة روسيا لإيران⁽⁵³⁾.

اتسم الموقف الإيراني إزاء الاحداث التي كانت تجري في الأراضي التركمانية بالسلبية، إذ لم ترسل دعماً او مساندةً الى القبائل التي تعد ضمن رعاياها. وفي ظل العمليات التي كانت تقوم بها روسيا في منطقة نهر جورجان والتي كانت إيران تدعي السيادة عليها؛ أرسلت بعض القبائل التركمانية التي تعيش على النهر الى الحكومة الإيرانية لاستشارتها بشأن القوة التي تتمتع بها روسيا في المنطقة والاعمال التي تقوم

بها لدرجة ان تلك القبائل اخذت تخشى روسيا. فرد حاكم استرآباد الإيراني موضحاً ان الأراضي التي تبعد ستة اميال عن استرآباد -وهي قرابة المسافة الى نهر اترك- أراض إيرانية، وليس من حق الحكومة الروسية التدخل في شؤون القبائل التي تعيش على نهر جورجان. وأرسلت الحكومة الإيرانية برقية الى حاكم استرآباد طالبته بالذهاب الى مكان يدعى "القلعة" لابداء التعاطف مع التركمان، كما أظهرت الحكومة في برقيتها ان التدخل الروسي في شؤون التركمان في هذه المنطقة غير قانوني، وحثتهم على عدم التعرض للقوافل التجارية التي تسير في أراضيهم. واخذ الحاكم الإيراني لتأكيد سيادة بلاده أسماء بعض زعماء المنطقة لمنحهم النوط والمرتببات السنوية من قبل حكومته. وكانت تلك الإجراءات التي أخذت تجري كلها في الخفاء، فلم يجرؤ الإيرانيون على مواجهة روسيا او حتى الاعتراض على سلوكها إزاء القبائل التركمانية والإيرانية، بل ان الشاه القاجاري ناصر الدين اعرب صراحة ان بلاده غير قادرة على رفض طلب روسيا حتى لو كان التنازل عن مقاطعة استرآباد. وبطبيعة الحال فان الموقف الإيراني الضعيف، اعطى المجال الواسع الى روسيا لتمارس اطماعها السياسية في المنطقة التركمانية التي اخذت قبائلها في الخضوع التدريجي للسيطرة الروسية، بل ان قبيلة الياموت أعطت تعهداً كتابياً الى الامبراطور الروسي بالعيش بسلام، واخذ أفرادها تعلم اللغة الروسية. ونتيجة لتلك السياسة سيطرت روسيا على قطاع واسع من القبائل التركمانية، وساد الاعتقاد بان نهر اترك اصبح ضمن الأراضي الروسية بعد ان كان الحد الفاصل بين إيران وروسيا⁽⁵⁴⁾.

استولى الروس على حدود شمال شرق خراسان كاملة وبشكل رسمي بناءً على معاهدة أخال (Akhal) السرية التي فرضت على إيران عام 1881⁽⁵⁵⁾، نظراً لضعف الجيش القاجاري وعدم تنظيمه، وغزو واستيلاء الإمبراطورية الروسية على المناطق الحدودية مع إيران، ووقوف الاخيرة عاجزة عن الرد امام ضعفها العسكري والدفاعي، وعدم السيطرة على التركمان الذين كانوا يقومون بأعمال شغب داخل المدن الإيرانية، وكانت المنطقة ذات الأهمية الاستراتيجية والجغرافية تتمتع بدرجة معينة من الاستقلال الذاتي وعدم خضوعها لسيطرة الحكومة المركزية على الرغم من انتمائها الفعلي إلى إيران⁽⁵⁶⁾.

ومما يجب ملاحظته حول المعاهدة⁽⁵⁷⁾، التأثير البريطاني على إبرامها، ففي ذلك الوقت انخفض الصراع البريطاني-الروسي حول المستعمرات، وسمح البريطانيون لروسيا بالتحرك إلى أقصى حد ممكن في منطقة القوقاز بهدف ابعادها عن الهند، بينما ناصر الدين شاه كان يتوقع انه يساعد بريطانيا بابرامه المعاهدة. وبشكل عام، لم يكن لمعاهدة أخال اية نتائج إيجابية لإيران، بل ان الشاه كان يعتقد عندما وقعها أن الانتفاضة التركمانية ستنتهي إلى الأبد، الا انه نقل جزء كبير من الأراضي الإيرانية إلى روسيا، وفقدان مستوطنات أخال والتركمان في شمال خراسان طريق التجارة الإيراني مع القوقاز الذي يعني فقدان الإيرانيين لفرصهم الاقتصادية⁽⁵⁸⁾.

وعلى الرغم من ان معاهدة آخال رسمت الحدود بين تركستان وخراسان أي بين روسيا وإيران، فإن الروس لم يحترموا شروط المعاهدة وبقيت الخلافات الحدودية بينهما لان خططهم كانت تهدف الى بسط نفوذهم على سواحل بحر قزوين واسترآباد وخراسان، وهذا ما حدث عندما استولوا على سرخس القديمة على الساحل الأيمن لتجن واحتلوا جزائر آشور آده إزاء ميناء كز متذرعين بضرب الترك ودفعهم، والسيطرة على قسبة فيروزة⁽⁵⁹⁾.

أصبحت منطقة مرو والمناطق المحيطة بها تحت سلطة النفوذ الروسي بشكل كامل في عام 1884، واستحلت روسيا قرية فيروزة الإيرانية وضمته اليها عام 1892⁽⁶⁰⁾، وباحتلال مدينة مرو وصلت حدود روسيا الجنوبية الى أفغانستان، الامر الذي أثار قلق الحكومة البريطانية التي احتجت رسمياً على تهديد مصالحها في أفغانستان، فأمر الامبراطور الروسي الكسندر الثالث (1881-1894 Aleksandr III) بوقف التوسع نحو الجنوب⁽⁶¹⁾. واكتملت السيطرة الروسية على تركستان عام 1900 بعد وصول القوات الروسية الى هضبة بامير⁽⁶²⁾.

عُرفت حكومة الاحتلال التي انشأتها السلطات الروسية لكل بلاد آسيا الوسطى بـ "حكومة تركستان العامة"⁽⁶³⁾، وجعلتها تحت السلطة العسكرية⁽⁶⁴⁾، ومُنح كاوفمان صلاحيات كاملة من قبل الامبراطور في إدارة حكومته، اهمها: اتخاذ القرارات المرتبطة بالشؤون السياسية، والحدود، والتجارة، وإرسال الأشخاص الجديرين بالثقة الى المناطق المجاورة لإجراء المفاوضات وتوقيع الاتفاقيات أو الشروط أو اللوائح التي تؤثر على كلا الطرفين، والزم الامبراطور نفسه مقدماً بقبول كل ما سيتوصل اليه، وتوقيع بحكم الصلاحيات العامة المخولة له، وهذا يدل على ان الحاكم تمتع بكل امتيازات السلطة⁽⁶⁵⁾.

وحاول كاوفمان استيعاب سكان منطقة آسيا الوسطى واذابتهم في المجتمع الروسي، لكنه واجه عوائق كبيرة من الطرف الروسي، اذ كانت انظار الحكومة لا تتعدى أوروبا، وكان رجالات القصر لا يريدون، بل لا يتوقعون ان ينضم الى الإمبراطورية مسلمو تلك المناطق النائية والمعزولة عن روسيا الأوروبية. ومن جانب آخر، رفض السكان المسلمون الاستسلام للغزو الروسي وبقيت الأغلبية تنظر للثقافة الروسية بانها ثقافة اجنبية دخيلة، مما أدى الى بقاء تركستان معزولة الى حد كبير عن بقية روسيا، وبقي حكمها في قبضة الجيش الروسي⁽⁶⁶⁾ وعاملت السلطات الروسية السكان المحليين الذين كانت تطلق عليهم "السكان الأصليين" معاملة السادة الى العبيد، الامر الذي أكد عليه الحاكم العسكري في تركستان س. د. دوخوفسكي (*Sergei Mikhailovich Dokovsky* 1898-1901)، بقوله: "على السلطات الروسية فرض رقابة شديدة صارمة على السكان الأصليين، اذ انهم اعتادوا الخضوع للسلطة المطلقة الصارمة لملوكهم وحكامهم السابقين؛ وليس من الجائز التعامل معهم وفق المبادئ الإنسانية"⁽⁶⁷⁾.

وعلى الرغم من ذلك، لم تتدخل حكومة تركستان في قانون المسلمين المستمد من الشريعة الإسلامية، ولم تلزمهم بالخدمة العسكرية، بل لم تعدهم مواطنين خاضعين الى

القانون الروسي، وانهم غير متساويين مع الرعايا الروس في الحقوق، كما لم تحاول ادماج السكان في المجتمع الروسي، بسبب ان السياسة الروسية التي اعتمدها في تركستان كانت سياسة استعمارية استغلالية خالصة؛ تمثلت بعزل السكان المسلمين في آسيا الوسطى تماماً عن أي تأثير خارجي، ومنعهم من الاحتكاك بالحضارة الأوروبية، بهدف بقاءهم في حالة من التخلف والجمود، ليحول ذلك دون أية مقاومة إسلامية منظمة ضدهم. لذلك، كانت السلطات الروسية تعكف على تشجيع السكان على المحافظة على التقاليد والعادات البالية، ومنع فتح مدارس حديثة في تركستان، وفرض حالة من العزل العنصري التام بين السكان المسلمين وبين المستوطنين الروس⁽⁶⁸⁾. واراناد الإدارة العسكرية الروسية من تطبيقها تلك السياسة القمعية الصرفة، لتخوفها من تأثيرات الحركات الاستقلالية في العالم الإسلامي ضدهم، ولمنع المقاومة الوطنية من العمل، ولاستئصال الروح القومية⁽⁶⁹⁾.

ويتضح ان عدم الزام المسلمين في آسيا الوسطى بالخدمة العسكرية كان بسبب ان اغلب حروب الإمبراطورية الروسية آنذاك مع الدولة العثمانية المسلمة، اي خشيت من انضمام الجنود المسلمين في الجيش الروسي الى جانب القوات العثمانية وخيانتهم لها، فضلاً عن نزعة روسيا الدينية الارثوذكسية.

قاوم سكان تركستان المسلمين الاحتلال الروسي، وكافحوا من اجل الحرية وكان الاسلام نقطة التجمع لانفاضاتهم، بل ان المقاومة بأكملها عُبات وانقادت باسم الإسلام⁽⁷⁰⁾. ونتيجة الاستغلال الروسي للمنطقة، وسوء الإدارة، وتردي الأوضاع المعيشية في القطاعات كافة، قام السكان بتمردات عدة، لكن التمرد الذي أقلق الروس قلقاً شديداً كان "تمرد الكوليرا" في طشقند عام 1892، و"انتفاضة انديجان"⁽⁷¹⁾ عام 1898 التي قامت من خلال الدعوة الى الجهاد بمهاجمة الفين جندي روسي بالقرب من مدينة انديجان الاوزبكية، وعلى الرغم من انتشار الانتفاضة الى البلدات المجاورة، فان الروس تمكنوا من القضاء عليها. اما الانتفاضة الأكثر انتشاراً وعنفاً فحدثت في الخامس والعشرين من حزيران 1916 بعدما قرر الامبراطور نيقولا الثاني (*Nikolay II*) 1894-1917) اشراك السكان المحليين في الحرب العالمية الأولى (1914-1918) بصفة عمال⁽⁷²⁾؛ وفق قانون "التجنيد الاجباري في كتاب العمل"⁽⁷³⁾، ولم يُجبر المسلمون من قبل على الخدمة الاجبارية في الجيش الروسي⁽⁷⁴⁾. فضلاً عن قيام الحكومة الروسية بنقل اعداد كبيرة من الروس والاوكرانيين الى تركستان ومنحتهم الأراضي الخصبة المروية؛ في محاولة شاملة لتحويل تركستان الى منطقة روسية. فانتفض المسلمون في تركستان مطالبين بوقف الهجرة والاعتراف بحقوقهم في التعليم الإسلامي، والاحتكام الى الشريعة⁽⁷⁵⁾.

وثارت البلدات الاخرى وانتشرت الانتفاضة في انحاء تركستان جميعها، لكن الجيش الروسي استطاع من سحقها بسهولة، وقتل الجنود الروس خلال المدة من الخامس والعشرين من حزيران 1916 الى تشرين الأول 1917 ما يقدر بمليون ونصف

نسمة من سكان آسيا الوسطى، وتدمير نصف ثروتها الحيوانية، ونهب وتدمير كمية هائلة من الممتلكات الشخصية. وصنفت روسيا المشاركين في الثورة باسم "بسماشي *basmachi*"⁽⁷⁶⁾، وتعني قطاع الطرق باللغة التركية. لكن السكان المحليين لم يعدوا أنفسهم مجرمين؛ بل محررين يحاولون تحرير وطنهم من الحكم الروسي⁽⁷⁷⁾.

يتضح مما تقدم انه في خضم ما كانت تعانيه تركستان من نير الاحتلال، كانت إيران في الوقت ذاته تعيش فوضى سياسية وادارية واقتصادية وتدهور وضعف على الصعيدين الداخلي والخارجي، وليس لها أي موقف يذكر ازاء التوسع الروسي في آسيا الوسطى، بل عانت البلاد نفسها من احكام روسيا عليها وتسليم ما كان تحت سيطرتها من أراضي تركستان، فضلاً عن الامتيازات⁽⁷⁸⁾ التي أعطيت للتجار والدبلوماسيين الأجانب التي سمحت بازدياد التدخل الأجنبي في البلاد، نتيجة لضعف الحكام الفاجار وضعف منظومتهم العسكرية والسياسية.

الخاتمة

خرجت الدراسة من خلال البحث في "استقلال جمهوريات آسيا الوسطى عام 1991 واهميتها السياسية" بمجموعة من النتائج يمكن تلخيصها بالاتي:

توصلت الدراسة من خلال البحث في " السيطرة الروسية على آسيا الوسطى والموقف الإيراني منها 1730-1916" الى عدد من النتائج يمكن تلخيصها بالاتي:

- 1- توجهت الامبراطورية الروسية الى منطقة آسيا الوسطى لاسباب اقتصادية وسياسية واستراتيجية، لاسيما بعد ان رأت فيها حل لكثير من ازماتها المالية والزراعية، فضلاً عن حلها لقضية الرق.
- 2- عد الروس المنطقة مجال حيوي لهم، بامكانهم من خلاله الوصول الى الهند والحد من نفوذ بريطانيا التي كانت تنافسهم على منطقة آسيا الوسطى.
- 3- وبطبيعة الحال فان هدف الروس كان الوصول الى المياه الدافئة الذي كان سببا لكثير من الحروب الروسية-العثمانية.
- 4- ساعد الامبراطورية الروسية على السيطرة على آسيا الوسطى تفكك خانيات المنطقة ونزاعاتهم المستمرة، فضلاً عن نزاعهم مع الايرانيين المستمر حول الاراضي.
- 5- ونتيجة لضعف الايرانيين سواء على الصعيد السياسي او العسكري او الاداري، وانشغالهم بامورهم الداخلية والخارجية على حد سواء، استطاع الروس من الاحتلال الكامل للاراضي التركمانية التابعة لايران والسيطرة على بحر قزوين، ولم تستطع الاخيرة من الاعتراض.
- 6- اتسم الموقف الإيراني ازاء تطورات الاحتلال للروسي لآسيا الوسطى بالسلبية، اذ لم يجرؤ الإيرانيون على اظهار أي موقف ينم على التذمر او الاعتراض لا على المستوى الحكومي او الشعبي، بل على العكس؛ سلم شاهات إيران الضعفاء الكثير

من المدن في آسيا الوسطى وإيران الى روسيا نتيجة معاهدات أثبتت قوة الروس
وحماسهم.

الملحق رقم (1)
خارطة خانيات (امارات) آسيا الوسطى وقبائلها(79)



(1) عرفت المنطقة بمسميات عدة، منها: ترانسكسانيا (*Transoxania*)، وتركستان، وآسيا الداخلية، وبلاد ما وراء النهر. للمزيد ينظر:

R. G. Mukminova and A. Mukhtarov, *The Khanate (Emirate) Of Bukara, History of civilizations of Central Asia*, Editors: Chahryar Adle and Irfan Habib, Co-Editor: Karl M. Baipakov, Volume V, *Development in contrast: from the sixteenth to the mid-nineteenth century*, Multiple History Series, UNESCO Publishing, Italy, 2003, P33;

ابي بكر محمد بن جعفر النرشخي، تاريخ بخارى، ترجمة وتحقيق وتعليق امين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي، ط3، ذخائر العرب 40، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ص19؛ ابي اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، مسالك الممالك، مطبعة بريل، ليدن المحروسة [هولندا]، 1927، ص286؛ شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، المجلد 5، دار صادر، بيروت، 1977، ص45-46؛ سيار الجميل، التكوينات التاريخية لجمهوريات آسيا الوسطى، مجلة المستقبل العربي، العدد 181، السنة 16، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، 1994، ص44.

(2) ادى الصراع الروسي-العثماني الى سلسلة من الحروب الطويلة استمرت ثلاثمئة عام بين القرنين السادس عشر والعشرين الميلاديين، كان من اهم اسبابها التوسع الروسي، والبحث عن المياه الدافئة، ورغبة كلاً منهما

بالسيطرة على المضائق المهمة. وأهم تلك الحروب التي كانت الغلبة فيها في أكثر الأحيان للروس: حربي القرم، والبلقان، وعقدت خلال المدة المذكورة عدد من المعاهدات، منها: كينارجيه، وأدرنه، وخنكار أسكله سي، سان ستيفانو. للمزيد ينظر: علي حسون، العثمانيون والروس، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1982، ص59 ومابعدھا؛ أحمد حافظ إبراهيم أحمد العزاوي، العلاقات الروسية-العثمانية 1762-1812م دراسة في الجانب السياسي والعسكري، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة تكريت، 2014؛ لقاء جمعه عبد الحسن الطائي، العلاقات العثمانية-الروسية 1667-1923، مجلة كلية التربية، العدد 2، المجلد 2، الجامعة المستنصرية، 2017، ص282-290.

(3) محمد حسن العيلة، أوسط آسيا الإسلامية بين الانقراض الروسي والحذر البريطاني، ط1، دار الثقافة، الدوحة، 1986، ص24-26.

(4) للمزيد عن الخانيات (الإمارات) المتواجدة في آسيا الوسطى آنذاك ينظر الملحق رقم (1).

(5) محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص22.

(6) قازان: تقع على نهر الفولجا نحو ثمانئة كيلو متراً شرق موسكو، أسسها التتار في القرن الخامس عشر الميلادي لتصبح مركز لحضارتهم وعاصمة جمهوريتهم التي شكلت جزءاً من روسيا قبل ان يحتلها إيفان. للمزيد ينظر: الموسوعة العربية العالمية، المجلد 18، ط2، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1999، ص19.

(7) للمزيد عن إيفان الرابع المعروف بالرهيب ينظر: اسراء عبد الكريم طاهر المالكي، الصراع على العرش في روسيا القيصرية 1605-1689، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، 2021، ص13-23.

(8) استراخان: مدينة في جنوب غربي روسيا، تقع على نهر الفولجا وتشمل جزر عدة على دلتا النهر، وهي مركز تجاري مهم، كانت إحدى عواصم دول التتار. للمزيد ينظر: الموسوعة العربية العالمية، المجلد 1، المصدر السابق، ص661.

(9) Seymour Becker, Russia's protectorates in Central Asia Bukhara and Khiva 1865-1924, Routledge Curzon, London, 2004, P9; Hina Khan, Russian Expansionism in Central Asia and the Region's Response, Pakistan Horizon, Vol. 49, No. 2, Pakistan Institute of International Affairs, 1996, P36.

(10) Seymour Becker, Op. Cit., p9.

(11) جمال كمال اسماعيل عباس، تركيا وجمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية 1923-1992 (دراسة تاريخية سياسية)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2000، ص38.

(12) بوريويي أحمدوف وزاهد الله منوروف، العرب والإسلام في أوزبكستان تاريخ آسيا الوسطى من أيام الاسر الحاكمة حتى اليوم، مراجعة نعمت الله إبراهيموف، ط2، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت-لبنان، 1999، ص365.

(13) Seymour Becker, Op. Cit., p9.

(14) محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص22.

(15) محمد زاهد أبو غدة، الاحتلال الروسي لتركستان، رابطة العلماء السوريين، تاريخ النشر 27 كانون الاول 2016، www.islamsyria.com

(16) محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص22-23.

(17) جمال كمال اسماعيل، المصدر السابق، ص37.

(18) خاضت روسيا القيصرية ما عرف بالحرب الشمالية ضد السويد عام 1700 وانتهت عام 1721 باستيلاء روسيا على جزء حساس من سواحل بحر البلطيق. للمزيد ينظر: كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، مكتبة اليقظة العربية، بغداد، 1985، ص14.

(19) محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص22-23.

(20) المصدر نفسه، ص23.

(21) جمال كمال اسماعيل، المصدر السابق، ص37.

(22) سهى مصطفى جابر زاجي الموسوي، الاستراتيجية الروسية تجاه منطقة آسيا الوسطى (الإرث والمستقبل)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة النهدين، 2013، ص7-8.

(23) جمال كمال اسماعيل، المصدر السابق، ص37.

(24) اورينبورج: تقع المدينة الى جنوب جبال الاورال، اسسها الروس بعد اعلان الحماية الروسية على السهوب الكازاخية بمرسوم في السادس والعشرين من اذار 1744 كأحد المعاقل العسكرية الجديدة والمدن المحصنة في السهوب الكازاخية، وكقاعدة لتحرك روسيا باتجاه آسيا الوسطى، وانشأت الحكومة الروسية في تلك المدن كيانات إدارية شبه عسكرية تابعة للقوزاق تسمى أفواج القوزاق لدعم الجيش النظامي والشرطة. فضلاً عن انها مركزاً عسكرياً، فهي مركز تجاري روسي، ونمت أهميتها التجارية مع التجارة إلى الكازاخ وآسيا الوسطى. للمزيد ينظر:

Д. А. Сафонов, ОРЕНБУРГСКАЯ ГУБЕРНИЯ, Большая Российская Энциклопедия, <https://bigenc.ru/domestic-history/text>; Rafis Abazov, The Palgrave Concise Historical Atlas of Central Asia, First edition, Palgrave macmillan, the United States of America, 2008, p68-78;

ENCYCLOPÆDIA BRITANNICA, www.britannica.com/place/Orenburg-oblast-Russia

(25) محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص48؛ جمال كمال اسماعيل، المصدر السابق، ص39-40.

(26) Demetrius Charles Boulger, England and Russia in Central Asia, Vol. I, publishers to the India Office, London, 1879, P61.

(27) محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص38-39.

(28) نديم خليل محمد، اثر التوسع الروسي في آسيا الوسطى 1865-1917، مجلة الجامعة العراقية، العدد 3،

المجلد 29، مركز الدراسات والبحوث الاسلامية في الجامعة العراقية، 2012، ص348.

(29) Michael V. Uschan, *The Central Asian States: Then and Now*, ReferencePoint Press, United States, 2015, p13.

(30) محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص 40-41.

(31) للمزيد ينظر: محمد النيرب، المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية حتى 1877، ج1، ط1، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1997، ص 238 وما بعدها.

(32) Michael V. Uschan, *Op. Cit.*, p13.

(33) سهى مصطفى جابر زاجي الموسوي، المصدر السابق، ص 8.

(34) Манифест императора Александра II об отмене крепостного права, 19 февраля 1861 г, федеральных архивов в г. Москве, государственный исторический архив. Ф. 1329. Оп. 1. Д. 7306. Л. 27-41об.

(35) Michael V. Uschan, *Op. Cit.*, p13.

(36) نديم خليل محمد، المصدر السابق، ص 349.

(37) محمد يوسف عدس، الإسلام والمسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز، تقديم وليد فكري فارس، ط1، مركز دراسات العالم الإسلامي الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، 2017، ص 54.

(38) محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص 28.

(39) Rafis Abazov, *Historical Dictionary of Turkmenistan, Historical Dictionaries of Asia, Oceania, and the Middle East*, *Op. Cit.*, p xxix;

خضير مظلوم فرحان البديري، فصول من تاريخ إيران الحديث والمعاصر، العهد القاجاري (1796-1925)، ج1، ط1، النجف، 2008، ص 104.

(40) Demetrius Charles Boulger, *Vol. II*, p381.

(41) عباس أقبال اشتياني، تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (205هـ/ 820م - 1343هـ/ 1925م)، ترجمة وتقديم وتعليق محمد علاء الدين منصور، مراجعة السباعي محمد السباعي، دار الثقافة ونشر والتوزيع، القاهرة، 1989، ص 770.

(42) نزار ايوب حسن الكولي، العلاقات الإيرانية-السوفيتية 1939-1947 دراسة تاريخية تحليلية، مطبوعات الاكاديمية الكوردية، ع (62)، اربيل، 2009، ص 25. وللمزيد عن بنود المعاهدة لإسيما البند رقم (5) الخاص بالابحار في بحر قزوين ينظر: Demetrius Charles Boulger, *Vol. II*, *Op. Cit.*, p375-381.

(43) سهى مصطفى جابر زاجي الموسوي، المصدر السابق، ص 7-8.

(44) جمال كمال اسماعيل عباس، المصدر السابق، ص 38.

(45) موسى النجفي وموسى فقيه حقاني، المصدر السابق، ص 65-69؛ عباس أقبال اشتياني، المصدر السابق، ص 821-822.

(46) قسطنطين كاوفمان (1818-1882): اول حاكم عام لتركستان، ولد في بولندا، وتدرّب كمهندس ثم خدم في الاعوام الأولى من حياته العسكرية في القوقاز 1840، قاد كتيبة اثناء حرب (1853-1856) ثم انضم الى وزارة

الحرب الروسية، وفي عام 1865 عين حاكماً عاماً في لتوانيا، ونقل الى تركستان عام 1867 وتولى قيادة الحملات العسكرية في آسيا الوسطى حتى وفاته في طشقند. للمزيد ينظر:

ENCYCLOPÆDIA BRITANNICA, www.britannica.com/biography

(47) محمد زاهد أبو غدة، المصدر السابق.

(48) سيطر الروس عليها في الرابع عشر من أيار 1868. ينظر: حسان حلاق، مدن وشعوب إسلامية ملامح من

تاريخ المدن والشعوب الإسلامية -التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والحضاري-، الكتاب الرابع، دار الراتب الجامعية، سوفيير، بيروت، (د.ت)، ص351.

(49) محمد زاهد أبو غدة، المصدر السابق.

(50) سيار الجميل، المصدر السابق، ص51.

(51) بوريبوي احمدوف وزاهد الله منوروف، المصدر السابق، 372.

(52) أترك: نهر قصير ذات مجرى جبلي يصب في بحر قزوين، يشكل الحدود بين إيران وبلاد التركمان في بعض أجزائه، ومصبه شمالي الحدود الإيرانية. ينظر: محمود شاكر، إيران، مواطن الشعوب الإسلامية في آسيا، ج13، المكتب الإسلامي، (د.م)، 1975 ص78-79.

(53) موسى النجفي وموسى فقيه حقاني، المصدر السابق، ص65-69؛ عباس أقبال اشتياني، المصدر السابق، ص821-822.

(54) محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص80-81.

(55) المصدر نفسه، ص233.

(56) مؤسسه مطالعات تاريخ معاصر إيران، همه چیز در مورد قرارداد آخال، عهدنامه ای که بار دیگر بخشهای از شمال ایران را جدا کرد، <http://www.iichs.ir/News>؛ موسى النجفي وموسى فقيه حقاني، المصدر السابق، ص65.

(57) حددت المعاهدة نفوذ كل من إيران وروسيا في أراضي الاخال التركمانية، واعترفت إيران بموجبها بحق استيلاء روسيا على القلاع والمناطق ومنايع المياه والانهار والمرتفعات الاستراتيجية بشكل كامل، كما اعترفت إيران بتبعية تركمان وادي اترك لروسيا وعدم المطالبة بدفع الضرائب لها، وان لا تسترجع روسيا الأراضي التي استولت عليها وضمت اليها. للمزيد ينظر: دونالد ولبر، إيران ماضيها وحاضرها، ترجمة عبد النعيم محمد حسنين، ط2، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، مصر، لبنان، 1985، ص101؛ موسى النجفي وموسى فقيه حقاني، المصدر السابق، ص74-75؛ محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص233-236.

(58) مؤسسه مطالعات تاريخ معاصر إيران، منبع قبلي؛ موسى النجفي وموسى فقيه حقاني، المصدر السابق، ص65.

(59) عباس أقبال اشتياني، المصدر السابق، ص824-825.

- (60) دونالد ولبر، المصدر السابق، 101؛ موسى النجفي وموسى فقيه حقاني، المصدر السابق، ص74-75؛ محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص233-236.
- (61) محمد زاهد أبو غدة، المصدر السابق.
- (62) سيار الجميل، المصدر السابق، ص51.
- (63) شغلت مساحة كبيرة من اراضي آسيا الوسطى باكملها، وجزء من كازاخستان شمل محافظات سرداريا، سيميريتشي، فرغانة، زرافشان، وما وراء بحر قزوين. وبلغ عدد سكان مقاطعة تركستان الروسية بحسب احصائيات عام 1897، خمسة ملايين ومئتين وثمانين ألفاً وتسعمئة وثلاث وثمانين نسمة، منهم: 44,36% كازاخ والقيريغيز، و35,77% اوزبك، و6,7% طاجيك، و4,98% تركمان، و3,75% روس، و2,26% كاراكالباق. ينظر: بوريوي احمدوف وزاهد الله منوروف، المصدر السابق، ص372-373.
- (64) محمد يوسف عدس، المصدر السابق، ص54.
- (65) Seymour Becker, Op. Cit., p28-29.
- (66) محمد زاهد أبو غدة، المصدر السابق.
- (67) بوريوي احمدوف وزاهد الله منوروف، المصدر السابق، ص374.
- (68) محمد يوسف عدس، المصدر السابق، ص54-55.
- (69) سيار الجميل، المصدر السابق، ص51. وللمزيد عن سياسة روسيا في آسيا الوسطى ينظر: بشرى طابيس عبد المؤمن، سياسة الترويس في آسيا الوسطى (1917-1991)، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، جامعة بغداد، العدد 54، 2016 ص25-26.
- (70) Michael V. Uschan, Op. Cit., p13.
- (71) للمزيد عن التمردات في تركستان واسبابها ينظر: بوريوي احمدوف وزاهد الله منوروف، المصدر السابق، ص376-382.
- (72) Michael V. Uschan, Op. Cit., p14.
- (73) بشرى طابيس عبد المؤمن، المصدر السابق، ص27.
- (74) Michael V. Uschan, Op. Cit., p14.
- (75) محمد زاهد أبو غدة، المصدر السابق.
- (76) حركة نشأت ضد الامبراطورية الروسية في القرم والقوقاز عندما فقدت الشعوب المسلمة استقلالها، وعرفت بمعنى اخر: المغيرين او المهاجمين، اذ كانت الحركة تغير على المؤسسات المصرفية الروسية وتوزع ما تحصل عليه منها على الشعب. للمزيد ينظر: عبد اللطيف بندر اوغلو، نظرة الى.. ((اذريجان، اوزبكستان، تركمانستان، قازاخستان وقيريغيزستان)) نظرة في اوضاعها التاريخية والجغرافية والسياسية، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1997، ص59.
- (77) Michael V. Uschan, Op. Cit., p14.

(78) للمزيد من التفاصيل حول الامتيازات ينظر: فوزي خلف شويل، إيران في سنوات الحرب العالمية الاولى، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، شعبة الدراسات الفارسية، (81)، البصرة، 1985، ص34 وما بعدها.

(79) R. G. Mukminova and A. Mukhtarov, The Khanate (Emirate) Of Bukara, History of civilizations of Central Asia, Op. Cit., P830-831.

المصادر

أولاً: الوثائق الروسية غير المنشورة

- 1- Манифест императора Александра II об отмене крепостного права, 19 февраля 1861 г, федеральных архивов в г. Москве, государственный исторический архив. Ф. 1329. Оп. 1. Д. 7306. Л. 27-41об.

ثانياً: الرسائل والاطاريح الجامعية

- 1- عباس، جمال كمال اسماعيل، تركيا وجمهوريات آسيا الوسطى الاسلامية 1923-1992 (دراسة تاريخية سياسية)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2000.
- 2- العزاوي، أحمد حافظ إبراهيم أحمد، العلاقات الروسية-العثمانية 1762-1812م دراسة في الجانب السياسي والعسكري، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة تكريت، 2014.
- 3- المالكي، اسراء عبد الكريم طاهر، الصراع على العرش في روسيا القيصرية 1605-1689، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، 2021.
- 4- الموسوي، سهى مصطفى جابر زاجي، الاستراتيجية الروسية تجاه منطقة آسيا الوسطى (الإرث والمستقبل)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة النهدين، 2013.

ثالثاً: الكتب

أ- الكتب العربية والمعربة

- 1- احمد، كمال مظهر، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، مكتبة اليقظة العربية، بغداد، 1985.
- 2- أحمدوف، بوريويو وزاهد الله منوروف، العرب والإسلام في أوزبكستان تاريخ آسيا الوسطى من أيام الاسر الحاكمة حتى اليوم، مراجعة نعمت الله ابراهيموف، ط2، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت- لبنان، 1999.
- 3- اشتياني، عباس أقبال، تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (205هـ/ 820م - 1343هـ/ 1925م)، ترجمة وتقديم وتعليق محمد علاء الدين منصور، مراجعة السباعي محمد السباعي، دار الثقافة ونشر والتوزيع، القاهرة، 1989.

- 4- الاصطخري، ابي اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي، مسالك الممالك، مطبعة بريل، ليدن المحروسة [هولندا]، 1927.
- 5- اوغلو، عبد اللطيف بندر، نظرة الى.. ((الذربيجان، اوزبكستان، توركمناستان، قازاخستان وقرغيزستان)) نظرة في اوضاعها التاريخية والجغرافية والسياسية، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1997.
- 6- البديري، خضير مظلوم فرحان، فصول من تاريخ إيران الحديث والمعاصر، العهد القاجاري (1796-1925)، ج1، ط1، النجف، 2008.
- 7- البغدادي، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي، معجم البلدان، المجلد 5، دار صادر، بيروت، 1977.
- 8- حسون، علي، العثمانيون والروس، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1982.
- 9- حلاق، حسان، مدن وشعوب إسلامية ملامح من تاريخ المدن والشعوب الإسلامية -التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والحضاري-، الكتاب الرابع، دار الراتب الجامعية، سوفيغير، بيروت، (د.ت).
- 10- شاكر، محمود، إيران، مواطن الشعوب الإسلامية في آسيا، ج13، المكتب الإسلامي، (د.م)، 1975.
- 11- شويل، فوزي خلف، إيران في سنوات الحرب العالمية الأولى، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، شعبة الدراسات الفارسية، (81)، البصرة، 1985.
- 12- عدس، محمد يوسف، الإسلام والمسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز، تقديم وليد فكري فارس، ط1، مركز دراسات العالم الإسلامي الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، 2017.
- 13- العيلة، محمد حسن، أواسط آسيا الإسلامية بين الانقضاء الروسي والحذر البريطاني، ط1، دار الثقافة، الدوحة، 1986.
- 14- الكولي، نزار ايوب حسن، العلاقات الإيرانية-السوفيتية 1939-1947 دراسة تاريخية تحليلية، مطبوعات الاكاديمية الكوردية، ع (62)، اربيل، 2009، ص25.
- 15- النرشخي، ابي بكر محمد بن جعفر، تاريخ بخارى، ترجمة وتحقيق وتعليق امين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي، ط3، ذخائر العرب 40، دار المعارف، مصر، (د.ت).
- 16- النيرب، محمد، المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الامريكية حتى 1877، ج1، ط1، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1997.
- 17- ولبر، دونالد، إيران ماضيها وحاضرها، ترجمة عبد النعيم محمد حسنين، ط2، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، مصر، لبنان، 1985.
- ب- الانجليزية

1- Abazov Rafis, The Palgrave Concise Historical Atlas of Central Asia, First edition, Palgrave macmillan, the United States of America, 2008.

- 2- Becker, Seymour, *Russia's protectorates in Central Asia Bukhara and Khiva 1865-1924*, Routledge Curzon, London, 2004, P9; Hina Khan, *Russian Expansionism in Central Asia and the Region's Response*, Pakistan Horizon, Vol. 49, No. 2, Pakistan Institute of International Affairs, 1996.
- 3- Boulger, Demetrius Charles, *England and Russia in Central Asia*, Vol. I, Vol. II, publishers to the India Office, London, 1879.
- 4- Mukminova, R. G. and A. Mukhtarov, *The Khanate (Emirate) Of Bukara, History of civilizations of Central Asia*, Editors: Chahryar Adle and Irfan Habib, Co-Editor: Karl M. Baipakov, Volume V, *Development in contrast: from the sixteenth to the mid-nineteenth century*, Multiple History Series, UNESCO Publishing, Italy, 2003.
- 5- Uschan, Michael V., *The Central Asian States: Then and Now*, ReferencePoint Press, United States, 2015.

رابعاً: البحوث المنشورة

- 1- الجميل، سيار، التكوينات التاريخية لجمهوريات آسيا الوسطى، مجلة المستقبل العربي، العدد 181، السنة 16، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، 1994.
- 2- الطائي، لقاء جمعه عبد الحسن، العلاقات العثمانية-الروسية 1667-1923، مجلة كلية التربية، العدد 2، المجلد 2، الجامعة المستنصرية، 2017.
- 3- عبد المؤمن، بشرى طائس، سياسة الترويس في آسيا الوسطى (1917-1991)، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، جامعة بغداد، العدد 54، 2016.
- 4- محمد، نديم خليل، اثر التوسع الروسي في آسيا الوسطى 1865-1917، مجلة الجامعة العراقية، العدد 3، المجلد 29، مركز الدراسات والبحوث الاسلامية في الجامعة العراقية، 2012.

خامساً: الموسوعات

- 1- الموسوعة العربية العالمية، المجلد 1 و المجلد 18، ط2، مؤسسة اعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1999.

سادساً: الشبكة الدولية للمعلومات

- 1- أبو غدة، محمد زاهد، الاحتلال الروسي لتركستان، رابطة العلماء السوريين، تاريخ النشر 27 كانون الاول 2016، www.islamsyria.com
- 2- موسسه مطالعات تاريخ معاصر إيران، همه چیز در مورد قرارداد آخال، عهدنامه ای که بار دیگر بخشهایی از شمال ایران را جدا کرد، <http://www.iichs.ir/News>

- 3- **ENCYCLOPÆDIA BRITANNICA**, www.britannica.com/biography
- 4- **ENCYCLOPÆDIA BRITANNICA**, www.britannica.com/place/Orenburg-oblast-Russia
- 5- Сафонов, Д. А., **ОРЕНБУРГСКАЯ ГУБЕРНИЯ**, Большая Российская Энциклопедия, https://bigenc.ru/domestic_history/text;



معاهدة سيفر ونتائجها وانعكاساتها على البلدان العربية مصر ، العراق ، الاردن ، سوريا ، فلسطين أمودجاً

م. د . نعيمة لطيف عبد الله

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / جامعة البصرة / كلية الآداب

الملخص :

تمثل نهاية الحرب العالمية الأولى نقطة تحول في تاريخ العالم ، لما لها من أهمية في المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي أفرزتها تلك الحرب ، من زوال الامبراطوريات المعروفة مثل العثمانية والنمساوية ، وظهور دول جديدة على خارطة العالم ، ومن المعروف ان الشروط يكتبها المنتصرون ، لفرض مصالحهم من خلال الاتفاقيات والمؤتمرات والمعاهدات.

تعتبر معاهدة سيفر واحدة من سلسلة معاهدات وقعتها دول المحور عقب هزيمتها في الحرب العالمية الأولى ، وقد كانت مصادقة الدولة العثمانية عليها هي المسمار الأخير في نعش تفككها وانهاره بسبب شروطها القاسية .

لقد انعكست نتائج معاهدة سيفر على الاوضاع في تركيا نفسها والشرق الاوسط باعتباره كان ضمن السيطرة العثمانية لما يقارب الاربعة قرون ، وخاصة العراق وفلسطين وسوريا ولبنان ومصر ، انها اثارت الروح القومية والوطنية لدى العرب ، ضد الاعيب سياسة الحلفاء وخاصة السياسة البريطانية الملتوية التي تعود الى ايام التنصل من وعودهم في اقامة دولة عربية خلال مراسلات حسين مكماهون ، واستغلال الانكليز لكراهية العرب للأتراك .

Abstract:-

The end of the First World War represents a turning point in the world's history, because of its importance in the political, economic and social changes that resulted from that war, from the demise of known empires such as the Ottoman and Austrian, and the emergence of new countries on the world map, and it is known that the conditions are written by the victors, to impose their interests from During conventions, conferences and treaties.

The Treaty of Sevres is one of a series of treaties signed by the Axis Powers after their defeat in the First World War. The ratification of the Ottoman Empire was the

last nail in the coffin of its disintegration and collapse due to its harsh conditions.

The results of the Treaty of Sevres were reflected on the situation in Turkey itself and the Middle East, as it had been under Ottoman control for nearly four centuries, especially Iraq, Palestine, Syria, Lebanon and Egypt. From their promises to establish an Arab state during the correspondences of Hussein McMahon, and the English's exploitation of the Arabs' hatred of the Turks.

المقدمة

عند نشوب الحرب العالمية الاولى سنة 1914 كانت الدولة العثمانية تربطها علاقات وطيدة مع المانيا ، نتيجة لاعتقادها بان الاطماع الالمانية في ممتلكاتها كانت اقل من الاطماع الاوربية الاخرى ، وقد دخلت الدولة العثمانية الحرب في التاسع والعشرين من شهر تشرين الأول سنة 1914 الى جانبها ومع الامبراطورية النمساوية ، ولكن كانت هزيمتها على يد جيوش الحلفاء في نهاية الحرب العالمية الاولى ، التي تمثل نهايتها نقطة تحول في تاريخ العالم ، لما لها من اهمية في المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي افرزتها تلك الحرب ، ومن زوال الامبراطوريات المعروفة مثل العثمانية والنمساوية ، وظهور دول جديدة على خارطة العالم ، ومن المعروف ان الشروط يكتبها المنتصرون ، لفرض مصالحهم من خلال الاتفاقيات والمؤتمرات والمعاهدات ، مما ادى ردة فعل من جانب الشعوب المغلوب على امرها في مناطق الحرب لانها لم تلمس مايعبر عن طموحاتها في نيل الحرية والاستقلال والتقدم .

وكان من نتائج الحرب المذكورة عقد معاهدات تسوية بين الدول الكبرى والدول المهزومة ومنها معاهدة سيفر التي عقدت بين الحلفاء والدولة العثمانية في 10 اب سنة 1920 ، بعد هزيمتها في الحرب لتقسيم المصالح وممتلكاتها الثرية وذات المواقع الاستراتيجية فيما بينهم ، بعد تعديل اتفاقية سايكس بيكو نتيجة كشفها على يد البلاشفة.

ولما لهذه المعاهدة من نتائج عديدة جاء هذا البحث لتسليط الضوء على جانب من انعكاساتها ونتائجها على الدولة العثمانية بعد تحولها الى تركيا وعلى الشرق الاوسط ، حيث تناول البحث ثلاث محاور تمثلت في الاسباب والاهداف التي ادت الى عقد المعاهدة ، و ابرام المعاهدة فضلا عن النتائج والانعكاسات التي خلفتها المعاهدة على تركيا والشرق الاوسط .

معاهدة سيفر

1- الاسباب والاهداف التي ادت الى عقد المعاهدة :

تعتبر معاهدة سيفر واحدة من سلسلة معاهدات وقعتها دول المحور عقب هزيمتها في الحرب العالمية الأولى ، وقد كانت مصادقة الدولة العثمانية عليها هي المسمار الأخير في نعش تفككها وانهيارها بسبب شروطها القاسية والتي كانت بدافع النقمة من هزيمة الحلفاء في معركة جاليبولي⁽¹⁾ على يد العثمانيين ، فضلا عن ثأر الانكليز على وجه الخصوص لمحاصرتهم في الكوت على يد العثمانيين في العراق . كانت الموصل محور مفاوضات معقدة بين لويد جورج رئيس الوزراء البريطاني وجورج كليمنصو رئيس الوزراء الفرنسي في لندن في شهر كانون الاول 1918 . وقد وافقت فرنسا على التخلي عن مدينة الموصل التي اعطيت لها في اتفاقية سايكس -بيكو (1916) مقابل تخلي الانكليز عن دعمهم لعرش فيصل في سوريا وتوزيع المصالح النفطية الى 75% للمصالح البريطانية و25% للمصالح الفرنسية وبعد ذلك فتح الباب ايضا للأمريكان لكي يحصلوا على حصتهم في نפט الموصل وصفق الباب بعد ذلك⁽²⁾.

حدد زعماء كل من فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة أهدافا متباينة في ما يتعلق بالدولة العثمانية في مؤتمر باريس للسلام الذي عقد في سنة 1919 إلا أن الموضوع المشترك هو أن رجل أوروبا المريض قد وصلت نهايته. ومع ذلك فقد صدم الحلفاء المجتمع الدولي عندما أقرّوا في المعاهدة الإبقاء على الحكومة العثمانية في العاصمة اسطنبول . وقد هدد الحلفاء بطرد العثمانيين من أوروبا إن لم يوقعوا على المعاهدة، ومن شدة تلك الشروط المفروضة أن السياسة البريطانية نجحت نوعاً ما في خنق رجل أوروبا المريض في آسيا الصغرى . وقد قررت الولايات المتحدة التي رفض الكونغرس فيما بعد وصاية أرمينيا الخروج من موضوع تقسيم الدولة العثمانية ، حيث إنها تريد سلاماً دائماً في أسرع وقت ممكن مع دفع تعويض مالي عن نفقاتها العسكرية ، فضلا عن ذلك ارادت الدول المنتصرة اقتطاع الولايات العربية منها فيما بينها ، وعندما إنعقد مؤتمر الحلفاء الاعلى في سان ريموفي ايطاليا في المدة من 19-24 نيسان 1920 وكان الهدف الرئيسي منه وضع صيغة معاهدة سيفر و النظر في شؤون الدولة العثمانية وممتلكاتها . وفي 25 نيسان أعلنت القرارات المتعلقة بتوزيع الانتدابات ، إذ اعطي الانتداب على العراق وفلسطين لبريطانيا ، وأعطيت فرنسا الانتداب على سوريا ولبنان . وكان هذا التوزيع مبنيا على اتفاقية سايكس -بيكو مع شيء من التحوير⁽³⁾.

كانت دول الحلفاء قد قامت بعقد اتفاقات سرية اثناء الحرب لتقسيم الدولة العثمانية سبقت معاهدة سيفر وكانت ابرز هذه الاتفاقات :

1- اتفاقية الاستانة في 18 اذار 1915 الموقع بين فرنسا وروسيا وبريطانيا وقد حصلت روسيا على مناطق البوغازين والاستانة بالاضافة الى الشاطئ الغربي للمضيق البسفور وبحر مرمره والدرنديل وكل ماتبقى من ارض للدولة العثمانية في اوربا . واتفق على ان تكون الاستانة ميناء حر لدول

الوفاق بحيث تسمح روسيا بحرية الملاحة في البوغازين ، ووافقت روسيا على مناطق النفوذ البريطاني والفرنسي في الأناضول . كما تم الاتفاق على فصل الأراضي الإسلامية المقدسة في الحجاز وباقي شبه الجزيرة العربية ووضعها تحت حكم عربي مستقل .

2- معاهدة لندن في 26 نيسان 1915 وقد تم عقد هذه المعاهدة بين دول الوفاق وإيطاليا التي وعدت بكامل السيادة على ليبيا وجزء من ساحل الأناضول الواقع على البحر المتوسط (ايطاليا) وذلك في حال تقسيم املاك الدولة العثمانية في اسيا بعد الحرب .

3- اتفاقية سايكس بيكو في 16 ايار 1916 المعقودة بين بريطانيا وفرنسا وروسيا ، وبموجبها حصلت روسيا على ولاية طرابزون وارضروم ووان وتغليس وشمال كردستان . وحصلت فرنسا على سوريا وجنوب شرقي الأناضول ، كما حصلت بريطانيا على العراق ومينائي عكا وحيفا في فلسطين ، فضلا عن حصول فرنسا على كيليكيا وحقول نفط الموصل .

4- اتفاقية سان جان دي مورين في 17 نيسان 1917 المعقودة بين فرنسا وبريطانيا وإيطاليا وكان الهدف منها إنهاء الخلافات بين فرنسا وإيطاليا . ولهذا قررت منح فرنسا منطقة ارضنة على ان تاخذ إيطاليا ماتبقى من جنوبي الأناضول بما في ذلك ولاية ازمير فضلا عن ولاية قونيا ومتصرفيات ايطاليا وغربي الأناضول.

5- وعدت بريطانيا الشريف حسين بدولة عربية في المشرق اذا ما أعلن الثورة ضد العثمانيين بموجب مراسلات حسين مكماهون سنة 1915 . وحاول الحلفاء اغراء اليونان بدخول الحرب مقابل استيلائها على بعض اراضي الأناضول . ولكن كل هذه الاتفاقيات لم ترسم خريطة مابعد الحرب بسبب قيام الثورة البلشفية في روسيا في شهر ايار 1917 واستيلاء البلاشفة على الحكم وخروجهم من الحرب وكشفهم لاتفاقية سايكس بيكو(4).

ابرام المعاهدة :

أرغم الحلفاء السلطان العثماني محمد السادس (5) (وحيد الدين 1918-1922) على توقيع معاهدة سيفر(6) في 10 آب 1920 حيث اعطت الصفة القانونية لاتفاقية سان ريمو ونظام الانتداب ، و تحت التهديد الأسطول البريطاني وقوات الحلفاء ، وكانت اطراف المعاهدة كل من الدولة العثمانية والحلفاء باستثناء الولايات المتحدة الاميركية وروسيا بسبب توقيعها على معاهدة برست ليتوفسك سنة 1918 ، و كان الوفد العثماني الذي أرسله السلطان كل من(رضا توفيق والصدر الاعظم أي رئيس الوزراء والداماد فريد والسفير رشيد مخلص وهادي باشا وزير المعارف - التربية) . ووقعها عن بريطانيا(السير جورج ديكسون غراهام ، وعن فرنسا الكسندر ميلران ، وعن إيطاليا وولو نجاري) (7) .

نصت المعاهدة التي قُصت حدود الامبراطورية العثمانية على بنود معينة كانت: موافقة بريطانيا أن تستولي روسيا على القسطنطينية وتركيا الأوروبية وجزر بحر إيجه وجزر بحر مرمرة والساحل الآسيوي من البوسفور، أما بريطانيا وفرنسا فقد كانت أنظارهما نحو الشرق الأوسط، فوضعت بريطانيا عينها على العراق وساحل فلسطين مدينة حيفا و عكا وتطلعت فرنسا على لبنان، أما إيطاليا فقد كانت تطمح في الإستيلاء على جزر الدوديكانيز في بحر إيجه، ومساحة من جنوب غربي آسيا الصغرى من أضاليا إلى أزمير، وقد رأى الحلفاء إنهاء المناقشة بعقد المعاهدة والتي لم تترك للدولة العثمانية سوى منطقة جبلية صغيرة في الأناضول حول أنقرة وركن صغير من الأرض الأوروبية خلف القسطنطينية (8).

ونصت المعاهدة على تخلي الدولة العثمانية لليونان عما تبقى من تراقيا وأدرنة، كما تخلت الدولة العثمانية عن حقوقها في جزيرة أمبروز تندوس، وإن احتفظت بجزر بحر مرمرة والأستاتنة، وقطاع من أراضي الدولة في أوروبا، ورفضت الولايات المتحدة الأمريكية ويوغسلافيا والشريف حسين التوقيع عليها (9). وهكذا حصلت اليونان على السيادة على مدينة أزمير والمناطق المحيطة بها لمدة خمس سنوات، ويحق بعدها مطالبة السكان بالانضمام إلى اليونان، ووضع البوغازين تحت إدارة دولية مع نزع سلاح الأراضي المجاورة لها، على أن تبقى إسطنبول تحت السيطرة الإسمية للدولة العثمانية التي أقرت إستيلاء اليونان على جزر بحر إيجه، وإيطاليا على جزر الدوديكانيز بما في ذلك جزيرة رودس، وهكذا إنتهى وجود الدولة العثمانية باعتبارها دولة أوروبية، وبالإضافة إلى ذلك فقد إعتبرت جمهورية أرمينيا ومملكة الحجاز باعتبارهما دولتين مستقلتين، كما تنازلت الدولة العثمانية عن كل أملاكها الإسمية في إفريقيا، وبحر إيجه فقد تنازلت لبريطانيا عن قبرص ومصر والسودان، وبالحماية الفرنسية على المغرب وتونس، وتنازلت عن كل حقوقها في بلاد العرب وسوريا وفلسطين والعراق في المؤتمر الذي عقده الحلفاء في سان ريمو في إيطاليا، وتقرر وضع العراق وفلسطين تحت الإنتداب البريطاني، مع الإلتزام بتنفيذ وعد بلفور بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ووضع سوريا ولبنان تحت الإنتداب الفرنسي، كانت النقطة الأولى من المادة (94) في معاهدة سيفر تتعلق بالاعتراف بالعراق كدولة مستقلة شرط تقديم بريطانيا المشورة والمساعدة له حتى يتمكن من الوقوف وحده كما نصت المادة نفسها على تشكيل لجنة لتعيين الحدود العراقية-التركية وعند الخط الذي يمتد شرقاً من الحدود السورية - التركية حتى نقطة الحدود الشمالية لولاية الموصل ومنها شرقاً حتى نقطة التقاء الحدود التركية - الفارسية ويعدل خط الحدود الشمالي لولاية الموصل بحيث يمر بالعمادية. أما النقطة الثانية والتي شملتها المواد (62 و63 و64) من معاهدة سيفر تتضمن الاعتراف بحق تقرير المصير للاكراد والذين قدر عددهم آنذاك ب(3) ملايين نسمة يتوزعون على بلدان العراق (500 ألف) وتركيا (مليون ونصف

المليون) وايران وكانت تسمى فارس انذاك (700 الف نسمة) . ويوجد قسم ايضا في سوريا (10) .

أما شروط المعاهدة الأخرى فقد قلصت سيادة الدولة العثمانية ، وحددت عدد الجيش العثماني بحوالي (50) ألف جندي يخضعون لإشراف الضباط الأجانب ، وحدد سلاح الجيش وألغي الأسطول ما عدا بعض سفن لمراقبة المصائد ، وأعيدت الامتيازات الأجنبية ، وتقرر تشكيل لجنة جديدة ويمثل فيها الحلفاء ، مهمتها الإشراف على الدين العثماني العام ، وعلى ميزانية الدولة وعلى الضرائب وعلى الرسوم الجمركية والعملة والقروض العامة ، وفرضت عليها المعاهدة إجراءات تأديبية كتعويض عما أصاب غير الأتراك من خسارة أثناء الحرب وان تسيطر الدول على الموانئ والطرق المائية والخطوط الحديدية ، وتقرر إنشاء حكم دولي خاص لمضيقي البوسفور والدردينيل ، فلا يجوز حصارهما ولا إدخالهما ضمن منطقة حرب إلا بقرار من عصبة الأمم ، وتركت القسطنطينية للسلطان (11).

نستنتج من كل ما سبق ان هذا الاهتمام من جانب القوى العظمى بتقسيم الميراث العثماني بصورة عامة والاقليمي بصورة خاصة نابع من موقع تركيا الاستراتيجي على ملتقى الاراضي والبحار الرئيسية وطرق النقل والتجارة المهمة التي تلتقي في اسطنبول أذ يشكل الممر المائي الطريق الوحيد لنقل التجارة من وإلى مناطق ساحلية واسعة على الشواطئ الشمالية للبحر الاسود تشمل كلا من روسيا ودول البلقان ووادي نهر الدانوب فضلا عن الطريق البري الذي يربط اسيا واوربا ، علاوة على ذلك سلخ البلدان العربية عن الامبراطورية العثمانية .

2- النتائج والانعكاسات التي خلفتها المعاهدة على تركيا والشرق الاوسط:

لقد انعكست نتائج معاهدة سيفر على الاوضاع في تركيا نفسها والشرق الاوسط باعتباره كان ضمن السيطرة العثمانية لما يقارب الاربعة قرون . حيث اثار توقيع المعاهدة غضب الشعب ضد السلطان وحكومته ، وارتفعت مكانة مصطفى كمال اتاتورك (12) بعد نجاحهم في مقاتلة اليونانيين (13).

أن لشعب التركي رفض الخضوع وأبى أن تمزق بلاده على هذا النحو ، وتحتلها القوات البريطانية والفرنسية والإيطالية واليونانية ، فثار عن الأوضاع التي جاءت بها معاهدة سيفر ونجم عن هذه الأوضاع أن وجدت في تركيا حكومتان في آن واحد ، حكومة في إسطنبول لاحول لها ولا قوة ، يرأسها السلطان محمد ، وهو حاكم شرعي يستمد وجوده من حق توارث العرش العثماني ، وحكومة في أنقرة ذات سلطات واسعة يرأسها مصطفى كمال اتاتورك (14).

بدأ النظام الجديد الاخير في انقرة ، وقرر التمرد على حكومة اسطنبول وجعل من المجلس الوطني الكبير حكومة فعلية في البلاد ، وفي سنة 1921 أقر المجلس المذكور الدستور الجديد الذي خوله بالسلطين التشريعية والتنفيذية ، وتقرر رفض

كل المعاهدات التي ابرمتها حكومة اسطنبول وشكل هيئة للدفاع الوطني قامت بارسال الاسلحة والذخيرة للوطنين من انصار مصطفى كمال اتاتورك (15) .
خلال هذه الاوقات دعت بريطانيا حكومتي انقرة واسطنبول لعقد مؤتمر في لندن لاعادة النظر في معاهدة سيفر ، مالدى الى اعتراض اتاتورك على ذلك ، ومن ناحية اخرى فقد اتفق مصطفى كمال مع اليونان على اعطاء ازمير استقلالاً ذاتياً تحت حكم اجنبي . وتنازل لروسيا عن باطوم ، وانسحبت فرنسا من كيليكيا ، وانسحبت ايطاليا من انطاكيا ، واستمر القتال بين الاتراك واليونانيين ، وعلى اثره انتصر الاتراك في معركة سقاريا ، واضطر اليونانيين الى الانسحاب من الاراضي التركية سنة 1921 ، وعقدت هدنة مع اليونان في صيف السنة نفسها ، ولم يبق سوى الانكليز في البلاد ، اما حكومة اسطنبول فلم يكن بمقدورها ان تفعل شيئاً ، لان المدينة بأيدي الحلفاء وهم يتظاهرون بالحياد (16).

وجهت الدعوة الى اسطنبول وانقرة لمؤتمر لوزان في سويسرا في خريف سنة 1922 من اجل عقد معاهدة صلح ، وقد رأى مصطفى كمال ان الوقت مناسباً لفصل السلطنة عن الخلافة ، وعندما رفض المجلس ذلك ، اذاع بالأجماع من نفسه ، وهدد بالقتل كل من يعلن رفضه وبعد خمسة ايام قام انقلاب في اسطنبول ، وتم عزل السلطان محمد السادس وحيد الدين ونفي الى جزيرة مالطا لانه رفض ان يكون وجوده شكلي ولا يحكم ، ووضع ابنه عبدالمجيد بدلاً عنه وايدته الجماعات المناوئة لمصطفى كمال ، وبعد ثلاثة ايام عقد مؤتمر لوزان وحضره وفد انقرة فقط ، ووضع رئيس الوفد الانكليزي (17) أربعة شروط للإعتراف باستقلال تركيا :

- إلغاء الخلافة العثمانية إلغاء تاماً.
 - طرد الخليفة خارج الحدود التركية.
 - مصادرة أمواله.
 - إعلان علمانية الدولة .
- رفض الوفد التركي هذه المطالب وأيده المجلس الوطني في تركيا بهذا الرفض ، وعاد إلى بلاده غير أن مصطفى كمال قرر تنفيذ ذلك في 24 تموز سنة 1923 بتوقيعه معاهدة لوزان التي أنهت حالة الحرب وحددت الحدود مع بلغاريا واليونان ، ودعت إلى تحديد الحدود التركية العراقية والتركية السورية ، ووافق الحلفاء من جانبهم إلغاء الإمتيازات الأجنبية ، كما تم أيضاً توقيع ميثاق المضائق والذي يضمن حرية المرور فيها زمن السلم والحرب ، ونظم مرور القوات البحرية والجوية عبرها زمن السلم والحرب ، وشكلت لجنة دولية للإشراف على سير العمل في المضائق طبقاً للميثاق الخاص بها ، وطبقاً لهذه المعاهدة أيضاً تم جلاء القوات الفرنسية والبريطانية والإيطالية من الأراضي التي كانت تحتلها ، ودخلت القوات التركية إستانبول وأصدر المجلس الوطني قراراً بأن تكون أنقرة عاصمة للدولة بدلاً من إستانبول وإعلان تركيا دولة جمهورية برئاسة مصطفى كمال ، وبعد عام من معاهدة

لوزان تم إلغاء الخلافة العثمانية ، وتحقق ما كان يريده الحلفاء من معاهدة لوزان (18).

اما بالنسبة لنتائج وانعكاسات معاهدة سيفر على الشرق الاوسط وخاصة العراق وفلسطين وسوريا ولبنان ومصر ، انها اثارت الروح القومية والوطنية لدى العرب ، ضد الاعيب سياسة الحلفاء وخاصة السياسة البريطانية المتلوية التي تعود الى ايام التنصل من وعودهم في اقامة دولة عربية خلال مراسلات حسين مكماهون ، واستغلال الانكليز لكرهية العرب للاتراك . وكثيرا ما لعبت بروؤسهم ا فكرة استخدام الشريف حسين واخذ الانكليز غايتهم منه بتشجيعه على الثورة ضد الدولة العثمانية (19) . فضلا عن معرفة العرب بتقسيم البلاد العربية وتوزيع الانتدابات الذي اقرته كما اسلفنا اتفاقية سايكس بيكو سنة 1916، وصولا الى ثورة 1919 في مصر ضد سياسة بريطانيا.

ايضا من نتائج معاهدة سيفر على الشرق الاوسط انه في الوقت الذي اعلن فيه فيصل بن الشريف حسين ملكا للعرب في دمشق ، تصاعدت موجات القومية العربية والطموح في ارجاء الشرق الاوسط ، ولكن سرعان ما اصطدمت بأطماع دولتين كبيرتين في اوربا هما بريطانيا وفرنسا ، فضلا عن ان مصطفى كمال اتاتورك لم يجري في معاهدة سيفر الا تعديلا بسيطا فيما يتعلق بمتلكات فرنسا ، وبناءا على معاهدة سيفر بدأت الحدود بين ممتلكات فرنسا وتركيا من نقطة في شمالي غرب اسكندرونة حتى وصلت الى المنطقة البريطانية ، وفي معاهدة لوزان دفع اتاتورك الحدود الفرنسية ابعد قليلا الى الجنوب (20) .

اما في سوريا فبعد طرد الحكومة العربية فيها على اثر الاحتلال الفرنسي لها لانهم اردوا ان يقيموا مملكة عربية فيها ، حيث اصبحت سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي ، اذ ضمت المنطقة الواقعة بين نهر الفرات والصحراء السورية شرقا والبحر المتوسط غربا وتمتد إلى حوران جنوبا. مساحة الأرض (حوالي 60,000 ميل² 160,000) كم² وسكانها عددهم (حوالي 3,000,000). وسوريا الكبرى ولبنان والتي وضعتها عصبة الأمم تحت الوصاية، وكانت فرنسا قد طبقت سياستها الانتدابية بعد معاهدة سيفر بأحكام قبضتها على سوريا ولبنان بصيغة عسكرية اتسمت بالارهاب والقوة ، من خلال انشاء سلطة انتدابية جديدة وتشكيل محكمة عسكرية كانت تصدر احكاماً بالاعدام والاعتقال وتجريد حملات عسكرية على مناطق واسعة من سوريا ، فضلا عن انشاء مديريات انتدابية لإدارة المدن علاوة على تعيين مستشارين فرنسيين ، ناهيك عن تسريح الجيش وفرض اللغة الفرنسية واللعب على وتر التجزئة و التمييز الطائفي والعربي في سوريا ولبنان . وتطبيقا لهذه السياسة اعلن الجنرال (غورو) في الاول من شهر ايلول سنة 1920 تقسيم مناطقهم الانتدابية إلى أربع حكومات أو كيانات كالتالي :حكومة حلب من منطقة الفرات إلى البحر الأبيض المتوسط ودولة لبنان الكبير من طرابلس إلى

فلسطين وحكومة دمشق تضم دمشق وحماة وحمص وحوران، ودولة جبل الدروز ، ما تركت هذه السياسة اثر سيئ في نفوس الشعب وادت الى قيام مقاومة وطنية مسلحة خاصة في سوريا امتدت في المدة مابين 1920 -1925 ، وصولا للثورة السورية الكبرى سنة 1925(21).

وشكلت بريطانيا في شرق الاردن امارة بسبب الاضطرابات في سوريا وتحركات الامير عبدالله بن الحسين باتجاه شرق الاردن وسوريا ومناشدته للسوريين بحمل السلاح ضد الفرنسيين ، علاوة على ذلك ان هناك دوافع اخرى سياسية واقتصادية من جانب بريطانيا لانشاء امارة شرق الاردن وكانت ابرزها هي رغبة بريطانيا بتحقيق توازن في المنطقة بحيث لا تخرج هذه المنطقة عن دائرة نفوذها ، كذلك ان هذه المنطقة تشكل حلقة وصل على طريق المواصلات الممتد من البحر المتوسط الى الخليج العربي ومن ثم الى الهند، فضلا عن تجنب بريطانيا الادارة والسيطرة المباشرة الباهضة التكاليف ، والايفاء بجزء من التزامات بريطانيا لفرنسا في سوريا ، والحفاظ على مصالح بريطانيا النفطية لاسيما في العراق لحماية مرور انابيب النفط للبحر المتوسط ، اضافة الى ان سياسة بريطانيا كانت تميل الى تنمية صداقتها مع الاسرة الهاشمية فاعتبرت هذا ايفاءً ببعض الوعود التي قطعتها للعرب خلال الحرب فشكلت حكومة في 11 نيسان 1921 برئاسة الامير عبدالله اثر قرارات مؤتمر القاهرة الذي عقدته بريطانيا في المدة من 11-24 اذار 1921(22). وكحصيلة نتيجة التطورات بعد مدة مابعد معاهدة سيفر ونتائجها على المنطقة العربية وجاء انعقاده نتيجة الاسباب والظروف الاتية :

الاسباب والظروف التي ادت لعقد مؤتمر القاهرة:

- 1- تخوف بريطانيا على مصالحها في منطقة الشرق الاوسط في اعقاب قيام الاضطرابات والعصيان في العراق وفلسطين احتجاجا على قرارات سان ريمو، لهذا ارادت تهدئة العرب بعد ان خسرت بعض من جنودها في العراق وفلسطين.
- 2- توتر الاوضاع بين فرنسا وسوريا، وهزيمة فيصل في معركة ميسلون، وهروبه الى لندن، وارادت ان لا يحدث تصادم جديد بين العرب وفرنسا حليفها في الحرب العالمية الاولى، فكان عبدالله قد جهز جيشاً لمحاربة فرنسا التي طردت اخيه فيصل من سوريا.
- 3- ارادت بريطانيا ارضاء ابناء الشريف حسين الذين ساهموا في الانتصار على الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الاولى من خلال الثورة العربية الكبرى. قرارات مؤتمر القاهرة:

- 1- تعيين فيصل بن الشريف حسين، والذي طرد من سوريا بعد معركة ميسلون؛ ملكاً على العراق، واستبدال الانتداب بمعاهدة تحالف تضمن مصالح بريطانيا في العراق.
- 2- تعيين عبدالله بن الشريف حسين أميراً على شرقي الاردن، واستبدال الانتداب بمعاهدة تحالف التي تضمن مصالح بريطانيا في شرقي الاردن.

التعديلات في مؤتمر القاهرة:

- 1- تقرر في سان ريمو ان يكون العراق تحت الانتداب البريطاني, وفي مؤتمر القاهرة استبدال الانتداب بمعاهدة تحالف, وتعيين فيصل ملكاً على العراق.
- 2- تقرر في مؤتمر سان ريمو ان يكون شرقي الاردن تحت الانتداب البريطاني, وفي مؤتمر القاهرة استبدال الانتداب بمعاهدة تحالف وتعيين عبدالله اميرا على شرقي الاردن(23).

اما بالنسبة العراق بعد معاهدة سيفر فكان الوضع مختلفاً فمنذ ان اندلعت ثورة العشرين في شهر حزيران سنة 1920 ، بدأ تصاعد الوعي القومي والوطني وتحركات الحركة الوطنية باتجاه اقامة حكم وطني للبلاد والتخلص من سيطرة الانكليز ، لذا ادركت بريطانيا الدولة المنتدبة على العراق ضخامة النفقات التي ولدتها الثورة و الاضطرابات والعصيان و خسرت بعض من جنودها في العراق ولامتصاص الغضب وتهدئة الاوضاع ، لذا قررت اجراء تعديل في سياستها اتجاه العراق من خلال اشراك العراقيين بشكل لايتعارض مع مصالحهم الاستعمارية ، فبدأت تصريحات السير برسي كوكس (24) تصب في هذا الاتجاه ، وفي 25 تشرين الاول سنة 1920 تشكلت الهيئة الوزارية للحكومة المؤقتة برئاسة عبد الرحمن الكيلاني وتم اختيار اعضائها بعد المداولة بينه وبين برسي كوكس ، وفي 23 اب سنة 1921 تم تتويج فيصل بن الحسين ملكاً على العراق ، وارادت بريطانيا من تتويجه التعويض عن عرشه المسلوب في سوريا ، وارضاءً لاسرته التي وقفت الى جانب الحلفاء فضلاً عن تهدئة نفوس مناصريهم (25). ويبدو للباحث هنا ان بريطانيا باعت عرش فيصل في سوريا بنفط الموصل ثم جرت محاولة لترضية فيصل بترشيحه ملكاً على العراق.

اما فلسطين التي اصبحت مثل سوريا والعراق ولبنان تحت طائلة الانتداب ، فموقعها البالغ الاهمية بالنسبة لبريطانيا من الناحيتين الجغرافية والاستراتيجية ، فمن الناحية الجغرافية ربطت العراق والخليج العربي بالبحر المتوسط ، ومن الناحية الاستراتيجية وقوعها على اهم الممرات المائية وهي قناة السويس ، التي تهتم بريطانيا لأنها طريقها الرئيسي للهند ، فضلاً عن الطرق البرية التي تربط الخليج العربي بالبحر المتوسط ، وكانت بريطانيا تعتمز استخدام فلسطين مثل شرقي الاردن لتشكل حاجزاً منيعاً ضد التمدد الفرنسي من سوريا الى الجزيرة العربية. هذا من جانب من جانب اخر والاهم هو دمج وعد بلفور الصادر سنة 1917 من جانب بريطانيا مع صك الانتداب والقاضي بانشاء وطن قومي لليهود ، تزامن مع دخول الانتداب البريطاني حيز التنفيذ رسمياً على فلسطين في تموز من سنة 1922 ، في ظل استمرار الهجرة اليهودية المتزايدة الى فلسطين ، حيث شرعت بريطانيا الى انشاء ادارة مدنية في فلسطين تماشياً مع الاهداف الصهيونية ووضعت على رأس هذه الادارة هربرت صموئيل (26) ، وبسبب سياسة الادارة قوبلت بمقاومة من الفلسطينيين (27).

وتجدر الإشارة هنا يذكر ان قسماً من العرب قد اعجبوا ببطولات مصطفى كمال اتاتورك وانتصاراته على جيوش الحلفاء ، وكانوا يرون ذلك انتصاراً لهم ولتحرر الشرق من الاستعمار الغربي . وبعد ان تمت تسوية المسائل المتعلقة بين تركيا والدول الاوربية في مؤتمر لوزان سنة 1923 ، وكانت البلاد العربية تأمل ان تعترف لها تركيا في هذا المؤتمر بحق السيادة على اراضيها ، بعد زوال التبعية العثمانية عنها ومثل هذا الاعتراف يعد تاييداً شرعياً عظيم القيمة للمطالب الاستقلالية التي يكافح العرب من اجلها ، وكان مصطفى كمال اتاتورك قد اعطى تعليماته الى الوفد التركي في مؤتمر لوزان فيما يخص مطالب تركيا في البلدان العربية بأعتبارها من تركيات الدولة العثمانية ، وقد تحفظ الوفد التركي على نظم الانتداب التي فرضت على الاراضي العربية سوريا والعراق ولبنان وفلسطين ، وكان هذا التحفظ من اسباب ابعاد تركيا عن الانضمام الى عصبة الامم لغاية سنة 1923 ، ومن الجدير بالذكر ان ثلاث مسائل بقيت من معاهدة لوزان دون حل لها هي مشكلة الموصل ومشكلة الاسكندرونة ومشكلة المضائق التركية . فالموصل التي طالبت بها تركيا مان فاحت منها رائحة البترول وبجدة ان غالبية سكانها من الاتراك وان الجيش العثماني كان متواجد فيها بعد اتفاق هدنة مودرس، وقد حلت المشكلة بعد ان رفعت الى مجلس عصبة الامم ووضعت لجنة لدراسة الوضع وتم الحاقها بالعراق في سنة 1926 ، اما لواء الاسكندرونة فقد لحق بتركيا سنة 1939 بعد عرض المسألة على عصبة الامم (28).

وكانت هذه المشاكل من مخلفات ونتائج معاهدة سيفر وانعكاسها على البلاد العربية حتى بعد الغائها واستبدالها بمعاهدة لوزان.

نستنتج من كل ما مر ذكره ان معاهدة سيفر جاءت لتطبق قرارات توزيع احتلال الحلفاء للمنطقة العربية المذكورة بناءً على اتفاقية سايكس بيكو وتثبيتاً لمقررات الانتداب التي خرج بها مؤتمر سان ريمو الذي انعقد قبل ثلاثة اشهر من معاهدة سيفر اذن لولا معاهدة سيفر التي ولدت من رحم مؤتمر سان ريمو لما طبق كل ما ذكرناه .

ولو ناقشنا ابرز الآثار الممتدة من بعد معاهدة سيفر ومانتج عنها من احداث تمثل نقاط تحول في مستقبل المنطقة العربية مخلفة مشاكل بعيدة الامد وهذا يدن السياسة الاستعمارية البريطانية والفرنسية على وجه الخصوص منذ انعقاد سيفر الى الان لوجدنا ابرزها يكمن في التالي:

- خلق غريب داخل جسم الامة العربية هو الكيان الصهيوني كدولة وممتدة اثاره لحد الان .
- استخدام اسلوب المعاهدات بدل الانتداب بعد معاهدي سيفر ولوزان .
- خلق مشاكل حدودية بعيدة الامد اثارها باقية الى الان بين دول المنطقة كوسيلة لعدم استقرارها ، لكن إرث سيفر الذي يمتد كثيراً إلى ما وراء تركيا، هو بالضبط ما يجب

أن يجعلنا نضم هذه المعاهدة إلى معاهدة سايكس-بيكو في تاريخنا للشرق الأوسط، والذي يجب مساعدنا في تحدي الفكرة واسعة الانتشار، والتي تقول بأن مشكلات المنطقة كلها بدأت مع رسم الأوروبيين للحدود على خريطة فارغة. ما من شك في أن الأوروبيين كانوا سعداء بخلق حدود تكون متوافقة مع مصالحهم الخاصة، حيثما كان بوسعهم الإفلات بذلك. لكن فشل سيفر يثبت أنهم لم يتمكنوا من تحقيق ذلك في بعض الأحيان. وعندما حاول رجال الدولة الأوروبيون إعادة رسم خريطة الأناضول، منيت جهودهم بالفشل الذريع. وفي الشرق الأوسط، على العكس من ذلك، نجح الأوروبيون في فرض الحدود التي يريدونها لأنها كانت لديهم القوة العسكرية للتفوق على الناس الذين يقاومونهم. ولو كان القومي السوري يوسف العظمة، وهو ضابط من ضباط الجيش العثماني، قد تمكن من تكرار نجاح أتاتورك العسكري وهزم الفرنسيين في معركة ميسلون، لكانت خطط الأوروبيين لبلاد الشام قد لاقت نفس مصير خطط سيفر.

هل كانت حدود أخرى مختلفة ستجعل الشرق الأوسط أكثر استقراراً، أو ربما أقل عرضة للعنف الطائفي؟ ليس بالضرورة. لكن النظر إلى التاريخ من خلال عدسات معاهدة سيفر يشير إلى نقطة أكثر عمقاً عن العلاقة السببية بين الحدود التي رسمها الأوروبيون والاستقرار في الشرق الأوسط: إن المناطق التي انتهى بها المطاف وقد أصبحت لها حدود فرضتها أوروبا، مالت لأن تكون من تلك المناطق الضعيفة جداً مسبقاً وغير المنظمة بحيث لم تتمكن من مقاومة الاحتلال الاستعماري بنجاح. ولم تصبح تركيا أكثر ثروة أو أكثر ديمقراطية من سورية أو العراق لأنه كان لها حظ حسن خدم حصولها على الحدود الصحيحة. بدلاً من ذلك، كانت العوامل التي مكنت تركيا من رفض الخطط الأوروبية ورسم حدودها الخاصة بما في ذلك وجود جيش وبنية تحتية اقتصادية موروثة من الإمبراطورية العثمانية بعضاً من نفس العوامل التي مكنت تركيا من بناء دولة أمة قوية مركزية وعلى النمط الأوروبي.

- صنع دول جديدة مثل السعودية والقضاء على دولة الهاشميين برئاسة الشريف حسين

- تمدد السيطرة البريطانية على مصر والفرنسية على دول المغرب .

- إعادة رسم خارطة الشرق الأوسط .

- المشكلة الكردية التي خلفتها معاهدة سيفر ولوزان والتي تم تجاهل بنودها الخاصة بتشكيل دولة للاكراد ، ولكن اثار القومية الكردية ومطالبها بالاستقلال في تركيا نفسها وفي البلدان الاخرى والتي استمرت بهذه المطالب الى الان حيث كما هو معروف ان الاكراد مناطق توجد في العراق وتركيا وسوريا وايران وخاصة في العراق ، وكانت بريطانيا قد وجهت اهتماماً خاصاً بالاكرد ، وأصر لويد جورج رئيس الوزراء البريطاني اثناء مؤتمر السلام في باريس على ادخال كردستان ، التي كانت تقع بين ارمينيا وبلاد ما بين النهرين (العراق) ، في قائمة المناطق التي يجب ان

تنتزع من تركيا ، و ان لويد جورج اراد ان يخلق دولة حاجزة بين الموصل و تركيا . وفي الوقت نفسه كان الانكليز يقاومون مشروعاً فرنسياً يتعلق بتقسيم مناطق النفوذ في كردستان ، علاوة على ذلك ان الاكراد كانوا منقسمين فيما بينهم حول رغباتهم ، ولان اكراد العراق منفصلون عن اكراد تركيا جغرافياً واقتصادياً وسياسياً ولكونهم مرتبطون بعرب العراق اقتصادياً ، ان الحلفاء لم يكونوا جادين في الاعتراف باستقلال كردستان ، وانما بالعكس اتخذوا قضية الاكراد مادة للمساومة فيما بينهم . ومما يدل على ذلك هو انه في اليوم ذاته الذي عقدت فيه معاهدة سيفر عقدت بريطانيا وفرنسا وايطاليا معاهدة ثلاثية لتقاسم مناطق النفوذ في كردستان الشمالية فيما بينها . فضلاً عن ذلك ما ان عرفت هذه الدول ان الحركة القومية التركية سائرة نحو الانتصار حتى تناست فوراً الشعب الكردي وكردستان الحرة المستقلة ، واعلنت بصراحة في شهر اذار سنة 1921 انها مستعدة لاتخاذ كل ما يلزم من تعديلات على بنود معاهدة سيفر الخاصة بالاكرد بحيث تنسجم مع الوضع والواقع وهذا طبعاً لم يتحقق .

وهكذا كان الخاسر الاكبر في هذه المساومات الدولية هم الاكراد الذين لم يظفروا في انشاء دولتهم القومية منذ ذلك الحين هذا الحلم بالنسبة للاكراد الذي يسعون الى تحقيقه ومنذ 100 سنة . ولكن الظروف الدولية والاقليمية والمحلية لاتزال قائمة بوجه تحقيق هذا الحلم ، ولربما تتغير هذه الظروف لصالحهم أو قد لاتتغير خاصة بعد فشل الاستفتاء الذي اقاموه في سنة 2018 ولاننسى وعلى مر التاريخ المعاصر ان الدول الكبرى وخاصة الولايات المتحدة الاميركية قد استخدمت الحركة الكردية كورقة ضغط في مدة الحرب الباردة خاصة على الحكومة العراقية حيث بلغت ذروة تصاعد الحركة الكردية في ستينيات القرن العشرين لغاية سبعينيات القرن المذكور وتوقيع اتفاق الحكم الذاتي مخلفة النزعة الانفصالية لدى الاكراد .

- تزايد السيطرة على الخليج العربي بعد عقد معاهدة سيفر .
والسؤال المطروح هنا هل حققت دول الشرق الاوسط في عامنا هذا 2018 ماكانت تطمح اليه في سنة 1918 .

الجواب على ذلك ينقسم الى شقين الاول منهما ان العرب انذاك كانوا مغلوبين على امرهم لانه خرجوا لتو من السيطرة العثمانية ثم مالبتوا ان دخلوا في مرحلة جديدة من الاحتلال ثم وجهه الاخر الا وهو الانتداب وصولاً الى اسلوب المعاهدات فلم يحققوا ماكانوا يريدوه من استقلال واقامة دول عربية مستقلة منذ مؤتمر الصلح سنة 1919 لغاية بداية الخمسينيات و ستينيات القرن العشرين على الرغم من وجود التيارات والحركات والاحزاب والجمعيات والمنظمات القومية والوطنية في البلاد العربية وتصاعد حركات التحرر الوطني حتى في ظل دخول العالم مرحلة الحرب الباردة والصراع بين القطبين الاشتراكي والرأسمالي، والشق الثاني مابعد خمسينيات وستينيات القرن العشرين حيث ان غالبية البلدان العربية نالت استقلالها وعلى الرغم

من ذلك ظلت تدور في فلك الصراع الاستعماري بين القطبين المتمثلين بالولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي مقابل تراجع الاستعمار الانكليزي في نهاية عقد الستينيات من القرن العشرين في المنطقة العربية ولكن الشيء الايجابي انها غدت دول مستقلة ذات سيادة غير خاضعة للاحتلال والسيطرة المباشرة وهذا جزء مماكانت تطمح اليه شعوب منطقة الشرق الاوسط في سنة 1918 بعد الحرب العالمية الاولى فضلا عن التحولات والتغييرات الاجتماعية والاقتصادية وتطور في العلاقات العربية العربية ومع دول العالم وكذلك التنمية في العالم العربي نتيجة الاحتكاك بالعالم الغربي ولكن هنا يجب الذكر بأن العالم يدور في عجلة متغيرات حسب الظروف الدولية التي غالبا ماتحركها مصالح الدول الكبرى الغربية على الساحة الدولية كالولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وروسيا تفرضها على الواقع .

الخاتمة

بعد دراسة البحث توصل الباحث الى جملة من الاستنتاجات من أهمها :

1. ظهرت في اثناء الحرب وما بعدها ارادة وتوجه من جانب الدول الكبرى لتمزيق الدولة العثمانية وتفكيكها وتحجيمها .
2. تصادم مصالح فرنسا وبريطانيا حول اقتسام منطقة الشرق الاوسط خاصة العراق وسوريا ولبنان وفلسطين .
3. الالتزام المطلق في معاهدة سيفر بتنفيذ وعد بلفور من جانب بريطانيا لانشاء وطن قومي لليهود .
4. تأكيد بريطانيا على فرض حمايتها واستبدال الاحتلال المباشر للعراق بالانتداب بسبب موقعه وثروته النفطية .
5. تخلي الانكليز عن دعمهم للامير فيصل بن الحسين في سوريا وتسليمها الى فرنسا .
6. استخدام القوة من جانب الحلفاء لارغام السلطان العثماني لتوقيع المعاهدة .
7. ظهور المقاومة من جانب مصطفى كمال اتاتورك ورفاقه وانتصاراتهم فاجأ الحلفاء وجعلهم يعدلون عن معاهدة سيفر واستبدالها بمعاهدة لوزان .
8. كانت شروط معاهدة سيفر قاسية على الاتراك مما ولد سخطهم ورفضها بالكامل .
9. كانت من نتائج المعاهدة على تركيا ان اوجدت نظام جديد بدل نظام السلطنة العثمانية الا وهو النظام الجمهوري .
10. ومن نتائجها على الشرق الاوسط انها اثارت الروح القومية والوطنية لدى العرب بسبب السياسة الملتوية للدول الكبرى وخلق مشاكل بعيدة المدى مثل المشاكل الحدودية و اثاره النزعات الطائفية و العرقية والقومية في المنطقة العربية واعدة رسم خارطة الشرق الاوسط وصنع دول جديدة .

11- عدم اعطاء سوريا الاستقلال فرض الانتداب الفرنسي عليها وتقسيمها الى دول
وانشاء حكومة ملكية في العراق مع بقاء الانتداب عليه وفضلا عن انشاء حكومة في
شرق الاردن حسب المتغيرات في تلك المدة ونتيجو قرارات مؤتمر القاهرة .
الهوامش

1- معركة كاليبولي : حملة كاليبولي أو حملة الدردنيل أو معركة جناق قلعة هي
حملة عسكرية شنتها قوات بريطانية وفرنسية مشتركة خلال الحرب العالمية
الأولى بهدف احتلال العاصمة العثمانية إسطنبول، دارت معارك الحملة في شبه
الجزيرة جاليبولي على مضيق الدردنيل عام 1915 ، باءت جهود الحملة بالفشل
وقتل ما قدر عدده بحوالي 55 ألف جندي من قوات التحالف (بريطانيا، أستراليا،
نيوزيلندا، فرنسا) وحوالي 90 ألف جندي عثماني ومئات الآلاف من الجرحى من
الطرفين. راجع : من الانترنت.

حملة جاليبولي https://ar.wikipedia.org/wiki/حملة_جاليبولي

2- راجع : زين نورالدين زين ، الصراع الدولي على الشرق الاوسط وولادة دولتي
سوريا ولبنان ، بيروت ، دار النهار للنشر ، 1971 ، ص ص 93-98 ؛ جورج
انطونيوس ، يقظة العرب ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1966 ، ص ص 390-
392 ؛ من الانترنت .

https://www.facebook.com/permalink.php?story_fbid=10214062302688570&id=1141959183

3- زين ، المصدر نفسه ، ص ص 41-58 ، ص ص 158-159 ؛ انطونيوس ،
المصدر نفسه ، ص ص 347-348 ، 419-420 .

4- اسماعيل احمد ياغي ، الدولة العثمانية في التاريخ الاسلامي الحديث ، الرياض -
المملكة العربية السعودية ، مكتبة العبيكان ، ط 1 ، 1996 ، ص ص 222-223 .

5- محمد السادس : أحد خلفاء الدولة العثمانية وآخر السلاطين العثمانيين. حكم بالمدة

11923-1918-بعد وفاه أخيه محمد الخامس رشاد وانتحار ولي العهد الذي هو

ابن عبد العزيز الأول عم محمد وحيد الدين ، استسلمت الدولة بعد توليته بشهور

حيث هزمت في الحرب واحتل أعداؤها أكثر أجزاء الدولة باستثناء بعض

المناطق. وبعد حرب التحرير ضد قوى حلفاء أوروبا لتنتهي بانتصار المقاومة

وتحرير تركيا فغادر وحيد الدين إسطنبول هارباً كلاجئ على متن بارجة بريطانية

في 17 تشرين الثاني سنة 1922 ليقتضي بقية حياته في الريفيرا الإيطالية

وتوفي في مدينة سان ريمو في 16 نيسان 1926 . راجع : من الانترنت .

محمد السادس_العثماني https://ar.wikipedia.org/wiki/محمد_السُداس_العُثماني

- 6- سيفر : هي بلدة في بلدة فرنسا في مقاطعة سين اي واز على ضفة نهر السين اليسرى الى جنوب باريس ، فيها معمل الخزف شهير الذي وقعت فيه المعاهدة ، وهي بلدة صناعية فيها كثير من المعامل . راجع: بطرس البستاني ، دائرة المعارف ، مصر ، 1898 ، ص ص 329-330 .
- 7- اسماعيل ياغي ، المصدر السابق ، ص 227 ؛ عز الدين بشير ، مؤتمر الصلح والتسويات الدولية عقب الحرب العالمية الاولى (1919-1923) ، رسالة ماجستير (منشورة) ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة بسكرة، 2016 ، ص 64 .
- 8- المصدر نفسه ، ص 226 ؛ المصدر نفسه ، ص 65 ؛ مفيد الزيدي ، موسوعة تاريخ اوربا الحديث ، ج 4 ، لبنان ، ط 1 ، 2004 ، ص 954 .
- 9- زين العابدين شمس الدين نجم ، تاريخ الدولة العثمانية ، الاردن ، دار المسيرة ، 2010 ، ص 252 ؛ اسماعيل ياغي ، المصدر السابق ، ص 226 .
- 10- عزالدين بشير ، المصدر السابق ، ص 65 ؛ حسين لبيب ، تاريخ المسالة الشرقية ، مصر ، الهلال للطباعة ، 1991 ، ص 122 .
- 11- سيار الجميل ، العرب والاتراك الانبعاث والتحديث من العثمنا الى العلمنة ، لبنان ، ط 1 ، 1997 ، ص 11؛ مفيد الزيدي ، المصدر السابق ، ص 945 ؛ سليمان صالح الخراشي ، كيف سقطت الدولة العثمانية، الرياض ، دار القاسم ، 1999 ، ص 87 ، عبد العزيز الشناوي ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، القاهرة ، ص ص 245-247 .
- 12- مصطفى كمال اتاتورك (1880-1938) : وهو قائد الحركة التركية الوطنية التي حدثت في أعقاب الحرب العالمية الأولى، الذي أوقع الهزيمة في جيش اليونانيين في الحرب التركية اليونانية عام 1922، وبعد انسحاب قوات الحلفاء من الأراضي التركية جعل عاصمته مدينة أنقرة، وأسس جمهورية تركيا الحديثة، فألغى الخلافة الإسلامية وأعلن علمانية الدولة. كان علمانياً وقومياً، وأصبحت سياساته ونظرياته معروفة باسم الكمالية. أطلق عليه اسم أتاتورك (أبو الأتراك) وذلك للبصمة الواضحة التي تركها عسكرياً في الحرب العالمية الأولى. راجع : من الانترنت. مصطفى كمال اتاتورك https://ar.wikipedia.org/wiki/مصطفى_كمال_اتاتورك
- 13- اسماعيل ياغي ، المصدر السابق ، ص 227 ؛ عبد العزيز الشناوي ، المصدر السابق ، ص 264 .
- 14- حنا عزو بهنان ، التطورات السياسية الداخلية في تركيا (1919-1923) ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1989 ، ص 77؛ عز الدين بشير ، المصدر السابق ، ص 64 ؛ احمد عبد الرحيم مصطفى ، في اصول التاريخ العثماني ، القاهرة ، ط 2 ، 1993 ، ص ص 305-306 .
- 15- احمد عبد الرحيم مصطفى ، المصدر السابق ، ص ص 305-306 .

- 16- علي حسون ، تاريخ الدولة العثمانية ، دمشق ، 1980 ، ص ص 245-246 ؛ اسماعيل ياغي ، المصدر السابق ، ص 230 .
- 17- كان رئيس الوفد الاتكليزي اللورد كيرزون (1859 - 1925) : وهو جورج كيرزون سياسي بريطاني شغل منصب الحاكم العام للهند البريطانية في الفترة ما بين 1899 و1905 ووزير خارجية بريطانيا خلال أعوام 1919 حتى 1924. راجع: من الانترنت. جورج_كيرزون_(حاكم_الهند)<https://ar.wikipedia.org/wiki/>
- 18- فاضل حسين ، مؤتمر لوزان واثاره في البلاد العربية ، بغداد ، 1976 ، ص ص 22-23 ؛ عز الدين بشير ، المصدر السابق ، ص 67 ؛ علي حسون ، المصدر السابق ، ص ص 245-247 .
- 19- هارولد تمبرلي ، ا.ج.كرانت ، اوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين 1789-1950 ، ج 2 ، ترجمة: محمد علي ابودرة ، لويس اسكندر ، القاهرة ، مؤسسة سجل العرب ، 1978 ، ص 274 .
- 20- المصدر نفسه ، ص 276 .
- 21- حسين فوزي النجار ، الشرق العربي بين حربين ، القاهرة ، الدار القومية للنشر ، د.ت ، ص 39 ؛ ذوقان قرقوط ، تطور الحركة الوطنية في سوريا 1920-1939 ، بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط 1 ، 1975 ، ص 40 ؛ نجلاء عز الدين ، العالم العربي ، ترجمة: محمد عوض واخرون ، القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، 1953 ، ص 216 ، وجيه كوثراني ، الاتجاهات الاجتماعية السياسية في جبل لبنان والشرق العربي 1860-1920 ، بيروت ، معهد الانماء العربي ، ط 1 ، 1980 ، ص ص 30-41 ، 236-237 ؛ هارولد تمبرلي ، المصدر السابق ، ص 277 .
- 22- عبد الله حسين ، مذكرات الملك عبدالله ، عمان ، 1965 ، ص 154 ؛ هاني حوراني ، التركيب الاقتصادي لشرق الاردن مقدمات التطور المشوه ، (1921-1950) ، بيروت ، منظمة التحرير الفلسطينية-مركز الابحاث ، ط 1 ، 1978 ، ص ص 54-55 ؛ جواهر لال نهرو ، لمحات من تاريخ العالم ، ترجمة: لجنة من الاساتذة الجامعيين ، بيروت ، 1961 ، ص 319 ؛ حسين النجار ، المصدر السابق ، ص 65 ؛ علي المحافظة ، العلاقات الاردنية البريطانية من تاسيس الامارة حتى الغاء المعاهدة 1921-1957 ، بيروت ، 1973 ، ص ص 27-28؛ جورج لنشوفسكي ، الشرق الاوسط في الشؤون العالمية ، ج 2 ، ترجمة: جعفر الخياط ، بغداد ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، 1965 ، ص ص 172-173 ؛ جان وولف ، يقظة العالم العربي ، ترجمة: لجنة من الاساتذة الجامعيين ، بيروت ، مطابع دار الكشف ، ط 1 ، 1960 ، ص 80 .
- 23- حسين النجار ، المصدر السابق ، ص 59 .
- 24- برسي كوكس (1864-1937): ولد في منطقة إكسيس البريطانية، وهو لأبوين يهوديين خرج من الكلية الملكية البريطانية العسكرية في ساند هيرست، وعين مباشرة بعد تخرجه في الهند في سنة 1884 وحتى سنة 1890 مع الحامية البريطانية هناك. ثم

حول في نهاية خدمته العسكرية إلى الخدمة السياسية في الهند أيضا انتقل للعمل في منطقة الخليج العربي وإيران في سنة 1893 واستمر في العمل في المنطقة حتى سنة 1903 ، تقلد خلالها عدة مناصب، وفي سنة 1911 منح لقب سير كأفضل سياسي في المنطقة وكان ذلك بسبب خدماته أثناء الحرب العالمية الأولى . راجع : من الانترنت.

برسي_كوكس https://ar.wikipedia.org/wiki/برسي_كوكس

25- محمد بديع شريف وآخرون ، دراسات في تاريخ النهضة العربية الحديثة ، القاهرة ، مطبعة الرسالة، دت، ص305 ؛ عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الملكي ، ج1 ، بيروت ، 1974 ، ص ص 11-14 ؛ كيرترود بيل ، خلق الملوك (من رسائل المس بيل) ، ترجمة: عبدالكريم الناصري ، بغداد ، 1973 ، ص ص 53-64 ؛ ل . ن . كوتلوف ، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق ، ترجمة: عبد الواحد كرم ، بيروت ، دار الفارابي ، ط2 ، 1975 ، ص166 .

26- هربرت صموئيل : بريطاني يهودي ولد في مدينة ليفربول في بريطانيا في سنة 1870 أنشئ تنشئة دينية ولكن دراسته في أكسفورد غيرت جذريا معتقداته، وأعلن أنه لن ينضوي تحت أي دين ، تلقى تعليمه في جامعة أكسفورد، وانضم إلى الحزب الليبرالي ورشح نفسه للانتخابات ونجح في سنة 1902 وتدرج صمويل في عدد من الوظائف إلى أن أصبح وزيراً في الوزارة البريطانية، وقد كتب صموئيل مذكرة سنة 1915 مررها على أعضاء الوزارة البريطانية تنطلق من افتراض أن تركيا ستُهزَم، واقترح فيها إنشاء محمية إنجليزية في فلسطين بعد الحرب وتشجيع الاستيطان اليهودي فيها، وإعطاء الأولوية للهجرة اليهودية ولبناء مؤسسات استيطانية تساعد في نهاية الأمر على توطين جماعة يهودية يبلغ عددها ثلاثة ملايين تصبح مكتفية ذاتياً إلى أن تشكل دولة ذات سيادة تكون مركزاً لحضارة جديدة وتنتظر في الوقت ذاته بعين الاعتبار للمصالح البريطانية في المنطقة. وقد جذبت المذكرة اهتمام لويد جورج، لكن رئيس الوزراء إسكويث لم يكن متحمساً بقدر كاف. وحين تولّى لويد جورج رئاسة الوزارة (التي كانت تضم بلفور، قرر تبني هذا المشروع وبسبب اهتماماته الاستعمارية، عُيّن صمويل أول مندوب سام بريطاني في فلسطين سنة 1920 . راجع . من الانترنت.

هربرت_صموئيل https://ar.wikipedia.org/wiki/هربرت_صموئيل

27- محمد علي القوزي ، دراسات في تاريخ العرب المعاصر ، بيروت ، دار النهضة ، ط1 ، 1999 ، ص ص 18-90 .

28- اميرة اسماعيل العبيدي ، العلاقات السورية التركية (1923-1939) رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة الموصل ، 2003 ، ص 23 ، ص 25 ؛ محمد طه الجاسر ، تركيا ميدان الصراع بين الشرق والغرب ، دمشق ، دار الفكر ، ط1 ، 2004 ، ص220 ؛ فاضل حسين ، دراسة في الدبلوماسية العراقية الانكليزية التركية وفي الرأي العام ، بغداد ، ط3 ، 1977 ، ص 23 وما بعدها ؛ فاروق صالح العمر ، المعاهدات العراقية البريطانية واثرها في السياسة الداخلية 1922-1948 ، بغداد ، 1977 ، ص

ص 139-173 ، ص 446 ؛ احمد رفيق البرقاوي ، العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا 1922-1932 ، بغداد ، دار الرشيد للنشر ، 1980 ، ص ص 95-109 .
قائمة المصادر

اولاً: الرسائل والاطاريح الجامعية :

- 1- اميرة اسماعيل العبيدي ، العلاقات السورية التركية (1923-1939) رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة الموصل ، 2003 .
- 2- حنا عزو بهنان ، التطورات السياسية الداخلية في تركيا (1919-1923) ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، 1989 .
- 3- عز الدين بشير ، مؤتمر الصلح والتسويات الدولية عقب الحرب العالمية الاولى (1919-1923) ، رسالة ماجستير (منشورة) ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة بسكرة ، 2016 .

ثانياً: الكتب العربية والمعرّبة :

- 1- احمد رفيق البرقاوي ، العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا 1922-1932 ، بغداد ، دار الرشيد للنشر ، 1980 .
- 2- احمد عبد الرحيم مصطفى ، في اصول التاريخ العثماني ، القاهرة ، ط2 ، 1993 .
- 3- اسماعيل احمد ياغي ، الدولة العثمانية في التاريخ الاسلامي الحديث ، الرياض - المملكة العربية السعودية ، مكتبة العبيكان ، ط1 ، 1996 .
- 4- جان وولف ، يقظة العالم العربي ، ترجمة: لجنة من الاساتذة الجامعيين ، بيروت ، مطابع دار الكشف ، ط1 ، 1960 .
- 5- جواهر لال نهرو ، لمحات من تاريخ العالم ، ترجمة: لجنة من الاساتذة الجامعيين ، بيروت ، 1961 .
- 6- جورج انطونيوس ، يقظة العرب ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1966 .
- 7- جورج لنشوفسكي ، الشرق الاوسط في الشؤون العالمية ، ج2 ، ترجمة: جعفر الخياط ، بغداد ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، 1965 .
- 8- حسين فوزي النجار ، الشرق العربي بين حربين ، القاهرة ، الدار القومية للنشر ، د.ت .
- 9- حسين لبیب ، تاريخ المسالة الشرقية ، مصر ، الهلال للطباعة ، 1991 .
- 10- نوقان قرقوط ، تطور الحركة الوطنية في سوريا 1920-1939 ، بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط1 ، 1975 .
- 11- زين العابدين شمس الدين نجم ، تاريخ الدولة العثمانية ، الاردن ، دار المسيرة ، 2010 .
- 12- زين نورالدين زين ، الصراع الدولي على الشرق الاوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان ، بيروت ، دار النهار للنشر ، 1971 .

- 13- سليمان صالح الخراشي ، كيف سقطت الدولة العثمانية، الرياض ، دار القاسم ، 1999 .
- 14- سيار الجميل ، العرب والاتراك الاتبعث والتحديث من العثمنا الى العلمنة ، لبنان ، ط1 ، 1997 .
- 15- عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الملكي ، ج1 ، بيروت ، 1974 .
- 16- عبد العزيز الشناوي ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، القاهرة ، د.ت .
- 17- علي المحافظة ، العلاقات الاردنية البريطانية من تاسيس الامارة حتى الغاء المعاهدة 1921-1957 ، بيروت ، 1973 .
- 18- علي حسون ، تاريخ الدولة العثمانية ، دمشق ، 1980 .
- 19- فاروق صالح العمر ، المعاهدات العراقية البريطانية واثرا في السياسة الداخلية 1922-1948 ، بغداد ، 1977 .
- 20- فاضل حسين ، دراسة في الدبلوماسية العراقية الانكليزية التركية وفي الرأي العام ، بغداد ، ط3 ، 1977 .
- 21- فاضل حسين ، مؤتمر لوزان واثاره في البلاد العربية ، بغداد ، 1976 .
- 22- كيرترود بيل ، خلق الملوك (من رسائل المس بيل) ، ترجمة: عبدالكريم الناصري ، بغداد ، 1973 .
- 23- ل . ن . كوتلوف ، ثورة العشرين الوطنية التحريرية في العراق ، ترجمة: عبد الواحد كرم ، بيروت ، دار الفارابي ، ط2 ، 1975 .
- 24- محمد بديع شريف وآخرون ، دراسات في تاريخ النهضة العربية الحديثة ، القاهرة ، مطبعة الرسالة، د.ت.
- 25- محمد طه الجاسر ، تركيا ميدان الصراع بين الشرق والغرب ، دمشق ، دار الفكر ، ط1 ، 2004 .
- 26- محمد علي القوزي ، دراسات في تاريخ العرب المعاصر ، بيروت ، دار النهضة ، ط1 ، 1999 .
- 27- نجلاء عزالدين ، العالم العربي ، ترجمة: محمد عوض وآخرون ، القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، 1953 .
- 28- هارولد تمبرلي ، ا.ج.كرانت ، اوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين 1789-1950 ، ج2 ، ترجمة: محمد علي ابودرة ، لويس اسكندر ، القاهرة ، مؤسسة سجل العرب ، 1978 .
- 29- هاني حوراني ، التركيب الاقتصادي لشرق الاردن مقدمات التطور المشوه ، (1921-1950) ، بيروت ، منظمة التحرير الفلسطينية-مركز الابحاث ، ط1 ، 1978 .

- 30- وجيه كوثراني ، الاتجاهات الاجتماعية السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي 1860-1920 ، بيروت ، معهد الانماء العربي ، ط1 ، 1980 .
- ثالثاً : المذكرات :
- 1- عبد الله حسين ، مذكرات الملك عبدالله ، عمان ، 1965 .
- رابعاً : الموسوعات :
- 1- بطرس البستاني ، دائرة المعارف ، مصر ، 1898 .
- 2- مفيد الزبيدي ، موسوعة تاريخ اوربا الحديث ، ج4 ، لبنان ، ط1 ، 2004 .
- خامساً : المواقع الالكترونية :
- 1-

https://www.facebook.com/permalink.php?story_fbid=10214062302688570&id=1141959183

- 2- برسي_كوكس/ https://ar.wikipedia.org/wiki/برسي_كوكس
- 3- جورج_كيرزون_(حاكم_الهند)/ [https://ar.wikipedia.org/wiki/جورج_كيرزون_\(حاكم_الهند\)](https://ar.wikipedia.org/wiki/جورج_كيرزون_(حاكم_الهند))
- 4- حملة_جاليبولي/ https://ar.wikipedia.org/wiki/حملة_جاليبولي
- 5- محمد_السادس_العثماني/ https://ar.wikipedia.org/wiki/محمد_السادس_العثماني
- 6- مصطفى_كمال_اتاتورك/ https://ar.wikipedia.org/wiki/مصطفى_كمال_اتاتورك
- 7- هربرت_صمونيل/ https://ar.wikipedia.org/wiki/هربرت_صمونيل

الملاحق



(اثناء التوقيع على معاهدة سيفر)



(اثنان من الموقعين العثمانيون وهما من اليسار: رضا توفيق والصدر الأعظم الداماد فريد باشا ثم مجهول ثم السفير رشيد خالص أما الموقع الثالث والغائب عن الصورة فهو وزير التعليم العثماني هادي باشا.)



(خريطة تقسيم ممتلكات الامبراطورية العثمانية حسب قرارات معاهدة سيفر)

هجرة الكفاءات وأثارها السياسية والاقتصادية "العراق انموذجاً"

م.د سيناء علي محمود_جامعة الفراهيدي

م.م هند ياسين جاسم_جامعة الفراهيدي

ملخص البحث

ان هجرة الكفاءات، تشكل خطراً كبيراً في استنزاف الكثير من الطاقات والكفاءات العربية، التي يمكن ان تؤدي دوراً وطنياً مهماً في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية. ولقد لعبت عوامل عدة في دفع الكفاءات الى الهجرة، منها ما كان سياسياً ومنها اقتصادياً واخرى اجتماعية وتقنية وكانت لحالة التخلف التي يعيشها الوطن العربي في ميادين التربية والتعليم أثره في ذلك ايضاً.

والعراق كجزء من الوطن العربي يعاني هو الاخر من هذه الظاهرة، بالرغم من ان هجرة الكفاءات العراقية ليست بالشيء الجديد، بل الجديد هو الحدة التي اتخذتها الظاهرة بعد عام 2003، والتي تعود لأسباب شتى نتج عنها اثار سياسية واقتصادية.

وعلى الرغم من وجود اثار ايجابية لها والتي من اهمها التحويلات المالية، لكن هذه الاموال لا تضاهي ما يفقده العراق من طاقات يصعب تعويضها، فهي تشكل حاجزاً كبيراً في طريق التنمية، فبالإضافة الى الخسائر المادية فإنها تؤدي الى استنزاف الثروة البشرية والتي لا تقدر بثمن، وهي الاله من بين العوامل الضرورية للنهوض بتنمية حقيقية متينة الاسس قابلة للتطور والاستمرار، وجميعها تنعكس على الاقتصاد العراقي مضافاً اليها انخفاض الرصيد المعرفي.

Abstract

Migration of competencies poses a great danger in The em which ,draining a lot of Arab energies and competencies can play an important national role in the process of Several factors played a .economic and social development some of which ,raterole in pushing talented people to emig and others were social ,some were economic ,were political The state of backwardness experienced by .and technical the Arab world in the fields of education had an impact on that as well.

om this also suffers fr ,as part of the Arab world ,Iraq although the migration of Iraqi competencies ,phenomenon what is new is the severity ,Rather .is not something new

which is due to ,2003that the phenomenon took after various reasons that resulted in political and economic effects.

the most ,are positive effects for it Although there but this money does ,important of which are remittances not compare to what Iraq loses in terms of energies that as it constitutes a great barrier ,are difficult to compensate it ,material losses in addition to ,in the way of development which is ,leads to the depletion of human wealth which is The most important among the factors ,invaluable solid ,necessary for the advancement of real development all of ,foundations capable of development and continuity ected on the Iraqi economy in addition to the which are refl decline in the knowledge balance.

المقدمة

لقد أضحت ظاهرة هجرة الكفاءات العربية من الظواهر الخطيرة التي تعاني منها البلدان العربية، بعد ان شهد العالم، ومنذ اوائل القرن العشرين، تطورات متسارعة في مجالات الحياة العلمية والادبية، كافة، واصبحت مجالات التطور العلمي تستوعب كل ما هو جديد ومبتكر، لا بل تتطلع نحو الافضل باستمرار وكل ما تطورت المجالات العلمية تزايدت عملية جذب الكفاءات من العقول العلمية التي تتقدم بإمكانياتها الذهنية المنفردة على سلم التقدم المتوفر آنياً في شتى بلدان العالم، وبذلك اصبحت هجرة العقول ظاهرة عالمية جلبت انتباه الساسة والحكام والباحثين وصناع القرار، واستطاعت بعض الدول المتقدمة من توظيف هذه الهجرة بما يخدم مصالحها واهدافها المرحلية والمستقبلية، مستفيدة من الخبرات المتطورة لهؤلاء المهاجرين.

وتتباين الآراء حول طبيعة نتائج هجرة الكفاءات، فهناك من يرى ان دول الاصل تجني ثمارا ايجابية نتيجة هذه الظاهرة لعدة اعتبارات، منها ان هذه الكفاءات تنتقل الى مجتمع أكثر تقدماً يوفر لها ظروف عمل ومعيشة أفضل مما يؤدي الى ارتفاع انتاجها ويساهم في تطوير المعرفة والتقدم البشري، وفي مقابل هذه الروية المتفائلة هنالك من يراها ليست سوى عملية استنزاف لمورد رئيس من موارد التنمية تنتج عنها اثار سلبية.

والعراق كجزء من الوطن العربي يعاني هو الاخر من هذه الظاهرة، بالرغم من ان هجرة الكفاءات العراقية ليست بالشيء الجديد، بل الجديد هو الحدة التي اتخذتها الظاهرة بعد عام2003، والتي تعود لأسباب شتى نتج عنها اثار سياسية واقتصادية.ولدراسة هذه الظاهرة والوقوف على ابرز اثارها، جاءت هيكليتها متضمنة الاسباب الدافعة لهجرة الكفاءات في المطلب الاول،والاسباب المشجعة على الهجرة في المطلب الثاني،وتناول

المطلب الثالث الاثار المترتبة على الهجرة، اما المطلب الرابع فقد خصص لدراسة هجرة الكفاءات العراقية واثارها السياسية والاقتصادية. اهمية الدراسة

تتبع اهمية الدراسة من كونها تتطرق لظاهرة في غاية الاهمية الا وهي ظاهرة هجرة الكفاءات العراقية، لما لها من تأثيرات سياسية واقتصادية. هدف الدراسة

تهدف الدراسة الى:

1. معرفة الاسباب الرئيسية التي ادت الى انتشار ظاهرة هجرة الكفاءات العراقية
2. ابراز الاثار المترتبة عنها.

مشكلة الدراسة

تنامي ظاهرة هجرة الكفاءات لأسباب عدة، مما كان له انعكاسات سلبية على الجانب السياسي والاقتصادي فرضيه الدراسة

تقوم الدراسة على فرضية مفادها "ان هجرة الكفاءات العراقية لها اثار سلبية وان هذه الهجرة لم تأتي من فراغ وانما نتيجة عوامل عديدة ساهمت في تعميقها. منهجية الدراسة

تم الاعتماد على منهج التحليل النظمي، والمنهج الوصفي والتاريخي.

شغلت ظاهرة هجرة الكفاءات الكثير من دول العام بشكل عام ودول العالم النامي بشكل خاص، فهي تشكل ظاهرة سلبية وخطيرة على هذه الدول كما انها تؤثر على خططها التنموية، أضف الى ذلك حرمانها من الاستفادة من خبرات ومؤهلات عملت على تأهيلها على مدار سنوات.

وترتبط هذه الهجرة من الدول الاكثر تخلفا الى الدول الاكثر تقدما بعوامل دفع من الدول الاولى ويعوامل جذب من الثانية، والتي تتمحور جميعها حول الاسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والحريات بأنواعها.

وتتباين الاراء حول طبيعة نتائج هذه الظاهرة، فهناك من يرى ان الدول المصدرة لهذه الكفاءات تحقق نتائج ايجابية، وبالمقابل هناك من يرى فيها ليست سوى عملية استنزاف لمرد رئيس من موارد التنمية تنتج عنها اثار سلبية.

المطلب الاول:العوامل الدافعة لهجرة الكفاءات

تتعدد الاسباب الدافعة لهجرة الكفاءات وتختلف حسب طبيعة وظرف كل بلد على حدة على الرغم من وجود قواسم مشتركة بين معظم الدول المصدرة للعقول العربية والتي تدفع المهاجرين الى التطلع لمغادرة اوطانهم للبحث عن الاوضاع البديلة التي تيسر لهم العيش الرغيد والملاذ الامن من اضطهاد وظروف معيشية هالكة لهم ولعوائلهم في داخل بلدانهم.

ومن اهم هذه الاسباب:

اولاً: العوامل السياسية

تلعب العوامل السياسية في أي بلد دوراً أساسياً ومهماً في عملية هجرة الكفاءات الى الخارج، وخصوصاً اولئك الباحثين دوماً عن حالة الامن والاستقرار، لرفع النتائج العلمي، فكلما حدثت ازيمات اقتصادية واجتماعية وسياسية ساخنة، كلما ازدادت حركة الهجرة لاصحاب الكفاءات العلمية والفنية الى مناطق اكثر اماناً واستقراراً في العالم⁽¹⁾، ان حالة عدم الاستقرار السياسي وما تعنيه من كثرة الاضطرابات وكثرة الانقلابات العسكرية والانتفاضات والحروب المحلية التي بدورها تؤدي الى خلق جواً مشحوناً بالقلق السياسي الذي يؤدي الى حالة من الاضطرابات النفسية والخوف والرعب على الحياة والمستقبل بشكل عام⁽²⁾. فالكفاءات لا تهاجر من بلدانها في سبيل العمل والمال فقط بل في سبيل البحث والابداع في جو تتوفر فيه الحرية الاكاديمية التي حرّموا منها واكتسب تجارب جديدة وايجاد مناخات علمية مرنة ومناسبة للعمل المثمر⁽³⁾. وان مثل هذه الظروف تدفع الكفاءات الى ترك اوطانهم والبحث عن الحرية والاستقرار التي يحتاجها البحث العلمي⁽⁴⁾. ويتضح ذلك جلياً من خلال تتبع حجم الانجازات العملية للكفاءات العربية التي هاجرت الى الخارج بعد ان توفرت لهم كل مستلزمات الراحة والامان والجو الاكاديمي العلمي المناسب. فالقلق السياسي الذي يسود الحياة في المنطقة العربية بشكل عام يعد مسؤولاً عن تهجير الكثير من الكفاءات العملية من البلدان العربية الى الدول الاوروبية⁽⁵⁾ اما فيما يتعلق بضعف المشاركة السياسية لاصحاب الكفاءات العلمية في الحياة السياسية، فانه يمكن القول في هذا المجال، اذا كان العالم في العقدين الاخيرين من القرن الماضي يؤكد على ان الديمقراطية هي اكثر من مجرد وضع دساتير وتصميم اجراءات انتخابية، وانما هي اسلوب حياة وهي عملية تتطلب اعادة تنظيم مؤسسات المجتمع المدني، كما جاء في تقرير التنمية البشرية لعام 1993⁽⁶⁾، فان ذلك يعني من الناحية العملية، ان على الحكومات الوطنية ان تجد السبل لتمكين هؤلاء من المشاركة السياسية بشكل اكبر في الحكم والسماح لهم بأن يمارسوا تأثيراً على القرارات التي تمس حياتهم. فالمشاركة معناها، اشتراك الناس عن كُتب في العمليات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية التي تؤثر في حياتهم اليومية⁽⁷⁾ أي ان يكون لديهم امكانية الوصول باستمرار الى عملية صنع القرار السياسي والى السلطة، وهذا مالا يتوفر في البلدان العربية، حيث يعيش العالم في جو لا يحترم العلم على مستويات السياسة العامة ومصادر تقريرها وبالتالي ضعف دورهم في اتخاذ القرارات⁽⁸⁾. لقد وفر القمع والظلم الاجتماعي والدكتاتورية، قوى دافعة قوية لهجرة الكفاءات، وان اعظم مساهمة يقدمها شخص متعلم الى مجتمعه هي قدراته النقدية والتحليلية، والقمع يجعل من المستحيل على الافراد المساهمة بمواهبهم⁽⁹⁾ وان توافر الحرية والمشاركة ييسر للمجتمع اختيار قيادات ذات توجه انمائي ويفسح المجال لبروز هذه القيادات الفكرية والتعليمية والاقتصادية والمهنية، الى جانب القيادات السياسية التي تشكل معاً صيغة من صيغ الانتظام الاجتماعي وتوسع قاعدة المشاركة⁽¹⁰⁾ غير ان الاهتزاز في الاستقرار الاجتماعي لا يلبث ان ينعكس في مسيرة

التنمية وفي سلامة المؤسسات والاطوار السياسية⁽¹¹⁾. وفي اطار العوامل السياسية، يلعب العامل الاستعماري ايضاً دوره في هذا المجال كعامل جذب للكفاءات الى الدول المتقدمة للاستفادة من خبراتهم من جهة، ومن جهة اخرى زيادة حالة التبعية والتخلف لبلدانهم مستغلاً حالات عدم الاستقرار التي تسود المنطقة العربية. ويتمثل العامل الدولي في جذب كفاءات هذه البلدان من خلال التشريعات المشجعة للهجرة، فمثلاً شرعت الولايات المتحدة الامريكية قانوناً في عام 1965 سمح بموجبه للمهندسين والاطباء والعلماء الاقامة الدائمة ورفعت قيود الهجرة والدخول السابقة، تبعه قانوناً اخر في عام 1968 حذف نظام (الكوته) أي عدد الداخلين من كل بلد، وعد التخصص والمعرفة هو المعيار الاساسي لدخول الشخص الى الولايات المتحدة الامريكية تبعتها كندا واستراليا وفرنسا ايضاً اصدرت قانون يحدد دخول المهاجرين على اصحاب الكفاءات العلمية فقط وهذا القانون صدر في عام 2006⁽¹²⁾.

ثانياً: العوامل الاقتصادية.

تلعب العوامل الاقتصادية دوراً فاعلاً واسباباً في عملية الدفع باتجاه الهجرة للكفاءات العربية، ويؤكد احد التقارير الى ان معظم العلماء والمتقنين اللذين هاجروا خلال السنوات الخمسين الماضية كانت لاسباب مالية وقد اكدت الدراسة ان الدافع الاساسي للزوح هو ايجاد فرص العمل الكبيرة في الخارج والرواتب والامتيازات المغرية للكفاءات من قبل الدول المستقبلية لها وخاصة الاوروبية والولايات المتحدة الامريكية⁽¹³⁾. فمن الطبيعي ان يكون العامل الاقتصادي هو الدافع وخاصة انخفاض مرتباتهم وان التباين بين الاجور التي يحصلون عليها في داخل بلدانهم العربية هي اقل مما يتقاضونه نظرائهم الاجانب الذين يعملون في بلدانهم او يعملون حتى داخل البلدان العربية فالفرق الشاسع في الرواتب، يثني حملة الشهادات الجامعية من العرب عن قبول الوظائف في بلدانهم، حيث يعملون في مؤسسات جنباً الى جنب مع نظيره لاجنبي في المؤهلات نفسها ولكن براتب ادنى بكثير⁽¹⁴⁾.

وعلى الرغم من ان البلدان العربية كانت قد تبنت العديد من المشاريع التنموية التي كان من المؤمل ان تخرجها من دائرة التخلف، الا ان الجانب الاقتصادي لا يزال يعاني الكثير من الصعوبات، وهذا يدفعنا الى القول بان الخلل يكمن في التخطيط التنموي الذي فرض مظاهر خارجية للحداثة دون المساس بجوهر واسباب التخلف، والعجز المستمر في نمط العلاقات المجتمعية والذي ادى الى اضعاف لدور الانسان بشكل كبير، لاسيما المتعلمون والمتخصصون في بناء مجتمعهم⁽¹⁵⁾. ان التنمية في جوهرها عملية تحرير ونهضة حضارية شاملة تقتضي الانعتاق من شبكة علاقات السيطرة (التبعية) التي تربط البلدان المصنعة بالبلدان النامية والعمل على اقامة بنيان اجتماعي-اقتصادي سياسي جديد.. فطاقات البشر في أي مجتمع هي المورد الاول والاهم والتي تعني بناء البشر القادرين على الاضطلاع بالمهام التنموية الاساسية⁽¹⁶⁾. والملاحظ ان ضعف المشاركة لهذه الطاقات البشرية الكفوءة ينعكس على تدني الاحساس بالانتماء ومعاناة الاغتراب

داخل الوطن⁽¹⁷⁾، فالأوضاع والظروف الاقتصادية المتردية، مضافاً إليها ارتفاع مستوى المعيشة الذي لم يرافقه زيادة في الدخل، أو زيادة بسيطة تدفع بالكفاءات الى البحث عن ظروف وفرص أخرى. وخلاصة القول ان عجز الاقتصاد العربي وتخلفه اذن يشكل احد العوامل الرئيسية التي تدفع الى هجرة العقول .

ثالثاً: العوامل الاجتماعية.

تشترك العوامل الاجتماعية في تأثيرها الدافع لهجرة الكفاءات العلمية، ومن بين ذلك تفضيل الاجنبي على العربي سوء المعاملة في الوظيفة والعلاقة مع الرؤساء فلا يكفي الجانب المادي لمعيشة الفرد في المجتمع عيشة انسانية راضية وامنة، في ظل علاقات اجتماعية، مستقرة ومتوائمة، فهناك جوانب روحية ومعنوية واخلاقية وفكرية، تتصل بهذه العلاقات وبالمجتمع وبالفرد نفسه⁽¹⁸⁾. فغاية التنمية هي رفع المستوى المعيشي والثقافي والمعنوي للفرد في المجتمع⁽¹⁹⁾. وتلعب عوامل اجتماعية عديدة اخرى، ادواراً مختلفة في الدفع للهجرة ومن بين هذه العوامل، ادراك اصحاب الكفاءات، ان لبعض الوظائف تحديات مقصورة على فئة او طائفة من المواطنين ذات النفوذ السياسي او الاجتماعي بغض النظر عن المؤهلات العلمية. ويبرز ذلك واضحاً في بعض البلدان العربية، حيث ان الحصول على مركز مناسب لا يتوقف على اعتبارات علمية وانما على اعتبارات اخرى كالانتماء القبلي او العائلي او السياسي او الطائفي. وفي بعض الاقطار العربية نجد ان الوظائف الحكومية توزع على الطوائف لارضاء كل منها⁽²⁰⁾. وفي مجال التوظيف، نجد ان اخطر ما يواجهه اصحاب الكفاءات في بعض البلدان العربية هو وضع الرجل المناسب في المكان غير المناسب. وثمة عامل آخر من العوامل الاجتماعية يتمثل في عدم تقدير العلم والعلماء، ومن الملاحظ ان البلدان العربية لا تقدر قيمة العلم والعلماء.

وخلاصة القول هي ان العوامل الاجتماعية تلعب دوراً مهماً في بلورة عملية الهجرة ونجد ان عدم توافر الكثير من هذه العوامل قد شكل اساساً في عملية الهجرة.

المطلب الثاني: العوامل المشجعة على الهجرة

كثيرة هي الاسباب التي يمكننا ان نعزو إليها ظاهرة الهجرة، وعلينا ان نتذكر ابتداءً، انها نتاج تراكم طويل من الزمن يمتد الى عشرات او ربما مئات السنين، ولقد كتب كثيراً في هذا المجال، غير اننا سنحاول هنا تلخيص ما يمكن اعتباره اسباباً اساسية ورئيسية وهي:

اولاً:-العوامل الداخلية:

وهي العوامل التي نشأت داخل المجتمع العربي وافرزتها عصور الاستعمار والظلم والاستبداد الذي خلفته حتى اليوم وتتجلى في عدة امور منها:-

1. افقار الشعوب وفقرها، اذ غالباً ما كان الفقر حالة ذاتية بسبب سوء مشاريع التنمية، واحياناً بسببه الدكتاتوريات التي اتخذت الفقر وسيلة لاذلال الشعوب واخضاعها، مما دفع بالعلماء كغيرهم من فئات المجتمع الى الانشغال بكسب لقمة

عيشهم، وعدم استطاعتهم متابعة البحث العلمي اصلاً في حقبة الاستعمار، وهذا ولد بالتالي اجيالاً لا تقرأ ولا تكتب ولا تهتم بالعلم ولا بالعلماء، ويوضح ذلك ارتفاع نسبة الامية وازديادها الدائم⁽²¹⁾ وبطبيعة الحال ادى هذا الى هجرة العلماء للبحث عن هذه الوسائل المساعدة في البحث العلمي والمحرومين منها والموجودة في الدول الغربية.

2. الضعف الشديد في البنية وعدم تطويرها لتلائم التقدم التكنولوجي السريع في العالم⁽²²⁾.

3. ضعف ادارة الثروات الطبيعية، فالعديد من الدول الاسلامية تمتلك ثروات طبيعية هائلة ولكنها للأسف لم تستطع استغلالها كما يجب، ولم تحاول انشاء بنية تحتية قوية تؤهلها لدخول ميادين العلم والتكنولوجيا، ولاستثمار طاقاتها البشرية والمادية الضخمة الموجودة لديها، فكثير منها مشغولة بصراعاتها السياسية والقبلية والسيطرة على كراسي الحكم، وغالباً ما تتخذ موارد البلاد (خرجاً)⁽²³⁾ للمتفذين، وتتحول ثروات البلاد الى سوق مضاربات للعائلة الحاكمة، وترك العلماء والكفاءات العلمية دون اية رعاية واهتمام.

4. ضعف الاستثمار الاجنبي، بسبب عدم وجود ضمانات سياسية واقتصادية تتيح للمستثمرين جلب التكنولوجيا المتطورة في المشاريع التنموية.

5. تهميش البحث العلمي، فما تزال الحكومات العربية تنظر الى البحث العلمي، بانه يجب ان يكون اخر قائمة الاهتمامات، انها تشعر بان الاستفادة من نتائجه تكون على المدى البعيد، وهي مشغولة بالوضع الراهن، كما ان البحث العلمي (ليس التكنولوجي فحسب) يتطلب مناخاً كبيراً من الحرية، لا تستطيع ان تبدع في ظل منطق الدولة البوليسية والدخل الامني.

6. الارهاب الفكري الذي يمارس على العقول المبدعة والمفكرة من قبل جهات عدة (داخلية وخارجية) عن طريق فرض قيود شديدة على التفكير وحرية الرأي، وكذلك الامر في احتكار الدولة لمعظم وسائل الاعلام، ومراكز البحث العلمي، وفرض منهجها وولاءها على المثقفين والكتاب والعلماء والدارسين والباحثين.

7. عدم وجود النية الصادقة من الحكومات العربية في السير بشعوبها نحو التقدم والحضارة واتخاذ القرار السياسي الجريء الذي يزيل العقبات عن طريق من يحاول ذلك.

8. عدم وجود الحرية الكافية لانشاء مؤسسات خاصة تنتج التكنولوجيا واحتكار مثل هذه المشاريع مجاميع معينة من متفذيها، اذ يتم احتكار القوانين وتفصيلها على قدر اشخاص محددين سنفيدون منها⁽²⁴⁾.

ثانياً: العوامل الخارجية:

على الرغم من وقوف الدول الغربية ضد هجرة مواطني الدول النامية اليها، الا انها تتبنى سياسات مخططة ومدروسة بدقة لاجتذاب اصحاب الكفاءات والمهارات الخاصة

من هذه الدول، وعلى سبيل المثال، اصدر الكونكرس الامريكى قراراً بزيادة تصريحات الحصول على بطاقة الإقامة للخريجين الاجانب في مجالات التكنولوجيا المتطورة من (90) الفاً في السنة الى (150) الف ثم الى (210) الف خلال العام (2005)⁽²⁵⁾. كما تهيء الدول الرأسمالية المتقدمة المحيط العلمي الاكثر تقدماً والذي يحفز على مواصلة البحث والتطوير وزيادة الخبرات حيث، ان ظروف العمل في البلدان المتقدمة وسيلة لتحقيق الطموحات العلمية بما توفره من فرص للبحث العلمي ووسائله المختلفة وتوفر الثروات المادية الضخمة التي تمكنها من تحويل فرص عمل هامة ومجزية مادياً وتشكل اغراء قوياً للعقول العربية بما توفره من مستوى معاشي ممتاز و ضمانات اجتماعية وخدماتها العديدة، فضلاً عن توفر كل وسائل الاستهلاك والرفاه المادي وتسهيلات⁽²⁶⁾.

المطلب الثالث: الآثار المترتبة لهجرة الكفاءات على الوطن العربي
يكثر الخلاف في وجهات النظر حول ما هي الفائدة، او الخسارة الواقعة على البلدان العربية، والتدابير المطلوبة للحد من ظاهرة هجرة الكفاءات، حيث تمثل الهجرة عملية خطف واستلاب للثروة البشرية النادرة في البلاد العربية، وبالنتيجة هي اضعاف لطاقات القوى المنتجة للاقتصاد وازدياد ندرة الكفاءات⁽²⁷⁾.
اولاً: الآثار السلبية.

سنحاول في هذا الجانب تلمس مضر الهجرة في واقع انعكاساتها الاقتصادية على البلدان العربية التي تعاني من هجرة كفاءاتها باعتبارها شكلاً من اشكال تصدير رأس المال الذي يعد احد عناصر الانتاج الرئيسية لان الهجرة تحرم التنمية من هذه العناصر الضرورية للتطور والتقدم والخروج من التخلف بكافة اشكاله.

1. انعكاس الهجرة على الاستثمار الوطني
تعد هجرة الكفاءات العربية، خسارة كبيرة في شتى مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية. ومما لا يقبل الجدل، ان قيمة العلماء ذوي الاختصاصات تتجاوز كل الحسابات المادية.

2. خسارة رأس المال البشري
ان هجرة الكفاءات العلمية من البلدان العربية الى الدول الاخرى هي خسارة لاكثر الطاقات قيمة واغلاها ثمناً، فرأس المال البشري هو اهم عوامل التنمية الاقتصادية. فالخسائر التي تلحق بالافطار العربية نتيجة فقدانها معظم الكفاءات العلمية القادرة على القيادة والتنظيم، ربما كانت اعظم الخسائر جميعاً، لان تقدير تلك الخسائر امر غير ممكن من الناحية العملية⁽²⁸⁾. وفي الواقع ان أي بلد لا يمكن ان ينهض وينمو اقتصادياً الا باستخدام الطاقات البشرية، المتعلمة واستثمارها في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية⁽²⁹⁾. وخسارة الطاقات البشرية، تخفض القدرات الفكرية في البلدان المعنية واستمرار تدفق الطاقات البشرية المتخصصة من البلدان العربية يعد احد اعراض ازمتها التنموية.

ثانياً: الآثار الايجابية

من المسلم به، ان حركة تنقل العلماء والفلاسفة والمفكرين، عبر العصور، من بلد لآخر، يعد جزءاً من تقدم الانسان وتطور تاريخه الثقافي والعلمي على مر الاجيال. وفي هذا الصدد ابرزت دراسة اعدتها مصر، هذه الناحية الجوهرية للهجرة العلمية والثقافية واعتبرت الدراسة انها اعارت "تمثل التزامات ادبية" كما انها تتماشى مع مبادئ الاخوة الانسانية ومبادئ التعاون الدولي⁽³⁰⁾. ان هذه الدراسة تنسجم مع ما خلصت اليه منظمة اليونسكو في ندوتها عن الهجرة وفوائدها الايجابية عام 1955، حيث جاء فيها، ان الهجرة اثر من آثار التضامن الانساني⁽³¹⁾. وفي ضوء ذلك هناك من يرى للهجرة فوائد عدة:-

1. انهم الى جانب الكفاءات المماثلة لهم يبرهنون على السنة الالهية الجليلة الواضحة في ان التفوق والابداع ليسا حكراً على جنس او لون او بلد او جينات تميز قومياً عن قوم اخرين، او ان الذكاء حكر على اهل الشمال دون اهل الجنوب.
2. انهم قوة علمية يمكن الاستفادة منها للدفاع عن مصالح العالم العربي وتعزيز الحوار الحضاري والتبادل الثقافي على الصعيد العالمي، واعتبار الكفاءات المهاجرة عناصر قوة لهذا الغرض ودعائم للتنمية والتقدم⁽³²⁾.
3. ان الطاقة البشرية الرفيعة المستوى مكلفة وتنطوي على نفقات عامة او غير مباشرة. ووفقاً لهذا الرأي، فان الهجرة شكل غير مباشر من اشكال المعونة الخارجية⁽³³⁾ كما ان انتقال العلماء الى بيئات متطورة ومتقدمة علمياً تنمي عقولهم ويمكن ان تعطي نتاجاً علمياً اكبر، وربما افضل من بقائهم في مجتمعات اعجز من ان تنمي عقولهم⁽³⁴⁾ اما وجهة النظر الاقتصادية فترى، ان الهجرة لكفاءات نشيطة وفعالة تتيح لها، كسب عيشها، مما يضمن تجنب الازمات والمآسي الاقتصادية فيما لو بقيت هذه العناصر المتعلمة او المدربة عاطلة عن العمل والانتاج في الساحة العربية. كما تؤمن الهجرة ايضاً دخلاً ضرورياً لسد بعض العجز في ميزان المدفوعات، ولاعالة قسم من العائلات العربية الباقية في الوطن⁽³⁵⁾ فالمهاجر يقوم بتحويل ما يستطيع ادخاره من دخله الى بلده الاصلي، خاصة اذا كانت الهجرة وفق قوانين البلاد التي يعمل فيها لا تسمح له بحرية استثمار امواله⁽³⁶⁾.

المطلب الرابع: هجرة الكفاءات العراقية

إن هجرة العقول العراقية ليست بالظاهرة الجديدة فمنذ اندلاع الحرب العراقية - الإيرانية عام 1980 م، ومغامرة احتلال الكويت والحصار الذي تبعه أصبح العراق بلداً غير آمن للكثير من الكفاءات والعقول العراقية نتيجة تعطل القوانين وانتشار قوانين عسكرة الدولة والمجتمع مما شكل دافعاً وسبباً قوياً لهجرة العديد من العقول والكفاءات العراقية، التي لا يمكن أن تعيش في ظل أجواء العسكرة وفقدان الشعور بالأمن والاستقرار.

حيث سيق العديد من حملة الشهادات العليا والأطباء والمهندسين والعقول في مختلف التخصصات إلى محرقة الحرب العراقية - الإيرانية تحت اسم الدفاع عن الوطن من الخطر الخارجي.

ثم جاء الاحتلال الأمريكي للعراق في ابريل نيسان 2003 م ومعه الارهاب والصراعات الطائفية والعرقية والدينية والتي ساهمت بشكل او بآخر بتفاقم ظاهرة الهجرة لأعداد كبيرة من العقول العراقية، فضلاً عن شرائح وفئات أخرى.

من هنا فقد كانت الهجرة التي شهدتها العراق وغيره من بلدان الشرق الاوسط استنزافاً لطاقات وامكانات بشرية كان يمكن استثمارها ليس فقط في عملية التنمية والتطور بل وفي ترسيخ وصيانة الأمن المجتمعي في بلدانهم. وعليه كانت الهجرة شكلاً من اشكال التهديد للأمن والاستقرار الاجتماعي ليس فقط للبلد الذي تركه المهاجرون بل لمجتمعات البلدان التي قصدوا التوطن والاستقرار فيها فهي تمثل شكلاً من أشكال الضغوط على شروط الحياة الآمنة والكرامة بسبب ارتباطها بالعديد من الجرائم كتجارة البشر وتهريب المهاجرين عبر البر والبحر الجو، اضافة الى معاضل الاندماج الثقافي في المجتمعات التي تستقبل المهاجرين اليها.

ومن الجدير بالذكر أن كل الاحداث التي مرت بالعراق في العقود الثلاث الاخيرة من القرن العشرين تترك لنا العديد من المؤشرات التي تدل على أن استنزاف العقول والكفاءات العراقية ودفعها الى مغادرة البلاد والهجرة الى أماكن أخرى تكون محددة أحياناً، لم تكن عملية عفوية بل كانت عملية مخطط لها من قبل جهات أجنبية كانت تستهدف اضعاف العراق وتهديد أمنه المجتمعي من خلال افراغه من النخب الثقافية والعلمية والكفاءات، التي كان المجتمع العراقي يعتمد عليها في بناء نهضته وتطوره.

سنتناول في هذا المطلب محورين، الاول بعنوان اسباب ودوافع هجرة الكفاءات اما المحور الثاني سنتطرق فيه الى الآثار السياسية والاقتصادية للهجرة.

اولاً: الاسباب والدوافع

ثانياً: الآثار السياسية والاقتصادية لهجرة الكفاءات

اولاً: الاسباب والدوافع

كثيرة هي الاسباب التي ادت الى هجرة الكفاءات العراقية نذكر منها:

1. يشكل العامل السياسي والاقتصادي للمدة من 1991-2003م، والذي نتج عنه حرب الخليج والتداعيات التي حصلت على العراق داخليا وخارجيا اهم العوامل التي ادت الى هجرة الكفاءات العراقية ، فبسبب ظروف الحصار انذاك غادر لقيف من الاساتذة الجامعيين وكذلك الفنيين والاطباء والمهندسين بهدف تحسين مدخولاتهم الشهرية، وقد تميزت ليبيا واليمن عن غيرهما من الدول العربية في استقطاب مثل هذه الكفاءات العراقية، كما وشهد الاردن هجرة عدد من العلماء العراقيين الذين وجدوا مجالات رحبة للعمل في الجامعات الاردنية التي كانت قد فتحت في عقد التسعينات(37).
2. استمرار هذه الهجرة حتى بعد التغيير السياسي عام 2003 م، وذلك بسبب غياب الامن وعدم الاستقرار السياسي والاداري فالمناخات السياسية المستقرة من اهم العوامل المشجعة على البقاء والعمل داخل البلاد لما توفره من احساس بالامان والانتماء للمجموعة الوطنية وما يتطلبه ذلك من روح العطاء والتضحية رغم الاغراءات المالية في الخارج(38).
3. فرص العمل التي باتت تتحكم بها الاحزاب السياسية واعتماد المحاصصة كآلية لادارة الدولة والتي حرمت الكثير من العراقيين من الحصول على تعيين والوصول الى مراكز متقدمة، فقد تم اقتسام المناصب الحكومية بين الكتل والاحزاب وتعيين اصحاب الولاءات الخاصة بهم واقصاء كل وطني يحاول الوصول الى مناصب خارج سياق الطائفية والحزبية، كذلك اقصاء اصحاب الكفاءات من المكونات مثل الكلدان والايزيديين والصابنة، كل هذه جعلت من الهجرة الملاذ الامن امامهم(39).
4. هناك سبب في غاية الاهمية، الا وهو تعرض الكفاءات الى الاغتيالات واستخدام وسائل التهديد المباشر لاجبارهم على مغادرة العراق، مما عكس خسارة فادحة واستنزاف لعقول نادرة ومؤثرة في المجتمع اذ تمثل اقتطاعا من حجم القوة العلمية والايدي العاملة الماهرة كالاطباء والمهندسين والاساتذة الجامعيين من مختلف الاختصاصات والتي تشكل ثروة وطنية، وازافة الى استهداف الكفاءات جسديا فقد لعبت التفجيرات دورها في دفع الكفاءات للهجرة بحثا عن سلامتهم الشخصية والعائلية(40).
5. البطالة المنتشرة بين اغلب خريجي الكليات والمعاهد العليا بسبب فقدان التنسيق ما بين احتياجات السوق المحلية من العمالة الكفوءة الماهرة وما بين اعداد الخريجين الذي يتضاعف عاما بعد اخر مسببا ارتفاعا متزايدا في اعداد العاطلين عن العمل.
6. قلة الاتفاق على البحث العلمي متمثلة في ضعف ميزانيات البحوث العلمية المخصصة من قبل الدولة، مما لاشك فيه ان العالم المتقدم ينفق بسخاء بالغ على المؤسسات البحثية والمراكز العلمية لان سر قوته تكمن في معارفه في ميادين

العلوم المختلفة، مع ادراكه الشديد وفق حسابات استثمارية دقيقة ان العائدات الاقتصادية المتحققة هي ستكون اعلى بكثير من حجم النفقات التي صرفت على الاستثمارات البشرية وتنميتها في داخل انظمتهم التعليمية، لم يعد الامر سرا على كل ذي بصيرة فقد تنبّهت الى ذلك دولا اخرى غير التي اعتدنا عليها من دول التي باتت تهدد مناطق استقطاب المعرفة التقليدية مثل الولايات المتحدة وكندا العالم المتقدم الا وهي دول اسيا والدول الاوربية⁽⁴¹⁾.

7. العمليات التي قادها العراق ضد الإرهاب، والتي ادت إلى عسكرة البلاد واستنزاف الطاقات، وخسائر اقتصادية هائلة، وسوء الإدارة، جعلت العديد من الكفاءات يتجه إلى الهجرة لدول الغرب تحت تأثير المغريات التي تطرحها بعض هذه الدول⁽⁴²⁾.

8. ضعف المردود المادي لإصحاب الكفاءات العلمية

9. توفير العديد من عناصر الجذب المادي والعلمي في الدول المتقدمة⁽⁴³⁾

10. انعكست القوانين والبيروقراطية والمحيط الاجتماعي غير الودي والذي تسوده العشائرية والطائفية بشكل سلبي عليها والذي بدوره ولد شعور حقيقي بالغربة داخل الوطن مما دفعها للتفكير بالهجرة خارج العراق⁽⁴⁴⁾.

ثانيا الاثار السياسية والاقتصادية

تترتب على هجرة الكفاءات العراقية العديد من النتائج والانعكاسات على عملية التنمية بكافة جوانبها، إضافة إلى ما يترتب عليها من أثار من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعلمية، فهناك من يرى أن الدول المصدرة لهذه الكفاءات تحقق نتائج ايجابية، في حين أن هناك من يرى أن هجرتها للخارج ليست سوى عملية استنزاف لمورد مهم من موارد التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعلمية، تنتج عنها آثار سلبية تؤثر على الأمن الوطني.

1-الاثار السياسية

ان فئة الكفاءات في المجتمعات النامية يمكن ان تفرز شريحة قوية تتبنى عن اقتناع مبدا العمل لتطوير مجتمعاتها، وتقوم بتضحية وانكار ذات يفصلانها عن مصالحها الذاتية، وان كان يتحقق لاعضاءها خلال ذلك اشباع معنوي لا تعادله مصلحة مادية، ويكون لنشوء هذه الطليعة المثقفة مردود كبير في دفع عجلة التقدم، وعلى العكس من ذلك، فان افتقاد هذه الكفاءات يعني تلقائيا شللا للعناصر التنظيمية والقيادية والادارية للمجتمع، فغيابها يؤدي الى هبوط الانتاج في المجتمع وحدوث التصدعات فيه⁽⁴⁵⁾.

وإذا نظرنا الى العراق قبل عام 2003م، نلمس فشلا في ادارة موارده التي يمتلكها سواء النفطية او الثروات الاخرى، مما انعكس سلبا على تقدمه، والسبب في ذلك يعود الى غياب القيادات من ذوي الكفاءات وعدم مشاركتها بأي قرار.

ومن جانب اخر نجد ان المشاكل السياسية الناجمة من عدم الاستقرار السياسي بعد عام 2003م، سببه غياب القادة من اصحاب الكفاءات والرأي والعلم، ودخول اشخاص ذوي

كفاءات متواضعة او قد تكون معدومة في بعض الشخصيات، مما ادى الى انعكاس هذه المشاكل على الواقع العراقي وخاصة من ناحية الفساد الاداري في مؤسسات الدولة، بالإضافة الى المشاكل الاجتماعية المرتبطة بالطبقية والبطالة والاحتكار والتضخم والفقر والمشاكل الاقتصادية المرتبطة بانخفاض مستوى المعيشة⁽⁴⁶⁾.

فالكفاءات في مفاصل الدولة المهمة، وخاصة السياسية منها كلا حسب اختصاصه من اهم ما يحتاجه العراق لكي يتجاوز ظروفه الحالية وافرازاتها التي ظهرت على الساحة.

2- الآثار الاقتصادية

من اهم الثروات الوطنية هي الراسمال البشري، فكثير من الدول تفوقت حضاريا بسبب نجاحها في استثمار مواردها البشرية، بينما فشلت الثروات الطبيعية في كثير من الاحيان في تحويل البشر الى شعوب منتجة اذا لم يتم استغلالها من اجل ذلك، وهو ما يعد اشبه بالتحدي الحقيقي امام المجتمع العراقي وتعتبر من اهم العوامل المؤثرة على تطور الاقتصاد الوطني.

وتكتسب هذه الظاهرة اهمية متزايدة في ظل تزايد اعداد المهاجرين ولاسيما من الكوادر العلمية المتخصصة لما تفرزه من اثار سلبية على واقع ومستقبل التنمية⁽⁴⁷⁾.

فهجرة الكفاءات العراقية تمثل اقتطاعا من القوى العاملة الهامة التي يحتاجها العراق، وينتج عنها تخريب للقوى المنتجة للاقتصاد الوطني والذي يعد جزءا مهما من الامن الوطني، ويؤدي الى نقل راسمالها البشري الذي كان بإمكانه ان يسهم في تنمية العراق اقتصاديا واجتماعيا وتحويله من بلد نامي الى بلد متقدم من خلال المساهمة في اعادة بنيته واعمارها من كافة الجوانب، فلقد كان للكفاءات العراقية دورا كبيرا في اعادة وتأهيل البنية التحتية التي دمرت بعد حرب الخليج عام 1991م، فالصراع الحالي هو صراع عقول واختراعات وابتكار وتنافس اقتصادي، وقوة الدولة تأتي من حرية شعوبها ومشاركته بالحكم ومساهمته باتخاذ القرار وقوة اقتصادها وهذا يتمثل بالعنصر البشري اي الكفاءات⁽⁴⁸⁾.

وتشكل هجرة الكفاءات انعكاسا على الواقع العلمي والتكنولوجي العراقي نتيجة التبعية التكنولوجية الخارجية وتخلف القدرة الذاتية في المجال العلمي والتكنولوجي لعدم القدرة على

القيام بالابحاث العلمية الانتاجية بالرغم من وجود مراكز للبحث العلمي والاعتماد على الابحاث النظرية لأغراض الترقية الوظيفية وبالتالي فان هذه الابحاث ستبقى حبرا على الورق ولا يمكن الاستفادة منها في عملية التنمية.

من جانب اخر، تترتب على عملية استيراد التكنولوجيا بسبب عدم وجود الكفاءات التي تنتجها اثار اقتصادية وسياسية، فقد تؤدي التكنولوجيا المستوردة الى تحسين الاوضاع التكنولوجية الا ان ذلك يتم بتكاليف باهضة⁽⁴⁹⁾.

وملخص القول، هناك علاقة مهمة ذات تأثير متبادل بين هجرة الكفاءات والتنمية، ففي حال استمرار عجز الدول ومنها العراق عن خلق الظروف الكفيلة لوقف هذه الظاهرة،

فان مسيرة التنمية ستظل متعثرة ومعطلة، وكلما تأخر تحقيق اهداف التنمية كلما ازدادت الهجرة وحرم العراق من كفاءاته وكوادره القادرة على تطويره، وباستمرارها تزداد الهوة الحضارية والعلمية بين العراق وغيره من الدول ويؤدي الى تراجع مستويات التنمية واستمرار استيراد الخبرات الاجنبية لسد النقص الحاصل، والتكلفة المالية المرتفعة التي تسدد لهم نظير خدماتهم .

الخاتمة

يتضح لنا مما سبق عرضه في هذه الدراسة، الى ان هجرة الكفاءات، تشكل خطراً كبيراً في استنزاف الكثير من الطاقات والكفاءات العربية، التي يمكن ان تؤدي دوراً وطنياً مهماً في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية. ولقد لعبت عوامل عدة في دفع الكفاءات الى الهجرة، منها ما كان سياسياً ومنها اقتصادياً واخرى اجتماعية وتقنية وكانت لحالة التخلف التي يعيشها الوطن العربي في ميادين التربية والتعليم اثره في ذلك ايضاً. واذ يشكل تنقل العلماء والباحثين مغزى للبلدان العربية في إطار النشاط العلمي بما يكتسبه من مهارات فنية وعلمية وفوائد اقتصادية الا انه مع ذلك يتعين على البلدان العربية في نهاية المطاف تجميع مواردها وطاقاتها البشرية ذات المستوى الرفيع من العلم لأنه لا يمكن لاي بلد في الوطن العربي، ان يكون مكتفياً ذاتياً بالنسبة لمتطلبات الطاقة البشرية. وكجزء لا يتجزء عن الوطن العربي فقد نال العراق نصيباً من هذه الظاهرة التي تفاقمت لاسيما في العقدين الماضيين، بسبب اللاستقرار السياسي وتدهور الاوضاع الامنية بعد التغيير السياسي عام 2003م.

وعلى الرغم من وجود اثار ايجابية لها والتي من اهمها التحويلات المالية، لكن هذه الاموال لا تضاهي ما يفقده العراق من طاقات يصعب تعويضها، فهي تشكل حاجزا كبيرا في طريق التنمية، فبالاضافة الى الخسائر المادية فأنها تؤدي الى استنزاف الثروة البشرية والتي لا تقدر بثمن، وهي الاله من بين العوامل الضرورية للنهوض بتنمية حقيقية متينة الاسس قابلة للتطور والاستمرار، وجميعها تنعكس على الاقتصاد العراقي مضافا اليها انخفاض الرصيد المعرفي.

التوصيات

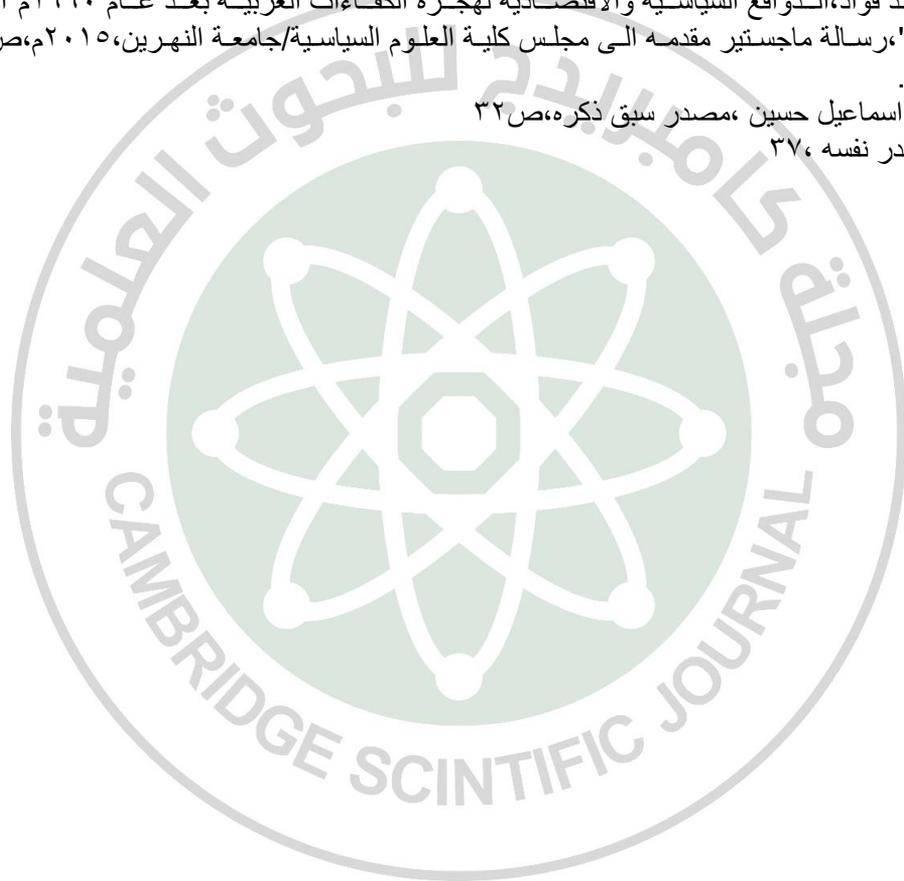
1. دعوة الاحزاب والتنظيمات السياسية والدينية كافة لاحترام حرمة الجامعات وعدم استخدامها كمنابر لدعاياتهم ونشاطاتهم وحملاتهم السياسية والدينية ومناشدة المراجع الدينية باصدار فتوى تحرم قتل الاساتذة والعلماء لأنهم ثروة وطنية من الصعوبة تعويضها.
2. التأكيد على ان الجامعات "حرم أمن" وعلى الاجهزة الامنية والعسكرية مراعاة ذلك واحترامه، مع تأكيد التلازم العضوي بأن الامن الأكاديمي جزء من حالة الامن في العراق.
3. مطالبة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ابداء الرعاية الخاصة لا بناء وعوائل الأكاديميين الشهداء وشمولهم بالحقوق التقاعدية وتسهيل تأهيلهم.

4. ترسيخ مبدأ الوحدة الوطنية وتجاوز الخلافات ونبذ عوامل الفرقة والانشقاق والتميز بين الاساتذة وجعل معيار الكفاءة هو الاساس في التعيين وتولي المناصب الادارية.
 5. كفاءة الحريات الاكاديمية وتعزيز حقوق الاستاذ الجامعي في طرح الرأي داخل الحرم الجامعي، والعمل على وضع تشريعات تكفل حرية البحث والتفكير والتعبير في المؤسسات الاكاديمية.
 6. التركيز على تدريب وتعليم العناصر لخدمة احتياجات السوق الداخلية بدلاً من تلبيتها احتياجات السوق الخارجية.
 7. استحداث قانون لحماية الكفاءات.
 8. تقديم مكافآت مالية سنوية للكفاءات المتميزة.
 9. تشريع قانون خاص لعودة الكفاءات العراقية.
 10. رصد ميزانية مناسبة للبحث والتطوير العلمي.
 11. بناء مجمعات سكنية بالقرب من الجامعات والمؤسسات وتأمين الحماية المناسبة لها.
 12. العمل على وضع الشخص المناسب في المكان المناسب في كافة مؤسسات الدولة.
 13. ضرورة التخلي عن مبدأ المحاصصة السياسية لما له من انعكاسات سلبية.
 14. تعزيز الثقة بين قادة الاحزاب السياسية لما في ذلك من مصلحة للعراق ارضا وشعبا.
- المصادر

- 1 - الياس زين. اثارنزيف الادمغة على الامة العربية، مجلة المستقبل العربي العدد9، السنة 1978م، ص51.
 - 2 - نداء مطشر صادق، هجرة الكفاءات العربية، اسبابها ونتائجها، مجلة الامن القومي العدد 3، السنة 1978م، ص132-ص133.
 - 3 - الياس زين، هجرة الادمغة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1972م، ص114
 - 4 - كريمة عبد الرحيم حسن، اثر عدم الاستقرار السياسي على التنمية في العالم الثالث، مشكلات وتجارب التنمية في العالم الثالث، مطبعة دار الحكمة، 1990م، ص75.
 - 5 - الياس زين، هجرة الادمغة العربية، المصدر السابق، ص114.
 - 6 - تقرير التنمية البشرية لعام 1993م، برنامج الامم المتحدة الانمائي، ص90
 - 7 - المصدر نفسه، ص21.
 - 8 - نداء مطشر، المصدر السابق، ص133.
 - 9 - المصدر نفسه، ص133.
 - 10 - يوسف الصايغ، التنمية العربية والمثلث الحرج، ندوة التنمية العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الاولى 1984م، ص109، ص110.
 - 11 - المصدر نفسه، ص109، ص110.
 - 12 htm هجرة العقول /suaad/My DocuMents/ Settings/ Document sand File//c:/ 2/8/2006
 - 13 - استراتيجية الاستفادة من الكفاءات المسلمة في الغرب.
- <http://www.lsesco.orq.Ma/arabie/strat/kafaat/p6.htm.9/8/2006>

- 14 -الان فيثقر، الكفاءات العلمية العربية في الولايات المتحدة، هجرة الكفاءات العربية مركز دراسات الوحدة العربية، ص214.
- 15 - نداء مطشر، المصدر السابق، ص39.
- 16 - نادر فرجاني، التنمية العربية بين الامكانات والهدر، مجلة المستقبل العربي العدد 24 بيروت، 1981م، ص22.
- 17 -المصدر نفسه، ص30، ص31.
- 18 -احمد قائد بركات، مآزق التنمية، ونظرة خاصة الى اليمن والتنمية العربية، دار الفكر-دمشق، الطبعة الاولى، 1988م، ص42
- 19 - المصدر نفسه، ص40
- 20 -الياس زين، هجرة الادمغة العربية، المصدر السابق، ص98.
- 21 ،http://www. A/wihdah.com/view. Asp? Cat=landid=1421، مجلة الوحدة الاسلامية 21 218I2006.
- 22 -المصدر نفسه
- 23 Htt://www. Kitabat. Com/ a/nadawi-k-l.htm 7/8/2006
- 24 - احمد القديري، ، العرب والفتح التكنولوجي ، صحيفة الوطن 2003/1/15م.
- 25 - مجلة البلاغ، 2006/3/9.
- 26 -مجلة الاتحاد البرلماني العربي، السنة 22، العدد 1982، كانون الاول 2001، ص2.
- 27 -فاطمة زهرة افريحا، عوامل هجرة الكفاءات في الجزائر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، 1982 ، ص163.
- 28 -محمد هشام خواجيه، استنزاف العقول العربية، نتائج الظاهرة واسبابها السياسية والاجتماعية، مجلة المستقبل العربي، العدد 22، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1980م، ص43.
- 29 -عثمان الحسن محمد نور، هجرة السودانيين للاقطار العربية النفطية، عواملها، اثارها، مستقبلها مجلة المستقبل العربي، العدد 87، السنة 1986، ص137.
- 30 - الياس زين ، هجرة الادمغة العربية، مصدر سبق ذكره، ص60.
- 31 -المصدر نفسه، ص60-ص61.
- 32- <http://www. sesco. Orq.Ma/arabie/strat/kafaat/p6.htm>.9/8/2006.
- 33 -انطوان زحلان، هجرة الكفاءات العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1982، ص16
- 34 -الياس زين، اثار نزيف الادمغة على الامة العربية، مصدر سبق ذكره، ص75.
- 35 -المصدر نفسه، ص75.
- 36 -محمد هشام خواجيه، استنزاف العقول العربية، المصدر السابق، ص44.
- 37_ مثنى عبد الرزاق العمر ،هجره الكفاءات العراقيه،مجله اراء حول الخليج،كانون الاول ،٢٠٠٦، ص١٣
- ٣٨-ناظم الجواهري ،لماذا تستمر هجره الكفاءات العلمية الى الخارج؟،جريده المؤتمر،العدد٤١٠٢،شباط ٢٠٠٦.
- ٣٩- حمد جاسم محمد،ظاهره هجره الكفاءات العراقيه "الاسباب والمعالجات"،مركز الفرات للتنمية والدراسات الاستراتيجية،بلا، ٢٠١٦، ص٢٤.
- ٤٠- مثنى عبد الرزاق العمر ،مصدر سبق ذكره، ص١٣.

- ٤١- احمد الليثي، البطالة في العالم العربي: اسباب وتحديات، مجلة جسور الثقافية، العدد ٨، السنة الاولى، تشرين الاول ٢٠٠٩، ص ٢٠.
- ٤٢- براكيكي كويتا، الانفاق على المعرفة، جريده الشرق الاوسط، العدد ١٠٢٨٦، كانون الثاني ٢٠٠٧.
- ٤٣- حمد جاسم محمد، مصدر سبق ذكره، ص ١٤.
- ٤٤- عمر اسماعيل حسين، هجره الكفاءات العراقية واثرها على الاقتصاد الوطني، دراسة مقدمه الى الدائره الاقتصادية في وزاره المالية العراقية، بغداد، ٢٠١٢، ص ٢٠.
- ٤٥- نادر فرجاني، هجره الكفاءات من الوطن العربي في منظور استراتيجية لتطوير التعليم العالي، مركز المشكاة للبحث، مصر، ٢٠٠٠م، ص ٧٢.
- ٤٦- عمر اسماعيل حسين، مصدر سبق ذكره، ٣٩.
- ٤٧- احمد فؤاد، الدوافع السياسية والاقتصادية لهجرة الكفاءات العربية بعد عام ١٩٩٠م "العراق انموذجاً"، رسالة ماجستير مقدمه الى مجلس كلية العلوم السياسية/جامعة النهرين، ٢٠١٥م، ص ١٣٩ وما بعدها.
- ٤٨- عمر اسماعيل حسين، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢.
- ٤٩- المصدر نفسه، ٣٧.



القيم الاجتماعية في النص المسرحي الكويتي

أ.م. د حسن عبدالمنعم عبد المحسن

مركز دراسات البصرة والخليج العربي

hassanalkakani@yahoo.com

الملخص

تشكل القيم الاجتماعية المركز الأساس في حياة الانسان ، فهي التي تترجم وتجسد الثقافة السلوكية لدى الفرد ضمن مجتمعه ، والقيم هي التي تمد الإنسان بالمكونات الأساسية في رسم شخصيته وبناءها من خلال الأبعاد الثقافية والاجتماعية والمعرفية والحضارية والفكرية ، إذ لا يمكن أن تتبلور القيم لدى الإنسان بعيدا عن تأثيرات المجتمع ، و بالمقابل فإن القيم التي يتمتع بها الفرد هي التي تؤسس الإطار العقلائي والأخلاقي والتربوي للمجتمع ، فإنه من الضرورة أن تختلف القيم في المجتمع الواحد، والكاتب المسرحي ينظر الى هذه القيم من ضمن إطارها الخاص الذي تمثله الشريحة التي أختارها الكاتب في سرد الحكاية الدرامية في نصه المسرحي ، والقيم الاجتماعية التي يتميز بها المجتمع الكويتي ، وامتازت النصوص المسرحية في الكويت بشغف كاتبها في البحث عن الظواهر والقيم التي تحرك المجتمع و تحدد سلوكياته و تصرفاته لا سيما أن المجتمع الكويتي يجمع بين البداوة والبحر ، فكانت نصوصهم المسرحية تمتاز بطرح المشاكل التي تواجه مجتمعاتهم والبحث فيها من خلال أحداثها والحوارات التي يصوغها الكاتب المسرحي و التي تأتي من خلال طبيعة المجتمع الكويتي .

Abstract:

Social values constitute the basic center in human life, as they translate and embody the behavioral culture of the individual within his society, and values are what provide the person with the basic components in drawing his personality and building it through cultural, social, cognitive, civilizational and intellectual dimensions. The effects of society, and on the other hand, the values that the individual enjoys are the ones that establish the rational, moral and educational framework of society, it is necessary that the values differ in the same society, and the playwright looks at these values within its own framework represented by the segment chosen by the writer in the narration of the story The drama in his theatrical text, and the social values that characterize Kuwaiti society, Theatrical texts in Kuwait were

characterized by the passion of their writers in searching for the phenomena and values that move society and determine its behavior and behavior, especially since Kuwaiti society combines Bedouin and the sea. That comes through the nature of Kuwaiti society .

مقدمة

يعيش الإنسان ضمن مجتمع تقيده وتحده القيم الاجتماعية التي يتربى فيها الفرد من ولادته وحتى وفاته ، وتخالط حياته العديد من الصور الحياتية المختلفة ، وتمثلت تلك التصرفات والسلوكيات حاضرة في الوعي الجمعي لكي يشكل حافزاً لمعرفة طبيعة تلك التصرفات والسلوكيات من أجل تحليلها وتفسيرها ، إن المجتمع الكويتي ينتمي الى عالمين هما المحلي الخليجي والإقليمي بامتداداتها الدينية والقيمية ، فالمجتمع الخليجي يحكمه الخليج الذي هو مصدر رزق للمجتمعات الخليجية قبل ان يتم اكتشاف النفط في أكثر البلدان المطلة على الخليج كالسعودية والكويت وايران و العراق ، وهذه الاطلالة جعلت من المجتمع الكويتي يتوزع بين الحكم القبلي و العشائري و بين ثقافة المجتمع التي تتأثر بالمتغيرات التي أحدثتها الموارد الاقتصادية المتأتية من النفط ، استطاع المسرح ان يقرأ القيم الاجتماعية وأن يوظفها توظيفاً درامياً من خلال النصوص المسرحية وتجسيدها في العروض المسرحية ، أن المثقف الكويتي قد نهل من تلك القيم الموجودة والمترسخة في مجتمعه وتمكن الكاتب المسرحي الكويتي أن يضمن نصوصه المسرحية الكثير من الحكايات الشعبية التي تعتمد في بنيتها الحكائية على القيم الاجتماعية في المجتمع الكويتي .

المبحث الأول : القيم الاجتماعية وتمثلاتها في المجتمع المجتمعات البشرية مرت ومازالت تمر بمتغيرات كثيرة في حياتها اليومية ، و تنعكس هذه المتغيرات في مجموعة القيم التي توظف تصرفاتها وسلوكياتها التي تعد المؤشر الأساس في الوجود الانساني لمجتمع ما او امة محددة، و نتيجة لهذه التداخلات فإن القيم تتغير هي الأخرى حسب ما تواجه تلك المجتمعات من ظروف خارجية قسرية لا تستطيع الصمود امامها ، وكانت القيم التي تتمثل في التصرفات و السلوكيات تأخذ شرعيتها من المؤسسة الدينية التي تلتزم في التعامل مع المرادين بمقدار التمثل لهذه القيم ، وقد تم تعريف القيم الاجتماعية الى " المعتقدات التي يعتقد الافراد بقيمتها ويلتزمون بها وبمضامينها" (1) ، وهذا الاعتقاد الكلي بمجموعة القيم أو جزء منها يكون مختلفاً من بيئة مجتمعية جزئية الى بيئة مجتمعية جزئية أخرى في ذات المجتمع الواسع ، فالقيم في الريف تختلف اختلافاً كبيراً عما هي موجودة في المدينة ، لذا فإن علماء الاجتماع المهتمين بالسلوك والتصرف الذي يتبناه الفرد يؤكدون ان جذور تلك التصرفات مستمدة من ذات البيئة التي تربى بها ، لذا فإن القيم الاجتماعية في المجال الاجرائي والتطبيقي هي " العملية التي يتم عن طريقها انتقاء الانسان من بين البدائل والممكنات الاجتماعية

المتاحة ، والتي يحقق بها مصالحه بشرط أن تتوافق هذه العملية مع ما ينتجه المجتمع للإنسان من وسائل وإمكانات ، ولذلك فعملية الانتقاء بين البدائل الاجتماعية ليست مطلقة كي يختار الإنسان ما يشاء ، وإنما هي مشروطة بمحددات الظروف المتاحة في المجتمع" (2) .

تطرق الفلاسفة إلى تعريف التربية والتي ترتبط بتوجه الافراد الى التحلي بالقيم السائدة في مجتمعاتهم وتشكل هذه القيم الاجتماعية البناء الذي يركن اليه كل مجتمع في ادامة حياته اليومية من خلال الفرد إنها " عملية قصدية تتم عن طريقها توجيه الافراد الانسانيين لنمو الافراد الانسانيين" (3) ، وينطلق التعريف السابق في كون التربية عملية قصدية نابغة من الاكتساب والوراثة في بعض الأحيان وفي أحيان أخرى تعد التربية الموجه الحقيقي للفرد في السلوك والممارسة والتصرف ، ولا تنزل القيم الاجتماعية من الظرف الاجتماعي والمكان والزمان الذي يجد الفرد نفسه في بوتقتها ، فالتربية هي " عملية اجتماعية، بمعنى انها تعد صورة لحياة المجتمع الذي تعيش في إطاره، وتعكس فكرة الاجتماعي، وتشير الى مدى نموه وتطوره، وتحديد درجة تطلعه وطموحه وألوان النشاط المتعدد الاوجه التي يمارسها افراده، لذلك هي لا تنشأ من فراغ، وإنما تستمد اصولها وأهدافها من طبيعة الفلسفة الاجتماعية القائمة، بحيث تصبح العلاقة بينهما علاقة دياكتيكية تفاعلية حية مستمرة ومتجددة " (4)

وقد قدم علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا تعريفات مختلفة تهتم بهذا الجانب من البناء الاجتماعي للقيم السائدة ، إن رأي (توم بوتومور) يركز على " أن أكثر التصورات أهمية للبناء الاجتماعي هي تلك التي تتصوره بوصفه كلا مركبا يشمل النظم الأساسية السائدة في المجتمع والجماعات المختلفة التي يتألف منها ، ذلك لأن للمجتمع (متطلبات وظيفية) ، سواء كان منها ما يتعلق بالاتصال أو بالنشاط الاقتصادي ، أو ما يتعلق بأجهزة التنشئة الاجتماعية والسلطة وغيرها" (5) ، لذا فالتربية من خلال الفلسفة تعتمد على الرؤية ذات الفضاء الواسع وغير المحدد باطر تقليدية والنظرة الشاملة التي تكون مفيد للمنظومة التعليمية والأنشطة التربوية الهادفة التي تقوم سلوكية الفرد في المجتمع "الرؤية الفكرية والنظرة الشاملة التي تستند إليها الأهداف العامة التي توجه النظام التعليمي والنشاط التربوي (...) وهي الممارسة الفعالة لتأكيد المبادئ والاتجاهات والمثل العليا عن طريق غرسها عملياً في الأجيال القادمة في ضوء المبادئ الفلسفية التي تعبر عنها ثقافة المجتمع التي تعيش بها" (6) .

وقد بين عالم الانثروبولوجيا (ايفانز بريشارد) في مجال تعريفه للقيم الاجتماعية من خلال البناء الذي يشيده المجتمع من اجل استمراريته وثباته على مر الزمن وعدم اندثاره أو ذوبانه في المجتمعات الأخرى الأقوى منها ، وغياب قيمه بحضور قيم المجتمعات التي تتصف بعدم التغير بالرغم من مرور أزمنة طويلة عليها ، فالبناء الاجتماعي لديه هو " مجموعة العلاقات التي تقوم بين الجماعات الاجتماعية التي تتمتع بدرجة عالية من القدرة على البقاء والاستمرار في الوجود" (7) ،

ويمكن إعطاء القيم الاجتماعية فضاءً واسعاً من حركة المجتمع باتجاه المزج بين جميع الاهتمامات التي يجد الفرد نفسه في وسطها ، وهذه المكونات تكون أساسية في عملية بلورة الصفة العامة أو الخاصة التي يتحلى بها المجتمع في زمان ومكان محددين ، ومن هذا المنطلق فإن القيم الاجتماعية يمكن أن تكون هي "مجموعة من الاحكام والمعايير والمبادئ والعادات والأعراف الاجتماعية والمعتقدات والمثل العليا التي توجه سلوكيات الأفراد وتضبط أفعالهم ، حيث تمثل المحك والخلفية المرجعية التي يستند إليها الأفراد عند المفاضلة بين بدائل السلوكيات الاجتماعية في شتى المواقف ، كما انها نتاج اجتماعي مكتسب ومتوارث بين الأجيال ويكون ثابتاً نسبياً ، ويعد بمثابة دستور اجتماعي للامة" (8) .

لا بد للباحث أن يؤكد إن القيم لا يمكن ان تكون فاعلة إلا من خلال تراتبية استيعابها والتمثل بها واتخاذها دستورا غير مكتوب من الفرد الذي يشكل مع افراد آخرين مكوناً مجتمعياً محدداً ، وقد كان علم الاجتماع وما زال يركز على القيمة المفردة في المجتمع ، سواء كان مجتمعاً ريفياً أم صحراوياً أم يعيش في مدينة كبيرة او مدينة صغيرة ، وهذه القيم عرضها علماء الاجتماع من خلال ما يأتي : (9)

- 1- المثل العليا المجردة في المجتمع الإنساني .
 - 2 - توضيح المفهوم عن طريق الأغراض والمصالح والاتجاهات والأهداف .
 - 3 - بعض الحاجات الفردية والحيوية باعتبار أن القيم عملية تقدير يقوم بها الانسان لإشباع حاجاته ورغباته.
 - 4- البناء الاجتماعي والثقافي للمجتمع ككل والأفعال التي يقرها المجتمع .
- وبالتأكيد فإن هذه المعايير الأساسية التي توصل إليها علماء الاجتماع انما هي "المعتقدات التي يعتقد الأفراد بقيمتها ويلتزمون بها وبمضامينها" (10) ، وهذه المعتقدات تدخل في منظومة التصرفات والسلوكيات التي يتصرف بها أفراد المجتمع ، ويعد الفرد باختلاف معتقداته وتنوع إمكانياته الاقتصادية ، المقياس الحقيقي لقوة و متانة القيم التي يتحلى بها كل مجتمع ، اما أن تكون متلازمة أو متجانسة مع غيرها من الفئات الأخرى من حيث التصرف والسلوك ، فيكون هناك معيار معين ووجود أداة تقويمية لهذه "العادات والتقاليد والأعراف التي تلزمهم بأنماط من السلوك المقبول اجتماعياً" (11) ، هذه المعايير غير موحدة نمطياً بين الفئات المختلفة في المجتمع ، بعضها يعارض البعض الآخر ، وهناك معايير رئيسة تكون ثابتة في هذا المجال ، أذ " تسود المعايير الموضوعية وتطبق القواعد ، ويتم تنمية الاتجاه الذاتي للأفراد في تطبيق تلك القواعد" (12)

إن تطور المجتمع أفقياً وعمودياً يتوقف على عوامل عديدة ، والجزء الأهم من تلك العوامل هي ما يتمكن المجتمع من ترسيخ هذه القيم بشكل كبير وملموس فتعكس عليه وتغذي الإمكانيات التي يتمتع بها المجتمع في عملية التطور والرقى من خلال مجموع القيم الأساسية التي يتمتع بها ذلك المجتمع ، والقيم هي التي تحفظ الفرد من

الانسلاخ عن مجتمعه والابتعاد عنه ، وهي التي تحاول أن تجعل من المجتمع متماسكا في مجالات عديدة من مجالات الحياة اليومية ، لأنها "حقائق واقعية توجد في المجتمع ومن أمثلتها الدين والأخلاق والقانون والاقتصاد وكلها ظواهر اجتماعية توجد كأشياء وتعتبر مثلاً علياً"⁽¹³⁾ ، وهذه المكونات الأساسية في حياة الفرد اليومية ضمن مجتمعه هي التي تديم حياة المجتمع ، إذ لولا الدين ما أستطاع أي مجتمع أن يصمد امام كوارث الحياة الطبيعية او تلك التي تأتي من جراء الصفات والقيم الفاسدة التي يتحلّى بعض أولئك الأفراد الذين ابتعدوا عن الدين " الاعتقاد الديني ، ضمن خط عام ، هو نوع من الادراك المستقل والتميز عن المعرفة ، المبنية على أساس عقلائي وعلى الوضوح التجريبي ، وبهذا المعنى يمكن القول إن الاعتقادات هي صياغات - صيغت عبر كلام - يبدي نحوها الفرد او المجموعة رضى تاما ، ذهنيا وشعوريا ، تعد في كافة الحالات صادقة وجلية وفي منأى عن التشكيك"⁽¹⁴⁾

وتعد العائلة الصغيرة بنية اجتماعية مصغرة و لكنها تكون أساسية في بلورة الاتجاه العام لحالة القيم في المجتمع ، وتؤلف بناءً اجتماعياً متماسكاً ، وترتبط هذه القيم الاجتماعية التي تكون سائدة في المجتمع ارتباطاً قويا وأساسياً من خلال التربية التي يربي بها الأب أولاده على تلك القيم السائدة في المجتمع ، و يرى ابن سيناء " فإذا فطم الصبي عن الرضاعة بدئ بتأديبه ورياضة اخلاقه قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللئيمة ، وتفاجنه الشيم الذميمة ، فإن الصبي تتباعد اليه مساوئ الاخلاق ، وتنثال عليه العادات الخبيثة فما تمكن منه من ذلك غلب عليه ، فلم يستطع له مفارقة ولا عنه نزوعاً " ⁽¹⁵⁾ ، إن هذه البنية الاجتماعية الصغيرة تكون امتداد لبنية أكبر منها وهي (العشيرة) ، وهذا المفهوم الاجتماعي يكون وأنثروبولوجيا هو " جماعة تتميز بقيامها على أساس تسلسل قرابي واحد من جانب الاب أي (أبوي) ، أو من جانب الأم أي (أموي) ، كما تتميز أيضا بتوافر وحدة مكانية لأفرادها أي أن يعيش أفرادها في مكان واحد وفوق هذا وذاك تتميز بوجود تماسك اجتماعي قوي بين أفرادها " ⁽¹⁶⁾ ، وهذا التعريف يتطابق مع الوضع التكويني لمفهوم العشيرة في مجتمعاتنا الشرقية ، بالرغم من أن التعريف يرد في سياق التجمعات السكانية القديمة والتي كانت تسكن في الأمكنة التي تتوفر فيها مستلزمات الحياة الأساسية من ماء او موارد غذائية او موارد أخرى ، وتكون القيم السائدة فيها مرتبطة بشكل هرمي من الأعلى الى ما دون ذلك ، وهذا ما يترتب عليها أن تكون العشيرة ذات عدد كبير أو متوسط أو صغير ، وهذا لا يؤثر في تراتبية وجود القيم السائدة فيها من خلال التكوين العام للسلطة فيها " فأحيانا تكون كبيرة الحجم بحيث تشمل المجتمع المحلي كله وبذلك تصبح العشيرة وحدة سياسية شبه مستقلة و يرأسها رئيس العشيرة ، وقد تكون العشيرة صغيرة الحجم و بالتالي لا تشتمل على المجتمع المحلي وإنما على جزء منه ، وفي تلك الحالة يتكون المجتمع المحلي من عدة عشائر ، تسكن كل عشيرة منها في حي او مكان خاص بها"⁽¹⁷⁾

والتربية التي تعتمد على البيت وعلى المدرسة و(المحلة) ، تتصارع القيم التربوية فيما بينها ، من خلال القيم التي تحاول أن تغرسها في داخل الطفل الذي يتربى حسب النمط الاجتماعي والاقتصادي الذي يجد الطفل نفسه قد ولد فيه ونشأ وكبر ، ف "التربية هي صناعة كل الصناعات، وعلم كل العلوم، فالذين يعملون في كل الحرف والمهن، وفي جميع مجالات الحياة المختلفة، لا بد انهم عبروا الدنيا من بوابة التربية الكبيرة العريضة، فهي تدخل في كل شيء، ولها طرف في كل علم، لهذا نجدنا تأخذ اهتماما كبيرا من قبل الباحثين والمختصين، حتى أصبحت علماً قائماً بذاته، له مقوماته الأساسية وأصوله المستقلة الخاصة"⁽¹⁸⁾ ، ولا يتوقف الامر على العشيرة وإنما في حالات كثيرة تكون القيم الاجتماعية مستمدة من سلطة اجتماعية اكبر وهي القبيلة ، وإن كانت مترامية الأطراف ولكن التسلسل الابوي و ما يحمله من خصوصيات إرثيه متتالية من الأعلى الى الأسفل وهذا ما يحدد طبيعة القيم التي يتحلى بها الفرد ضمن بيئته الصغيرة كعائلة ، ومن خلال مجموعة العوامل تتكون العشيرة والتي بدورها تتأسس القبيلة التي تعد كوحدة اجتماعية " تنتشر في المجتمعات البدوية والريفية ، وتتميز بأنها تجمع عدة عشائر او مجتمعات محلية ، تشترك الى جانب وحدة المكان في وحدة اللغة والثقافة، وهي العناصر التي يلاحظ أن كل عنصر منها مستقلا لوحده ، لا يكون وحدة القبيلة وإنما لابد من توافر تلك العناصر مجتمعة ، فأفراد المجتمعات المحلية التي تتكون منها القبيلة ، غالباً ما يشغلون قطعة أرض مشتركة ، ويترتب على ذلك سهولة التفاعل الاجتماعي بين أعضاء القبيلة الواحدة لاشتراكهم في المكان واللغة والحضارة ، ولذلك يشعرون بانتمائهم جميعاً الى مجتمع واحد ، و هذه العناصر الثلاثة ، تشكل الوحدة الأساسية للمجتمعات القروية والبدوية خاصة ، فمن خلالها يتحدد الاطار السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي لأعضاء هذه المجتمعات المحلية"⁽¹⁹⁾

بالإضافة الى البيت فإن المدرسة منظومة تربوية وأخلاقية متميزة والتي يجب ان تكون الفلتر الذي يستقبل جميع القيم الفاسدة ، فتحاول المدرسة أن تبقى على القيم ذات الفائدة الاجتماعية، القيم التي تعد ركيزة أساسية للمجالات الحياتية كافة ، لما لها من أثر كبير في تطوير المجتمع وترسيخ الجانب المعرفي والأخلاقي لدى الطالب ، لأن هذه القيم أيضاً تعد "حقائق واقعية توجد في المجتمع ومن امثلتها الدين والأخلاق والقانون والاقتصاد وكلها ظواهر اجتماعية توجد كاشياء وتعتبر مثلاً علياً"⁽²⁰⁾ ، و بذلك فإن المدرسة هي البوابة الأولى التي يمر بها الفرد وتمارس سلطتها التربوية و الاخلاقية في أن تغرس القيم الإيجابية في ذات الطفل ، لكي يكبر و هو يتحلى بها ، وذلك لأن هذه التربية التي تعتمد على المؤسسات الخاصة و العامة "هي ضبط التعلم التوجيه نحو اهداف جيدة التحديد يمكن تحقيقها في حياة جماعة المتعلمين، على ايدي هيئة مدربة معدة اعداداً علمياً للتعليم والإدارة والتنظيم المدرسي، بوساطة منهج دراسي محكم التخطيط، وبمواد ووسائل مناسبة، وأصول وفنون وأساليب وطرائق صحيحة، في بيئة وأبنية وتسهيلات معدة خاصة لذلك"⁽²¹⁾ ، إن المعيار الذي يعتمد عليه الباحثون في تقييم

المدرسة كونها مؤسسة تربوية واخلاقية هو كون التربية التي تنطلق من المدرسة هي " هي ضبط التعلم التوجيه نحو اهداف جيدة التحديد يمكن تحقيقها في حياة جماعة المتعلمين, على ايدي هيئة مدربة معدة اعداداً علمياً للتعليم والإدارة والتنظيم المدرسي, بوساطة منهج دراسي محكم التخطيط, وبمواد ووسائل مناسبة, وأصول وفنون وأساليب وطرائق صحيحة, في بيئة وأبنية وتسهيلات معدة خاصة لذلك" (22).

تشكل القيم الاجتماعية أهمية كبيرة في حياة الشعوب و سواء كانت تلك القيم مستمدة من الدين او انها كانت مستمرة من السلف الى الخلف من خلال العائلة الصغيرة او العشيرة او العائلة الكبيرة التي تشكلها القبيلة او المجتمع الذي يعيش فيه الفرد ، فإن كل هذه الينابيع التي تنطلق منها القيم تكون متحركة و غير ثابتة ، فما وجد منها قبل قرن غير موجودة في الزمن المعاصر للكتابة عن هذه القيم ، و لكنها ثابتة في منظور الرقي والتقدم للمجتمعات التي ترغب في أن تحافظ على نظامها الاجتماعي و ان تستقر بما يتناسب مع رغبتها في أن تكون راقية و متقدمة قياسا الى المجتمعات الأخرى .

المبحث الثاني | القيم الاجتماعية في النص المسرحي الكويتي
يعد الفن المرآة التي تعكس صورة المجتمع ، و أحد العناصر الأساسية في لقاء الضوء على الحيوية التي يتمتع بها المجتمع من خلال القيم التي يتمتع بها الفرد في اتهاذ المفاهيم الأساسية و القيم الأخلاقية و الدينية و الوطنية ، و يعد الفن شكل من أشكال الثقافة التي يتمتع بها المجتمع ، و الثقافة تحقق وتنمي تلك القيم الإيجابية التي يتخذها الفرد عنوان له في التصرف و السلوك ووجهة النظر إزاء الاحداث التي يمر بها في بلده و مجتمعه ، و إن كان هناك تغير و تغيير فيها من خلال حوافزهم و أهدافهم من وجهة النظر القيمية(23) .

ويعد المسرح كمؤسسة فنية وثقافية قديمة منذ العهد الاغريقي و ذات جذور تاريخية اقدم من ذلك من خلال المظاهر الدرامية التي ظهرت في الحضارات الاقدم من الحضارة اليونانية الى الحضارة العراقية في بابل و سومر و غيرها ، و الحضارة المصرية القديمة ، و هذه المظاهر شكل من أشكال الصورة المسرحية و لكن ينقصها القصدية من وراء كتابة النصوص الدينية و التي تم تجسيد افكارها في عروض تشبه العروض المسرحية في عصورنا هذا و لكن لا يمكن ان يقال عنها مسرح كما ظهر لدى اليونان ، و الشعائر الدينية و التي كانت تحمل في ضمنها تربية قيمية موجه للفرد ، و التي تعبر عن حالات الغضب والشجاعة وتمثيلاته لتصرفات الحيوان المفترس، إذ تقوم القبيلة بسرد قصة مسرحية على شكل دراما تظهر مظاهرها بصورة مسرحية، يتصف بها الانسان البدائي وهو يقوم بوسائل تعليمية تعلمها من الفطرة الطبيعية، في كيفية الاستدلال نحو الصيد وأدواته، وكيفية اسهام وإرشاد قبيلته في كيفية مواجهة الاخطار والدفاع عن انفسهم في مثل هكذا مواقف يتعرضون لها في حياتهم(24) ، في الحضارة الاغريقية ، أي في أثينا كان للمسرح دوراً تربوياً مهماً في بناء المجتمع قيميا و بما يتألف مع الرغبة الدينية الشديدة في احترام الآلهة، وذلك عبر

مروره بمراحل عديدة و كانت في الأساس عبارة عن شعائر و طقوس مختلفة جعلت منه وسيلة مهمة في ان "يمارس دوراً تربوياً بارزاً، وشكل احد عناصر التربية (غير المقصودة) او (غير المباشرة) التي رافقت المجتمعات البشرية منذ البدايات الاولى للتاريخ"⁽²⁵⁾، وكان الهدف الأساس من ذلك هو جعل المجتمع يتفهم و يستوعب أن الالهة موجودة في حياتهم و حاضرة في تطور و رقي مجتمعهم بشكل يمكنه من المعاشة و الانسجام مع الالهة، فوظف الاثينيون المسرح من خلال "اقامة المباريات المسرحية و تقديم جوائز مالية للفائزين، وتجبر المواطنين كافة على حضور المسرحيات، حتى انها كانت تخرج المساجين من سجونهم و تتيح لهم مشاهدة المسرحيات التي كان لها طابع مقدس والتي كانت تقام احتفالاً بعيد الاله الاغريقي (ديونسيوس)، هذا الطابع المقدس الذي رافق المسرح منذ نشأته هو طابع تربوي بامتياز"⁽²⁶⁾.

و حينما دخلت الكنيسة الى المعترك السياسي و الثقافي و الفكري فإنها الغت المسرح برمته في بداية الأمر بحجة تعارضه مع التعليمات الدينية للدين المسيحي ، و تلهي الفرد عن التواصل مع الكنيسة التي هي المؤسسة و الواجهة في تثبيت الدين الجديد في نفوس الوثنيين سابقاً ، و لكن سرعان ما الغت الكنيسة رايها و عادت بتوظيف المسرح تربوياً و قيمياً في إعطاء الوثني و القدام الى الدين الجديد بالنسبة الى أولئك الذين اعتنقوا الدين المسيحي ، فكانت العصور الوسطى نافذة أطل منها المجتمع الغربي على التربية و ترسيخ قيم دينية و سلوكيات و تصرفات تتسجم مع الواقع الجديد "عروض المدارس التي كانت جزءاً من الأديرة في القرون الوسطى حيث كان الطلاب يقدمون عروضاً مسرحية باللاتينية، و بذلك حققت المدارس حلقة الربط الاساسية بين المسرح القديم (الروماني) و مسرح عصر النهضة"⁽²⁷⁾ ، إذ كانت تمثل المسرحيات في هذه الفترة الطقوس الدينية المنبثقة من وعي و ثقافة ذلك المجتمع "فكانت اهمية الدراما بالنسبة لهم تكمن في اسلوبها و وظيفتها التعليمية و الجزء المهم منها المحبب في التراث الكلاسيكي"⁽²⁸⁾ ، و تعاقبت الأزمنة و دخل المسرح الى الوطن العربي في ثمانينيات القرن الأسبق ، و قد تأخر المسرح في الوطن العربي من أن يكون كما هو في أوروبا شكلاً من أشكال الوعي التربوي و التعليمي و الثقافي ، و لم يظهر بهذا الاتجاه الا في ستينيات القرن السابق ، و أصبحت القيم الاجتماعية ملتصقة بالنصوص المسرحية ، بل أنها كانت النبع للفكرة الرئيسية التي يضمنها الكاتب المسرحي العربي في نصوصه ، و كان الواقعيون من كتاب المسرح العرب أكثر من غيرهم في تضمين نصوصهم المسرحيين قيماً اجتماعية إيجابية او سلبية ، فكان يوسف العاني في مجمل نصوصه المسرحية لاسيما تلك التي يطلق عليها (ذات الفصل الواحد) من أكثر الكتاب العرب تداول مفهوم و معنى القيم الاجتماعية في نصوصه المسرحية ، فمسرحياته (فلوس الدوة) و(الشريعة) كان مضمونها القيم الاجتماعية التي تربي عليها المجتمع العراقي ، و المسرح في الكويت كانت مواضعه و مازالت أيضاً تهتم بالقيم الاجتماعية التي وجد المجتمع الكويتي قد تربي عليها ، إن المجتمع الكويتي مجتمع قبلي ، و عاش بين القيم البدوية و مجاورته للبحر " تعتبر القبيلة

، على خلاف أشكالها في المجتمع الخليجي ، وبناءً على ارتباطها بالصحراء والبادية والبحر وساحل الخليج والزراعة في الواحات ، الوحدة الاجتماعية الرئيسية في هذا المجتمع ، وكان لها على مر الزمن أدوار مهمة" (29) ، فكانت الكويت متوزعة في تاريخها "يشدها الى الصحراء نسب ، والى البحر نسب" (30) ، إن الميزة الأساسية التي مر بها المجتمع الكويتي (وكذلك باقي المجتمعات الخليجية من المجتمع السعودي و البحريني و الاماراتي و العماني) هو في التلازم التام بين القيم البدوية الصحراوية والتزاماتها القبليّة من ناحية القيم ومن ناحية المعيشة اليومية والتي تتعلق بمدى توفر المادة النقدية في تسيير حياتهم اليومية ، وبين المدينة التي وفرت لهم هذه السيولة النقدية لا سيما بعد ظهور النفط في بلدانهم ، والانتقال النوعي في حياتهم اليومية وفي تطور الاقتصاد وغيرها من مستلزمات التطور الداخلي والخارجي في مجتمعاتهم ، وبدأ الصراع بين القيم القديمة والقيم الجديدة و اصبح هذا " التفسير المزدوج لم يحدث بشكل متساو ، فكثير من الرؤى والمفاهيم بقي غير منصهر تماما في المجتمع المعاصر ، وشكل من خلاله ما يسمى الثقافة الفرعية داخل المجتمع ، و هو ما دفع بعدد كبير من المهتمين بالجوانب الثقافية الى التركيز على البعد اللامادي ودراسة ما يسمى التمايز الثقافي" (31) ، علما ان الثقافة في الكويت بدأت مع الانتقال النوعية والمادية من الترحال الى الاستيطان الفعلي للمجتمع القبلي ، وبدأت الثقافة في شكلها الاولي حينما بدأوا بإعادة نسخ المخطوطات التي ترد الى الكويت من خلال رواد الثقافة الأوائل في المجتمع الكويتي ، وقد ارتبط اسم الكويت بالثقافة منذ العقود الأولى لنشأتها ، فقد ذهبت المصادر الى أن الكويت أسست في العام 1613 ، وإن علماء الكويت الأوائل أهتموا بنسخ الأصول التراثية و الفقهية منها بخاصة ، وقد وصلتنا أعداد كبيرة من المخطوطات التي نسخها هؤلاء العلماء" (32) .

وكان المسرح جزء أساس في حركة الثقافة والفكر في الكويت ، وشغف الكويتيون للمسرح لم يكن مختلفا عن سائر الأمم حينما بدأ التفكير في الوسائل التي تعبر عن مكنونات الذات في مجتمعات كالمجتمع الكويتي ، جديد و غير قديم ، و تأسست الهيكلية العامة للدولة من خلال الأطر العامة التي جلبها الى الكويتيون عدد من الخبراء القانونيون من الاوربيين او العرب ، فكان الكويتيون لديهم الرغبة التي نشأت من خلال مشاهداتهم لحركة المسرح في الدول المجاورة عربيا وإقليميا ، والفن "منذ القدم هو المجال الذي يعمد اليه الانسان للخروج من قبضة قدره ومن محدوديته في المعرفة والقدرة والإرادة" (33) ، وهكذا فإن الكويتي كان شغوفاً بممارسة الفن المسرحي من خلال التمثيل الفطري الذي لم يكن مرتكزا على مدرسة او مذهب ، وتذكر الوثائق الرسمية أن اول عرض مسرحي بسيط قدم في الكويت كان في العام 1922 ، " بعد عام واحد من افتتاح المدرسة الاحمدية التي تأسست عام 1921 أقيم على ساحتها في سنة 1341 هـ الموافق 1922 اول عرض مسرحي ، وقدمت هذه المسرحية التي لا نعرف لها عنواناً ، لتسفيه رأي هؤلاء المناهضين للحركة الإصلاحية في نظام التعليم" (34) ، وهذه المسرحية تبين قوة

الصراع بين القيم القديمة التي كان يناهزها من لا يعترفون بالحركة الطبيعية للزمن و التطور الحاصل في المجتمع الكويتي بعد ان كان في الصحراء والقيم الجديدة التي يتبناها من يرغبون في بناء دولة حقيقية ويكون التعليم جزء هام من منظومة المجتمع الذي كان على أبواب مستقبل جديد يدعمه ظهور النفط في دولة الكويت ، فكان لا بد من أن يفكر الكويتيون بأن المسرح والثقافة صنوان لا يفترقان عن منظومة التطور العمراني والاقتصادي ، وآمنوا بأن "المسرح كفن نتاج أوضاع حضارية مركبة فكرية واجتماعية ومادية ، ولا بد من أن تتوافر ظروف وعوامل عديدة في وجود مسرح في أي مجتمع ناهض مثل تقبل المجتمع للنقد ووجود كثافة سكانية مستقرة ومناسبة ، وتقدم عمراني يسمح باتقان الجانب التنفيذي أو التقني من حرفية العرض المسرحي" (12) ، وهذا ما أدى الى ظهور من اعتنق فكرة بدأت بالانتشار بأن المسرح هو النافذة التي يطل عليها أي مجتمع باتجاه الرقي و التطور وتربية الذائفة الجمالية للفرد في المجتمع ، مما يؤدي الى الابتعاد عن القيم الاجتماعية السلبية والتي كانت بدورها تعيق عجلة التقدم والتطور في البلد في المنظومات كافة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً ، وكان الفنان حمد عيسى الرجيب (1924 - 1998) من الفنانين المسرحيين الأوائل وكان له حضوراً وكان مخلصاً وتأثيره على مسيرة العمل المسرحي في الكويت ، وقدم العديد من الاعمال المسرحية سواء حينما كان طالباً او من بعد تخرجه وعودته من القاهرة حيث درس المسرح هناك ، ولقد كتب مسرحية (من الجاني) 1947، ومسرحية (خروف نيام نيام) 1949، ومن خلال عنواني النصين المذكورين نلاحظ بأن الرجيب كان متيقنا ان القيم الاجتماعية بشقيها السلبى والإيجابى يجب تضمينهما في النصوص المسرحية وتجسيدهما على خشبة المسرح من خلال الحوار في العروض المسرحية وأمام جمهور عريض يحب المسرح ويسعى الى مشاهدة عروضه الجديدة في حياته اليومية (35)، أما الفنان الآخر فهو محمد النشمي (1927 - 1984) ، الذي برع في إيجاد موطئ قدم للارتجال على المسرح ويعد من مؤسسيه في المسرح الكويتي ، وتعد مسرحية (أم عنبر) أول عرض مسرحي قدمه النشمي ، وفي المسرحيات الأخرى التي قدمها النشمي ركز فيها على مسألة في غاية الأهمية بالنسبة للمجتمع الكويتي ، وهي الفرجة الجديدة التي لم يألفها الجمهور الكويتي من قبل ، فرجة تستقي مواضيعها وملاحم شخصياتها من الأحداث المحلية الدائرة ، وإبراز القيم الاجتماعية التي يجب أن يتحلى بها الفرد الكويتي ، وهي ذات القيم التي استقاها وتعلمها وورثها الكويتي من أسلافه القبليين (36) ، وقد أفاد هذا الشكل الجديد من المسرح وهو الارتجال على المسرح في تسجيل حركة التغيير الاجتماعي ، والاستفادة من القيم الاجتماعية التي كانت سائدة في المجتمع الكويتي ، لا سيما بعد اكتشاف النفط والمتغيرات الاقتصادية والتي تبعها متغيرات اجتماعية والتي تم رصدها من خلال سلوكيات وتصرفات المواطن الكويتي ضمن المجتمع ، والارتجال على المسرح تمكن من رصد الظواهر السلبية ، لذا يمكن اعتبار هذا الأسلوب في العمل المسرحي من الوسائل الحية والناجحة في نقل تفاصيل ذلك الواقع المتغير من حيث القيم

الاجتماعية التي تناولها النشفي في عروض مسرحياته ، وقد نال الاستحسان الجماهيري الكبير وإقبال الجمهور على تقديمه ، وصار له أول تجمع فني تمثل في تأسيس فرقة مسرحية تبنته و دافعت عنه ، إذ " وجد مجد النشفي من يعتمد عليهم في تكوين فرقته من بين الهواة في فرقة الكشافة المدرسية (فرقة المسرح الشعبي حاليا) ، وما أن حلّ عام 1955 حتى باشر النشفي في عرض أول مسرحياته المعتمدة على أسلوب الارتجال الجماعي"⁽³⁷⁾ ، وكانت فرقة (الكشاف الوطني) (*) ، بدأت نشاطها المسرحي بتقديم مسرحية (مدير فاشل) ، وهي أول تجربة للنشفي في التأليف المسرحي ، وكان موضوعها الأساس يدور حول واحدة من أخطر القيم الاجتماعية التي سادت المجتمع الكويتي و هي الخداع من قبل من يتصدى للسلطة الإدارية ، وفضح هذه السلوك بأسلوب هزلي ساخر والتي يقول عنها : إن هذه الشخصية الضعيفة قيميا ، أردنا أن نحارب تصرفاتها و سلوكياتها عن طريق العرض الجماهيري حتى تكون هذه الشخصية عبرة لغيرها⁽³⁸⁾ ، ثم مسرحية (مطر سيف) ، وقدم هذين العرضين بعد صدور النظام الوظيفي عام 1955 في دولة الكويت ، و في عام 1956 قدمت الفرقة مرتجلة (قرعة وصلبوخ) و تستعرض هذه المرتجلة مشاكل الاسرة والقيم الاجتماعية التي استجدت بعد التوطن الأخير في الكويت واكتشاف البترول وانعكاسات مردوداته على طبيعة العلاقة الاجتماعية في محيط الاسرة ، ومرتجلة (بلوي الناس) ، وهذه اتخذت من الواقع الوظيفي الجديد إطاراً لنقد الجهاز الإداري أيضا مع الانتقادات العديدة لسلوكيات بعض الموظفين الإداريين ، ثم قدم عرضا مسرحيا وهو(سرباكة) ، وهذه أوقف عرضها بعد اليوم الأول ، كما أوقف عرض مرتجلة (قرعة وصلبوخ) من قبل.^(*)

أما الفنان المسرحي الكويتي الذي سيبقى علما ونورا متوهجا في عالم المسرح في الكويت فهو الفنان صقر الرشود(1941 - 1978) ، وبالرغم من حياته القصيرة الا انه قد قدم الكثير من المشاريع والعروض المسرحية الجادة والتي كانت القيم الاجتماعية حاضرة فيها بقوة" ذلك النموذج الفريد الذي يتخذ من المسرح حياة أخرى يحييها ، بتفاصيلها ومتعطفاتها وصعوباتها وحلاوتها وحتى موتها ، حياة يمنحها روحه بمقدار قد يفوق ذاك المقدار الذي يلتفت به الى حياته العادية"⁽³⁹⁾ ، منذ ان كتب نص مسرحيته "تقاليد" ، وهي اول نصوصه المسرحية التي كتبها ، كان مهتما بايلاء القيم الاجتماعية التي يجب ان يتخذها الكويتي نبراسا في حياته اليومية ، و هذه القيم كانت تتوزع بين حبه لكل ما يتعلق بالعروبة ، ليس من حيث المنظومة الأساسية وإنما من خلال بوابة المسرح " عاش صقر الرشود مؤمناً بالعروبة ، وبوحدة الساحة المسرحية الخليجية والعربية ، وبضرورة تكاتف وتعاون الجهود لأعلاء شأنها"⁽⁴⁰⁾ .

وكان سعد الفرج في مسرحيته (عشت و شفت) التي أخرجت عام 1964 من المسرحيات التي تعالج الاختلاف و التباين بين الأجيال والصراع الذي يدور بينهم في إثبات رأيهم ، وصراعهم كان يدور حول مسألة مهمة وهي مفهوم التقدم ، وكانت الشخصيات : الوالد أبو فلاح متمسكا بالقيم التي ورثها عن أبائه وأجداده ، وهي آراء يجب أن تبقى ، اما

الشخصية الثانية وهي الابن (فلاح) فيرى عكس ذلك ، فهو يعتقد أن القيم الاجتماعية يجب ان تتحرك ولا تبقى ثابتة مجاراةً لروح العصر، أما الابن الأصغر (سالم) يجد مفهوم التقدم في تلقي العلوم الحديثة (41) ، وكتب سعد الفرج نصه المسرحي باللغة الشعبية لكي يتمكن الممثلون و الجمهور من فهم الحوارات وأيضاً لرغبة المؤلف في عدم التقيد بالأصول النحوية والقواعدية للنص ، وهذا ما جعل من النص إمكانية كبيرة في رسم العلاقة الجدلية بين القديم والجديد في التعامل مع القيم التي تربي عليها الفرد في مجتمعه ، وذكر علي الراعي بأن هذه الصراع بين القديم والجديد البوابة التي ننطلق منها في رؤية صورة لشقاء الناس في ظل الريف الكويتي ، وقسوة الحياة عليهم ، و ضنك العيش ، و يسجل بعض العادات الشعبية مثلاً قراء القرآن حينما يقرأون على الماء ليشربه المريض من بعد فيشفى(42) .

إن معظم العروض المسرحية المرتجلة و غيرها من الأساليب التي كانت تقدم فيها النصوص المسرحية المكتوبة سلفاً كعروض مسرحية للجمهور الكويتي المتعطر لهذا نوع من الفنون التي تعبر عن المستويات الثقافية باتجاه العلاقة بين الفنان والجمهور ، كانت هذه العروض مناقشة جادة فنياً ومسرحياً لقضايا المجتمع الجديدة ومشكلاته اليومية في إطار البيئة المحلية تبعا لتطور المجتمع ذاته ، والتي يمكن اعتماد نصوصها و عروضها في دراسة الواقع الاجتماعي من خلال قيمه التي حافظ عليها أو تلك التي درست واختفت أو أضحلت لكي يتم رصدها كذلك و تسجيلها من أجل إبراز ظواهر التغيير الاجتماعي بعد حدوث الطفرة الاقتصادية في الكويت ، كما أظهرت هذه النقلة الحضارية في حياة المجتمع الكويتي صراعا حادا في القيم الاجتماعية بين القديم والجديد سواء كان في إطار الأسرة الصغيرة أو الأسرة الكبيرة ، وكانت الثروة و الامكانية المادية الجديدة بعد ظهور البترول ومشتقاته بمثابة اختبارات وامتحان للقيم الاجتماعية من خلال السلوك والتصرف " أصبحت هناك مجاميع من الناس لكل منها أسلوبها الخاص وطابعها المميز في نمط التفكير ، وصار هذا التنافر في العادات و التقاليد واضحا " (43) ، وأخذت مسرحيات القضايا الاجتماعية لها محورين أساسيين في التعبير عن الواقع بنسخه وتقليده شكلاً ومضموناً :

أولاً : المسرحية الاجتماعية التي تناقش القيم الاجتماعية البسيطة منها والخطيرة أو الكبيرة التي تؤثر على النسيج الاجتماعي .

ثانياً : المسرحيات التي تتعرض للأسرة كواقع اجتماعي مصغر ولكن يكون بانعكاساته تجاه المجتمع كبيرة جدا ، لاسيما أن الواقع القديم قد تغير بعد تدفق النفط ووصول الثروة ، و الانفتاح الواسع والسريع على حياة الغرب وحضارته التكنولوجية والرقمية والرأسمالية الطابع ، وطبيعتها الاستغلالية ، وتدفق الوافدين الأكثر تطوراً على المنطقة وانتشار التعليم ، وتغير وسائل الإنتاج وتصاعد الثراء مما أدى الى تحول في القيم الاجتماعية والى تغير في العلاقات الاجتماعية في داخل الأسرة الواحدة او بين الاسر المتعددة لتحل بدلها مفاهيم و قيم مستحدثة عبرت عنها أشكالية التجربة المسرحية في

عموم دول الخليج العربي⁽⁴⁴⁾ وأنطلق الكاتب المسرحي الكويتي من هذه الإشكالية التي رأى المجتمع الكويتي نفسه عالقاً في دوامتها ، وكان عبد العزيز السريع^(*) من أوائل الكتاب الكويتيون الذين التقطوا هذه الإشارة من التساؤلات التي بدأ المجتمع الكويتي في طرحها على انفسهم وقام بصياغتها على شكل نصوص مسرحية ، وتم تجسيد مضمونها على خشبة المسرح ، ومنها مسرحية (فلوس و نفوس) ، وهي مسرحية تمكن المؤلف عبد العزيز ان يكون موضوع (تثمين الأراضي) موضوعها الأساس و الفكرة الرئيسة فيها هو تغير القيمة الاجتماعية عندما يكون الكويتي فقيراً و تغير القيم التي تربي عليها عندما يكون الغنى المفاجئ و السريع من نصيبه ، وقانون التثمين كان السبب في هذا التغير في القيم الاجتماعية عند الكويتيين ، وهذا ليس عاماً و لكن الفن يقتنص ما هو سائد في المجتمع و يحاول ان يبرز أخطاء الظاهرة المستحدثة في المجتمع .

تدور احداث مسرحية (فلوس و نفوس) من حيث الشكل الدرامي في ثلاثة فصول ، وتاريخ الاحداث فيها كما تم تأشير ذلك من قبل المؤلف في عام 1955 ، تتضمن المسرحية موضوعاً مهماً في تاريخ الكويت المعاصر وهو قضية التثمين للبيوت والدور السكنية التي كانت عانقا امام ظاهرة التنمية و التطور العمراني الحاصل بعد الزيادة المضطردة في ثروة الكويت الاقتصادية ، فهذا رب الاسرة - أبو عبد الله - و أفراد أسرته يكابدون شظف العيش والحرمان في انتظار تثمين دارهم الذي تأخر عنهم و سئمو الانتظار، وابنه (عبد الله) متلهف لا كمال دراسته ليقوم بواجبه تجاه أسرته في حمل بعض أعباء المسؤولية عن والده ، أما ابنته (سارة) متزوجة من موظف حكومي (جاسم) ، وأخيراً ابنه الأصغر (سالم) ، واهم التي ترمز كدلالة على مستوى الواقع ، فهي الماضي وهي الوطن ، ورغم الفقر الشديد إلا أنهم كباقي العوائل الكويتية متوحدون تجاه بعضهم ، وجميعهم يعيشون على أمل وصول التثمين و يتحسن وضعهم المادي و يسارعون التي تحقيق طموحاتهم المختلفة وبمستويات مختلفة من الوعي الاجتماعي والاسري في تثبيت القيم الاجتماعية التي تربوا عليها، ولكن حينما يصل التثمين يحصل ما كانت الاسرة تخاف منه ، وهو التغير في الاخلاق والسلوكية والتصرف الذي قام به الاب ، فيفقد السيطرة على توازنه وانسجامه مع أسرته لاسيما مع زوجته التي تحملت معه شظف العيش في السابق ، فيقوم بتطليقها والزواج عليها ، وهو ذات الاب الذي كان يزعم إنه يريد التثمين ليحسن من وضع أسرته المعيشي والمادي و الاقتصادي ، ولكنه بدلا من ذلك ، مستغلا سلطته في الاسرة استغلالاتا سلبيا بحق الآخرين ، يتزوج من امرأة أخرى ، ويفتح بيتا جديدا ليصبح امتدادا لشخصيات أخرى نهجوا نفس هذا المنهاج ، إن الزواج مرة أخرى بحد ذاته قد شرعه الله ﷻ ، ولكن أن يأتي الزواج الجديد على اعتبار معاناة الاسرة السابقة ، فهذا تدمير واضح للقيم الاجتماعية :

الاب : تنجب ماكو احد شريكي في حلاليابي تزوجابي تزوج و اللي يوكف بطريقي ادوسه⁽⁴⁵⁾ وتصل هذه الازمات على المستوى الدرامي ذروتها و بأسلوب ميلودرامي لتخترق حدود المواجهة الكلامية الى العنف بين الاخوين - عبد الله و سالم -

ليسفر التفكك الاسري الناجم عن غياب أو تغييب القيم الاجتماعية التي كانت سائدة سابقا ، وهكذا يكشف السريع عن أول بذور الصراع بين القديم و الجديد ، وتكون العوامل الاقتصادية المستجدة في طبيعة العلاقات الاجتماعية نقطة انطلاق الحدث في النص ، محرقة فيهم نزعة المواجهة الصريحة لتظهر السلبيات وعدم التوازن في مستوى البيئة المحلية ليحقق حتمية الصراع والانقسام عند حدوث حالات التغير ، فكان الحافز موجودا لكي تأخذ الأمور داخل الاسرة في المجتمع الكويتي منحى اخر باتجاه نبذ القيم الاجتماعية الصالحة والايجابية والتمسك بالقيم الاجتماعية السلبية ، فتنقسم الاسرة الى قسمين الأول ويمثله الاب وابنه الأكبر(عبد الله) الذي سافر الى الخارج لا كمال دراسته في الخارج و يعود بزوجة اجنبية ليسكنوا سوياً ، و الثاني وتمثله الام و الابن الأصغر (سالم) اللذان يظلان في البيت القديم الذي بقي لهم .

عندما تم عرض المسرحية اختلف النقاد في تحليل العرض المسرحي فمنهم من لاحظ فيها كشف نوازع الانسان الفردية المكبوتة حين تحل الثروة المفاجئة على الفرد بعد حرمان فالتثمين اختبار ، للقيم الاجتماعية والسلوكيات التي تتناغم مع هذه القيم وتكون انعكاسا مهما لها ، ومحنة من جرائها تسقط الطلاء الخارجي وتظهر كل شيء على حقيقته⁽⁴⁶⁾ ، ويجد فيها غيره مثالا على زعزعة القيم والتكر لها "إن الزوج يفقد دور المتساند مع زوجته قبل الثروة ، وبعد أن بدأت الثروة تغيرت اخلاقه ومعاييره القيمة الصالحة ، لقد خلع ثوب الفرائش و أسمال الفقر و لبس ثياب الغنى ، وقناع الانتهازية اللاهثة وراء الثروة المفرطة في اشباع الميول الفردية ، ومن الطبيعي حينئذ أن تنحل روابط الماضي و قيمه"⁽⁴⁷⁾ ، و تنتهي أحداث المسرحية دون حل لها من قبل المؤلف الذي أبقى على صورة التصادم و الانقسام بين افراد الاسرة ، وترك الستار مفتوحا متفانلا بالأمل الذي عبر عنه بوجود(جاسم) رمز الجيل الجديد المثقف والواعي لخطورة هذا التنافر داخل الاسرة الواحدة .

الخاتمة

لقد أدت التحولات السريعة في الكويت كما في امثالها من دول الخليج العربي ، والتي لم تكن على الصعيد المادي فحسب وإنما كانت على الأصعدة كافة ، من سياسة واقتصاد واجتماع ، وهذا التحول أدى الى غياب بعض القيم الإيجابية وتحولها الى قيم اجتماعية سلبية ، وحينما تغيرت هذه القيم برزت مخاطر عديدة في بنية المجتمع الكويتي ، فحدث فجوة ثقافية ، وازدياد القلق والتوتر وعدم الاتزان في داخل بنية المجتمع ، ويمكن القول أن تغير القيم ورضوخها لمبدأ الاستحواذ على الثروة أفرزت صراعات حادة وقوية وخطيرة بين القديم والجديد . ولقد وظف الكاتب المسرحي هذه المتغيرات السريعة من حالة التعايش المجتمعي قبل ظهور النفط الى حالة الترددي في ذات القيم التي كان المواطن الكويتي قد تعلمها من خلال عائلته الصغيرة أو الكبيرة ، وقد ضمن الكاتب المسرحي هذه المتغيرات في نصوصه وعروضه المسرحية ، وجسد هذا الواقع الجديد وصوره بهدف التوعية والإصلاح الاجتماعي ، فتمت كتابة نصوص كثيرة في هذا المضمار تمكنت من

الغيات النظر الى ما يعانیه المجتمع الكويتي من تمزق النسيج الاجتماعي ، بعد اكتشاف النفط واضمحلال بعض القيم الاجتماعية الايجابية ، وظهور قيم سلبية جديدة .

النتائج

1- اتسمت القيم الاجتماعية في الكويت بمتغيرات كثيرة ، فكانت في البدء صحراوية بدوية عشائرية قبلية ، وكانت لها ميزاتها وسماتها ، ثم تحولت الى قيم اجتماعية افرزتها المدينة وفي الأخير كان النفط حافزا باتجاه تردي القيم الاجتماعية السابقة وتهشيمها وتفكيكها .

2-الحركة السريعة في التطور الاقتصادي أدى زيادة وتيرة تغير القيم الاجتماعية من بيئة الى أخرى داخل البيئة الكبيرة التي يمثلها المجتمع الكويتي برمته .

3- أكد كتاب النص المسرحي في الكويت قدرتهم على استنطاق الواقع الذي يعيشه المجتمع الكويتي وبتخاذ أسلوب ومنهج النقد الواقعي او الواقعية النقدية في بلورة اهم المفاهيم والقيم الاجتماعية السائدة في المجتمع الكويتي وعرضها للجمهور كمحاولة في مناقشتها والتوصل الى اهم النقاط المشتركة في النظر اليها سواء من حيث سلبيتها او ايجابياتها .

4- إن مسيرة التجربة المسرحية في الكويت استحوذت على اهتمام العاملين وصدق محاولاتهم الفنية في الحفاظ فكرة المسرح و خدمته للمجتمع وتعزيز دوره المعرفي كما أكدت طبيعتها ، إن المسرح وليد بيئته ونتاجها .
الهوامش :

¹ (موسى اللوزي ، التطوير التنظيمي - اساسيات و مفاهيم حديثة - عمان ، الأردن ، دار وائل للنشر ، 1999 ، ص 59 .

² (إبراهيم الغمري ، السلوك الإنساني و الإدارة الحديثة ، مصر - الإسكندرية ، دار الجامعات المصرية ، 2010 ، ص ص 809 ، 810

³ (فيليب ه . فينيكس ، فلسفة التربية ، ترجمة : محمد لبيب النجيجي ، القاهرة ، مؤسسة فرانكلين للطباعة و المنشر ، ب.ت ، ص 37 .

⁴ (لظفي بركات احمد ، في فلسفة التربية ، القاهرة ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع ، 1987 ، ص 28 .

⁵ (محمد السويدي ، بدو الطوارق بين الثبات و التغير ، دراسة سوسولوجية - أنثروبولوجية في التغير الاجتماعي ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1986 ، ص 43

- (6) ماهر إسماعيل الجعفري وآخرون، فلسفة التربية، (بغداد: دار الكتب للطباعة والنشر، 1993)، ص 22.
- (7) السيد الحسيني، مفاهيم علم الاجتماع، مصر - القاهرة، دار المعارف، 1986، ص 94.
- (8) أحلام، 2016، ص 30
- (9) عبد الباسط محمد، عرض تحليلي لمفهوم القيمة في علم الاجتماع، المركز القومي للبحوث الاجتماعية و الجنائية، القاهرة، ب. م، 1970، ص 103 - 116
- (10) موسى اللوزي، التطوير التنظيمي، أساسيات و مفاهيم حديثة، عمان - الأردن، دار وائل للنشر، 1999، ص 59.
- (11) علي السلمي، السلوك التنظيمي، ط 3، القاهرة، دار غريب، 1979، ص 44.
- (12) مهدي حسين زويلف، علي محمد عمر العضيلة، إدارة المنظمة، نظريات وسلوك، عمان - الأردن، دار مجدلاوي، 1996، ص 148
- (13) صبري خالد عثمان، القيم التربوية في شعر الاطفال، الطبعة الاولى، (دمشق: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2010)، ص 172.
- (14) د. سابينو اكوايفا و د. انزو باتشي، علم الاجتماع الديني... الاشكالات و السياقات، ترجمة: د. عز الدين عناية، هيئة أبو ظبي للثقافة و التراث "كلمة"، 2011، ص 79.
- (15) ابن سينا، أبو علي الحسين، مجموعة في السياسة، تحقيق: فؤاد عبد المنعم احمد، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1402
- (16) فاروق العادلي، سعد جمعة، الانثروبولوجيا، مدخل اجتماعي و ثقافي، مصر - القاهرة، بل برنت للطباعة و التصوير، 2000، ص 101
- (17) فاروق العادلي، سعد جمعة، الانثروبولوجيا، مدخل اجتماعي و ثقافي، مصدر سابق، ص 235
- (18) وهيب سراي الدين، في معنى الفن: ومقالات اخرى في التربية والفن والمنطق العلمي، (دمشق: دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، 2012)، ص 42.
- (19) سامية مصطفى الخشاب، علم الاجتماع الإسلامي، مصر - القاهرة، دار المعارف، 1987، ص 37 - 38
- (20) صبري خالد عثمان، المصدر سابق، ص 172.

- (21) محمد محمود الخوالدة، مقدمة في التربية، الطبعة الثانية، (عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2010)، ص 72.
- (22) نفس المصدر، ص 72.
- (23) أسماعيل حسن عبد الباري، الديموغرافيا الاجتماعية، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2000، ص 136.
- (24) ينظر: حسني عبدالمنعم حمد، المسرح المدرسي ودوره التربوي، (القاهرة: العلم والايمان للنشر والتوزيع، ب ت)، ص 43-44.
- (25) هشام زين الدين، التربية المسرحية: الدراما وسيلة لبناء الانسان، الطبعة الاولى، (بيروت: دارالفارابي، 2008)، ص 26.
- (26) المصدر نفسه، ص 27.
- (27) ماري الياس و حنان قصاب حسن، مصدر سابق، ص 449.
- (28) مارفن كارلسون، نظريات المسرح: عرض نقدي وتاريخي من الاغريق الى الوقت الحاضر، الجزء الاول، ترجمة: وجدي زيد، الطبعة الاولى، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2010)، ص 101.
- (29) محمد غانم الرميحي، الخليج ليس نفطا: دراسة في إشكالية التنمية والوحدة، دبي، دار مدارك للنشر، 2013.
- (30) رشيد الحمد، الثقافة في الكويت منذ بداياتها وحتى الان، مسح علمي شامل، دار سعاد للصباح للنشر والتوزيع، ط 1، 1997، الجزء الثاني، ص 509.
- (31) يعقوب يوسف الكندري، القبيلة والمفاهيم السياسية في المجتمع الخليجي المعاصر/ المجتمع الكويتي مثالا، الكويت، مجلة عمران، منصة المنهل، العدد 4/5، 2016.
- (32) خليفة الوقيان، عن المسرح في الكويت، مجلة للآداب البيروتية، العدد 12/11، تشرين الثاني / 200، السنة 48، ص 22.
- (33) سيد علي إسماعيل، تاريخ المعهد المسرحي بدولة الكويت، 1964 - 1999، دار قرطاس للنشر، الطبعة الأولى، ص 28.
- (34) أمين العيوطي، فرقة المسرح العربي و مسيرة ربع قرن، الإسكندرية - مصر، شركة قايتباي للطباعة و النشر و التوزيع، 1986، ص 2.
- (35) طالب الرفاعي، كتاب المسرح في الكويت ... رؤية تاريخية، الكويت، المعهد العالي للفنون المسرحية، 2002، ص 36 - 43.

- ³⁶ المصدر السابق ، ص 43 - 47
- ³⁷ دد إبراهيم عبد الله غلوم ، المسرح والتغير الاجتماعي في الخليج العربي ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، رقم 105 : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، 1986 ، ص 27 .
- ^{*} عرضت هذه الفرقة تسعة عشر عملاً مسرحياً مرتجلاً . غير مكتوب . قبل ان تنضم الى ادارة الثقافة والفنون والتي طلبت من الفرقة بعد ذلك تقديم النصوص المسرحية مكتوباً قبل عرضه على المشاهدين ، (و ليس لدى الباحث ما يستدل به في موافقة النشء على الطلب) .
- ³⁸ خالد سعود الزيد : عهد النشء ظاهرة مسرحية ، مجلة البيان (الكويت) ، العدد 193 ، (نيسان) ، 1982 ، ص 38 .
- ^{**} للاستزادة في التفصيل انظر : د . محمد حصن عبد الله ، الحركة المسرحية في الكويت ، ط 2 ، الكويت ، مسرح الخليج العربي ، 1986 ، ص 32 .
- ³⁹ المصدر السابق ، طالب الرفاعي ، ص 94 .
- ⁴⁰ المصدر نفسه ، ص 96 .
- ⁴¹ علي الراعي ، المسرح في الوطن العربي ، ط 2 ، عالم المعرفة ، الكويت ، ص 344
- ⁴² المصدر السابق ، علي الراعي ، ص 344 .
- ⁴³ عبد العزيز حسين ، المجتمع العربي بالكويت ، القاهرة ، جامعة الدول العربية - معهد البحوث والدراسات العربية والعالمية ، 1960 ، ص 89
- ⁴⁴ أنظر : إسماعيل فهد إسماعيل ، البقصة العربية في الكويت ، بيروت ، دار العودة ، 1980 ، ص 17 .
- ^{*} عبد العزيز محمد عبد العزيز السريع (1939) مسرحي وإعلامي وروائي وكاتب كويتي ، انضم لفرقة مسرح الخليج العربي فور تأسيسها عام 1963 ، فكان واحداً من أهم مؤسسيها وبناتها . ألف السريع عدة مسرحيات ، اعتبرها النقاد اتجاهاً جديداً في فن الكتابة ، يعتمد على الأسس الفنية للكتابة المسرحية ووضعت اللجنة الأولى للمسرح الاجتماعي ذي الملامح الكويتية الأصيلة ، وقد ساهمت في رسم شخصية متفردة لمسرح الخليج العربي ، وهذه المسرحيات هي : الأسرة الضائعة عام 1963
- الجوع عام 1964 ، عنده شهادة عام 1965 ، ونشرت عام 2004 في سلسلة مسرحيات كويتية عن رابطة الأدباء . فلوس ونفوس عام 1970 ، لمن القرار الأخير عام 1968 ، ونشرت عام 2004 عن دائرة الثقافة بالشارقة ، الدرجة الرابعة عام 1972 ، ونشرت عام 2003 في سلسلة مسرحيات كويتية عن رابطة الأدباء . ضاع الديك عام 1973 ، ونشرت عام 1981 عن دار الربيعان في الكويت ، وعام 1990

عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، وترجمت للإنجليزية ضمن مشروع بروتا لترجمة الأدب العربي الذي تشرف عليه د. سلمى الجبوسي في أنديانا بالولايات المتحدة. أُلّفَ بالاشتراك مع زميله الراحل صقر الرشود لمسرح الخليج العربي الأعمال التالية: مسرحية 1,2,3,4.. بم عام 1972، وقد ترجمها فارس غلوب للغة الإنجليزية ونشرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب عام 2001. مسرحية شياطين ليلة الجمعة عام 1973، مسرحية بحمدون المحطة عام 1974

⁴⁵ عبد العزيز السريع ، فلوس و نفوس ، مخطوطة ، الكويت ، مسرح الخليج العربي ، 1969 ، ص

16

⁴⁶ محمد حسن عبد الله ، الحركة المسرحية في الكويت ، ص 236 .

⁴⁷ د . إبراهيم عبد الله غلوم ، المسرح و التغيير الاجتماعي في منطقة الخليج العربي ، ص 204 .



تجربة القناع في النص المسرحي مأساة بائع الدبس الفقير " نموذجاً "

أ.م.د. حسن عبود علي النخيلة
جامعة البصرة - كلية الفنون الجميلة

خلاصة :

إن التحول الذي حققه القناع في شكل ومضمون النص المسرحي كان له دوراً كبيراً في اغناء الفكر المسرحي بما هو عميق وما هو غير تقليدي من الطروحات . ونظراً لأهمية هذا الموضوع سعى الباحث إلى دراسته لدى الكاتب (سعد الله ونوس) لما يميزه من تعاملات دقيقة ورصينة مع أفتحة فكرية متنوعة ، وصولاً إلى ما تمخض عن تلك التعاملات من قيم تعبيرية وفكرية وجمالية .

وقد انطوى البحث لهذا الموضوع على أربعة فصول ، تضمن الفصل الأول الإطار المنهجي للبحث ، فيما تناول الفصل الثاني الإطار النظري الذي جاء بمبحثين :

المبحث الأول : تجربة القناع في المسرح العالمي

المبحث الثاني : تجربة القناع في المسرح العربي

وخصص الفصل الثالث لإجراءات البحث وتحليل العينة ، حيث اختار الباحث نص

(مأساة بائع الدبس الفقير) - (سعد الله ونوس) لتحليله وفق المستويات التالية :

1 - قناع الأسطورة

2 - قناع التراث

3 - قناع التاريخ

4 - قناع الرمز

5 - قناع المجتمع

وتوصل في الفصل الرابع إلى النتائج والاستنتاجات ، ثم اختتم البحث بقائمة المصادر والمراجع .

الفصل الأول : (الإطار المنهجي)

أولاً - مشكلة البحث :

شهدت المسرحية في الأدب العربي الحديث تحولاً ملحوظاً في منطلقاتها الفنية والفكرية ، أسهم هذا التحول في التأسيس لخطاب مسرحي جديد يعطي من شأن الفكر ويدعو للجدل والنقاش ، ويبعد عن السطحية ، كما ويستدعي من القارئ أو المتفرج إسهاماً في التعبير الاجتماعي .

إن التغيير الذي تطلب المسرحية الفكرية أنيط للقناع فيه دورا بارزا فأصبح الكاتب يضمن نصه التاريخ والأسطورة ليعبث من خلالهما صوته الخفي المعبر عن سخطه واحتجابه على سياسات القمع ونظم المجتمع المتردية .

وفي الوقت الذي أصبح فيه القناع غرضا إنسانيا في الأدب العربي على السواء منه في النص أو في القصيدة أو الرواية لارتباطه بالحاجة الملحة في كشف ما لا يمكن طرحه ، ولكونه في ذات الوقت عاملا هاما من عوامل الدفاع عن النفس ودرء المخاطر ، بعد أن يكون الكاتب قد اسلم أفكاره إلى من ينوب عنه في قولها والدفاع عنها (فالقناع هنا وسيلة للتعمية أو التغطية على رأي معين، أو اتجاه فكري خاص بالكاتب يتعارض مع الأنظمة السياسية)(1)

لذا أصبح القناع رؤية لأهداف جديدة في النص المسرحي أكسبته قيما فكرية وجمالية ومساحة واسعة في التأويل . ولكون الكاتب المسرحي (سعد الله ونوس) قد تميز باستخدام القناع في النص المسرحي ، بدرجات متفاوتة و بأشكال مختلفة ونظرا لما لعبه القناع من دور كبير على مستوى الشكل والمضمون في نصوصه المسرحية ، مضافا لذلك عدم توفر دراسات سابقة (وحسب علم الباحث) تتناول موضوع القناع في تلك النصوص ، وللحاجة الماسة لمثل تلك الدراسات ، وضع الباحث السؤال التالي : كيف تعامل الكاتب (سعد الله ونوس) مع القناع في تجاربه مع النص المسرحي ، وما هي الأبعاد الفكرية والجمالية المترتبة على ذلك ؟ .

ثانياً - أهمية البحث والحاجة إليه :

- ترتبط أهمية البحث في تناوله للنظريات والمفاهيم التي اسهمت في ترسيخ تجربة القناع ورصد المتغيرات التي اكتنفت التجربة الأدبية المسرحية في ضوء هذا المتغير وما نتج عنه على المستويين الأسلوبي والجمالي .

أما الحاجة إليه فأنها تكمن في :

(1) تمكين المختصين والقراء من التعرف على تجربة مهمة من تجارب المسرح العربي الجادة ألا وهي تجربة الكاتب المسرحي (سعد الله ونوس) من خلال الكشف عن أسس تلك التجربة ومدى تأثيراتها على نصوصه .

(2) -إفادة المختصين في مجال الإخراج والتمثيل عند تجسيدهم لنصوص (سعد الله ونوس) وذلك من خلال استيعابهم لمكامن الأفعنة ودلالاتها الفكرية وأهميتها بالنسبة للنص .

ثالثاً. هدف البحث :

الكشف عن القيم التعبيرية وثرانها الفكري والجمالي الناجمة من استخدام (سعد الله ونوس) للفتاع في نصوصه.

رابعاً - حدود البحث :

حدود الموضوع : تجربة الفتاع في النص المسرحي.

- حدود المكان : سورية

- حدود الزمان : 1978

خامساً - تحديد المصطلحات :

1- التجربة : يعرفها (ابن منظور) فيقول : "رجل مجرب : قد بلي ما عنده .ومجرب : قد عرف الأمور وجربها" (2).

و تعرف التجربة بأنها " مهارة وخبرة , تكتسب من المشاركة , في أحداث أو ملاحظتها " (3) . وكذلك تعرف التجربة على أنها "الملاحظة المحدثة لتحقيق الفرضية أو للإيحاء بالفكرة"(4).

وبحكم أن التعاريف الواردة سلفا تبتعد عن الغاية التي ينشدها الباحث في إجراءاته لذا ارتأى الباحث أن ينحت تعريفاً إجرائياً للتجربة , ف التجربة : هي المهارة التي تجعل من الكاتب المسرحي متمكناً من تفتيح نصه باستيعاب عملي للواقع يجعل من ذاته محجوبة ومن فكره معلناً.

2 - الفتاع :

الفتاع والمفتعة : " ما تتفتع به المرأة من ثوب تغطي رأسها ومحاسنها . والقي عن وجهه قناع الحياء ، على المثل . وفتعه الشيب خماره إذا علاه الشيب " (5)

تشير " الموسوعة البريطانية " إلى أن الفتاع هو " التنكر , يرتدى عادة فوق الوجه أو في مقدمته ليخفي هوية الشخص الذي يرتديه , وليخلق شخصية أخرى . وهذه الصفة - أي إخفاء ملامح الشخصية الأصلية - هي صفة مشتركة لجميع الأقنعة عبر التاريخ وفي جميع أنحاء العالم ابتداء من العصر الحجري وحتى العصور الحديثة " (6)

و(الجابر عصفور) تعريفه الخاص بالفتاع حيث يعرفه بأنه " رمز يتخذه الشاعر العربي المعاصر ليضفي على صوته نبرة موضوعية شبه محايدة تنأى به عن التدفق المباشر للذات , دون أن يخفي الرمز المنظور الذي يحدد الشاعر من عصره " (7)

أما (عبد الوهاب ألبياتي) فيعرفه بكونه " الاسم الذي يتحدث من خلاله الشاعر نفسه متجدداً من ذاتيته أي أن الشاعر يعمد إلى خلق وجود مستقل عن ذاته , وبذلك يبتعد عن حدود الغنائية والرومانسية التي تردى أكثر الشعر العربي فيها " (8)

كذلك يعرفه (ضياء الثامري) : " ما هو إلا عملية تطوير وتوسيع للرمز الشعري لكي يصبح قادرا على حجب ذات الشاعر ومنها من الظهور المباشر , وليكون كذلك قادرا على استنفاد كامل التجربة الشعورية للشاعر بدلا من أن يكون إشارة إلى جانب من جوانبها " (9)

ويعرفه (خلدون الشمعة) على انه " أداة التلبس . ولابس القناع ممثل يتلبس الشخصية التي يلعب دورها على المسرح " (10) .
التعريف الإجرائي للقناع : أسلوب يمكن الكاتب من اتخاذ بدائل تعبيرية تعينه على إخفاء ذاته أمام أفكار من الخطورة الإدلاء بها بصراحة وانكشاف .
3-النص :

يعرفه (ابن منظور) بقوله:(نص الرجل نصا إذا سأله عن شئ حتى يستتهي ما عنده ونص كل شئ منتهاه) (11)

ويعرف النص بأنه : (مصطلح يحل محل (العمل الأدبي) . وفي الحين الذي نرفض فيه مفهوم " الإبداع الفردي / الدلالة تمثيلية الواقع " ، يصبح النص أثرا للكتابة ... ويستهدف تعريف (النص) ، إنكار مفهوم العمل المكتوب ... ويعرف (دريدا) (النص) ، كرقم بدون حقيقة ، أو كنظام أرقام ، لا تهيمن عليه قيمة الحقيقة .. (12).
النص يمكن أن يكون أيضا : (منطوقا أو مكتوبا ، نثرا أو شعرا ، حوارا أو مونولوجا ، يمكن أن يكون أي شئ من مثل واحد حتى مسرحية بأكملها ، من نداء استغاثة حتى مجموع المناقشة الحاصلة ، طوال يوم ، في لقاء هيئة (...). إن النص وحدة دلالية ، وليست الجمل إلا الوسيلة التي يتحقق بها النص .. (13) .
كما ويعرف النص على انه " أي مقطوعة قوسية أو كتابية مهما كان طولها والتي تشكل كلا موحدًا ، والنص وحدة لغوية استعمالية " (14).

وكذلك يعرف النص بعده : " جهاز نقل لساني يعيد توزيع اللغة واضعا الحديث التواصلي ، نقصد المعلومات المباشرة في علاقة مع ملفوظات سابقة أو متزامنة " (15).
أما (أكرم اليوسف) فيعرف النص بكونه " رسالة مكتوبة مكونة من رموز codes وأعراف conrentionals متبلورة ، ينشأ الإطار frame المسرحي على أساسها ، وتهدف إلى تمكين القارئ (والقارئ المزج) من تفسير هذا النص وترجمته إلى عوالم درامية dramaticworld وفضاءات تخيلية ، وفقا لقاعدة الميل إلى التوافق مع المعيار والانحراف عنه " (16) .

ويعرفه (عبد الكريم عبود) : " انه خطاب أدبي ، مكتوب ، يتكون من وحدة لغوية استعمالية تتشكل من مجموعة عناصر بنائية تتحرك بسياق معلوم لتشكل محاور النص

وتطوراتها بوصفها أبنية لغوية ذات معنى دلالي مرتبط بالمنجز الخاص بالكاتب المسرحي " (17) .

ومرورا بتلك التعريفات يتبنى الباحث التعريف الأخير للدكتور (عبد الكريم عبود) كتعريف إجرائي من حيث شموليته وقربه للمعنى الذي يتوخاه .

المبحث الأول : تجربة القناع في المسرح العالمي

أوجد القناع له مكانا في الحياة الإغريقية قبل أن يكون له ذلك الدور الأساسي في العملية التمثيلية بشكلها التلقائي أو المنظم ، كأداة مؤثرة وذات دور فعال في العرض . فقبل أن يكتشف اليونان القناع المصنوع كانوا ضمن طقوسهم الخاصة يحاولون ابتكار البديل حيث (نجد أن المشاركين في المواكب الذبانية يلطخون وجوههم بسلافة الخمر وبأوراق الكرمة ليغيروا ملامحهم ، وانطلاقا من ذلك (..) تم الانتقال إلى استخدام أقنعة حقيقية صنعت لهذه الغاية، كانت ، بدل ان تحاكي القسّمات البشرية ، تبدي مظهرا وسيطا بين المرعب والمضحك . وان "ثسبس" هو الذي بدل هذا الاستعمال إذ أضفى على القناع ملامح بشرية) (18)

تلك الفعاليات كان لها انعكاسها الكبير على طبيعة المسرح اليوناني فمن خلال الاحتفالية أو الطقس الذي كان يخوضه اليونانيين والذي كان القناع جزءا لا يتجزأ منه وضعت محددات لنوع المسرحية الإغريقية وتلك المحددات خضعت لشكل القناع : ففي الطقسية الخاصة بأعياد ديونيزوس التي تعتمد على الديثرامبوس* تقوم الجوقة برقصتها وهي مرتدية لقناع جسدي هو جلد الماعز (تراجوس) وهذا الاسم الأخير اشتقت منه تسمية التراجيديا ، في حين أنتج القرويون اليونانيون بتجمعاتهم وهم متنكرون بالأقنعة ومرتدين أردية تمثل وحوشا وطيورا وقد وصلوا إلى حالات فاضحة من التهتك ومن السكر والعريضة ما يسمى (الكوموس) وهو الجذر الذي نمت منه الكوميديا . (19) .

ورغم الدور الذي لعبه (ثسبس) في صياغته للقناع ذي الملامح البشرية ، وپروزه كمثل أول مهد للمسرح الإغريقي بيد أن (اسخيلوس) استحق الريادة " بإضافة الممثل الثاني ، واعتماده على نص درامي ، وتوظيفه للأقنعة والملابس " (20) .

وعلى اعتبار أن (اسخيلوس) هو أول من كتب نصا دراميا متكاملًا في المسرح اليوناني فإنه يمكن أيضا القول على أنه أول من جرب مع القناع الفكري في النص فقد استطاع (اسخيلوس): (استغلال الكثير من (..) الحيل : الشخصية التي تظهر غير ما تبطن ، والكلمات التي تدل على معنى معين فيما يفهمها المتفرجون بمعنى آخر ..) (21) .

أما (سوفوكليس) فكان له مشاركات عديدة في الاحتفالات الديونيزوسية , وقد حظا لديه القناع بأهمية في العرض المسرحي ويمكن تلمس ذلك من خلال مسرحية اوديب : (تبدأ التمثيلية , إذ تبدو هناك , حول مذبح ساحة الرقص جماعة محتشدة من الممثلين الذين يقومون بالأدوار الصغيرة (الكومبارس) واحد الممثلين يتجه إليهم ... وقد لبس قناعه وملابسه الملكية) (22) .

في حين أن (يوربيدس) يتميز عن سابقه بكون القناع عنده أكثر عمقا إذ لم يكن قناعا ماديا متعلقا بتقنيات العرض وإنما قناعا متغلغلا في أفكار نصوصه , (فيوربيس) وبسبب من هجوماته المستمرة على الآلهة والحياة الإغريقية كان يحتاج إلى ما يكفل له التحوط والحماية من مغبة ذلك الأمر خصوصا وأنه قد أثار ضجة وموجة من النقد والاعتراض لا يمكن أن توصف لذلك فانه في مسرحية (افيجينيا في اورليس) : (ينهي ..) مسرحيته موجها إدانته إلى الجيوش والملك والآلهة على جريمتهم النكراء بحق افيجينيا . وكل ما يحدث من بعد ليس إلا من قبيل التستر وتمرير المسرحية على من يحاول اتهام الشاعر بالإلحاد والعصيان حيث يحضر احد الرسل أخبارا مفادها بان افيجينيا لم تنحر وان الآلهة ارتيميس أبدلتها في اللحظة الأخيرة " بغزال جبلي " وبذلك انتقلت افيجينيا إلى عالم الخالدين) (23) .

ولعل الميزة الأخرى (ليوربيدس) التي تميزه عن(اسخيلوس) وحتى (سوفوكليس) أن مسرحه لا يقدم حقيقة خيالية وإنما يقدم نسخة من الواقع لا إشارة عنه . ولذلك فهو يتعزز على الأفتعة المعبرة والألات المعقدة , والجوقة المتقلصة . (24) .

لكن الحديث عن التطبيق الفعلي للقناع بمعناه الفكري في النص المسرحي يرتبط اشد الارتباط في المسرح اليوناني بأشد الكتاب تعاملًا معه في تلك الفترة ألا وهو الكاتب (ارستوفانيس 448 - 385) ، حيث أدرك (فانيس) المهمة السياسية التي من الممكن أن يناط فيها للقناع الدور البارز في كشف الأعياب رجال السلطة وما إلى ذلك من قضايا ذات تأثير كبير على حياة مجتمعه " فالمعارك الدائرة مع اسبرطة ، والحملة ضد صقلية التي جلبت الكوارث ، وعنف المعارضات القائمة في المدينة ، التي كانت تتخذ شكل محاكمات وحروب أهلية ، كل ذلك يشكل الخلفية لرموز ارستوفانيس الكوميديية" (25)

ولم تسلم أثينا من القوانين القمعية التي خنقت حرية العروض المسرحية في توجيه نقدها للكهنة والقضاة أو حتى للشعب نفسه ، وفي عام 440 ق. م ، منع التصدي بالمحاكاة الساخرة لأي مواطن ، ورغم إلغاء القانون بعد ثلاثة عقود ونيف إلا أن (كليون) سن قانونا آخر يمنع الافتراء على المواطنين الأثينيين بحضور الغريباء وكان هدفه

الأول في ذلك إسكات (ارستوفانيس) وإيقافه عند حد ما ، فما كان من (ارستوفانيس) إلا أن يحرف الأسماء المعنية ويعمل وفق تلميحات لا تدع مجالاً للشك .(26).

ففي مسرحية (الفرسان) مثلاً يرمز (فانيس) بشخصية باع السجق إلى حاكم أثينا ولكي يموه من اهتمام كليون له قام بإضافة شخصية رابعة إلى النص واسماها باع المشائق ، وقام أيضاً بتمثيل دور الطاغية على المسرح دون استعمال قناع بل طلى وجهه برواسب النبيذ ليتمكن من مشابهة وجه رئيس الحكومة ففي حينها لم يجرؤ احد على تمثيل شخصية (كليون) ، لكن النتائج أن يأخذ (فانيس) إلى المحكمة بعد نهاية العرض ويخبر القضاة بأنه لا يعني حاكم أثينا ويقتنع القضاة برأيه وذلك لإمكانيته في خلق تداخل محكم تعيشه شخصيات النص إلى

جانب كثرة الرموز التي اعتمدها . (27) .

إن ما يعطي القناع في نصوص (ارستوفانيس) قيمته كأداة نقدية فاعلة تعمل على إدانة المتسلطين السياسيين وكشف الأعيابهم انه " كان بارعا وذكيا في إيصال أرائه وأفكاره إلى الجمهور الأثيني مستلهما ذلك من خياله الخصب في إيجاد صورة مضحكة مستوحاة من الأسطورة تارة ومن الواقع السياسي تارة أخرى " (28)

ويرى الباحث أن (اسخيلوس)، و(يوربيدس)، و(ارستوفانيس) قد منحوا العرض المسرحي طابعا فكريا يحتم تعدد القراءات وإثارة المناقشات في تشبيتهم لفكرة القناع في النص فقد كسروا القوانين التعبيرية الجامدة المنبعثة عن الأفتنة المادية التي اتخذت شكلا محددا في التعبير في المسرح اليوناني إذ كان من ضوابط الشكل الكوميدي للقناع حينها أن يكون ذا أسارير منفرجة ليدل على الضحك ، في حين يكون القناع المأساوي متهدج الملامح ليدل على العظمة والإجلال (29).

وهكذا نجد أن التجربة التي خاضها هؤلاء الكتاب مع القناع في النص هي مصدر ثراء العرض المسرحي فكريا وجعله ملتصقا بواقع الإنسان وهمومه بعد أن كان العرض كما تصفه (اوديت اصلان): من يشاهد عرضا في هذا المسرح لكانت أولى انطباعاته أن ما يقدم أمامه عرضا بربريا . فالممثلون وأقنعتهم يضاف لهم " المانيكان " المثقلين الحركة نتيجة لإحجامهم الغير طبيعية وهم يرتدون الأحذية العالية ، وأقنعة تزينها ألوان فاقعة ، ولا تتعدى الضخامة الشكلية التي بدت على هؤلاء كونهم قد حشو أذرعهم وأرجلهم إلى حد رهيب ، إضافة إلى ارتدائهم رداءا طويلا جرجارا و " باروكة " ضخمة . (30)

كذلك نجد أن (لبارت) رأيه في القناع الإغريقي وعلى حد قوله : أن المسرح التراجيدي الإغريقي احتوى على ملامح التغريب لانعدام هوية القناع . (31)

أما التعامل مع القناع في النص المسرحي في عصر النهضة يتجسد أيضا في المسرحية الإسبانية إذ كانت تحوي حيلة مفضلة تعتمد القناع الذي من خلاله تنتكر شخصية الملك لتسهم في عقدة المسرحية وهذا ما اعتمده تحديدا (لوب دفيجا 1562 - 1635) وأتباعه فقد كان (دفيجا) يعاني من أزمة التوفيق بين متطلبات الجماهير العلمانية وإرادة رجال الدين الداعية للمسرحية الدينية لذا جمع (لوب دفيجا) في أربعمئة مسرحية من مسرحياته المدعوة بمسرحيات الأفتعة بين الاستهلال والمهزلة والمجاز الديني لكي يتمكن من تمريرها على رجال الدين ومن ثم يحقق رغبات السوق بإدخال السرور إلى أنفسهم. (32).

ومن الكتاب الذين جاءوا في فترة الكلاسيكية الجديد الكاتب الكوميدي الفرنسي (موليير) وكان الأخير من الكتاب الذين منحوا القناع الفكري في النص اهتماما بليغا (فمولير) (كارستوفانيس) عمل على جعل مادته المسرحية انبعثت لواقع الحياة التي يعيشها فعندما قدم مسرحيته (المتحذقات المضحكات) 1659 كان ما تولد عنها من ضجة واضطراب مما لا يحمد عقباه رغم أن (مولير) كان يعني بالتحديد مدام (رامبويه) غير أن تلميحاته أخذت سعة في تأثيرها ولم ينجح سوى الحظوة التي كان يتمتع بها لدى الأسرة الملكية (33).

ولعل أكثر مسرحيات (مولير) تقنعا مسرحية (طرطوف) 1664 ، حيث هاجم من خلالها الدجالين ممن يصطنعون التدين فقد " استطاع طرطوف أن يتقنع بالتقوى والورع ويتظاهر بالحرص على الدين " (34)

وكان من نتائج هذه المسرحية ومدى الحملة الغاضبة التي جسدها (مولير) من خلالها على النفاق الديني أن عجز لويس الرابع عشر عن إيقاف عرضها (35). وقد لاقى القناع الفكري صدى أكبر في المسرح المعاصر ففي إيطاليا نجد (لويجي بيرانديللو) يتخذ من القناع شكلا فلسفيا في مسرحياته منطلقا من فلسفة فكرية عميقة كان (بريجسون) المثير الأكبر لها فقد تأثر (بيرانديللو) بمجمل مفاهيم (بريجسون) المتعلقة بميوعة الحياة وزوالها وبعدها الكبير عن المنطق والعقل وقربها الأشد من الغرائز عندما تنبعث عن التلقائية، بيد أن الإنسان وهو مالك لعقل ليس من الممكن أن يعيش بالغريزة كالوحوش وفي ذات الوقت لا يمكنه القبول بكيونة ليست ذات ثبات . ومن هنا تتحدد وظيفة العقل بوضع تعريفات تحدد ثباتا للحياة . لكن الحياة عسيرة على التعريف وبذلك لن تكون تلك المفاهيم سوى أوهاما ، ولكن الإنسان كإنسان لا بد أن يرغب في القوالب وذلك لأن كل ما لم يملك قالباً يثير الخشية ويملاً الإنسان فرعا . إن دراسة

(بيرانديللو) لهذا المفهوم قاده إلى ما يسمى بالصراع بين الوجه والقناع وهذا المفهوم كتطبيق وجدته (بيرانديللو) في مسرح البشاعة والذي هو عبارة عن حركة عمل على تأسيسها كل من (كياريللي) و (مارتيني)، و(انطونيللي) وارتكز عمل هؤلاء على الصراع الناشئ عن مواقف غير مألوفة تقدم بأسلوب مثير للضحك حيث يكون القناع متمثلاً بقوالب خارجية وقوانين اجتماعية في حين يمثل الوجه عذابات الإنسان. (36)

وكان النموذج البارز في مسرح البشاعة مسرحية " لويجي كياريللي " المسماة " القناع والوجه 1916 التي تصور رجلاً تعهد بقتل زوجته فيما لو قامت بخيانته. وبعد مرور فترة إذا به يشهدها في ذلك الجرم ولكنه يحجم عن قتلها ويعمل على نفيها ثم يسلم نفسه إلى العدالة معترفاً بقتله لها ومن هنا يتشكل القناع والوجه.

فالمؤلف يعمل على الاحتفاظ بقناع الرعب وبوجه الحب وبعد أن كان الوجه واحداً في هذه المسرحية بمقابل القناع ، فان (بيرانديللو) بعد أن امسك بهذه الفكرة أعطاها مداً بعد بكثير إذ أوجد وجوهاً وأقنعة متعددة . ومن الأشياء الأخرى التي تتعلق بالحقيقة بوجوهها المتعددة والمتناقضة توصل (بيرانديللو) إلى مفهوم مسرح المرأة مشيراً من خلاله إلى أن التوصل إلى حقيقة النفس المراوغة يتشكل بانعكاسها في عيون الآخرين ويؤخذ الانعكاس على أنه الأصل ضمن حسابات الإنسان ، إذ أن هذا الإنسان يتقبل هوية تتركب فوق أخرى وهذا التقبل هو احد جوانب مسرح المرأة عند (بيرانديللو) والذي تحتل مكاناً في كل مسرحياته فمثلاً (لوديسي) يتفحص طيفه في المرأة متسائلاً ما أنت بالنسبة للآخرين ؟ ما أنت في أعينهم .(37)

ويقول (بيرانديللو) مستطرداً حول القناع والوجه (هناك ما هو أشبه بالقناع الداخلي الذي لا يراه إلا الشخص الذي يلبسه . وهناك القناع الخارجي والأقنعة التي يعرفها به رفاقه . وهذا القناع الخارجي قد يكون شيئاً فرضه المجتمع عليه يود لو تخلص منه لولا إصرار الرأي العام على لن يلبسه وهنا يتساءل بيرانديللو أين هي الحقيقة أو الواقع الموضوعي في كل هذه الضجة)(38).

كما وتعتبر تجارب (أونيل) مع القناع في النص المسرحي من التجارب الهامة فقد لاقى القناع لديه اهتماماً إلى درجة اعتباره أداة في حل مشكلات العصر ففي تصريح (لأونيل) في المجلة الأمريكية عام 1932 يوضح تلك الأهمية بقوله " أن في بعض المسرحيات وبخاصة المعاصرة ، القناع هو الذي يمكن الكاتب المسرحي من حل أهم المعضلات التي تعترضه ، وبإمكانه عبه أن يجسد الأزمة المتخفية بعمق في النفس التي تعالجها السيكولوجيا ، فكيف يمكن أن نراقب النفس إلا من خلال دراسة القناع وبالتمرس بكل نوع الأقنعة "(39).

إن خير مثال يهتدى به للتدليل على التجارب الهامة التي خاضها (اونيل) مع القناع يمكن العثور عليه في مسرحية (الإله الكبير بروان) فهذه المسرحية " استعارة تمثيلية للصراع بين النسك والتدنيس وبين الفنان (الذي تتصارع فيه هاتان النزعتان) ومادية المجتمع ، لقد حاول أونيل أن يعبر عن هذه التناقضات المختلفة باستخدام الأقنعة التي تضعها شخصياته وتخلعها طبقا لاحتياجات الموقف"(40)

لقد شكلت هذه المسرحية شيئا هاما بالنسبة (لاونيل) إلى درجة أن ميزها عن كل كتاباته. يقول (اونيل) " مازلت أجد هذه المسرحية أفضل ما كتبت واشد تأثيرا . إن لها أقاتها ، دون شك ، إلا أنها ، بالنسبة لي ، على الأقل ، فإنها توفق في التعبير عن مأساة الحياة السرية والتي تتكشف عبر الأقنعة " (41)

وقد اعتمد (اونيل) القناع الكونغولي اعتمادا رمزيا في مسرحية " أبناء الله كلهم لهم أجنحة " 1923 وقد أثار ضجة كبيرة لكونه استهدف التمييز العنصري والطبقي.(42)

مسرحية (اونيل) الأخرى (ضحك ليعازر) 1928 فقد أعطى فيها للقناع مساحة أوسع إذ تحتاج هذه المسرحية " لأكثر من مائتين وخمسين قناعا مختلفا ويكاد يكون كل مشهد فيها مماثلا لأخيه " (43).

إن الحديث عن القناع الفكري في المسرح المعاصر يرتبط بقوة أيضا بمسرح (بريخت) فغالبا ما كان يلجأ هذا الكاتب إلى التعامل مع التاريخ كأداة للتستر على أفكاره السياسية فنجد أن (بريخت) في مسرحيته (فاتزر) 1927 يعمل على تقديم شخصية تتخذ من عماء الآخرين سبيلا في التقدم صوب رغباتها ولا تولي لهم أدنى اهتمام رغم أن بقائها مرتبط ببقائهم معها ، لكن مشكلتها أنها تعامل الآخرين كأشياء لا كأفراد . وما تلك الحادثة وما هؤلاء الأفراد إلا قناعا أراد به (بريخت) الإشارة إلى أزمة الصراع في القوة المتفاقمة في الحزب الشيوعي الاممي في العشرينات . (44)

وتعد مسرحية (جاليلو) شاهدا آخر على تمكن (بريخت) من تحقيق قناعه عبر التاريخ ليكون شاهدا حيا على القضايا الراهنة في مجتمعه ففي (جاليلو) " يعيد الكاتب ترتيب تاريخ الكنيسة ، الاندفاع الأولى للبروتستانتية والنتائج المدمرة للإصلاح المضاد في القرن السابع عشر ، وذلك ليمائل تاريخ حزب العمال الاجتماعي الديمقراطي القديم في روسيا ، عبر موجات من الثورة ورد الفعل في القرن العشرين " (45).

وفي مسرحية " دائرة الطباشير (القفقاسية) " يعمل بريخت على تحقيق قناعه من خلال مفهوم التهريب " إذ تكون الأم المربية بديلا للام الأصل أمرا طبيعيا .. والهدف

من وراء هذا القناع إدانة لنظام بأكمله هو النظام الاجتماعي المتفسخ المنقسم على نفسه . الذي تنقلب فيه القيم رأسا على عقب "(46).

لقد كان لأسلوب (بريخت) في التفتع تأثيره حتى على المسارح السوفياتية ، فقد قدم المخرج السوفياتي ليوبيموف مسرحية " سينزوان " في أواخر عام 1964 وكانت غمزا ته السياسية استفزازية بصورة جريئة لكن بمقابل ذلك كان أفلاته من الخطر ممكنا بوساطة عرض الأعمال الكلاسيكية التي تخضع لرقابة اقل صرامة وباستخدام قناع النص البديل الذي يعتمد بريشت(47).

المبحث الثاني : (تجربة القناع في المسرح العربي):

لقد شكلت مسألة التفتع من خلال الرموز الأسطورية والتاريخية والتراثية في النص المسرحي العربي هاجسا بالنسبة لأغلبية الكتاب العرب (فمنذ الربع الأول من الستينيات بدأ المسرح المصري يتوغل في الرمزية ليعبر عن الخلل السياسي ..) مما انحرف بالمسرحية إلى الجانب الذهني الذي كان توفيق الحكيم رائده .. فقد وجد معظم كتاب المسرح أن خير وسيلة لإيصال آرائهم في فساد الواقع السياسي والاجتماعي أن يخلطوا بين الأشكال الفنية عند كل من بريخت ويونسكو وبيكيت ، وان يستوحوا بعض الشخصيات التاريخية كي يغمضوا أهدافهم ، طلبا للأمان من بطش السلطة (48)

وحقيقة الأمر أن الرمز في المسرح المصري لم يكن يشكل حضورا ملموسا إلا بعد أن أنتج (توفيق الحكيم) مسرحية (يا طالع الشجرة) وعمل على المزج فيها بين عنصرى التراث والعبث ، فكان ما صنعه (الحكيم) خطوة هامة في منح الكتاب الذين تأثروا بتجربته قدرا كافيا من إمكانية التعبير بحرية عن آراء وقضايا كان من الاستحالة مناقشتها أو التصدي لها ، و(الحكيم) في هذه المسرحية يختفي خلف قناع الرمز كي يدين السلطة .(49)

لقد كانت مسرحية (ياطالع الشجرة) من درجة التفتع الشديدة إلى درجة أن تعددت القراءات النقدية حولها (فمجد مندور) يرى أن شخصية (الزوج) هي شخصية (الحكيم) في مقابل شخصية (الزوجة) التي تعني الحياة ، ويشير(مندور) إلى أن هذا التفتع المفرط لكون (الحكيم) قد لجأ في هذه المسرحية إلى أسلوب العبث ودليله على ذلك الحوار المتكرر (للزوج) عن (شجرته) و(الزوجة) عن (بنتها) إلى درجة فقدان اللغة قدرتها على أن تكون أداة للتفاهم ، في حين يجد الناقد (خليل نور الدين) إن للمسرحية تفسيرا سياسيا منطلقا بذلك من أغنيتها التي وجدها تعني طلب الفقراء للطعام في حين أن شخصية (الزوج) تجسد الرأسمالي ، ولكن (الشجرة) رمزت إلى(مصر) لدى

الناقد (غالي شكري) فربط هذا الأخير المسرحية بالواقع المعاصر مع رأيه في كونها أسطورة حديثة. (50)

ولعل (الحكيم) بانصرافه إلى المسرح الذهني إنما أراد قبل كل شيء ان يؤسس لمعادل موضوعي مسرحي يمكنه استيعاب جل القضايا التي تستعصي على الطرح ولا تسمح بالمباشرة فوجد القناع والرمز الأداة المثلى لذلك ، ويشبه الدكتور (عبد الله ابوهيف) هذا المعادل بالكتابة الخرائطية حيث يجد " ان الكتابة المسرحية كالتخطيط الخرائطي يقوم على تكوين نسبة معينة ، لأن الجبال كما هي في الواقع تتحول على الخريطة إلى مربعات أو دوائر أو مثلثات وغير ذلك (51) .

ويلاحظ نتيجة لتركيز (الحكيم) على القناع في تجاربه المسرحية فقد أصبحت " الأفكار هي مركز الثقل في مسرحياته ، أما الشخصيات فليس لها كيانها الخاص ، وإنما وجدت لتجسد الأفكار . وينشأ الصراع لا بين العواطف وإنما بين الأفكار ، والحوار في معظم المسرحيات فكري ومعقد . " (52).

والقناع في مسرح (الحكيم) غالبا ما يعتمد الأسطورة، كونها عالم إنساني تنبعث منه إحساسات إنسانية فيها من اليأس والحزن والفرح والعذاب ، عالم لا يمكن أن يكون جامدا ولا يمكن لمادته أن تكون ثابتة لكونها تكتسب هيتها ودلالاتها وفقا لإحساسات المتلقي . كما وان (الحكيم) وجد في لغتها الرامزة خير ترجمانا لأحاسيسه وأفكاره وقد تمكن من جعل الرموز قادرة على الترابط والاستدعاء . (53)

كما ونرى تجسيدا للقناع في مسرحية (براكسا او مشكلة الحكم) لـ (توفيق الحكيم) حيث يعتمد في هذه المسرحية رمزا سياسيا متأثرا بمسرحية قديمة (لارستوفانيس) بعنوان "مجلس النساء" حيث يجعل من "ابقراط" رمزا للعلم والمعرفة ، و" الفيلسوف" رمزا "للعقل والحكمة" . ويستهدف (الحكيم) بهذه الرموز إدانة السلطة حيث يوجه رسالة تؤكد أن ليس ثمة سبيل لإصلاح الحكم إلا بالتخلص من فساد النظام الديمقراطي . (54)

أما الكاتب (يوسف إدريس) فتكاد تكون مسرحية (المهزلة الأرضية) خير دليل على استخدامه للأقنعة والرموز فـ (أحداث المسرحية تدور حول النزاع على الملكية بين ثلاثة أشقاء(..) وبعد احتدام الصراع وازدياده تصفو العلاقات بين الأشقاء . وتنتصر الأخوة والمحبة و الأشقاء الثلاثة يتحولون من أناس بسطاء إلى رموز وأقنعة لفئات اجتماعية ..) (55) .

في حين نجد أن الكاتب (عبد الرحمن الشرفاوي) وجد في التاريخ بأحداثه الماضية قناعا يمكنه من نيل مآربه في نقد السياسة ففي مسرحية (الفتى مهرا) وكما يقول (محمود أمين العالم) يجعل " من العصر الملوكي موضوعا لها وتنتقد الوضع الاجتماعي في ذلك العصر . وتصور التناقض فيه بين الحاكم والمحكوم . ومدى الظلم الذي يمارسه الحاكم . ومدى المقاومة التي يبديها المحكوم . والمسرحية تعبير رمزي عن أحداث واقعا الاجتماعي والسياسي " (56)

ولا يمكن إغفال دور الكاتب (الفريد فرج) فقد شكلت القضايا الوطنية لديه هما يوجب مجابهة السلطات القمعية وفضح مكائدها ولذلك لم يكن هنالك نص لهذا الكاتب يخلو من إدانة الاستعمار ومجاهته ولكي يحقق ذلك كانت نصوصه المسرحية تتقنع بأشكال ووسائط مختلفة ولعل من أهمها التراث العربي، ففي مسرحية (حلاق بغداد) مثلا قام بالمزوجة بين حكايات (ألف ليلة وليلة) وإحدى قصص الجاحظ في كتابه (محاسن الأضداد) في حين جاءت مسرحيته (علي جناح التبريزي) كاستلهام لحكايات ثلاث من الليلي، هي حكاية (المائدة الوهمية) وحكاية (الجراب) وحكاية (معروف الاسكافي) وعالج فيها قضية توزيع الثروة بين كافة فئات الشعب العامل، متجاوزا حدود التراث متوغلا حدود المعاصرة، وفي مسرحية (الزير سالم) يجعل من التراث قناعا لتحقيق العدل أما مسرحيته القصيرة (بقبق الكسلان) فهي تعود إلى فضاء حكاية الليلي، كما واشتركت معها في ذلك مسرحيته الأخيرة (الطيب والشيرير والجميلة) (57)

وفي مسرحية أخرى يتجاوز (الفريد فرج) القناع التراثي ليبحث عن قناع آخر، فهو مثلا في مسرحية (عطوة أبو مطوة) يقوم باستحياء مسرحية (أوبرا الشحاذين) للكاتب الإنكليزي (جون جاي) ليحقق من خلالها إخفاء للشخصيات والأحداث التي يعينها بالحقيقة وعلى حد قول الناقد (محمد بركات) " في عمله هذا الجديد يقدم لنا الفريد فرج صورة مصر في الثلاثينات من هذا القرن وهي ترزح تحت حكم الاستعمار البريطاني وأذنايه .. يومها كانت الأزمة الاقتصادية العالمية تأخذ بخناق الجميع ، وقد انسحبت أثارها على مصر " (58).

لقد كانت الأفتعة الفكرية جزءا هاما من تجربة (الفريد فرج) في المسرح وقد كان وجودها مقترنا بثورته السياسية المستمرة وإحساسه بالمسئولية تجاه وطنه إلى جانب إدراكه لأهمية رسالة الفن إذ يؤكد (فرج) أن " رسالة الأديب تعلمنا إلا نخشى كارثة ، ولا نتهيب مغامرة . فكل زمن خطير في التاريخ كان زمن اضطراب وكوارث . وأعظم فوائد الإنسانية تجمعت عن عصور العذاب والخطر . العاصفة لا تقتلع إلا ضعيف الاغراس أما الأشجار ذات الحيوية العصبية فالأعاصير لا تزيدها إلا قوة ومناعة " (59).

أما الكاتب (صلاح عبد الصبور) فقد لجأ في صياغة قناعه المسرحي الفكري إلى التاريخ العربي مما أمكنه من شحن العمل المسرحي برموز عربية تاريخية عظيمة وليس السبب الإعجاب بهذا التاريخ بقدر تجاوز العقبات التي تعترض طرح الفنان لرأيه في واقعه المعاصر ولعل (الحلاج) يعد أنموذجاً بارزاً للطرح التاريخي المقنع أو لاستخدام التاريخ كقناع أو لاستخدام الشخصية التاريخية كقناع ، (صلاح عبد الصبور) لم يتقيد بحرفية التاريخ ، وإنما اكتفى بالزى التاريخي لهذه الشخصية ليمنحها أفكار جيله من واقع همومه المعاصرة .(60)

في حين انه في مسرحية " الأميرة تنتظر" يستخدم عدة وسائل فيعمد إلى جعل المسرحية " تلعب بالأقنعة وبالتمثيل داخل التمثيل وبالرمز المكثف وبالإغراب والإيحاء " (61). وكان القناع الفكري عند الكاتب (رشاد رشدي) لا يقل شأنًا عن سابقه فهو في مسرحية " (انفراج ياسلام) وكما يقول (محمود أمين العالم) "يعالج رشاد رشدي موضوعه بأن يتخذ رموزه من التاريخ ، تاريخ مصر تحت حكم المماليك وتواجهنا دائماً أقنعة رمزية تعبر عن الحكام والمحكومين " (62) . ويشير الدكتور (محمد الدالي) إلى أن (رشدي) قد نفذ فكرة القناع الرمزي في هذه المسرحية بعد

قراءة تاريخ (مصر) في كتاب (سندباد مصري) للدكتور (حسين فوزي) و(ابن اياس) و(الجبرتي) ديدا ، ولجأ (رشدي) فيها إلى الرمز خوفاً من التصريح والى الإيحاءات خشية العلانية في معالجة فلسفية تسخر من الحاكم في فترة الم بالثعب المصري ألما كبيراً دون أن يكون لهم من دونه مفراً أو ملاذاً (63) .

كما وان هناك استخدام يعتمد المزج بين أساليب مختلفة للقناع قام (رشاد رشدي) بتنفيذه في مسرحية (حبيبتي شامينا) حيث يربط بين الرمز والواقع وبين التاريخ والأسطورة .(فحاكين) رمز الكلمة والمعرفة . والفتى (راعين) يرمز للإنسان وللحرية . أما (شامينا) ابنة اورشليم فهي رمز الحب والحياة وترمز (سوسنة) إلى سينا (أبناء سليمان) إلى اليهود وبذلك تكتمل عناصر قصة الأرض المغتصبة . (64) .

أما الكاتب (علي سالم) فإنه في مسرحية (أنت اللي قتلت الوحش) يؤكد قدرة الأسطورة على أن تكون مادة مميزة في صياغة القناع الفكري ، والمسرحية " صيغت صياغة عصرية من "اوديب" فغير الأسطورة الإغريقية تمام التغيير بحيث جعلها تعكس القرن العشرين بصفة عامة والوضع في مصر حتى هزيمة 1967 بصفة خاصة ،

والهدف من المسرحية " التنديد " بالشرور الاجتماعية والسياسية التي عمت البروقراطية الفاسدة " (65)

وهناك تجربة أخرى في التعامل مع القناع في المسرح العربي تتمثل بتجربة الكاتب (رؤوف مسعد) حيث يعمل على توظيف القناع الفكري بطريقة أكثر جدة عندما جعل القناع شخصية تلعب لها دورا في مسرحيته " القناع والخنجر " 1965 فنجد (القناع جزء مكمل في المسرحية ..) وهو يعلق على بعض الأحداث ويتنبأ بأخرى ، وهو يرمز إلى الأفريقيين الذين مزقتهم الخلافات والنزاعات فتركوا قائدهم يواجه الأزمة بمفرده (66).

أما القناع في مسرحيات الكاتب (فيصل الراشد) فإنه يتميز با لقساوة والفتامة وهو يجسده من خلال لجوؤه إلى أفئعة حيوانية تعكس عنف الواقع ولا معقوليته ويتجلى ذلك في مسرحية (امرأة حافية) عندما يجعل (ضفدعة) تتكلم بغضب ومرح في آن واحد ، وكيف أصبحت ضفدعة بعد أن كانت امرأة في الأصل . ويؤكد المؤلف تطبيق نفس الرؤية القاتمة ويلبس الإنسان قناعا حيوانيا في مسرحيته الأخرى (تداعيات بغل فقد سمعته) . ويلجأ (الراشد) إلى الأفئعة بشكل عام في نصوصه مؤكدا التحولات التي نصيب الإنسان ، وتكون الأفئعة حيلة فنية يقوم من خلالها بعكس الانسنة موجهة نقده إلى الاستبداد الذي يستولي على آدمية الإنسان ويمحو أثرها . (67)

وفي مسرحية (حلم الهمذاني) للكاتب السعودي (محمد العثيم) فإنه يجعل شخصية (ابن هشام) التي هي شخصية من صنع خيال الهمذاني ، يجعلها تستسلم لخطاب (الكاهن / السكندري) ويجعل (العثيم) من محتوى الخطاب بعيدا عن مجتمع الهمذاني، مجتمع القرنين الثالث والرابع الهجري ، وبذلك فهو يستعين بتلك الشخص ومسمياتها كغطاء يمرر من تحته مفردات مجتمعنا الحديث وعصرنا ، بما يميزه من أدوات قتل متطورة من أسلحة تدمير كالقنابل النووية والجرثومية والمدافع . (68).

ولا تقل تجربة المسرح العراقي شأنا عن بقية المسارح العربية في التعامل مع القناع ورغم مرور كتاب المسرح بضغوطات سياسية مستمرة ابتداء من الخمسينيات وما تلتها وما فرضته تلك الضغوطات من همود فني وما استدعته من ركون إلى الصمت طلبا للامان ، حيث أن التواصل كان يعني المخاطرة والمجازفة إلا أنهم لم يتراجعوا وعزموا إلا التواصل والمواجهة حتى النهاية مستعينين بأشكال من الصراع الخفي . (69)

وفي تلك الفترة أنتج (العاني) مسرحية (مسمار جحا) التي أعدها عن نص للكاتب (علي احمد باكثير) وقام بتكثيف فكرتها وباختصارها لتلائم الظرف السياسي آنذاك حيث كانت الساحة العراقية تشهد تحركا وطنيا والصراع يتسم بالتصاعد بين السلطة

الرجعية والشعب السلطة التي انكشفت تلاعباتها وزيفها عبر المعاهدات الجائرة والسيطرة الاقتصادية واحتكار النفط فكان (مسمار جحا) القناع الأمثل لمهاجمة كل ذلك بعد أن وجد (العاني) إمكانية الضغط على تلك الفكرة لإثارة إحساس المتفرج وتعزيز انتباهه للمعنى المضمّر . (70)

لقد استعان (يوسف العاني) وهو يجابه مخاطر السياسة القمعية المتسلطة بالرمز وأعطاه مكانة ووجودا حيويًا في نصوصه ويشير (العاني) إلى هذا الأمر مستطردًا) الرمز والإشارة العابرة نظل عميقة وهامة ، اداءً وتجسيدًا وأثرًا (...) ومن هنا ارتبط مسرحنا بالناس فكان بحق مسرحًا سياسيًا في وقت كانت السياسة في المسرح(..) جريمة يعاقب عليها القانون وسخرنا من الساخرين منا) (71) .

وبالرغم من تغطية (العاني) لنواياه تجاه السياسة وتوخيه جانب الحذر غير انه لم يسلم من تبعات أفكاره المسرحية المشحونة بالهزم واللمز المعبأ ضد السلطات رغم تقنعه بالتاريخ والتراث أو الاقتباس أحيانًا وهذا ما جعل (العاني) بعد تعرضه لملاحقات السلطة ومنع مسرحه عام 1957 أن يستعير اسما له كمؤلف وبذلك ذهب (العاني) لا لتقنيع النص فقط وإنما لتقنيع نفسه أيضا . (72)

أما تجربة العاني في مسرحية (الخرابة) عام 1970 فقد أراد بها السخرية من الانكليز مسلطًا الضوء على الثوار في النجف ليعود القهقري إلى الوراء مدونا أحداث عام 1918 وجعل من أعضاء الخرابة يشنون تلك الحملة الساخرة كما وجعل من شخصية الشاب المسمى " الواحد "

رمزا للوجه الكالح المتمثل بالولايات المتحدة . (73)

ويقول (يوسف عبد المسيح ثروت) مشيرًا لشخصية (الواحد) في مسرحية (العاني): (إلا أن

المؤامرة التي يريد الواحد أن يفتعلها بين سكان الخرابة سرعان ما تنكشف عندما يتفاهم الأول والثاني والثالث فيضعون حدا حاسما لكل ما يفرق بينهم (..) لأن القرار بأيديهم ولأن المصلحة العامة هي مصلحتهم جميعا ..) (74) .

أما في مسرحية (الخان) فأن (العاني) يتخذ من قناع الرمز وسيلة هامة في تصديه للازمة العراقية في نيسان 1941 حيث كان حينها الجيش البريطاني قد فرض احتلاله لمدينة البصرة فكان (الخان) لدى (العاني) رمزا للوطن وكانت (الحية) رمزا لعملاء العدو في الداخل والخارج ، أما (أبو الحياية) فهو يمثل رمزا للقوة التي تعمل على سحق عملاء العدو والقضاء عليهم . (75)

ونجد تجربة أخرى عند الكاتب (طه سالم) في مسرحية (طنطل) حيث يتجه إلى فضح المجتمع الفاسد عبر قناع يجمع فيه بين أسلوب الرمز وأسلوب العبث سعياً منه إلى الكشف عن كيان آلي عبثي لامعقول يتطلب بقائه واستمراره أن تعمل الأغلبية دون أدنى رأي في مشروع العمل، ومن أجل إبراز ذلك يعمل الكاتب على نقل صفات النمل والخنافس والصراصير إلى طفيليات المجتمع ليتخذها قناعاً رمزياً لوجود عبثي ديدنه استغلال دماء الناس وقوة عملهم. (76)

كما ويتصف الكاتب العراقي (عادل كاظم) بتميزه بتوظيف الأسطورة والتراث كأداتين هامتين من أدوات تفتيح النص من خلال ما يخلقانه من قوة في الترميز ولذلك غالباً ما تكون تلك القوة الرمزية حاضرة في نصوصه إلى درجة تغلبها على شخوصه المسرحية، كما حدث في مسرحيته (الخيوط) و (الطوفان) و (تموز يقرع الناقوس) فالطوفان يشير إلى طوفان الاستبداد والقهر والتسلط في مداه التاريخي الموعغل في القدم، في حين يمثل (تموز) شعب العراق وهو يتصدى لصنوف المظالم ويقاومها. (77)

والى جانب الأسطورة والتراث فقد استطاع (عادل كاظم) أن يتخذ قناعه من الشخوص التاريخية حيث رأى في حياة بعض الشخصيات المتسمة بأبعاد محددة وواضحة تاريخياً وثقافياً مميزات درامية تمكنه من الاقتراب من الحاضر فراح يلبس شخصياته تارة قناع الحاضر كما فعل في مسرحية (الزمن المقتول في دير العاقول)، وتارة أخرى يلبس شخصياته الحاضرة قناع التاريخ ويصف ذلك في مسرحية (الموت والقضية) مشيراً إلى أن حركة المونتاج كانت تحدث خلف الصورة لا خلالها وإن الكيفية في ذلك كونها استعارت قيماً فنية متنوعة فالشخصيات مثلاً هي (شهرزاد)، (هاملت)، (عطيل)، (جيفارا)، وإن عملية المونتاج المشار إليها هي بناء العلاقات الحضارية والنفسية كما تبدو لـ (عادل كاظم) في تفسيره لتلك الشخصيات في محاولة منه للخروج برؤيا الثورة الحديثة (78). وهي لا تنفصل عن الدافع الانساني الفاعل في خلق الضد المتغير الذي يندغم مع الروح الانسانية. ما اسفر عنه الاطار النظري:

(1) عمل على القناع الفكري في المسرح الإغريقي كل من (اسخيلوس) و(يوريبيدس) و(ارستوفانيس)، حيث تميز لدى الأول بأنه قناع يعتمد الحيل والتلاعبات في ألفاظ ومعاني النص، ولدى الثاني بكونه قناع يعتمد التلاعب بطبيعة الحدث، في حين تميز لدى الأخير باستناده على الأساطير والتاريخ والشخوص.

(2) اعتمد مسرح القرون الوسطى قناعاً فكرياً ينشأ عن الرمز ذا الدلالة الثابتة وهو رمز يرتبط بأمكان وشخوص معروفة سلفاً لدى المتفرجين.

(3) في المسرح الاسباني يتجلى القناع الفكري في مسرحيات (لوب دفيجا) فقد ابتدع ما يدعى بمسرحيات الأقنعة التي جمعت بين الاستهلال والمهزلة والمجاز. أما (مولير) فالقناع الفكري في مسرحه قناع ساخر يتشكل غالباً من نموذج لشخصية واقعية.

(4) إن من أبرز مميزات فكرة القناع في مسرح (بيرانديللو) اتخاذه شكلاً فلسفياً يحدد بالصراع بين الوجه والقناع وهو في الأول يمثل عذابات الإنسان، وفي الثاني يمثل قوالب خارجية وأنظمة اجتماعية. ويعمل (بيرانديللو) عبر مفهوم مسرح (المرأة) على كشف الأقنعة عن حقيقة النفس المراوغة بعد أن يتحقق انعكاسها في عيون الآخرين .

(5) القناع عند (اونيل) هو الذي يمكن الكاتب المسرحي من حل أهم المعضلات التي تعترضه وبإمكانه عبره أن يجسد الأزمة المتخفية بعمق في النفس التي تعالجها السيكولوجيا .

(6) إن من أبرز سمات القناع الفكري في مسرح (بريشت) اعتماده على التاريخ والتغريب.

(7) إن القناع الفكري في المسرح العربي والعراقي استعان بالرمز والأسطورة والتاريخ والتراث والاقْتباس من نصوص أخرى.

الفصل الثالث : (إجراءات البحث)

(1) منهج البحث :

اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي في بناء الإطار النظري وفي تحليل عينة البحث.

(2) أدوات البحث :

استخدم الباحث الأدوات التي شملت (المعايير التي تمخضت عن الإطار النظري ، والنصوص كنماذج أساسية لاختبار هذه المعايير) .

(3) عينة البحث :

اختار الباحث عينته المتعلقة ببحثه قصدياً وللسبب الآتي:

إن في هذا النموذج ما يتفق وهدف الدراسة نظراً لما تحويه من عناصر تتسق ومؤشرات البحث في التحليل .

(4) تحليل العينة :

من أجل الوصول إلى تحقيق النتائج التي ترتبط بأهداف البحث سيقوم الباحث بتحليل عينة البحث على وفق المعايير الآتية :

قناع الأسطورة ، قناع التراث ، قناع التاريخ ، قناع الرمز ، قناع الشخصية ، قناع المجتمع

مسرحية : (مأساة بائع الدبس الفقير) :

تدور أحداث المسرحية حول بائع دبس فقير يدعى (خضور) يقوم احد جواسيس السلطات القمعية بنصب فخاخ متلاحقة له ويلفق له التهم المتتالية فيذوق التعذيب مرارا وتكرارا دون سابق جرم أو ذنب حتى تواتيه المنية بعد أن يسحق بأقدام السلطات .

يستهل (سعد الله ونوس) هذه المسرحية بقناع الأسطورة مستخدما (جوقة التماثيل) ، وعلى لسانها يوجه جملة من الإدانات التي يستهدف بها النيل من السلطة وتوجيه النقد اللاذع لما ترتب على فعالها من أزمات إنسانية ومن ظلم وطغيان تجاوز حتى اللامعقولية التي كان القدر الإغريقي يسوق بها ضحاياه إلى مصائرهم المفجعة :

" حين كنا نغني في مآسي الإغريق

كان القدر مختلفا إلى حد بعيد

كان أكثر تبريرا وقل تفاهة

أما الآن .. آه .. بأئسة مدن الأقدار التافهة ! " (79) .

وهنا يجعل (ونوس) من هذه الجوقة بحكم ارتباطها بزمان ومكان بعيدين عن رقعة الحدث التي يعيها بالفعل أداة للتخفي وللتمكن من طرح ما يصعب الإدلاء به من أفكار وقضايا ثم يقوم (ونوس) باستخدام قناع التاريخ لكي يحكم عملية التخفي حيث يجعل الجوقة تعلن ومنذ بدء المسرحية أن ثمة حكاية ستقع وإنها لا تعود لهذا الزمن ، فالحكاية بما تحمل من عذابات إنسانية وما ستقوم بفضحه من جرائم ارتكبتها المتسلطون إنما تعود إلى :

" الناس الذين كانوا والذين ليسوا الآن " (80) .

لكن (ونوس) لا يلبث أن ينبهنا إلى أن ما سلف وذكرته الجوقة من عدم انتمائها لما يقع من أحداث في هذه الحكاية ليس سوى تلاعبا لفظيا يراد منه صنع قناعا اجتماعيا جديدا خصوصا عندما يجعل الجوقة نفسها تعلن أنها جزء من مجتمع تلك الشخصيات بعد أن تقع أولى المصائب على شخصية (خضور)

الجوقة : "صمتا .. صمتا ..

نحن الناس الذين كانوا والذين ليسوا الآن " (81) .

ويلاحظ أيضا تعامل (سعد الله) مع قناع الرمز فمثلا نجد أن الجاسوس (حسن) يكد (لخضور) كي يوقعه في شباك السياسة ودسائسها ورغم تبديله لاسمه في كل موقف وإنكاره للاسم السابق إلا أن فعالة ثابتة على وتيرة واحدة لا تتبدل ولا تنفصل عن دنائها

وقذارتها ويرمز ونوس بذلك إلى أن في السلطة تتبدل الوجوه والمسميات لكن الفعال لن يطالها التغيير :

(هم أنفسهم .. الوجوه ذاتها .. الأيدي المتوحشة ذاتها .. الأفواه المحشوة بأوسخ الكلمات نفسها (..) لا يتغيرون .. لا يتبدلون) (82)

والى جانب ذلك فإن تماثيل الجوقة في كل مرة يتجدد فيها المكروه على (خضور) يتحطم احدها بالمقابل ويتناقص عددها وتحدث تغييرات حادة على هيئتها :

" لقد تهشم تمثال وتكوم رابية صغيرة من الحطام ... التماثيل الباقية لا تزال متناثرة في الساحة ، وقد ازدادت وجوها انغلاقا ، وانعداماً " (83)

وهنا يجعل (ونوس) التماثيل تحقق قناع الرمز أيضا فتحويلها إلى حطام بالتدرج إنما يرمز إلى تحطم الضمير الإنساني والى انتفاء الإنسانية ولذلك فإن ملامح وجوه التماثيل أخذت بالانغلاق والانعدام .

ويعزز (ونوس) قناع الرمز في المنظر الثالث من المسرحية وابتداء من هذا المنظر يعمل على خلع الصفات الوحشية والحيوانية على أفراد السلطة :

(يدخل من اليمين رجل متوسط القامة ، وجهه متناول ينتهي بذقن كلبية . أهم ما يميز نظراته الذنبية .. المحتقنة باللؤم والغش (..) تجوس عيناه في المكان كأنه يتشم بهما شيئا) (84) .

وبعد أن يستدرج الرجل الموصوف مسبقا (خضور) إلى مصيدته السياسية وينال الأخير ما لا يحتمل من العذاب يخرج من سجنه وهو " يدب على رجلين مريضتين " (85)

وعندما نجمع بين الوصفين اللذين يوردهما (ونوس) في هذه المسرحية لرجل السلطة (أداة التعذيب) و (خضور) (الضحية) نجد أن السلطة الحيوانية المتوحشة الخالية من المشاعر الإنسانية قد أحالت (خضور) إلى حيوان بعد أن أدلته واستلبت كرامته وعزته وما سير (خضور) على أربع حتى ختام المسرحية إلا قناع رمزي لذلك . وثمة إشارات أخرى تدل على هذا القناع ففي المشهد الختامي يشير (ونوس) بقوله:

" على الرصيف الأيسر يدب خضور كأنه شبح . رأسه منكس ، ونظراته كليلة تجس بلاطات الرصيف أمامه " (86)

ثم يأتي (ونوس) بما يقطع الشك باليقين عندما يذكر في ختام المسرحية أيضا إشارة إلى أن خضور " يضع رأسه بين يديه ، ويتمتم عبر ولولته الحيوانية " (87)

والسلطة في هذه المسرحية يلبسها (ونوس) قناعاً لا يمكن الكشف عما يختبئ خلفه من ملامح ، انه قناع تام يجعل من السلطة بلا هوية محددة ولا مرجعية استدلالية

معروفة وبلا ثبات شكلي ولذلك نجد مستوى التحول في المسميات التي يخلعها جاسوس السلطة على نفسه فتارة (حسن) وتارة (حسين) وتارة (محسن). لا بل ان القناع يتجاوز في ختام المسرحية المسميات ليطل مظهر المتسلطين لدرجة تضع معها قدرة التعرف على ملامحهم فـ

" القامات واحدة . المشية المنتظمة الإيقاعية واحدة . ألباس بزات موحدة . وكلهم بلا وجوه . رؤوس كروية تتسطح في مقدمتها بشكل مائل . لا عيون . لا أنوف . لا حدود . لا أفواه " (88)

وتبقى تلك الشخوص مجهولة الهوية ولا يضيف عليها (ونوس) سوى قناعا رمزيا أخيرا في ختام المسرحية حيث يرمز لها بالآلة التي تخضع لقانون دقيق في حركتها ولا تفعل إلا ما يمليه عليها ذلك القانون الميكانيكي حتى وان استخدمت ضد البشر وفي سبيل إيذاءهم لأنها مفرغة من الحس ولذلك فإن السلطويين الذين استحالوا إلى الآلات وبعد وقوع (خضور) على الرصيف نتيجة تعرضه لطائل من التعذيب لا يمتنعون أن يسحقونه بأقدامهم بل أنهم (حريصين على الإيقاع ثلاث أقدام ترتفع . ثلاث أقدام تسقط ..) ثم يواصلون سيرهم المتناسق . وليس وراءهم بعد إلا نطخ سائل مصفر يبقع الإسفلت (89) .

هذا الطرح يكشف عن هول القناع الذي يخفي أسماء تلك الشخصيات ولا يعلن عنها ولكن فعلها يعمل على ترسيخ صورتها البشعة ، وعلى تعزيز قيمة القناع الذي يكشف عن موقف الكاتب الانساني الذي جعله يستعين بفكره وحنكته في تجنب الطرح المباشر . الهوامش

- 1) ضياء راضي الثامري ، قصيدة القناع في الشعر العربي الحديث ، رسالة ماجستير ، غير منشورة بإشراف الدكتور: شجاع مسلم العاني ، (جامعة البصرة ،كلية الآداب ،1991)، ص 26.
- 2) ابن منظور ، لسان العرب ،المجلد الأول ، الطبعة الأولى ، (بيروت : دار صادر ، ب - ت) ، ص 262 .
- 3) د. سعيد علوش ، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، الطبعة الأولى ، (بيروت : دار الكتاب اللبناني ، 1985) ، ص 60 .
- 4) جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، (قم : منشورات نوي القري ، سليما نزاده ، ب - ت) ، ص 244 .
- 5) ابن منظور ، المجلد الثامن ،المصدر السابق نفسه، ص 300 .
- 6) نقلا عن : ضياء الثامري ، المصدر السابق نفسه ، ص ص 250 - 251 .

- (7) المصدر نفسه , ص 26 .
- (8) نقلا عن : علي حداد حسين , " قصيدة القناع : دراسة نقدية لبعض نماذجها في الشعر العراقي المعاصر " , مجلة الأعلام , دار الشؤون الثقافية العامة , العدد 11 - 12 - 1987 , ص 259 .
- (9) ضياء الثامري , المصدر السابق نفسه , ص 27 .
- (10) خلدون الشمعة , الشمس والعنقاء:دراسة نقدية في المنهج والنظرية والتطبيق , (دمشق : منشورات الكتاب العرب , 1974) , ص 201 .
- (11) ابن منظور , المجلد السابع , المصدر السابق نفسه , ص 98 .
- (12) د. سعيد علوش ,المصدر السابق نفسه , ص 213 .
- (13) محمد خطابي , لسانيات النص : مدخل إلى انسجام الخطاب , الطبعة الثانية , (الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي , 2006) ص 13 .
- (14) فاضل ثامر , "النص بوصفه إشكالية راهنة في النقد الحديث " , مجلة الأعلام (بغداد) العدد 3-4 - 1992 , ص 17 .
- (15) رولان بارت , " نظرية النص " ترجمة : د. منذر عياش , مجلة العرب والفكر العالمي (بيروت) العدد 3 - 1988 , ص 93 .
- (16) أكرم اليوسف , الفضاء المسرحي , الطبعة الأولى , (دمشق : دار مشرق مغرب , 1994 , ص 67 .
- (17) عبد الكريم عبود , بنية النص وتحولاتها في تشكيل العرض المسرحي , رسالة ماجستير , بإشراف : د.صلاح القصب , (جامعة بغداد ,كلية الفنون الجميلة , 2000) , ص 7 .
- (18) فيتو باندولفي , تاريخ المسرح , ترجمة : الاب الياس زحلاوي , الجزء الأول , (دمشق : منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي , 1979) , ص 60 .
- (19) عقيل مهدي , نظرات في فن التمثيل , (الموصل : مديرية دار الكتب للطباعة والنشر , 1988) , ص 18 .
- (20) ينظر : د. عقيل مهدي , نظرات في فن التمثيل , (الموصل : مديرية دار الكتب للطباعة والنشر , 1988) , ص 18 .
- (21) المصدر نفسه , ص 18 .
- (22) ج . مايكل والتوان , المفهوم الإغريقي للمسرح , ترجمة : محسن مصيلحي , (القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة , 1998) , ص 131 .

- (23) شلدون تشيبي ، تاريخ المسرح في ثلاث الاف سنة ، ترجمة : دريني خشبة ،
القاهرة :
المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ب . ت) ، ص 59 .
- (24) د.فائق الحكيم ، تاريخ المسرح ، (بغداد : مطبعة شارع المتنبى ، 1979) ، ص
262 .
- (25) ينظر : رولان بارت ، مقالات نقدية في المسرح ، ترجمة د. سهى بشور ،
دمشق : منشورات وزارة الثقافة ، 1987) ، ص 32 .
- (26) فيتو باندولفي ، المصدر السابق نفسه ، ص 194 .
- (27) ينظر : د. فائق الحكيم ، المصدر السابق نفسه ، ص 312 - 313 .
- (28) د. فائق الحكيم ، المصدر نفسه ، ص 296 .
- (29) ج - مايكل والتون ، المصدر السابق نفسه ، ص 115 .
- (30) ينظر : د. عقيل مهدي ، المصدر السابق نفسه ، ص 15 - 16 .
- (31) ينظر اوديت اصلان ، فن المسرح ، ترجمة : سامية اسعد ، الجزء الأول،
القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، 1970) ، ص 298 - 299 .
- (32) الارديس نيكول ، المصدر نفسه ، ص 208 .
- (33) ينظر : فرانك هوايتنج ، المدخل إلى الفنون المسرحية ، ترجمة : كامل يوسف
وآخرون ، مراجعة : حسين محمود وسعيد خطاب ، (القاهرة : دار المعرفة ، مطابع
الأهرام التجارية ، 1970) ، ص 72 .
- (34) عمر الدسوقي ، المسرحية نشأتها وتاريخها وأصولها ، الطبعة الخامسة ،
القاهرة : دار الفكر ، مطبعة الرسالة ، 1970) ، ص 304 .
- (35) ينظر : فرانك هوايتنج ، المصدر السابق نفسه ، ص 73 .
- (36) ينظر : روبرت بروتستين ، المسرح الثوري ، ترجمة : عبد الحليم البشلاوي ،
القاهرة : دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، ب . ت) ، ص 256 - 257 .
- (37) ينظر : المصدر السابق نفسه ، ص 265 - 258 .
- (38) الارديس نيكول ، المسرحية العالمية ، ترجمة : د. شوقي السكري ، الجزء الرابع
، (القاهرة : وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، المطبعة المصرية ، ب . ت) ، ص ص
236 - 237 .
- (39) نقلا عن : ايليا حاوي ، اوجين اونيل ، الطبعة الأولى ، (بيروت : دار الكتاب
اللبناني ، 1981) ، ص ص 391 - 392 .

- 40) بامبر جاسكوين ، الدراما في القرن العشرين ، ترجمة : محمد فتحي ، مراجعة : الدكتور لويس عوض ، (القاهرة : دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، ب - ت) ، ص 134 .
- 41) نقلا عن : ايليا حاوي ، المصدر السابق نفسه ، ص 390 .
- 42) ينظر : المصدر نفسه ، ص 183 .
- 43) بامبر جاسكوين ، المصدر السابق نفسه ، ص 136 .
- 44) ينظر : بيتي ناتسه فيبر و هيوبرت هاينن ، برتولد بريشت النظرية السياسية والممارسة الادبية ، ترجمة : كامل يوسف حسين ، مراجعة : جميل نصيف التكريتي ، (بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، 1985) ، ص 120 .
- 45) بيتي ناتسه فيبر و هيوبرت هاينن ، المصدر السابق نفسه ، ص 82 - 83 .
- 46) يوسف عبد المسيح ثروت ، مسرح اللامعقول وقضايا أخرى ، (بغداد : منشورات مكتبة النهضة ، 1985) ، ص ص 124 - 125 .
- 47) ينظر : بيتي ناتسه فيبر و هيوبرت هاينن ، المصدر السابق نفسه ، ص 120 .
- 48) د. منى صادق ، رؤيتي : اهم اتجاهات الاخراج المسرحي المصري في الستينيات ، (القاهرة : أكاديمية الفنون ، دار الحريري للطباعة ، 2005) ، ص 37 .
- 49) ينظر : المصدر السابق نفسه ، ص ص 61 - 63 .
- 50) ينظر : د . حياة جاسم محمد ، الدراما التجريبية في مصر : 1960-1970 والتأثير الغربي عليها ، (بيروت : دار الأدب ، 1983) ، ص ص 132-133 .
- 51) د. عبد الله ابوهيف ، المسرح العربي المعاصر : قضايا ورؤى وتجارب ، (دمشق : اتحاد الكتاب العرب ، 2002) ، ص 18 .
- 52) د. حياة جاسم محمد ، المصدر السابق نفسه ، ص ص 14 - 15 .
- 53) ينظر : سعد عبد العزيز ، الأسطورة والدراما ، (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، المطبعة الفنية الحديثة ، 1966) ، ص 105 .
- 54) ينظر : د. محمد الدالي ، الأدب المسرحي المعاصر ، الطبعة الثانية ، (القاهرة : عالم الكتب ، 2006) ، ص ص 142 - 143 .
- 55) محمود أمين العالم ، الوجه والقناع في مسرحنا العربي ، (بيروت : دار الاداب ، 1973) ، ص 98 .
- 56) المصدر نفسه ، ص ص 107 - 108 .

- (57) ينظر : د. عبدالله ابوهيف ، المصدر السابق نفسه ، ، ص 109 .و ينظر :
زينب منتصر ، " تيار الرفض في المسرح المصري المعاصر " مجلة الاقلام ،(بغداد)
،دار الشؤون الثقافية ، العدد 6 ، اذار 1979 ، ص 29 .
- (58) حسن عطيه ، مسرح الفريد فرج صانع الاقنعة ، (القاهرة : المجلس الاعلى
للتقافة ، 2002 ،) ص 206 .
- (59) د. عبد الله ابو هيف ، المصدر السابق نفسه ، ص 113 .
- (60) ينظر : زينب منتصر ، المصدر السابق نفسه ، ص 29.
- (61) محمود أمين العالم ، المصدر السابق نفسه ، ص 149 .
- (62) المصدر نفسه ، ص 119 .
- (63) ينظر : د. محمد الدالي ،المصدر السابق نفسه، ص ص 86 - 87 .
- (64) جلال العشري ، مسرح أو لا مسرح ، (بيروت : المركز العربي للثقافة والعلوم
، بت) ، ص 91 .
- (65) د. محمد الدالي ، المصدر السابق نفسه ، ص 30 .
- (66) د. حياة جاسم محمد، مصدر سابق ، ص 87 .
- (67) ينظر : د. عبدا لله ابو هيف ، المصدر السابق نفسه ، ص ص 399 - 402 .
- (68) ينظر : أبو الحسن سلام ، الإرهاب في وسائل الإعلام والمسرح ، الجزء الثاني ،
(القاهرة : دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر ، 2004) ، ص ص 254 - 265 .
- (69) ينظر : يوسف العاني ، التجربة المسرحية معاشة وانعكاسات ، (بغداد : دار
الفارابي للطباعة ، 1979) ، ص 27 .
- (70) ينظر : يوسف العاني ، شؤون وشجون مسرحية ، (بغداد : مطبعة الراية ،
1989 ،) ص 49.
- (71) يوسف العاني ، التجربة المسرحية معاشة وانعكاسات ، مصدر سابق، ص 41.
- (72) ينظر :يوسف العاني ، المصدر نفسه ، ص 42 .
- (73) ينظر : يوسف العاني ، المصدر نفسه ، ص ص 45 - 46 .
- (74) يوسف عبد المسيح ثروة ، " المضمون الاجتماعي في المسرح العراقي " مجلة
الأقلام ، (بغداد)العدد 6، السنة 15 ، 1980 ، ص 66 .
- (75) المصدر نفسه ، ص 67 .
- (76) المصدر نفسه ، ص 72 .
- (77) المصدر نفسه ، ص 74 .

- (78) هاشم صيهود محمد ، الأصول التراثية في مسرحيات عادل كاظم ، رسالة ماجستير، غير منشورة بإشراف: د. حسن دخيل عباس و د. عدنان حسين العوادي ،(جامعة بابل ،كلية الآداب ، 2002)، ص 54 .
- (79) سعد الله ونوس ، مأساة بانع الدبس الفقير : ومسرحيات أولى ، الطبعة الأولى ، (بيروت : دار الآداب ، 1978)، ص 5 .
- (80) المصدر السابق نفسه ، ص 5 .
- (81) المصدر نفسه ، ص 16 .
- (82) المصدر نفسه ، ص 31 .
- (83) المصدر نفسه ، ص 17 .
- (84) المصدر نفسه ، ص 18 .
- (85) المصدر نفسه ، ص 29 .
- (86) المصدر نفسه ، ص 37 .
- (87) المصدر نفسه ، ص 41 .
- (88) المصدر نفسه ، ص 37 .
- (89) المصدر نفسه ، ص 41 .

الفصل الرابع

النتائج والاستنتاجات

أولاً - النتائج :

- من خلال تحليل عينة البحث توصل الباحث إلى النتائج التالية :
- 1- في مسرحية مأساة بانع الدبس الفقير تعامل(ونوس) مع الأقنعة التالية :
 - أ - قناع الأسطورة - متمثلاً بجوقة التماثيل التي استلهمها عن الأساطير الإغريقية
 - ب - قناع التاريخ - بعد أن وضع عبارة تنتكر من خلالها الشخصيات إلى انتمائها الزمني : "نحن الناس الذين كانوا والذين ليسوا الآن "
 - ج - القناع الاجتماعي : يتمثل بالتحويلات التي تطرأ على الشخصيات من حالة التنكر إلى الواقع إلى حالة المنتمي الذي يقر بنفسه تلك الحقيقة وكما حدث مع التماثيل التي ادعت انتمائها اليوناني وصلتها بالأساطير ، وإنها شاهدة على الأحداث وليست جزءاً من مجتمعها ،لكنها تراجعت عن ذلك بوقوع أول مصيبة في مجتمعها .
 - د - قناع الرمز : وحققه (ونوس) في تحطم تماثيل الجوقة المتلازم مع وقوع أية الآم تصيب بانع الدبس حتى يتناقض عددها بشكل ملحوظ وتبعاً لمراحل التعذيب التي تمر بها

تلك الشخصية ، كما وحققه بالتحول في مسميات رجال السلطة وإحالة حركاتهم إلى قانون آلي وتلاشي ملامحهم وإكسابهم صفات حيوانية .

ثانياً - الاستنتاجات :

1 - إن استخدام القناع الأسطوري منح قدرة الانفتاح الزمني والمكاني فأصبح الزمان والمكان غير معينين وبالنتيجة ، أصبحت الافكار المطروحة من وراء هذا القناع مشروعاً للتداول الذي لا يخضع إلى محددات ويلاعم مختلف الأزمنة والأمكنة

2 - منح القناع الأسطوري إمكانية خلق مستويين في المعالجة المسرحية الأول يتمثل بالمستوى الواقعي والآخر يتمثل بالمستوى الفانتازي . واتصف الأخير بجمالية التعبير وبإمكانية التخفيف من حدة المشاهد العنيفة التي ترد في النص المسرحي

3 - خلق القناع الاجتماعي إمكانية للاستفادة من المتناقضات الاجتماعية مما عزز في النصوص المسرحية إمكانيات تدفق الصراع وجعلها في حركة حامية متجددة .

4- مكن قناع الرمز من طرح موضوعات كثيرة ومتنوعة ، بأسلوب يتجاوز المعالجة الفنية التقليدية ، ويفسح المجال للتعامل مع تقنيات جديدة غير مألوفة أو معقولة تحقق الاستغراب والإدهاش ، وتفعّل الفكر إلى أقصى درجة ممكنة. وتدع مجالاً واسعاً أمام التأويل.

مصادر البحث ومراجعته

أ - الكتب:

1- ابوهيف (د. عبد الله) . المسرح العربي المعاصر : قضايا ورؤى وتجارب . دمشق : اتحاد الكتاب العرب ، 2002 .

2- اصلان (اوديت) . فن المسرح . ترجمة : سامية اسعد . الجزء الأول . القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، 1970 .

3 - أمين (محمود) العالم . الوجه والقناع في مسرحنا العربي . بيروت : دار الآداب ، 1973 .

4 - بارت (رولان) . مقالات نقدية في المسرح . ترجمة : د. سهى بشور . دمشق : منشورات وزارة الثقافة ، 1987 .

5 - باندولفي (فيتو) . تاريخ المسرح . ترجمة : الأب الياس زحلاوي . الجزء الأول . دمشق : منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، 1979 .

6 - بروسناين (روبرت) . المسرح الثوري : دراسات في الدراما الحديثة من ابسن إلى جان جينيه . ترجمة : عبد الحليم البشلاوي . القاهرة : دار الكتاب العربي للطباعة والنشر . ب - ت .

- 7 - تشيني (شلدون) . تاريخ المسرح في ثلاث آلاف سنة . ترجمة : دريني خشبة . القاهرة : المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر . ب - ت .
- 8 - جاسكوين (بامبر) . الدراما في القرن العشرين . ترجمة : محمد فتحي . مراجعة : الدكتور لويس عوض . القاهرة : دار الكتاب العربي للطباعة والنشر . ب - ت .
- 9 - جاسم (د. حياة) . الدراما التجريبية في مصر : 1960 - 1970 والتأثير الغربي عليها . بيروت : دار الأدب ، 1983 .
- 10 - حاوي (إيليا) . اوجين أونيل . الطبعة الأولى . بيروت : دار الكتاب اللبناني ، 1981 .
- 11- الحكيم (د. فائق) . تاريخ المسرح . بغداد : مطبعة شارع المتنبي. 1979.
- 12 - خطابي (محمد) . لسانيات النص . مدخل إلى انسجام الخطاب . الطبعة الثانية . الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، 2006 .
- 13 - الدالي (د. محمد) . الأدب المسرحي المعاصر . الطبعة الثانية . القاهرة : عالم الكتب ، 2006 .
- 14 - الدسوقي (عمر) . المسرحية نشأتها وتاريخها وأصولها . الطبعة الخامسة . القاهرة : دار الفكر . مطبعة الرسالة ، 1970 .
- 15 - سلام (أبو الحسن) . الإرهاب في وسائل الإعلام والمسرح . الجزء الثاني . القاهرة : دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر ، 2004 .
- 16- الشمعة (خلدون) . الشمس والعنقاء : دراسة نقدية في المنهج والنظرية والتطبيق . دمشق : منشورات الكتاب العرب ، 1974 .
- 17- صادق (د. منى) . رؤيتي : أهم اتجاهات الإخراج المسرحي المصري في الستينيات . القاهرة : أكاديمية الفنون . دار الحريري للطباعة ، 2005 .
- 18 - العاني (يوسف) . التجربة المسرحية معاشة وانعكاسات . بغداد : دار الفارابي للطباعة ، 1979 .
- 19 - العاني (يوسف) . شؤون وشجون مسرحية . بغداد : مطبعة الراية . 1989 .
- 20 - عبد العزيز (سعد) . الأسطورة والدراما . القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية . المطبعة الفنية الحديثة ، 1966 .
- 21 - عبد المسيح (يوسف) . مسرح اللامعقول وقضايا أخرى . بغداد : منشورات مكتبة النهضة ، 1985 .

- 22- العشري (جلال) . مسرح أو لا مسرح . بيروت : المركز العربي للثقافة والعلوم ، ب - ت .
- 23 - عطيه (حسن) . مسرح الفريد فرج صانع الألقعة . القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، 2002.
- 24- مهدي (د.عقيل) . نظرات في فن التمثيل . الموصل : مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، 1988 .
- 25 - مهدي (د. عقيل) متعة المسرح . بغداد : دار الحرية للطباعة ، 2000 .
- 26 - نانسه (بيتي) وهانين (هيوبرت) . برتولد بريشت : النظرية السياسية والممارسة الأدبية . ترجمة : كامل يوسف حسين . مراجعة : جميل نصيف التكريتي . بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، 1985 .
- 27 - نيكول (الارديس) . المسرحية العالمية . ترجمة : عثمان نويه . مراجعة : حسن محمود . الجزء الأول . القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية . مطبعة الرسالة ، ب - ت .
- 28 - نيكول (الارديس) . المسرحية العالمية . ترجمة : د. شوقي السكري . الجزء الرابع . القاهرة : وزارة التعليم العالي والبحث العلمي . المطبعة المصرية ، ب - ت .
- 29 - هواينج (فرانك) . المدخل إلى الفنون المسرحية . ترجمة : كامل يوسف و د . رمزي مصطفى . وبدر الديب . ودريني خشبة .ومحمود السباع . مراجعة : حسن محمود .وسعيد خطاب . القاهرة : دار المعرفة . مطابع الأهرام التجارية ، 1970 .
- 30 - والتون (مايكل) . المفهوم الإغريقي للمسرح . ترجمة : محسن مصيلحي . القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، 1998 .
- 31 - ونوس (سعد الله) . مأساة بانع الدبس الفقير : ومسرحيات أولى . الطبعة الأولى . بيروت : دار الآداب ، 1978 .
- 32 - ونوس (سعد الله) فصد الدم : ومسرحيات ثانية . الطبعة الأولى . بيروت : دار الآداب . مطابع الغد ، 1978 .
- 33 - اليوسف (أكرم) . الفضاء المسرحي :دراسة سيميائية . الطبعة الأولى .دمشق : دار مشرق مغرب ، 1994 .
- ب - المجالات
- 1 - بارت (رولان) . " نظرية النص " . ترجمة :د. منذر عياش . مجلة العرب والفكر العالمي (بيروت) . العدد 3 ، 1988 .
- 2 - ثامر (فاضل) . " النص بوصفه إشكالية راهنة في النقد الحديث " . مجلة الأقلام . بغداد . دار الشؤون الثقافية العامة . العدد 3 - 4 - 1992 .

- 3 - حداد (علي) حسين . " قصيدة القناع : دراسة نقدية لبعض نماذجها في الشعر العراقي المعاصر " . مجلة الأقاليم . بغداد . دار الشؤون الثقافية العامة . العدد 11-12 - 1997 .
- 4 - عبد المسيح (يوسف) . " المضمون الاجتماعي في المسرح العراقي " مجلة الأقاليم . بغداد . دار الشؤون الثقافية العامة . العدد 6 . السنة 15 - 1980 .
- 5 - منتصر (زينب) . " تيار الرفض في المسرح المصري المعاصر " مجلة الأقاليم . بغداد . دار الشؤون الثقافية العامة . العدد 6 - آذار 1979 .
- ج - المعاجم
- 1 - ابن منظور . لسان العرب . المجلد الأول والسابع والثامن . الطبعة الأولى . بيروت : دار صادر ، ب - ت .
- 2 - صليبا (جميل) . المعجم الفلسفي . الجزء الأول . الطبعة الأولى . قم : منشورات ذوي القربى . سليمان نزاده ، ب - ت .
- 3 - علوش (د. سعيد) . معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة . الطبعة الأولى . بيروت : دار الكتاب اللبناني ، 1985 .
- الرسائل والاطاريح
- 1 - راضي (ضياء) الثامري . قصيدة القناع في الشعر العربي الحديث . رسالة ماجستير غير منشورة . بإشراف الدكتور شجاع مسلم العاني . جامعة البصرة . كلية الآداب ، 1991 .
- 2 - صيهود (هاشم) محمد . الأصول التراثية في مسرحيات عادل كاظم . رسالة ماجستير غير منشورة . بإشراف: د. حسن دخيل عباس . ود. عدنان حسين العوادي . جامعة بابل . كلية الآداب ، 2002 .
- 3 - عبد الكريم عبود . بنية النص وتحولاتها في تشكيل العرض المسرحي . أطروحة دكتوراه غير منشورة . بإشراف : د. صلاح القصب . جامعة بغداد . كلية الفنون الجميلة ، 2000 .

الاغتراب في رسوم علي طالب

أحمد علي كاظم السعدي

كلية الفنون الجميلة / جامعة القادسية

Ahmad.ali@qu.edu.iq

الخلاصة

تناول البحث الحالي (الاغتراب في رسوم علي طالب) ، وقد ضم البحث أربعة فصول: الفصل الأول منه بالإطار المنهجي للبحث، متمثلاً بمشكلة البحث التي حددت بالإجابة على السؤال: (ما مظاهر الاغتراب في رسوم علي طالب) ، واستعراض أهميته، والحاجة اليه، وهدف البحث الذي انحصر: (التعرف مظاهر الاغتراب في رسوم علي طالب) ، ثم عرف وحدد المصطلحات الواردة في عنوان البحث، أما الفصل الثاني فقد خصص لبيان الإطار النظري والدراسات السابقة للبحث، حيث قسم إلى مبحثين، تناول المبحث الأول: (مفهوم الاغتراب) فلسفياً ونفسياً واجتماعياً، فيما تناول المبحث الثاني: (الابعاد والمضامين الفنية في رسوم علي طالب)، ويختتم الإطار النظري باستعراض مؤشرات المستخلصة من الإطار النظري، للإفادة منها في صياغة أداة البحث، وعرض الدراسات السابقة ومناقشتها (دراسة جاسم)، و(دراسة شويلية).

أما الفصل الثالث فتضمن إجراءات البحث واحتوى الآتي :

أولاً: مجتمع البحث: أطلع الباحث على ما منشور ومتيسر من الرسوم ذات العلاقة بمجتمع البحث وحددها بـ (43) عمل زيتي من رسوم علي طالب .

ثانياً: عينة البحث : قام الباحث باختيار عينة البحث بعد عرضها على الخبراء، التي بلغت (4) اعمال فنية، تشمل مضامين ودلالات الاغتراب من رسوم الفنان علي طالب بما يغطي حدود البحث وهدفه .

ثالثاً: أداة التحليل : اعتمد الباحث مؤشرات التي اسفر عنها الإطار النظري كأداة للتحليل عينة البحث .

رابعاً : تحليل عينة البحث : قام الباحث بتحليل عينة من مجتمع البحث على ضوء فقرات اداة البحث للوصول إلى نتائج البحث .أما الفصل الرابع فتناول ؛ استعراض نتائج البحث ،والاستنتاجات المستخلصة ، ومن النتائج التي توصل إليها:

1- ظهور الوحدة /العزلة في اغلب اعمال الفنان علي طالب ،ويقصد به شعور الفنان بالوحدة ، والفراغ النفسي، وافتقار العلاقات الحميمة مع الآخرين ،وان وجد بينهم كجسد ،وهو اغتراب ذاتي نفسي واجتماعي ،وهذا ما نجده في اعماله من خلال (الشكل الواقعي والمتنوع)،حيث كانت اغلب اعماله بشخصية واحدة ،او هيئة راس مقطوع ،او جسد مفصول الراس ،في فضاء واسع مقفر، وكأنها تماثيل الفنان اليوناني (جورجيو دي جريكو) المتحطمة، وكذلك ما نلحظه في

استخدام اجزاء من الجسد البشري المقطع كالراس او اليد او العين، مما يضيف مقدارا درامياً على مشهد العمل خاصةً اذا ما علمنا ان قطع الرؤوس ذات متجذرة في مخيلاتنا الجنوبية عبر الحكايات لمتوارثة ، كذلك من خلال الاشكال والرموز(رأس مقطوع /وجه رجل مترقب / جسد عاري/وجوه مشوهه او مخربشة / جسد مصلوب/ ايادي مقطوعة).

2- ظهور مفهوم اللاجدوى/ اللامعنى في العديد من اعماله الفنية ،بوصفه من المظاهر التي اكد عليها الفنان،ويقصد به ان الحياة لا معنى لها ،وانه لا يوجد شيء في الحياة له قيمة أو معنى،وذلك نظراً لخلو الحياة من الاهداف والطموحات،وبالتالي يفقد المغترب واقعيته ويحيا بنوع من اللامبالاة .وايضاً القلق من المجهول في العديد من اعماله القديمة والجديدة ، وهذا ما نلاحظه في حركة الاجساد نحو او باتجاه الفج البعيد الاتجاه نحو الخلف او نحو المجهول ،وكذلك في تساقط الاجساد وتصخرها، وايضاً في مواجهة حتمية النهاية (الموت المحتم بغير ارادتنا) والقلق الوجودي المستمر لدى الفنان من هذه الحتمية .فنراه يرسم هياكل عظمية لبقايا انسان ملقاة على الارض ،يذكرني بلوحة (الانتظار) للفنان الكبير فائق حسن .كما نلاحظ ايضاً من خلال الاشكال المبهمة الضخمة خلف شخوصه الرئيسيين يكسيها الوان قاتمة سوداء. كذلك في ملمس الاشياء المرسومة لديه نراها خشنة غير صافية بضربات لونية غير مترنة مضطربة قلقة ،وهذا ما يظهره الفنان من اجواء مكانية غريبة ،كذلك من خلال خيالات مخيفه تثير التساؤلات المتعددة .او من خلال شخوصه المشوهه المقطعة .كما توصل البحث الى العديد من الاستنتاجات منها:

1- ان الابداع الفني والفن عموماً انتاج الاغتراب ،او هو حالة اغتراب ،فالعلمية الفنية هي انتاج خلق عالم بديل للواقع ،وبالتالي هناك علاقة جدلية بين الفن والاعتراب من حيث ايجاد عوالم جديدة بديلة عن ما نحيا فيه من واقع بصري حسي .

2- ان الفنان العربي عموماً يعاني من الاغتراب ومظاهرها تبدو جلية واضحة فيه ،بسبب المعوقات والحوجز المعرفية والثقافية والدينية والتقاليد الاجتماعية .. الخ ،لذا نجده دائماً يتجه في موضوعاته الى الابعاد النفسية الداخلية حيث تراكمات من المعاناة عمرها الالاف السنين، على العكس من الفنان الغربي الذي ترك الانغلاق على الذات واتجه الى سبر غور عوالم جديدة.وختم البحث باستعراض مصادر البحث، وملاحقه، وملخص البحث باللغة الإنجليزية.

ABSTRACT

The current research dealt with (Alienation in Ali Talib's drawings), and the research included four chapters: the first chapter of it with the methodological framework of the research, represented by the research problem that

was identified by answering the question: (What are the manifestations of alienation in Ali Talib's drawings), and a review of its importance, need, and goal. The research, which was limited to: (Identifying the manifestations of alienation in the drawings of (Ali Talib), then defined and defined the terms contained in the title of the research, while the second chapter was devoted to clarifying the theoretical framework and previous studies of the research, where it was divided into two sections. The first topic dealt with: (the concept of alienation) philosophically and psychologically And socially, while the second topic dealt with: (Dimensions and technical contents in Ali Talib's drawings), and the theoretical framework concludes by reviewing the indicators extracted from the theoretical framework, to benefit from them in formulating the research tool, and presenting and discussing previous studies (Jassem's study), and (Shuilly study) . The third chapter included the research procedures and contained the following:

First: The research community:
The researcher was briefed on the published and available fees related to the research community and identified them as (43) oil paintings of Ali Talib's .

Second: The research sample: The researcher chose the research sample after presenting it to the experts, which amounted to (4) works of art, including the contents and indications of alienation from the drawings of the artist (Ali Talib), covering the limits and goal of the research .

Third: the analysis tool: the researcher adopted the indicators that resulted from the theoretical framework as a tool for analyzing the research sample .

Fourth: Analysis of the research sample: The researcher analyzed a sample of the research community in the light

of the paragraphs of the research tool to reach the results of the research. As for the fourth chapter, it deals with; A review of the research results, the conclusions drawn, and the conclusions it reached :

1- The emergence of loneliness / isolation in most of the works of the artist Ali Talib, and it means the artist's feeling of loneliness, psychological emptiness, and the lack of intimate relations with others, and if he exists between them as a body, which is a self-alienation, psychological and social, and this is what we find in his works through (the realistic and diverse form Where most of his works were in one figure, or in the form of a severed head, or a decapitated body, in a wide, desolate space, as if they were the broken statues of the Greek artist (Giorgio de Greco), as well as what we notice in the use of parts of the human body cut off, such as the head, hand or eye. Which adds a dramatic amount to the scene of the work, especially if we know that beheadings are rooted in our southern imaginations through tales to be inherited, as well as through forms and symbols (cut off head / face of a man looking forward / naked body / distorted or scratched faces / crucified body / severed hands).

2- The concept of uselessness / meaninglessness appears in many of his artistic works, as one of the manifestations emphasized by the artist, and means that life is meaningless, and that there is nothing in life that has value or meaning, due to the fact that life is devoid of goals and ambitions, and therefore loses The expatriate is realistic and lives with a kind of indifference, as well as anxiety about the unknown in many of his old and new works, and this is what we notice in the movement of bodies towards or towards the far horizon, the direction towards the back or towards the unknown, as well as in the falling and rocking of bodies, and also in the face of the inevitability of

the end (inevitable death Against our will) and the artist's constant existential concern about this inevitability. We see him drawing skeletons of human remains lying on the ground, reminding me of the painting (Waiting) by the great artist Faiq Hassan. We also notice through the huge vague shapes behind his main characters covered in dark black colors. Also, in the texture of the drawn objects, we see them rough, not pure, with unbalanced, turbulent color strokes, and this is what the artist shows from strange spatial atmospheres, as well as through frightening imaginations that raise multiple questions. Or through his distorted, cut characters. The research also reached many conclusions, including :

1- Artistic creativity and art in general are the production of alienation, or it is a state of alienation, the artistic process is the production of creating an alternative world to reality, and therefore there is a dialectical relationship between art and alienation in terms of finding new worlds alternative to what we live in from a visual and sensory reality .

2- The Arab artist in general suffers from alienation and its manifestations are evident in him, due to obstacles and barriers of knowledge, culture, religion, social traditions...etc. Therefore, we find him always heading in his subjects to internal psychological dimensions where accumulations of suffering are thousands of years old, in contrast to the Western artist. Who left the closure on the self and headed to probe new worlds. The research concluded by reviewing the sources of the research, its appendices, and a summary of the research in English.

الفصل الاول / (الاطار النظري)

اولاً: مشكلة البحث : الاغتراب ظاهرة قديمة قدم الانسان في هذا الوجود ،فمنذ ان تكونت المجتمعات الاولى نشأت معها، وفي ظل سننها وتقاليدها المشاكل والازمات التي كانت تتمخض بشكل آخر عن انواع من الاغتراب عانى منها الفرد، وكانت تفوقه حيناً الى التمرد والعصيان ،ومواجهة المجتمع ،وحيثاً الى الاستسلام والانعزال

والانكفاء على الذات . والانسان هو المخلوق الوحيد يستطيع ان ينفصل عن نفسه أو عن مجتمعه وقد يعيش الاغتراب ويكابده بصفته جزءاً من حياته ومكوناً من مكوناته النفسية والاجتماعية والوجودية دون ان يعي انه معترب ، أي ان الانسان هو الوحيد الذي يحس ويستشعر ظاهرة الاغتراب ، هذا الانسان قد اوجد سبلاً وطرق شتى للتعبير عن مكوناته النفسية والاجتماعية والوجودية ، وهذا الشيء وجده في الفن حيث يتميز الفن في الحضارة الإنسانية بأنه يعتبر مظهراً من أهم مظاهر النشاط الفردي المرتبط تماماً بالنشاط الجماعي لأنه النافذة المفتوحة المطلّة على عالما الداخلي ، والمشرقة على عالما الخارجي . والفن يعدّ من أهم الإنتاجات الفكرية للفرد الذي يعبر به بصدق عن الانفعالات ، والمشاعر ، وإحساسه ، فيعكس صورة كلية لوجوده في زمن ما ، وفي مكان ما في قالب تشكيلي مميز ، تعكس قدرة الفنان على الإبداع وصلته بما حوله ، ومدى إدراكه للقيم التي تحيط به . والفن ضرورة ملحة من ضرورات النفس الإنسانية في حوارها الشديد المستمر مع الكون . ومادام الفن هو المعبر عن معنى الانسان ومكوناته ، فإنه يلتقي مع مفهوم الاغتراب في انه يخلق عالم خيالي يوازي العالم الحقيقي المعاش ، عالم حلمي غريب عن واقعنا . والفن التشكيلي عموماً يعيش حالة اغتراب ، لأنه معزول عن المجتمع بشكل كبير ، فهناك غربة قاسية تبعد الدور المرجو من الفن والفنان على حد سواء ، فهناك هوة شاسعة بين الفنان والآخرين وبما ان الفن جزء مهم من حركة المجتمع عبر التاريخ ، لهذا لعب الفن دوراً مهماً في التعبير عن المجتمعات الإنسانية . فكان الفن في فترة تاريخية معينة يؤكد على القيم الالهية والجمال الطبيعي فكان الدين محوره الرئيس ، وفي فترة اخرى اصبح الفن له الدور الكبير في بناء وإيقاظ روح البطولة والاستقامة . هذا التفاعل بين الفن والمجتمع كان ولايزال مستمراً بتغير دور الفن والفنان حسب تطور هذه المجتمعات وحركتها ، أي ان الفن ينتج من الذات والعالم المحيط بها معاً ، فالذات مهما بلغت من القدرة على التعبير تظل متوقفة على ما يحيط بها من العالم الخارجي ، كما ان الفن يعتمد بل مرتبط بالذات الإنسانية ، فالذات تعد الحافز الاول لأي ابداع ، فلا يمكن تصور عمل فني دون انفعال وتأثر للذات ، فان انتكست الذات الإنسانية او احبطت فمن الطبيعي ان تجد ملامح هذا الانتكاس متجلياً في العمل الفني . كما يعد الفن عموماً من الوسائل التي تجسد وتصور ذلك الجزء الغريب من الذات الإنسانية؛ ذلك الاحساس الغامض من اغتراب الانسان . وهذا ما نلاحظ من النظرة الاولى العامة للرسم العراقي المعاصر ، ومنه رسومات الفنان العراقي (علي طالب) فهناك هوة واسعة بين الفنان والعمل وبين المتلقي (الجمهور) لها اسبابها منها تاريخية ، ودينية ، وثقافية ، وعرفية ، والحروب المستمرة ، وقساوة السلطات الحاكمة ، والابتعاد عن الثقافات الاخرى القت بظلالها الى عدم استيعاب نتاجاتهم الفنية . كما لا ننسى بسبب تلك العوامل ادت الى هجرة الكثير من المثقفين والفنانين الى بلاد المهجر ، فزادت من الانقسام والمعاناة للرسم العراقي الذي يحمل

ارتأ فنياً متجذراً منذ الالاف السنين، لذلك ادت بالباحث الى تناول تلك الجزئية لنتاج واحد من هؤلاء الفنانين العراقيين، وحصر مشكلة البحث بالإجابة عن السؤال التالي: (ما مظاهر الاغتراب في رسوم علي طالب؟).

ثانياً: أهمية البحث والحاجة اليه :- تتجلى أهمية البحث الحالي بما يأتي :

1. يوفر أساساً نظرياً لطلاب الفن وعلم نفس، كونه من البحوث التوفيقية بين الفن والنفسية.

2. يعد البحث دراسة نفسية تسهم في الفاء الضوء على ما يعانيه الفنان العراقي من اغتراب، باعتبار ان علي طالب نموذج تطبيقي لواحد من اولئك الفنانين المغتربين .

3. قد يفيد الدارسين والمختصين في ميداني الفن وعلم النفس من خلال دراسة نموذج ابداعي لواحد من فناني المهجر.

ثالثاً : هدف البحث : (تعرف مظاهر الاغتراب في رسوم علي طالب) .

رابعاً: حدود البحث : يتحدد البحث بدراسة مظاهر (الاغتراب) في رسوم (علي طالب) المنفذة بمواد فنية مختلفة المنشورة والموجودة في المصادر التي تناولت نتاجه الفني، وما توفر من مصورات في شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) تحديداً من سنة (1998 – 2010)*. وهي حقبة استقراره واقامته خارج العراق.

خامساً: - تحديد المصطلحات :

- الاغتراب (Alienation)

1- الاغتراب لغوياً: وردت كلمة الاغتراب في معجم المنجد فيما يخص الابتعاد والنوى على النحو الآتي : غرب، غرباً: ذهب فلان عنا : تنحى، وفي سفره تهادى وغرباً - الرجل : بعد . يقال (أغرب عني) أي بعده وغربه، وغرباً غرابية : (نزع عن وطنه - غرب بعد نزع عن الوطن) و - أبعدته ونحاه (حمله على الغربة) . (معلوف، لويس : 1986،ص547).

2- الاغتراب اصطلاحاً: ويشير قاموس اوكسفورد الى مصطلح الاغتراب

(Alienation) مشتق من (Alien) وتعني غريب او اجنبي أو مغاير، وترجمة

(Alienation) الحرفية تعني: إبعاد أو تحول أو غربة عن المجتمع. (مذكور ،

1983،ص18) يعرف (أريك فروم) الاغتراب: كما لو كان ظاهرة واحدة، إلا أن هذا

المصطلح عنده له معان متعددة، فهو يستخدمه ليصف علاقات معينة محتملة بين

الفرد ونفسه، وبينه وبين الآخرين، والطبيعة، وعمله، والأشياء الأخرى في محيطه

البيني. (فروم ، 1960،ص21)، ويعرف(كرزويل) الاغتراب بأنه : "حالة نفسية

اجتماعية تسيطر على الفرد فتجعله غريباً وبعيداً عن واقعه الاجتماعي، وينطوي

المصطلح على مفاهيم متعددة تعدد الفلاسفة الذين ألحوا على استخدامه خصوصاً

(هيجل، وفرويد، وماركس) الذي أربط الاغتراب بتقسيم العمل والتوزيع الغير متكافئ

للسلطة والأرباح". (غيبير، فيليكس: ، 1982،ص36)

التعريف الاجرائي: ويعرف الباحث الاغتراب إجرائياً وبما يتلاءم مع هدف البحث بالشكل الآتي : جملة من مظاهر بصرية داخل بنية العمل الفني التي تعكس مساعر نفسية تدل الى الاغتراب لنفسية الفنان والمعبرة عن حالات (الانفصال، والعزلة، والانسحاب، واللامعنى، والاستلاب، والعجز، والرفض) لدى الفنان والمتجلية في اعماله الفنية .

الفصل الثاني / (الاطار النظري للبحث)

1- المبحث الاول - (الاغتراب مفاهيمياً) : الاغتراب مفهوم قديم قدم الانسان في هذا الوجود، وعلى الرغم من عد التعريب مصطلحاً فلسفياً حديثاً الا انه بوصفه ظاهرة فكرية قد بدأت بوادره الاولى مع ظهور تيارات الفلسفة اليونانية القديمة. (خالد ، عبد الكريم : 1998 ، ص 21) نجد ملامح مفهوم الاغتراب عند جماعة (الاورفيه) Orphisme يظهر لنا ان الاورفيه تنظر الى حياة الانسان وكأنها ليست حقيقية بل هي عبارة عن خيطنة وشر، مما جعلهم في حالة اغتراب عندما يعيش الانسان في مكان ليس مكانه وزمان ليس زمانه. (المجدي ، 2001 ، ص23).

فالاغتراب عند (افلاطون) Plato (427-347 ق.م) فمن خلال ايمانه بعالم المثل Ideas ، فأصل الاغتراب عند (أفلاطون) هو جهل الإنسان تحقيقه وجوده الذاتي ، فإنسان (أفلاطون) معترب عن ذاته بين عالم الواقع وعالم المثل ، وان الحياة هي منقى طويل والخلاص يكمن في الموت والعودة لعالم الحقائق، فان تكون ذاتاً معناه ان تكون غريباً. ويتجلى مفهوم الاغتراب عند (أفلوطين) Plotinus (204-270 م) فالاغتراب في فلسفة (أفلوطين) تكمن في حثه النفس البشرية على العزلة عن العالم الخارجي والاتجاه نحو دواخل النفس (الذات) و الابتعاد عن كل الظواهر الدنسة في هذا العالم وصولاً للاتحاد بالرب، فهذا الانفصال بين الذات والعالم الذي نعيش فيه . (شاخت، 1980، ص22) اما مفهوم الاغتراب في الفلسفة الاسلامية فنرى ان ابي حيان التوحيدي (310-414هـ)* ، فيرى ان الغريب هو الذي يعيش بين اهله ولكنه خارج دنياهم : "وابعد الغرباء من كان بعيداً في محل قربه، " بينما كان عند (ابن العربي) فقد تناول فكرة الاغتراب كفعل تزامن مع الايمان بربوبية الله عز وجل فالاغتراب نسق ديني قوامها الهروب من الوجود الحسي الى الوجود الحق بالرجوع الى الله . لكن الاغتراب عند (ابن باجة)* وهي الاتحاد بالعقل الفعال ، حيث عدم الانتقال الى عالم المدينة الفاضلة يعني الحياة في عالم الغربة والاعتراب؛ فالاغتراب ينشأ نتيجة عزل سلطان العقل بسبب الخضوع لسلطة استبدادية، فيدخل الفرد في عملية تغريب ذاتي تاركا عقله وبالتالي فذلك الفرد الخاضع لقوانين سلطة اخرى مفروضة عليه هو انسان معترب . (بيطار، 2001 ، ص111) ومن ثم ان • الاغتراب في الفكر المسيحي القرون الوسطى عند (اوغسطين) فقد تبني فكرة غريبة عن الفلسفة اليونانية ، فهو يرى الزمان مسألة ذاتية لا موضوعية ينشأ داخل العقل البشري لا خارجه ، والزمان

ليس مسألة مدة وإنما هو احساس مؤقت، فنحن لا نحس الا باللحظة الحاضرة، وبالتالي لا ماضي ولا مستقبل موجود وجود حقيقي، إنما الموجود هو الحاضر، حيث حاول القديس (اوغسطين) ان يتخلص من اغترابه بالعودة الى عالم الالهية - مدينة الله- فيصبح الانسان انساناً ربانياً فيتخلص من اغترابه. (توماس: 1964، ص177). ومن ثم الاغتراب في الفلسفة الاوربية الحديثة: اذ تناوله الفيلسوف الفرنسي (ديكارت) من خلال فكرة (الكوجيتو)**، ومن خلال تلك الرؤية الفلسفية كان مفهوم الاغتراب لديه يتجلى في مجالين: الاول هو (الكوجيتو الديكارتى) حيث يتضح اغتراب (الأنا) عن ذاته، وهو ما يمكن أن نطلق عليه الاغتراب النفسي، والثاني: هو الاغتراب (الانطولوجي)/الاغتراب الوجودي حيث تعيش الذات تجربته الانفعال (الأنا أفكر) الديكارتى. إنه الخط الفاصل بين عالم الإله القديم وعالم الإنسان الحديث مركز اللون، وبذلك اقترنت الحداثة اقترانا وثيقا بفكر(العقلانية) واغتراب الذات . (بلدي: د. ت، ص194). (تورين ، 1998، ص16) وهنا ذكر الفيلسوف الالماني الكبير(هيجل) Hegel (1770م -1831م) الذي يوصف بـ (أبو الاغتراب)، فقد ربط فكرة الاغتراب بفكرة الحقيقة المطلقة على أساس العلاقة بين الذات و العالم ، أي التعارض القائم فيما بينهما . فالاغتراب لديه هو " حقيقة أنطولوجية ، لان النفس ليست فقط ذات تسعى لتشكيل العالم طبقاً لمقاصدها وأهدافها . ان الصراع ما بين الذات والموضوع لدى (هيجل) هو أساس الاغتراب في فلسفته . فالإنسان عندما لا يتعرف على ذاته في هذا العالم يصبح إنساناً مغترباً . (مجاهد : 1997 ، ص81-82) اما الاغتراب لدى(نيتشه) Nietzsche (1844- 1900) فقد بدأ بقطيعة فكرية مع العقلانية المتمثلة بالحداثة ونبذها، حيث هاجم مفهومها حول التقدم ونزع القيمة عن التاريخ ، لذا فقد دعا الى تحطيم تلك القيم القديمة كونها المسبب لجموده وتعاسته ،لقد جعلت عدمية (نيتشه) الانسان عرضة للاغتراب والتشتت المعرفي والسعي للبحث عن قيم جديدة ملائمة لتحقيق ذاته . (عبد المنعم ، مجاهد ، 2008 ، ص33) . وهذا ما سار من بعده الفيلسوف الالماني(كارل ماركس) Marx (1818-1883) اذ عد الاغتراب هو المنطلق من اطار اقتصادي يفضي الى انواع الاغتراب الاخرى ، ونتج عنها ما أسماه "الاغتراب انتاج العمل" والذي يؤدي الاغتراب عن الآخرين والاغتراب عن الذات، فإن الاغتراب عن العمل يوقع الإنسان في شرك الاغتراب الذاتي، فقد انفصل عن الحياة الجوهرية ونزعت منه انسانيته بمجرد أن قام بتسليم طاقاته الى صاحب العمل، وبالتالي لا يكون لديه الوقت الكافي الذي يسمو بحواسه ويتذوق الجمال سواء من الفنون أو من خلال ناتج عمله. (الفيومي ، 1988، ص53) . وكان لاهتمام الفلسفة الوجودية بالإنسان الفرد وانشغالها التام بدراسة ما يبدو عليه من ظواهر " القلق، والموت، والوجود، والعدم ، والزمان" " بدأ من (كيركجارد) Kierkegaard (1813-1855م) اذ تعرض لقضية اغتراب

الانسان الحديث من خلال نقده لضياع الفرد في داخل المجموع، وفقدانه لتفردته وحرية، ان هذه العبودية الجديدة هي جزء لا يتجزأ من عملية الاغتراب، فانفصال الانسان عن ذاته وتخليه عن حريته الشخصية ليضعها تحت تصرف الاخرين على نحو يؤدي الى ضياعه. (فروم ، 2005 ، ص99) . لكن المفكر (البييركامو) A.Camus (1960-1913) قد تناول الاغتراب من خلال مفهومي العبث والتمرد ونظرته تجاه الموت المحتوم ، فالعبث شعور واع يصادف الانسان فجأة في حياته ناجم عن موقف الانسان تجاه لاعقلانية الوجود. وبعد اكتشاف "العبث" ثم عجزه عن ايجاد وجوده ونهايته الاليمة. فالعبث هو فقدان الامل في الخلاص . (توزان: 2005، ص198) اما الاغتراب عند (سارتر) (poul Sartre 1905 - 1973) ان محور الاغتراب وحسب ما اوضحه سارتر يرتكز على الجسد ونظرة الاخر عليه ، الاغتراب لديه هو (التثبيؤ) الذي يظهر في نواحي شتى بوصفه استلابا للعالم، والحرية من خلال الآخر بوصفه استلابا ما هو لذاته، اما نظريته للموت فالموت يحدثنا عن انفسنا والانسان يبدو بالأحرى محكوم عليه بالإعدام ويعد نفسه بشجاعة للنهاية، وهكذا اصبح هدف الحياة انتظار الموت، وبه يتم الخلاص من الاغتراب. (بيطار، 2001، ص82)

الاجتراب كمفهوم نفسي : الاغتراب النفسي مفهوم عام وشامل يشير الى الحالات التي تتعرض فيها وحدة الشخصية للانشطار او الضعف والانهيار، مما يعني ان الاغتراب يشير الى النمو المشوه للشخصية الانسانية، حيث تفقد فيه الشخصية مقومات الاحساس المتكامل بالوجود والديمومة ، وعموماً برز العديد من المفكرين الذين نظروا في موضوع الاغتراب ،من ابرزهم يرى (فرويد) Freud الاغتراب بأنه " نتيجة الانفصام بين قوى الشعور Conscious واللاشعور Unconscious ، فيصبح الفرد بعيداً عن ذاته ، وكل هذه السبل تدفع الانسان الى الاغتراب والهروب من الواقع المعاش لواقع افضل يجده في اغترابه. ويرى فرويد أن الإنسان عدو الحضارة لأنها تقوم على كبت الغرائز. (ص 21) 1983 ، هذا وقد اوضح (الفرد أدلر) مفهوم الاغتراب من خلال الشعور بالنقص عن مصدر (جسمي، أو نفسي، أو اجتماعي) ويرى (أدلر) إن الفرد يلجا إلى التعويض لسد النقص الذي يشعر به أحياناً وللتغلب على اغترابه. (أبو أسعد ،2008، ص77). وذكر (يونك) yung الاغتراب من خلال مفهوم القناع في نظريته للشخصية بفكرة (القناع) الذي يعني به هو غلاف نلبسه لذواتنا الحقيقية لتبدو للعالم في مظهر لائق اجتماعياً، ويصفه (يونك) بأنه قناع العقل الجمعي تختفي وراءه الفردية، ويرى (يونك) أن الفرد المسرف في استخدام القناع هو أشبه بإنسان وليس بالإنسان الحقيقي، فيغترب عن مشاعره ووجداناته ، فيصيبه الاضطراب الشديد. (صالح، قاسم حسين، 1998، ص122). اما (ايريك فروم)* والذي يعد اب الاغتراب في التحليل النفسي المعاصر، الاغتراب يعني له الانفصال عن الطبيعة، فاهتم بقضية

الانفصال من خلال الخضوع، وسلب الحرية، والتسلطية، والتخريب، والانعزال، في هذا يؤكد فروم ان شعور الانسان الحديث بالعزلة. وبالتالي أصبح الإنسان يعيش منفصلاً عن ذاته الواقعية ذاته الأصلية. ويرى فروم ان ظاهرة الانفصال والتشويو هي اثر تتركه الرأسمالية على الفرد . (ميتشيل، دنكن، 1981، ص20) .. الاغتراب كمفهوم اجتماعي ايضا تناول الاجتماعيون موضوعة الاغتراب بانه حالة اجتماعية تسيطر على الفرد سيطرة تامة تجعله غريباً وبعيداً عن مناحي واقعه الاجتماعي، فهو شعور ينتاب الفرد فيجعله غير قادر على تغيير الوضع مع الذي يتفاعل معه، والاغتراب الاجتماعي، يعني عدم وجود هدف عند الشخص المنعزل اجتماعياً أي انه لا يستطيع توجيه سلوكه ومعتقداته أو هو عدم وجود المقاييس الاجتماعية الثابتة أي انه غالباً ما يشعر بانه لو اراد تحقيق اهدافه فانه يجب عليه عدم التصرف بموجب المقاييس المتعارف عليها اجتماعياً واخلاقياً، والمعنى الاخر للاغتراب الاجتماعي هو العزل أي شعور المغترب بانه غريب عن الاهداف الحضارية لمجتمعه، والاغتراب الاجتماعي هو الشعور بعدم الاندماج والتباعد عن المجتمع والثقافة حيث تبدو القيم والمعايير الاجتماعية التي يشترك فيها الاخرون عديمة المعنى بالنسبة للشخص المغترب اجتماعياً لذلك فهو يشعر بالعزلة والاحباط.(حمزة، 1992، ص52). والاغتراب الاجتماعي هو الانسلاخ الزمني عن المجتمع وعدم التلاؤم معه أو عدم المبالاة وعدم الانتماء فكثيرون هم الذين يعيشون داخل اسوار نفوسهم في نفور عن المجتمع، حيث لا يشعرون بالانتماء الى زمنهم الحاضر، وبالتالي يصبح غير مبالي بما يدور، وغير منتمي للعصر. لذا فقد تناولها العديد من علماء الاجتماع بدراسة تلك غربة الانسان في منهم (القيق ، 2005، ص17) الاغتراب عند (جاك روسو) هو انقطاع الإنسان عن طبيعته الأصلية التي يمكن أن تكون إما أصوله البدائية أو طبيعته الجوهرية الثابتة، وينتقد فيه (روسو) الحضارة والمجتمع، ويرى (روسو) أن الحضارة قد سلبت الإنسان ذاته وجعلته عبداً للمؤسسات الاجتماعية، التي هو أنشأها وكونها، وأصبح تابعاً لها، وبذلك يحدث الاغتراب. (القيق ، 2005، ص17) . ولكن (اميل دوركايم) يرى ان التطور السريع للحضارة الصناعية تسبب فقدان المعايير والعزلة، وعزلة الإنسان عن روابطه التقليدية وبعده عن التضامن الاجتماعي هي مصدر اغترابه في المجتمع الحديث. ويشير إلى أن النزعة الفردية التي سادت التاريخ الحديث والتي بدت مظاهرها في اليأس والوحدة وخوف الذات واكتئابها وقلقها الزائد والتي هي مظاهر الاغتراب.(حمزة، بركات : 1992، ص152). وهنا يشير (الحسن)* أنه ثمة ارتباط (وأحياناً ترادف) بين التشويو والتوثن والاغتراب يظهر في بعض جوانب المجال الدلالي للاغتراب:

1 - فالاغتراب هو فقدان الإنسان العلاقة مع مشاعره الإنسانية الدفينة العميقة واحتياجاته الإنسانية.

- 2 - الاغتراب يعني إحساس الإنسان بتزايد هيمنة الإجراءات البيروقراطية اللاشخصية على حياته (بل إن ثمة ترابطاً بين الاغتراب والترشيد في الإطار المادي).
- 3 - الاغتراب يعني إحساس الفرد بالعجز وشعوره بأنه غير قادر على التأثير في المواقف الاجتماعية المحيطة به.
- 4 - الاغتراب هو الإحساس بالعزلة وانفصال الفرد عن تيار الثقافة السائد.
- 5 - الاغتراب هو الإحساس بغياب المعنى واللامعيارية. (الحسن ، 1976 ، ص 57).
- وقد قام (ميلفين سيمان) * melvin seeman بتوضيح معاني مصطلحات الاغتراب ومظاهره ، والتي حددها بالاتي :
- 1-العجز/فقدان السيطرة/ اللاقة Powerlessness: هو شعور الفرد بأن مصيره وارادته ليسا بيده بل تحدهما قوى خارجة عن ارادته الذاتية ،ومن ثم فهو عاجز تجاه الحياة ويشعر بحالة من الاستسلام والخضوع .
- 2-الاحساس اللامعنى أو فقدان المعنى / اللاجدوى Meaninglessness: وهنا يعني الاغتراب شعور الفرد بأنه يفتقر إلى مرشد أو موجه للسلوك والاعتقاد. والفرد المغتراب هنا يشعر بالفراغ الهائل نتيجة لعدم توفر أهداف أساسية تعطي معنى لحياته وتحدد اتجاهاته وتستقطب نشاطاته.
- 3-اللامعيارية (الانوميا) Normlessness: وهنا يعني الاغتراب شعور الفرد بأن الوسائل غير المشروعة مطلوبة، وأنه بحاجة لها لإنجاز الأهداف. وهذه الحالة تنشأ عندما تتفكك القيم والمعايير الاجتماعية وتفشل في السيطرة على السلوك الفردي وضبطه. وهي حالة انهيار المعايير والقيم التي تنظم السلوك وتوجهه.
- 4-الانعزال الاجتماعي أو حالة العزلة والانتماء Social Isolation: والاعتراب هنا يشير إلى شعور الفرد بالغرابة والانعزال عن الأهداف الثقافية للمجتمع . وفي هذه الحالة لا يشعر الفرد بالانتماء إلى المجتمع .
- 5- الاغتراب الذاتي Self Estranment : بمعنى أن الإنسان لا يستمد الكثير من العزاء والرضى والاكتفاء الذاتي من نشاطاته ويفقد صلته بذاته الحقيقية ويصبح مع الزمن مجموعة من الأدوار والسلع والأقنعة، ولا يتمكن من أن يشعر بذاته ووجوده إلا في حالات نادرة.
- 6- الاغتراب القيمي او الثقافي Cultural Estranment : حين يعاني المرء صراعاً قيمياً كما يتجلى في حالات التمرد لدى الشباب وفئات من المثقفين على المجتمع ومؤسساته.(الحسن، إحسان محمد ، 1976 ، ص 57).

7-اللاهدف **Aimlessness** : يرتبط هذا المعنى باللامعنى ، ويقصد به شعور المرء بان حياته تمضي دون وجود هدف أو غاية واضحة ،ومن ثم يفقد الهدف من وجوده ومن عمله ونشاطه وفق معنى الاستمرار في الحياة.

8- التمرد **Rebelliousness** : يقصد به شعور الفرد بالبعد عن الواقع ، ومحاولته الخروج عن المألوف والشائع، وعدم الانصياع للعادات والتقاليد السائدة ، والرفض والكرهية والعداء لكل ما يحيط به من قيم ومعايير، وقد يكون التمرد على النفس ، أو على المجتمع عموماً. والاجتماعية في شكل نزعة تدميرية تتجه إلى خارج الذات في شكل سلوك يتصف بالعنف والعدوانية ضد المجتمع ومعطياته الحضارية.

9- التشيؤ **Reification** : يقصد به ان ينظر الانسان الى ذاته كما لو كانت شيئاً أو سلعة يطرحها للبيع، وهو اغتراب سلبي يفقد الانسان فيه من خلاله ذاته ووجوده الشرعي الاصيل. والتشيؤ من ابرز مظاهر الاغتراب في العالم الرأسمالي الانتاجي ،حيث يمنح البشر ثقتهم للأشياء وليس لبعضهم البعض، وبالتالي تصبح الثقة ذاتها من خصائص الاشياء لا من خصائص الانسان على الرغم من انها خاصية انسانية.(خليفة ، عبد اللطيف :2003، ص37).

10- الانسحاب : هو وسيلة دفاعية يلجأ إليها الأنا للدفاع عن نفسه، حيث يكون الفنان عاجزاً عن الابتعاد عن المواقف المهددة، ومن ثم يزيح عن نفسه القلق بأن ينسحب من الموقف، أو أن ينكر وجود العنصر المهدد، أو بالانشغال في توهّم ما يتمناه، حيث يعبر الفنان عن الانسحاب من خلال التعبير والانسحاب الشكلي والمضاميني في الشكل والمضمون الذي يثير في نفسه القلق الذي يعده موقفاً مهدداً له ، وقد يكون الانسحاب من الأشكال أو الأساليب أو التقنيات السائدة. (غير، فيليكس: ، 1982، ص43).

● المبحث الثاني / الاغتراب في فن الرسم:

يأتي مفهوم الاغتراب في الفن لتجسيد هذا الانحراف الذي يلحق بالفكر والعالم الواقعي معاً، بحيث يخلق شكلاً بديلاً ليكون واقعاً جديداً يعكس ملامح جديدة تتناقض مع الرؤية السكونية الجامدة المقولبة، فظهر اليات التحريف والتشويه في الفن شكلاً ومضموناً، ففي الشكل وجدت التحريفات في الابعاد والنسب ، والزوايا والمساحات والخطوط والالوان ، فظهرت الاعناق الطويلة والسيقان القصيرة، والانوف بالغة الضخامة، والاسنان بالغة الحدة، كما اهتم الفن بتجسيد المكان من خلال فكرة التلاعب بالمنظور، وظهرت تكوينات التي تمزج بين الانسان والحيوان والنبات وحتى الفاكهة، مما مهد لظهور كائنات غريبة، ومواضيع ومضامين غير مألوفة (كالقرين ، والشيطان ، والمرايا ، والظلال، والظلام، والاشباح). هذا وقد ذكر(عبد الحميد) في كتابه (الفن والغرابية) عدة اليات فنية متبعة التي حاول

الإنسان فيها تجسيد الاغتراب في العمل الفني (الرسم وغيرها)، يجسد ذلك الجانب الآخر من اغتراب الذات بطرائق متعددة نذكر منها:

1. التهجين: وذلك عن طريق المزج بين الإنسان وكنائات أخرى كالحیوانات، والطيور، والزواحف، وما شابه ذلك.

2. المسخ: عن طريق تغيير ملامح الإنسان واكتسابها مظاهر البلاهة أو الشر، والحقارة أو الشيطانية.

3. التناسخ: عن طريق تحول الإنسان ذاته إلى طائر، أو حيوان، أو سمكة، أو ضفدعة.

4. التعدد والازدواج: فظهرت اشكال مثل القرين، والظل والشبح، وغيرها.

5. عوالم ماورانية: فظهرت كائنات خرافية خارقة أو مخيفة كالشيطان، والطيغ، وعالم ما وراء الطبيعة، وغيرها.

6. التركيز على اشياء غريبة موجودة في البيئة المحيطة بالإنسان / (الفنان): عن طريق الإيحاء بأجواء غريبة شبيهة باردة تشبه بالقبور والموت، مع التركيز على عامل عزلة الإنسان، وانفصاله عن الواقع. فضلا عن هذا يمكن من خلال الفن الحديث الترميز واستخدامه العناصر التشكيلية والتكوينات والخامات والتقنيات للتعبير عن العوالم الغريبة والأحاسيس التي تعيشها ذات الفنان في اغترابها.

ومن هذا سوف يستعرض الباحث تلك الرؤية بالرجوع الى اقدم العصور لإظهار ملامح التغريب في الفن.

ملامح الاغتراب في رسوم الحضارة العراقية القديمة:

في حضارة العراق القديم فكان الفن الاداة المقدسة للتعبير عن معتقداتهم وافكارهم ومجمل حياتهم، وكان الاغتراب في الفن واضحا متجليا في اغلب اعمالهم الفنية من رسوم ومنحوتات وخزفيات. (بارو، اندريه ، 1980، ص254)، اذ استخدم العراقيون القدماء الاشكال التي تميل الى الدوران كدليل على احساسهم وادراكهم لمفهوم دورة الحياة، ومن هنا تكون فكرة الصليب المعقوف قد نشأت عن موضوع دورة الحياة والتي جسدت في تكوينات متعددة فتارةً يستعملون اربع نساء بشكل دائري متتابع أو يستخدمون اربعة غزلان تتتابع بشكل دائري لان الغزال يعد



شكل (1)

رمزاً من رموز الخصب والنماء في العراق القديم. ونلاحظ ان الاشكال في العراق القديم قد تحررت من صيرورته الطبيعية ، لتؤدي فعله في الوسط الحضاري ، كرموز لا تمثل الحضور الواقعي لتلك الاشكال . ان الفنان العراقي القديم أحال سطوح تكويناته الفنية والمعرفية إلى نظير معادل لوجود الإنسان المتناهي وبقاء الأفعال كقيمة معنوية مفتون بكل ما هو أبدي من خلال أتباع أساليب التجريد والتحوير، اكسب السيكولوجية السومرية نوعاً من القلق الميتافيزيقي ، مما أكسبت صورة المغيب اللامرئي حضوراً فاعلاً في البنية الفكر السومري ، الذي اوجد في الأسطورة حلاً لمثل هذه الملايسات ، فالفنان الرافديني لم يعبر عما موجود في الواقع الحسي بصورة مباشرة، بل حوّر ورمّز وحمل العمل ابعادا غرائبية مما اضفى للعمل بعدا ميتافيزيقيا ، والفن العظيم هو الذي يمزج الاشياء الحقيقية بمغزاها الرمزي والخيالي. (صاحب ، زهير ، 2006 ، ص4).

اما الاغتراب في الفن الإسلامي: لقد امتاز الفن الإسلامي بارتباطه بالعقيدة الدينية، كما تصف بالشمولية في رؤيته للأشياء والوجود الغيبي، فأصبحت مظاهر هذا الفن ذات توجهات روحية اغترابية عن واقع الوجود الحسي، مما جعل اشكاله مجردة تحمل صبغة تجريدية ، وكذلك اتسم الفن الإسلامي بالتسطحية والتحوير للنسب، وكذلك الترميز محاولاً ابعاد وتغريب كل ما يتعلق بالعالم المادي الزائل ، وتأكيد على قيم الجوهرية اللامرئية ، وكذلك المزوجة بين المحدود واللامحدود. (الصانع، سمير، 1988، ص71) كما في الشكل (2و3). ثمة غرائبية في نتاجات التصوير العربي الإسلامي، نجدها قد اقترحت صوراً متخيلة بشكل زوقت بأسلوب زخرفي غريب الى حد ما، يمتزج فيها الواقع الموضوعي بالخيالي، من خلال إقصاء أو إضعاف الرؤية البصرية من اجل إيجاد علاقات جدلية ديناميكية تنتج بنية جديدة، مقترحة، تمزج بين ما هو مألوف (مرئي) وغير مألوف (مخفي)، مادي وذهني، مرئي ولا مرئي. بحدود هذا المزج المركب، استطاع الفنان في العصور الإسلامية، بين الحين والآخر، ان يتحكم في صياغة أزمنة تصويرية، تتمظهر في بنية المرئي الذي أحاله الرسام بعمليات (التحوير والتهجين والتركيب) بمساعدة تطبيقا الحدس الى مستويات بصرية مجردة. كما في شكل(2)



الشكل (2) الشكل (3)

لقد سعى فن التصوير الإسلامي (مدرسة بغداد) على وجه الخصوص- الى بلورة مفهوم جديد في إبداع تكويناته من خلال تأكيده ما ورائية المرئي الخاضعة لهيمنة الصورة الذهنية عن طريق ما يفترضه الشكل المركب (حيوان + إنسان) من

علاقات جدلية بين ما هو مرئي ولا مرئي، خاضع لدواعي التبسيط والتسطيح بعيداً عن كل أنواع التجسيم من أجل تحقيق وحدة مفاهيمية في التأليف الذي يتقبل المضامين والأفكار الطليقة غير المحدودة بخصائص المرئي من خلال التنوع في الأشكال والتفاوت الواضح في قيم اللون المجرد؛ على اعتبار ان الفنان في مدرسة بغداد (رسومات الواسطي) في اختيار للأشكال المركبة لا يعمل على تفتيت المرئي بكل حيثياته التكوينية وإنما يكشف بأسلوبه المركب حقيقة المرئي الجوهرية تصويرياً. كما في الشكل (3) اعلاه. (الصانع، سمير ، 1988، ص92).

الاغتراب في الرسم العراقي المعاصر: مع بداية الأربعينيات شهد الفن التشكيلي في العراق تحولاً جديداً بقدوم بعض الفنانين البولونيين في السنوات الأولى للحرب العالمية الثانية، وكان لوجود هؤلاء الفنانين أهمية كبيرة في تشكيل الحوافز التي رافقت الرسام العراقي إلى النظر بمنظار جديد في الأسلوب، واللون، فعندما ينظر الإنسان العراقي إلى

مسيرته خلال وجوده على هذه الأرض، فإنه سوف يرى على هذا الامتداد السحيق، صوراً لثنتي أشكال الاغتراب والمآسي والمعاناة، نتيجة الاستلاب المستمر لحقوقه من قبل الطبقات المسيطرة: (سياسية، دينية، اجتماعية، اقتصادية) فضلاً عن الفنية مما دفع الفنان يعلن التزامه في تبني وطرح معاناته الفردية والاجتماعية في قالب حضاري يستلهم

فيه الإنسان وتراثه. (آل سعيد، شاكراً حسن: 1983، ص10)

وقدم الفنان (فائق حسن) اعمالاً عدة تستعرض الاغتراب الذي كان يعيشه سيكولوجياً وفلسفياً، منها لوحة (الانتظار) التي عرضها في معرض البيبالي العربي الأول، والعمل عبارة عن حصان عجوز (خلاف الخيول الفائقة السابقة السعيدة) يتأمل جمجمة حصان آخر فالحياة لم تحقق له ما كان يسعى إليه". كما في الشكل (4) يرى الباحث ان الاغتراب في هذا العمل الرائع يتجسد في الوحدة في هذا العالم المظلم.

وايضاً في الشعور بالنهاية والموت عن طريق هرم الكبر للحصان الواقف، كذلك في استخدام



شكل (4)

الفنان الذكي للفضاء الشاسع اللانهائي في الافق، وكذلك في حوم الغربان في الاجواء الكئيبة السوداوية. (كامل عادل، 1986، ص41-43).

اما الفنان(جواد سليم) فكان الاغتراب يظهر جلياً في عمله (الشجرة القتيلة) ويعد (جواد سليم) احد الفنانين الذين ارسوا الدعائم الحقيقية للرسم العراقي الحديث، "فقد جمع في اعماله بين منحوتات سومر، وأشور، ورسوم يحيى بن محمود الواسطي،. وعبر (جواد) عن القلق , هو القلق المعاش : خوف الناس من السلطة , ومن الخيانة ،لذا فقد أمعن الفنان جواد سليم في تغريب اشكاله . وانتهاء بالضحية والشجرة القتيلة قاصداً أن يعبر عن الإنسان المستلب إزاء المصير والقدر , والأرض والفقر .يجد الباحث في هذا العمل ان الاغتراب كان متجلياً بمضمون العمل الفني، فصور نفسه بالشجرة الواقفة التي ينهشها الآخرون بالفؤوس، حالة من الاغتراب الاجتماعي عن المجتمع المحيط به. (كامل ، عادل ، 1980،ص13)



شكل (5)

اما الفنان (نوري الراوي)*، نلاحظ في معظم نتاجاته الفنية ثمة إحساس قوي بتقاطع الزمان، والمكان في قراه بتلالها، ومنازلها القديمة، قد تكون مثقلة بحنين الفنان إلى طفولته، وبرأته الضائعة، جسدت له الجذور المكانية التي تغذي خياله، وسلطتها في طبع خصائص أسلوبه. وترى في رسوماته تكراراً لشكل القبة والمحراب التي تُولف لدى (الراوي) القضية الأساسية في رؤيته الفنية فهي تمثل العنصرين الأساسيين في شخصيته الانسانية وهي بمثابة الرمزين الطبيعيين لعلاقة المدينة بالصحراء، أو السماء والأرض. ومفهوم القبة عند الفنان يستند إلى فكرة اللا متناهي فتمة سلطة ذاتية تمتد مع طبيعة المكان وبأجواء حلميه خيالية ذات بعد تزييني في اللون وشفافيته، فلوحاته تمتزج فيها الأشكال مع الفضاء والأرضية مشكلة ألفة



شكل (6)

اللا متناهي. كما في الشكل (6)(القره غولي، 2002، ص57). نلاحظ في هذا العمل الاغتراب المكاني والزماني المتجسد في ثنايا العمل، فهناك المدينة الفردوسية الغارقة في الاحلام في مكان مجهول في ذاكرة الفنان ترجع به الزمان ومكانات

الطفولة الاولى . لكن الاغتراب عند (كاظم حيدر) في لوحته (ملحمة الشهيد)* اغترابا زمكاني بزمان في الماضي يسقطه على الحاضر ليصف الحاضر بصفات الماضي، وهو اغتراب كبير يشعر به الفنان عن واقعه و ما يحيط به هناك نغمة رثائية وسمت غالبية أعمال (كاظم حيدر) منذ أن رسم عددا كبيرا من اللوحات



شكل (7)

عن استشهاد الإمام (الحسين ع)، فالوحي الديني الإسلامي يأتي (كاظم حيدر) عن طريق حسه للمأساة في إشارات ورموز من التاريخ العربي الإسلامي كما يفهمه. في شكل (7)، (كامل، عادل، 1981، ص 107)

فيما كشفت أعمال الفنان (علاء بشير)* عن أزمة عميقة . فالإنسان الذي يصوره، غالباً هو الإنسان الوحيد الذي يحيط به الفضاء من الجهات الأربع ، أو من كل مكان أنه إنسان معزول ، غريب وسط فضاء مبهم، استحال إلى كتلة بلا شكل واضح أو معالم يمكن أن تفصح عن المعاناة التي يجسدها الفنان : تلك المعاناة التي تجعل من الإنسان أن يستحيل إلى رمز ، وبهذا المعنى ان موضوعات علاء بشير ذات حساسية شديدة ألوانه قد تكون من بؤرة معاناته الداخلية ووعيه الاجتماعي وضمن فهمه الخاص، لعالم الشك . المتناقض . وتتعامل أعماله مع الأشياء في الطبيعة على إنها العالم الخارجي المثقل بالملامح والهيئات الدالة على حدود الافاق المكتشفة في الاشياء حاول



شكل (9)



شكل (8)

الفنان الإفصاح عن العذاب الروحي، والنفس البشرية عميقة فلا يمكن الحديث عن نهايتها، فلوحاته تفقد إلى تفجير ينباع القلق الكامن في أعماق نفوسنا ، والابتعاد عن أوامير حياة الاستقرار المزيفة والدعة الكاذبة . (المعموري ، 2003 ، ص 83)

وكان الاغتراب لدى (ماهود احمد) لديه هو هجران الواقع بكل ما فيه واللجوء الى خيالاته وذكرياته، وبالتالي فأن مشهدية الصورة الواقعية تجذب المتلقي من خلال تركيز (ماهود) على صورة الإنسان الحامل للبؤس والشقاء ، أو تركيزه على صور المرأة، وكان ماهود) يدغم نصوصه التشكيلية الصورية تلك بروية سردية -

روائية , تحكي حدثاً ما ويلعب فيه الإنسان دور البطل في تلك الأحداث بأسلوب الفنان (ماهود أحمد) الذي اتسم بالتركيز على عنصر المكان المتخيل (البيئة الجنوبية الشعبية التي عاشها وعرفها) كما في الشكل (9). فيروي افكاره من خلال اشكاله وهي مندمجة مع العالم المحيطي الخارجي من خلال الخيال الكامن في افكاره ذات النزعة (الميثولوجية) إذ تعبر اشكاله بطريقة غرائبية اقرب الى السريالية فهو يبحث من خلال خياله عن اشياء مفقودة في ذاكرة الفنان وفي الحياة التي يعيشها. (كامل ، عادل، 1981،ص77)



شكل (9)

كما تأثرت (سعاد العطار) كغيرها من الفنانين العراقيين بالتراث المتراكم الذي خلفته الحضارات المتتابعة في بلدها العراق. وهناك تأثير ملحوظ بالمدرسة الواسطية في بغداد التي بدأها (يحيى الواسطي) في العصر العباسي الذي أبدع بتصوير مقامات الحريري. ونجد هذا التأثير برسمها



شكل (10)

للنخلة وكذلك في تكرارها للزخارف النباتية وفي اختيارها للألوان وخصوصاً اعتمادها في بعض لوحاتها على اللون الأزرق وهو لون ذو دلالة خاصة في الفن الإسلامي وتجربة (سعاد العطار) تطلبت المعالجة الشكلية والمضامينية معالجة معرفية ذاتية لمفهومي الزمان والمكان في عملية السرد الحكائي. الذي تحاول الفنانة الاشتغال عليه في جو درامي وبالوقت نفسه تظهر هناك تناصات لمعالجة الشكل المهيمن مع شكل الفضاء الذي يحيط به هناك بعض الدلالات الغامضة على بعض العلامات التي رسمتها الفنانة وخاصة ما يخص امرأة ورجل في عوالم سحرية لغابة مسحورة من خيالات ارض العجائب بغرائبية سحرية الأجواء . (الحمود، لولوة ، 2003،ص13)

●المبحث الثالث / (المضامين الفنية في رسوم علي طالب) :

عد جيل (الستينيات) جيل (القلق) أو التمرد , من خلال ممارسته لمختلف التجارب الفنتازية, ومن هنا كان التمرد يكتسب شرعيته الإبداعية ,ولهذا السبب ظهرت تجارب جديدة وعديدة للفنانين ولكن قلق هذا الجيل يحمل إخلاصه في تجديده وفي بحثه عن الهوية الخلاقة للفن. ولكن لم يخفف القلق, بل كان السمة

الأولى، قلق الإنسان، ومحنة البحث، وعذابات الرؤية الذي أثمر تأسيس مفردات القناعة الجديدة /الحدائث لجعل الفن لغة للحرية. وهنا نرى اعمال (علي طالب)* احد فناني ذلك الجيل بان ثمة حدث يدور في طقس غامض يتوخى السرية والتكتم ذلك جوهر الرؤية عنده، وتلك هي الخاصية



شكل(11)

التي حافظت عليها اعماله على مدى الحقب التي احتضنت مسيرته الفنية المتواصلة، بغض النظر عن الامكنة التي اقام فيها، والتغيرات التي انعكست من جرائها على ملامح نتاجاته الفنية. لقد حمل (طالب) معه تكوينه الثقافي المحملة بأجواء الجنوب؛ اجواء مشبعة بحب المعرفة والابداع، مع موروثها العميق الموعغل في الازمنة البعيدة، كفيلاً بان تعمق لدى علي طالب نزعتة الفكرية التأملية وتدخل في صلب تجربته الفنية لتغذي تمرده واغترابه وبحثه الدائم عن عوالمه المفقودة. (مظفر، 2006، ص4)... امتازت تجربة (علي طالب) بالتفرد والانكفاء نحو التجربة الذاتية " بمعنى آخر ثمة حالات نفسية معقدة يسلط الفنان الضوء عليها، وهذه الحالات، عامة، ترتبط بالاستلاب الانساني، فالفنان لا يصور الانسان في انتصاره او مجده، وانما يختار الجانب المأساوي فيه. وهذا الجانب الخطير لا ينفصل عن المضمون العام لأعمال الفنان. وعامة فهو يصور



شكل(12)

من خلال الحالات النفسية للنماذج المعالجة" فهو يتناول مواضيع مأساة الذات مع علاقاتها مع البيئة او الوجود بتطلع سيكولوجي، ومتيافيزيقي معاً أي ارتباط الذات بالمطلق. في تناول محنة الانسان وعذاباته السيزيقية من خلال مواضيعه وتكويناته الانسانية شكل(12). (آل سعيد، 1994، ص189)

الانسان لدى (علي طالب) يشكل علامة بارزة في انساقه التشكيلية، حيث لم ينفصل الجسد الإنساني في جل مراحل علي طالب الأسلوبية عن بعده التعبيري والرمزي ولم ينفصل عن التمازج بين الفضاءات الساكنة والأشكال الخشنة الممتلئة بالتضاريس البصرية لتجهيز سطوحه الكاشفة على نحو تراجيدي في ثنايا السطح وفي المركز، ومن ذلك ووفق تشكل الحدث البصري تتدفق أسئلة البحث عن شرط الإنسان في الحياة وعن معنى الحرية والاغتراب، وذلك بجعل الإنسان رمزه الأول في

علاقته مع ذاته ومع الآخر ومع محيطه الثقافي والاجتماعي . (آل سعيد ،1983، ص 41). الإنسان وعالمه الشائك بعذوبة ومعاناة ومعناها تتجلى في سطحه التصويري الذي يكشف لنا دوماً عن ذلك القلق الوجودي والاستعداد الفطري الذي لا يقنع بما هو كائن، ويتطلع إلى ما وراء الوجود، والشكل هنا فهو مبعث حياة وحركة وعامل من عوامل التطور والتحول الإنساني والأسلوبي .

إن استدعاء فكرة الجسد يدفعنا مباشرة إلى منطقة التفكير الأنثروبولوجي، من المعلوم أن الماضي محمل بفكرة التغريب الشكلي لموجودات الكون وبالمحصلة الانطلاق بذات الفنان والمتلقي إلى منطقة الانفتاح التأويلي. إن ثيمة موضوعة الجسد يدفعنا نحو قراءة المنجز قراءة دلالية لفكرة الحرية والانتعاق من الوجود المادي نحو الوجود الروحي، وهذا التصور التعبيري يؤكد خط النظر الظاهر في وجهي الرجل والمرأة في اللوحة نحو نقطة خارج حدود المكان والزمان، حيث الترقب لحدوث شيء ما أو ربما قد كان ذلك الشيء قد حدث فعلاً. وما يؤكد ذلك الترقب والخوف أجواء اللوحة الضبابية التي تدفعنا لتصور فكرة الغموض. حيث غياب جسد الرجل في عتمة اللوحة ما هو إلا تشفير دلالي للغياب والحضور أو الخفاء والتجلي ، والذي يمكن أن يكون هنا رغبة في التحرر في عالم يسوده الخوف، كما في شكل (13) .(الخميسي ، 2006، ص96).

المؤشرات التي اسفر عنها الاطار النظري : بعد عرض الاطار النظري ودراسته من كل الجوانب ،ومن خلال الاطلاع على مفهوم الاغتراب، توصل الباحث لجملة من المؤشرات الاولية للشروع بإجراءات البحث وتحليل عينته ،هي كالاتي:

- 1- الاغتراب هو فقدان الذات الفردية الانسانية العلاقة التفاعلية مع الواقع المحيط به ،والذي يصاحبه قلق واحباط وانعدام المعنى .
- 2- هناك عدة انواع للاغتراب بمفهومها العام كالاغتراب النفسي ،وفكري ، واجتماعي ، وديني، وثقافي ، وقيمي.
- 3- الاغتراب عند (افلاطون) هو جهل الانسان تحقيق وجوده الذاتي ،فالإنسان عنده قد فقد عالمه الحقيقي، وبات يعيش حياة خداعة زائفة، والخلاص منها يكمن في العودة لعالم الحقيقي الابدی .
- 4- الاغتراب في فلسفة (افلوطين) تكمن في حثه النفس البشرية على العزلة من العالم الخارجي والاتجاه نحو الداخل(دواخل النفس البشرية) وصولاً الى الاتحاد بالرب .
- 5- الاغتراب عند (ابي حيان التوحيدي) هو التواجد بين الناس جسدياً (مادياً)، ولكنه خارج دنياهم شعوراً ووجداناً.
- 6- فكرة الاغتراب لدى (هيجل) تكمن في العلاقة بين الذات والعالم ، فالإنسان عندما لا يتعرف على ذاته في هذا العالم يصبح إنساناً معترباً ، ويمكن تجاوز هذا الاغتراب عندما يصبح " العالم جزءاً منه عندما تتحول (الأنا) إلى (الآخر).

- 7- الاغتراب عند(نيتشه) يجعله الانسان في حكم العيب الابدي ، من خلال طرحه مفهوم العدمية التي اوجدها ليدلل على عمق الازمة التي يعيشها العالم الحديث عندما فقد قيمه الراسخة ومثله العليا السامية، الذي تسبب في جعل الناس يعيشون الفوضى والعيب، وان الوجود لا معنى له، لذا فقد دعا الى تحطيم تلك القيم القديمة كونها المسبب لتعاسته واغترابه، فاصبح الانسان يسعى للبحث عن قيم جديدة ملائمة لتحقيق ذاته.
- 8- يرى (ماركس) ان الظروف التي تولد الاغتراب هي ظروف اقتصادية واجتماعية، وي طرح مفهوم (اغتراب انتاج العمل)والتي تدور حول فائض القيمة لرأس المال، الذي يعد اخطر صور اغتراب الانسان في تاريخه .
- 9- الاغتراب لدى الوجودي (كيرجارد) تكمن في ضياع الفرد في داخل المجموع، وفقدانه لتفردته وحرية، ان هذه العبودية الجديدة هي الاغتراب، فانفصال الانسان عن ذاته للآخرين يؤدي الى ضياعه.
- 11- لقد تناول (البيركامو) الاغتراب من خلال مفهوم (العيب والتمرد) ونظرته تجاه الموت المحتوم، فالعيب شعور واع يواجه الانسان، ناجم عن موافقه تجاه لاعقلانية الوجود ، والعيب هو فقدان الامل في الخلاص.
- 12- يعتقد (سارتر) ان الناس اغتربوا لانهم يظنون في انفسهم انهم اشياء ،وانهم يفقدون انسانيتهم بارادتهم ،فالناس ضحايا انفسهم .ويرى ان التشويق استلابا للعالم ، وانتظار الموت اغتراب الانسان، والموت خلاص من الاغتراب .
- الاغتراب النفسي :
- 13- الاغتراب عند (فرويد) يتمثل في الصراع داخل الانسان بين رغبتى الحاجات المكبوتة الغير مقبولة اجتماعياً ،وبين الوعي (الافكار المقبولة اجتماعياً) ،فالاشعور يكبت في حالة اغتراب طويلة قد تدوم عشرات السنين. ويعبر عنها بشكل رموز محوره محتالة على الواقع .وتلك السبل تدفعه للاغتراب .
- 14 - الاغتراب عند (كارل يونغ) يحصل من خلال اختفاء ذواتنا خلف القناع (القناع الجمعي) والشخص ذو النمط الانطوائي الانعزالي هو الشخص المغتراب، فيميلون للانسحاب من عالم الحقائق الى عالم الخيال .
- 15- يعزو(فروم) أسباب الاغتراب إلى طبيعة المجتمعات الصناعية، وهيمنة التكنولوجيا، والقيم، والأيديولوجيات التسلطية، ويذهب إلى أن الإنسان المعاصر يشعر بأنه منفصل عما حوله من الناس والعمل، والنظام الاجتماعي عموماً، ولهذا لم يعد جزءاً منها أو منسجماً معها.
- 16- يرى المنظر الاجتماعي(جاك روسو) ان الاغتراب هو انقطاع الإنسان عن فطرته الأصلية التي يمكن أن تكون إما أصوله البدائية أو الجوهرية الثابتة، والتغلب على الاغتراب هو العودة إلى هذه الفطرة الثابتة، ويرى (روسو) أن الحضارة قد سلبت الإنسان ذاته وجعلته عبداً للمؤسسات والقوانين الاجتماعية.

- 17- قام (ميلفين سيمان) بتحديد مظاهر للإنسان المغترب والتي حددها بـ (العجز، واللادجوى، اللامعيارية، والتمرد، التشويش، الانسحاب) .
- 18- الاغتراب في رسوم الرافدينية القديمة استخدموا اسلوب التجريد والتحوير والترميز الهندسي للأشكال والمضامين الميتافيزيقية .
- 19- الاغتراب في الرسوم الاسلامية باستخدام الاسلوب الزخرفي مع مزج الشكل الواقعي بالخيالي والمألوف بما هو غير مألوف باستخدام عمليات التحوير والتهجين والتركيب .
- 20- الاغتراب في رسوم الواسطي من خلال اسلوب التبسيط والتسطيح والابتعاد عن التجسيم الواقعي وكذلك تنوع الاشكال والتفاوت بين القيم اللونية المجردة والمضمون يبرز الحقيقة الجوهرية المرئية .
- 21- يرى (شاكر عبد الحميد) في كتابه الفن والغربة ، ان اغلب فناني الرسم يجسدون الاغتراب في اعمالهم الفنية بطرائق متعددة، منها طريقة : (التهجين ، والمسوخ ، والتناسخ ، واشكال غرابية موجودة في البيئة ،وعوالم ما ورائية ، واشكال مغايرة للمألوف).
- الدراسات السابقة : تناولت الدراسات السابقة مفهوم الاغتراب كجانب من جوانب موضوع دراستها ، إلا ان كل منها تناولت الموضوع في منطقة معينة مختلفة عن الأخر.
- 1- فدراسة (جاسم) *كانت هدف الدراسة:(كشف مظاهر الاغتراب في رسوم فان كوخ) ،فيما كانت هدف دراسة (الشويلية)**:(كشف عن الانواع الاغترابية في النص المسرحي العراقي . أما دراسة (ناجي)** فكان هدفها : (كشف الابعاد الجمالية والنفسية للتغريب في الرسم العربي الحديث) .
- اما هدف البحث الحالي فكان : (تعرف مظاهر الاغتراب في رسوم علي طالب) وقد اتفق مع هدف دراسة (جاسم) و (الشويلية) لكن اختلف في منطقة حدود البحث .
- 2- اقتصرت حدود البحث في دراسة (جاسم) الزمانية (من 1881- 1890) لرسومات الفنان الاوربي فان كوخ ،بينما كانت حدود البحث في دراسة (ناجي)من (1950- 1980) للرسم العربي الحديث لفنانين عرب من بلدان عربية مختلفة، بينما كان حدود البحث الحالي : (1968-2010) لرسوم الفنان العراقي (علي طالب) المعاصرة .

الفصل الثالث / (اجراءات البحث)

أولاً : مجتمع البحث : بعد إطلاع الباحث على ما منشور ومتيسر من مصورات الاعمال الفنية الموثقة المتعلقة بمجتمع البحث والمحددة دراستها فيما يتعلق بمظاهر الاغتراب في رسوم علي طالب ، حدد الباحث مجتمع بحثه بواقع (43)

عمل فني من حقبة ما بعد الالفية الثانية ،لتواجهه في بلاد الغربية ،وبما يغطي هدف البحث وحدوده .

ثانياً : عينة البحث : قام الباحث باختيار عينة بحثه والتي بلغت (4) اعمال فنية بصورة قصدية على وفق الضرورات الآتية :

1. وضوح وتجسد هدف البحث في تلك الاعمال .
2. تباين النماذج المختارة من حيث تنوع المواضيع ، مما يتيح مجالاً أوسع لمعرفة لإيجاد تلك المظاهر.
3. اختلاف مراحل انجاز الاعمال الفنية تاريخياً عبر خمسة عقود .

ثالثاً: منهج البحث / اعتمد الباحث المنهج الوصفي *(أسلوب تحليل المحتوى) ضمن رؤية نفسية وفنية في تحليل عينة البحث والذي يتماشى وتحقيق الهدف الذي جاءت من اجله الدراسة الحالية .

رابعاً: أداة البحث / من أجل تحديد هدف البحث اعتمد الباحث على المؤشرات التي اسفر عنها الاطار النظري للبحث ، وتمثلتها في المفاهيم النفسية للاغتراب وهي (الاستلاب، والعزلة ،واللاجدوى ،والعجز، والهروب، والانسحاب) بوصفها محاور أساسية في مظاهر الاغتراب .

خامساً / تحليل عينة البحث :

نموذج (1):



الفنان: علي طالب	اسم العمل : التضحية
تاريخ الانجاز : 2002	خامة العمل : زيت على قماش
العاندية : مقتنيات خاصة	ابعاد العمل : 100 x 100 سم.

العمل يتكون من شكل بشري لامرأة في وضعية الصلب وهو مركز وجوهر العمل ،مرسوم بواقعية تشبيهية واضحة، عارية النهدين ، ممزقة الثياب ، بدون رأس كالعادة ،تحتها يسود اللون الازرق الغامق في خلفية اللوحة من الاسفل ، اما في الجزء العلوي من اللوحة فيسودها اللون فاتح ابيض يميل للاصفرار .

عرف عن (علي طالب) تكريس النزعة التراجيدية في الرسم العراقي، وهو ينتمي إلى الخط التراجيدي الذي كان يمثله الفنان كاظم حيدر، فهو ينتمي لهذه المنطقة السخية في

مددها الوجداني أكثر من انتمائه إلى نقل الانطباعات الاجتماعية داخل العمل الفني، هذا الفنان يصل أحياناً بالعمل الفني حد الاكتئاب. هذه اللوحة يوظف فيها الشكل لصالح المضمون، وهو عادةً منتج أشكالاً تخدم هذه الأفكار وأغراضاً إنسانية محضه، محمولة بقوة على الشكل بحيث إن الشكل أحياناً يتسم بالطابع الدرامي بسبب ضغط المعنى ودلالته الإشارية العالية لذلك يلتبس الشكل ميكانيكياً بهذه الدرامية.

ان جنوح (علي طالب) نحو دواخله الذاتية نابع من اعتقاد راسخ بعقدة النفس الكبرى وانفصالها عن العالم الخارجي، حيث نلمس بوضوح ان ملاسبات الواقع الداخلي ستبرز على الجسد كمظهر حسي يشترك مع الموجودات الأخرى في رسم الواقعة الاستعارية للإنسان وهو مصلوب او ملقى في هذا العالم هناك ، فهو الموجود الوحيد الذي يستطيع ان يلقي موجودات أخرى ، ومن خلالها يبدأ التعامل مع الموقف بدأ من الذات الملتقية بالعالم وهي جزء منه وبه تستعين لتتعرف على ذاتها ، ف(علي طالب) يضعنا امام انفسنا اولاً ومع العالم في المواجهة مع الموقف لنقرر مدى خوفنا من المجهول الذي يراودنا.

والمرأة هنا التي تمثل الانسان هنا :مزقة لشعورها بعريها الإنساني لأنها كائن مستلب من هويته يصرخ بصوت عال ليظهر بوجوده في العالم ومتروك لوحده والموقف هو الوحيد الذي يتجلى فيه حال الانسان " في حالة كونه كشفاً للوجود " بما هو آنية يتضح موقع الذات من العالم بوصفها في وسط موجودات. وتشكل المرأة عنصراً مهماً ورئيسياً في تكوين اللوحة عند الفنان، فغرابتها تستدرج المشاهدين الى البحث عما يخفيه ظاهرها، وترج بهم في اتون اسئلة متوالدة، إنها الجمال والقبح ،وهي البراءة والخبث ،وهي الرحمة والقسوة، وهي الفضاء المفتوح والسجن المغلق. ان رمز المرأة اظهر الاحساس الكامل في سبيل اظهار الفكرة، بمعنى التعبير عن الفكرة بالشكل، اعتماداً على استلهام الاسرار الما ورائية ومنها الاحلام وصولاً الى الفكرة المجردة المتخيلة للأشياء التي احس بها الفنان تجاه العالم ، اما اللون الاسود القائم في منتصف جسد المرأة ،فانه يعطي عمق الاشياء بدلالاتها المعتمة أو عمق ارتباط المرأة بالأرض ، فالألوان في اغلب استخدامات علي طالب تعكس الانفعال الشديد لتكريس ثنائية العتمة والبروز أو الحياة أو الوجود والضياع (الاغتراب).

نلاحظ تمظهر مفهوم الاغتراب في الانسحاب والتناسخ وكذلك بإسقاط مشاعر القيمة والانسانية تتجسد عبر ذلك الجسد المصلوب ،انه نموذج استعاري للنموذج المثالي للمسيح ،وبإسقاطات النفسية للفنان في رؤيته من خلال ذلك الجسد وبالتالي اسقط عذاباته والامه كالمسيح ليمسح خطايا الآخرين ، وليشكي للرب ظلم كل ما يحيط به من الناس . وتتجلى مظاهر الاغتراب في :

1- في الاغتراب بالانسحاب عن المجتمع حين يعاني المرء صراعاً قيمياً مع المجتمع ومؤسساته وتنظيماته .

- 2- الاغتراب من خلال احساس الفنان باللامعيارية حسب طرح(نيتشه)حيث احساس الفرد بالفشل في ادراك وفهم وتقبل القيم والمعايير السائدة في المجتمع وعدم قدرته على الاندماج فيها .
- 3- الاغتراب من خلال العزلة والانفصال والوحدة لشخصه في اغلب اعماله الفنية مما يعكس الغربة والوحدة التي يعانها الفنان .
- 4- اغتراب شكلي باستخدام رمز هندسي هو الصليب وهو طرح اغتراب ديني مستخدما التناسخ لذاته المعذبة بإحلالها بهيئة جسد السيد المسيح رمزا للإنسان المعذب، وكذلك استخدام شكل الجسد المصلوب . انفصال الراس عن الجسد، أي جسد مقطوع .
- 5- وضوح تمثل الاغتراب المكاني من خلال وحشة المكان كانه حلم .

*نموذج (2) :



اسم العمل : امرأة	الفنان : علي طالب
خامة العمل : اكرليك على كانفس	تاريخ الانجاز : 2006
ابعاد العمل : 100 x 100 cm	العائدية : مقتنيات خاصة

Woman (2006) Acrylic on canvas, 100 x 100 cm. Private Collection.

عمل تعبيرى سورريالي ، يمثل هيئة جسد امرأة من مقطع خلفي في مركز العمل الفني مقطوعة الرأس عن الجسد كالعادة، وهو الاسلوب الذي تميز به الفنان، وكأنها تسير الى المجهول المظلم، وفي الافق البعيد نصفان نصف ازرق كانه البحر نلاحظ نهاياته في الافق ، وهو مشهد خيالي حالم رومانسي، ونصف اخر تسوده حلقة الظلام بأجواء غريبة غير مألوفة، كما نلاحظ ان هناك العديد من الالوان الزاهية في ظهر جسد تلك المرأة والتي هي في هيئة متحركة وكأنها تمشي في هذا الطريق بغير ارادتها نحو المجهول ، على الرغم من جمال الألوان التي تحملها في داخلها.

شكلت أعمال (علي طالب) قراءات واسعة ومتداخلة للعلاقات المستعملة في أسلوبه الذي ينتمي إلى الفنون التعبيرية والرمزية، ولعل الانتقالات البصرية التي يمكن التقاطها في

أعماله الفنية، قد برهنت على ذلك من خلال بروز ثيمة الأشكال المنزاحة عن واقعها، والهائمة في فضاءات شبه مسرحية، ولو على سبيل الافتراض، والتي تترك لدينا دلالات فاعلة عن نسق العلامات التي تساهم في الفعل القرآني للمتلقي، ومحاولاته وتقنيته متقدمة في بناء تكوينات تمزج بين البناء الهندسي المركب والأشكال العضوية بعدما تخضع هذه الوحدات جميعاً للتكوين العام الكلي والبناء الموحد. وتتحول الصياغات الشكلية إلى عناصر ذاتية في الفضاء الذي هو المحيط الأرحب المنتظم للملامح العلامية والتفاصيل الهندسية الداخلية، حققها بحساسية لونية مرهفة، جعلها تصب في التعبيرية المكتنزة بالرموز والإشارات والدلالات الفكرية تتكشف منها عواطفه الغامضة واغتراباته ومواقفه الإنسانية بصيغة أعمق وأشكاله الغارقة في الوجود، وهو تجسيد لحالة المأساة في درجاتها العميقة، يصنع علي طالب مشاهدته الفكرية بطابع رمزي خارجة من أعماق نفسه الفلقة، بمشاهد يتجلى فيها حوار داخلي مباشر أقرب ما يكون في دراميته إلى المسرح الأسود واللامعقول، فالانزياحات اللونية الذهنية التي يتشخ بها الجسد المقطوع الرأس تسهم في إثراء المشهدية الداكنة، لكنها تشترك بإبهامها عن طريق طرح مضامين علامية مشدودة في حوار أزلي لا يمتلك المشاهد إلا المشاركة فيه بحزن وقلق وترقب وتعاطف إنساني، فالمتلقي يصطدم بلوحاته بفعل حدتها ورمزيتها فقط بل لأنها تخاطب الوعي الحر الشخصي والجمعي والذي يمتد إلى براءتنا واغتراباتنا، والجسد استحال إلى نظام علامي، وإلى كتل موحية، ويقدم لنا أشكالاً يصدمنا بلغة الصمت، ولهذا فإن مخاطباته تبدو أكثر التباساً في التحليل والتأويل، إننا إزاء اغتراب.

هذا الفنان يصل أحياناً بالعمل الفني حد الاكتئاب، فهو الفنان الذي تميز عن أقرانه في العراق الذي أوصل اللوحة إلى حد الاكتئاب. أعماله فيها نوع من الذعر والإسقاطات السيكلوجية، فهو سيكلوجي في المقام الأول، وكل أشكاله وتراكيبه تبدأ من منبع سيكلوجي، كما أنها ذات أصل ذاتي، ويمكن القول إن علي طالب يشعر بداخله بحزمة أسئلة تحتاج إلى إجابات، لذلك فإن هذا العمل يمثل بعضاً من هذه الإجابات. هذه اللوحة يوظف فيها الشكل لصالح المعنى، وهو عادةً منتج أشكالاً تخدم هذه الأفكار وأغراضاً إنسانية محضة، محمولة بقوة على الشكل بحيث إن الشكل أحياناً يتسم بالطابع الدرامي بسبب ضغط المعنى ودلالته الإشارية العالية لذلك يلتبس الشكل ميكانيكياً بهذه الدرامية.

ان المرأة في توجهها نحو المجهول إنما هو اقدم حتمي قدري نحو الموت ، وهنا استذكر رؤية المفكر الفرنسي البير كامو في نظريته للاغتراب وحتمية الموت ومفهوم العبث، فالعبت شعور واع يصادف الانسان فجأة في حياته ناجم عن موقف الانسان تجاه

لاعقلانية الوجود، والوعي الذي هو رغبة مجنونة في الوضوح-شروط اساسي يظل مقابلاً للاعقلانية الوجود وبمقابلتهما يتواجد العبث. وبعد اكتشاف "العبث" وتكرار المحاولات المتواصلة بواسطة العقل ثم عجزه عن ايجاد وجوده ونهايته الاليمة.. يظل الانسان العبثي محتفظاً بوعي حقائقه الثابتة، وهو في بحثه عن طريق الخلاص يصطدم بجدران العبثية. فالعبث هو فقدان الامل في الخلاص، فليس هناك اتعس من تنفيذ عمل ينفذه الانسان دون جدوى ودون امل، واذا كان مصير الانسان كمصير (سيزيف)، الذي يفكر في الانتحار لخلاصه من حياة دون معنى يقف فيها عاجزاً تتصرف فيه الاحداث كيف تشاء. وهنا تتجسد مظاهر الاغتراب في :

- 1- وضوح الاغتراب من خلال اللامعنى(اللاجدوى) من الحياة، وهو ما نلتسمه في استسلام الانسان في الاستمرار في الصمود والمشي الى القدر الحتمي نحو المجهول .
 - 2- نلاحظ عزلة الانسان من خلال وحدته وهذا ما نلاحظه في العديد من اعماله الفنية ، حيث ان ابطال لوحاته دائماً في وحدة وانعزال بدون رفيق في هذا العالم الغريب القاسي .
 - 3- نلاحظ غربة المكان والزمان، فلا المكان موجود في واقعنا ، ولا نعرف زمان حدوثه، فهو مستمر مع الانسان منذ القدم وحتى اللانهائية .
 - 4- استخدام الالوان الباردة كالأزرق والاخضر، وهي الالوان المعبرة عن الغربة، كما نلاحظ قلة تنوعاته اللونية وكذلك التسطيح في طريقة التلوين لإعطاء الاولوية للمضمون على حساب الصبغة التقنية الفنية.
- نموذج (3) :



اسم العمل : النخيل	اسم الفنان : علي طالب
خامة العمل : اكريلك على قماش	تاريخ الانجاز : 2007
ابعاد العمل : 120×120 سم	مقتنيات خاصة

عمل فني تعبيرى تغلب عليه السوداوية (اللون الاسود) الا في الجزء الاعلى من اللوحة الذي فيه لون سماء زرقاء ترابية كلون سماء العراق ،بفضاء منشرح غير سوداوي ،وفي الجزء الايمن من العمل شكل دائري كالكرة بالوان مبهمه يسودها اللون الازرق والاصفر البني مع بعض الشوائب والنقاط المختلفة على الكرة ،وجو السماء الملبدة بالتراب كأنها تضربها عاصفة ترابية هانجة يغطي معظم زرقة السماء ،وفي مركز العمل شكل منتفخ كهينة البيوت الطينية صغيرة في الريف العراقي ملونة بالوان مبهجة حارة كاللون الارجواني وهناك تنتصب نخلة وحيدة في شموخ بلون مضيء وسط ظلام الطاغي على العمل الفني بمواجهة تلك العاصفة الهوجاء الترابية ، وخلف تلك البيوت الطينية لون بارد هو الازرق الشذري مختلط مع اللون الترابي للعاصفة .

ركز (علي طالب) على البعد النفسي في معالجاته الفنية الجمالية، وهي معادلة موضوعية جمالية وجودية لهذه الرؤية وتوظيفه للرمز في اشتغالاته الفنية للأشكال والالوان في محاولة لبلورة عالمه التشكيلي الخاص أي اسلوبه الخاص ،يظهر فيه للمتابع ان اشكاله لا تبلغ مرحلة التجريد والايهام الكامل ،انما يبقي طاقتها التعبيرية متأججة شكلياً للتعبير عن اقصى حالات الانسان ووجوده ومعاناته والآمه وهمومه ،وهذا ما يبدو جلياً في اغلب نتاجاته الفنية.

هذا الفنان يحيلنا إلى أجواء النخيل والرياح الصحراوية التي كانت تهب على البساتين النخيل في البصرة، فهناك سيادة إلى الفضاءات المفتوحة فهو ابن هذه البيئة، لذلك لا نجد في أغلب أعماله أكثر من شخصية واحدة، وإن تخطاها. وهناك شخصيتان على الأرجح. عُرف عن علي طالب الاشتغال على الفضاء المفتوح حيث يمثل ذلك العنصر دوراً إيجابياً عالياً في تكوين الاجواء اللوحة الداخلية وبالتالي إبراز الطاقة الشكلية التي تحملها عناصر واشكال اللوحة، تلك الاشكال التي تبدو كأنها تعيش في جنوب العراق. هذا الشكل(النخلة) تحمل طاقة دلالية ورمزية وتعبيرية أيضاً، فالفنان ينتمي إلى بيئته الأولى، بيئة الطفولة والشباب، هو لم يغادر هذه البيئة الفنية على الإطلاق، بل إنه تحول من نسقيته الأسلوبية إلى ما يشبه الموضة عندما كان لامعاً في ستينيات القرن الماضي ، هذا العمل شكلياً يوحي بأن هذا الفنان يخاطب العين من خلال لغة الاختزال لأنه بالاختزال يستطيع أن يوصل أو يحمل طاقة محركة عالية، هو ليس مبالياً بالصخب البصري في العمل الفني، العمل الفني يكاد يكون أقرب إلى الفراغ منه إلى الامتلاء لأن هناك شكل واحد فقط، لأنه يعتقد أن هذا الشكل المكثف كافي لتترك انطباع عن الثقافة التي خرجت منها هذه اللوحة، وهي ثقافة جنوب العراق، ففي بساتين النخيل وشط

البصرة عادةً الأرض تلتحم بالسماء وبالتالي علاقة الإنسان بالأرض والسماء علاقة وجود أكثر منها علاقة افتراضية.

كان علي طالب يؤسس في اللوحة على رؤيوية خاصة مستعيناً بالرؤية الشعرية ودرامية لكي تكون نافذة العبور الى اجواء اهله وطفولته وشبابه ، انه عودة الى رحم الأم التي افتقدته في الغربة، والذي يحيل إلى رحم المكان وهو يتعامل بشيء من الريبة مع الفضاء الذي يلف أشكاله فهو أما يخشى الغيمة السوداء الغامضة أو المتربصة.

تشغل الثيمة الأساسية للوحة على فكرة الاغتراب والوحدة والعزلة التي يعيشها هذا الفنان، وفكرة القلق الوجودي هي فكرة أساسية بسبب غربة الفنان وبالوقت نفسه حالة القلق التي يعيشها الإنسان العراقي والتي حاول الفنان التعبير عنها بواسطة شكل الكرة وسط اجواء الظلمة، ويعيش حالة القلق، وهذه الفكرة عبر عنها الفنان من خلال المكان/ الفضاء الخالي. هناك حالة من الخوف الغامض الشديد الذي يتملك روحه، وهذا الإنسان الذي يمثل موقفاً وجودياً كبيراً بحيث يشعر الإنسان بالحننة التي يعيشها غيره من البشر، وتكون اللوحة انعكاساً لذلك الإحساس، فحالة القلق إما أن تكون ناتجة من مرض نفسي أو تأتي من العالم الخارجي المحيط فيكون الخوف تعبيراً عن غضب الذات العليا أو عقابها، فغموض هذا القلق يكون عصابياً عندما لا يستطيع الفنان الذي يشعر أن يعرف سببه وذلك بأن يظهر هذا القلق على شكل إسقاطات في مكونات اللوحة.

ان لحظة الطفولة، حلم جميل مستمر، باعتبارها بوتقة تنصهر فيها مختلف امالنا والامنا، تخيل الطفولة وبنائها تانية بواسطة احلام اليقظة، تظهر صورة الطفل الوحيد المنعزل، وما دام نواة الطفولة تبقى مستمرة في الروح الانسانية نجتاز كل مراحل الازمنة الانسانية، حيث نحيا كل قيم الماضي، اذن خيالات الماضي ملتصقة بالنفس الانسانية حيث يعيش الفرد المجتمعي لحظات كبت مستمرة لها، والتي تتدفق بين ثنايا احلام اليقظة اثناء العزلة. ويتجلى مما سبق ان مظاهر الاغتراب في هذا العمل تضح من خلال :

- 1- الاغتراب ذاتي نفسي للوطن الام،الرحم الام والحنين للماضي .مع الاغتراب الموضوعي للمشهد والمضمون .
- 2- اغتراب لوني من سوداوية الالوان المستخدمة الطاغية على العمل .
- 3- الوحدة وانعزال الشكل الرئيسي (النخلة) في وسط افق شاسع من الفضاء المعتم .
- 4- العجز عن اعادة الماضي القديم ، او العودة الى الطفولة والمكان الاول .

5- الاغتراب مكاني (الاجواء الغربية) فالمكان موحش وكنيب وهي اجواء غريبة تبرز مدى الانفصال والوحدة.

6- اغتراب الفنان عن التعايش مع المجتمعات الغربية الصناعية وقيمها الحضارية والثقافية ،لذا نراه ينسحب الى عالمه الحقيقي وجذوره الاولى .

نموذج (4) :



اسم العمل : تمثال الخزف	الفنان : علي طالب
خامة العمل : زيت على قماش	ابعاد العمل : 200 × 200 سم
تاريخ الانجاز : 1986	العائدية : المتحف الوطني للفن الحديث في بغداد.

يصور الفنان في هذا العمل جسد انثوي ممدد مقطوع الراس عن ذلك الجسد، والجسد يبدو متصلباً كعمل نحتي بلامح انثوية، تكسوه ألوان متنوعة على غير ما الفناه في اعمال (طالب) القديمة، بضربات للون الوردي والاحمر وكذلك الاخضر والازرق ،مع بعض الضربات باللون البنفسجي . اما الراس فملقى كعادة الفنان ان يرسمه وهو ينظر الى الاعلى اللوحة أو الى السماء. والجسد والرأس يبدوان كأنهما من القطع الاثرية القديمة المتروكة للحضارة العراقية القديمة ، متروكان في عالم قديم ،في جو ساحر موغل في القدم ، او في حالة حلم بعيد عن الواقع، وهذا الجسد ممدد فوق ارضية سوداء حالكة الظلمة تطغى على مساحة لابأس بها من العمل الفني ،كأنه جبل شاهق تحت سماء زرقاء اشبه بلون الليل .

تظهر تلك الاجساد المتصلبة كالمنحوتات كأعمال الفنان اليوناني (جورجيو دي جريكو) بأجوائها السوربالية الحالمة، والغارقة في ذكريات الماضي السحيق ، في خيال حالم ،لأمكنة غريبة تكتنفها الغموض .

عملية الرسم عند الفنان اشبه ما تكون بالممارسة الذهنية ، فهو الجسر الذي يتم من خلاله التحول تحت تأثير الضوء واللون . لعل تحوير وتجريد الاشكال المستمدة من الواقع المحيط عنده ، لا يبتعد كثيراً عن واقعه بوسع المشاهد ان يدرك طبيعة الاشكال اذا ما

امعن النظر في فنه ،ومن يرى شخوصه المرسومة لا يحس انه يرسم الانسان بقدر ما يريد ان يجسد حالة يبتغيها هو .

تغدو الشفرة الجمالية منظومة بصرية ذات محاولات سيكولوجية تفعل فعلها في تشييد البنى النصية للخطابات الفنية والتعبيرية عند علي طالب، يحركها باتجاه الجسد الانساني الممزق الاوصال (فصل الرأس عن الجسد)، هنا يكمن مراده الثقافي انه يعمل في منطقة فنية سوريلية تعبيرية تشخيصاً وترميزاً ،فكأنه يحاول ان يحقق واقعه الذهني الى تجاوز ما بعد الذات ،الى واقعه فنية ما بعد تشخيصية.

في هذا العمل يستخدم الفنان بذكاء مفهوم نفسي هو (التشيؤ)، اذ احال الثيمة الموضوعية وهو المرأة والتي يحاول الفنان الغور في اعماقها الى شيء متروك مهمل في غياهب الزمن كمنحوتات هيركيلانيوم الاغريقية المقطعة ،رسالة انسانية مع روحها المنسية في هذا العالم ،خاصة وانها مرماة على الارض اليباب لتدل على الانكسار النفسي .

استخدم الفنان رموز تعبر عن الاغتراب في ذلك العمل ك(الجسد عاري مقطع /الرأس المقطوع/ فضاءات غير متناهية / اماكن مبهمة الشكل غير مألوفة/ للوان داكنة سوداء/ الوان غير مبهجة وغير متنوعة مع استخدام اختزالي للون/ الوان باردة تطغي على سماء الموضوع الفني / وجه مترقب ينظر الى السماء .كل تلك الرموز وظفت في خدمة العمل والتعبير عن المراد الذي يبتغيه الفنان والتي تعنصر خواجه ومشاعره . كذلك اغتراب مضاميني ميتافيزيقي من حيث مضمون العمل بأجواء ماورائية لعوالم ما وراء الذات الانسانية . في هذا العمل تتجسد مظاهر الاغتراب في :

1- اغتراب شكلي غير مألوف (شكل بشري مقطع وهو ما يبدو في الراس الوحيد المقطوع والجسد الملقى في ارض مجهولة.

2- اغتراب لوني من خلال سوداوية اللون وانعكاساتها الكنيبة التي تسود العمل الفني

3- اغتراب مكاني وهو ما يبدو في الاماكن الغريبة النائية والموحشة .

4- اغتراب من خلال فضاء العمل فهو فضاء لا متناهي .

5- اغتراب مضاميني باستخدام مضمون انساني يحمل دلالات غرائبية واسطورية لموضوعة العمل

6- استخدام الفنان بأسلوب التناسخ بجعل ذات الفنان كأنها تحولت في دواخل ذلك التمثال المهجور المحطم .

● الفصل الرابع النتائج والاستنتاجات والمقترحات :

أولاً: النتائج / بعد ان قام الباحث بتحليل عينة البحث توصل الى جملة من النتائج لتحقيق هدف البحث وهي :

1- تجل ظهور الوحدة /العزلة في اعمال الفنان (علي طالب) ،ويقصد به شعور الفنان بالوحدة، والفراغ النفسي، وافتقار العلاقات الوجدانية مع الاخرين ،وان وجد بينهم كجسد ،وهو اغتراب ذاتي واجتماعي ،وهذا ما نجده في اعماله الفنية من خلال ظهور(اشكال فنية غير المألوفة ،والوحدة داخل الاعمال الفنية)،اذ كانت اغلب اعماله بشخصية واحدة ،او هيئة رأس مقطوع ،او جسد متحجر مهمول ملقى في المجهول ،في فضاء واسع مقفر، وكأنها تماثيل الفنان اليوناني (دي جريكو) المحطمة مما يضيف مقدارا تراجيديا على مشهد العمل .فظهرت العزلة من خلال اشكال الاجساد المقطعة ، وكذلك في الاشكال الهندسية كالصليب ،والمربع ،والخطوط المستقيمة والمتجهة نحو الاسفل ، وايضاً بالألوان الباهتة والباردة التي تسود معظم اعماله الفنية . مما جعل الغربة تأخذ بعداً اخر هو البعد الروحي ، كما يتجلى العزلة من خلال الامكنة الغريبة الموحشة النائية في مكانات مجهولة ،لأمكنة مقفرة جرداء ،تلك الاماكن تعكس مدى اغتراب روح الفنان الداخلية .وهذا ما نجده في العينة (1)،و(2)،و(3)،و(4) .

2- ظهور مفهوم اللاجودي/ اللامعنى في العديد من اعماله الفنية ،بوصفه من المظاهر التي اكد عليها الفنان،ويقصد به ان الحياة لا معنى لها ،وانه لا يوجد شيء في الحياة له قيمة أو معنى ،وذلك نظراً لخلو الحياة من الاهداف والطموحات ،وبالتالي يفقد المغترب واقعيته ويحيا بنوع من اللامبالاة .وايضاً القلق من المجهول في العديد من اعماله القديمة والجديدة ، وهذا ما نلاحظه في حركة الاجساد نحو او باتجاه الأفق البعيد نحو الخلف او نحو المجهول، وكذلك في تساقط الاجساد وتصخرها، وايضاً في مواجهة حتمية النهاية (الموت المحتم بغير ارادتنا) والقلق الوجودي المستمر لدى الفنان من هذه الحتمية .فنراه يرسم هياكل جسدية لبقايا انسان مقطعة ملقاة على الارض.كما نلاحظ ايضاً من خلال الاشكال المبهمه الضخمة خلف شخوصه الرئيسيين يكسيها الوان قاتمة سوداء. كذلك في ملمس الاشياء المرسومة لديه نراها خشنة غير صافية بضربات لونية غير مترنة مضطربة قلقة ،وهذا ما يظهره الفنان من اجواء مكانية غريبة ،كذلك من خلال خيالات مخيفه تثير التساؤلات المتعددة .او من خلال شخوصه المشوهه المقطعة .

وهنا يتقارب فكر(طالب) بطروحات الفيلسوف الألماني (نيتشه) لمفهوم العدمية وكذلك طروحات (البيركامو) العبثية ليدلل على عمق الازمة التي يعيشها

العالم الحديث عندما فقد قيمه الراسخة ومثله العليا السامية، الذي تسبب في جعل الناس يعيشون الفوضى والعبث، وان الوجود لا معنى له، لذا فقد دعا الى تحطيم تلك القيم القديمة كونها المسبب لجموده وتعاسته، لقد جعلت عدمية (نيتشه) الانسان في حكم العبث الابدي فاصبح الانسان عرضة للاغتراب والتشتت المعرفي والسعي للبحث عن قيم جديدة ملائمة لتحقيق ذاته. كما نجده في العينة(1) و(2)، و(3) .

3- ظهور مفهوم الرفض أو التمرد كأحد مفاهيم الاغتراب في رسوم (علي طالب) ،ويقصد به عدم الانصياع للمألوف من الامور ،والخروج عليها ،ورفض كل ما يحيط به من قيم ومعايير. وذلك بالانفصال عن القيم الاجتماعية والحضارية او سياسية ،من خلال استخدام الاشكال المعذبة المرسومة ،وايضاً من خلال تشويه وخرابشة الوجوه والروس، ايضاً باستخدام اللون الكثيف عجينة لونية ،واستخدام الالوان غير المألوفة في العمل الفني ،واظهار الملمس الخشن للأشكال الرئيسية في العمل . هنا استذكر مقولة (البيركامو) حول التمرد : "السبب الرئيس للتمرد هو الكائن الحي، الوحيد الذي يرفض ان يكون ما هو عليه ،الانسان المتمرد هو الانسان الذي يقول (لا)" ، فالتمرد في الفن خالق الكون ،والمبدع يعد العالم غير كامل ،ويحاول أن يعيد صياغته ويعطيه ذلك الشكل الذي ينقصه، ولكنه لا يتحاشاه ،وكذلك يقود المبدع الى مصدر التمرد بنفس النسبة التي يعطي بها شكلاً للقيم غير المرئية . كما نلاحظ في النموذج (1)، و(4).

4- ظهور مفهوم العجز وعدم القدرة كأحد مظاهر الاغتراب في رسوم علي طالب ، ويقصد به احساس المرء ان مصيره وارادته ليسا بيديه بل بيد قوى خارجة عن ارادته الذاتية، ومن ثم فهو عاجز ارادته الذاتية، ومن ثم فهو عاجز تجاه الحياة ويشعر بحالة من الاستسلام والخضوع . وينجلي ذلك من خلال تقنيته في رسم شخوصه يسيرون في الحياة بدون رؤوس الى اقدارهم، بدون قدرة على اختيار مصائرهم ، كذلك يرسم شخوصه وخاصةً من الرجال بدون ايدي او مقطعي الايدي كدلالة على العجز ، مقطع الاوصال . بمعنى اغتراب في اشكال الواقعية والرمزية. او يستخدم افق شاسع ورأس مقطوع باقياً ينظر في مكانه الى الافاق البعيدة .

ويتقارب مضامين اعمال علي طالب مع نظرية الطبيب (أدلر) حول مفهوم الاغتراب من خلال الشعور بالنقص عن مصدر (جسمي، أو نفسي، أو اجتماعي) الذي يوجد لدى جميع الأفراد، خاصة في مراحل الطفولة المبكرة وشعورهم بالعجز تجاه الكبار، وقد يدفع الشعور بالعجز الأفراد لان يبحثوا عن القوة

والعدوان كوسيلتين للتغلب على مشاعر العزلة والوحدة، وقد يكافح الفرد أو الفنان من أجل التفوق وهو موجود لدى الأفراد كرد فعل طبيعي لمشاعر القصور، وغايته أيضاً تحقيق تكيف أفضل وتحسين الذات والسيطرة على البيئة، ويرى (أدلر) إن الفرد يلجأ إلى التعويض لسد النقص الذي يشعر به أحياناً وللتغلب على اغترابه . وهذا ما نجده في نماذج (1)،(2)،(4).

5- ظهور مفهوم الاستلاب والتشويء كأحد مظاهر الاغتراب في رسوم الفنان ،ويقصد به شعور المرء بفقدان لقيمه الحقيقية ولوجوده وكذلك بفقدان قيمة ما يقوم به من اعمال، مما يؤدي الى الشعور ونتيجة حالة الاستلاب الى تحول قيمته وصفاته الانسانية كباقي قيم الاشياء الجامدة ،يعامل كما لو كان سلعة يباع ويشترى ، وبالتالي تحول مشاعره الى اشياء جامدة . وهذا ما نلاحظه في اعمال الفنان من خلال رسم شخوصه كالات حديدية ،او كمنحوتات خزفية متروكة (اجساد متصلبة محطمة)،او رسم وجوه ورؤوس متعددة كأنها صخور ،وكذلك من خلال التلاعب في ملمس الاشكال المرسومة ودسامة العجينة اللونية المضطربة الغير هادئة او غير صافية مع تسطيح اللوني على مساحات العمل الفني .وننتج هذا الاستلاب الانساني نتيجة التغيرات الحضارية والعلمية والتكنولوجية والتقدم الصناعي وظهور القوانين الرأسمالية .وهنا استذكر مقولات المفكر الاجتماعي (ماركس) الذي وجد ان الاغتراب في المجتمع الرأسمالي هو نتيجة لتطور المجتمع من النظام الاقطاعي الى النظام الرأسمالي الصناعي ،بسبب تطور المذهب البروتستانتى وهو وان كان معجباً بما توصلت اليه الحضارة الغربية الاوربية من تقدم في الرأسمالية، الا انه لاحظ ان التنظيمات ذات الطابع العلمي التي حلت محل التنظيمات التقليدية قد اصبحت في وضع المسيطر على الانسان فقتلت فيه روح الخلق والابداع وحولته الى انسان سلبي وذلك بما تفرضه من نظم وقواعد لا يترك مجالاً له للتعبير عن نفسه .وهذا ما نلاحظه في النماذج (1)،(3)،(4).

ثانياً: استنتاجات البحث:

استناداً إلى ما توصل إليه البحث من نتائج، يستنتج الباحث جملة من الاستنتاجات

وهي :

1-ان الفنان (علي طالب) كان يعاني من اغتراب ثقافي حضاري ،وانفصام نفسي بين قيم ومركزات شرقية عربية مترسخة في اعماقه النفسية وبين سمات عالم غربي

- متحضر يعيش فيه بجسده فحسب دون روحه ، وغير قادر على ترك مكتسباتها لإعادة الاتزان النفسي للفنان . او العودة الى اصوله .
- 2- ان الابداع الفني والفن عموماً نتاج الاغتراب النفسي لدى الفنان ، فالعملية الفنية هي نتاج خلق عالم بديل للواقع، وبالتالي هناك علاقة جدلية بين الفن والاغتراب من حيث ايجاد عوالم جديدة بديلة عن ما نحيا فيه من واقع بصري حسي .
- 3- ان الفنان العربي عموماً يعاني من الاغتراب ومظاهرها تبدو جلية واضحة فيه ، بسبب المعوقات والحوجز المعرفية والثقافية والدينية والتقاليد الاجتماعية .. الخ ، لذا نجده دائماً يتجه في موضوعاته الى الابعاد النفسية الداخلية حيث تراكمات من المعاناة عمرها الالاف السنين ، على العكس من الفنان الغربي الذي ترك الانغلاق على الذات واتجه الى سبر غور عوالم جديدة.
- 4- ان الحركة التشكيلية العراقية منغلقة على نفسها وغير منفتحة على التجارب الفنية المعاصرة في العالم المعاصر. وهذا ما وجده الباحث من خلال الاطلاع على ما تيسر له في البحث، فالاغتراب واسع وكبير وملحوظ بشكل بين عند مجمل الفنانين ، وان لم يذكرهم في هذا البحث.

ثالثاً: توصيات البحث :

- 1- ضرورة وضع الية جديدة بالنسبة لإدارة وزارة الثقافة ارسال فنانينا بمشاركات جماعية في بلدان تحمل ثقافات اخرى ، لكسر حالة الانغلاق التي دامت ست عقود ، مع ضرورة الاحتفاظ بالسمة العراقية المميزة بين الدول .
- 2- ضرورة متابعة احوال فنانينا المحترفين نفسياً واجتماعياً من قبل منظمات او مؤسسات رسمية أو غير رسمية . لكسر الحواجز والعوائق التي تقف امام تطلعاتهم كالجدران العالية .

رابعاً: المقترحات

- 1- مظاهر الاغتراب في فن رسوم الاطفال .
- 2- الاغتراب في رسوم وليام بليك .
- 3- مظاهر الاغتراب في فنون القرون الوسطى - الفن القوطي .
- 4- الاغتراب الديني في رسوم الجريكو.

المراجع والمصادر

- 1- أبو أسعد، أحمد عبد اللطيف، وأحمد عبد الحليم عربيات: نظريات الإرشاد والنفسي و التربوي، ط2، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، 2012.

- 2- الخميسي، موسى: تشكيليون على خرائط المنفى، دار المدى للثقافة والنشر، سورية، بيروت، بغداد، ط1، 2006
- 3- الفيومي، محمد ابراهيم: ابن باجة وفلسفة الاغتراب، دار الجيل، بيروت، 1971.
- 4- آل سعيد، شاكرا حسن: فصول من الحركة التشكيلية في العراق، ج1، دار الشؤون الثقافية العامة، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، آفاق عربية للطباعة، بغداد، 1983.
- 5- _____: فصول من الحركة التشكيلية في العراق، ج1، دار الشؤون الثقافية العامة، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، آفاق عربية للطباعة، بغداد، 1983.
- 6- الراوي، نوري: تأملات في الفن العراقي الحديث، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر المركز الرئيسي، بيروت، 1999.
- 7- الصانع، سمير: الفن الاسلامي، قراءة تأملية في فلسفته وخصائصه الجمالية، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1988.
- 8- العمدي، عبد القادر موسى: الاغتراب في تراث صوفية الاسلام، بيت الحكمة، بغداد، 2001.
- 9- النوري، قيس: الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا، مجلة عالم الفكر، ع1، مج1 المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1979.
- 11- بارو، أندريه،: سومر فنونها وحضارتها، ت: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، مطبعة الأديب، بغداد، 1975.
- 12- خليفة، عبد اللطيف: العلاقة بين الاغتراب والابداع، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 1998.
- 13- دينكن، مينشل: معجم علم الاجتماع، مراجعة وتر: إحسان محمد حسن، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1981.
- 14- شاخنت، رينشارد: الاغتراب، ترجمة: كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980.
- 15- غيير، فيليكس: الاغتراب منحى المنظومات العامة، تر: خير الله عصار، مطابع جامعة عنابة، المغرب، 1982.
- 18- فروم، أيريك: المجتمع السوي، تعريب: محمود المحمود، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1960.
- 19- _____: الحركة التشكيلية المعاصرة في العراق (مرحلة الرواد)، سلسلة الكتب الفنية (43)، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980.

- 20- عبد الحميد، شاعر : الفن والغراب؛ مقدمة في تجليات الغريب في الفن والحياة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2010.
- الرسائل والإطاريح :
- 22- الربيعي، اديان يونس : انظمة العلامات في رسوم علي طالب ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بابل ، كلية الفنون الجميلة، بابل ، 2011.
- 23- القيق ، نمر صبح : الاحساس بالاغتراب وعلاقته بالقدرة الإنتاجية على الابداع رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الاقصى، 2005.
- 24- المعموري ، فاطمة عبد الله : جماليات الشكل والمضمون في رسوم علاء بشير ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الفنون الجميلة ، جامعة بابل ، 2003.
- 25- توزان ، عبد القادر: الشعور بالاغتراب عن ابي العلاء المعري والبير كامو ، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الجزائر، 2005 .
- 26- جاسم، اسراء قحطان : مظاهر الاغتراب في رسوم علي طالب ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بابل ، كلية الفنون الجميلة ، 2013 .
- المعاجم والقواميس:
- 27- زيادة ، معن : الموسوعة الفلسفية العربية ، مج 1 ، ط1، معهد الإنماء العربي ، بيروت ، 1986.
- 30- معلوف، لويس : المنجد في اللغة والإعلام ، ط2 ، معاجم دار المشرق ، بيروت ، 1986.
- 31- لالاند ، اندريه: موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول ، تعريب: خليل احمد خليل، بيروت: منشورات عويدات، ط2، 2001.
- 32- مذكور، إبراهيم: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة ، 1983.
- مقالات :
- 33- الحمود، لؤلؤة: رحلة الى داخل سعاد العطار .. حزن الغربية يولد فناً، جريدة الشروق الاوسط، ط، العدد 8963، 13/ يونيو 2003.
- <http://www.aawsat.com/details.asp>
- 34- مي مظفر: علي طالب اللغز والرمز ، مقالة منشورة في كتيب علي طالب ، كانون الاول، 2006.

* تمثل هذه الحقبة الزمنية الاعمال الفنية للفنان علي طالب الموثقة المصدر والتي استحصل عليها الباحث .

* ابن باجه : ابو بكر بن الصانع ، المدعو اقباس باللاتينية، هو محمد بن يحيى التجيبي الاندلسي السرقسطي ،نسبة الى سرقسطة في اسبانيا ،ولد وترعرع في الربع الاخير من القرن الخامس الهجري (القرن الحادي عشر الميلادي)،كان حاذقاً في الفلسفة والمنطق وعلوم الفلك والطب والرياضيات، وصار وزيراً لابي

العلاء بن زاهر الطبيب الشهير ، وهو الذي احتال ليوضع له السم في اكلة باذنجان مما ادى الى وفاته.(ينظر: بدوي ، عبد الرحمن :موسوعة الفلسفة ، منشورات دار القربي ، ج1، ط1، 2006).

** الكوجيتو(GOGITO)هو المبدأ الذي انطلق منه (ديكارت) لإثبات الحقائق بالبراهين، وهو عبارة عن قضية منطقية ترجمها بالعربية هي : (أنا أشك إذن أنا موجود)، وهذه هي ترجمتها الصحيحة لأن البعض يترجمها (أنا أفكر إذن أنا موجود)، إن التعمق في الفكر سوف يجعلك تشك في وجودك فهذه الحالة ممكنة لكنها نادرة وهي حالة يصاب بها الفلاسفة لكثرة تحيرهم في الفكر وبطلان كثير من العلوم التي كانوا يعتقدون فيها، و(ديكارت) ممن وصلوا إلى هذه الحالة فقد شك في كل شيء حتى في وجوده ومشاعره الباطنية وفي المحسوسات .(ينظر: سبيلا، محمد: الحداثة وما بعد الحداثة، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، 2005، ص31).

** الفرد ادلر (1870 - 1937): طبيب نمساوي، أحد طلاب (فرويد) أصيب بالكساح منذ طفولته، مما سبب له الشعور بالنقص منذ الطفولة، وهو صاحب مدرسة في علم النفس هي (مدرسة السيكولوجية الفردية) التي تركز على عناصر أساسية متمثلة بمشاعر الدونية وبراءة القوة وضرورة التعويض، ودافعه وراء كل ذلك مشاعره بضعف جسده وبنيتة، وأن ما يميز هذا العالم النفساني هو جعله لأسلوبه الخاص في الحياة مذهبه النفساني، فكانت طريقته في مصارعة الحياة، أو سيرته الذاتية الداخلية هي نفسها مدرسته السيكولوجية.(ينظر: هريدي، عادل محمد: نظريات الشخصية، ط2، المصدر السابق، ص108).

* ايريك فروم : عالم نفساني الماني ولد عام 1900، اهتم فروم بالتحليل النفسي، وكان من اشد المتأثرين بأراء فرويد ويعد من تلامذته (ينظر: شاخت، ريتشارد، الاغتراب، المصدر السابق، ص182).

* الحسن، إحسان محمد: علم الاجتماع؛ دراسة نظامية، مطبعة دار السلام، بغداد، 1976، ص61-62 .
* سيمان (1901- 1966): هو احد منظري علم الاجتماع، في الولايات المتحدة الأمريكية، تعد دراسته في الاغتراب من الدراسات الرائدة التي أسهمت في تحديد الأبعاد المختلفة للاغتراب .(ينظر: دينكن، ميشل: معجم علم الاجتماع، مراجعة وتر: إحسان محمد حسن، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1981، ص20) .

* نوري الراوي: ولد في قرية راوة على الفرات الأعلى عام (1925)، تخرج من معهد الفنون الجميلة عام (1959)، ساهم في جميع المعارض التي تقام داخل العراق وخارجه، هو زميل جماعة الرواد منذ عام (1964)، عضو نقابة الفنانين، كما هو عضو جمعية التشكيليين العراقيين منذ تأسيسها عام (1956). (ينظر : الربيعي، شوكت، لوحات وأفكار، مصدر سابق، ص203).

* ملحمة الشهيد : اسم المعرض الذي أقامه (كاظم حيدر) على قاعة المتحف الوطني للفن الحديث عام (1965) وضح (35) لوحة تصور واقعة الطف في كربلاء واستشهاد الامام الحسين بن علي(عليه السلام).

* ولد في خانقين عام 1939 , تخرج في الكلية الطبية ببغداد وحصل على شهادة الدكتوراه في جراحة التجميل من لندن. عضو جماعة الانطباعيين العراقيين وساهم في معظم معارضها منذ 1958 , أقام معرضاً مشتركاً مع الفنان سعدي الكعبي عام 1961 أشترك في المعارض الوطنية التي أقيمت خارج العراق ساهم في جميع معارض جمعية الفنانين العراقيين منذ 1958 , عضو جمعية الفنانين العراقيين منذ عام 1958 وعضو نقابة الفنانين منذ عام 1972 .

* علي طالب : فنان تشكيلي عراقي مغترب، من جيل الستينيات ،ولادة 1944،خريج اكااديمية بغداد عام 1966،عضو جماعة المجددين ،عضو جمعية الفنانين التشكيليين العراقيين ،حاصل على جائزة الدولة

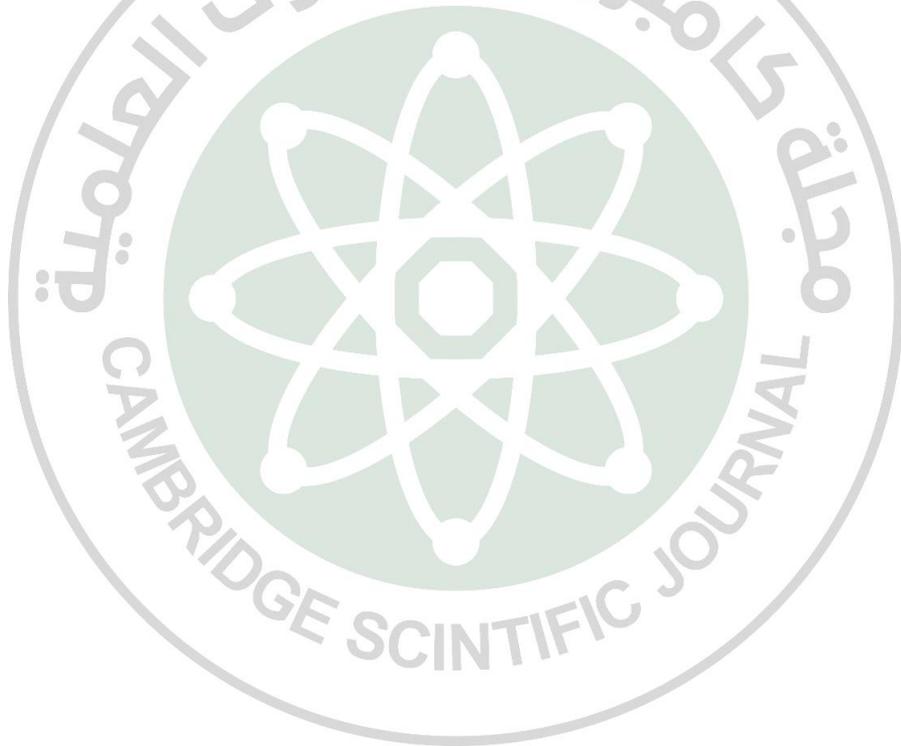
للفنون في مهرجان بغداد عام 1986، هاجر العراق عام 1991، وهو مغترب في هولندا حالياً . (ينظر : وزارة الاعلام – مديرية الفنون العامة : دليل الفنانين التشكيليين العراقيين ،مؤسسة كنعان للطباعة ، بغداد، ص136) .

* جاسم، اسراء قحطان : مظاهر الاغتراب في رسوم علي طالب ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بابل ، كلية الفنون الجميلة ، 2013 .

** شويلية، نهى عباس جواد : الاغتراب في النص المونودرامي العراقي / رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بابل ، كلية الفنون الجميلة ، 2006

*** ناجي ، شيماء حليم : الابعاد الجمالية والنفسية للتغريب في الرسم العربي الحديث ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بابل ، كلية الفنون الجميلة ، 2012

* عبارة عن وصف دقيق ومنظم ، واسلوب تحليلي للظاهرة او المشكلة المراد بحثها، من خلال منهجية علمية للحصول على نتائج علمية وتفسيرها بطريقة موضوعية وحيادية .(ينظر: الجبوري، حسين محمد : مدخل لمنهجية البحث العلمي، دار الصفاء للنشر والتوزيع ،عمان، 2012، ص107) .



الغيرية وتمثلاتها في النص المسرحي العراقي المعاصر - نماذج مختارة -

المدرس الدكتور صلاح نعمه عبد العالي
جامعة البصرة كلية الفنون الجميلة
alamarhsalah@gmail.com

: الملخص

يرتبط الفن المسرحي بالواقع الانساني من خلال ما تطرحه النصوص المسرحية من قضايا انسانية تعالج الكثير من المواضيع المتعلقة بالإنسان ودوره ووجوده في الحياة , وعلاقة الإنسان بالغير هي واحدة من المواضيع المهمة التي تحدد علاقات الانسان بكل تفاصيلها مثل السلب والايجاب والتنافر والتضاد والتوافق والانسجام وغيرها , كما يلعب الغير دور أساسي من أدوار الحياة سيما وأن هذا الغير يتنوع بحسب وجوده وتأثيره على المجتمع والحياة سواء بشكل مباشر ام غير مباشر , وتبعاً لذلك فقد مثلت الغيرية مناطق اشتغال مهمة في النصوص المسرحية العالمية والعربية لما تمثله من معالجات مهمة تلامس الواقع والمجتمع بشكل خاص , وما يميز الغيرية كمصطلح هو انفتاحها الواسع على مختلف الدراسات الفنية والفلسفية والنفسية والاجتماعية , ومن هنا اكتسبت الغيرية اهميتها في الدراسات المسرحية عن طريق شموليتها وعن طريق تنوع طرحها الفني والدرامي , وتعد الفترة التي تلت عام 2003 من الفترات الحرجة في التاريخ العراقي المعاصر بسبب ما أرزته من تداعيات واضحة على الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي وانعكاس تلك النتائج على طبيعة وتماسك المجتمع مما يستدعي دراسة تلك الفترة عن طريق النصوص المسرحية التي كتبت بعد العام 2003 ولغاية العام 2013 .
(الكلمات المفتاحية / الغيرية - الاختلاف)

Summary

Theatrical art is related to the human reality through the human issues that theatrical texts raise that deal with many topics related to the human being, his role and existence in life. The other is an essential role of life, especially since this other varies according to its presence and its impact on society and life, whether directly or indirectly. Altruism as a term is its wide openness to various artistic, philosophical, psychological and social studies. Hence, heterosexuality gained its importance in theatrical studies through its comprehensiveness and through the diversity

of its artistic and dramatic presentation. The period that followed 2003 is considered one of the critical periods in contemporary Iraqi history because of the clear implications it has. On the social, political and economic reality and the reflection of these results on the nature and cohesion of society, which calls for a study That period through theatrical texts that were written after the year 2003 until the year 2013 .) altruism - the difference(

مشكلة البحث :

تحتل الدراسات الأدبية والفنية المرتبطة بالحادثة وما بعد الحادثة مكانة مميزة في عالم اليوم كونها تمثل أبرز سمات العصر الحديث لاسيما ما يتعلق منها بالمصطلحات النقدية الحديثة وتعاملها وتعاظيها مع المنجز الفني والأدبي , وارتبطت هذه الدراسات ارتباطا وثيقا بالمناهج والمدارس النقدية المعاصرة من خلال انفتاحها المباشر على النص الأدبي عموما والنص المسرحي خصوصا , ومن هنا يعد مصطلح (الغيرية) من المصطلحات النقدية الحديثة التي ارتكز نشاطها على دراسة الآخر بكل تجلياته الاجتماعية والفكرية والثقافية والتي برزت بشكل جلي من خلال شمولية المصطلح وتعدد مناطق اشتغالاته المختلفة , وقد اهتمت الغيرية بوصفها مصطلح نقدي بدراسة الآخر بشكل مكثف من خلال تعدد وتنوع صور الآخر وتبيان هذه الصور والأنماط المختلفة من ناحية , وبالإضافة لدراسة الآخر اهتمت الغيرية بالآخرية كمفهوم أكثر شمولية وأكثر احاطة بجوانب المجتمعات البشرية المختلفة والمتنوعة والتي عاشت مراحل التطور التاريخي والذي أفرز مجموعة من الصراعات والنقاطات التي تعددت أنواعها وأشكالها وانعكست فيما بعد على العلاقات الاجتماعية والاقتصادية لأفراد تلك المجتمعات والتي كان لها الدور البارز في تحديد كينونة وسيرورة تلك المجتمعات , وكان للغيرية دورا مهما في تحديد مسارات الفكر الإنساني سواء على مستوى الدراسات الأنثروبولوجية أم على مستوى المدارس الفلسفية المختلفة التي نظرت ونظرت لآخر بمختلف صورته وحاولت إيجاد علائق فكرية واجتماعية واقتصادية وسياسية تستطيع أن تعزز العيش المشترك وتبرز مسألة الفهم الحقيقي للاختلاف بصفته أساس الوجود الإنساني , ويبرز مصطلح الغيرية أيضا في مجال الدراسات ما بعد الكولونيالية بشكل واضح عن طريق طرح موضوع الذات والهوية التي تخص الشعوب والأمم التي عانت من تبعات الاستعمار في الضد من الثقافة الواردة التي فرضتها القوى الاستعمارية على تلك الشعوب والصراع الذي برز في هذا المجال , كما يبرز مصطلح بشكل واضح الغيرية في مجال الدراسات النسوية من خلال مفهوم النوع الاجتماعي أو دراسات (الجندر) التي حاولت أذابة الفوارق بين أبناء الجنس البشري عن طريق المساواة والنظر بشكل مستقل للنتائج الفني لكلا الجنسين بعيدا عن التمييز والفصل الجنسي , ومن خلال ما تقدم فقد وجد الباحث أن هذا المصطلح يقف

على عتبات مهمة في دراسة المنجز الإبداعي ولا سيما المنجز المسرحي المتمثل بنصوص المسرح العراقي المعاصر وخصوصاً ما بعد العام 2003 وما أفرزه الواقع الاجتماعي المتقلب من تأثيرات كبرى على مستوى الوطن , وهو ما عزز الرغبة لدى الباحث في دراسة هذا المصطلح ومحاولة تبيان مناطق اشتغالاته المختلفة من خلال عملية تتبعه وتحليله اصطلاحياً ومنهجياً ومن ثم الإفادة من النتائج المتحققة من الدراسة وكيفية تعاملها مع النص المسرحي بوصفه منجزاً ثقافياً يرتبط بشكل وثيق بالإنسان وقضاياها المعاصرة .

أهمية البحث والحاجة إليه :

تحدد أهمية هذا البحث بوصفه يتناول مصطلح الغيرية وارتباط هذا المصطلح بثنائية الأنا والآخر وما تمثله هذه الثنائية من انفتاح واسع على المدلولات النقدية والدراسات المرتبطة بها .

أما الحاجة إليه فتحدد بأن الدراسات والبحوث المسرحية بحاجة مستمرة الى مثل هذا النوع من الدراسات التي تتعلق بالمصطلحات النقدية الحديثة وطرق اشتغالها في فضاء النص المسرحي بشكل عام والعراقي بشكل خاص .

أهداف البحث :

1- دراسة مصطلح الغيرية وفق مناطق اشتغالاته المعرفية .

2- دراسة موضوع الأنا والآخر فلسفياً واجتماعياً ونقدياً .

حدود البحث

1- الحدود الزمانية 2003 – 2013 .

الحدود المكانية : العراق

حدود الموضوع : الغيرية وتمثلاتها في النص العراقي المعاصر – نماذج مختارة .
تحديد المصطلحات :

((غير الشيء : حوله وبدل به غيره , جعله غير ما كان , غير غيراً ومغايرة ,)

(, الغيرية : خلاف العينية وهي كون كل من الشينين خلاف الآخر))¹ .

عرفها (جميل صليبا) بقوله : ((الغيرية (Alterite) مشتقة من (Autre) وهو كون كل من الشينين خلاف الآخر , وقيل كون الشينين بحيث يتصور وجود أحدهما مع عدم الآخر))² .

كما عرفها (مراد وهبة) بقوله : ((غير (Other , Autre) أحد تصورات الفكر الأساسية , ويراد به ما سوى الشيء مما هو مختلف أو متميز))³ .

وعرفها (عبد المنعم الحنفي) بقوله : ((الغير : هو كون كل من الشينين غير الآخر , ويقابله العينية , وهو بخلاف الأثنية لأن الأثنية هي كون الطبيعة ذات وحدتين ويقابله كون الطبيعة وحدة أو وحدات))⁴ .

التعريف الإجرائي

يعد مفهوم (الغيرية) من المفاهيم التي تحيل الى الآخر والى خلاف الذات , حيث تتكلم الذات بمنطق الأنا بينما يتكلم الآخر بمنطق الهو مما يرسم علاقة تضاد وتقاطع بين الأثنين , وهذا التضاد والتقاطع يبرز من خلال الفوارق بين الذات والآخر فيما يتعلق بالجوانب الطبيعية والنفسية والاجتماعية والفلسفية والاقتصادية وغيرها , وهذه الفوارق هي مناطق اشتغال هذا المصطلح في هذا البحث وهي الجوانب التي يسعى البحث لأضاءتها وتسليط الضوء عليها .

الفصل الثاني : المبحث الأول (الغيرية المفهوم ومناطق الاشتغال)
يعد الإنسان أساس الموجودات في الكون وتبعاً لذلك فقد اهتمت المدارس الفلسفية المختلفة بدراسة واقع الإنسان وسلوكه بمختلف صورته وأنماطه , وتمثل الغيرية بتعدد صورها واحدة من المصطلحات الحديثة في مجال دراسة وفهم السلوك الإنساني لأن الانسان لا يعيش منفرداً في هذا العالم بل هو منذ ولادته يصبح عضواً في مجتمع انساني متكامل ومتعدد الوجود , ومن هنا فإن واحدة من أهم جوانب دراسة سلوك الانسان هي أن الإنسان لا يعرف إلا عن طريق نقيضه , وهو يكتشف ذاته بواسطة وجود الغير مع تعدد وتنوع صور الغير , واهتمت الغيرية بدراسة ثنائية الذات والآخر كون هذه الثنائية تمثل التعبير الحي وديناميكي لدراسة السلوك الإنساني , وذلك لتمثله هذه الثنائية من انفتاح متعدد الدلالات في الدراسات الفلسفية التي تناولت موضوع الغير من زوايا مختلفة , وكان للفلسفة القديمة والحديثة دور مميز في هذه الدراسات من خلال طروحات الفلاسفة في هذا السياق .

الغيرية في الفلسفة الإغريقية القديمة
تحتل الفلسفة الإغريقية مكانة مميزة في صدارة المدارس الفلسفية التي عرفها العالم وذلك لدورها الريادي بالإضافة لما تميزت به من آراء مختلفة وأفكار بناءة حاولت دراسة وتفسير مختلف جوانب الحياة ومنها الجانب الإنساني , وتتبع الفلسفة الإغريقية من فكر متجذر اتسم بالإحاطة والشمولية في طرح الآراء ليس على مستوى الفلاسفة فقط بل على مستوى المدارس الفلسفية التي عرفها المجتمع الإغريقي بمختلف مراحلها التاريخية , وتميزت هذه الفلسفة بمواضيعها الرئيسية مثل علم الوجود الذي بحث في أصل العالم ونظرية المعرفة التي كان لها الدور الريادي في البحث عن الحقيقة والأخلاقيات التي شكلت المنطلق نحو دراسة السلوك الإنساني وتمييز البشر على أساسه , وكان لهذه الدراسات المتعلقة بالسلوك البشري الدور الأساس في فرز البشر على أساس سلوكياتهم وطرق تفكيرهم وانحدرهم الطبقي والاجتماعي والتبعات التي تترتب على هذه الأمور مجتمعة ومنفردة , وقد كان مصطلح الغير أو الآخر من المصطلحات الفلسفية المهمة التي سجلت حضوراً بارزاً في هذه الدراسات , وفي هذا الصدد ذكر الفيلسوف الإغريقي المعروف (هيرقليطس) عبارة مهمة تقول ((أننا ننزل في النهر نفسه ولا ننزل فيه , إننا نكون ولا نكون))⁵ . وهذه المقولة تؤكد ان الصراع والخلاف هما أهم وأبرز الدوافع التي تتحكم بالإنسان في هذا العالم وهما الأساس في كل شيء , فمقولة (نكون ولا نكون

(لا تجسد حالة التغيير والتجديد المستمرة فقط , بل هي تجسيد حي للحالة التي تحكم سيرورة الوجود الإنساني , هذا الوجود الذي تتحكم به وتسيره قوى الطبيعة ومصادر الثروة والاختلافات الفكرية والاجتماعية التي ترسم للبشر حياتهم .
وليس بعيدا عن (هيرقليطس) فإن الفيلسوف الإغريقي (سقراط) يمثل مرحلة مهمة من مراحل الفلسفة الإغريقية في نظرتها للغير , فطالما وصف الفيلسوف الإغريقي سقراط بأنه فيلسوف مثير للجدل في طروحاته الفلسفية التي عرف بها , ويأتي هذا الوصف ليدعم آراء سقراط الفلسفية كونها كانت مغايرة للكثير من التوجهات التي سادت مجتمعه في حينه , فقد اختار هذا الفيلسوف أسلوب المغايرة في تبني وجهات نظره والتي حكمت عليه فيما بعد بالإعدام , وكانت الاتهامات الموجهة له تتمثل في كونه كان ((شرير , غريب الأطوار , يبحث في دخائل الأشياء مما يقع تحت الأرض وفوق السماء , ويقلب الباطل حقا في الظاهر , ثم يعلم كل هذا للناس))⁶ .

الغريبة في الفلسفة الغربية

لم تكن الفلسفة الغربية الحديثة بعيدة الصلة عن سابقتها الفلسفة الإغريقية القديمة , إذ تأثر الفلاسفة الغربيون بشكل واضح بالطروحات الفلسفية الإغريقية واعتمدها كأساس لهم , حيث ((أن بناء المعرفة العقلانية بالعالم والطبيعة قد تأسس على جهود الفلاسفة اليونانيين الذين وجد فيهم مؤرخو الفلسفة الغربية الجذور الأولى للفلسفة كنظرة غير أسطورية لعلاقة الفكر بالوجود))⁷ , وجاءت الطروحات الفلسفية الغربية لتخدم فكرة الغريبة من خلال تناول الفلاسفة الغربيين لهذا المصطلح ومحاولة تعيده بشكل مستمر , ويشكل الفيلسوف الفرنسي (رينيه ديكارت) واحدا من أبرز الفلاسفة الغربيين الذين تناولوا مفهوم الغريبة من خلال طرحه لموضوع الشك وربطه بمعرفة الذات الإنسانية , إذ ربط ديكارت من خلالها بين الذات وبين وجودها من خلال الشك الذي يقود نحو التأمل كسبيل من سبل المعرفة (كوجيتو ديكارت) حيث يقول : ((أن التأمل الأول قد أثار في نفسي شكوكا كثيرة , فما أدري السبيل الى الخلاص منها , ولكني أريد ان امضي في الطريق عينه , حتى اهتدي الى شيء يقيني لا شك فيه , أو على الأقل حتى اعلم علم اليقين انه لا شيء في هذا العالم يقيني))⁸ , واعتمد ديكارت على مسألة الشك في كل المواضيع التي تناولها واستخلص منها النتيجة النهائية التي تؤكد أنه يقينا موجود مادام يشك , كما أن فعل الشك الذي يقوم به دال على تفكيره لا محال لذلك فقد أكد أنه الذات الوحيدة الموجودة و أن كل ما حوله عدم , فالشك هو الذي يقود الذات لطرح الأسئلة التي تحاول أن تؤسس لاحقا لمرحلة الفهم , وهي بذلك تؤسس لنظرية الأنا في مقابل نظرية الآخر , وهنا تكون الذات أو الأنا هي الإنسان بينما يصبح الآخر هو العالم .

ويمثل الفيلسوف الألماني (جورج فلهلم فردريك هيغل) واحدا الفلاسفة الغربيين الذين مثلوا النزعة النقدية الحديثة والتي أسست لمرحلة جديدة ومتطورة من مراحل التفكير الفلسفي الغربي , ولا تبرز أهمية (هيغل) كمنظر فلسفي فقط بل أنها تتعدى ذلك من خلال تأثيره الواضح على باقي الفلاسفة والمدارس الفلسفية التي عاصرتة أو التي جاءت

بعده , فحتى ((يكتسب المرء شيئا عن المنظور التاريخي عن الماركسية , والوجودية , وعن البراجماتية , والفلسفة التحليلية , وعن الارثوذكسية الجديدة ... لكي يكتسب المرء شيئا من ذلك , فلا بد أن يأخذ في اعتباره تأثير هيجل من حيث هو أحد العوامل الرئيسية))⁹ , وتتجلى فلسفة هيجل فيما يتعلق بالغيرية من خلال ما يطرحه في قضية المعرفة التي ترتبط بالفهم والتفسير لديه والتي عبر عنها من خلال الفلسفة الجدلية (الديالكتيك) إذ أن المعرفة ((تبدأ بالإدراك الحسي , حيث لا يكون فيه الا الوعي بالموضوع , ثم من خلال نقد شكلي للحواس تغدوا ذاتية خالصة , وأخيرا تصل الى مرحلة المعرفة بالذات , وعندها تكف الذات والموضوع على أن يميز احدهما عن الآخر , ومن ثم فالوعي بالذات هو أعلى صورة من صور المعرفة))¹⁰ , كما أن وجود الغيرية عند هيجل هو وجود ضروري من أجل أثبات وجود الذات والوعي بها , وهنا تتحول الغيرية الى ما يشبه المرأة التي تتعرف من خلالها الذات على نفسها عن طريق التقابل بين الأثنين , ويرى هيجل أن الوعي يكون في بدايته بسيطا ثم يبدأ في التطور والارتقاء مع تنامي الوعي واكتساب المعارف , كما يؤكد هيجل أنه لا يمكن تصور حياة البشر بدون صراع غيري , وهذا الصراع لا يكون بالضرورة صراع عسكري أو تصادم للأرادات بل قد يكون صراع ثقافي تتنافس فيه الشعوب حضاريا وفكريا , فالألمان الذين ينتمي لهم هيجل كانوا في نظر بعض الشعوب الأوروبية أقل قدرا من غيرهم حضاريا ((وحتى القرن التاسع عشر كانت الأمم اللاتينية تنظر الى الألمان كشعب أحط منها في الحضارة))¹¹ , وهذه النظرة للألمان تؤكد وضع الآخر في المجتمعات الغربية التي اهتمت بالتمايز والاختلاف بشكل واضح .

وقد اهتم الفيلسوف الفرنسي (جان بول سارتر) بالغيرية عن طريق دراسة الواقع الانساني المعاصر وما رافق هذا الواقع من أزمات كبرى عصفت به وأثرت عليه تأثيراً هائلا , ولعل أهم ما تميز به القرن العشرون هو الحربين العالميتين اللتان خلفتا اضرارا مادية وبشرية مخيفة , ووسط هذا الخراب جاء سارتر ليحاول فهم الانسان ودراسة وجوده الحسي والمشاكل التي كانت على تماس مباشر مع وجوده المادي , وكذلك دراسة علاقاته مع الغير , ومثل غيره من الفلاسفة يعود سارتر لموضوع الوعي لكي يؤسس عليه نظرتة للذات والآخر فهو يقول : ((الوعي هو كشف للموجودات بطريقة مكشوفة والموجودات تمثل أمام الوعي مرتكزة على كينونتتها , الا أن خاصية كينونة موجود ما هي أنها لا تكشف ذاتها كما هي للوعي , فلا يمكننا تجريد هذا الموجود من كينونتته , إذ أن الكينونة هي دعامة الموجود الحاضرة دوما : أنها في الموجود في كل مكان ولا مكان , فليس هناك كائن ليست له طريقة وجود , ولا ندرکه من خلال طريقة وجوده هذه التي تظهره وتحجبه في الوقت ذاته))¹² , وفي هذا الرأي يوضح سارتر العلاقة الجدلية القائمة بين الوعي وبين الذات وما تفرزه هذه العلاقة من تأثير على المحيط الغيري عن طريق دراسة الظواهر الداخلية والخارجية التي تتشكل على البشر وتتحكم بتصرفاتهم , فالذات هنا تبحث لنفسها عن مكانة عن طريق تقابلها مع الآخر الذي لا يمثل ضد نوعي

فقط بل هو ضد متكامل في كل ما يحمله من فروقات فكرية ونفسية واجتماعية , ولكي يوازن سارتر بين المتقابلات الضدية فهو يلجأ لبيان تأثير العدم على الوجود المادي من منطلق أن العدم نقيض الوجود كما أن الذات نقيض للآخر , حيث يقول ((لولا العدم ما استطعنا أن نشعر أو نعرف أو نتخيل الأشياء , فلكي اتخيل موضوعا ما فإني أضعه على هامش الواقع , وأطرح الواقع جانبا وأتجاوزه , وبالاختصار , أعدمه طالما وضعت ذلك الموضوع في خيالي , وعندما أفكر في ماضي كشيء , فإني ابتعد عنه وأضع بيني وبينه نوعا من الفراغ الكثيف أو العدم , وهذه القدرة على الإعدام هي الحرية الانسانية))¹³ , وكما هو واضح فإن سارتر يطرح وجهة نظره بما يخص دور العدم في أثبات الوجود من منطلق غيري , وهو بهذا الرأي يؤسس لما يشبه (كوجيتو ديكارت) الخاص بدور الشك في أثبات المعرفة بما يمكن أن نطلق عليه (كوجيتو سارتر) , فنحن على يقين بوجود الآخر كما أننا على يقين بوجودنا , وهكذا فإن الإنسان الذي يتواصل مع نفسه مباشرة فإنه بالوقت نفسه يكتشف الآخرين , وهو يكتشفهم هنا كشرط لوجوده , فهو يدرك أنه لا يمكن أن يكون أي شيء ما لم يعترف الآخرون بكونه كذلك .

يمثل الفيلسوف الفرنسي (بول ريكور) واحدا فلاسفة القرن العشرين الذين تناولوا في دراساتهم تأثير الغيرية على الذات عن طريق إيجاد علاقة تقابلية بين الهوية الشخصية والهوية السردية , وحين يعود ريكور لتبيان جانب تأثير اللغة بوصفها هوية ثقافية تعبر عن الذات فهو يحاول ان يؤسس لتأثير هذه الهوية التي تنطلق من الذات نحو الآخر لكي تقيم سلسلة علاقات متشابكة تتسج وتؤسس لمختلف التفاعلات الحية , ومثل موضوع اللغة من وجهة نظر ريكور جانبا مضافا من الجوانب التي تؤثر في علاقة الذات مع الآخر , إذ ((أن مقارنة الذات في الجهة الثانية لفلسفة اللغة , أي لجهة التلطف , لم يثر تفكيرا خاصا حول التغييرات التي تطرأ على ذات فاعلة قادرة على تسمي نفسها وهي تعطي العالم دلالاته , والحال أن ما اغفل لم يكن مجردا بعدها من بين ابعادا عديدة , ولكنه كان إشكالية بأكملها , وهي إشكالية الهوية الشخصية التي لا تستطيع ان تتمفصل إلا ضمن البعد الزمني للوجود الانساني))¹⁴ , والواقع ان دراسة تأثير اللغة على الذات والآخر يرتبط ارتباطا وثيقا بالدراسات النقدية الحديثة وخصوصا نظرية النقد الثقافي التي ارتكزت أسسها على دراسة الجوانب الثقافية وعلى رأسها اللغة التي تمثل التعبير الحقيقي للصوت الانساني والتي تعكس الفكر بكل تجلياته , ولا يبتعد تأثير الآخر على الهوية الشخصية لأن أثبات الهوية هو جزء من عملية فرز الذات عن الآخر وتحديد الأسس التي توطر لكل مجموعة على انفراد , وهذا التحديد يخدم التخصيص الذي يميز المجتمعات البشرية بحسب هويتها الثقافية والتي تكون مرتبطة أساسا باللغة , كما أن هذا الفرز لا يعدوا شيئا جديدا بل هو موضوع متجذر بالتركيبية الانسانية منذ القدم والتي ميزت كل مجتمع عن سواه فضلا عن الحضارات الانسانية .

الغيرية في علم النفس

لا يبتعد علماء النفس عن الفلاسفة في دراسة السلوك البشري ودراسة الشخصية الانسانية بكافة أبعادها والقضايا المتصلة بها , وكما هو حال الذات فإن الغيرية تكتسب أهمية كبرى في هذا المجال إذ أن العلاقة بين الذات والآخر هي علاقة ذات سمة تبادلية وتقابليه , لأن فكرة الفرد عن نفسه ومدى تقبله لها تكون مرتبطة مع نظرتة للآخرين من حوله والتي تعد من المحركات الأساسية لضبط السلوك , حيث إن هذه الفكرة تنتج أساسا من نظرة الآخرين للفرد باعتبار أن مفهوم الفرد عن ذاته يتولد من أفكار الآخرين من حوله , ويحدث هذا التقابل في السلوك البشري من خلال الثنائيات الضدية التي تربط الآخر بالذات , والتقابل هنا يظهر من خلال الصفات والسمات البشرية مثل الكرم مقابل البخل والشجاعة مقابل الجبن والتروي مقابل الاندفاع وهكذا , وقد كانت هذه الأمور من أهم ميادين علم النفس في تناول الشخصية الانسانية , وتمثل دراسات العالم والطبيب النفسي النمساوي (سيجموند فرويد) جانبا رياديا في هذا الصدد , إذ مثلت دراسات فرويد متكأ مهما في الدراسات السيكولوجية التي بحثت في طبيعة الذات والآخر , ومن أبرز تصنيفات فرويد للشخصية الانسانية تأتي ثنائية (الأنا والهو) والتي تقسم الشخصية الانسانية لمناطق نفوذ متحكم وغير متحكم بها وهذه المناطق هي التي تسيّر الفرد وتتحكم في غرائزه وانفعالاته , إذ ((يمثل الأنا ما نسميه الحكمة وسلامة العقل , على خلاف الهو الذي يحوي الانفعالات , (....) , وتوضح أهمية الوظيفة التي يقوم بها الأنا في توليه الإشراف عادة على منافذ الحركة , وهو في علاقته بالهو مثل رجل على ظهر جواد يحاول أن يتغلب على قوة الجواد العظيمة , ويتلخص الفرق بين الحالتين في أن راكب الجواد يحاول أن يفعل ذلك بقوة الشخصية , بينما يستعين الأنا في ذلك بقوى يستمدّها من مصدر آخر))¹⁵ , وبهذا فإن فرويد يحدد السلوك الانساني بوصفه نتيجة لصراع داخلي بين (الأنا والهو) , وهذا الصراع يكون بسبب دوافع مختلفة ومتفاوتة من شخص لآخر , أما عالم النفس السويسري (كارل يونغ) والذي اشتهر بوصفه مؤسس علم النفس التحليلي فهو يتجه باتجاه جديد في بحثه عن علاقة الأنا بالآخر وذلك عن طريق دراسة تأثير الانسان القديم على الانسان الحديث , حيث اتجه يونغ في دراسته للتحليل النفسي نحو الأساطير والرموز التي تميزت بها المجتمعات البشرية القديمة وأثار تلك الأساطير والرموز على المجتمعات البشرية الحديثة , فقد ساهمت مدرسة ((يونغ في تحطيم التمييز التعسفي الذي كان قائما بين الانسان البدائي الذي تبدوا الرموز بالنسبة إليه جزءا طبيعيا من الحياة اليومية , وبين الانسان الحديث الذي غدت الرموز بالنسبة إليه عديمة الصلة وعديمة المعنى ظاهريا))¹⁶ .

أما المحلل النفسي الفرنسي (جاك لكان) فيبدوا مهتما بالغيرية بشكل أكثر وضوحا , وهو يبني عليها عدة جوانب ((فالأخرية في المنظومة اللاكانية تبدوا متطرفة , أي خالية من أي قوام إلهي أو بشري , الآخر هو المكان الغريب الذي ينبثق منه كل خطاب : مكان العائلة , مكان القانون , مكان الأب في النظرية الفرويدية , أو مكان التاريخ والمواقع

الاجتماعية , المكان الذي ترجع إليه كل ذاتية , أن نقول أن اللاشعور هو خطاب الآخر ((17 .
الغيرية اجتماعيا

تأخذ الدراسات والابحاث الاجتماعية موقعا رياديا في عمليات تحليل الشخصيات لأن علم الاجتماع من أبرز العلوم التي درست وبحثت في جوانب السلوك الانساني , ومنذ ان تبلور علم الاجتماع بشكله الحالي وظهوره كعلم قائم ومستقل بذاته باشر هذا العلم بدراسة أوضاع المجتمعات البشرية على مختلف المستويات مثل العلاقات الاجتماعية والعلاقات الاقتصادية والعلاقات السياسية وتابع عملية تطور المجتمعات البشرية على وفق هذه العلاقات وقام بدراسة النتائج كجزء من عملية التحليل والدراسة لتلك المجتمعات, وتكتسب دراسة الغير في الجانب الاجتماعي اهمية بالغة كونها تبحث في مسألة مهمة وهي مسألة دراسة النوع الاجتماعي أو ما تعرف اصطلاحا بـ(الجندر) , ويأتي ((مصطلح (الجنسانية) , النوع (الجندر) أو الجنس في مفردات مفاهيم التحليل النفسي , لأنه يبدو أن كلا منهما مرتبط بالآخر كلية , ولكي يكون المرء مذكرا أو مؤنثاً يلزمه تحديد اختيارنا الغريزي في الاتجاه الملائم , أي لكي تكون منتما لجنس واحد عليك أن ترغب في الجنس الآخر))¹⁸, وهكذا يكون موضوع الجنس بوصفه محددًا للنمط البشري واحدا من المواضيع المهمة في دراسة الإنسان بناء على جنسه والهوية الثقافية التي ترتبط به , كما يكتسب موضوع الدراسات النسوية بعدا مهما وهو يعالج الإبداع النسوي في شتى مجالات الحياة ولا سيما مجالي الأدب والفن خصوصا بعد شيوع ظواهر الأدب النسوي والنقد النسوي وغيرها من مجالات الإبداع التي ارتبطت بالمرأة في مقابل عصر الذكورة , وكان النشاط النسوي يصطدم بشكل مباشر بالعنصر الذكوري منذ الأزل متخذا من سلطة الرجل العليا مؤنثا له , وتأتي ((مسألة تناول المرأة بين جدل الاتباع والقدرة على الإبداع محملة بالرموز والدلالة والمسكوت عنه , والتفكير والتدبر , والحيلة , والقدرة , والافتقار))¹⁹ , وهذه الأمور حددت كثيرا من قدرة المرأة في منافسة الرجل بوصفها كائن انساني آخر مشارك للرجل في صناعة الحياة , وينظر في الكثير من الثقافات السائدة في عالمنا لخبرات الرجال و مفاهيمهم على أنها الأمر الطبيعي , كما يؤخذ السلوك الرجولي المغاير جنسياً على أنه السلوك القياسي , كما ينظر أيضا إلى أن عملية ممارسة القوة بوصفها سلوك رجولي , وبالعودة الى الثقافات الاجتماعية نرى أن أغلب الثقافات تفترض أن الرجل هو قائد الأسرة والمجتمع بينما ينظر للمرأة على أنها التابعة والداعمة له , وتجسد موضوع الآخر في النوع الاجتماعي في الميادين الثقافية بشكل خاص والتي حاولت معالجة هذا الموضوع عن طريق تأكيد حضور المشاركة النسوية عن طريق التمركز حول الذات ورفض السلطة الذكورية , والتي تؤكد على حضور المرأة بوصفها ذات فاعلة في مواجهة الآخر المهمين ((فدراسات التحليل النفسي تشير بأنه حين يشجع الذكور على نمو الشخصية الاستقلالية نجد الشخصية النسائية تعتمد لدرجة كبيرة على وجود الآخرين والارتباط الوجداني بهم وعليه تقل إمكانياتها الاستقلالية))²⁰

, ودفعت السلطة الذكورية بوصفها ثقافة مهيمنة بعض النساء الى التماهي مع الرجل للتخفيف من حدة الأثر المترتب على هذا الشعور مما ولد ما يعرف بـ(عقدة الذكورة) , إذ كانت ((عقدة الذكورة لدى المرأة موضوعاً مفضلاً لأجل التحليل : كان فهم السيرورة النفسية تفشل النساء البالغات بموجبها في التخلي عن مثل هذا التماهي الطفولي))²¹ , والواقع أن موضوع التماهي الذي يدفع النساء الى تبني دور الذكر هو موضوع نفسي وغريزي في أغلبه لأن الدور الذكوري يمثل التسلط والقوة وهو أمر يدفع بعض النساء الى ممارسته لتحقيق حالة من التوازن الشعوري للتخفيف من شعورها الخاص بكونها أنثى قليلة الحيلة في مواجهة مجتمع يعزز لديها هذه النظرة الخاصة .

المبحث الثاني (تمثيلات الغيرية في النص المسرحي العالمي والعربي)
يمثل (كريستوفر مارلو 1564 - 1593) واحداً الكتاب المسرحيين الانكليز في فترة العصر الإليزابيثي , وتعد مسرحيته (يهودي مالطا) من المحطات المسرحية المميزة لما تمثله من بعد إنساني من خلال وقائعها وإحداثها ((ويبدو أنها كانت أحب مسرحيات مارلو إلى قلوب الجمهور , ومازالت تقدم في المسرح الانكليزي وإن كانت تثير احتجاج جماعات الضغط المعتادة))²² , ويدور موضوع المسرحية حول الصراع الذي يحتدم بين شخصية (براباس) اليهودي وبين حاكم (مالطا) المسيحي (فيرنيزي) , حيث يستند هذا الصراع في جزء مهم على المعتقد الديني لكلا الشخصيتين فضلاً عن البعد الإنساني , ويفتح مارلو مسرحيته بدخول طيف (مكيافيلي) وهو الشخصية البارزة التي اشتهرت بكونها لا تعرف أي مبدأ أخلاقي وهو صاحب المقولة الشهيرة (الغاية تبرر الوسيلة) , وتعد شخصية مكيافيلي من الشخصيات التي ساهمت بصناعة الأحداث في أوروبا خلال القرن السادس عشر الميلادي , وهو ((مفكر وعالم إيطالي لا تتطابق شهرته مع الدور الذي كان يطمح اليه في حياته , إذ كان يهتم بوظائفه في خدمة جمهورية (فلورنسا) , ويتوق إلى تأدية مهماته السياسية والدبلوماسية بدقة وإتقان , (....) , أنيط اسمه بالـ) مكيافيلية (أي المذهب السياسي الذي ينكر كل مبدأ أخلاقي))²³ , وقد استفاد (مارلو) من هذه الصفات التي عرفت عن (مكيافيلي) فوضعه في طليعة المسرحية : ((مكيافيلي : قد يكون اسمي ممقوتاً عند بعض الناس , لكن الذين يحبوني يحمونني من أسنتهم , ويعرفونهم بأنني مكيافيلي وأنني لا اقيم وزناً للناس , ولذلك لا اقيم وزناً لكلامهم , أنني موضع الإعجاب عند أولئك الذين يضمرون لي أشد الكره , (....) , أن الدين عندي ليس الإدمية صبيانية))²⁴.

تعد مسرحية (نكراسوف) للفيلسوف الوجودي الفرنسي (جان بول سارتر) واحدة من المحطات المسرحية المميزة لهذا الفيلسوف والكاتب والتي كتبها في عام 1955 , وفي هذه المسرحية يبرز البعد الاجتماعي من خلال شخصياتها الرئيسية التي تتصارع في إطار ثنائية الأنا والآخر وكيف تفقد الأحداث التي بنيت على هذه الثنائية صراع الشخصيات وتحولاتها في فضاء النص المسرحي .

تبدأ المسرحية بمشهد انتحار شخص بإلقاء نفسه من فوق احد الجسور على نهر السين ومحاولة متشردين إنقاذه من الغرق :

((جورج : (يمكك بالمتسول من سترته ويهزه) وما شأنك أنت أيها البشع ؟ أتظن أنك العناية الإلهية ؟
المتشرد : لقد اعتقدنا ...

جورج : لا شيء البتة ! الليل مضيء كالنهار , ولم يكن من الممكن أن تسيء فهم نواياي كنت أريد أن أقتل نفسي أفهم ؟ هل سقطتما إلى الحضيض حتى لا تحترما آخر رغبة لرجل يحتضر ؟
المتشرد : لم تكن تحتضر .

جورج : بلى , بما أني كنت في طريقي إلى الموت))²⁵ .
يجسد هذا الحوار الصراع بين أرادتين متضادتين بشكل كامل الأولى هي إرادة (جورج) التي تريد الموت , والثانية هي إرادة المتشرد الذي أراد أن ينفذ حياة (جورج) , وهذا الصراع بين الإرادتين يدعم بشكل كبير فلسفة الوجودية (سارتر) التي تعطي من شأن الإنسان وتعدده أساس الموجودات , وعلى الرغم من إيمان سارتر بحرية الإنسان في تحديد مصيره فإن سعي (جورج) للانتحار يدفع باتجاه الوضع الاجتماعي الذي يعاني منه وبالتالي تصارع الإرادات لديه وكيف تنتصر إرادة الموت في النهاية رغم قساوة الموقف الذي يدفع الإنسان لكي يقتل نفسه , تتمثل الغيرية في هذا الصراع بين شخصية (جورج) وبين شخصية المتشرد , فكل منهما ينطلق من منطلق خاص به ويحاول أن يبني عليه , والغيرية هنا تتمثل بالاختلاف الواضح بين الشخصيتين (جورج) و المتشرد , حيث أن المتشرد رفض ترك (جورج) يغرق وقام بإنقاذه من منطلق إنساني صرف , في الوقت الذي يعيب (جورج) على المتشرد عدم استغلاله لفرصة الغرق ومن ثم القيام بالاستيلاء على ملابسه بحجة أنها كانت ثمينة , ويحاول سارتر في هذا الحوار أن يبرز هذا الاختلاف الجوهرى بين الشخصيات وكيف أن المتشرد كان يتمتع بجانب إنساني كبير قياسا لشخصية (جورج) .

أن الخطاب الغيري الذي استخدمه سارتر في هذا النص مبني أساسا على الفوارق الاجتماعية بين الناس والتي وضحت من خلال ملامح رسم شخصيات النص الرئيسية , وكذلك تظهر الغيرية عن طريق استغلال البعد الأيدلوجي في صراع القوى العظمى وكيف يتم استغلال أمور جانبية وتضخيمها إعلاميا لدعم دوامة الصراع من خلال منظومة تبث الرعب والهلع في الطرف المقابل لاستغلال هذا الخوف في إدامة الصراع الغيري من أجل إيصاله إلى أبعد مدى مؤثر , كما أن سارتر يعري النظام السياسي المتحكم بالأحداث ويضعه تحت طاولة النقد ويظهره بشكله الحقيقي ويحمله مسؤولية ما يجري من أحداث كان لها الأثر الأكبر في خلق حالة من التوتر وفي خلق حالة من العداء والتقاطع بين الشعوب .

الإنسان هو أئمن الموجودات في عالمنا وهذا الإنسان يصبح بلا قيمة عندما يفقد أخلاقه ويتحول إلى وحش كاسر يحاول أن يحقق متعته الشخصية على حساب معاناة الآخر وعذابه , هذه باختصار الفكرة التي ينطلق منها الكاتب التركي (غونكور ديلمان) وهو يقدم مسرحية (مطعم القردة الحية) والتي جاءت مشحونة بكم كبير من التناقضات الإنسانية التي تحكمت بعالم اليوم وخلقت تفاوتاً واضحاً بين شعوبه ومجتمعاته , تدور أحداث المسرحية داخل مطعم في (هونغ كونغ) مشهور بتقديم أمخاخ القردة الحية لزبائنه , وعادة ما يكون الزبائن من السياح الأجانب الباحثين عن المتعة الممتزجة بالغرابة يظهر الخطاب الغيري هنا بصفة ثقافية تبرز الاختلاف بين المجتمع الغربي الذي جاء من الزوجان الشابان وبين المجتمع الشرقي الصيني الذي يحفل بالتراث والأصالة , وهذا الاختلاف بين المجتمعين هو أول الأمور التي يوضحها (ديلمان) في هذا النص , فالزوجان (جوناثان) جاءا من الولايات المتحدة الأمريكية وهي دولة لا تمتلك عمقا تاريخيا أو حضاريا قياسا بالتاريخ والحضارة الصينية , لذلك يبدو عليهما الانبهار من الموسيقى الصينية التي تمثل وجهها حضاريا مشرقا للمجتمع الصيني , لكن الزوجين الشابين رغم تأثرهما الواضح بالأجواء الصينية يبديان رغبة كبيرة في خوض تجربة تناول مخ القرد الحي الذي يتم اصطياده وتهينته لهما في هذا المطعم وعلى مائدة أعدت خصيصا لهذا الغرض , ويصادف وجودهما في المطعم مع وجود السيد (وونك) وهو شاعر صيني في العقد الخامس من العمر :

((النادل : ها , وونك .. السيد وونك , أنه شاعر .

السيدة جوناثان : (ملامحها تتغير) أنظر يا جيمي , شاعر صيني !

النادل : له سبعة أولاد .

جوناثان : ألم أقل لك أننا اليوم سنصادف أشياء جميلة ؟

السيدة جوناثان : كم أحسنا صنعا بالمجيء إلى هونغ كونغ .

جوناثان : كل شيء من أجل سعادتنا يا حبيبتي))²⁶ .

يستمر الخطاب الغيري في أبرزنا نفسه بقوة في هذا النص وهذه المرة من خلال التمايز بين الشخصيات , فالسيد (وونك) شاعر ومثقف لديه عائلة كبيرة يسعى إلى إعالتها رغم ما يعانيه من فاقة وقلة حيلة , وهو يتواجه في المطعم مع شابين يافعين كل همهما هو المتعة والسرور وهما يحتفلان بشهر العسل عن طريق تناول مخ قرد حي !! , أن الأخلاق هي المعيار الذي يتحكم بالبشر وهي التي تحدد طبيعة الإنسانية لديهم , لكنها هنا تتحول إلى مجرد سلعة يتم المساومة عليها , والكاتب ديلمان يريد إسقاط هذه الحادثة على الواقع الإنساني المعاصر وكيف تتحكم به القوى المسيطرة التي لا تعبأ أبداً للشعوب المستضعفة التي تكون عادة ضحية لقوى الهيمنة والتسلط رغم كونها شعوباً ذات ماض عريق ولديها بعداً حضارياً مميزاً , وبالرغم من كونها لا تزال تنبض بالفن والثقافة لكن هذه الصفات لا تقدم ولا تؤخر شيئا أمام الفقر والعوز الذي يتم استغلاله من قبل الآخرين

وهنا تحدث المفارقة الأخلاقية التي تحول الأشياء المبدئية إلى سلع تباع وتشتري من قبل أشخاص تتعدم لديهم الأخلاق والمبادئ .

الفصل الثالث : إجراءات البحث

1مجتمع البحث : يضم مجتمع البحث مجموعة النصوص المسرحية العراقية التي كتبت في الفترة ما بين 2003 و 2013 .

عينة البحث :تم اختيار عينات البحث وهي مسرحيات : (مسرحية الهجرة الى الجنة) تأليف (مصطفى عبد اللطيف جياووك) و (مسرحية الآخر) تأليف (عبد علي حسن) و (مسرحية رماد) تأليف (سعد هدايي) بشكل قصدي من قبل الباحث لاحتوائها على المضامين التي يتوخاها الباحث والتي تتماشى وتتسجم مع موضوع البحث .
أداة البحث : قام الباحث بتحديد آلية البحث وفقاً للدراسات التي تناولت النصوص التي تم اختيارها إضافة إلى النتائج التي توصل لها الباحث من خلال ما أسفر عنه الإطار النظري

وسائل البحث :المصادر والمراجع والكتب ذات العلاقة بمشكلة البحث.
منهج البحث : اعتمد الباحث منهج التحليل الوصفي في تحليل عينات البحث.

تحليل العينات

العينة رقم (1) مسرحية (الهجرة الى الجنة) تأليف (مصطفى عبد اللطيف جياووك) تعالج مسرحية (الهجرة الى الجنة) تفاصيل الواقع العراقي وتقلباته بعد الاحتلال الاميركي للعراق عام 2003 لا سيما الوضع الاجتماعي والاختلافات الهائلة التي برزت على السطح والتي جسدت الغيرية بأدق تفاصيلها :

((يدخل شابان في العشرينات المبكرة .. يتهاوسان ويلتفتان .. يدبران أمراً

أكرم : منذ شهر .. ضاق علينا البيت مع بدء الصراع الانتخابي ..

أسلم : أنا وأنت مدار الصراع .. الأم شيعية تريدنا أن ننتخب كتلتها الشيعية .. وأبونا يريدنا أن نختار كتلته السنية .. وكوثر لانذة بصمتها .

أكرم : كل هذا الصراع مع أن الجميع يطفون على ظهر السفينة الغارقة نفسها والربان الذي ستغرق السفينة في زمانه هو موضع المنافسة))²⁷

يمثل هذا الحوار مقدمة المسرحية وهو مفتاح المسرحية وبمثابة (نيمتها) الرئيسية حيث يطرح الكاتب موضوع بالغ الحساسية يمثل في الصراع الاجتماعي الذي عرفه المجتمع العراقي بعد العام 2003 حينما ساد الانقسام الطائفي والمذهبي والعراقي والقومي في كل انحاء العراق ليكون هو البديل عن وحدة المجتمع والوطن , وهذا الصراع استند على جزينات المجتمع وهو التنوع الطبيعي في كل مجتمع من مجتمعات العالم إذ لا يوجد مجتمع لا يعرف هذا الاختلاف الا ما ندر , وفي هذا الحوار نرى أن الكاتب تعمد وضع الشابان التوأمان (أكرم وأسلم) وشقيقتهما (كوثر) في لجة الصراع

الغيري الذي يقسم العائلة الى أم وأب ينتمي كل منهما لطائفة مختلفة من الطوائف الاسلامية , وهنا يريد الكاتب ان يقول ان هذا الصراع والاختلاف الغيري يؤثر سلبا على الشباب الذي يدفع الثمن من الانقسام والخلاف في تراجيديا سلبية .

((الأب : صلاتكما المنوعة .. اجتهاد مفاجئ أليس كذلك ؟

أكرم : المفاجأة الأهم أننا سنتبادل المواقع في الصلاة التالية .

أسلم : نتبادل المواقع من صلاة الى أخرى .

الأم : لعبة أطفال .

البنيت : بدأت اللعبة بزواجك المختلط يا أمي .

الأب : " بشيء من الحدة " لم تكن هناك حاسبات يابانية حين تزوجنا))²⁸ .

على الرغم من أن موضوع الصلاة المختلفة كان هو الأساس في تحديد ملامح الغيرية في هذا النص إلا أن النص المسرحي ينتقل من خلال حوار الصلاة المختلفة ليلامس موضوع اجتماعي حساس هو الزواج المختلف بين أفراد المجتمع من ناحية المذاهب والاديان , وهذا الزواج الغيري كان يعد من الأمور التقليدية بين أفراد المجتمع ولم يكن له تأثير كبير من ناحية الأسرة لكنه تحول الى وضع مغاير مع تصاعد خطاب الطائفية بعد الاحتلال الامريكي للعراق , إذ تم استغلال موضوع الطائفية بين فرق المسلمين لزعزعة الاستقرار وتهديد السلم المجتمعي من أجل السيطرة على البلد وتدمير مستقبل ابنائه عن طريق اشغالهم بهكذا خلافات , وإلا كيف يمكن للزوج والزوجة ان يتذكرا هذا الموضوع وابناءهم قد اصبحوا في عمر الشباب ولماذا لم يكن هذا الأمر مطروحا عند بدء العلاقة بين الزوجين , كما يؤثر هذا الحوار الى إشكالية كبرى تواجه العائلة وبالتالي تواجه المجتمع , فالخلاف لم يعد ضمن إطار العائلة فقط بل خلاف سوف تمتد جذوره حتما نحو الأحفاد وهو بذلك سيعبر المرحلة الراهنة ليكون ضمن حدود المستقبل , وهنا يحاول الكاتب ان يطرح الموضوع كتصور عام يبحث عن أجابة محددة والسؤال هنا هل يكون لهذا الاختلاف الدور السلبي في تحطيم حياة الابناء والاحفاد والحكم على علاقاتهم الاجتماعية بالتصادم والتضاد السلبي , أم أن هذا الاختلاف يجب ان يكون له دور ايجابي في التقريب بين العوائل وتدوير الفوارق الغيرية من الناحية المذهبية والدينية وأن يكون الاختلاف الغيري نعمة بدل من أن يكون نقمة يدفع ثمنها اشخاص لا حول لهم ولا قوة , فالابناء ليسوا مسؤولين حتما عن زواج الاباء المختلط وليس لهم ذنب ابدأ فيما آلت إليه الأمور , وبالتالي ما ذنبهم ان تفرض عليهم أحكام الكبار ويتم التحكم بحياتهم بشكل سلبي وبعيد عن اختياراتهم بالرغم من انهم خلقوا لزمان مغاير يفترض ان يكون مليء بالتفاؤل والانسجام وليس العكس .

عينة رقم (2) مسرحية (الآخر) تأليف (عبد علي حسن)

تتخذ مسرحية (الآخر) من موضوع صراع الذات مع نفسها ومن ثم صراعها مع المحيط الغيري موضوعا رئيسيا لها , حيث تبدأ المسرحية بطرح شخصية (أيوب) وما يعانیه من صراع داخلي :

((أيوب : لقد افتقدت فراشي الوثير .. وكركرات الأطفال , فالسحب البيضاء تهاجر عن سمائي المقطبة الجبين , وبين الشك في يقظة توسعني وجعا واليقين باحتضان موهوم لحلم ناكر الجميل , اتسمر في عتبات البيوت , وعن كذب اراقب .. لا تنس ان تقبل زوجتك بحنان .. لا تنس ان تمر .. بكفك على رأس صغيرك .. ضمه الى صدرك .. وقبل ان تضطجع في مخدع نومك اغسل فمك بماء الفضية .. حدق في المرأة .. قد لا تجد وجهك ابحت عن وجهك .. اقترح طرقا لا يتحدث فيها سوى قلبك .. لا تنس نفسك))²⁹ .

تتزاخم الأفكار والهواجس في نفس (أيوب) وتقوده الى طرق شتى , فهو يحاول ان يبحث عن نفسه وعن طريق خلاصه وهو يعيد استرجاع شريط حياته اثناء انغماسه مع نفسه , وهذه الأفكار التي تراود (أيوب) هي أشبه بأحلام اليقظة التي تتصارع في مخيلته والتي تبحث لها عن دور في الحياة الواقعية التي تمتزج ما بين الماضي وما بين الحاضر , لذا فإن (أيوب) لا يخفي عن نفسه هذا الصراع وهو يسير معه في طريق الأنا التي تحاول ان تكون في حال مؤثر لقيادة الشخصية نحو دورها المرسوم , ويمثل حديث (أيوب) مع نفسه مكاشفة مهمة تحاول من خلالها الذات والانا ان ترسم مسارات المستقبل .

أن (الآخر) الذي يرتبط مع ذات (أيوب) بشكل وثيق يريد أن يكون له دور مخالف لرغبة (أيوب) وأفكاره الخاصة , وهو هنا لا يختلف معه فقط وانما يسجل احتجاجه الدائم على طريقة التفكير ومثله من تكرار نفس اسلوب الشكوى , وهنا تتزاخم الأرادات داخل نفس (أيوب) حيث أن (الآخر) ليس بمعزل تام عن ذات (أيوب) بل هو فكرة ورأي مخالف يريد ان يجد له مساحة من نفس (أيوب) , وفي هذه الحالة فإن الغيرية تتحكم في صراع داخلي في ذات الشخصية بين رغبة وأخرى معاكسة لها تحاول كل منهما السيطرة على الشخص والتحكم في اراداته وقراراته وخصوصا المصيرية منها .

((أيوب : لم يعد هناك شيء اخافه , مادام الليل قادما فالظلمة سجان لا يرحم .. الآخر : لقد أوغلت في دهاليز نفسك الموهومة .

أيوب : أليس هناك اوهام جميلة ؟

الآخر : وحين تستفيق ستكون ليس أكثر من ركام بين الخيبة .. أخرج من وهمك أو ..

أيوب : او ماذا ؟ وعد ام وعيد ؟

الآخر : لا هذا ولا ذاك .. فك قيدي .. فلم يعد بمقدوري العيش معك .. لقد سئمت التحذير ((³⁰

يستمر الصراع بين ذات (أيوب) وبين صوت (الآخر) الذي يريد أن يحذر (أيوب) من التماهي مع الوهم المتمثل بأخوته وخصوصا اخاه الأكبر , والذي يمثل رغبة معاكسة لرغباته وهو يحاول ان يستدرجه لتحقيق مصالحه الخاصة على حساب مصلحة (أيوب) , ولذلك يعمد (الآخر) الى رفع صوته محتجا على طريقة تفكير (أيوب) عندما يعد الأخ الأكبر بمثابة الأب , وهنا يسجل (الآخر) اعتراضه على (أيوب) وينبئه الى أن الأب لا يلقي بالأبن في المهالك , وهذا الحوار يجسد الغيرية من خلال تحررها من ذات الشخصية

الى الآخر المساوي لها , فالأخ في هذا النص هو رغبة مغايرة لرغبة الشخصية الرئيسية ومعاكسة لها في الطموح وهو يحاول ان يحقق ذاته أيضا على حساب ذات (أيوب) , وهذا التصادم في الرغبات يتأرجح ما بين سذاجة (أيوب) وخبث الأخ ودور (الآخر) في تكوين رأي غيري ينبه (أيوب) ويحاول إعادته الى رشده , كما أن (أيوب) لا يقبل ان يصدق الواقع وهو يسير بنفس الأسلوب الذي اعتاده مع الغير وبنفس السذاجة , وهو بالتالي يستمر في صراعه مع (الآخر) , وهذه الحالة التي يعاني منها (أيوب) هي أشبه بحالة الصراع بين الوهم والحقيقة , فالوهم هنا هو الاستمرار بقبول السير على نفس المنوال رغم تحذير (الآخر) وكأن شيئا لم يحدث بالرغم من الخسارة , أما الحقيقة فهي السير مع تحذير (الآخر) وعدم الركون للغير والآخر الضدي الذي يريد ان يحقق رغباته تجاه (أيوب) , وهنا يستمر هذا الصراع النفسي ما بين الرغبات وما بين الواقع والوهم ليقود (أيوب) في نهاية المطاف للخسارة والاستسلام التام في الوقت الذي يطالبه (الآخر) بفك قيده وجعله يأخذ بزمام الأمور .

عينة رقم (3) مسرحية (رماد) تأليف (سعد هدايي)

تتمحور مسرحية (رماد) حول الصراع الغيري بين الرجل والمرأة والذي تخذ منحنيات وصور مختلفة ومتعددة , وفي هذا النص يتم استحضار شخصية المرأة من عالم الأموات لتتم محاورتها والكشف عن حجم معاناتها في مجتمع يرفض التسليم بدورها رغم كونها جزء فاعل منه .

((المرأة : رفقا بروحي الهانمة .. لطالما بحثت عنها كثيرا .. في اقبية الكوابيس في نفايات العمر .. في اروقة ماض سحيق ... في قوارير .. بين أعشاش على أغصان ميتة .. في توابيت الذاكرة .

المحامي : اوراقك التحقيقية تؤكد انك مت منتحرة .. وانا كمحام ينبغي ان اثبت العكس .. وها انا ذا اعيد فتح القبر لا تأكد من مزاعمهم وينبغي أن اكسب القضية فيما لو أثبت العكس وهذه الكاميرا ستوثق كل ما تدلين به من أقوال))³¹ .

يحاول (المحامي) الذي يمثل دور الرجل في هذا النص ان يعيد روح المرأة للحياة عن طريق عملية فتح قبرها والكشف عن سبب انتحارها والدوافع التي تقف خلفه , ونتيجة لهذا العمل فهو يندمج في حوار مع المرأة يحاول من خلاله كل منهما ان يكشف عن مجريات الأمور .

((المرأة : ولماذا تريد ان تثبت العكس .. امن اجل ان يقال انك محام بارع وتنال فاتورة شقائي بعد مماتي ؟ ومع ذلك سأعترف لك انت وحدك نعم لقد قتلت نفسي ... لا .. عفوا .. اقصد انا من قتلتني نفسي وها انا ذا اتقدم بشكوى منذ الف عام على نفسي ولم يصغ الي احد !!))³² .

تعود (المرأة) بالتاريخ الى زمن بعيد وهي تحاول أن تكشف سبب عن موتها منتحرة , وهي تطالب من المحامي ان يستمع لقصتها ومن ثم يحكم عليها لكن بعد تقديم الأدلة والبراهين على ما تعرضت له من وقائع :

((المرأة : انا صفحة بيضاء رسم على عذريتها هؤلاء بأختامهم صورة شوهاء ورحمي يغتص بأجنتكم اللزجة .

المحامي : اعترافاتك يا هذه فيها فضح وتعرية لأناس مروا بحياتك يوما ما .
المرأة : انت واحد منهم ... مررت بحياتي قبل ان اموت .. وها انا اذا اسكن قبوري المكشوف الغطاء ولازلت كما انت تريد ان تنتزع مني اشياي عنوة الا يكفيك ما اخذت يا للسخرية بعد ما كنت غاصبا صرت مدافعا عن ضحيتك ...يا لفروسيك يا هذا
33((

تبدأ (المرأة بالكشف عن معانيتها في مواجهة مجتمع ذكوري عانت من تسلطه الحاد ضدها وهي تجمع في هذه المعاناة كل الرجال بما فيهم (المحامي) الذي يستغرب من اتهامها اياه بالرغم من انه ينكر معرفتها المسبقة لكنها تعيد تذكيره بكونه رجل من جملة الرجال الذين اوصلوها لمرحلة الانتحار !!

وتمارس (المرأة) دور التعرية الذي يكشف عن قساوة اوضاع النساء في المجتمعات التي تعتمد التمييز الجنسي بين الرجل والمرأة , وهذه المجتمعات لا تضع قيمة اعتبارية للمرأة مهما امتلكت من اسباب التميز على الرجل لأنها في النهاية مجرد رقم لا أكثر وان الرجل مهما كان ادنى منها فكريا واعتباريا فهو يبقى سيدا عليها لأن الطبيعة خلقتها انثى !!

((المرأة : كان ينبغي ان انسج اكفانا لعقلي مذ شعرت انه اطاح بي في معركتي .. كان جبانا ... مترددا .. يجيد العزف على اوتار الهزيمة غير عابئ بي ...حتى وجدنتي في ارض حبلى بكم انتم ... انتم بكل مزاعمكم .. بكل تشظياتكم .. بكل ما تريدون ومالا تريدون .

(يستخرج المحامي بعض الاوراق مع قلم ويقدمها الى المرأة) ..

المحامي : انتهت الجلسة ... هيا وامض على اقوالك ((34 .
لا يجد (المحامي) لنفسه أي رد على ما تدعيه (المرأة) من معاناة الا ان يعمد الى اغلاق القضية وتسجيل الحادثة - الانتحار - ضد مجهول , وهو بذلك يمارس الهروب من هذا الموقف الذي وجد نفسه فيه وهو بلا حول ولا قوة امام الوقائع الدامغة التي قدمتها (المرأة) أمامه :

((المحامي : انتهت الجلسة ...سأقول لهم اني اعدت فتح القبر بطلب قانوني ولم اجد غير بقايا امرأة من رماد ..لا ابهام لها حتى تمضي في الاوراق وستقيد القضية ضد مجهول .

المرأة : هكذا انتم ...ما ان تهزمون حتى تقيدون هزائمك ضد مجهول حروب الردة .. النكسات .. الدومينو .. لعبة الغش والاختفاء صرت اعشق موتي ...لأنه يهيني حياة اسمي واجل من واقع يجمعني بكم ..ومادام الموت لغة لم تكتشف بعد ..لا ضير في ان اكون اول من يتعلم هذه الابدئية ((35 .

تمثل محاولة (المحامي) غلق القضية عجزا تاما منه عن مجازاة (المرأة) وتأكيدا مضافا بكونه لا يستطيع ان يدحض حجتها ورد ادعاءاتها , وهو بذلك يسجل هزيمته امامها وبالتالي هزيمة المجتمع الذكوري المتسلط الذي دفع المرأة للانتحار عندما عجز عن مواجهتها في الميدان وهو المجتمع .

يمثل هذا النص صورة واقعية عن الصراع الغيري المستند للنوع الاجتماعي في واقعنا , وهذا الصراع لا يزال يدفع ثمنه الكثير من النساء اللواتي يسعين الى امتلاك ناصية العلم والمعرفة وخدمة المجتمع في مواجهة ردة فعل سلبية ترفض التسليم للمرأة بحقوقها وامتيازاتها التي اقرتها لها الطبيعة والحياة كونها جزء مكمل للرجل وليست مجرد اضافة نوعية وأن لها كيانا يشاطر الرجل في مسالك الحياة , بالإضافة الى أن الكاتب امتك شجاعة واضحة في طرق هذا الموضوع المهم الذي يعاني منه المجتمع محاولا من خلال هذا النص التنبيه الى معاناة النساء والتي تنتهي بالمصير المؤسف الذي قد تضطر اليه المرأة في الوقت الذي يستطيع المجتمع اصلاح الوضع عن طريق حملة التثوير والتوعية

الفصل الرابع : النتائج والاستنتاجات

النتائج

1- الغيرية موجودة في كل نص مسرحي وهي الأساس الذي تبنى عليه النصوص المسرحية من خلال الصراع والاختلاف بين الشخصيات ومن خلال طرح المواضيع المسرحية .

2- لعب موضوع الاختلاف الديني دورا بارزا في أدكاء الغيرية بشكلها السلبي والايجابي كما هو الحال في نص الهجرة الى الجنة .

3- من الممكن ان تكون الغيرية داخل النفس البشرية من خلال صراع الارادات وليس مشروطا بها ان تكون بين أكثر من شخص او بين المجموع وهذا ما تجسد في نص الآخر

4- يشكل الصراع بين الرجل والمرأة على المكانة الاجتماعية جانبا مهما من جوانب الغيرية حيث أن الصراع هو صراع اعتباري بين مكونات الجنس البشري وهو لا يجب ان يكون صراع وجود لأن الحياة لا تتكامل الا من خلال الرجل والمرأة .

الاستنتاجات

1- اهتم النص المسرحي بشكل عام بالكشف عن الغيرية من خلال التطرق لها بشكل ضمني وعلني لأنها من أبرز مقومات النص المسرحي .

2- يرتبط الصراع بالغيرية بشكل وثيق كون الغيرية أحد أبرز المرايا التي تكشف صور الصراع المسرحي .

3- لا تقتصر الغيرية على شكل معين بل هي عملية متداخلة من عناصر واشكال متعددة في بنية النص المسرحي .

قائمة المصادر :

الكتب

- 1- الخطيب (محمد) . الفكر الإغريقي , ط2 , (دمشق : دار علاء الدين , 2007) .
- 2- ديكارت (رينيه) . التأملات في الفلسفة الأولى , ترجمة : عثمان امين , (القاهرة : المركز القومي للترجمة , 2009) .
- 3- رسل (برتراند) . تاريخ الفلسفة الغربية , الكتاب الثالث , ترجمة : محمد فتحي , (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب , 2011) .
- 4- رسل (برتراند) . حكمة الغرب , ترجمة : د. فؤاد زكريا , الجزء الأول , (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب , سلسلة عالم المعرفة رقم (62) , 1983) .
- 5- ري (جوناثان و ج.أو. ارمسون) . الموسوعة الفلسفية المختصرة , ترجمة : فؤاد كامل وآخرون , مراجعة : زكي نجيب محمود , ط1 , (القاهرة : المركز القومي للترجمة , 2013) .
- 6- ريكور (بول) . الذات عينها كآخر , ترجمة : د. جورج زيناتي , الطبعة الأولى , (بيروت : المنظمة العربية للترجمة , 2005) .
- 7- سارتر (جان بول) . الكيونة والعدم : بحث في الانطولوجيا الفنونولوجية , ترجمة : د. نيقولا متيني , مراجعة : د. عبد العزيز العيادي , ط1 , (بيروت : المنظمة العربية للترجمة , 2009) .
- 8- سكوت (جون) . علم الاجتماع : المفاهيم الأساسية , ترجمة : محمد عثمان , الطبعة الثانية , (بيروت : الشبكة العربية للأبحاث والنشر , 2013) .
- 9- عساف (روجيه) . سيرة المسرح , الجزء الثالث , ط1 , (بيروت : دار الآداب , 2010) .
- 10- غوفلر (ديفيد و كورا كابلان) . الجنوسة الجندر , ترجمة عدنان حسن , الطبعة الثانية , (دمشق : دار الحوار للنشر , 2018) .
- 11- فرويد (سيغموند) . الأنا والهو , ترجمة : د. محمد عثمان نجاتي , ط4 , (القاهرة : دار الشروق , 1996) .
- 12- كليمان (كاترين) . التحليل النفسي , ترجمة : د. محمد سبيلا و حسن أحجيج , (الدار البيضاء : منشورات الزمن , 2004) .
- 13- كامل (فؤاد) . الغير في فلسفة سارتر , (القاهرة : دار المعارف بمصر , ب ت) .
- 14- المحمداوي (د. علي عبود) , الفلسفة والنسوية , ط1 , (بيروت : منشورات ضفاف , 2013) .
- 15- ناجي (د. سوسن) . كتابة الذات : قراءة في خطاب الهوية , (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب , 2017) .
- 16- يونغ (كارل) . الانسان ورموزه : سيكولوجيا العقل الباطن , ترجمة : عبد الكريم ناصيف , ط1 , (دمشق : دار التكوين , 2012) .

النصوص المسرحية

- 1- جياووك (مصطفى عبد اللطيف) . ما بعد الإفلاس : نصوص مسرحية من فصل واحد , ط1 , (البصرة : دار الفكر للنشر والتوزيع , 2014) .
 - 2- حسن (عبد علي) . مسرحية : الآخر , (مجلة الأقلام) , العدد (5 - 6) , (بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة , 2005)
 - 3- ديلمان (غونكور) . مسرحية : مطعم القردة الحية , ترجمة : نصرت مردان , مراجعة وتقديم : إبراهيم الداوقوي , (الكويت : سلسلة من المسرح العالمي رقم (241) , (1989) .
 - 4- سارتر (جان بول) . مسرحية : نكرا سوف , ترجمة : عبد القادر التلمساني , مراجعة : رضا الجمل , الطبعة الثانية , (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب , سلسلة من المسرح العالمي رقم (9) , 2009) .
 - 5- مارلو (كريستوفر) . مسرحية : يهودي مالطا , ترجمة : نصر عبد الرحمن , تقديم : زاخر غبريال , (القاهرة : سلسلة روائع المسرحيات العالمية رقم (49) , 1967) .
 - 6- هدايي (سعد) . مسرحية : رماد , نص غير منشور .
القواميس
 - 1- الحنفي (عبد المنعم) . المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة , ط3 , (القاهرة : مكتبة مدبولي , 2000) .
 - 2- صليبا (جميل) . المعجم الفلسفي , الجزء الثاني , (بيروت : دار الكتاب اللبناني , 1979) .
 - 3- قاموس المنجد في اللغة والأعلام , الطبعة التاسعة والثلاثون , (بيروت : دار المشرق , 2002)
 - 4- موسى (فاطمة) . قاموس المسرح , الجزء الخامس , ط2 , (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب , 2008) .
 - 5- وهبة (مراد) . المعجم الفلسفي , (القاهرة : دار المطبوعات الأكاديمية , 1998) .
-
- 1 قاموس المنجد في اللغة والأعلام , الطبعة التاسعة والثلاثون , (بيروت : دار المشرق , 2002) , ص 563 - ص 564 .
 - 2 جميل صليبا , المعجم الفلسفي , الجزء الثاني , (بيروت : دار الكتاب اللبناني , 1979) ,
 - 3 مراد وهبة , المعجم الفلسفي , (القاهرة : دار المطبوعات الأكاديمية , 1998) , ص 486 .
 - 4 عبد المنعم الحنفي , المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة , الطبعة الثالثة , (القاهرة : مكتبة مدبولي , 2000) , ص 583 .
 - 5 برتراند رسل , حكمة الغرب , ترجمة : د. فؤاد زكريا , الجزء الأول , (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب , سلسلة عالم المعرفة رقم (62) , 1983) , ص 40 .
 - 6 المصدر نفسه , ص 156 .
 - 7 محمد الخطيب , الفكر الإغريقي , الطبعة الثانية , (دمشق : دار علاء الدين , 2007) , ص 80 .

- ⁸رينيه ديكرت , التأملات في الفلسفة الأولى , ترجمة : عثمان امين , (القاهرة : المركز القومي للترجمة , 2009) , ص 85 .
- ⁹جونثان ري و ج.أو. ارمسون , الموسوعة الفلسفية المختصرة , ترجمة : فؤاد كامل وآخرون , مراجعة : زكي نجيب محمود , الطبعة الأولى , (القاهرة : المركز القومي للترجمة , 2013) , ص 394 .
- ¹⁰برتراند رسل , تاريخ الفلسفة الغربية , الكتاب الثالث , ترجمة : محمد فتحي , (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب , 2011) , ص 307 .
- ¹¹المصدر نفسه , ص 312 .
- ¹²جان بول سارتر , الكينونة والعدم : بحث في الانطولوجيا الفنونولوجية , ترجمة : د. نيقولا متيني , مراجعة : د. عبد العزيز العيادي , الطبعة الأولى , (بيروت : المنظمة العربية للترجمة , 2009) , ص 41 .
- ¹³فؤاد كامل , الغير في فلسفة سارتر , (القاهرة : دار المعارف بمصر , ب ت) , ص 10 .
- ¹⁴بول ريكور , الذات عينها كآخر , ترجمة : د. جورج زيناتي , الطبعة الأولى , (بيروت : المنظمة العربية للترجمة , 2005) , ص 230 .
- ¹⁵سيجموند فرويد , الأنا والهو , ترجمة : د. محمد عثمان نجاتي , الطبعة الرابعة , (القاهرة : دار الشروق , 1996) , ص 43 .
- ¹⁶كارل يونغ , الانسان ورموزه : سيكولوجيا العقل الباطن , ترجمة : عبد الكريم ناصيف , الطبعة الأولى , (دمشق : دار التكوين , 2012) , ص 132 .
- ¹⁷كاترين كليمان , التحليل النفسي , ترجمة : د. محمد سبيلا و حسن أحجيج , (الدار البيضاء : منشورات الزمن , 2004) , ص 112 - ص 113 .
- ¹⁸جون سكوت , علم الاجتماع : المفاهيم الأساسية , ترجمة : محمد عثمان , الطبعة الثانية , (بيروت : الشبكة العربية للأبحاث والنشر , 2013) , ص 162 .
- ¹⁹نادرة السنوسي , ((الذاكرة الذكورية للفلاسفة الغربيين ضد قابلية المرأة للتفكير)) , موضوع منشور في كتاب , الفلسفة والنسوية , تحرير : د. علي عبود المجداي , الطبعة الأولى , (بيروت : منشورات ضفاف , 2013) , ص 21 .
- ²⁰د.سوسن ناجي , كتابة الذات : قراءة في خطاب الهوية , (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب , 2017) , ص 32 .
- ²¹ديفيد غوفلر و كورا كابلان , الجنوسة الجندر , ترجمة عدنان حسن , الطبعة الثانية , (دمشق : دار الحوار للنشر , 2018) , ص 103 - ص 104 .
- ²²فاطمة موسى , قاموس المسرح , الجزء الخامس , الطبعة الثانية , (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب , 2008) , ص 1458 .
- ²³روجيه عساف , سيرة المسرح , الجزء الثالث , الطبعة الأولى , (بيروت : دار الآداب , 2010) , ص 40 .
- ²⁴كريستوفر مارلو , مسرحية : يهودي مالطا , ترجمة : نصر عبد الرحمن , تقديم : زاخر غبريال , (القاهرة : سلسلة روائع المسرحيات العالمية رقم (49) , 1967) , ص 37 - ص 38 .

- 25 جان بول سارتر , مسرحية : نكرا سوف , ترجمة : عبد القادر التلمساني , مراجعة : رضا الجمل , الطبعة الثانية , (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب , سلسلة من المسرح العالمي رقم (9) , 2009) , ص 40 .
- 26 غونكور ديلمان , مسرحية : مطعم القردة الحية , ترجمة : نصرت مردان , مراجعة وتقديم : إبراهيم الداقوي , (الكويت : سلسلة من المسرح العالمي رقم (241) , 1989) , ص 35 .
- 27 مصطفى عبد اللطيف جياووك , ما بعد الإفلاس : نصوص مسرحية من فصل واحد , الطبعة الأولى , (البصرة : دار الفكر للنشر والتوزيع , 2014) , ص 39 .
- 28 المصدر نفسه , ص 43 .
- 29 عبد علي حسن , مسرحية : الآخر , ((مجلة الأعلام)) , العدد (5 - 6) , (بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة , 2005) , ص 164 - ص 165 .
- 30 المصدر نفسه , ص 165 .
- 31 سعد هدايي , مسرحية : رماد , نص غير منشور , ص 1 .
- 32 المصدر نفسه , ص 2 .
- 33 المصدر نفسه , ص 3 .
- 34 المصدر نفسه , ص 7 .
- 35 المصدر نفسه , ص 8- ص 9 .

خطاب كاسنزاني معاصر

Contemporary Kasnazani Sufi Discourse

د. عادل علاوي النعيمي

كلية السلام الجامعة \ العراق

قسم الدراسات الاسلامية وحوار الاديان والحضارات

Teacher Dr. Adel Allawi Al-Nu'aimi

University College of Peace / Iraq

Department of Islamic Studies & Dialogue of Religions
and Civilizations

Introduction

Sufism arose as an expression of the highest religious ideal, and in all its roles, it continued to express those ideals within the limits of love and tolerance. Sufism alone was among the battlefield of ideas and sects, haughty pure, and sound in all the roles it passed through.

Through the ages, the men of Sufism continued to correct and renew the path to God Almighty, to resume the civilizational radiance of the nation in the field of education and human scramble. They were truly luminous civilizational stations throughout history.

In the modern era, the poles of "Al-Tariqah Al-Aliyyah Al-Qadiriyyah Al-Kasnazaniyyah" are at the fore in the contemporary Sufi discourse, to assume the task of inspiring the memory of generations and nurturing progress in the field of scientific reform and moral renewal. The Kasnazani discourse was

the discourse of the time, with its appropriate rhetorical introduction, as its guiding and directing is standing at the level of challenges. This approach comes to shed light on the contributions of this discourse at a time when it was in dire need of these lights that illuminate the path for individuals and groups.

The research consisted of an introduction, a conclusion and three chapters: The first bears the title of the Kasnazani discourse in the face of challenges, the second deals with the dignity of the Kasnazani sheikhs, and the third comes under the title of the Kasnazani discourse and the era. This discourse, which calls for the renewal of the Islamic discourse by taking it out of the framework of the dialogue of believers in the final message, into the space of human values in which there is no place or person may miss its postulates. The person who is considered a symbol of civilization to build a civilization in which he is a peaceful brother to his human brother.

challenges and situations

In some of its stages, the Kasnazani discourse was a warning against the corruption of the rulers and a large number of pretenders and evil scholars, or a warning against the campaigns promoted by the enemies of religion, whether orientalist or disguised in his name for worldly purposes and goals.

We see him as a warner to the corruption of rulers and evil scholars, warning against “those who deviated from the path of truth and the clear truth, and exploited religion for the sake of this world, so they took from it what would allow them to have their world, so they disputed and went further between them. Ignorance spread and heresies spread, so misguided groups benefited in the name of religion, and they had their ignorant thinkers and scholars who remained silent about the truth to please creatures, so they forgot the afterlife⁽¹⁾”.

Sometimes this speech comes as a warning of the ferocious campaigns promoted by orientalist to distort Islam, so we see him warning, saying, "The malicious trumpets were blown, and some of them became parrots for Nicholson, Goldziher, Massignon and others to degrade the value of the true religion"⁽²⁾, At other times, this speech comes as a warning against the calls that hide behind political goals and expand ambitions, as it warns against those who “misled in the name of religion, killing people, violating the sacred, and invading the homelands to enslave creatures, again supported by the hand of the foreigner”⁽³⁾.

According to the requirements, circumstances and conditions of each stage, the Kasnazani discourse comes in response to the needs and challenges of those stages. In the stage of peace, the opportunities for security and peace are to be

seized to spread knowledge and raise the levels of followers, followers and the general public. While, in the stage of jihad, confronting the occupier by advancing the ranks and fighting the midst of battles, during the British occupation of Iraq in the early twentieth century. We see him declaring jihad among the “Tariqah's followers” in response to the call of the religion and in defense of the lives of Muslims and their homelands, and to be a continuation of what the Sufis approached in every era, being the first defenders of the soil of the homelands raising the banner of jihad high. So we see the Kasnazani speech urging Muslims in general and the disciples in particular to confront the occupation armies that invaded Iraq at the time. And here is Sheikh Abdul-Qadir Al-Kasnazani, in his sermons and preaches, says: “O Muslims, come to the aid of the Mujahideen in the south, for everyone who took up arms against the occupier and helped the Mujahideen with his money and his tongue, so he is a Mujahid Muslim, and his intercession on the “Day of Resurrection” is obligatory, and he is one of the people of Paradise⁽⁴⁾.”

Indeed, the actual participation of these Mujahideen in the Battle of Shuaiba ⁽⁵⁾ was with 3000 horsemen whom came from Sulaymaniyah to the Shuaiba base in southern Iraq. Those whom had previously participated in several battles fought by Sheikh Sultan Hussein against the Russian army in World War I, which was attacking through Iran, and

in northern Iraq too, he participated in several battles against the British army and captured eighty soldiers with two officers in one of the battles⁽⁶⁾, Which formed a painful blow to the British army, as Britain sent a force of twenty thousand fighters to chase after his father, Sheikh Abdul Qadir al-Kasnazan, his family and his followers, then, it was the emigration to Iran was to start a new page of jihad, migration and guidance for the sake of God Almighty. Thus, when disasters and adversity befall Muslim countries... In those dark conditions, the Sufi, the beloved spiritual man with a loud voice and a feared side, stays, and this was the Kasnazan discourse during the British occupation at the beginning of the (twentieth) century, represents the spark that ignited the fire of armed resistance against The invaders and the declaration of jihad against the occupier marked the beginning of the migration of Sheikh Al-Kasanazan beyond the borders of Iraq to Iran, but their eyes, hearts and souls reach for the Mujahideen from southern Iraq to its north⁽⁷⁾. On the other hand, the emigration of Sheikh Abdul-Qadir al-Kasnazan came as a shining of the faith's light and the resurrection of the light of Islam, as he taught them the teachings of the Noble Qur'an and the morals and actions of the Prophet until the lights of the way became valid in all parts of Iran⁽⁸⁾. The emigration of Sheikh Abdul Qadir Al-Kazanzan was not the last one whereas the latter decades

witnessed the migration of his grandson Sheikh Abdul Karim Al-Kasnazan, who migrated to Iran as well. There, he devoted his efforts to guiding creatures and spreading the teachings of tariqah among people, those teachings that were passed down by children from fathers and by grandchildren from grandparents. The movement of the Sheikh between Iranian cities was difficult and costly because thousands of his followers and lovers were followed him wherever he went and traveled. The emigration of Sayyid Sheikh Abdul-Karim al-Kasnazan continued for two years, traveling in those lands, advising the common Muslims, building Takyehs, mosques, and reconciling between people, until he entered Tehran, met a number of Muslims and held several religious occasions, after which a large number of people pledged allegiance to him. His spiritual call was laying in getting rid of the world's trapping, headed to God Almighty through spiritual serenity. Thus, tariqa gained wide popularity and absorbed millions of devotees until its spiritual light went to many countries such as Afghanistan and Pakistan and some African countries such as Zambia, where Tkayehs had opened and Caliphs were given their guidance⁽⁹⁾. In their advice, the sheikhs did not differentiate between a superior and a subordinate, but rather they spoke the truth without being blamed by the blamer, and they commanded uprightness according the Qur'an and the Sunnah

as a basis for the path of Sufism, and they recommended lawful earning and warned against dependence and unlawful earnings. Clarifying the correct behavior, we see Sayyid, Sheikh Abdul - Karim al-Shah al-Kasnazan saying, while addressing his followers: (Make your behavior in the road of the poor straight on the footing of the Sharia, and protect your intention from the vile obsessions, hold your heart, and hold on my son, in a reason to live on the path of lawful earning)⁽¹⁰⁾.

Al-Kasnazani's discourse was not limited to rooting by words only, but actions were evidence of that as well, because the complete Sheikhs on the way are living discourses that continued through the ages. We see the piety of Sayyid Sheikh Abdul Qadir al-Kasnazan after his emigration to Iran, as he descended in a village owned by a poor family and was raped by one of the feudal lords. We see him from the severity of his piety that he forbade himself even drinking water from that village, and was satisfied with water that melted from the snow in the mountain tops throughout the years in which he lived, because he considered the water of the village usurped from its legal owner ⁽¹¹⁾. Here the action is stronger for consideration and more effective in correcting the course and behavior of others.

Many people have repented at the hands of Sayyid Sheikh Abdul Qadir al-Kasnanzan. Many of ignorant, wrongdoers, disobedient and arrogant,

and they became remorseful for what they had done of injustice and extravagance, and they became righteous men.

Yes, his sermons were repeated by his disciples and students in their guidance councils, and here we listen to his commandment ,in which he is keen that the disciple combines the Sharia and the method, verified of his behavior, as he says: “Ey, Dervish, put on the garment of repentance, a pure and clean shirt. He, who doesn't not law-abiding, verifiable and chaste, is not one of our followers, because our seeker must adhere to the Sharia, tariqah, , asceticism, piety, and lack of greed”⁽¹²⁾.

Among his commandments are also: (He, who suppresses his anger and pardons those who do wrong to him and offends him, God will raise him to the high place of men) ⁽¹³⁾.

Deists and the endearment of creatures to the path
of truth

The foundations from which the Kasnazani discourse was based, rooted in the Qur'an and the Sunnah, go back to the Truth Almighty , who honored those great men who, in turn, employed it in the path of correcting the behavior of the deviant, the oppressors and the disobedient. All above made them revered wherever they went and traveled, for they are men who feared God Almighty, so everything feared them ⁽¹⁴⁾. People of different classes and homes used to show their

prestige and dread for them, and they were walking the truth's path, not being blamed by a blamer. So we see Sheikh Sultan Hussein Al-Kasnazan saying: "O people, there is no leader or subordinate in religion, nor distinct classes except by fruitful work. We are all for Adam and Adam is from dust" ⁽¹⁵⁾.

Thus, the morals of the deists in dealing with the creatures, in order to endear them and bring them closer to the path of truth, were in harmony between prestige and dread at one time, and between leniency and tolerance at another time. They used to rejoice in the repentant and the one who returned to the path of truth and guidance, and they prayed for him. And they treat him with compassion and make the walk in the path of God Almighty loveable for them and at the same time fill the hearts of the poor with reassurance and joy because they make God's worshipers beloved to God and make God beloved to His worshipers⁽¹⁶⁾. They really are as described by the poet:
Venerable people, wherever they sit
The place on their tracks remains fragrant
Sufism guides one side of their morals
Good familiarity with them pleased my vision ⁽¹⁷⁾

So we see, Ssayid Sheikh Abdul-Karim al-Kasnazan, often forgave, and if someone come to him complaining about the misfortunes of the world and the concerns of the oppressors, he would offer him patience and say: (God sees us and them, so be patient. We ask him to guide them) ⁽¹⁸⁾.

As soon as his words reach the ears of the aggressors and wrongdoers, their hearts will soften, and they feel attracted to him. We see them the next day of the penitents and the reformers, because the sheikh who knows God, my master Sheikh Abdul Karim Al-Kasnazan is a doctor who has medicine for ills, an expert in the secrets of souls, and he has a true voice in which there is desire and fear, desired and feared by the people of truth, what a spiritual voice he had, that stamps out falsehood, and defeat it. Among the most substantial exploits of his asceticism is that, there was no rich man had sat with him and rose from his seat without preferring the life of asceticism and preferred it to luxury. You see him become generous, ascetic, turning away from life pleasures, heading to the Hereafter, calling for it and warning people against it, and this is one of the blessings of sitting with ascetics. Whoever sat with the people of this life, he would love it, and whoever sat with the people of the Hereafter, he would love it and decide to migrate to it ⁽¹⁹⁾. His advice and guidance played a major role in reforming the corrupt thieves and bandits, who, after they repented at his hands, became faithful and loyal Muslims, there are a large number of people of different religions who embraced Islam at his hands, and they are still loyal and honest ⁽²⁰⁾.

The role of Ssaiyd Sheikh Abdul Karim Al-Kasnazan did not stop at this point, but rather he

resolved many tribal and sectarian conflicts in his time and sought to solve the problem of northern Iraq.

the message of humanity and the humanity of the message

Here, we can say that the contemporary Sufi discourse - which we have taken as a model - is nothing but the Kasnazan Sufi discourse. To appeal to humanity in the dire circumstances it is going through because despite the advancement it has achieved through its modern technology and the information revolution, it has remained far from meeting the needs of this perplexed human in its dark paths and corridors. So we see him committing suicide as the shortest way to salvation from what he suffers from a spiritual famine that kills his human conscience, as a result of his stripping and the dissolution of all social restrictions and controls, and his wandering in the labyrinths of a bleak life without responsibility, order, or goal, not even a glimmer of hope to achieve what he wants to reach the truth (Eternal happiness) which every human being seeks, looking forward the Majesty of Truth. The human of modern civilization who has been immersed in the joys and pleasures of life without a scruple of conscience and without limits, his psychological and sexual desires and instincts have reached the peak of saturation, and there is nothing left for him to enjoy, so he falls into a deep psychological void

far from the "truth of Truth" and his conscience, thus he does not know his source. This called spiritual void, that If a human reaches it, he would lose the essence of his life, and then resorts to being forced to erase himself and commit suicide in order to save it from the clutches of a miserable life. Because he failed to reach contemplation of the greatness of the Creator through his great verses in organization and creativity, as all the heavenly messages and their sheets and rulings confirm the spiritual meaning achieved for human happiness in life and the hereafter when he is guided to contemplate the secrets deposited by God Almighty in this vast universe and the soul of this human being. God Almighty said:

﴿ We will show them Our signs in the horizons and within themselves until it becomes clear to them that it is the truth. But is it not sufficient concerning your Lord that He is, over all things, a Witness?﴾(Fussilat, Aya 53).

Al-Kasnazani's speech that has come to all humanity, saying:

“O you, who are perplexed in the labyrinths of life and its unknown fields without consideration or thinking, come, O human beings, to the gradual's method and its path to the eternal truth (immortality) that has puzzled the minds of philosophers and thinkers in the search for it, and meditate and follow the method of righteous deeds, perseverance and piety, for you will inevitably reach

after that to your desired hope, and then you will be in eternal eternity and residing bliss with the Creator of the universe and the Creator of the universes, who created man only to realize the secret of this existence".⁽²¹⁾

As God Almighty said: ﴿ And I did not create the jinn and mankind except to worship Me﴾ (Adh-Adaariyat 56), That is, only for them to know, so he has made worshipping a path to knowledge, and it was mentioned in Elathar: "I was a hidden treasure and I loved to be known" ⁽²²⁾.The Kasnazani discourse, as we have previously experienced, was not merely a speech delivered or sermons given to others, but rather it was a position and presence in the fields of advocacy, and guidance. It was jihad on the battlefield and defense of the nation's values. Here we will present some paragraphs of this speech by Sayyid Sheikh Shams Al-Din Muhammad Nehru Al-Kasnazan ⁽²³⁾, Which expresses the pain of large groups and broad segments that still suffer today from injustice which began since decades, bitterness, deprivation and hunger, in addition to killing, terrorism and abuse. You may see it as a speech that touches the innermost layer of the hearts and simulates the whispers of souls thirsting for a free and dignified life.

Al-Kasnazani discourse is a renewed one

In conclusion, we conclude that the Sufi Kasnazani discourse is the one which

accommodates all human meanings. We see it addressing the human of this land that shone with the message of light and happiness throughout the eras of history, where a man in all its stages was a civilized symbol for building a civilization in which man is a peaceful brother to his brother man, so we see this discourse resound by saying :

“In this open world, the responsibility of the word is no longer confined to the scope of the sect or category, not even the country or region, but the dimension inherent to it has become universal, and the space for communication has become wide and includes all souls in all horizons”.

In the face of this fact, the responsibility of all believers has become to renew the Islamic discourse by taking it out of the framework of the believers' dialogue with the Final Message into the space of human values no place is devoid of, and no one misses its postulates.

The God Almighty addressing His Greatest Messenger”may God’s prayers and peace be upon him” has said:﴿ Say, [O Muḥammad], "O mankind, indeed I am the Messenger of Allāh to you all,﴾(Al-A’rāf 158).

The message is for all people, and it is clear to the believers, but its delivery to others requires addressing them according to their minds, and reaching this amount of minds comes when talking to others with the human meanings and spiritual values that are embedded in this message. These

values and principles are the only living link between human beings. Everyone, whoever they are and whatever they are.

From this pulpit, we call upon those who bear the responsibility of conveying the word of light to all people, to unite their efforts in a common discourse that internalizes the fact that the final message is a message of pure instinct, and that the word is directed to this instinct in every human being because he will eventually reach the spiritual reality of Islam, which is a message of mercy to the worlds and guidance to all people⁽²⁴⁾.

This message calls for building a new generation that believes that human civilization is a joint work for the human race and that the freedom of this human being is a sacred thing that must not be compromised.

Conclusion

Sufism has remained, despite all the fierce attacks that exposed it and still, preserved by God's protection to his religion, and it remained a beating heart of Islam supported by God Almighty's support for it.

The sofi's speech was a delicate one expressing sense to the conscience of the nation in its darkest circumstances, absorbing all human meanings, addressing the human being of this earth, who carries a message calling for the building of a new generation that believes that human civilization is a joint work among the members of the human race.

Thus, the study concluded with results that can be summarized as follows:

1. 1- Warning against the exploitation of life by religion through the behavior of corrupt rulers and bad scholars who deviate from the path of truth and the Clear Truth.
2. Defense of the homeland's values when exposed to external danger by invaders and greedy.
3. To seize the opportunities of security and peace to spread knowledge and raise the level of followers and the general public.
4. The sheikhs of Kasnazan set the most wonderful examples of piety, and the money that God Almighty bestowed upon them never made them deviate from the path of righteousness, with an emphasis on the passenger to hold on to the reason for his livelihood by the path of earning lawful.
5. There are no distinct classes in religion, and the balance of differentiation in Islam lies in piety and good deeds.
6. Dignity comes in the context of realizing the greatest trust of God in the succession of the earth, and for the sake of guiding people to the path of truth, faith and piety, enjoining good and forbidding evil, calling to the way of God with wisdom and good advice, and spreading goodness, light and peace.

7. One of the requirements of the religious reformer and the guide calling to God is the renewal of his speech. One of the requirements of this renewal may be to show the dignities at the level of this age's civilization, so that people can emulate him, blessed by this spiritual influence on them.
8. The success of the Sheikhs of "Al-Tariqah Al-Aliyyah Al-Qadiriyyah Al-Kasnazaniyyah", in attracting lost youth from the void cycle into the orbit of the True religion by proving their dignity, whether in proving physical paranormalities or curing diseases that incapacitated modern medicine.
9. These dignities (activities) are in themselves a means and not an end, and their goal is to guide people and urge them to return to the path of Truth and righteousness.
10. The Kasnazan discourse appeals to humanity in its dire circumstances today. He addresses a human being of the lame civilization that left its members lost and confused after being stripped and disbanded of all social restrictions and controls, without responsibility, order, or goal, to invite them to walk and reach the truth (eternal happiness), the majesty and beauty of truth that every human being seeks.
11. Addressing the other with the human meanings and spiritual values that are

embedded in the final message, and the call to unite efforts in a rhetorical joint underscores the fact that this message is the message of pure instinct through which man reaches the spiritual truth of Islam as a mercy to the worlds and a guidance to all people.

12. The Sufi discourse Al-Kasnazani came to reveal the extent of diversity and renewal in the contemporary Sufi thought, and to demonstrate the ability of Sufism to continue and bestowal in light of changes, and the possibility of this thought in combating extremism and terrorism, and the extent of its ability to maintain moral values that began to decline in today's society.

Sources and references:

1. Ahmad bin Hanbal, Book of Zuhd.
2. Al-Gilani, Sheikh Abdul Qadir, Jala Al-Khater from the words of Sheikh Abdul Qadir, publisher Sheikh Muhammad Al-Kasnazan Al-Husseini, Ashtar Company, 1989, Baghdad.
3. Al-Hadithi, Abdul-Salam Bdiwi, Sufism in Iraq, Al-Mesbar Center for Studies and Research, Book 72, December 2012.
4. Ali Al-Qari, Mirqat Al-Mafatih, Explanation of the Mishkat Al-Masabih, ed.1, 2002 AD, Dar Al-Fikr.
5. Alkanazan, Sheikh Mohammed, Al traiqah al-Qadiriyyah al-Kasanzaniyya, pg. 364.

6. Al-Kasnazan, Sheikh Muhammad Al-Kasnazan, Encyclopedia of Al-Kazanzen.
7. Al-Kasnazan, Sheikh Muhammad, Encyclopedia of Al-Kasanazan, Volume 23.
8. Al-Kazanzen magazine, issue 3, editorial, and the international affection forum, the message of humanity and the humanity of the message: <http://kasnazan.com/article.php?id=1321>.
9. Al-Kazanzen, Sheikh Muhammad Al-Muhammad, Al-Anwar Al-Rahmaniya, Madbouly Library, 1999 AD, Cairo.
10. Al-Maqasid Al-Hasan, Hadith No. 1071.
11. Al-Mundhiri, Al-Targheeb, 4/141.
12. Al-Tabari, Muhammad bin Jarir, Tafsir Al-Tabari, Jami' Al-Bayan on the Interpretation of the Verses of the Qur'an, Dar Al-Maaref, Egypt, Volume 2.
13. Al-Taher Allawi, Muhammad, the divine scholar Sidi Abu Madin Shuaib, Part 1, 2004 AD, Dar Al-Umma for Printing and Publishing, Algeria.
14. Chiyawook, Butan Ma'ruf, Al Kasnazani whiffs.
15. Jamal Nassar, The Path to the Tariqah, 1997 AD, Al Ahlia for Publishing and Distribution, Amman.
16. The Battle of Shuaiba in 1915 AD between two Iraqi and British visions, Prof. Dr . Star Nuri Al-Aboudi. Republic of Iraq - University of

Babylon, and Dr. William Bridge / United Kingdom Northampton University.

¹ Al-Kazanzen, Sheikh Muhammad Al-Muhammad, Al-Anwar Al-Rahmaniya, Madbouly Library, 1999 AD, Cairo, pp. 11-12.

² Ibid, p. 12.

³ Ibid, p. 13.

⁴ Al-Kasanazan, Sheikh Muhammad, Al-Anwar Al-Rahmaniya, p. 249. It is worth noting that the British commander S. J. Edmunds, in which he says: Sheikh Abdul Qadir Al-Kasnazan represents a stumbling block to the advance of Britain, and therefore he must be attacked and chased. See: Jamal Nassar, The Path to the Tariqah, p. 85, i 1, 1997 AD, Al Ahlia for Publishing and Distribution, Amman; Edmonds 1957 : 356.

⁵ Battle of Shuaiba: The battle that took place between the occupying British forces and the forces of the Ottoman army on April 21, 1914 AD with the support of 1500 fighters led by Sheikh Mahmoud Al-Hafeed Al-Barzanji who came from Sulaymaniyah to support their brothers against the British forces and the fighting continued until February 1915 AD. (Prof. Dr. Ibrahim Al-Allaf). For more information about the battle see: (The Battle of Shuaiba in 1915 AD between two Iraqi and British visions) a. Dr . Star Nuri Al-Aboudi. Republic of Iraq - University of Babylon, and Dr. William Bridge / United Kingdom - Northampton University.

⁶ Al-Kasnazan, Sheikh Muhammad, Encyclopedia of Al-Kasnazan, Volume 23, p. 263.

⁷ The British forces burned all the properties of Sheikh Abdul Qadir and his followers and besieged Mount Sarkarma from all sides in order to arrest the Mujahid Sheikh, but their efforts failed. (Al-Kasnazan, Sheikh Muhammad, Al-Anwar Al-Rahmaniya, p. 250).

⁸ Alkanazan, Sheikh Mohammed, Al traiah Al-Qadiriya Al-Kasanzaniyya, pg. 364.

⁹ Al-Kasanzen, Sheikh Muhammad, Al-Anwar Al-Rahmaniya, pp. 265-266.

¹⁰ Ibid, p. 245.

¹¹ Ibid, p. 250.

¹² Ibid, p. 252.

¹³ Ibid.

¹⁴ A reference to what the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, said in the honorable hadith (Whoever fears God, everything fears from him) Al-Maqasid Al-Hasan, Hadith No. 1071, Al-Mundhiri, Al-Targheeb, 4/141, and Al-Hafiz Al-Iraqi, Takhreej Al-Ihya', 2/128.

¹⁵ Al-Kasnazan, Sheikh Muhammad, Al-Anwar Al-Rahmaniya, p. 257.

¹⁶ A reference to the hadith: "If you wish, I will tell you of the most beloved of God's worshipers to God, those who are make God beloved to his worshipers and work in a good faith. And if you wish, I will swear to you that the most beloved of God's worshipers to God are the shepherds of the sun and the moon". Ahmad bin Hanbal, Book of Zuhd, Hadith No. 452.

¹⁷ Al-Taher Allawi, Muhammad, the divine scholar Sidi Abu Madin Shuaib, Part 1, 2004 AD, Dar Al-Umma for Printing and Publishing, Algeria.

¹⁸ Al-Kasnazan, Sheikh Muhammad, Al-Anwar Al-Rahmaniya, p. 263.

¹⁹ Ibid, p. 265.

²⁰ Ibid, p. 268.

²¹ Al-Kasnazan, Sheikh Muhammad, Al- Tariqah Al- Aliya Al Qadisiyah Al-Kasanzaniyyah, pg. 396.

²² A reference to the hadith Qudsi (I was a hidden treasure and I loved to be known, so I created creation in order to be known). Ali Al-Qari, Mirqat Al-Maftahah, Explanation of the Miskat Al-Masabih, I 1, 2002 AD, Dar Al-Fikr, vol. 9, pg. 3724.

²³ Nehru Al-Kasnazan, Al-Sayyid , Sheikh Nehru bin Al-Sayyid Sheikh Muhammad Al-Muhammad Al-Kasanzan Al-Husseini was born in Kirkuk city in 1969 AD. He completed his primary studies, where he obtained a Bachelor's degree in Computer Science from Al-Mansour College in Baghdad in 1994, then he gain the Master's degree in History from the Institute of History and Heritage in Baghdad 1997. He received a doctorate degree in history from the same institute in 2002 AD. (Archive of the Media Office of the Iraqi National Unity Gathering, Biography of Professor Dr. Nehru Al-Kasnazan, p. 3).

²⁴ Al-Kazanzan magazine, issue 3, editorial, and the international affection forum, the message of humanity and the humanity of the message: <http://kasnazan.com/article.php?id=1321>.

صورة المرأة العربية في إعلانات القنوات الفضائية العربية قناة MBC DRAMA نموذجاً

أ.م.د. ميثم حاتم

وائل احمد خالد

جامعة الأديان والمذاهب / كلية الإعلام والعلاقات

الملخص

تلعب وسائل الإعلام دوراً في التأثير على مواقف الناس ومعارفهم وآرائهم وتصوراتهم واتجاهاتهم بسبب استقبال كم كبير من المعلومات والصور والأخبار، ويتم بعدها تنظيم تلك المعلومات والصور وتبسيطها حيث تتلاءم مع ما يدركه الشخص ليرسم منظومته المعرفية، وهذه المنظومات المعرفية بأشكالها المتنوعة تحدد ما يتم تصوره عن الآخرين. وتغرس في ذهن الفرد صور مختلفة من خلال تنشئته سواء في الأسرة والأصدقاء ووسائل الإعلام، وقد تمثل هذه الصورة آراء مشتركة بين أفراد المجتمع، ولكن قد تكون صورة غير مكتملة، وأحياناً تكون مشوهة عن الواقع.

وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف على صورة المرأة ضمن عينة من الإعلانات المقدمة في قناة MBC Drama الفضائية ولتحقيق هذا الهدف فقد تم الاعتماد على أسلوب تحليل المحتوى كأداة للإجابة على تساؤلات الدراسة، وتم الوصول إلى نتائج شكلت صورة المرأة في الاعلان التلفزيوني في قناة MBC Drama الفضائية فهي تستخدم كديكور من أجل لفت الانتباه للسلعة، كما أن دورها لم يتجاوز كونها ربة بيت تعد الأكل والقهوة وتهتم بتربية أبنائها.

Summary

The media plays a role in influencing people's attitudes due to perceptions and ,opinions ,knowledge ,images and news ,receiving a large amount of information and these information and images are then organized and simplified so that they fit with what the person perceives to and these cognitive systems ,draw his knowledge system various forms determine what is perceived about in their .others

Different images are implanted in the mind of the individual friends and ,whether in the family ,through his upbringing This image may represent common opinions .the media but it may be an incomplete ,among members of society .and sometimes it is distorted from reality ,image

This study aims to identify the image of women in a sample Drama satellite MBC of advertisements presented on the It is used as a decoration in order to draw .channel and its role did not exceed ,n to the commodityattentio being a housewife who prepares food and coffee and takes .care of raising her children

الإطار النظري

المقدمة

يعتبر الإعلان سمة أساسية من سمات العصر الحالي، ولون من ألوان المعرفة الإنسانية كيف لا، وقد أصبح يحاصرنا حيثما سرنا واتجهنا ففي داخل المنزل نستقبل مئات الإعلانات عبر شاشات التلفزيون ومن خلال مطالعتنا للصحف والمجلات اليومية، كما وأن التقويم الذي تضعه على جدران المنزل أو المكتب يحمل إعلاناً عن جهة إصداره (مؤسسة تجارية أو خدمية) وعندما تخرج للشوارع تجد العديد من اللافتات التي تحتوي على أنواع وألوان كثيرة من الإعلان هذا فضلاً عن ما يطل علينا قسراً ونحن أمام شاشة الحاسوب أو ونحن نتطلع على البريد الإلكتروني أو نبحث في شبكة الانترنت.

ويمثل الإعلان أحد الأنشطة الرئيسية في ميدان تسويق السلع والخدمات في العصر الحديث أنه عصر متسارع الخطى فيه الأهم وأكثر من شيء آخر اشباع الرغبة من السلع الاستهلاكية أو التمتع بالخدمة وبأقل جهد ممكن وفي أسرع وقت، ويكون فيه تزايد لاستخدام الإعلان كوسيلة لترويج السلع والخدمات والتي أصبحت متوفرة بكميات كبيرة ونوعيات متطورة الذي جعل العرض يفوق الطلب في كثير من الأحيان.

تحتل دراسة المصادر المتعددة التي يستقي منها الناس انطباعاتهم عن الآخرين الأهمية العليا عند دارسي السلوك الإنساني، ذلك أن الصورة ماهي إلا انطباعات يكونها الفرد عن شخص أو آخر أو عن أشخاص آخرين أو عن أي مجموعة أو مجموعات أخرى، ولمحتوى هذه الصورة أثر عميق في تفاعلات الفرد مع الآخرين، وتعد وسائل الاعلام من أهم عوامل تكوين الرأي وتشكيله، وشهدت السنوات الأخيرة الاعتراف المتزايد بالدور الهام الذي تؤديه وسائل الاعلام في مختلف المجتمعات التقليدية أو المجتمعات الانتقالية أو المجتمعات الحديثة على الرغم من الفروق الرئيسية لدور الاعلام طبقاً لطبيعة المجتمع واحتياجاته الاعلامية.

وأشارت الدراسات التحليلية لصورة المرأة ان وسائل الاعلام تقدم صوراً متحيزة ضد هذه النماذج التي يحتاج المجتمع إلى تكوين صورة ذهنية صحيحة حيالها لتسهم في عملية التنمية المستدامة في الوطن العربي ويقصد بالصورة الاعلامية للمرأة مجموعة السمات والصفات التي تنسبها وسائل الاعلام للمرأة من خلال ما تقدمه من مضامين وبرامج حولها والصورة الاعلامية هي صورة مصنعة تتضمن عمليات تكنولوجية معقدة تعتمد في تأثيرها على نظام ثقافي معقد لصناعة رموز الرسالة الاعلامية وتظهر هذه

العملية الصناعية كأحد مخرجات المضامين الإعلامية كالإعلانات والمواد الترفيهية كالدراما والأفلام التسجيلية وغيرها من المضامين الإعلامية وتختلف الصورة الإعلامية بهذا المفهوم عن الصورة الذهنية التي تتمثل في الناتج النهائي للانطباعات الذاتية التي تتكون عند الأفراد والجماعات إزاء شخص معين أو نظام معين أو نظام ما أو شعب أو جنس بعينه أو منشأة أو مؤسسة أو منظمة محلية أو دولية أو مهنية أو أي شيء آخر يمكن أن يكون له تأثير على حياة الإنسان.

هدف الدراسة:

يمكن هدف الدراسة في الموضوع في حد ذاته فهو يحاول الوصول إلى معرفة علاقة المرأة بالإعلان، فهي تظهر في الإعلانات بشكل محوري من خلال ترويج مختلف السلع والخدمات وتستخدم بشكل غالب فيها، كما يتم اختيارها لتقاسم المادة الإعلانية وفق ضوابط وشروط، وهذا ما أدى إلى تكوين صورة حول المرأة المقدمة للإعلانات في المجتمعات، ومعرفة هذه الصورة أصبح أمراً ضرورياً.

اشكالية الدراسة:

تتمثل المشكلة في استخدام المرأة هي الطريقة التي يقوم عليها العرض الإعلاني والآثار التي تخلفها هذه الطريقة... ومما سبق نطرح التساؤل التالي ما هي نظرة المرأة في إعلانات الفضائيات العربية؟

ولكي نجيب على هذا التساؤل نطرح التساؤلات التالية:

- 1- كيف تجلت صورة المرأة في إعلانات القنوات الفضائية العربية؟
 - 2- ما هي أسباب و دوافع استخدام المرأة في إعلانات القنوات الفضائية العربية؟
- أهمية الدراسة:

تستخدم المرأة في مختلف أنواع الإعلانات التي تعكسها القنوات الفضائية العربية من أجل الوصول إلى الهدف النهائي المتمثل بزيادة السلوك الشرائي للجمهور المستهدف. وعليه هدفت الدراسة إلى التعرف على طبيعة الإعلانات التي تعكس صورة المرأة الأكثر مشاهدة من حيث الإعلانات المفضلة وأسباب المتابعة ودوافعها ومدى نجاح الإعلان لدى عينة الدراسة وسمات صورة المرأة التي تعكسها الإعلانات وطبيعة أدوار المرأة في الإعلانات وتقييم اتجاهات عينة الدراسة لصورة المرأة كما تعكسها الإعلانات في الفضائيات العربية.

أسباب اختيار الموضوع:

النقص الذي تعاني منه المكتبة الجامعية للبحوث في المجال الإعلامي و معرفة كيفية تعامل المرأة مع إعلانات الفضائيات العربية والتمويل لدراسة المرأة وعلاقتها بالإعلام و قلة الدراسات المتعلقة بالموضوع على الصعيد المحلي.

الدراسات السابقة:

- 1_ صورة المرأة في إعلانات الفضائيات العربية لدى طالبات الجامعة الإسلامية.

تتحدد مشكلة الدراسة في التعرف على رأي طالبات الجامعة الإسلامية في غزة حول صورة المرأة المقدمة لإعلانات التلفزيونية ومدى رضاهي عن هذه الصورة، واعتمدت الباحثة في دراستها على منهج مسح جمهور وسائل الإعلام، وتم استخدام استمارة الاستبيان كأداة لجمع البيانات على عينة من طالبات الجامعة الإسلامية المسجلات خلال الفصل الدراسي 2010 / 2009 م توصلت الدراسة إلى أن الفضائيات العربية تشارك في تشويه صورة المرأة العربية وذلك من خلال استغلالها في الإعلانات بأنواعها وخاصة التي تنافي تعاليم الدين الإسلامي، فهي تعرض كل مفاتها كوسيلة لبيع المنتجات والسلع... (أمينة فخري دحدوح، 2010 م).

2_ صورة المرأة في برامج الفضائيات العربية، دراسة تحليلية للإعلانات الخاصة بالمرأة على شاشة قناة LBC.

تدور إشكالية الدراسة حول التعرف على الصورة الإعلامية للمرأة في برنامج الفضائيات العربية من خلال تحليل مضمون المادة الإعلامية المقدمة من خلال الإعلانات على قناة LBC الفضائية، واعتمد الباحث على منهج المسح الوصفي، واستخدم أداة تحليل المحتوى على عينة من الإعلانات التلفزيونية التي تبث على قناة LBC خلال سنة 2009. وتوصلت الدراسة إلى أن المرأة تستخدم كوسيلة للترويج في الإعلانات السلعية والاستهلاكية بصفة غالبية، وهنا يصح القول أن صورة المرأة أصبحت جزءاً لا يتجزأ من الدعاية التجارية للسلع الاستهلاكية المتمثلة بالسلع الغذائية، أدوات تحميل، تنظيف، أدوات منزلية... سعد سلمان عبد الله، 2013.

منهج البحث

يعد هذا البحث من البحوث الوصفية التي تستهدف دراسة ظاهرة معينة هي صورة المرأة في برامج الفضائيات العربية وتم استخدام أسلوب تحليل المضمون لجمع البيانات عن متغيرات البحث وذلك بتطبيق البحث على عينة من الإعلانات التلفزيونية التي بثت على قناة MBC DRAMA الفضائية.

مفاهيم البحث

- الصورة هي تلك الصورة الشكلية الشاملة باللون والحركة والنعمة والكلام والوصف والحوار والموسيقى لإبراز صورة من الصور.⁽¹⁾
- المرأة هي أنثى الانسان البالغة، كما أن الرجل هو ذكر الانسان البالغ وتستخدم كلمة امرأة لتمييز الفرق الحيوي (البيولوجي) بين أفراد الجنسين أو تمييز الدور الاجتماعي بين المرأة والرجل في الثقافات المختلفة والمرأة هي أنثى الانسان البالغة وهي بناء متكامل يمكن أن يكون كل البناء تم بناؤه على أسس صحيحة ولها دور فعال في مسيرة الحياة فالمرأة المدرسة التي يتلقى فيها الأجيال دروس الحياة ويتأثر بها
صورة المرأة:

هي تلك الصورة أو القضايا التي تنشأ عن المواقف المتعارضة الوصف من المرأة ومن دورها الاجتماعي والانساني والتفاعلي مع الآخر أو العلاقة معها والتعامل مع وجودها وطبيعة دورها سلبا وإيجابا.⁽²⁾

الإعلان اصطلاحاً

هو أحد الأشكال غير الشخصية لترويج المبيعات ويستخدم مجموعة الوسائل الإعلانية الرئيسية كالصحف بنوعيتها (الجرائد، والمجلات) الإذاعة بنوعيتها (الراديو، التلفزيون السينما والملصقات وإعلانات الطرق واللافتات المضئية والإعلانات في وسائل نقل الركاب والبريد المباشر. ومن أكثر التعاريف شيوعاً واستخداماً التعريف الذي قدمته دائرة المعارف الفرنسية بأن الإعلان هو مجموعة الوسائل المستخدمة لتعريف الجمهور بمنشأة تجارية أو صناعية واقناعه بامتياز منتجاتها، أو هو أداة لبيع الأفكار أو السلع أو الخدمات المجموعة من الناس ويستخدم ذلك مساحات من الملصقات أو الصحف مقابل أجر معين والإعلان هو اتصال غير شخصي يدفع المنتج ثمناً محدداً في وسائل الإعلام والاتصال المختلفة، يقوم المعلن من خلاله بالتعريف بمؤسسة ما، أو الترويج بمختلف الأفكار والسلع أو الخدمات أو تبني الأفكار المعلن عنها.⁽³⁾

الإعلان التلفزيوني :

هو عبارة عن مجموعة من الرسائل الفنية المتنوعة المستخدمة خلال الوقت المباع من قبل التلفزيون لتقديمها وعرضها إلى الجمهور، من أجل تعريفه بسلعة أو خدمة من ناحية الشكل أو المضمون، بهدف التأثير على سلوكه الاستهلاكي وميوله وقيمه ومعلوماته وسائر المقومات الثقافية الأخرى وبعبارة أخرى، فالإعلان التلفزيوني هو فن جذب انتباه الجمهور بالتركيز على الجوانب الإيجابية للسلعة، بهدف تحفيز الجمهور المستهدف للشراء أو اتخاذ رد فعل قد يكون متوقفاً من طرف المعلن، وذلك من أجل بناء صورة ذهنية جيدة عنه وعن سلعته في أن واحد.⁽⁴⁾

القنوات الفضائية اصطلاحاً :

هي المحطات التي تبث إرسالها عبر الأقمار الصناعية لكي يتجاوز هذا الإرسال نطاق الحدود الجغرافية لدولة الإرسال حيث يمكن استقباله في دول ومناطق أخرى عبر أجهزة خاصة بالاستقبال والتقاط الإشارات الوافدة من القمر الصناعي ويمكن التقاط بثها التلفزيوني في مناطق عديدة عبر أجهزة الاستقبال والأطباق اللاقطة و هي تلك القنوات الفضائية الناطقة باللغة العربية غير مشفرة والمملوكة برأسمال عربي، سواء كان حكومياً أم خاصاً، والموجهة للمتلقى العربي حيثما كان، التي يمكن النقط بنها من خلال القمرين العربيين عرب سات ونايل سات.

أما عن صورة المرأة في إعلانات القنوات الفضائية فهي ما تعكسه شخصية المرأة الظاهرة في الإعلان التلفزيوني من هيئة شكلية وموضوعية، تميز جنسها وجنسيته ولغتها وشكلها وأدوارها الإعلانية وسماتها الشخصية، بالإضافة السلوكيات والتصرفات والانفعالات المختلفة التي تصدر عنها.⁽⁵⁾

نشأ القنوات الفضائية العربية :

تعد الفضائيات العربية تجسيدا للنواحي العربي في العصر الحالي، والذي أصبح فيه الفضاء مفتوحا لإطلاق قنوات فضائية جديدة كل يوم ومسرحا لمنافسة اعلامية ضارية بين تلك القنوات، والتي هي في الواقع منافسة بين دول العالم لإثبات وجودها على المساحة الدولية وفي الفضاء الخارجي " ويرجع تاريخ الفضائيات العربية إلى أواخر عام 1990 م والذي شهد انطلاق أول قناة فضائية عربية وهي " القناة الفضائية المصرية الأولى " والتي بدأ بثها في 22 ديسمبر 1990 م..... والتي كانت البداية نحو انطلاق قنوات فضائية عربية عديدة ومتنوعة، سواءا كانت قنوات حكومية أم قنوات خاصة.... بل إن الملفت للنظر هو تزايد عدد القنوات الفضائية العربية بوضوح في السنوات الأخيرة.... فبعد أن كان عددها يقدر بعشرين قناة في منتصف التسعينات، تجاوز عددها الآن المائة بكثير، الأمر الذي أدى إلى زيادة حدة المنافسة بين الفضائيات العربية، أم بين الفضائيات العربية و الفضائيات الأجنبية.

لغة البث : ثبت معظم الفضائيات العربية باللغة العربية 81 قناة، في حين لبث بعض القنوات جزءا من برامجها باللغة الانجليزية 40 قناة، واللغة الفرنسية 11 قناة، وبعض اللغات الأخرى كالإسبانية والهندية و الفارسية تبث قناة النيل الدولية المصرية باللغات الانجليزية، الفرنسية، العبرية، الإنتاج : تعتمد أغلب الفضائيات العربية على الإنتاج المحلي للبرامج بنسبة تتراوح بين 30 % و 70 % أما البرامج الأجنبية المستوردة فتتراوح نسبتها بين 1 % و 60 % من جملة البرامج التي تستوردها هذه القنوات اما عن نظام البث فأت 78 قناة تقريبا بنظام البث المفتوح، في حين تبث 59 قناة تقريبا بنظام البث التغطية الجغرافية و يغطي بث القنوات الفضائية العربية أساسا المنطقة العربية، وجزء كبير منها يغطي مناطق شاسعة من أوروبا، بينما يغطي عدد محدود منها من هذه القنوات أمريكا وأستراليا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية وأجزاء من آسيا. (6)

و للحديث عن الفضائيات، لا بد من التطرق إلى وجهين متناقضين لها، الوجه المتعلق بالسلبيات، والآخر المتعلق بالإيجابيات، فقد فتحت آفاقا رحبة زادت من رصيد المعرفة الانسانية الواسعة والاطلاع عن كثر على العالم، لمن تجاوزوا الوقوع في مخاطرها وفهم كيفية التعامل معها لجني الأرباح منها دون تكبد الخسائر، ومن هذه الإيجابيات المساعدة في تحقيق التنمية والتعليم وسرعة إيصال المعلومات إلى المناطق النائية والمعزولة، عن طريق التلقي المباشر من الأقمار الصناعية التي تسبح في ذلك السماء، والتي تجاوزت جميع الحدود، ودخلت المنازل دون استئذان ناقلة العالم بين يدي المستخدم بكل ما فيه والاطلاع المباشر عليه وساهمت الفضائيات العربية في ربط المغتربين العرب عموما بوطنهم الكبير وتحمل مواد اعلامية ذات فائدة كبيرة للمشاهد، منها القنوات التعليمية التي توفر حصص مجانية في مختلف العلوم (7) والقنوات الثقافية التي تعرض الندوات والحلقات النقاشية المثمرة، إضافة إلى مواقع نقل الأخبار الهامة من سياسية، واجتماعية وثقافية واقتصادية ومن قلب الحدث، وبأقصى سرعة، وما تعرضه بعض القنوات من

دراما هادفة للمواطن المستخدم تساهم في تماسك الأسرة العربية و وجود الفضائيات الدينية التراثية الهادفة التي تركز اهتمامها على التراث العربي وتطرح له المقومات الأساسية للمحافظة عليه، وتقف ضد مما تطرحه القنوات العادية التشويه التراث العربي والاسلامي.

ومقابل إيجابيات الفضائيات لمة العديد من السلبيات منها أن الفضائيات تعد من الأذرع الرئيسية للعولمة لذا تسعى ايديولوجيتها إلى إسقاط الارتباطات العالمية والوطنية والدينية والقومية والثقافية والطبقية للإنسان بغية ربطه بالتكنولوجيا والحياة الجديدة التي تصنعها الأجيال المتعاقبة في تطوراتها المختلفة و إن كثرة البرامج الوافدة من الفضاء سترنغم أفراد الأسرة على الجلوس ساعات طويلة لمشاهدتها، مما يؤدي إلى تقليل التفاعل الاجتماعي بين أفراد الأسرة وإن الفضائيات تساعد على تغيير الإرث القيمي واستبدال الأفكار والقيم المستوردة عليه، التي قد لا تتوافق مع التراث العربي والاسلامي و ارتباط جميع سكان الأرض بالصحن الفضائية وبالقنوات ذاتها الموجودة في كل أنحاء العالم، والموجهة الجمهور عالمي معلوم وليس للجمهور المحلي وإن اعتماد الأقطار العربية على وكالات الأخبار الأجنبية، التي تعتمد إلى صياغة الأخبار بشكل يحقق ما تسعى إليه الدوائر الغربية من تشويه المواقف الانسان واتجاهاته، وبذلك أصبحنا مستهلكين لأخبارهم وأفكارهم وعاداتهم وتقاليدهم.⁽⁸⁾

و إن استنساخ برامج اللهو والاثارة غير المألوفة التي جربتها التلفزيونات الغربية في اطار ما يسمى برامج التصوير الواقعي أو تلفزيون الواقع، أوقعت العديد من المحطات الفضائية العربية في فخ المحذور أخلاقيا وقيمي عن طريق تلك البرامج و تسابق الفضائيات العربية على ارضاء الجمهور العربي خاصة فئة الشباب واحتدابه بأي وسيلة ليث المواد التي تتعارض مع التنشئة الاجتماعية العربية خاصة البرامج التي تثير الغرائز الجنسية والغريزية ونشر ثقافة العنف بسبب المواد المعروضة في الفضائيات، التي تؤثر بشكل كبير في المشاهد، خاصة الأفراد المنهمكين في مشاهدة أفلام العنف ومن نظريات التأثير التي اعتمدنا عليها هي نظرية الغرس الثقافي.

نشأ الاعلانات

تستطيع القول أن معرفة الإنسان بالإعلان بدأت منذ أن عرف كيف ينتج السلع التي تسد حاجاته من الغذاء، حيث كان يعرض في الأسواق مجموعة السلع التي يحتاجها لبيعها يسلع أخرى وبشكل تبادلي مع الآخرين، ثم أن الإعلان لم يكن حديث العهد بل يرجع تاريخه إلى العصور القديمة وهو في كل مرحلة من مراحل تطوره الآتية يعبر عن الفترة التي يعيشها بكل ظروفها البيئية والثقافية والاجتماعية.⁽⁹⁾

و يمثل الإعلان التلفزيوني مجموعة من المعلومات والبيانات المرتبطة بالسلعة المعلن عنها ضمن البرامج التلفزيونية المختلفة بغرض ترويجها وتسويقها، ويتميز هذا الأخير بمجموعة من الخصائص حيث يعتبر الإعلان التلفزيوني بمثابة عملية اتصال جماهيري، يتميز بضمان انتشاره ووصوله إلى أعداد كبيرة من الجمهور في نفس الوقت، كما يتميز

أيضا باتساع مدته الزمنية، وهذا ما يوضحه انتشار الإعلانات في مختلف الفترات الصباحية والمسائية، مما يؤدي إلى جعله رسالة جماهيرية و يعتبر الإعلان التلفزيوني عملية اتصال غير شخصي للمعلومات الخاصة بالسلع، فهو رسالة اتصال غير مباشرة، بمعنى اكتساب المعلومات من المرسل إلى الجمهور تتم بدون مواجهة مباشرة، إلا أن المسألة لا تتوقف هنا، والأهم من ذلك هو اقتناع الجمهور وإقباله على استعمال السلعة، لأن هدف المعلن لا ينحصر في مجرد إخبار الجمهور عن السلعة فقط، بل الحصول على الموارد المالية أيضاً و أن التلفزيون يتطلب توظيف مجموعة من الحواس تتمثل خاصة في السمع والبصر، فإن هاتين الأخيرتين تتطلبان من المشاهد تركيز انتباهه الكامل من أجل تدعيم وتثبيت الفكرة الإعلانية في ذهنه على خلاف الإذاعة.

و التركيز على التفاصيل البصرية للسلع والمنتجات (استخدام الديكورات والملابس) يساعد على جذب انتباه المستهلك وشراء وتحريب السلعة ومخاطبة الأسرة، فنقديم الإعلان من خلال التلفزيون يضمن له الانتقال إلى أفراد العائلة كمشاهدين له بكافة أعمارهم ومستوياتهم التعليمية المختلفة و يعتبر تكرار الإعلان في التلفزيون عنصراً هاماً جداً، مما يساعد على تعرض أكبر عدد ممكن من المشاهدين وتذكرهم لمضمونه، إلا أن هذا يتطلب دراسة للمتغيرات المختلفة لهذه الوسيلة، حتى لا يتحول الإعلان عن السلعة إلى عنصر منفر للمشاهدين، لأن الإعلان يستهدف جذب الانتباه وإثارة الاهتمام والإقناع وخلق نية الشراء.⁽¹⁰⁾

ويمكن تقسيم الإعلان التلفزيوني على النحو التالي : (11)

1_ من حيث طريقة عرض الإعلان :

● الإعلان المباشر **straight announcement** : في هذا النوع من الإعلان التلفزيوني يقتصر على ظهور شخص وهو يتكلم إلى المشاهدين مباشرة عن سلعة معينة (و غالباً يدو وهو يحمل عينة من تلك السلعة) وهذا النوع من الإعلان تتوقف فاعليته على جاذبية الشخص الذي يقرأ الإعلان و ملائمة وسهولة الرسالة الإعلانية ويتميز الإعلان المباشر بقلة النفقات اللازمة لإخراجه حيث يقتصر الأمر في شخص واحد وديكور بسيط يظهر فيه.

● العرض **iondemonstrat** : وهذا النوع يعتمد على عرض السلعة أو الخدمة في أي من المواقف المختلفة التي سبق استعراضها (السلعة ذاتها في الاستخدام، فوائد استخدام السلعة، أو عيوب و متاعب عدم استخدامها) وفكرة العرض في الإعلان التلفزيوني تقابل استخدام الصور و الرسوم في الإعلان الصحفي وعادة يتم تسجيل الأفلام الإعلانية التي تستخدم أسلوب العرض قبل عرضها حتى تتاح الفرصة للإتقان في عرض السلعة وتفادي أي مواقف طارئة فقد يحدث أثناء عرض ثلاجة كهربائية أن لا يفتح باب الثلاجة مما يؤدي إلى افساد الهدف من الإعلان بل و الإساءة إلى السلعة، لذلك يستحسن إعداد تلك الإعلانات وتسجيلها قبل العرض للمشاهدين ."

- الإعلان من خلال شهادة احدى الشخصيات **testimonia** : في هذا النوع من الإعلانات التلفزيونية يعتمد مصمم الإعلان على ابراز شخصية معروفة وهي تستعمل السلعة أو تدعو إلى استعمالها.
- الإعلانات الدرامية **dramatisation** : في هذه الإعلانات يعتمد المعلن إلى ابراز فكرته الإعلانية من خلال عرض قصة درامية توضح الفرق بين حالة شخص مثلاً قبل وبعد استعمال السلعة ومدى الفائدة التي تعود عليه من جراء هذا الاستعمال وهذا الأسلوب أكثر اثاراً للاهتمام وأقدرها على احداث التأثير المطلوب بشرط حسن اختيار الأشخاص الذين يمثلون أدوار القصة وحبكة الموضوع ومدى تماسكه من الناحية الفنية.
- الإعلانات التسجيلية **documentary** : وهي الإعلانات التي تعتمد في تأكيد رسالتها الإعلانية على عرض مستندات وسجلات توضيح بيانات أو معلومات متعلقة بالسلعة مثل تقارير طبية أو شهادات التقدير التي حصلت عليها السلعة. (12)
- الإعلانات الحوارية **dialogue** يعتمد هذا الإعلان على حوار بين شخصين أو أكثر حول سلعة ومميزاتها وأماكن بيعها وأهم خصائصها ودواعي استخدامها ومعلومات كثيرة عن السلعة مما يجذب انتباه المشاهدين وتساهم في اقناعهم مما يدفعه إلى اتخاذ قرار الشراء ويتوقف نجاح هذا الإعلان على سلامة الحوار والصياغة الجيدة وأداء المتحاورين الجيد ومدى مصداقيتهم في أدائها " .
- الإعلان التذكيري **reminder** : وهو تذكير الجمهور دائماً بالسلع والأفكار المعروفة وذلك لتثبيت السلعة في ذهن المشاهد وخلق رابطة قوية بينهم " .
- إعلانات الرسوم المتحركة **cartoon** : من الأساليب الإعلانية التلفزيونية الشائعة استخدام الرسوم المتحركة التي تعتمد على تصوير الشخصيات المختلفة أما في صورة حيوانات آدميين ولكن بطريقة فكاهية لطيفة، وإعلانات الرسوم المتحركة لا تمثل نوعاً مختلفاً من الإعلان التلفزيوني، بل هي أسلوب من الأساليب المتعددة التي يستخدمها المعلن للتعبير عن الأفكار الإعلانية المتباينة، من ضمن الأساليب الفنية المستخدمة أسلوب تحريك السلعة نفسها وإظهارها وكأنها تمشي أو تطير وتعتمد تلك الخدع التصويرية على تصوير السلعة في أول مرة ثم تحرك من موضعها وتصور مرة أخرى وهكذا (13)، والنتيجة أنه عند عرض الصور المختلفة في تتابع سريع تظهر السلعة وكأنها متحركة وحديثاً يمكن الحصول على مثل هذه الحركات عن طريق استعمال أجهزة المونتاج والمؤثرات الرقمية والتي تستخدم ضمن أجهزة النظام التلفزيوني الحديث.

٢_ من حيث طريقة شراء الوقت الاعلاني : (14)

● القيام بتمويل برامج تلفزيونية كاملة : وفيها يقوم المعلن بالإعلان عن سلعة خلال فترة عرض البرنامج أو حتى قبل أو بعد عرض البرنامج ومثال ذلك نرى أن شركة ما تقوم بتمويل كأس العالم ثم استخدام حق بث إعلاناتها فقط قبل وخلال عرض هذه البطولة.

● مشاركة أكثر من معلن في عملية شراء وقت الإعلان عن منتجاتهم مما يؤدي إلى تخفيض التكاليف بينهم عن طريق قسمة الوقت المشتري على عدد المعلنين.

● الإعلان الفردي : وذلك عن طريق قيام المعلن بشراء وقت الإعلان عن منتجاته بحيث يتم توزيع ذلك الوقت على عدد الإعلانات لنفس السلعة على مدار فترة الإرسال.

٣_ من حيث النطاق الجغرافي :

● الإعلان المحلي : وهو الإعلان الذي يقتصر جمهوره على سكان منطقة

محددة يهمهم وجود مثل هذه السلع لذلك يتم الإعلان إليهم كجمهور مستهدف

● الإعلان الوطني : ويكون نطاق هذا النوع من الإعلان على مساحة جغرافية تغطي بلد البلدان.

● الإعلان الدولي : ويعالج هذا النوع من الإعلان السلع التي يتم توزيعها على نطاق دولي وذات ماركات عالمية.

وللرسالة الإعلانية عناصر عدة تشترك في توصيل الفكرة الرئيسية للمتلقى ومن أهم تلك العناصر (الصورة، العنوان، الشعار، التصميم العام، النفس، المساحة والزمن، الألوان المستخدمة، موقع الإعلان، استخدام الرسوم المتحركة، استخدام المشاهير) وذلك عن طريق مشاركة كل عنصر منها بتقديم المعلومة بشكل مختلف بدعم تلك الفكرة، وهو ما يتفق مع الفروض الأساسية لنظرية تمثيل المعلومات، حيث أن هناك تعميم يقول كلما زادت المعلومات لدى القارئ كان فهمه للنص أفضل، وما يفسر ذلك أنه يمكن النظر إلى المعرفة بوصفها تجميع منظماً للمعلومات الجيدة والتي قد يتم جمعها عن طريق القراءة ويمكن أن يتم تمثيلها بدرجة أفضل عندما تكون البنية المعرفية والمعلومات المتوافرة متاحة بالفعل. (15)

و يلعب العنوان دورا بارزا في تحقيق تذكر الإعلان إلى جانب جذب الانتباه وإثارة الاهتمام، وخاصة إذا كان العنوان يتكون من كلمة واحدة أو كلمتين فقط، خاصة إذا كانت الكلمة واحدة كبيرة ومطبوعة بلون مختلف و يتكون من عدد قليل من الكلمات إلى جانب كبر حجمه بالإضافة إلى وجود علامة مميزة في هذا العنوان وعندما يتخذ شكل الاستفهام حيث أن الأسلوب الاستفهامي يتميز بقدرة كبيرة على جذب الانتباه وإثارة الاهتمام وإن العنوان يعد من أكثر العناصر المسببة للتذكر، خاصة عندما يكون حجم الحرف المستخدم على الشاشة كبيراً، أو استخدم فيه أسلوب مميز كالاستفهام، التعجب كما أن للتصميم دور كبير في جذب الانتباه للإعلان وإثارة للاهتمام به وبالسلعة وكذلك التذكير وبخاصة

عندما يقدم فكرة مبتكرة ومميزة وغير تقليدية و يقدم شخصية مشهورة لها جاذبية خاصة وعندما يتسم بالبساطة والتناغم والهدوء فعندما يكون متكامل العناصر ومعبرا تماما عن السلعة.

ويتميز النص بدور فعال في اثاره اهتمام القارئ بالإعلان وبالسلعة المعلن عنها وكذلك في فهم المضمون الذي تقدمه الرسالة الإعلانية والإقناع بالحجج المقدمة فيها، وبخاصة عندما يكون هذا النص محدد في نقاط واضحة ومحددة و سهلة القراءة، وبخاصة اذا كان قصيرا وإذا كان النص محددًا وبه كلمات كبيرة الحجم مكتوبة وبنيت كبير تحدد اهتمام القارئ وتعزيز باستكمال القراءة.

وإن التأثير السلبي الذي يمكن أن يأتي كنتيجة طبيعية لضعف النص أو عدم جودته، حيث أن ذلك يؤدي نقص المعلومات التي يروم القارئ في الحصول عليها من الإعلان، ومن ثم عدم فهمه لمضمون الرسالة الإعلانية واقتناعه بها وبخاصة إذا كان هذا النص مكتوبا في بنط صغير الحجم تصعب قراءته، مكتوبا بخط متداخل مع الخلفية بحيث لا يبدو واضحا للناظرين وتصعب قراءته.⁽¹⁶⁾

وإن المساحة الكبيرة تجعل الإعلان يعلق في الذهن و تركزه في الذاكرة وخاصة عندما تحتل صورة السلعة معظم تلك المساحة ويبدو ذلك واضحا بصورة كبيرة عندما يظهر الإعلان في الشاشة بكاملها ويظهر ذلك في الإناث متميزا على الذكور من الشباب ومتوسطي العمر، وتأخذ الإعلانات التلفزيونية وقتا أطول لإنتاجها من أي شكل اعلاني آخر، على الرغم من امكانية سرعة الانتهاء من اخراجها عند الضرورة، إذ أنها تمر عبر سلسلة من المراحل عادة يتم تحريتها إلى ما قبل الإنتاج، والإنتاج، وما بعد الإنتاج.

كما يلعب موقع الإعلان دورا بارزا في التذكر، فكلما كان الإعلان في موقع متميز أو متقدم فإنه يعلق بالذهن لأنه يحظى بتركيز واهتمام المشاهد بحكم الموقع وبحكم وجوده من خلال عرضه مع برامج تلفزيونية لها جمهورها الواسع.⁽¹⁷⁾

وترى أغلب الدراسات أن الإعلان في التلفزيون أفضل ويكون أكثر تأثيرا وحديا للإنتباه لما يبعثه من بحجة في النفس، بشرط تناسق الألوان وتناغم الألوان، حيث يضيف اللون مكانة وأهمية على الرسالة الإعلانية ويحرك التجارة باتجاه الريح. ويعلم المعلنون الذين يستخدمون اللون في إعلاناتهم إن اللون يضيف مزيدا من التأثير على إعلاناتهم فاللون يولد جوا من الإثارة، ويحافظ على قوة جذب عالية للإعلان.

و إن وجود المشاهير في الإعلان يزيد من جاذبيته من ناحية ومن حبه للسلعة ورغبتهم في استعمالها لتقليد هذا المشهور من ناحية أخرى. في بعض الأحيان يمكن أن يصبح استخدام المشاهير في الإعلان عامل سلبي ويسبب ضرر للسلعة، أو على الأقل لا يحقق لها أي اضافة، فلكل فنان طابع يحب المتلقي أن يقلده فيه وليس في كل شيء، وعلى ذلك فإنه من الضروري أن يتم اختيار الفنان بدقة ليناسب السلعة المعلن عنها، وهو شيء غاية في الأهمية، ومن الأفضل أن تقوم بتثبيت هذا التحم بالذات مع السلعة

خلال الحملة الإعلانية كلها وعدم تغييره قدر الإمكان وذلك كي نثبت اسم السلعة في ذاكرة المستهلك من خلال ربطها بهذا التجم. (18)

صورة المرأة في الإعلان التلفزيوني :

إن الإعلانات التلفزيونية قدمت صورة المرأة في عدد من النماذج منها :

● نموذج المرأة التقليدية (التصاق صورة المرأة بالأدوار التقليدية) :

يتكرس الدور التقليدي للمرأة في كونها هي المسئولة عن توفير الحاجيات الاستهلاكية الخاصة بالأسرة مثل مواد : المواد الغذائية، وأكثر وسيلة اعلامية تعج بها أمثلة لهذا النوع هي (التلفزيون) وظهر الدور التقليدي للمرأة كربة بيت تتمثل مسئوليتها في إعداد الطعام وغسل الأواني في العديد من الإعلانات، مثل إعلانات مواد التنظيف مثل كوم فورت، جيف، ديتول وغيرها وإعلانات شركة إنتروود Interwood العالمية في الترويج لمنظفات الغسيل الكيماوية ولأدوات العلبه والتنظيف المنزلية كما ظهرت المرأة التقليدية في إحدى الإعلانات حول أحد المنظفات الكيماوية تظهر الأطفال والرجال وهم يعبتون أثناء رحلة خارجية ليقعوا في حبال الخيمة وتتلطخ ملابسهم بالأوساخ وهنا يأتي دور المرأة الأم والزوجة في إعادة الملابس الوسحة إلى حالتها النظيفة باستخدام أحد المنظفات التي تعمل كالسحر. (19)

● نموذج المرأة الجسد : ربط المرأة بدلالات الجنس والإغراء حيث لوحظ في الآونة الأخيرة ازدياد كم الدعايات والإعلان لشركات كبيرة وصغيرة لاستخدامها للمرأة كنموذج للحسد في وسائل إعلامنا بشكل لافت للنظر، وقد يكون هذا أحد نتائج العولمة الاقتصادية والثقافية، فقامت الشركات بالترويج لسلعها بدعايات وإعلانات شبيهة بتلك التي روج لها في الغرب في بلداننا العربية وتحمل نفس الإيحاءات، وهنا نحب أن ننوه أن مثل هذه الشركات وحدات مرتعا خصبا حيث لا رقيب ولا ضوابط تحد من تبجحها يوما بعد يوم وهي تروج لتعميم ممارسات وسلوكيات دخيلة في المجتمعات المتلقية عبر وسائل الإعلام. يلاحظ شيوع استخدام المرأة كجسد في الإعلان في الآونة الأخيرة عن السيارات العادية الرياضية، المواد الصحية الخاصة بالرجال، والأدوات الرياضية، وغيرها وهنا تلاحظ أن المعلمين عادة ما يسعون إلى تكوين صورة ذهنية للمنتج ملتصقة بصور الإغراء والفتنة التي تنبعث من الأثنى المصاحبة للمنتج ولا بد لنا من ذكر الإعلان السيئ حول مكيفات الهواء من طراز LG الذي يمثل نموذجا صارحا لإستغلال المرأة في الإعلانات أما إعلان معجون الحلاقة الذي ظهر فيه مشهد لعلامات الرضا والإبتهاج واضحة على الرجل يليه مشهد لأثنى بملابس النوم تحتضنه وراضية عنه وهذا بالفعل هو الاستغلال الصورة المرأة كمصدر للإغراء والفتنة للرجل الذي يرى في استخدامه لهذا النوع من معجون الحلاقة وسيلة فعالة للتقرب من المرأة ناهيك عن إعلانات إنتروود Interwood العالمية التي تظهر مشاهد كثيرة للمرأة في إعلانات أدوات المساج والرياضة ومواد

التخسيس، وتقوم المرأة بحركات لا تخلو أبدا من إحياءات جنسية قد لا تفوت على المشاهدة⁽²⁰⁾.

● نموذج المرأة كشيء : لاحظ الباحثون أن الكثير من الإعلانات التلفزيونية ومن خلال ربط صورة المرأة بصورة المنتج أو الخدمة، فإنما تسعى إلى النظر للمرأة على أنها مجرد (شيء) يتم تحريده ليس فقط من إنسانيته من خلال التركيز عليها كأثى، وإنما من خلال حرمانها من أية سلطة يعتد بها، وهي بهذا تغدو كالبضاعة التي يتم الترويج ولا شك أن هذا النموذج يقدم المرأة كمخلوق " شكل "، مجرد من إنسانيته و مشاعره وعواطفه وقدراته العقلية والذهنية، ومن هنا جاء مفهوم النشبة ليصف هذه الظاهرة المرضية التي بدأت تستشري في أوصال المجتمع بتغذية وتشجيع من وسائل الإعلام.

● نموذج المرأة السطحية : تقدم الإعلانات التجارية المقروءة والمرئية نموذج المرأة السطحية التي لا هم لها إلا الموضة والأزياء ومواد التحميل وتفقر للطاقت العقلية والفكرية المتطورة التي تحول دون مشاركتها الحادة في الحياة العامة. تلاحظ تركيز الإعلانات على العطور وأدوات الزينة والملابس الفاخرة وتقديمها على أنها تمثل قمة اهتمامات " المرأة العصرية " وتتشارك هذه الإعلانات في طرح فكرة تقول بأن هذه المنتجات التجميلية والأزياء هي مصدر السعادة للمرأة وللأسرة، وهو ما يطرح استهجانا قويا من تلك السعادة لأسرية المستندة لقواعد مادية هشة ويتحلى هذا النموذج متجسدا أيضا في تقديم الإعلانات العربية للمرأة الحضرية التي تملك الموارد المادية لحياة رغيدة، وهي من هذا المنطلق تتم بأخبار الأزياء والتقليعات المتجددة، وهذا النموذج ليس مقتصرًا على المحطات الفضائية، بل نراه في الصحف والمجلات التي تحرص دائما على التركيز على المرأة المهتمة بجمالها وأناقته كنوع من كسب احترام الذات واهتمام الآخرين.⁽²¹⁾

و للإعلانات الكثير من التأثيرات السلبية والعديد من الأضرار هي زرع وتعزيز نزعة الاستهلاك، إن الإعلانات لها جانب سلبي كبير على المستوى الاقتصادي للأسرة والمرأة، حيث تعزز هذه الإعلانات نزعة الاستهلاك على حساب الإنتاج والاهتمام بالأطفال وتطوير وتنمية أنفسهم في المجالات الثقافية والاجتماعية والعلمية، مما يهدد وضع الدولة بشكل عام ويصفاها ضمن مصاف الدول المستهلكة لا الدول المنتجة فلإعلانات المتلاحقة حول المهرجانات والسعي وراء الملايين وشراء آخر صيحات الموضة ومواد التجميل يسهم في ترسيخ أنماط من التفكير والسلوك الاستهلاكي، الذي يتمي اتجاهات ذهنية وفكرية وعاطفية بعيدة عن قضايا الواقع المعاش، كما تحول الإعلانات المرأة إلى امرأة سطحية في تفكيرها وتعاطيها مع الواقع واحداثه وهي غير قادرة على تحقيق التغيير فيه، لأن أولوياتها باتت مرتبطة بأنماط من السلوك الاستهلاكي الذي ينمي الفردية والأنانية وحب الذات كوسائل للوصول إلى السعادة المرجوة.

بالإضافة الى تكوين قدوة سيئة للمراهقات حيث تنبعث من الإعلانات التي تبث في وسائل الإعلام المختلفة بعض الإشارات التي لها العديد من التبعات السلبية لكونها تقدم نماذج يحتذى بها للجمهور، ففي كثير من الدراسات التي أجريت حول تأثير النماذج الإعلامية في سلوكيات الأفراد، تبين أن الأطفال والشباب المراهقين عادة ما يجدون ضالتهم المنشودة فيما تقدمه لهم وسائل الإعلام، وبخاصة التلفزيون من شخصيات يتقمصون حركاتها وأشكالها ولباسها وطرق حديثها فعندما تقدم وسائل الإعلام المرأة كموضوع للإغراء الجنسي في الإعلانات أو في الصور الفوتوغرافية أو في الانترنت أو في أشكال المذيعات أو في المسلسلات التلفزيونية، فإنها تسهم في ترسيخ مفاهيم وممارسات في أوساط الفتيات تؤكد على الرؤية الذاتية غير السوية فالفتاة التي تنشأ لترى في نفسها حسدا لإغراء الآخرين وجذبهم وشد انتباههم ستغدو أداة هدم وليس بناء في المجتمع ويكتسب هذا الأمر أهمية كبرى حينما ندرك أن وسائل الإعلام باتت تمثل أكثر المؤسسات الاجتماعية تأثيرا حيث تنافس مؤسسة الأسرة والمؤسسات الاجتماعية و الثقافية في الاستحواذ على قلوب وعقول الشباب.(22)

بالإضافة الى طمس المضامين والاهتمام بالقشور، لقد أصبحت الإعلانات وسيلة سهلة لتحويل الفكر عن الموضوعات الجوهرية التي تهتم الأمة الاسلامية إلى التفكير بموضوعات تافهة سطحية وتنويمها.

و إن مخاطر الإعلانات هنا تتمثل في كونها تحول نظر المرأة عن مسؤوليتها الحقيقية، فعلى المرأة مسؤولية اتحاد - نفسها : الإلتزام بقواعد الدين وأخلاقه، وعدم التبرج والسعي للتعليم الديني والديني واختيار شريك لحياتها ذو خلق و دين أسرتها اي صيانة الدين والعرض، حسن معاشره الزوج و حفظ غيبته، حسن تربية الأولاد، مسؤولية تدبير المنزل، و حسن الجوار مجتمعها بطلب العلم الشرعي والدعوة وتنشئة جيل يسهم في خدمة المجتمع الإسلامي وخلق مشكلات اجتماعية أسرية، إن تشجيع نزعة الاستهلاك لدى المرأة من خلال الإعلانات سيؤدي إلى استنزاف موارد للأسرة وتوجيهها نحو الاستهلاك مما يتقل كاهل الموارد المالية للأسرة و يجعلها تقع تحت طائلة المديونية.(23)

وقد وجد الكثير من الباحثين أن الكثير من المشاكل الأسرية تأتي نتيجة عدم كفاية الموارد المالية المتاحة حيث يضطر أفراد الأسرة، وتحت ضغوط الإعلانات إلى الاستدانة. ومن دوافع امتهان المرأة في الإعلان التلفزيوني هو الجهل وانخفاض مستوى الوعي الثقافي لدى الفتيات، ان انخفاض مستوى الثقافة لدى الفتيات له كثير من الانعكاسات السلبية على سلوك وتصرفات وقرارات الفتيات، فنرى أن انعدام الرؤية الواضحة لفلسفة الحياة يؤدي إلى الانزلاق في هوة الاختيارات الخاطئة، والأخطر من ذلك هو تدني الوعي الديني لدى الفتيات، وأسباب ذلك عديدة منها العربية في البيت، المنهج التعليمي في المدرسة، أصدقاء السوء وغيرها.

وايضاً الفقر كما هو معلوم أن شعوب الدول العربية بشكل عام فقيرة - ما عدا بعض الدول - مما يجبر الفتيات على بيع أجسادهن للحصول على فوقين كذلك بالنسبة للفتيات العربيات المقيمات في دول عربية أخرى ترى نفسها مضطرة لامتهان هذا النوع من الأعمال نظراً لسهولته ولا يتطلب شهادات وله مردود جيد.⁽²⁴⁾

ولقد لعب الإعلام دوراً فاعلاً في تكوين وزرع قيمة (أن الغرب يعني الحضارة) وأن كل ما يفعل في الغرب هو حر بالتقليد للوصول إلى ما وصلوا إليه و إن الفتاة المراهقة تعاني من مشكلة ثقافية وهي جهلها بفلسفة الحياة وقلة اطلاعها على القضايا الفكرية والثقافية، التي تشكل المنطلقات في حياتها الشخصية والاجتماعية و سطحية مستواها من النواحي العلمية الأخرى، ولكنها تمتاز بدرجة كبيرة من الفضول العلمي وحب التجريب، مما يجعلها لقمة سائغة.

وكثير من النساء الشهيرات ظهرت في بداية حياتهن الفنية في اعلان، وهكذا أصبح الإعلان (أول خطوة في مشوار الألف ميل) بالنسبة للمساعيات خلف الشهرة و للأسف الشديد أن الغالبية العظمى من وكالات الإعلان المحلية والعربية ليست على مستوى عالي من الاحتراف، فالتقليد هو المبدأ والأساس، بعض النظر عن ماهية المنتج أو الخدمة أو الفكرة المعلن عنها، أما الإعلانات التي توكل إلى المؤسسات اعلان أجنبية تنجح في توظيف فكرة الإعلان الخدمة المنتج أو الخدمة أو الفكرة المعلن عنها، فوكالات الإعلان ترى من السهولة بمكان تقليد اعلان ظهر قبل مدة في الشرق أو الغرب اعتمد على تمايل الفتيات فيه وتقليده.⁽²⁵⁾

الاطار العملي

لجأ الباحث الى اختيار برنامج صباح الخير يامصر الذي يعرض على MBC DRAMA، وهو برنامج صباحي يومي، يقوم بمناقشة المشاكل الاجتماعية، ويعرض الكثير من الفقرات كالأومومة، والصحة، والجمال، والفن، والسفر، ومشاكل المجتمع. وهو برنامج يعرض من السبت الى الأربعاء لمدة ساعتين من العاشرة وحتى الثانية عشر، وقد رأت الباحثات ضرورة دراسة الإعلانات التي تبث في هذا البرنامج نظراً لجمهوره العريض، وشهرته وبالتالي تعرض العديد للإعلانات التي تنقل خلال بث هذا البرنامج. اما عينة الدراسة فبدأ بالتحليل منذ نهاية شهر تشرين الثاني الى 19 من كانون الأول لعام 2017 أي بمعدل 20 حلقة، أي ما يزيد عن 40 ساعة تلفزيونية عدا الإعلانات. أداة الدراسة : أداة علمية من اعتمدت الباحثة أداة تحليل المضمون لكونها الأنسب في مثل هذه البحوث، وهي أدوات المنهج الوصفي لإستخراج نتائج رقمية محددة، بغية الحصول على إجابات دقيقة عن أسئلة الدراسة و تحديد فئات ووحدات التحليل تحديد فئات التحليل : تعتبر خطوة فئات التحليل ضرورة منهجية يستدعيها أسلوب تحليل المحتوى، وهي عملية تهتم بتحويل الكل الى أجزاء او خصائص او مواصفات، وعادة ما تكون هذه الفئات ضمن كيف قيل وماذا قيل.

اولا فئة المحتوى (ماذا قيل) النتائج المتعلقة بالسؤال الأول : ما هو نوع الإعلانات التي تظهر فيها المرأة

عينة الدراسة		انواع الاعلان
النسبة المئوية	التكرار	
79.5%	31	اعلانات سلعية
20.5%	8	اعلانات توعية
100%	39	المجموع

بين الجدول أعلاه نوع الإعلانات التي ظهرت بها المرأة وهي كما يلي : فقد ظهرت المرأة في إعلانات السلع بأعلى نسبة وهي 79.5%، بينما ظهرت في إعلانات التوعية بأقل نسبة وهي 20.5% وتشير هذه النتائج إلى استخدام المرأة بشكل أساسي في تسويق المواد باستخدام المرأة كجسد بالإضافة إلى تكريس صورة للمرأة كمستهلكة دائما من خلال ربطها بإعلانات الأطعمة المتعددة ومواد التنظيف والماكياج. أن استخدام المرأة في الإعلانات هو من أجل لفت الانتباه للسلعة.

جدول يبين فئة اللباس التي ظهرت المرأة في إعلانات قناة MBC DRAMA

عينة الدراسة		نوع لباس المرأة
النسبة المئوية	التكرار	
72.8%	43	متبرجة
27.1%	16	حجاب
100%	59	المجموع

تشير نتائج الجدول أعلاه أن المرأة ظهرت باللباس المتبرج 72.8% اي بأكبر نسبة وبالحجاب فقد جاء بأقل نسبة 27.1% وقد ارتبطت هذه النتائج بموضوع الإعلان فالمرأة فيه ظهرت بلباس متبرج، وهذا من أجل إبراز مفاتها وحتى تشد الانتباه للسلعة المعروضة، فكما جاء سابقا أن المرأة تستعمل في الإعلانات من أجل لفت الانتباه للسلعة. وظهور المرأة المحجبة في الإعلانات إنما هو بسبب حضورها في الإعلان بصفتها الجدة أو امرأة كبيرة السن.

ولمعرفة الصورة التي تنقلها MBC DRAMA عن المرأة، وجد ضرورة استخدام فئة المكان التي تظهر فيه المرأة بالإعلان كما في الجدول التالي :

جدول يبين مكان وجود الاعلان التي ظهرت فيه المرأة على قناة MBC DRAMA

عينة الدراسة		اماكن تواجد المرأة
النسبة المئوية	التكرار	
61%	36	البيت
5.1%	3	العمل
15.2%	9	مراكز الترفيه

مراكز تسوق	6	10.2%
غير محددة	5	8.5%
المجموع	59	100%

من خلال الجدول أعلاه يظهر أن الأماكن التي ظهرت فيها المرأة في الإعلانات كانت كالاتي : في البيت بأعلى نسبة 61%، وجاءت مراكز الترفية بنسبة 15.2% وهي بالمرتبة الثانية، وأماكن التسوق بنسبة 10.2% في المرتبة الثالثة، أما غير محددة فقد جاءت في المرتبة الرابعة بنسبة 8.5%، أما في المرتبة الأخيرة فهو العمل بنسبة مئوية 5.1%.

ومن خلال نتائج الجدول يظهر أن القائمين على الإعلان يظهرون المرأة في البيت باعتباره المكان المناسب لها، وهذا أيضا يتناسب مع طبيعة السلعة المروج لها فأغلبها سلع استهلاكية من مواد غذائية، وتبقى المرأة هي الأم أو الزوجة التي تهتم بشؤون البيت وتعد الطعام لزوجها أو تراعي الاحتياجات الغذائية لأبنائها، وهذا هو الدور الرئيسي للمرأة.

ونادرا ما تظهر المرأة وهي في مكان العمل كما أنها تظهر في أماكن للترفيه وغير محددة دون أن تشغل وظائف مهنية.

جدول يبين المهن التي ظهرت فيه المرأة على قناة MBC DRAMA

عينة الدراسة		وظيفة المرأة
النسبة المئوية	التكرار	
67.8%	40	ربة البيت
10.2%	6	المرأة العاملة
22%	13	غير محددة
100%	59	المجموع

يظهر الجدول أعلاه الوظيفة التي شغلتها المرأة في الإعلانات لعينة الدراسة وهي ربة بيت بأعلى نسبة 67.8% أما غير محدد فنسبة 22% بسبب عدم تحديد المكان الذي ظهرت به المرأة، أما المرأة العاملة فكانت بنسبة 10.2% بأخر مرتبة.

و إن ظهور المرأة في الإعلانات داخل المنزل للإعلان عن السلعة ذات الاستخدام المنزلي، وهذا يدل على أن دورها الأساسي كربة بيت، فالإعلانات تقدم المرأة في محيط البيت مع الأسرة تهتم بمواهبها في الطهي وتتنافس مع النساء الأخريات وقد يبدو الأساسي للمرأة لكن لا بد أن لا يتم إغفال دورها في تحسين أوضاع البيت والمجتمع.

ولتبيان الفئات العمرية للنساء التي تظهر في الإعلانات في قناة MBC DRAMA، كما في الجدول التالي:

عينة الدراسة		الفئات العمرية للمرأة
النسبة المئوية	التكرار	
13.6%	8	طفلة (من 4 سنة الى 18 سنة)

شابة (من 18 سنة الى 30 سنة)	38	64.4%
اكبر سناً (من 30 سنة فما فوق)	13	22%
المجموع	59	100%

من خلال الجدول أعلاه يظهر بأن المرأة الشابة كانت نسبة ظهورها في الإعلانات بأعلى نسبة وهي 64.4%، وبعدها الأكبر سناً فكانت بنسبة 22%، في حين أن الطفلة كانت بنسبة 13.6% في المرتبة الأخيرة.

و من خلال نتائج الجدول يتم التركيز على سمات مطلوبة في المرأة تتمثل في المرأة الحاملة، ثقيلة الجفون، طويلة ورشيقة القوام، وهذه صفات المرأة الشابة الناضجة، وباعتبارها الشريحة الأقوى من جمهور الإعلام النسائي، فهي تشكل الحلقة الأقوى (اجتماعيا، اقتصاديا، وإنتاجيا وحتى جنسيا) من جمهور المرأة عموما أي أن المرأة المقدمة في الإعلان يتم اختيارها وفق معايير منها صغر السن فلا بد أن تكون شابة لأنها العنصر المحوري في عملية ترويج السلع، فيتم استخدام الجانب المثير منها في الإعلانات.

أما القوالب المستخدمة في الإعلانات التي تظهر فيها المرأة في قناة MBC DRAMA

عينة الدراسة		قالب عرض الاعلان
النسبة المئوية	التكرار	
38.5%	15	قالب الغناء
20.5%	8	قالب الحوار
18%	7	قالب الحديث المباشر
10.3%	4	قالب الكرتون
12.8%	5	قالب الدرامي
100%	39	المجموع

وهي بينت نتائج الجدول قوالب عرض الإعلانات بالترتيب : القالب الغناء كان بأعلى نسبة 38.5%، وجاء بعدها قالب الحوار بنسبة 20.5%، وبعدها قالب الحديث المباشر بنسبة 18%، والقالب الدرامي بنسبة 12.8%، وأخيرا قالب الكرتون بنسبة 10.3%. و إن استخدام القالب الغنائي كان من أجل إقناع المشاهدين بالسلعة المعروضة فالموسيقى تقوم بتهيئة ذهن المشاهد لمتابعة الإعلان وزيادة الانفعال به كما أنها تساعد على تأكيد الفعل مثل حالة الحزن أو الفرح فهي تعطي عمقا للصورة وهذا لا يعني انه تم إغفال القوالب الأخرى فنجد أن القائم على الإعلانات نوع بين القوالب ولكل إعلان القالب المناسب له وحسب موضوع الإعلان.

النتائج والتوصيات

من خلال الدراسة التحليلية تم التوصل إلى مجموعة من النتائج :

- 1- تستخدم الإعلانات المرأة لجذب المشاهدين ولفت انتباههم للسلعة المعروضة، فهي تظهر بشكل بارز في الإعلانات التجارية ولكن ظهورها كأداة للإغراء و مستهلكة للمنتجات.
- 2- صورة المرأة مشوهة عن واقع المرأة وحقيقة وجودها.
- 3- المرأة المقدمة في الإعلان يتم اختيارها وفق معايير منها صغر السن فلا بد أن تكون شابة لأنها العنصر المحوري في عملية ترويج السلع، فيتم استخدام الجانب المثير منها في الإعلانات.
- 4- تظهر المرأة في الإعلانات بلباس متبرج، وهذا من أجل إبراز مفاتها وحتى تشد الانتباه للسلعة المعروضة، فكما جاء سابقا أن المرأة تستعمل في الإعلانات من أجل لفت الانتباه للسلعة.
- 5- يظهر القائمين على الإعلان المرأة في البيت باعتباره المكان المناسب لها، وهذا أيضا يتناسب مع طبيعة نوع السلعة المروج لها فأغلبها سلع استهلاكية من مواد غذائية، وتبقى المرأة هي الأم أو الزوجة التي تهتم بشؤون البيت وتعد الطعام لزوجها أو تراعي الاحتياجات الغذائية لأبنائها، وهذا هو الدور الرئيسي للمرأة.
- 6- تظهر المرأة في الإعلانات بصفاتها الأم أو الزوجة، وهذه الصفات تمثل دور المرأة الأساسي، فهي الأم التي تربي الأجيال وتعد الأبطال، وهي الزوجة الصالحة التي تهتم بشؤون البيت.
- 7- جاء قالب الغناء بأعلى نسبة في عرض إعلانات المقدمة للمرأة من أجل التأثير في المتلقي من خلال الموسيقى التي تجعله يتابع الإعلان إلى نهايته.
- 8- من خلال الإجابات السابقة فإن قناة **MBC DRAMA** تظهر المرأة في كافة اعلاناتها، حتى تلك التي لا تتعلق بها، اما لأغراض سلعية للترويج و الاغراء بالمقام الأول، ودلت الباحثات على ذلك باستخدام القناة للنساء في عمر العشرينات للاعلانات السلعية بشكل مكثف.
- 9- أثبتت فرضية الدراسة التي تنص على أن الصورة التي تظهر فيها المرأة في إعلانات **MBC DRAMA** صورة سلعية.
- 10- ويثبت الفرضية الثانية من البحث والتي تنص على تستخدم قناة **MBC DRAMA** المرأة لكافة اعلاناتها لأهداف ترويجية سلعية
- 11- بينت نتائج الدراسة أن قناة **MBC DRAMA** تظهر المرأة في المطبخ وكربة منزل في اكثر من اعلاناتها، وظهور المرأة في الإعلانات السلعية بشكل عام يعزز مفهوم أنها كائن مستهلك.
- 12- ويثبت الفرضية الثالثة من البحث والتي تنص على تعزز قناة **MBC DRAMA** من صورة المرأة النمطية التي تنتقص من قيمتها الفعلية.

التوصيات :

1- إن الصور النمطية للمرأة، والتي يروج لها الإعلان وهي كغيرها من القنوات الأخرى هي مسيئة ومهينة للمرأة كإنسان كامل يشكل نصف المجتمع، ولذا نوصي الباحثين إلى إعطاء الصورة الصحيحة حول المرأة العربية في إعلانات القنوات الفضائية.

2- استعملت المرأة العربية كوسيلة لبيع المنتجات والترويج للسلع، وقد وظفت للفت الانتباه للسلعة، دون النظر لإمكاناتها الفكرية الهائلة، وأن تنحصر اهتماماتها بالطبخ بمختلف أنواعه ومساحيق التنظيف أو مستحضرات التجميل وتعرض عبر مئات القنوات التلفزيونية ك (موديل) بمعايير خاصة، ولذا نوصي القنوات الفضائية الحفاظ على صورة المرأة العربية المثالية وعدم محاولة التسقيط من قيمتها من أجل الفوائد المادية.

3- نوصي إلى إنتاج الإعلانات التي تظهر المرأة بصورة المنتج المساهم في بناء المجتمع و مراقبة الأسرة لإطفالها اثناء مشاهدة الإعلانات على قناة MBC .DRAMA

4- نوصي إلى تحديد قواعد وضوابط للإعلان التجاري في الفضائيات العربية بما يتناسب مع الشريعة الإسلامية و ضرورة الابتعاد عن استخدام المرأة كسلعة تجارية والتركيز على مفاتها والابتعاد عن استخدام المرأة في الإعلانات التي تتعلق بالمنتجات الرجالية وتطوير الإعلانات بما يتناسب مع الدين الإسلامي والعادات والتقاليد.

5- نوصي القنوات الفضائية إلى اعتماد النظام الإسلامي في نشر الدعايات والاعلانات في الاوساط المجتمعية وذلك للحفاظ على الهوية الإسلامية للمجتمعات الإسلامية، ومحاولة عدم استيراد الفكر الغربي تحت غطاء الاعلانات.

قائمة المصادر

1. علي أرشد علي، " تأثير الإعلان على قنوات الفضائية على السلوك الاستهلاكي للمشاهدين في الأردن " : دراسة مسحية (رسالة ماجستير في الاعلام)، كلية العلوم الانسانية، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، عمان ٢٠١٩

2. فائزة بنت حميدان، اسهام بعض البرامج الدينية في قناة المجد الفضائية في تحقيق أهداف التربية الإسلامية، ماجستير بكلية التربية الإسلامية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ٢٠١٨،

3. حنان شعبان، " أثر الفواصل الشهرية التلفزيونية على عملية التلقي - دراسة استطلاعية لجمهور الطلبة الجامعيين " رسالة ماجستير في علوم الاعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والاعلام، جامعة الجزائر يوسف بن حدة "، ٢٠١٩

4. محمد خطاب، " الفضائيات والتغير الاجتماعي " مجلة الجنود، العدد 24، ٢٠١٩،

5. مصطفى صبري، " المعلوماتية وانعكاساتها السلبية على الطفل العربي " مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت : العدد 208، ٢٠١٨
6. علي عبده " الثقافات الوافدة وأثرها على الثقافة العربية " مجلة دراسات اجتماعية، بغداد : السنة الأولى، العدد الثاني، ٢٠١٩
7. ناجي نهر، " صورة المرأة في وسائل الاعلام العربية - دراسة تحليلية لتناول صورة المرأة في قناة ال 1MBC نموذجا " رسالة ماجستير في الاعلام والاتصال، كلية الآداب والتربية، الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك، ٢٠١٨
8. عبد الرحمن علي، دولة النساء، معجم ثقافي اجتماعي لغوي عن المرأة، مصر : مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠١٩
9. ابراهيم حمادة، دراسات في الاعلام وتكنولوجيا الاتصال والرأي العام، ط 1 : القاهرة : عالم الكتب، ٢٠١٨
10. أحمد علي، الصورة البلاغية عند عبد القادر الجرجاني منهاجا وتطبيقا، ط 1 : دمشق : دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1986 م
11. علي فلاح، الإعلان الفعال، منظور تطبيقي متكامل، ط 2، الأردن : دار اليازوري، ٢٠١٩
12. هناء السيد، الفضائيات وقادة الرأي، ط 1، مصر : العربي للنشر، ٢٠١٩
13. علي شيبه، الإعلان المدخل والنظرية، لاط : مصر : دار المعرفة الجامعية، ٢٠١٩
14. عبد العزيز السيد، نظريات الاتصال، ط ١، القاهرة : دار النهضة العربية، ٢٠١٨
15. علي محمد، الترويج والإعلان : أسس، نظريات، تطبيقات (مدخل متكامل)، ط 1 : الأردن : دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، ٢٠١٨
16. عصام الدين، اعلانات الراديو والتلفزيون، ط ١ : القاهرة : مصر، مركز المحروسة، ٢٠١٩
17. محمد عبد الحميد، نظريات الاعلام واتجاهات التأثير، ط 3 : القاهرة : عالم الكتب، ٢٠١٨
18. ليلى حسين، الاتصال ونظرياته المعاصرة، القاهرة، ٢٠١٩

(1) ابراهيم حمادة، دراسات في الاعلام وتكنولوجيا الاتصال والرأي العام، ط 1 : القاهرة : عالم الكتب، ٢٠١٨، ص ١١٩

(2) ناجي نهر، " صورة المرأة في وسائل الاعلام العربية - دراسة تحليلية لتناول صورة المرأة في قناة ال 1MBC نموذجا " رسالة ماجستير في الاعلام والاتصال، كلية الآداب والتربية، الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك، ٢٠١٨، ص ١٦٧

(3) علي عبده " الثقافات الوافدة وأثرها على الثقافة العربية " مجلة دراسات اجتماعية، بغداد : السنة الأولى، العدد الثاني، ٢٠١٩، ص ٢٥

- (14) مصطفى صبري، "المعلوماتية وانعكاساتها السلبية على الطفل العربي" مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت : العدد 208، 2018، ص 44 م
- (15) محمد خطاب، " الفضائيات والتغير الاجتماعي " مجلة الجندول، العدد 24، 2019، ص 12
- (16) حنان شعبان، " أثر الفواصل الاشهارية التلفزيونية على عملية التلقي - دراسة استطلاعية لجمهور الطلبة الجامعيين " رسالة ماجستير في علوم الاعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والاعلام، جامعة الجزائر يوسف بن حدة"، 2019، ص 36
- (17)فايزة بنت حميدان، اسهام بعض البرامج الدينية في قناة المجد الفضائية في تحقيق أهداف التربية الاسلامية، ماجستير بكلية التربية الاسلامية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، 2018، ص 51
- (18) علي أرشد علي، " تأثير الإعلان على قنوات الفضائية على السلوك الاستهلاكي للمشاهدين في الأردن " : دراسة مسحية (رسالة ماجستير في الاعلام)، كلية العلوم الانسانية، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، عمان 2019، ص 172
- (19) ابراهيم حمادة، دراسات في الاعلام وتكنولوجيا الاتصال والرأي العام، المصدر السابق، ص 136
- (20) حنان شعبان، " أثر الفواصل الاشهارية التلفزيونية على عملية التلقي - دراسة استطلاعية لجمهور الطلبة الجامعيين " المصدر السابق، ص 67
- (21) محمد عبد الحميد، نظريات الاعلام واتجاهات التأثير، ط 3 : القاهرة : عالم الكتب، 2018، ص 121
- (22) علي محمد، الترويج والإعلان : أسس، نظريات، تطبيقات (مدخل متكامل)، ط 1 : الأردن : دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2018، ص 77
- (23) علي أرشد علي، " تأثير الإعلان على قنوات الفضائية على السلوك الاستهلاكي للمشاهدين في الأردن " المصدر السابق، ص 55
- (24) عصام الدين، اعلانات الراديو والتلفزيون، ط 1 : القاهرة : مصر، مركز المحروسة، 2019، ص 180
- (25) عبد العزيز السيد، نظريات الاتصال، ط 1، القاهرة : دار النهضة العربية، 2018، ص 8
- (26) مصطفى صبري، " المعلوماتية وانعكاساتها السلبية على الطفل العربي " المصدر السابق، ص 70
- (27) علي شبيبة، الإعلان المدخل والنظرية، لاط : مصر : دار المعرفة الجامعية، 2019، ص 190
- (28) عبد الرحمن علي، دولة النساء، معجم ثقافي اجتماعي لغوي عن المرأة، المصدر السابق، ص 111
- (29) هناء السيد، الفضائيات وقادة الرأي، ط 1، مصر : العربي للنشر، 2019، ص 55
- (20) علي فلاح، الإعلان الفعال، منظور تطبيقي متكامل، ط 2، الأردن : دار اليازوري، 2019، ص 162
- (21) عبد العزيز السيد، نظريات الاتصال، المصدر السابق، ص 78
- (22) عصام الدين، اعلانات الراديو والتلفزيون، المصدر السابق، ص 134
- (23) علي عبده " الثقافات الوافدة وأثرها على الثقافة العربية " المصدر السابق، ص 14
- (24) محمد عبد الحميد، نظريات الاعلام واتجاهات التأثير، المصدر السابق، ص 109
- (25) ليلي حسين، الاتصال ونظرياته المعاصرة، القاهرة، 2019، ص 126

مسائل من علم الوضع بحثها الاصوليون

أ.م. خالد ابراهيم احمد

الجامعة العراقية كلية التربية / طارمية

ملخص البحث

جاء اهتمام علماء اصول الفقه بالموضوعات اللغوية والبلاغية كونها تساعد على استنباط الاحكام الشرعية وفهم النصوص ، ولما كان معظم الكلام في الاصول متعلق بالالفاظ والمعاني حيث أن اللفظ هو وسيلة الى تحقيق المعنى المراد ، والمعنى هو المقصود فكان لا بد لهم من الاستفادة من علم الوضع في اقامة بعض ادلتهم ولاسيما الادلة التي تعتمد على الحقيقة والمجاز ، فمن اراد ان يفهم اللغة عليه أن تكون له معرفة بوضع اللغة التي بها يتم التخاطب ، وهذه الاهمية التي اكتسبها اللفظ في الدرس الاصولي أدت بعلماء اصول الفقه الى تتبع اللفظ مفرداً ومركباً ، مطلقاً ومقيداً ، خاصاً وعماماً ، حقيقة ومجازاً .

Research Abstract

The attention of the scholars of the fundamentals of jurisprudence on linguistic and rhetorical subjects as they help to devise the provisions of the legitimacy and understanding of the texts, and since most of the speech in the assets related to the words and meanings as the word is a means to achieve the meaning meant, and the meaning is intended to have benefited from the science of the situation in the establishment of some The evidence that is based on the truth and the metaphor, which wanted to understand the language must be knowledge of the status of the language in which the communication is, and this importance acquired by the word in the lesson of fundamentalist led the scholars of the principles of jurisprudence to follow the word alone and compound, absolute and restricted, What, truth and compromis

المقدمة

يعد مبحث اللفظ من اهم البحوث التي اسست المحاور الكبرى لعلم اصول الفقه ، لأنه بواسطة اللفظ يتحقق التفاهم ويسهل الخطاب ، وهذه الاهمية التي اكتسبها اللفظ هي التي قادت علماء اصول الفقه التي تتبع اللفظ مفرداً ومركباً مطلقاً و مقيداً حقيقة ومجازاً عاماً وخصوصاً .

يقول الامام الجويني : (اعلم أن معظم الكلام في الأصول يتعلق بالألفاظ والمعاني ،...وأما الألفاظ فلا بد من الاعتناء بها فإن الشريعة عربية ولن يستكمل المرء خلال الاستقلال بالنظر في الشرع ما لم يكن رياناً من النحو واللغة)¹ .
ويؤكد هذا الحقيقة ابن خلدون بقوله (يتعين النظر في دلالة الالفاظ وذلك لان استفادة المعاني على الاطلاق من تراكيب الكلام يتوقف على معرفة الدلالات الوضعية والمركبة)² .

لذا فالضابط الأول لمن يريد أن يفهم اللغة معرفة مدلولات الفاظها ، فكل لفظة لها دلالتها المستقلة عن بقية الفاظ اللغة ، وهو ما قام العلماء به من خلال مايسمى (المعاجم اللغوية) ويتأكد هذا الامر اكثر اذا تعلق باللفظ ومعناه استنباط حكم شرعي منه .
ولما كان (أغلب ما صنّف في أصول الفقه من الفنون إنما هو المطالب العربيّة)³ ، (وأصول الفقه في غالب أمره ليس فيه إلا قواعد الأحكام الناشئة عن الألفاظ العربيّة خاصّة)⁴ ، فإن البحث في علم الوضع واقسامه باعتباره حلقة الوصل بين اللغة العربية والمنطق وعلم اصول الفقه يعد من المبادئ التصورية اللغوية لمسائل علم الاصول ، ومن يدقق النظر في المسائل التي تم بحثها في علم الوضع يكاد يجزم إنه علم وليد لقاء وتمازج بين علمي اللغة العربية واصول الفقه وإن كان هذا العلم لم يلق الاهتمام الكافي من الباحثين اليوم الا انه كان متداولاً في الوقت الذي ألف فيه الامام عضدالدين الأيجي (ت756هـ) أول رسالة موجزة فيه سماها (الرسالة الوضعية العضدية)، حتى ان صاحب (مفتاح السعادة) قال فيه : (وهذا علم نافع في الغاية إلا انه لم يدون بعد)⁵ (اي في زمانه) ووصف صاحب مفتاح السعادة رسالة الأيجي بأنها (قطرة من البحر ورشفة من ذلك النهر)⁶ الا أن هذه (الرسالة الوضعية العضدية) قد شرحها العلماء بعد ذلك بمؤلفات عديدة منها :

- شرح الرسالة العضدية لابي القاسم بن ابي بكر السمرقندي .
- الدقائق المحكمة على الصحيفة الوضعية الجديدة لعلي الأقسهري .
- ورسالة نموذج الوضع للبكشهرى وغير ذلك⁷ .

وجاء اختياري للبحث في ذلك الموضوع وسميته ((مسائل من علم الوضع بحثها الاصوليون)) واقتضى ذلك أن تكون خطة البحث وفق الاتي ..

المبحث الاول: الوضع في اللغة والاصطلاح ويتضمن مايلي :

المطلب الاول : الوضع في اللغة .

المطلب الثاني :الوضع في الاصطلاح .

المطلب الثالث : الوضع اركانه اقسامه فاندته .

المبحث الثاني : من مسائل علم الوضع التي بحثها الاصوليين ويتضمن مايلي:

المطلب الاول : الوضع .

المطلب الثاني : الاستعمال .

المطلب الثالث : الحمل .

المطلب الرابع :اللفظ والمعنى عند الاصوليين

المبحث الاول : الوضع في اللغة والاصطلاح

المطلب الاول : الوضع في اللغة

الوضع في اللغة مصدر وضعه يضعه بفتح ضادهما اي حطه يحطه ويأتي الوضع في اللغة لمعانٍ عديدة ذكر منها صاحب (لسان العرب)⁸ :

الْوَضْعُ: ضِدُّ الرَّفْعِ، وَضَعَهُ يَضَعُهُ وَضَعًا وَمَوْضُوعًا يُقَالُ: وَضَعَ الشَّيْءَ مِنْ يَدِهِ يَضَعُهُ وَضَعًا إِذَا أَلْقَاهُ وَيُقَالُ: وَضَعَ يَدَهُ فِي الطَّعَامِ إِذَا أَكَلَهُ وَوَضَعَ عَنْهُ الدَّيْنَ وَالدَّمَ يَضَعُهُ وَضَعًا: أَسْقَطَهُ عَنْهُ وَوَضَعَ الشَّيْءَ وَضَعًا: اخْتَلَقَهُ. وَتَوَضَّعَ الْقَوْمُ عَلَى الشَّيْءِ: اتَّفَقُوا عَلَيْهِ. وَوَضَعَ مِنْهُ فُلَانٌ أَي حَطَّ مِنْ دَرَجَتِهِ. وَوَضَعَ الشَّيْءَ فِي الْمَكَانِ: أَثْبَتَهُ فِيهِ وَالمَوَاضِعُ: المُنَاطِرَةُ فِي الأَمْرِ. وَالمَوَاضِعُ: أَنْ تَوَاضَعَ صَاحِبُكَ أَمْرًا تُنَاطِرُهُ فِيهِ. قَالَ الرَّاعِبُ: الوَضْعُ أَعَمُّ مِنَ الحَطِّ، وَإِذَا تَعَدَّى بَ (على) كَانَ بِمَعْنَى التَّحْمِيلِ، وَإِذَا تَعَدَّى بَ (عَنْ) كَانَ بِمَعْنَى الإِزَالَةِ⁹.

والوضع عند الحكماء(المناطقية): هيئة عارضة للشئء بسبب نسبتين: نسبة أجزائه بعضها إلى بعض. ونسبة أجزائه إلى الأمور الخارجة عنه كالقيام والقعود. والوضع الحسي: إلقاء الشئء المستعلي، كما في قوله: (متى أضع العمامة تعرفوني ..)¹⁰ .

ثم نقل الوضع من هذه المعاني اللغوية الى ماسنذكره من المعنى الاصطلاحي والعرفي .

المطلب الثاني :الوضع في الاصطلاح

تعريف الوضع عند علماء الاصول

عرفه الاسنوي في نهاية السؤل بقوله : فالوضع تخصيص الشيء بالشيء بحيث إذا علم الأول علم الثاني¹¹

وعرفه السبكي في الابهاج : (وهو عبارة عن تخصيص الشيء بالشيء بحيث إذا أطلق الأول فهم منه الثاني) وقال عنه : هذا تعريف سديد فإنك إذا أطلقت قولك قام زيد فهم منه صدور القيام منه¹²

وقال القرافي: الوضع جعل اللفظ دليلاً على المعنى أو غلبة الاستعمال¹³ .
تعريف الوضع عند علماء الوضع

عرفه السمرقندي: اللفظ الموضوع لمعنى مشخص¹⁴ .

وعرفه ابراهيم الاكيني : جعل شيء بآزاء شيء بحيث متى فهم الاول فهم منه الثاني للعالم به¹⁵ .

وعرفه الآقشهرى : هو جعل اللفظ دليلاً على المعنى¹⁶ .

وعرفه الدجوي : هو تعيين اللفظ بآزاء المعنى بحيث يفهم منه هذا المعنى عند العلم بذلك التعيين¹⁷ .

والملاحظ على تعريف القريقتين :

1 - غالباً ماتستعمل كلمة الشيء ليشمل التعريف اللفظ وغيره .

2 - التأكيد على أهمية المعنى بالنسبة للفظ الموضوع على ان يكون المعنى سابقاً للفظ.

المطلب الثالث : الوضع أركانه اقسامه فاندته

جاء في كتاب المجموع المنتخب من متون الوضع ان للوضع ثلاثة اركان وهي =

الواضع والموضوع والموضوع له ولكل ركن اقسامه .

اقسام الواضع : لغوي - شرعي - اصطلاحي - عرفي

لغوي : ماكان التعيين من جهة واضع اللغة .

شرعي : ماكان التعيين من جهة الشارع.

اصطلاحي (عرفي خاص) : ماكان من قوم مخصوصين كأهل الصناعات

عرفي(العرفي العام) : ماكان من اهل العرف .

اقسام الموضوع : شخصي - نوعي

شخصي: وهو ماكان اللفظ الموضوع فيه ملحوظاً بخصوصه ، وسمي شخصياً لنسبته

الى شخص اللفظ الموضوع .

نوعي :وهو ان يؤخذ الموضوع كلياً من غير منظور فيه الى لفظ بخصوصه وسمي

نوعياً لان الالفاظ الموضوعية لم تلاحظ بشخصها وانما بنوعها .

وكل منهما يقسم الى ثلاثة اقسام وكما يلي :

1 - وضع شخصي خاص لخاص (جزئي الوضع والموضوع له) كالأعلام الشخصية واسماء العدد.

2 - وضع شخصي عام لخاص (كلي الوضع جزئي الموضوع له) كأسماء الاشارة والموصولات والضمائر والحروف .

3 - وضع شخصي عام لعام (كلي الوضع والموضوع له) ويدخل في هذا الوضع المصادر واسماء المصادر واسماء الاجناس والمشتقات .
وبالنسبة للنوعي :

1 - وضع نوعي خاص لموضوع خاص (جزئي الوضع والموضوع له) مثل وضع الاوزان بإزاء الموازن بكان.

2 - وضع عام لموضوع له خاص (كلي الوضع جزئي الموضوع له) مثل المفرد والجمع المحلي بأل الاستغرافية.

3 - وضع عام لموضوع له عام (كلي الوضع والموضوع له) كوضع عامة المشتقات والمركبات التامة¹⁸ .

اقسام الموضوع له : وهو اما كلي او جزئي

وقد ذكر صاحب التعبير شرح التحرير اختلاف العلماء في الاسم النكرة اذا وضع لمعنى ، هل هو موضوع للمعنى الذهني - وهو مايتصوره العقل - سواء طابق في الخارج او لا ، اوللمعنى الخارجي اي الموجود في الخارج ، او للمعنى من حيث هو ، من غير ملاحظة كونه في الذهن او في الخارج على ثلاثة اقوال :

القول الاول : وهو كونه موضوعاً للمعنى الذهني اختاره الرازي واتباعه .

القول الثاني : كونه موضوعاً للمعنى الخارجي وهو قول ابو اسحاق الشيرازي لأنه به تستقر الاحكام .

القول الثالث : اختاره السبكي الكبير و اختاره الاسنوي في شرح منهاج البيضاوي¹⁹ .
وقد احتج الامام الرازي : (وهو من القائلين بأن الالفاظ تتغير وفقاً للتغيرات الحاصلة في الصورة الذهنية) بما يلي :

اولاً : اما في الالفاظ المفردة ، فلأنا اذا رأينا جسماً من بعيد وظنناه صخرة سميناه بهذا الاسم فاذا دنونا منه وعرفنا أنه حيوان ، لكننا ظنناه طيراً ، سميناه به (اي طيراً) فاذا ازداد القرب وعرفنا انه انسانا سميناه به (اي انساناً) فاختلاف الاساسي عند اختلاف الصور الذهنية يدل على ان اللفظ لا دلالة له الا عليها (اي على الصور الذهنية).

ثانياً : اما في المركبات ،فاذا قلت مثلاً (قام زيد) فلا يعني ذلك ان زيدا قد قام بالفعل ، بل يعني انك اخبرت عن قيامه ولايمكن التحقق من أن ما قيل كان عبارة عما حدث في الوجود الخارجي حتى نتأكد من صدقه²⁰ .

قال الامام القرافي : (فإن العرب إنما وضعت لما تصورته بعقولها لا لما شاهدها بأبصارها والمتصور في العقل موجود في الأشخاص الماضية والحاضرة على حد واحد، فمفهوم الفرس المعقول هو الموضوع له، ويصير معنى ذلك أن الواضع قال كل ما ينطبق عليه هذه الصورة الذهنية هو المسمى بالفرس عندي، وكذلك بقية أسماء الأجناس. ولم يوضع لما في الخارج من المشاهد بالبصر إلا أعلام الأشخاص دون أعلام الأجناس)²¹ .

المبحث الثاني : من مسائل علم الوضع التي بحثها الاصوليين

المطلب الاول :الواضع

لما كان للوضع ثلاثة اركان هي : الواضع - والموضوع - والموضوع له، فكان لابد من معرفة من هو الواضع ، وقد بحث الاصوليون هذه المسألة تحت اسم (مبدأ اللغات (22) وبعضهم تحت اسم (مأخذ اللغات)²³ وبعضهم تحت اسم (الواضع)²⁴ وقد اختلف في ذلك الى مذاهب شتى وهي :

القول الاول : ان اللغات توقيفية وهو قول جمهور أهل العلم ، وإن اختلفوا في الطريق الذي علم الله به اللغات ، فهذا القول نسب الى عامة المتكلمين من اهل الحديث ، وعامة اهل الحديث من الفقهاء²⁵ وذكره ابن السبكي عن الجمهور²⁶ وهو مذهب ابي الحسن الاشعري²⁷ وهو اختيار الامدي²⁸ من الاصوليين وغيرهما²⁹ ، محتجين على هذا القول بقوله تعالى {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا}³⁰ دل على أن آدم والملائكة لا يعلمون الا بتعليم الله تعالى، وقوله تعالى {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}³¹ وقوله {تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ} ³²

وقوله {أَفْرَأَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}³³ واللغات داخلة في هذه المعلومات³⁴ .

القول الثاني : إن اللغات اصطلاحية وهذا القول مذهب ابي هاشم³⁵ واتباعه ، وهو مذهب جمهور المعتزلة³⁶ .

القول الثالث : ان القدر الذي يدعو به الانسان غيره الى التواضع توقيفي ، والباقي يحتمل التوقيف والاصطلاح³⁷ وهو قول ابي اسحاق الاسفراييني³⁸ .

القول الرابع : ان ابتداء اللغات اصطلاحية ، والباقي يحتمل التوقيف والاصطلاح ولم ينسب الى احد³⁹ .

القول الخامس : الوقف وعدم الجزم بأي من الاقوال السابقة وهو اختيار ابي بكر الباقلاني⁴⁰ والغزالي⁴¹ والرازي⁴² .

ويقول الامام الغزالي عن الراجح من هذه الاقوال : (أَمَّا الْوَأَقِعُ مِنْ هَذِهِ الْأَقْسَامِ فَلَا مَطْمَعٌ فِي مَعْرِفَتِهِ يَقِينًا إِلَّا بِبُرْهَانٍ عَقْلِيٍّ أَوْ بِتَوَاتُرِ خَبَرٍ أَوْ سَمْعِ قَاطِعٍ، وَلَا مَجَالَ لِبُرْهَانِ الْعَقْلِ فِي هَذَا وَلَمْ يُنْقَلْ تَوَاتُرٌ وَلَا فِيهِ سَمْعٌ قَاطِعٌ فَلَا يَبْقَى إِلَّا رَجْمُ الظَّنِّ فِي أَمْرٍ لَا يَرْتَبِطُ بِهِ تَعَبُّدٌ عَمَلِيٌّ وَلَا تُرْهَقُ إِلَى اعْتِقَادِهِ حَاجَةٌ، فَالْحَوْضُ فِيهِ إِذَا فُضُولٌ لَا أَصَلَ لَهُ)⁴³ ، وأكد هذا الامدي بقوله (وَأَمَّا طَرُقُ مَعْرِفَتِهَا لَنَا، فَتَعْلَمُ أَنَّ مَدْرَكَ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ التَّوَاتُرُ الْقَاطِعُ، وَلَمْ يَكُنْ مَعْلُومًا لَنَا وَلَا تَوَاتُرَ فِيهِ)⁴⁴

وجاء في حاشية العطار على شرح الجلال المحلي (.... وَتَوَقَّفَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَنِ الْقَوْلِ بِوَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ لِتَعَارُضِ أَدْلَتِهَا - وَالْمُخْتَارُ الْوَقْفُ عَنِ الْقَطْعِ - بِوَاحِدٍ مِنْهَا؛ لِأَنَّ أَدْلَتَهَا لَا تُفِيدُ الْقَطْعَ)⁴⁵ .

وبصرف النظر عن الخلاف في مسألة من وضع اللغة ، فقد ابدى العلماء الاصوليون تشابهاً منهجياً فيما يتعلق بالمعالجة الموسوعة لفكرة الوضع وما لاشك فيه أن الاصوليين لم يختلفوا في ان من اراد ان يفهم خطاباً فلا بد ان يعرف لغة ذلك الخطاب ، وآثرنا لفظة الخطاب على لفظ النص ليكون شاملاً للفظ والفحوى والمفهوم وكل دليل⁴⁶ .
المطلب الثاني : الاستعمال

مصطلح الاستعمال شائع جداً في مؤلفات علماء الاصول وقد عرفه القرافي بقوله : (والاستعمال إطلاق اللفظ على مسماه فهو الحقيقة، أو على غير مسماه لعلاقة بينهما فهو المجاز)⁴⁷ .

فالحقيقة من هذا التعريف هي اطلاق اللفظ ، وإرادة مسماه والمراد بذلك مسماه في عرف التخاطب فيشمل الحقائق الاربعة اللغوية والشرعية والعرفية والعامية والخاصة .
اما المجاز فهو اطلاق اللفظ ، وإرادة غير مسماه في عرف التخاطب لعلاقة بينهما فيشمل المجازات الاربعة وعلى هذا فإن اللفظ قبل الاستعمال لا يوصف بحقيقة ولا مجاز ، لان هذا لا يمكن تحديده الا بعد الاستعمال⁴⁸ ، وجاء في رفع النقاب (لعلاقة بينهما) يقتضى ان الاستعمال له ثلاث معان :

احدها : استعمال اللفظ في الحقيقة .

الثاني : استعماله في المجاز .

الثالث : استعماله في غيرهما وهو النقل⁴⁹ .

ومثال على ذلك : النسخ في اللغة يطلق على معنيين⁵⁰ احدهما : الازالة ، والثاني النقل ، ومن الازالة قوله تعالى :

{فَيَنْسِخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ} 51

ومنه قولهم : نَسَخَتِ الشَّمْسُ الظِّلَّ وَانْتَسَخَتْهُ: أزالته. وَنَسَخَتِ الرِّيحُ آثَارَ الدَّارِ أَي أزالته. ومن النقل : قوله تعالى : {إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} 52 أَي ننقل ومنه قولهم نسخت النحل ونسخت العسل : إذا نقلتهما من خلية الى خلية ومن معنى النقل قولهم : نسخت الكتاب .

ولكن اطلاق النسخ على هذا مجاز ، وهو مجاز التشبيه لأن حقيقة النقل نقل الشيء من مكان الى مكان ومن حالة الى حالة مع بقاءه في نفسه : كقولك نقلت الحجر من مكان الى مكان ، واما نسخ الكتاب فليس فيه نقل ، وإنما هو شبيه بالنقل لان تحصيل مثل ما في احد الكتابين في الاخر يجري مجرى نقله ، واما عين الشيء في الكتاب المنسوخ منه فلم ينقل حقيقة وهذان المعنيان المذكوران وهما : الازالة والنقل ، اختلف الأصوليون في اطلاق النسخ عليهما ، هل هو على سبيل الاشتراك فهو لفظ مشترك بينهما ؟ قاله القاضي ابو بكر والغزالي 53 اذا الاصل في الاستعمال الحقيقة ، وقيل هو حقيقة في الازالة مجاز في النقل ، قاله ابو الحسين البصري 54 وغيره 55 ، لأن اطلاق النسخ على النقل في قولهم : نسخت الكتاب مجاز ، لأنه لم ينتقل حقيقة ، فيتعين كونه حقيقة في الازالة . وقيل حقيقته في النقل مجاز في الازالة قاله بعض الشافعية لانه حقيقة في تناسخ الموارد ، ونسخ النحل (من خلية الى اخرى) لأن ذلك نقل حقيقة فيكون مجازاً في الازالة .

ولكن هذان القولان المتعاكسان فيهما نظر ، لأن كل واحد منهما معارض بمثله والظاهر القول الاول بالاشتراك اذا الاصل في الاستعمال الحقيقة فيكون حقيقة فيهما ولا بد من ملاحظة ذكر القرافي لعبارة (وإرادة) في التعريف فقد اختلف فيها العلماء . المعتزلة قالوا : ان الامر الذي يكون عليه صيغة (افعل) يتضمن ثلاث ارادات وهي :

1 - ارادة الالفاظ وجود اللفظة .

2 - ارادة جعل اللفظ امراً .

3 - ارادة امتثال الأمور المخاطب الامر 56 .

وقد قصد بالارادة الاولى الاحتراز من اي امر يصدر عن النائم في نومه وقصد بالارادة الثانية استبعاد التهديد على مذهب قوله تعالى {اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ} 57 وقصد بالارادة الثالثة فهي القاعدة والمعول اذا لا يتصور عندهم أمر بشيء من غير ارادة له وهذا مذهب البصريين 58 أما اهل السنة فيقولون الارادة الاولى وينكرون النوعين الاخرين في الامر وحجتهم ان مراد المتكلم ليس وسيلة للدلالة على الامر ، أي ان الدلالة لاتفهم من مراد المتكلم بل بقرائن الاحوال 59 أو بالوضع كما يقول الامام القرافي 60 .

أذن يكون معنى تعريف القرافي للاستعمال هو (ارادة المعنى باطلاق لفظ وضعي فقط) والمعنى اعم من المراد اي كل لفظ له معنى - وليس شرطاً ان يشتمل على مراد اي ان المعنى محكوم بالوضع والمراد محكوم بالاستعمال ، اي ان فهم المعنى يتوقف على الصحة وفهم المراد يتحدد بالقرينة⁶¹

المطلب الثالث : الحمل

يفهم عامة المهتمين بعلم الاصول مصطلح الحمل بأنه (اعتقاد السامع مراد المتكلم من لفظه او يعتقد منه ما اشتمل على مراده)⁶² .

ومثال الاول اعتقاد المالكي ان الله عزوجل اراد بالقرء في قوله {وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ}⁶³ الطهر واعتقاد الحنفي انه اراد به الحيض ، وانما اختلفوا في القرء ، لانه لفظ مشترك بين الطهر والحيض .

ومثال الاخر اي اعتقاد (ما اشتمل على مراده) ، حمل الشافعي المشترك على جميع معانيه عند تجرده من القرانن لاشتماله (اي لاشتمال حمله على جميع معانيه) على مراد المتكلم احتياطاً لأنه اذا حمل على جميع معانيه فلا شك انه مشتمل على مراد المتكلم.

مثال ذلك اذا قال المتكلم انظر الى العين فإن العين لفظ مشترك ، يطلق على المقلة ، وعين الركبة ، وعين الميزان وعين الشمس ، الخ.

فاذا قال المتكلم انظر الى العين فلا يعرف مراده ، لان اللفظ مجمل فقال الجمهور من العلماء : يجب التوقف حتى يرد البيان فلا يتصرف فيه الا بدليل يعين احد مسمياته . وقال الشافعي : يجب حمله على جميع معانيه .

وقال بعض الشراح على مذهب مالك وابي حنيفة : اما الحمل الذي هو اعتقاد السامع مراد المتكلم من لفظه فهو من باب التأويل ، واما الحمل الذي هو اعتقاد السامع ما اشتمل على مراد المتكلم على مذهب الشافعي فهو من باب العموم⁶⁴ .

وقد أورد المقرئ الكلام عن الحمل على انه قاعدة (القاعدة التاسعة عشرة بعد المئة) قال : (الحمل الحكم بتعيين المراد من المحتمل بدليل قطعي ، او ظني ، كمالك ، ومحمد : أن القرء الطهر ، والنعمان الحيض اوبتعميمه في الوجوه المحتملة عند عدم الدليل لاشتمالها على المراد ، إلا ما امتنع بدليل ، او لأنه حينئذ للعموم) واشكل عليه قول ابن الحاجب في قول ابن القاسم في القليل بنجاسة (يتيمم ويتركه ، فإن توضأ به وصلى أعاد في الوقت ، فحمل على النجاسة للتيمم وعلى الكراهة للوقت ، وعلى التناقض (..... والحق أنه للنجاسة ، والوقت مراعاة للخلاف ، ومعنى الحمل على التناقض : إلزامه اياه)⁶⁵ .

اذن ومن خلال تعريف الحمل يتبين لنا انه لا بد لأي حمل ان يسبق باستعمال مقصود ، بمعنى إن اي كلام يصدر عن نائم او مجنون او نحو ذلك لا يستحق الحمل ، مع أن السامع قد يحاول فهمه .

وعندما ذكر الامدي حقيقه الحكم الشرعي (بعد ذكره عدة اراء) قال : (والحق أنه اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه)⁶⁶ .
وقيد (المتواضع عليه) جاء للاحتراز عن الالفاظ المهملة التي لامعنى لها وقوله (لمن هو متهيء لفهمه) احتراز عن الكلام لمن لا يفهم كالنائم والمعنى عليه ونحوه⁶⁷ ، اذن يمكن القول ان الكلام الذي يستحق ان يحمل على وجه ما له ثلاثة شروط :

- 1 - ان يكون النطق به مقصود .
 - 2 - ان يكون السامع (متهيء) عاقل وقادر على فهمه .
 - 3 - ان يقصد به مخاطبة السامع .
- ولما كان الاصل في اللفظ ان يحقق مقتضاه وان يفيد معناه⁶⁸ ، فإن السامع عليه ان يتصرف تبعاً لهذا الاصل ، اي ان يبحث عن المعنى المطلوب الى ان يجده ، وهذا الكلام يقصد به آلية الحمل السليم لمرادات الله عز وجل ورسوله الكريم (ﷺ) لأن من المتفق عليه بين الاصوليين :

- 1 - ان الله لا يتكلم كلاماً ملبساً يفهم منه الناس خلاف مراده⁶⁹
 - 2 - لا يمكن ان يقول الله قولاً دون قصد .
- يقول الامام الرازي : (لا يجوز ان يتكلم الله تعالى بشيء ولا يعني به شيئاً)⁷⁰
المطلب الرابع : اللفظ والمعنى عند الاصوليين
عرف ابن الحاجب اللغة بانها (كل لفظ وضع لمعنى)⁷¹ كما عرفها الاسنوي بانها (عبارة عن الالفاظ الموضوعه للمعاني)⁷² وعرفها الامام عبدالعلي الاتصاري بانها (اللفظ الدال وضعاً)⁷³ .
والملاحظ في هذه التعريفات ربط اللفظ بالمعنى ، لأن المعنى هو الصورة الذهنية من حيث أنه وضع بأزائها الالفاظ ، والصورة الحاصلة في العقل من حيث انها تقصد باللفظ⁷⁴ .

قال الامام الشاطبي : (الإِعْتِنَاءُ بِالْمَعْنَى الْمَبْتُوْثَةِ فِي الْخِطَابِ هُوَ الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ ، بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْعَرَبَ إِنَّمَا كَانَتْ عِنَايَتُهَا بِالْمَعْنَى ، وَإِنَّمَا أَصْلَحَتِ الْأَلْفَاظُ مِنْ أَجْلِهَا ، وَهَذَا الْأَصْلُ مَعْلُومٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ ، فَالْلَفْظُ إِنَّمَا هُوَ وَسِيْلَةٌ إِلَى تَحْصِيلِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ ، وَالْمَعْنَى هُوَ الْمَقْصُودُ⁷⁵) .

وقال الامام القرافي: (واللفظ هو المفيد للمعنى عند التخاطب)⁷⁶.

اذن فالمعنى هو الغاية التي وجدت من اجلها الالفاظ فهو القصد والمراد وانما يقع البيان عنه باللفظ وحول صلة اللفظ بالمعنى هل هي ذاتية ام وضعية؟
يقول السيوطي (نقلَ أهلُ أصولِ الفقه عن عباد بن سليمان الصيمري من المعتزلة أنه ذهب إلى أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية(ذاتية) حاملة للواضع على أن يضع قال: وإلا لكان تخصيصُ الاسمِ المُعَيَّنِ بالمسمَّى المُعَيَّنِ ترجيحاً من غير مُرَجِّحٍ، ... والجمهور على أن الصلة بين اللفظ ومعناه انما هي تواضع واصطلاح(77) .

يقول صاحب الابهاج في شرح المنهاج ، أن كلام الصيمري يحتمل وجهين :
الاول : وهو الذي اقتضاه نقل الأمدي عنه أن تلك المناسبة الطبيعية حاملة للواضع على الوضع وهو أقل نكيرا ولا يمكن ادعاؤه في كل الألفاظ واللغات إذ لو كان كذلك لما وقع المشترك بين الضدين ولما اختلفت دلالات الألفاظ على معانيها باختلاف الأمم والأزمنة إذ المناسبة الطبيعية لا تختلف باختلافها.

الثاني : وهو أعظم نكيرا أن تلك المناسبة الطبيعية وحدها كافية في كون تلك الألفاظ دالة على تلك المعاني من غير احتياج إلى الوضع وهو معلوم الفساد هو الذي اقتضاه نقل الإمام عنه⁷⁸ .

اي ان (مقتضى كلام الأمدي في النقل عن القائلين بهذا المذهب أن المناسبة وإن شرطناها لكن لا بد من الوضع)⁷⁹ وقد قال بفساد قول الصيمري الكثير من علماء الاصول ومنهم، الامام الرازي حيث ذكر ان مما يدل على فساد قول الصيمري (أن دلالة الألفاظ لو كانت ذاتية لما اختلفت باختلاف النواحي والأمم ولاهتدى: كل انسان إلى كل لغة وبطلان اللزوم يدل على بطلان الملزوم)⁸⁰

وكذلك الامام القرافي : حيث كرر كلام الرازي نفسه وبفساد لفظه⁸¹
اما صاحب (تحفة المسؤول) فقد احتج على فساد قول الصيمري (بأننا قاطعون بجواز وضع اللفظ للشيء ونقيضه وضده وبوقوعه ، كالقرء الموضوع للطهر والحيض، والجون الموضوع للأسود والأبيض، وحينئذ يلزم أن يكون الشيء يناسب بطبعه النقيضين وما بالذات لا يتخلف، فيلزم من ثبوت اللفظ ثبوت المعنى وانفاؤه ويلزم أن يكون لشيء واحد لازمان متنافيان)⁸² .

اذن فالصلة بين اللفظ ومعناه تواضع واصطلاح ولا بد من مناسبة بينهما كما يقول كثير من العلماء⁸³ وهذا ما يدرك بعد طول تأمل ونظر، ويمكن القول ان طرق الاستنباط الصحيحة من النصوص الشرعية تعتمد اولاً على مدى معرفة صلة اللفظ بمعناه هل هي مفردة ام مركبة ؟ وعلى كلا الامرين ، هل هي عامة او خاصة والملاحظ هنا انتباه الاصوليين على (الاستعمال) في اطلاق الحقيقة والمجاز على الالفاظ ، ويمكن تحديد

اتجاههم في ذلك الى اصالة الدلالة بشيوعها واستقرارها في الاستعمال او بانحرافها عن ذلك الاستعمال (مجاز)⁸⁴ ولما كانت الاحكام الشرعية مأخوذة من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الذين وردا باللغة العربية لفظاً ومعنى فقد افاد علماء الاصول من الوضع في اقامة بعض ادلتهم ولاسيما الادلة التي تعتمد الحقيقة والمجاز مثل جعل الصلاة حقيقة في المعنى المخصوص في الشرع لكونها حقيقة شرعية لأن الوضع في الحقيقة الشرعية والعرفية هو غلبة الاستعمال⁸⁵

نتائج البحث

واخيراً وبعد توفيق الله عز وجل على إتمام هذا البحث ، وجدت أن هناك عدة نتائج الخصها على النحو الآتي:

- 1 - البحث في علم الوضع واقسامه باعتباره حلقة الوصل بين اللغة العربية والمنطق وعلم اصول الفقه يعد من المبادئ التصورية اللغوية لمسائل علم الاصول.
- 2 - أن الالفاظ تتغير وفقاً للتغيرات الحاصلة في الصورة الذهنية.
- 3 - ان اللغات توقيفية وهو قول جمهور أهل العلم ، وإن اختلفوا في الطريق الذي علم الله به اللغات.
- 4 - ان المعنى محكوم بالوضع والمراد محكوم بالاستعمال ، اي ان فهم المعنى يتوقف على الصحة وفهم المراد يتحدد بالقرينة.
- 5 - فالصلة بين اللفظ ومعناه تواضع واصطلاح ولا بد من مناسبة بينهما كما يقول كثير من العلماء.

المصادر

- 1 - البرهان في أصول الفقه المؤلف: عبد الملك الجويني، أبو المعالي، ، الملقب بإمام الحرمين (ت 478هـ)، المحقق: صلاح بن محمد بن عويضة ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، ط1 1418 هـ - 1997 م.
- 2 - البحر المحيط في أصول الفقه المؤلف: بدر الدين الزركشي (ت 794هـ) ، الناشر: دار الكتبي ، ط1، 1414هـ - 1994م.
- 3 - تحفة المسؤول في شرح مختصر منتهى السؤل ، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن موسى الرهوني (ت 773 هـ) المحقق: الدكتور الهادي بن الحسين شبيلي ، يوسف الأخضر القيم ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث - دبي، الإمارات ، ط1، 1422 هـ - 2002 م.

- 4 - التحبير شرح التحرير في أصول الفقه ، علاء الدين المرادوي الحنبلي (ت 885هـ)المحقق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح ، مكتبة الرشد - السعودية / الرياض ، ط1، 1421هـ - 2000م.
- 5 - التعريفات ،المؤلف: علي الجرجاني (ت 816هـ) ،دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، ط1، 1403هـ -1983م.
- 5 - التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه، الدكتور السيد أحمد عبدالغفار ، دار المكتبة الجامعية - الاسكندرية ، 1996 م.
- 6 - حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع ،المؤلف: حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي (1250هـ) ، دار الكتب العلمية .
- 7 - الإحكام في أصول الأحكام ،المؤلف: أبو الحسن سيد الدين علي الآمدي (ت 631هـ) ،المحقق: عبد الرزاق عفيفي ،المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان.
- 8 - ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ،عبد الرحمن ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت 808هـ) ،المحقق: خليل شحادة ،دار الفكر، بيروت ، ط2، 1408 هـ - 1988 م.
- 9 - رَفْعُ النَّقَابِ عَن تَنْقِيحِ الشَّهَابِ ،المؤلف: أبو عبد الله الرجرجاني ثم الشوشاوي السِّمْلَالِي (ت 899هـ) ،المحقق: د. أحمد بن محمد السراح، د. عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين ،أصل هذا الكتاب: رسالتي ماجستير ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية ، ط1، 1425 هـ - 2004 م.
- 10 - رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب ، المؤلف: تاج الدين السبكي (ت 771هـ) ،المحقق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود،عالم الكتب - لبنان / بيروت ، ط1، 1999م - 1419هـ.
- 11 - شرح تنقيح الفصول المؤلف: أبو العباس شهاب الدين بالقراقي (ت 684هـ) ،المحقق: طه عبد الرؤوف سعد ، شركة الطباعة الفنية المتحدة ، ط1 ، 1393 هـ - 1973.
- 12 - شرح الكوكب المنير ،المؤلف: تقي الدين الفتوحى المعروف بابن النجار الحنبلي (ت 972هـ) ،المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد ، مكتبة العبيكان ، ط2 ، 1418هـ - 1997م.
- 13 - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ،المؤلف: أبو نصر الفارابي (ت 393هـ) ،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين - بيروت، ط4 ، 1407 هـ - 1987 م.

- 14 - علم الوضع ، الدكتور عبدالرزاق الحربي ، دايون الوقف السني -دائرة البحوث والدراسات ، 1434هـ - 2013 م.
- 15 - فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت ، عبدالعلي اللكنوي ، ضبطه وصححه : عبدالله محمود محمد عمر ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، ط 1 ، 1423هـ - 2002 م .
- 16 - الفروق أنوار البروق في أنواع الفروق ،المؤلف: شهاب الدين الشهير بالقرافي (ت 684هـ) ،الناشر: عالم الكتب .
- 17 - الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ،المؤلف: أيوب الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت 1094هـ) المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت
- 18 - الإبهاج في شرح المنهاج (منهاج الوصول إلي علم الأصول للفاضل البيضاوي المتوفي سنة 785هـ) ،تقي الدين السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب ، دار الكتب العلمية -بيروت، 1416هـ - 1995 م
- 19 - لسان العرب ،المؤلف: جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت 711هـ) ، دار صادر - بيروت ، ط 3 ، 1414 هـ
- 20 - معجم مقاييس اللغة ،المؤلف: أحمد بن فارس الرازي، (ت 395هـ) ،المحقق: عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر ، 1399هـ - 1979م.
- 21 - ميزان الأصول في نتائج العقول، المؤلف: علاء الدين السمرقندي (ت 539 هـ) ،حقيقه وعلق عليه وينشره لأول مرة: الدكتور محمد زكي عبد البر، الأستاذ بكلية الشريعة - جامعة قطر، ونائب رئيس محكمة النقض بمصر (سابقا) ، مطابع الدوحة الحديثة، قطر، ط 1 ، 1404 هـ - 1984 م.
- 22 - المجموع المنتخب من متون علم الوضع ، جمع و تحقيق د. شامل الشاهين ، دار غار حراء ، ط 1 ، 1427هـ - 2006 م .
- 23 - المحصول ،المؤلف: محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت 606هـ)،دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني ، مؤسسة الرسالة، ط 3 ، 1418 هـ - 1997 م
- 24 - المستصفي ،المؤلف: أبو حامد الغزالي (ت 505هـ) ،تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ،ط 1، 1413هـ - 1993م.

- 25 - المزهر في علوم اللغة وأنواعها ،المؤلف: جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) ،المحقق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت ،الطبعة: الأولى، 1418هـ-1998م.
- 26 - المعجم الوسيط ،المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ، دار الدعوة.
- 27 - المعتمد في أصول الفقه ،المؤلف: أبو الحسين البصري المعتزلي (ت 436هـ) ،المحقق: خليل الميس ، دار الكتب العلمية - بيروت ،ط1، 1403.
- 28 - الموافقات ،إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت790هـ) ،المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، دار ابن عفان ، ط1 1417هـ/ 1997م.
- 29 - نفائس الأصول في شرح المحصول ،المؤلف: شهاب الدين القرافي (ت 684هـ) ،المحقق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، ط1، 1416هـ - 1995م.
- 30 - نهاية السؤل شرح منهاج الوصول ،المؤلف: عبد الرحيم الإسنوي الشافعي، (ت 772هـ) ، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان ،ط1 1420هـ- 1999م
- 31 - نهاية الوصول في دراية الأصول ،المؤلف: صفي الدين الأرموي الهندي (715 هـ) ،المحقق: د. صالح بن سليمان اليوسف - د. سعد بن سالم السويح ،أصل الكتاب: رسالة دكتوراه بجامعة الإمام بالرياض ، المكتبة التجارية بمكة المكرمة ،ط1 1416 هـ - 1996 م

¹ البرهان في أصول الفقه عبد الملك بن محمد الجويني، الملقب بإمام الحرمين (ت 478هـ) ،المحقق: صلاح محمد عويضة ،الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ،الطبعة الأولى 1418 هـ - 1997 م ، 43/1.

² ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر المؤلف: عبد الرحمن ابن خلدون (ت: 808هـ)، المحقق: خليل شحادة ، دار الفكر، بيروت ،ط2، 1408 هـ - 1988 م، 447.

³ الموافقات ،إبراهيم بن موسى الشاطبي (المتوفى: 790هـ) ،المحقق: مشهور بن حسن آل سلمان ،الناشر: دار ابن عفان ، الطبعة: الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م، 57/5.

⁴ الفروق أنوار البروق في أنواء الفروق ،المؤلف: شهاب الدين القرافي (المتوفى: 684هـ) ، عالم الكتب ،الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ ، 2/1.

- ⁵ مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، تأليف احمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط3 2002م \1 130 .
- ⁶ المصدر السابق .
- ⁷ المجموع المنتخب من متون علم الوضع ، جمع و تحقيق د. شامل شاهين ، دار غار حراء ، ط 1 ، 1427هـ - 2006م ، 8 .
- ⁸ لسان العرب ، المؤلف: جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت: 711هـ) ، الناشر: دار صادر - بيروت ، ط3 ، 1414 هـ ، 401-396/8 .
- ⁹ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، المؤلف: أيوب الكفوي ، أبو البقاء الحنفي (ت: 1094هـ) المحقق: عدنان درويش - محمد المصري ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، 934/1 .
- ¹⁰ المصدر السابق .
- ¹¹ نهاية السؤل شرح منهاج الوصول ، المؤلف: عبد الرحيم الإسنوي الشافعي ، (ت: 772هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط1 1420هـ - 1999م ، 78 .
- ¹² الإبهاج في شرح المنهاج ((منهاج الوصول إلي علم الأصول للقاضي البيضاوي ت(785هـ) ، المؤلف: تقي الدين السبكي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، 1416هـ - 1995م .
- ¹³ شرح تنقيح الفصول المؤلف: أبو العباس شهاب الدين القرافي (ت: 684هـ) ، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد ، شركة الطباعة الفنية المتحدة ، ط 1 ، 1393 هـ - 1973 م ، 22 .
- ¹⁴ شرح الرسالة الوضعية العضدية ، للسمرقندي (ت 888هـ) ضمن المجموع المنتخب لمتون الوضع ، د. شامل شاهين ، دار غار حراء ، ط1 2006 ، 57 .
- ¹⁵ متن في الوضع ، ابراهيم حقي الاكيني ، ضمن المجموع المنتخب لمتون الوضع . 127
- ¹⁶ الدقائق المحكمة على الصحيفة الوضعية الجديدة ، الأقسهري (ت 1285هـ) ، ضمن المجموع المنتخب لمتون الوضع .
- ¹⁷ خلاصة علم الوضع ، يوسف الدجوي ، 1920 مكتبة القاهرة ، 3 .
- ¹⁸ المجموع المنتخب من متون الوضع ، ص 87 ، 114 ، 130
- كان من المفترض هناك قسم رابع بالنسبة للشخصي حسب القسمة العقلية وهو (وضع خاص لموضوع عام) وهذا القسم لا وجود له ، بل حكموا باستحالتة لان الخصوصيات لا يعقل كونها مرآة لملاحظة كلياتها بخلاف العكس .
- ¹⁹ التحيير شرح التحرير في أصول الفقه ، المؤلف: علاء الدين المرادوي (ت 885هـ) ، المحقق: د. عبد الرحمن الجبرين ، د. عوض القرني ، د. أحمد السراح ، مكتبة الرشد - السعودية / الرياض ط1 ، 1421هـ - 2000م ص 288/1 ، المزهر في علوم اللغة

- ، للسيوطي (ت: 911هـ)، المحقق: فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط1، 1418هـ - 1998م ، 37/1.
- ²⁰ المحصول ، المؤلف: محمد بن عمر الرازي (ت: 606هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني ، مؤسسة الرسالة، ط3 ، 1418 هـ - 1997 م ، 200/1.
- ²¹ شرح تنقيح الفصول ، 413/1.
- ²² المستصفي ، أبو حامد الغزالي (ت 505هـ) ، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، ط1، 1413هـ - 1993م ، 180/1 ، الإحكام في أصول الأحكام ، علي الأمدي (ت 631هـ) ، المحقق: عبد الرزاق عفيفي ، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان ، 73/1 ، شرح الكوكب المنير ، المؤلف: تقي الدين الفتوح المعروف بابن النجار الحنبلي (المتوفى: 972هـ) ، المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد ، مكتبة العبيكان ، ط 2 ، 1418هـ - 1997م ، 285/1.
- ²³ البرهان ، 130/1.
- ²⁴ المحصول للرازي ، 181/1 ، البحر المحيط في أصول الفقه ، بدر الدين الزركشي (ت 794هـ) ، دار الكتبي ، ط1، 1414هـ - 1994م ، 230/2.
- ²⁵ ميزان الأصول في نتائج العقول، المؤلف: علاء الدين السمرقندي (ت 539هـ)، حققه: الدكتور محمد زكي ، مطابع الدوحة الحديثة، قطر، ط1 ، 1404 هـ - 1984 م ، 388.
- ²⁶ حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع ، المؤلف: حسن بن محمود العطار الشافعي (ت 1250هـ) ، دار الكتب العلمية ، 352/1.
- ²⁷ المحصول للرازي ، 181/1.
- ²⁸ الاحكام للامدي ، 111/1.
- ²⁹ فواتح الرحموت ، عبد العلي محمد بن نظام الدين الانصاري ، ومعه: مسلم الثبوت، لابن عبد الشكور ، دار النفائس ، الرياض، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط1 ، 1418هـ، 184/1.
- ³⁰ البقرة ، 31.
- ³¹ الانعام ، 38.
- ³² النخل ، 89.
- ³³ العلق ، 3-5.
- ³⁴ الاحكام للامدي ، 74/1.
- ³⁵ المحصول للرازي ، 181/1.
- ³⁶ نهاية الوصول في دراية الأصول ، المؤلف: صفي الدين الأرموي الهندي (715 هـ) ، المحقق: د. صالح بن سليمان اليوسف - د. سعد بن سالم السويح ، المكتبة التجارية بمكة المكرمة ، ط1، 1416 هـ - 1996 م ، 78/1.

- 37 المحصول ، 182/1.
- 38 البرهان للجويني ، 130/1 ، الاحكام للامدي ، 111/1.
- 39 المحصول ، 182/1.
- 40 الاحكام للامدي ، 111/1.
- 41 المستصفي للغزالي ، 8/3.
- 42 المحصول ، 192/1 .
- 43 المستصفي ، 181/1.
- 44 الاحكام للامدي ، 73/1.
- 45 حاشية العطار على شرح الجلال المحلى ، 353/1.
- 46 المستصفي ، 86/1.
- 47 شرح تنقيح الفصول للقرافي، 20/1.
- 48 رَفَعُ النَّقَابِ عَنْ تَنْقِيحِ الشَّهَابِ، المؤلف: أبو عبد الله الشوشاوي (ت 899هـ)، المحقق: د. أحمد بن محمد السراح، د. عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين ، ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، ط1، 1425 هـ - 2004 م ، 196/1.
- 49 المصدر السابق .
- 50 التعريفات، المؤلف: علي الجرجاني (ت 816هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط1 ، 1403 هـ - 1983 م، 47/1، المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ، الناشر: دار الدعوة ، 917/2، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر الفارابي (المتوفى: 393هـ) ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، ط4 ، 1407 هـ - 1987 م، 433/1.
- 51 الحج 52.
- 52 الجاثية 29.
- 53 المستصفي ، 107/1.
- 54 المعتمد في أصول الفقه، المؤلف: أبو الحسين البصري المعتزلي (ت 436هـ) ، المحقق: خليل الميس ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط1، 1403 ، 294/1.
- 55 المحصول ، 420/1.
- 56 البرهان للجويني ، 63/1
- 57 فصلت ، 40
- 58 البرهان للجويني ، 63/1
- 59 المصدر السابق ، 68/1-70 ، شرح تنقيح الفصول ، 138/1
- 60 شرح تنقيح الفصول ، 348/1

- 61 شرح التوضيح على التنقيح ، القاهرة المكتبة الخيرية ، 1306هـ ، 316/1
- 62 رفع النقاب ، 197/1
- 63 البقرة ، 228
- 64 رفع النقاب ، 203/1
- 65 القواعد ، ابي عبدالله المقرئ (ت758هـ) ، تحقيق : احمد بن عبدالله بن حميد ، نشر مركز احياء التراث الاسلامي، مكة ، جامعة ام القرى ، 347/1.
- 66 الاحكام للامدي ، 95/1.
- 67 المصدر السابق ، 96/1.
- 68 شرح تنقيح الفصول ، 132/1.
- 69 نهاية السؤل ، ص 145.
- 70 المحصول ، 385/1.
- 71 رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب ، المؤلف: تاج الدين السبكي (ت771هـ) ، المحقق: علي محمد معوض ، عادل أحمد عبد الموجود: عالم الكتب - لبنان / بيروت ، ط1، 1999م - 1419هـ ، 349/1
- 72 نهاية السؤل ، 78/1
- 73 فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت ، عبدالعلي اللكنوي ، ضبطه وصححه : عبدالله محمود محمد عمر ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، ط1 ، 1423هـ - 2002م ، 143/1
- 74 كتاب التعريفات ، المؤلف: علي بن محمد الجرجاني (ت: 816هـ) ، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، ط1 1403هـ - 1983م ، 220 .
- 75 الموافقات ، 138/2
- 76 شرح تنقيح الفصول ، 4
- 77 المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ) المحقق: فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط1 ، 1418هـ 1998م ، 40/1
- 78 الإبهاج في شرح المنهاج (منهاج الوصول إلي علم الأصول للقاضي البيضاوي) ، تقي الدين السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، دار الكتب العلمية - بيروت ، 1995 م ، 196/1
- 79 نهاية السؤل ، 80/1
- 80 المحصول ، 183/1

⁸¹ نفائس الأصول في شرح المحصول، المؤلف: شهاب الدين القرافي (ت 684هـ)، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، 1416هـ - 1995م ، 449/1

⁸² تحفة المسؤول في شرح مختصر منتهى السؤل، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن موسى الرهوني (ت 773 هـ) المحقق: الدكتور الهادي بن الحسين شبيلي، يوسف الأخضر القيم، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث - دبي، الإمارات، ط1، 1422 هـ - 2002 م ، 406/1.

⁸³ المزهرة ، 47./1.

⁸⁴ التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه، د. السيد أحمد عبدالغفار ، دار المعرفة الجامعية - الاسكندرية ، 1996 م ، 104.

⁸⁵ علم الوضع ، الدكتور عبدالرزاق الحربي ، دايون الوقف السنّي - دائرة البحوث والدراسات ، 1434هـ - 2013 م ، 26.





CAMBREDGE

Refereed scientific journal

Published by Cambridge Center for Research and Conference

CJSP

ISSN-2536-0027

2022

www.camb_magazine.com